

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
(٥٢٢٤ - ٥٢١٠ هـ)

تحقيق
الدكتور عبد بن عبد المحسن التركي
بالتعاون مع
مركز لبحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

الجزء الثاني

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

مكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

ت : ٣٢٥١٠٢٧

مطبعة : ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس : ٣٢٥١٧٥٦

تفسير الطبري
جامع البيان عن تأويل آي القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ : وإذ استسقانا موسى لقوميه ؛ أى : سألنا^(١) نَسْقَى قومه ماءً . فترك ذكر المسئول^(٢) ذلك ، والمعنى الذى سأل موسى ؛ إذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك^(٣) وحذف^(٣) .

وكذلك قوله: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ . مما استعنى بدلالة الظاهر على المتروك منه ، وذلك أن معنى الكلام : فقلنا : اضرب بعصاك الحجر . فضربه فانفجرت . فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر ؛ إذ كان فيما ذكر دلالة على المراد منه .

وكذلك قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ . [٧/٣] إنما معناه : قد علم كل أناس منهم مشربهم . فترك ذكر « منهم » للدلالة الكلام عليه .

وقد دللنا على أن « أناس » جمع لا واحد له من لفظه - فيما مضى - وأن

(١) بعده فى ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أن » .

(٢) بعده فى حاشية الأصل : « فى الأم : له » .

(٣ - ٣) زيادة من : الأصل .

(٤) فى م : « الناس » . وهو ما تقدم فى ١/٢٧٤ .

الإنسان لو جُمع على لفظه لَقيل: أناسين^(١) وأناسيَّة.

وقوم موسى هم بنو إسرائيل الذين قصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ قصصهم في هذه الآيات. وإنما استسقى لهم ربُّه جلَّ ثناؤه الماء في الحال التي تاهوا فيها في التَّيه.

كما حدَّثنا بشرٌ، قال: حدَّثنا يزيدُ، قال: حدَّثنا سعيدُ، عن قتادة قوله: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الآية. قال: كان هذا إذ هم في البرِّيَّة اشتكوا إلى نبيهم الظَّمأ، فأَمروا /بحجرِ طورانِي^(٢) مِنَ الطُّورِ، أن يَضْرِبَهُ موسى بعصاه، فكانوا يَحْمِلُونَهُ معهم، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فأنفَجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكلِّ سبِطٍ عينٌ معلومةٌ، مُستَفيدٌ^(٣) ماؤها لهم^(٤).

٣٠٧/١

حدَّثني تميمُ بنُ الْمُثَنِّيرِ، قال: أَخْبَرَنَا يزيدُ، قال: أَخْبَرَنَا أَصْبَغُ بنُ زيدِ، عن القاسمِ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرِ، عن ابنِ عباسٍ، قال: ذلك في التَّيه، ظَلَّلَ عليهم العَمَامُ، وَأُنزِلَ عليهم المُنُّ والسَّلْوَى، وجعل لهم ثيابٌ لا تَبْلَى ولا تَسْبُخُ، وجعل بينَ ظَهْرَانِيهِمْ حَجْرًا مَرْبَعًا، وأمر موسى فضرب بعصاه الحجرَ، فأنفَجرت منه اثنتا عشرة عينا، في كلِّ ناحيةٍ منه ثلاثُ عيونٍ، لكلِّ سبِطٍ عينٌ، ولا يَرْتَحِلُونَ مَنقَلَةً^(٥) إلا وجدوا ذلك الحجرَ منهم^(٦) بِالْمَكَانِ الَّذِي كان به منهم^(٦) في

(١) في م: «أناسي». وهو جمع صحيح بإبدال الياء من النون.

(٢) في م: «طوري أي»، وفي تفسير ابن حاتم: «طوري».

(٣) في م: «مستفيض».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢١/١ (٥٩٧، ٦٠١) من طريق شيبان، عن قتادة، مختصرا. وعزاه

السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى عبد بن حميد.

(٥) المنقلة: المرحلة من مراحل السفر. اللسان (ن ق ل).

(٦) في م: «معهم».

المنزّل الأول .

حدّثني عبدُ الكريمِ ، قال : أخبرنا إبراهيمُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : حدّثنا سفيانُ ، عن «أبي سَعْدٍ»^(١) ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ذلك في التَّيِّه ، ضرب لهم موسى الحجرَ ، فصار فيه اثنتا عشرةَ عيْنًا من ماءٍ ، لكلِّ سَبْطٍ منهم عيْنٌ يَشْرَبون منها^(٢) .

حدّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نُجَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ فَقلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾^(٣) : فانفجرت لهم الحجرُ بضربةِ موسى اثنتي عشرةَ عيْنًا ، لكلِّ سَبْطٍ منهم عيْنٌ ، كلُّ ذلك كان في تبيهِهم حينَ تاهوا^(٤) .

حدّثنا القاسمُ ، قال : حدّثنا الحسينُ ، قال : حدّثني حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ قوله : ﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾ . قال : خافوا الظَّمًا في تبيهِهم حينَ تاهوا ، فانفجرت لهم الحجرُ اثنتي عشرةَ عيْنًا ، ضربه موسى . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال ابنُ عباسٍ : الأَسْباطُ بنو يَعْقوبَ ، كانوا اثنتي عشرةَ رجلًا ، كلُّ واحدٍ منهم ولَدٌ

(١ - ١) في م ، ت ٣ ، وتفسير ابن كثير : «أبي سعيد» . والصواب المثبت ، وهو أبو سعد البقال سعيد بن

المرزبان ، كما تقدم في ٦٤٧/١ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف . وذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٣/١ عن سفيان

الثوري ، عن أبي سعيد ، عن عكرمة به .

وسفيان هو ابن عيينة ، كما جاء مصرحًا بذلك في ٦٤٧/١ ، وإبراهيم بن بشار الرمادي مشهور بالرواية

عنه ، ولا يعرف له رواية عن الثوري .

(٣ - ٣) في م : « فانفجرت منه اثنتا » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

سَبِيطًا^(١)؛ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ^(٢).

حدَّثني يونس، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، [٨/٣] قال: قال ابنُ زيدٍ: اسْتَشَقَى لهم موسى في التَّيِّه، فَشَقُّوا فِي حَجَرٍ مِثْلِ رَأْسِ الشَّاةِ. قال: يُلْقَوْنَ فِي جَانِبِ الْجَوَالِقِ^(٤) إِذَا ارْتَحَلُوا، وَيَقْرَعُهُ مُوسَى بِالْعَصَا إِذَا نَزَلَ، فَتَنْفَجِرُ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سَبِيطٍ مِنْهُمْ عَيْنٌ، فَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَشْرَبُونَ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ الرَّحِيلُ اسْتَمْسَكَتِ الْعُيُونُ، وَقِيلَ بِهِ^(٥) فَأُلْقِيَ فِي جَانِبِ الْجَوَالِقِ، فَإِذَا نَزَلَ رَمَى بِهِ، فَقَرَعَهُ بِالْعَصَا، فَتَنْفَجِرَتْ عَيْنٌ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِثْلَ الْبَحْرِ.

وحدَّثني موسى، قال: حَدَّثَنَا عَمْرُو، قال: حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ، عَنِ الشَّدِيِّ، قال: كان ذلك في التَّيِّه^(٦).

وأما قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ﴾. فإنما أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ عَنْهُمْ،^(٧) فَخَصَّ بِالنَّبَأِ عَنْهُمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُمْ - فِي الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي وَصَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ صِفَتَهُ مِنَ الشَّرْبِ - كان مُخَالَفًا مَعَانِي سَائِرِ الْخَلْقِ فِيمَا أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْمِيَاهِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَرْضِيَيْنِ، الَّتِي لَا مَالِكَ لَهَا سِوَى اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ. وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كان جَعَلَ لِكُلِّ سَبِيطٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ،

(١) بعده في م: «و».

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٠/١ إلى المصنف مقتصرًا على آخره.

(٣) في م: «جوانب».

(٤) الجوالق: وعاء من الأوعية معروف، فارسي معرب. اللسان (ج ل ق).

(٥) قيل به. أي: رُفِعَ وَحْمَل، والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده. أي أخذ، وقال برجله. أي مشى. ينظر النهاية ٤/١٢٤.

(٦) أخرجه المصنف في تاريخه ٤٣٠/١، ٤٣١ عن موسى بن هارون به، عن السدي بإسناده، مطولاً.

(٧) (٧ - ٧) سقط من: ر، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

عينًا من الحجر الذي وصف صفته في هذه الآية ، يشرب منها دون سائر الأسباط غيره ، لا يدخل سبط منهم في شرب سبط غيره ، فكان مع ذلك لكل عين من تلك العيون الاثنتي عشرة موضع من الحجر ، قد عرفه السبط الذي منه شربه ^(١) ، فلذلك ٣٠٨/١
 خصَّ جل ثناؤه هؤلاء بالخبر عنهم أن كل أناس منهم كانوا عالمين بمشربهم دون غيرهم من الناس ، إذ كان غيرهم - في الماء الذي لا يملكه أحد - شركاء في منابعه ومسائله ، وكان كل سبط من هؤلاء ^(٢) كان منفردًا ^(٣) بشرب منبع من منابع الحجر - دون سائر منابعه - خاص لهم دون سائر الأسباط غيرهم ، فلذلك خصَّ بالخبر عنهم أن كل أناس منهم قد علموا مشربهم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾ .

وهذا أيضًا مما استغنى بذكر ما هو ظاهر منه عن ذكر ما ترك ذكره . وذلك أن تأويل الكلام : قلنا : ضرب بعصاك الحجر . فضربه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا ، قد [٨/٣] علم كل أناس منهم ^(٣) مشربهم ، فليل لهم : كلوا واشربوا من رزق الله . أخبر جل ثناؤه أنه أمرهم بأكل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى ، وبشرب ما فجر لهم ^(٤) من الماء من الحجر المتعاور ^(٥) الذي لا قرار له في أرض ، ولا سبيل إليه ^(٦) الماء ، ولكنه ^(٦) يتدفق بعيون الماء ، ويخرج بينابيع العذب الفرات ، بقدرة ذي الجلال والإكرام .

(١) الشرب ، بالكسر : النصيب من الماء والحصة منه . المصباح المنير (ش ر ب) .

(٢ - ٣) في ر ، م : « مفردا » .

(٣) زيادة من : ر .

(٤) بعده في ر ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فيه » .

(٥) اعتوروا الشيء وتعوروه وتعاوروه : تداولوه فيما بينهم . اللسان (ع و ر) .

(٦ - ٦) في ر : « لماء لكنه » ، وفي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « للملكيه » .

ثم تقدّم جلّ ثناؤه إليهم - مع إباحته لهم^(١) ما أباح ، وإنعامه عليهم بما أنعم^(٢) من العيش الهنيء - بالنهي عن السعي في الأرض فسادًا ، والعنا فيها استكبارًا ، فقال تعالى ذكره لهم : ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَلَا تَعْتَوْا ﴾ : لا تطغوا ، ولا تشعوا في الأرض مفسدين .

كما حدّثني به المثني ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدّثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالبيّة : ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . يقول : لا تشعوا في الأرض فسادًا^(٣) .

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .^(٤) قال : لا تطغوا في الأرض مفسدين . لا تعث : لا تطغ .

حدّثنا بشر ،^(٥) قال : حدّثنا يزيد بن زريع ، قال : حدّثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . أي : لا تسيروا في الأرض مفسدين^(٦) .

حدّثت عن المنجاب ، قال : حدّثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن

(١ - ١) في م : « إباحتهم » .

(٢) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « به عليهم » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٢٢ (٦٠٦) من طريق آدم به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٢٢ (٦٠٧) من طريق شيبان ، عن قتادة .

عباس: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: لا تَسْعُوا فِي الْأَرْضِ^(١).

وأصلُ العَتَا شدةُ الإفسادِ،^(٢) بل هو أشدُّ الإفسادِ^(٣)، يُقالُ منه: عَتَى فلانٌ في الأرضِ - إذا تَجَاوَزَ في الإفسادِ إلى غايته - يَعْتَى عَتَاً، مقصوِّرٌ، وللجماعةِ: هم يَعْتَوْنَ. وفيه لُعْتَانُ أُحْرِيانَ؛ إحداهما: عَتَاً يَعْتُو عُنُوًّا^(٤). ومَنْ قرأ بهذه اللغة، فإنه يَنْبَغِي له أن يَضُمَّ الشاءَ من «يعتُو»، ولا أَعْلَمُ قارئاً يُقْتَدِي بقراءته قرأ به. ومَنْ نطق بهذه اللغة مُخْبِرًا عن نفسه قال: عَثَوْتُ أَعْتُو. ومَنْ نطق باللغة الأولى قال: عَثَيْتُ أَعْتَى.

والأخرى منهما: عاثَ يَعِثُ عَيْثًا وَعُيُوثًا وَعَيْثَانًا، كلُّ ذلك بمعنى واحدٍ. ومن العَيْثِ قولُ رُوَيْبَةَ بنِ العَجَّاجِ^(٥):

[٩/٣] وعاثَ فِينَا مُسْتَحِلَّ عَائِثُ

مُصَدِّقٌ أَوْ تاجِرٌ مُقَاعِثُ^(٥)

يعنى بقوله: عاثَ فِينَا: أفسدَ فِينَا.

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَلْمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامِهِ وَاجِدِ قَادِعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَاطِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا﴾.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وابن أبي حاتم.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) ضبطت في الأصل هكذا: «عَتُوًّا».

(٤) ديوانه ص ٣٠.

(٥) المصدق: الذي يقبض أموال الصدقة والزكاة. والمقاعت: الذي يستأصل المال ويستوعبه. اللسان (ص

دق، ق ع ث).

قال أبو جعفر رحمه الله : قد دللنا فيما مضى قبل على معنى الصبر ، وأنه كَفُّ النفسِ وحبسُها عن الشيء^(١) . فإذا كان ذلك كذلك ، فمعنى الآية إذن : وأذكروا إذ قُلتُم يا معشرَ بني إسرائيلَ : لَن نُطِيقَ حَبْسَ أَنْفُسِنَا عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ - وذلك الطعام الواحد هو ما أخبر الله جل ثناؤه أنه أطعمهموه في تبيهم ، وهو السلوى في قول بعض أهل التأويل ، وفي قول وهب بن مئبته هو الخبزُ التقي مع اللحم - فاسأل لنا ربك يُخرج لنا مما تُنبث الأرض من البقل والقثاء ، وما سئى الله مع ذلك وذكر أنهم سألوه موسى .

وكان سبب مسألتيهم موسى ذلك فيما بلغنا ما حدثنا به بشر ، قال : حدثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ . قال : كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، فملوا ذلك ، وذكروا عيشنا كان لهم بمصر ، فسألوه موسى ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ﴾^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ . قال : ملوا طعامهم ، وذكروا عيشهم الذي كانوا فيه قبل ذلك ، قالوا : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا ﴾^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾ . قال : كان طعامهم السلوى ، وشرابهم المن ، فسألوا ما ذكر ، فقيل لهم : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ

(١) ينظر ما تقدم في ٦١٧/١ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣/١ (٦١١) عن الحسن بن يحيى به .

لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴿١﴾ . قال أبو جعفر الرازي^(١) : وقال قتادة : إنهم لما قدموا الشام فقدوا أطعماتهم^(٢) التي كانوا يأكلونها ، فقالوا : ﴿ اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجَ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ . وكانوا قد ظلل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، فملؤا ذلك ، وذكروا عيشا كانوا فيه بمصر^(٣) .

/ حدثني محمد بن عمرو ، [٩/٣ ظ] قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، ٣١٠/١ عن ابن أبي نجيح ،^(٤) عن مجاهد^(٤) في قول الله : ﴿ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِهِ وَحَدِثِ ﴾ : المن والسلوى ، فاستبدلوا به البقل وما ذكر معه^(٥) .

وحدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بمثله سواء .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بمثله .

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : أعطوا في التيه ما أعطوا ، فأجموا^(٦) ذلك ، فقالوا : ﴿ يَلْمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِهِ وَحَدِثِ فَاذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجَ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أطعمتهم » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٢/١ ، ١٢٣ ، ٦٠٩ ، ٦١٢ من طريق آدم به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فملؤا » وهما بمعنى . وانظر التاج (أ ج م) .

وَيَصَلِّهَا ﴿١﴾ .

حدّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن زيد ، قال : كان طعامُ بنى إسرائيلَ فى التّيهِ واحدًا ، وشرابهم واحدًا ، كان شرابهم غسلًا ينزل لهم من السماء ، يُقالُ له : المُن . وطعامهم طيرٌ يقالُ له : السّلوى . يأكلون الطيرَ ، ويشربون العسلَ ، لم يكونوا يعرفون خبزًا ولا غيره ، فقالوا : يا موسى ، إنّا لن نصيرَ على طعامٍ واحدٍ ، ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ﴾ . فقرأ حتى بلغ : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ .

وإنما قال جلّ ثناؤه : ﴿ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ ﴾ . ولم يذكّر الذى سألوهُ أن يدعوا ربّه ليخرجه لهم من الأرض ، فيقولوا^(١) : ادع لنا ربك يُخرج لنا كذا وكذا مما تُثبته الأرض من بقلها وفتاتها ؛ لأن « من » تأتى بمعنى التبعض لما بعدها ، فاكْتَفَى بها من ذكرِ المُبْعَضِ^(٢) ، إذ كان معلومًا بدخولها معنى ما أُريد بالكلام الذى هى فيه ، كقولِ القائلِ : أصببتُ^(٤) اليومَ عندَ فلانٍ من الطعامِ . يُريدُ : أصببتُ^(٥) شيئًا منه .

وقد قال بعضهم : « من » ههنا بمعنى الإلغاءِ والإسقاطِ ، كأن معنى الكلامِ عنده : يُخرج لنا ما تُثبِتُ الأرضُ من بقلها . واستشهد على ذلك بقولِ العربِ : ما

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٢/١ (٦١٠) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وينظر تاريخ المصنف ٤٣١ / ١ .

(٢) فى م : « فيقول : قالوا » .

(٣) فى م : « التبعض » .

(٤) فى م : « أصبح » .

(٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

رَأَيْتُمْ مِنْ أَحَدٍ . بِمَعْنَى : مَا رَأَيْتُمْ أَحَدًا . وَبِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ وَيَكْفُرُ ^(١) عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧١] . وَبِقَوْلِهِمْ : قَدْ كَانَ مِنْ حَدِيثٍ ، فَخَلَّ عَنِي حَتَّى أَذْهَبَ . يُرِيدُونَ : قَدْ كَانَ حَدِيثٌ .

وَقَدْ أَنْكَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ جَمَاعَةٌ أَنْ تَكُونَ « مِنْ » بِمَعْنَى الْإِلْغَاءِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَادَّعَوْا أَنْ دَخُولَهَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ دَخَلَتْ فِيهِ « إِيدَانٌ بِأَنَّ » الْمُتَكَلِّمَ مُرِيدٌ بَعْضَ مَا أُدْخِلَتْ فِيهِ لَا جَمِيعَهُ ، وَأَنَّهَا لَا تَدْخُلُ فِي مَوْضِعٍ إِلَّا لِمَعْنَى مَفْهُومٍ .

فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذْنٌ - عَلَى مَا وَصَفْنَا مِنْ أَمْرٍ مَنْ ذَكَرْنَا - : فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا بَعْضَ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِتَائِهَا .

وَالْبَقْلُ وَالْقِتَاءُ وَالْعَدَسُ وَالْبَصَلُ ، [١٠/٣] هُوَ مَا قَدْ عَرَفَهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَحَبِّهَا .

وَأَمَّا الْقَوْمُ ، فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مُخْتَلِفُونَ ^(٢) فِيهِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هُوَ الْحِنْطَةُ وَالْحَبِزُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا أَبُو أَحْمَدَ وَمُؤَمَّلٌ ، قَالَا : ثنا سَفِيَّانٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ^(٤) ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ : الْقَوْمُ الْحَبِزُ ^(٥) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَكْفُرُ » . وَيَنْظُرُ مَا سَيَأْتِي عِنْدَ تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ .

(٢) (٢ - ٢) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مُؤَذَّنٌ أَنْ » .

(٣) فِي ر ، م : « اِخْتَلَفُوا » .

(٤) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَبِي نَجِيحٍ » .

(٥) تَفْسِيرُ الثَّوْرِيِّ ص ٤٥ .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : ثنا سُفْيَانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ومُجاهِدٍ قولَه : ﴿ وَفُؤُمَهَا ﴾ . قالَا : تُخْبِرُهَا^(١) .

حَدَّثَنِي زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قالَا : ثنا أَبُو عاصِمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَفُؤُمَهَا ﴾ . قال : الخَبْرُ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشَيْرٌ ، قال : ثنا يَزِيدٌ ، عن سَعِيدٍ ، عن قَتَادَةَ والحَسَنِ : الفُؤْمُ هو الحَبُّ الذي يَخْتَبِرُ الناسُ .

حَدَّثَنَا الحَسَنُ ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرِّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قَتَادَةَ والحَسَنِ مثله^(٣) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبراهِيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ ، عن أَبِي مالِكٍ في قولِه : ﴿ وَفُؤُمَهَا ﴾ . قال : الحِنِطَةُ^(٤) .

حَدَّثَنِي المُتَنَّى ، قال : ثنا عمرو بنُ عَونٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن يُونُسَ ، عن الحَسَنِ والحَصِينِ ، عن أَبِي مالِكٍ في قولِه : ﴿ وَفُؤُمَهَا ﴾ . الحِنِطَةُ^(٥) .

حَدَّثَنِي المُتَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا آدمُ ، قال : ثنا أبو جَعْفَرٍ ، عن قَتَادَةَ ، قال : الفُؤْمُ الحَبُّ الذي يَخْتَبِرُ الناسُ منه .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٥/١ عن الثوري به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى وكيع وعبد ابن حميد .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٤ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٩٠- تفسير) عن خالد بن عبد الله ، عن حصين به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٥) سقط من الأصل .

والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٥/١ عن هشيم به .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشَّدِيِّ : ﴿ وَفُومَهَا ﴾ : هُوَ الْحِنْطَةُ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ لِي عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَفُومَهَا ﴾ . قَالَ : خَبَرْتُهَا . قَالَهَا مَجَاهِدٌ .

حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَثْمَانَ السَّهْمِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَفُومَهَا ﴾ . يَقُولُ : الْحِنْطَةُ وَالْحَبِزُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : ثنا بَشَيْرٌ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَفُومَهَا ﴾ قَالَ : هُوَ الْبُرُّ بَعِينُهُ ؛ الْحِنْطَةُ ^(٣) .

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : ثنا مُسْلِمُ الْجَزَمِيُّ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى بْنُ يُونُسَ ، عَنْ رِشْدِينَ بْنِ كُرَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَفُومَهَا ﴾ . قَالَ : الْفُومُ الْحِنْطَةُ بِلِسَانِ بَنِي هَاشِمٍ ^(٤) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ^(٥) ابْنُ زَيْدٍ : الْفُومُ الْحَبِزُ ^(٦) .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمَصْرِيُّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣/١ عقب الأثر (٦١٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الإتيان ٦/٢ - عن أبيه عن عبد الله بن صالح به ، دون قوله : والحبز . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣/١ (٦١٣) من طريق عكرمة ، عن ابن عباس ، بلفظ : الحبز .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٥/١ عن الضحاك به .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٥/١ عن المصنف . ورشدين ضعيف .

(٥) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لى » .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٥/١ .

منصور اليخصبي ، عن نافع بن أبي نعيم ، أن عبد الله بن عباس [١٠/٣] ظ [سئل عن قول
الله : ﴿ وَثُومَهَا ﴾ . قال : الحنطة ، أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح ، وهو يقول :
قد كنت أغنى الناس شخصًا واحدًا ورد المدينة عن زراعة قوم^(١)
وقال آخرون : هو الثوم .

/ذكر من قال ذلك

٣١٢/١

حدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن
مجاهد ، قال : هو هذا الثوم^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ،
قال : القوم الثوم^(٣) .

وهي في بعض القراء : (وثومها) .

وقد ذكر أن تسمية الحنطة والخبز جميعًا قومًا من اللغة القديمة . حكى سماعًا
من أهل هذه اللغة : قوموا لنا . بمعنى : اختبروا لنا .

وذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود : (وثومها)^(٤) . بالثاء . فإن كان

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣/١ (٦١٤) من طريق نافع به . وهو لم يدرك ابن عباس .
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥٩٧) من طريق جوير ، عن الضحاك في المسائل التي سألها نافع بن
الأزرق لابن عباس ، والأثر في مسائل نافع ص ٤٠ .

والبيت في الأغاني ٢/١٩ ، واللسان (فوم) منسوب إلى أبي محجن الثقفي . وفي الأغاني « فول » بدلًا
من « فوم » . وهو في المسائل مختلف عن ههنا ؛

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٤/١ عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٣/١ عقب الأثر (٦١٥) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٩١- تفسير) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٥٤ =

ذلك صحيحًا فإنه من الحروفِ المُبدَلةِ، كقولهم: وَقَعُوا فِي عَاثُورٍ^(١) شَرًّا وَعَافُورٍ شَرًّا. وكقولهم للأثافي: أَثَائِي، وللمغافير: مَغَائِيرُ، وما أُشْبِهَ ذلك مما تُقْلَبُ فيه^(٢) الثاءُ فاءً، والفاءُ ثاءً؛ لتقاربِ مَخْرَجِ الفاءِ مِنْ مَخْرَجِ الثاءِ. والمغافيرُ شبيهةٌ^(٣) بالصَّمْغَةِ والعسلِ، ينزِلُ مِنَ السَّمَاءِ^(٤) يَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ وَغَيْرِهَا^(٥).

القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَالَ أَسْتَبْدِلُكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

يعنى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بقوله: ﴿قَالَ أَسْتَبْدِلُكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾. قال موسى لهم: أَتَأْخُذُونَ الَّذِي هُوَ أَحْسُّ خَطَرًا وَقِيمَةً وَقَدْرًا مِنَ الْعَيْشِ، بَدَلًا بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ خَطَرًا وَقِيمَةً وَقَدْرًا؟ وَذَلِكَ كَانَ اسْتِبْدَالَهُمْ.

وَأَصْلُ الاسْتِبْدَالِ هُوَ تَرْكُ شَيْءٍ لِأَخَرَ غَيْرِهِ مَكَانَ الْمَتْرُوكِ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَدْنَى﴾: أَحْسُّ وَأَوْضَعُ وَأَصْغَرُ قَدْرًا وَخَطَرًا. وَأَصْلُهُ مِنَ قَوْلِهِمْ: هَذَا رَجُلٌ ذَنْبِي يَبِينُ الدَّنَاءَةَ، وَإِنَّهُ لِيَدْنِي فِي الْأُمُورِ. بغيرِ هَمْزٍ. إِذَا كَانَ يَسْتَبْعُ خَسَائِسَهَا^(٥). وَقَدْ ذَكَرَ الْهَمْزُ عَنْ بَعْضِ الْعَرَبِ فِيهِ سَمَاعًا مِنْهُمْ، يَقُولُونَ: مَا كُنْتُ دَنِيئًا، وَلَقَدْ دَنَأْتُ. وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ غَيْرِهِ أَنَّهُ سَمِعَ بَعْضَ بَنِي كِلَابٍ

= بِأَسَانِيدٍ ضَعِيفَةٍ.

(١) العاثور: ما أعدُّ ليقع فيه أحد. التاج (ع ث ر).

(٢) سقط من: ر، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣-٣) في ر: «بالشياء الحلو يشبهه بالعسل ينزل من السماء حار»، وفي م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «بالشياء

الحلو يشبهه بالعسل ينزل من السماء حلوا».

(٤) في ر، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «نحوها».

(٥) في م: «خسيسها».

يُنشِدُ بَيْتًا لِلأَعْمَى^(١):

بِاسِلَةُ الْوَقْعِ سَرَابِيلُهَا يَبِضُّ إِلَى دَانِيهَا^(٢) الظاهر

[١١/٣] يَهْمِزُ الدَانِيَّ . وَأَنَّهُ سَمِعَهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّهُ لَدَانِيٌّ حَبِيثٌ . بِالْهَمْزِ . فَإِن

كَانَ ذَلِكَ عَنْهُمْ صَحِيحًا ، فَالْهَمْزُ فِيهِ لُغَةٌ ، وَتَرْكُهُ أُخْرَى .

وَلَاشِكُ أَنَّ مِنْ اسْتَبَدَلَ بِالْمُنِّ وَالسَّلْوَى الْبِقَلِّ وَالْقِثَاءَ وَالْعَدَسَ وَالْبَصَلَ وَالثُّومَ ،

فَقَدْ اسْتَبَدَلَ الْوَضِيْعَ مِنَ الْعَيْشِ بِالرَّفِيْعِ مِنْهُ .

وَقَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ : ﴿ الَّذِي هُوَ أَدْنَى ﴾ بِمَعْنَى : الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ . وَوَجَّهَ

قَوْلَهُ : ﴿ أَدْنَى ﴾ إِلَى أَنَّهُ أَفْعَلٌ ؛ مِنَ الدُّنُوِّ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْقَرَبِ .

وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ الَّذِي هُوَ أَدْنَى ﴾ . قَالَ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ

التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي

هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ . يَقُولُ : أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ شَرٌّ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ^(٣) .

/ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ،

عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ : ﴿ الَّذِي هُوَ أَدْنَى ﴾ . قَالَ : أَرَادَ^(٤) .

٣١٣/١

(١) ديوانه ص ١٤٧ .

(٢) في الديوان : « جانبها » .

(٣) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منه » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٤/١ (٦١٧) من طريق يزيد بن زريع به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ﴾ .

وتأويل ذلك : فدعا موسى ، فاستَجَبْنَا له ، فقلنا لهم : اهبطوا مصرًا . وهو من ^(١) المحذوف الذي اجتزى بدلالة ظاهره عن ^(٢) ذكر ما حذف وترك منه .

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الهبوط إلى المكان إنما هو النزول إليه والحلول

به ^(٣) .

فتأويل الآية إذن : وإذ قلتم : يا موسى ، لن نصبر على طعام واحد ، فاذع لنا ربك يُخرج لنا مما تُثبِت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها . قال موسى لهم : أتستبدلون الذي هو أَحْسُّ وأزْدأ من العيش بالذي هو خَيْرٌ منه ؟ فدعا لهم موسى ربه أن يُعْطِيَهُمْ ما سألوه ، فاستجاب الله له دعائه ، فأعطاهم ما طلبوا ، وقال الله تعالى ذكره لهم : اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم .

ثم اختلفت القراءة في قراءة قوله : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ . فقرأته عامة القراءة :

﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ بتنوين « المِصْرِ » وإجرائه . وقرأه بعضهم بترك التنوين وحذف الألف [١١/٣] منه ^(٤) . فأما الذين تَوَنَّوْهُ وأَجْرَوْهُ ، فإنهم عَنَوْا به مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ لا مِصْرًا بَعِيْنِهِ . فتأويله على قراءتهم : اهبطوا مصرًا مِنَ الْأَمْصَارِ ؛ لأنكم في ^(٥) البرِّ والبدو ، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والقيافي ، وإنما يكون في القرى والأمصار ؛ فإنَّ لكم إذا هبطتموه ^(٦) ما سألتم من العيش . وقد يجوز أن يكون بعض

(١) سقط من : الأصل .

(٢) في م : « على » .

(٣) ينظر ما تقدم في ٥٧١/١ .

(٤) وهذه قراءة الحسن وطلحة والأعمش وأبان بن تغلب ، وهي كذلك في مصحف أبي وابن مسعود وبعض

مصاحف عثمان . المصاحف لابن أبي داود ص ٥٧ ، والبحر المحيط ١/ ٢٣٤ .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده في الأصل : « به » .

مَنْ قرأ ذلك بالإجرائِ والتَّنوينِ ، كان تأويلُ الكلامِ عنده : اهبطوا مصرًا البلدةَ التي تُعرَفُ بهذا الاسمِ ، وهي مصرُ التي خرَجوا عنها . غيرَ أنه أجراها ونَوَّنَها اتِّباعًا منه خَطُّ المصحفِ ؛ لأن في المصحفِ ألفًا ثابتةً في « مصر » ، فيكونُ سبيلُ قراءته ذلك بالإجرائِ والتَّنوينِ سبيلَ قراءةٍ مَنْ قرأ : (كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ) [الإنسان : ١٥ ، ١٦] . مُتَوَنِّةٌ^(١) ، اتِّباعًا منه خَطُّ المصحفِ .

وأما الذي لم يُتَوَّنِ « مصر » ، فإنه لاشكُّ أنه عنى « مصر » التي تُعرَفُ بهذا الاسمِ بعينها دونَ سائرِ البلدانِ غيرها .

وقد اختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك نظيرَ اختلافِ القرأةِ في قراءته ؛ فحدَّثنا بشرُّ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿ أَهْبَطُوا مِصْرًا ﴾ . أى : مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ ، ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ﴾^(٢) . حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ أَهْبَطُوا مِصْرًا ﴾ : مِنَ الْأَمْصَارِ ، ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ ﴾ . فلَمَّا خرَجوا مِنَ التِّيهِ رُفِعَ المِنْ وَالسَّلْوَى وَأَكَلُوا البَقُولَ^(٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ أَهْبَطُوا مِصْرًا ﴾ . قال : مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَزَجِعُوا إِلَى مِصْرَ .

(١) وهى قراءة نافع والكسائى وعاصم فى رواية أبى بكر ، وقرأ ابن كثير بالتنوين فى الأولى ، وبغير تنوين فى الثانية . السبعة لابن مجاهد ص ٦٦٣ ، ٦٦٤ .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤/١ عقب الأثر (٦١٨) معلقًا ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ٧٣/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٢٤/١ (٦٢١) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد ، به مختصرًا .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ . قَالَ : يَعْنِي مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ . قَالَ : مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ ، وَمِصْرٌ لَا تُجْرَى فِي الْكِتَابِ ^(١) . فَقَالُوا : أَيْ مِصْرًا ؟ قَالَ : الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ ^(٢) . / وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ ٣١٤/١ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [المائدة : ٢١] .

وَقَالَ آخَرُونَ : هِيَ مِصْرُ التِّي كَانَ بِهَا فِرْعَوْنُ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ . قَالَ : يَعْنِي بِهِ مِصْرَ فِرْعَوْنَ ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ .

وَمِنْ حُجَّةٍ مَنْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ إِنَّمَا عَنَى بِقَوْلِهِ : ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ . مِصْرًا مِنَ الْأَمْصَارِ دُونَ مِصْرِ فِرْعَوْنَ بَعَيْنِهَا - أَنَّ اللَّهَ [١٢/٣] تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ أَرْضَ الشَّامِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مَسَاكِنَ بَعْدَ أَنْ أُخْرِجَهُمْ مِنْ مِصْرَ ، وَإِنَّمَا ابْتَلَاهُمْ بِاللَّيْلِ بِامْتِنَاعِهِمْ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي حَرْبِ الْجَبَابِرَةِ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ : ﴿ يَنْقُورِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ . ﴿ قَالُوا يَمْوَسَى ^(٤) إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الْكَلَامِ » .

(٢) بَعْدَهُ فِي م : « الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ » .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٤/١ (٦١٩) مِنْ طَرِيقِ آدَمَ بِهِ .

(٤) بَعْدَهُ فِي م : « إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَابِرِينَ . إِلَى قَوْلِهِ » .

وَرُبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿ [المائدة: ٢٤] . فحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَائِلِي ذَلِكَ - فيما ذُكِرَ لَنَا - دَخُولَهَا حَتَّى هَلَكُوا فِي السَّيِّئِ ، وَابْتَلَاهُمْ بِالتَّيْهَانِ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ أَهْبَطَ ذُرِّيَّتَهُمُ الشَّامَ ، فَأَسْكَنَهُمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، وَجَعَلَ هَلَاكَ الْجَبَابِرَةِ عَلَى أَيْدِيهِمْ مَعَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، بَعْدَ وِفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالُوا ^(١) : فَرَأَيْنَا اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُ كَتَبَ لَهُمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْهُمْ أَنَّهُ رَدَّهُمْ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْهَا ، فَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نَقْرَأَ : (اهْبِطُوا مِصْرَ) . وَتَنَاوَلَهُ أَنَّهُ رَدَّهُمْ إِلَيْهَا .

قَالُوا : فَإِنْ اخْتَجَّ مُحْتَجٌّ بِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعَيْوُنِ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزِ وَمَقَامِرِ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩] .
قِيلَ لَهُ ^(٢) : فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَوْرَثَهُمْ ذَلِكَ فَمَلِكُهُمْ إِيَّاهَا ، وَلَمْ يَرُدَّهُمْ إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ مَسَاكِنَهُمُ الشَّامَ .

وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّمَا عَنَى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَهْبَطُوا ﴾ . مِصْرَ ، فَإِنَّ مِنْ حُجَّتِهِمُ الَّتِي اخْتَجُّوا بِهَا الْآيَةَ الَّتِي قَالَ فِيهَا : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعَيْوُنِ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزِ وَمَقَامِرِ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ . وَقَوْلُهُ : ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتِ وَعَيْوُنِ ﴿٥٧﴾ وَرُزُوعِ وَمَقَامِرِ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَنَعَمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكَلِيمِينَ ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٨] . قَالُوا : فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَنَّهُ قَدْ وَرَّثَهُمْ ذَلِكَ وَجَعَلَهَا لَهُمْ ، فَلَمْ يَكُونُوا لِيَرِثُوهَا ثُمَّ لَا يَنْتَفِعُوا بِهَا .

قَالُوا : وَلَا يَكُونُونَ مُنْتَفِعِينَ بِهَا إِلَّا ^(٣) بِمَصِيرِهِمْ أَوْ ^(٣) بِمَصِيرِ بَعْضِهِمْ إِلَيْهَا ، وَإِلَّا فَلَا وَجَةَ لِلانْتِفَاعِ بِهَا إِنْ لَمْ يَصِيرُوا ، أَوْ يَصِرَ بَعْضُهُمْ إِلَيْهَا .

(١) سقط من: م .

(٢) فى م: «لهم» .

(٣ - ٣) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

قالوا: وأخرى أنها في قراءة أبي كعب وعبد الله بن مسعود: (اهبطوا مصر). بغير ألف. قالوا: ففي ذلك الدلالة البينة على أنها مصر بعينها.

والذى نقول به فى ذلك أنه لا دلالة فى كتاب الله جل ثناؤه على الصواب من هذين التأويلين، ولا خبر به عن الرسول ﷺ يقطع مجيئه العذر، وأهل التأويل متنازعون تأويله.

فأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب^(١) أن يقال: إن موسى سأل ربه أن

يُعْطِيَ قَوْمَهُ مَا سَأَلُوهُ مِنْ/نَبَاتِ الْأَرْضِ - على ما بيَّنه الله جل ثناؤه فى كتابه - وهم ٣١٥/١ فى الأرض [١٢/٣] تائهون، فاستجاب الله لموسى دعاءه، وأمره أن يَهْبِطَ بِنِ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ قَرَارًا مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تُنْبِتُ^(٢) مَا سَأَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ، إِذْ كَانَ مَا^(٣) سَأَلُوهُ لَا يُنْبِتُهُ إِلَّا الْقُرَى وَالْأَمْصَارُ، فَإِنَّهُ^(٤) قَدْ أَعْطَاهُمْ ذَلِكَ إِذَا^(٥) صَارُوا إِلَيْهِ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَرَارُ مِصْرَ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ الشَّامَ.

فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين: ﴿ أَهْبَطُوا مِصْرًا ﴾. وهى القراءة التى لا يجوزُ عندى غيرُها؛ لإجماعِ خطوطِ مصاحفِ المسلمين، واتفاقِ قراءةِ القرأةِ على ذلك، ولم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه إلا من لا يجوزُ الاعتراضُ به على الحجة فيما جاءت به من القراءة مُستتفياً فيها^(٦).

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ ﴾.

(١) فى ر، م: « والصواب ».

(٢) بعده فى ر، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « لهم ».

(٣) فى ر، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « الذى ».

(٤) فى ر، م: « وأنه ».

(٥) فى ر، م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « إذ ».

(٦) فى ر: « بينها »، وكتب فوقها: « فيها »، وأشار إلى نسخة، وفى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « بينها ».

والى هنا ينتهى الجزء الموجود عندنا من النسخة « ر » وهو نهاية المجلد الأول منها.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَضُرِبَتْ ﴾ . أى : فُرِضَتْ وَوُضِعَتْ عليهم الذلَّةُ وألزموها ، من قولِ القائلِ : ضَرَبَ الإمامُ الجزيةَ على أهلِ الذمة ، وضربَ الرجلُ على عبده الخراج . يعنى بذلك ^(١) أنه فرضه ووظفه وألزمه ^(٢) إياه ، وهو من قولهم : ضَرَبَ الأميرُ على الجيشِ البعثَ . يُرادُ به : ألزَمَهُمْ .

وأما « الذلَّةُ » فإنها الفِعْلَةُ ، من قولِ القائلِ : ذَلَّ فلانٌ يَذِلُّ ذُلًّا وَذِلَّةً . كالصَّفْوَةِ ^(٣) ، من : صفا ^(٤) هذا الأمرُ . والقِعْدَةِ ، من : قعد .

و « الذلَّةُ » هى الصَّغارُ الذى أمرَ اللهُ عباده المؤمنين ألا يُعْطُوهم أمانًا - على القَرارِ على ما هم عليه من كفرهم به وبرسليه ^(٥) - إلا أن يتذلوا الجزيةَ عليه لهم ، فقال تبارك اسمه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ^(٥) ، عن الحسنِ وقتادةَ فى قوله : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ ﴾ . قالوا : يُعْطُونَ الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون ^(٦) .

وأما « المسكنةُ » فإنها مصدرُ المشكينِ ، يقالُ : ما فيهم أسكنُ من فلانٍ . و: ما كان مسكينًا . و: لقد تمسكن تمسكنا ^(٧) . ومن العربِ من يقولُ : تسكن ^(٨)

(١ - ١) فى م : « وضعه فألزمه » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كالصفرة » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « صغر » .

(٤) فى م : « برسوله » .

(٥) فى الأصل : « عمار » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ . وأخرجه ابن حاتم فى تفسيره ١٢٥/١ (٦٢٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٧) فى م : « مسكنة » .

(٨) فى م : « تمسكن » .

تَسْكُنًا^(١) . و « الْمَسْكَنَةُ » في هذا الموضع مَسْكَنَةُ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ ، وَهِيَ خُشُوعُهَا وَذُلُّهَا .

كما حَدَّثَنِي الْمَثْنِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ،
عَنْ [١٣/٣] أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ . قَالَ : الْفَاقَةُ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عَنْ الشَّدِيِّ قَوْلَهُ :
﴿ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ . قَالَ : الْفَقْرُ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَضَرَبَتْ
عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ . قَالَ : هُوَ لَأَيُّ يَهُودَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قُلْتُ لَهُ : هُم قَيْطُ
مِصْرَ ؟ قَالَ : وَمَا لِقَيْطِ مِصْرَ وَهَذَا ، لَا وَاللَّهِ مَا هُم هُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ الْيَهُودَ ، يَهُودَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ .

فَأَخْبَرَ^(٤) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ أَبَدَلَهُمْ^(٥) بِالْعِزِّ ذُلًّا ، وَبِالنُّعْمَةِ بُؤْسًا ، وَبِالرِّضَا عَنْهُمْ
عُضْبًا ، جَزَاءً مِنْهُمْ لِمَنْ عَلَى كُفْرِهِمْ بِآيَاتِهِ ، وَقَتْلِهِمْ أَنْبِيَاءَهُ وَرَسُولَهُ ؛ اِعْتِدَاءً وَظُلْمًا مِنْهُمْ
بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَ « عَصِيانًا مِنْهُمْ »^(٦) لَهُ ، وَخِلَافًا عَلَيْهِ ، تَعَالَى رَبُّنَا وَجَلَّ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ .

/يعني بقوله : ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ : انصَرَفُوا وَارْجَعُوا . وَلَا يُقَالُ : بَاءُوا . ٣١٦/١
إِلَّا مُوَصُولًا ؛ إِمَّا بِخَيْرٍ وَإِمَّا بِشَرٍّ ، يُقَالُ مِنْهُ : بَاءَ فُلَانٌ بَدَنِيَهُ ، يَبُوءُ بِهِ بَؤُوءًا وَبِؤَاءً^(٧) . وَمِنْهُ

(١) فِي م : « تَمَسَّكْنَا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٥/١ (٦٢٧) مِنْ طَرِيقِ آدَمَ بِهِ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٢٥/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (٦٢٧) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ حَمَادَ بِهِ .

(٤) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فَأَخْبِرَهُمْ » .

(٥) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يَبْدِلُهُمْ » .

(٦ - ٦) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عَصِيَانَهُمْ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ ، ت ٢ : « بُؤُوءًا » .

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩]. يعنى :
تَنْصَرِفَ مُتَحَمِّلَهُمَا^(١) وَتَرْجِعَ بِهِمَا ، قَدْ صَارَا عَلَيْكَ دُونِي .

فمعنى الكلام إذن : فرجعوا مُنْصَرِفِينَ مُتَحَمِّلِينَ غَضَبَ اللَّهِ ، قَدْ صَارَ عَلَيْهِمْ
مِنَ اللَّهِ غَضَبٌ ، وَوَجِبَ عَلَيْهِمْ مِنْهُ سَخَطٌ . كَمَا حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿وَبَأَوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ . فَحَدَّثَ
عَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ^(٢) .

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيٌّ ، عَنِ الضُّحَاكِ
فِي قَوْلِهِ : ﴿وَبَأَوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ . قَالَ : اسْتَحَقُّوا الْغَضَبَ مِنَ اللَّهِ^(٣) .
وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى غَضَبِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى عَبْدِهِ فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ،
فَأَعْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ^(٤) .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ .

يعنى بقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ذَلِكَ﴾ . ضَرْبَ الذَّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ عَلَيْهِمْ ،
وَإِحْلَالَ^(٥) غَضَبِهِ بِهِمْ^(٦) ، فَدَلَّ بِقَوْلِهِ : ﴿ذَلِكَ﴾ - وَهُوَ يَعْنِي بِهِ مَا وَصَّفْنَا - عَلَى
أَنْ قَوْلَ الْقَائِلِ : ذَلِكَ . يَشْمَلُ الْمَعَانِيَ الْكَثِيرَةَ إِذَا أُشِيرَ بِهِ إِلَيْهَا .

(١) في الأصل : «محملهما» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦/١ (٦٣١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦/١ عقب الأثر (٦٣١) معلقاً . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٣/١
إلى المصنف .

(٤) ينظر ما تقدم في ١/١٨٩ ، ١٩٠ .

(٥) في م : «إحلاله» .

(٦ - ٦) في ت ٣ : «الغضب عليهم» .

ويعنى بقوله : [١٣/٣] ﴿يَأْتَهُمْ كَأَنُورًا يَكْفُرُونَ﴾ . من أجل أنهم كانوا يَكْفُرُونَ . يقول : فعلنا^(١) الذى فعلنا^(١) بهم - من إحلالِ الذلِّ والمسكنةِ والسَّخَطِ بهم - من أجل أنهم كانوا يَكْفُرُونَ بآياتِ الله ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ . كما قال أعشى بنى ثعلبة^(٢) :

مَلِيكِيَّةٌ جَاوَزَتْ بِالْحِجَا زِ قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا شَطِيرَا
بِمَا قَدْ تَرَبَّعَ رَوْضَ الْقَطَا^(٣) وروضِ التَّنَاضِبِ^(٤) حَتَّى تَصِيرَا^(٥)
يعنى بذلك : جَاوَزَتْ^(٦) هذه المرأة قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا بَعِيدَةً مِنْ أَهْلِهَا ، مَكَانَ^(٧)
قُرْبِهَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْ قَوْمِهِ وَبَدَلًا ؛ مِنْ^(٨) تَرَبُّعِهَا رَوْضَ الْقَطَا وَرَوْضَ التَّنَاضِبِ .

فكذلك قوله : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْتَهُمْ كَأَنُورًا يَكْفُرُونَ﴾ . يقول : كان ذلك منا^(٩) من أجل كفرهم^(٩) بآياتنا ، وجزاء لهم بقتلهم أنبياءنا .

وقد بيَّنا فيما مضى من كتابنا أن معنى الكفرِ تَغْطِيَةُ الشَّيْءِ وَسْتَرُهُ ، وَأَنَّ آيَاتِ اللَّهِ حُجْجُهُ وَأَعْلَامُهُ وَأَدْلَتُهُ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَصَدَقَ رَسِيلُهُ^(١٠) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) ديوانه ص ٩٣ .

(٣) روض القطا : من أشهر رياض العرب وأكثرها دورا فى أشعارهم ، وهى بين السلى والعرمة شرق مدينة الرياض . معجم البلدان ٢/ ٨٥٦ ، ومعجم الأماكن الواردة فى المعلقات العشر ص ٢٣٠ وما بعدها .

(٤) التناضب : من أضاة بنى غفار فوق سرف ، على مرحلة من مكة . تاج العروس (ن ض ب) .

(٥) حتى تصيرا : حتى تحضر المياه ، والمصير : الموضع الذى تصير إليه المياه . اللسان (ص ي ر) .

(٦) بعده فى م : « بهذا المكان » .

(٧) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بمكان » .

(٨) « من » هنا تعليلية ، يريد : من أجل .

(٩ - ٩) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بكفرهم » .

(١٠) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢ .

فمعنى الكلام إذن : فعلنا بهم ذلك من أجل أنهم كانوا يَجْحَدُونَ حُجَجَ اللَّهِ على توحيده وتصديق رسله ، « وَيُدَافِعُونَ حَقِيقَتَهَا » ، وَيُكَذِّبُونَ بها .

ويعنى بقوله : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ : وَيَقْتُلُونَ رَسَلَ اللَّهِ الَّذِينَ ابْتَعَتْهُمْ لِإِنْبَاءٍ مَا أَرْسَلَهُمْ بِهِ عَنْهُ لَمَنْ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ .

وهم جماعٌ ، واحدهم نبيٌ بغير همزٍ ، وأصله الهمزُ ؛ لأنه من : أنبأ عن الله ، فهو يُنبئُ عنه إنباءً . وإنما الاسمُ منه مُنبئٌ ، ولكنه صُرف وهو مُفْعِلٌ إلى فَعِيلٍ ، كما صُرف سَمِعٌ إلى فَعِيلٍ من / مُفْعِلٍ ، وَبَصِيرٌ من مُبْصِرٍ ، وَأَشْبَاهُ ذلك . وَأُبْدِلَ مكانَ الهمزةِ مِنَ النَّبِيِّ الْيَاءُ ، فقيل : نَبِيٌّ . هذا وَيُجْمَعُ النَّبِيُّ أَيْضًا أَنْبِيَاءً ، وإنما جَمَعُوهُ كذلك لِإِلْحَاقِهِمُ النَّبِيَّ ، بإبدالِ الهمزةِ منه ياءً ، بِالتَّعْوِثِ التِي تَأْتِي على تَقْدِيرِ فَعِيلٍ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ ، وذلك أَنَّهُمْ إِذَا جَمَعُوا مَا كَانَ مِنَ النَّعْوِيَّاتِ على تَقْدِيرِ فَعِيلٍ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ ، جَمَعُوهُ على أَفْعَلَاءَ ، كَقَوْلِهِمْ : وَلِيٌّ وَأَوْلِيَاءُ ، وَوَصِيٌّ وَأَوْصِيَاءُ ، وَدَعِيٌّ وَأَدْعِيَاءُ . ولو جَمَعُوهُ على أَصْلِهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُهُ ، وَعَلَى أَنَّ الْوَاحِدَ نَبِيٌّ مَهْمُوزٌ ، لَجَمَعُوهُ على فُعَلَاءَ ، فقيل : هُمُ النَّبَاءُ . على مِثَالِ الثُّبَغَاءِ^(١) ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ جَمْعُ مَا كَانَ على فَعِيلٍ مِنْ غَيْرِ ذَوَاتِ الْيَاءِ وَالْوَاوِ مِنَ النَّعْوِيَّاتِ ، كَجَمْعِهِمُ الشَّرِيكَ شُرَكَاءَ ، وَالْعَلِيمَ عُلَمَاءَ ، وَالْحَكِيمَ حُكَمَاءَ ، وَمَا أُشْبِهَهُ ذَلِكَ . وَقَدْ حُكِيَ سَمَاعًا مِنَ الْعَرَبِ فِي جَمْعِ النَّبِيِّ : النَّبَاءُ . وَذَلِكَ مِنْ لُغَةِ الْبَدِينِ يَهْمِزُونَ النَّبِيَّ ثُمَّ يَجْمَعُونَهُ النَّبَاءَ ، على ما قَدْ بَيَّنْتُ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسِ السُّلَمِيِّ [١٤/٣] فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ :^(٢)

(١ - ١) فِي م : « وَيُدْفَعُونَ حَقِيقَتَهَا » .

(٢) فِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « النَّبَاءُ » .

(٣) سيرة ابن هشام ٤٦١ / ٢ .

يا خاتم النبأ إنك مُرْسَلٌ ^(١) بالحقِّ خيرٌ هُدَى إِلَهٍ ^(١) هَذَا كَمَا
فَقَالَ: يَا خَاتَمَ النَّبَاءِ. عَلَى أَنْ وَاحِدَهُمْ نَبِيٌّ مَهْمُوزٌ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: النَّبِيُّ وَالنَّبِيُّ غَيْرُ مَهْمُوزَيْنِ؛ لِأَنَّهُمَا مَأْخُوذَانِ مِنَ النَّبُوءَةِ،
وَهِيَ مِثْلُ النَّجْوَةِ، وَهُمَا ^(٢) الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنْ أَصَلَ النَّبِيُّ الطَّرِيقَ.
وَيَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ بَيْتِ الْقَطَامِيِّ ^(٣):

لَمَّا وَرَدْنَا نَبِيًّا وَاسْتَتَبْنَا لَنَا ^(٤) مُسْحَنَفِرٌ ^(٥) كُحُوطِ السَّيْحِ ^(٦) مُنْسَجِلٌ ^(٧)

وَيَقُولُ: إِنَّمَا سُمِّيَ الطَّرِيقُ نَبِيًّا؛ لِأَنَّهُ ظَاهِرٌ مُسْتَبِينٌ، مِنَ النَّبُوءَةِ. وَيَقُولُ: لَمْ
أَسْمَعْ أَحَدًا يَهْمِزُ النَّبِيَّ ^(٨). وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا فِي ذَلِكَ، وَيَبَيِّنُ مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾. أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتُلُونَ رُسُلَ اللَّهِ
بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ لَهُمْ بِقَتْلِهِمْ، مُنْكَرِينَ رِسَالَتَهُمْ، جَاحِدِينَ نُبُوَّتَهُمْ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٦١﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ﴾ رَدُّ عَلَى ﴿ذَلِكَ﴾ الْأَوَّلِ. وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الدَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبَاعُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ؛ مِنْ أَجْلِ كَفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَمِنْ أَجْلِ عِضْيَانِهِمْ رَبَّهُمْ وَاعْتِدَائِهِمْ حُدُودَهُ. فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ذَلِكَ﴾

(١ - ١) فِي م: «بِالْحَيْرِ كُلِّ هَدَى السَّبِيلِ»، وَفِي السَّيْرَةِ: «بِالْحَقِّ كُلِّ هَدَى السَّبِيلِ».

(٢) فِي م: «هُوَ».

(٣) دِيوَانُهُ ص ٢٧.

(٤) فِي م: «بِنَا».

(٥) مَسْحَنَفِرٌ: مَمْتَدٌ. اللَّسَانُ (مَسْحَفِرٌ).

(٦) فِي م: «النَّسِجُ». وَالسَّيْحُ: قَبِيلٌ. الْعِبَاءَةُ الْمَخْطُوطَةُ. وَقِيلَ: نَوْعٌ مِنَ الْبُرُودِ. اللَّسَانُ (س ي ح).

(٧) السَّحْلُ: الْكَشِطُ وَالْقَشْرُ. اللَّسَانُ (س ح ل).

(٨) بَعْدَهُ فِي م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «قَالَ».

بِمَا عَصَوْا ﴿١﴾ . والمعنى : ذلك بعضيائهم وكونهم ^(١) مُعْتَدِينَ .

والاعتداء تجاوز الحد الذي حده الله تعالى ذكره لعباده إلى غيره ، وكلُّ متجاوزٍ حدٍّ شئٍ إلى غيره فقد تعداه إلى ما تجاوز إليه . فمعنى الكلام : فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمرى ، وتجاوزوا حدى إلى ما نهيتهم عنه .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ .

أما ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، فهم المصدقون رسول الله ﷺ فيما أتاهم به من [٣/ ٤١٥] الحق من عند الله ، وإيمانهم / بذلك تصديقهم به ، على ما قد بيئنا فيما مضى من كتابنا هذا ^(٢) .

وأما ﴿ وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ ، فهم اليهود ، ومعنى ﴿ هَادُوا ﴾ : تابوا ، يقال منه : هاد القوم يهودون ^(٣) هواداً وهيادة^(٣) . وقيل : إنما سُميت اليهود يهوداً ؛ من أجل قولهم : ﴿ إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابن جريج ^(٤) ، قال : إنما سُميت اليهود ؛ من أجل أنهم قالوا : ﴿ إِنَّا هَدْنَا إِلَيْكَ ﴾ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَالنَّصْرَى ﴾ .

﴿ وَالنَّصْرَى ﴾ جمع ، واحدهم نصران ، كما واحد الشكازى سكران ، وواحد النشواوى نشوان ، وكذلك جمع كل نعت كان واحده على فعلان ، فإن جمعه على فعلى ، إلا أن المستفيض من كلام العرب فى واحد النصارى نصرانى ،

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كفرهم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١ / ٢٤٠ .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « هوذا وهادة » .

(٤) بعده فى ت ٢ : « قال مجاهد » .

وقد حُكِيَ عنهم سَمَاعًا : نَضْرَانُ . بطرحِ الياءِ ، ومنه قولُ الشاعرِ^(١) :
 تَرَاهِ إِذَا دَارَ^(٢) الْعَيْشِيُّ مُحَنَّفًا^(٣) وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهُوَ نَضْرَانُ^(٤) شَامِسُ
 وَشَمِيعٌ مِنْهُمْ فِي الْأَنْثَى نَضْرَانَةٌ . قال الشاعرُ^(٥) :
 * نَضْرَانَةٌ لَمْ تَحْنَفِ^(٦) *

وقد شَمِعَ فِي جَمْعِهِمْ « أَنْصَارٌ » بِمَعْنَى النَّصَارَى . قال الشاعرُ^(٧) :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا
 شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا
 كُنْتُ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى جَارَا

وهذه الأبياتُ التي ذَكَرْتُهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ سُمُّوا نَصَارَى لِنُصْرَةِ بَعْضِهِمْ
 بَعْضًا ، وَتَنَاصُرِهِمْ بَيْنَهُمْ . وقد قيل : إِنْهُمْ إِذَا سُمُّوا نَصَارَى ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ نَزَلُوا
 أَرْضًا يُقَالُ لَهَا : نَاصِرَةٌ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ،
 قَالَ : النَّصَارَى إِذَا سُمُّوا نَصَارَى ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ نَزَلُوا أَرْضًا يُقَالُ لَهَا : نَاصِرَةٌ^(٧) .

(١) البيت في الأضداد ص ١٨١ ، ونقله أبو حيان في البحر المحيط ٢٣٨/١ عن المصنف .

(٢) في م : « زار » .

(٣ - ٣) في الأضداد : « تراه ويضحى وهو نفران » .

(٤) هو أبو الأخضر الحماني ، والبيت في الكتاب ٢/٣٥٦ ، ٤١١ ، واللسان (ح ن ف) .

(٥ - ٥) في م : « فكلتاها خرت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

يقال : أسجد . إذا مال » .

(٦) الأبيات في معاني القرآن ١/٤٤ ، وأمالى ابن الشجري ١/٧٩ ، ٣٧١ ، واللسان (ن ص ر) .

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/٤٧٠ .

ويقول آخرون: لقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤].

وقد ذكر عن ابن عباس من طريق غير مُرتضى أنه كان يقول: إنما سُميت النصراري نصاري؛ لأن قرية عيسى ابن مريم كانت تُسمى ناصرة، وكان أصحابه يُسمون الناصريين، وكان يقال لعيسى: الناصري.

حدثت بذلك عن هشام [١٥/٣] بن محمد، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس^(١).

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قال: إنما سُموا نصاري؛ لأنهم كانوا بقرية يقال لها: ناصرة. ينزلها عيسى ابن مريم، فهو اسمُ تسموا به، ولم يؤمروا به^(٢).

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة: ٨٢]. قال: تسموا بقرية يقال لها: ناصرة. كان عيسى ابن مريم صلى الله عليه ينزلها^(٣).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾.

و«الصابغون» جمع صابغ، وهو المُستحِدثُ سوي دينه ديناً، كالموتد من أهل الإسلام/ عن دينه. وكلُّ خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تُسميه العرب صابغاً، يقال منه: صبأ فلانٌ يصبأ صبأً. ويقال: صبأت الثجوم. إذا طلعت، وصبأ علينا فلانٌ من^(٤) موضع كذا وكذا. يعني به: طلع.

٣١٩/١

(١) أخرجه ابن سعد ١/٥٣، ٥٤ من طريق هشام بن محمد به مطولاً.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٥ إلى المصنف.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٨٧.

(٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّوَابِلِ فِي مَنْ يَلْزَمُهُ هَذَا الْاسْمُ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :
يَلْزَمُ ذَلِكَ كُلَّ خَارِجٍ مِنْ دِينٍ إِلَى غَيْرِ دِينٍ . وَقَالُوا : الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ بِهَذَا الْاسْمِ قَوْمٌ لَا
دِينَ لَهُمْ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ :
أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، جَمِيعًا عَنْ سُفْيَانَ ، عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : الصَّابِئُونَ لَيْسُوا
بِيَهُودَ وَلَا نَصَارَى ، وَلَا دِينَ لَهُمْ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ الْحِجَّاجِ
ابْنِ أَرْطَاةَ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ عَنبَسَةَ ، عَنِ الْحِجَّاجِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ،
قَالَ : الصَّابِئُونَ بَيْنَ الْجُوسِ وَالْيَهُودِ ، لَا تُؤْكَلُ ذَبَائِحُهُمْ ، وَلَا تُنْكَحُ نِسَاؤُهُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَكَّامٌ ، عَنْ عَنبَسَةَ ، عَنِ حِجَّاجِ ، عَنْ قَتَادَةَ ،
عَنِ الْحَسَنِ مِثْلَ ذَلِكَ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ
أَبِي نَجِيحٍ : ﴿ وَالصَّابِئِينَ ﴾ : بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْجُوسِ ، لَا دِينَ لَهُمْ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٤ ، وتفسير عبد الرزاق ١/٤٧ ، ومصنفه (١٠٢٠٧) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في
تفسيره ١٢٧/١ (٦٣٨) من طريق وكيع ، عن سفیان به . والأثر في تفسير الثوري ص ٤٦ من قوله .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١/٤٣٤ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حِجَابُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : [١٥/٣] قَالَ مُجَاهِدٌ : ﴿ وَالصَّابِغِينَ ﴾ : بَيْنَ الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ ، لَا دِينَ لَهُمْ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : ﴿ وَالصَّابِغِينَ ﴾ : زَعَمُوا أَنَّهَا قَبِيلَةٌ مِنْ نَحْوِ الشَّوَادِ ، لَيْسُوا بِمَجُوسٍ وَلَا يَهُودَ وَلَا نَصَارَى . قَالَ : قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ ، وَقَدْ قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : قَدْ صَبَأَ ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَالصَّابِغِينَ ﴾ ^(٢) . قَالَ : الصَّابِغُونَ دِينٌ مِنَ الْأَدْيَانِ ، كَانُوا ^(٣) بِالْجَزِيرَةِ ، جَزِيرَةٌ الْمُؤَصِّلِ ، يَقُولُونَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَلَيْسَ لَهُمْ عَمَلٌ وَلَا كِتَابٌ وَلَا نَبِيٌّ ، إِذَا قَوْلٌ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ : وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ : هَؤُلَاءِ الصَّابِغُونَ . يُشَبِّهُونَهُمْ بِهِمْ ^(٤) .
وَقَالَ آخَرُونَ : هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ وَيُصَلُّونَ ^(٥) الْقِبْلَةَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُقْتَمِرُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : نُبَّيْ ^(١) زِيَادٌ أَنَّ الصَّابِغِينَ يُصَلُّونَ ^(٥) الْقِبْلَةَ ، وَيُصَلُّونَ الْخَمْسَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَضَعَ عَنْهُمْ الْجَزِيَّةَ ، قَالَ : فَخُبِّرَ بَعْدُ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ .

(١) ذكره ابن أبي حاتم ١٢٧/١ عقب الأثر (٦٣٨) معلقاً .

(٢) في الأصل ، م : « الصَّابِغُونَ » . والمثبت هو القراءة هنا ، وما في الأصل ، م هو قراءة الآية ٦٩ من سورة المائدة .

(٣ - ٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بجزيرة » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٤٩/١ عن ابن وهب به .

(٥) بعده في م : « إلى » .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « حدثني » .

/حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ٣٢٠/١ ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾. قَالَ: الصَّابِغُونَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَيُصَلُّونَ^(١) الْقِبْلَةَ، وَيَقْرَأُونَ الزَّبُورَ^(٢).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: الصَّابِغُونَ فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ الزَّبُورَ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ - يَعْنِي الرَّازِيَّ - : وَبَلَّغَنِي أَيْضًا أَنَّ الصَّابِغِينَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَيَقْرَأُونَ الزَّبُورَ، وَيُصَلُّونَ^(١) الْقِبْلَةَ^(٣).

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سَفِيَانَ، قَالَ: سَأَلْتُ^(٤) الشَّدْيِيَّ عَنِ الصَّابِغِينَ، فَقَالَ: هُمْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ^(٥).

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦).

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾: مَنْ صَدَّقَ بِاللَّهِ،

(١) بعده في م: «إلى».

(٢) ذكره ابن كثير ١٤٩/١ عن سعيد، عن قتادة. وسيأتي في سورة الحج، الآية ١٧ من طريق معمر عن قتادة، مطولا.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧/١، ١٢٨، (٦٣٩، ٦٤٢) من طريق آدم به.

(٤) في م: «سئل».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧/١ عقب الأثر (٦٣٩) من طريق أسباط، عن السدي. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٥/١ إلى وكيع.

وَأَقْرَبَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ﴿ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ فَأَطَاعَ اللَّهَ ، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . يعنى بقوله : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ : فلهم ثواب عملهم الصالح عند ربهم .

فإن قال لنا قائلٌ : فأين تمامُ قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيحِينَ ﴾ ؟ ^(١) قيل : «تمامه» جملةُ قوله : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . لأن معناه : مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . فتترك ذكر «منهم» لدلالة الكلام عليه ؛ اشْتِغَاءً بما ذكرَ عمَّا تركَ ذكره .

فإن قال : وما معنى هذا الكلام ؟

قيل : معناه : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين ، مَنْ يُؤْمِنُ مِنْهُمْ ^(٢) بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فلهم أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

فإن قال : وكيف يُؤْمِنُ الْمُؤْمِنُ ؟

قيل : ليس المعنى فى المؤمن المعنى الذى ظننته ، من انتقالٍ من دين إلى دين ، كانتقالٍ ^(٣) اليهود والنصارى إلى الإيمان - وإن كان قد قيل : إن الذين عُثُوا بذلك مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى إِيمَانِهِ بَعِيسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وبما جاء به ، حتى أدرك محمدًا ﷺ ، فأمن به وصدقه ، فقيل لأولئك الذين كانوا مؤمنين ببعيسى وبما جاء به إذ ^(٤) أدركوا محمدًا ﷺ : أمثوا بمحمد ﷺ ، وبما جاء به - ولكن معنى إيمان المؤمن فى هذا الموضع ثباته على إيمانه وتركه تَبْدِيلَهُ .

(١ - ١) فى ت ١ ، ت ٣ : « قبل إتمامه » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣ - ٣) فى م : « اليهودى والنصرانى » .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين ، فالتصديقُ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به ، فمن يُؤمنُ منهم بمحمدٍ وبما جاء به واليومِ الآخرِ ، ويعملُ صالحاً ، فلم يُبدلْ ولم يُعَيَّرْ ، حتى تُؤفَى على ذلك كله^(١) ، فله ثوابٌ عمله وأجره عند ربِّه ، كما وصفَ جلَّ ثناؤه .

فإن قال قائلٌ : وكيف قال : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . وإنما لفظُ ﴿ مَنْ ﴾ لفظٌ واحدٌ ، والفعلُ معه مُؤخَّدٌ ؟

القول : إن « مَنْ » ، وإن كان الذى يليه من الفعلِ مُؤخَّداً ، فإن له معنى الواحدِ ٣٢١/١ والاثنين والجمع ، والتذكير والتأنيث ؛ [١٦/٣] لأنه فى كلِّ هذه الأحوالِ على هيئة واحدةٍ وصورةٍ واحدةٍ لا يتغيَّرُ ، فالعربُ تُؤخِّدُ معه الفعلَ وإن كان فى معنى جمعٍ ، للفظه ، وتجمعُ أخرى معه الفعلَ لمعناه ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ إِلَيْكَ أَسْمِعُ الْقَوْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْمَى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴾ [يونس : ٤٢ ، ٤٣] . فجمع مرةً مع ﴿ مَنْ ﴾ الفعلَ لمعناه ، ووحدَ أخرى معه الفعلَ ؛ لأنه فى لفظِ واحدٍ^(٢) ، كما قال الشاعرُ^(٣) :

أَلِمَّا^(٤) بَسَلَمَى عَنْكَمَا إِنْ عَرَضْتُمَا وَقَوْلَا لَهَا عُوجِي عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا

فقال : تَخَلَّفُوا . فجمع^(٥) ، وجعل « مَنْ » بمنزلةِ « الذين » . قال الفرزدقُ^(٦) :

(١) سقط من ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « الواحد » .

(٣) البيت لامرئ القيس ، وهو فى الديوان ص ٣٢٤ من قصيدة له ، ويقال أيضاً : إنها لرجل من كندة .

(٤) الإلام : الزيارة فى الأحايين . اللسان (ل م م) .

(٥) سقط من : م .

(٦) ديوانه ص ٨٧٠ .

«تَعَالَىٰ فَإِنِ عَاهَدْتَنِي^(١) لَا تَخُونَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَأْذُبُ يَصْطَحِبَانِ
فَنُنَىٰ «يَصْطَحِبَانِ» لِمَعْنَى «مَنْ». فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. وَحَدَّثَ ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾
لِلْفِظِ ﴿مَنْ﴾، وَجَمَعَ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ لِمَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ
فِي مَعْنَى جَمْعٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ:
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِيمَا قَدِمُوا عَلَيْهِ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَىٰ مَا خَلَّفُوا
وَرَاءَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَعَيْشِهَا، عِنْدَ مُعَايِنَتِهِمْ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ
عِنْدَهُ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ: غُنِيَ بِقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾. مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ
أَذْرَكَوَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَشْبَاهُ،
عَنِ الشُّدِّيِّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الْآيَةَ. قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي
أَصْحَابِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، وَكَانَ سَلْمَانُ رَجُلًا مِنْ جُنْدِ بَيْسَابُور^(٢)، وَكَانَ مِنْ
أَشْرَافِهِمْ، وَكَانَ ابْنُ الْمَلِكِ صَدِيقًا لَهُ مُؤَاخِيًا، لَا يَقْضِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَمْرًا دُونَ
صَاحِبِهِ، وَكَانَا يَرْكَبَانِ^(٣) إِلَى الصَّيْدِ جَمِيعًا، فَبَيْنَمَا هُمَا فِي الصَّيْدِ إِذْ رَفَعَ لِهَمَا بَيْتٌ
مِنْ عَبَائِهِ^(٤)، فَأَتِيَاهُ إِذَا هُمَا فِيهِ بِرَجُلٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مُصْحَفٌ يَقْرَأُ فِيهِ وَهُوَ يَتَكَبَّرُ،

(١) - ١) فِي الدِّيْوَانِ: «تَعَشَّ فَإِنِ وَاثَقْتَنِي».

(٢) فِي م: «جَنْدَا بَيْسَابُور». وَجَنْدِيسَابُور: مِنْ بِلَادِ فَارَسَ. يَنْظُرُ مَعْجَمُ مَا اسْتَعْمَجَ ٢/٣٩٧.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «يَرْكَبَانِ».

(٤) فِي م: «خَبَاءِ». وَالْعَبَاءُ: ضَرْبٌ مِنَ الْأَكْسِيَةِ فِيهِ خَطُوطٌ. تَاجُ الْعُرُوسِ (ع ب أ).

فسألاه : ما هذا ؟ فقال : الذي يُريدُ أن يَعْلَمَ هذا لا يَقِفُ موقفكما ، فإن كنتما تُريدان أن تَعْلَمَا ما فيه فانزِلَا حتى [١٧/٣] أُعَلِّمَكُما . فنزلا إليه ، فقال لهما : هذا كتابٌ ^(١) جاء من عندِ اللَّهِ ، أمر فيه بطاعته ، ونهى ^(٢) فيه عن معصيته : ^(٣) ألا تَزْنِي ، ولا تَسْرِقْ ، ولا تأخُذَ أموالِ الناسِ بالباطلِ - فقَصَّ عليهما ما فيه - وهو الإنجيلُ الذي أنزَلَ اللَّهُ على عيسى . فوَقَعَ في قلوبِهما وتابعا فأسلما ، وقال لهما : إن ذبيحةً ^(٤) قومكما عليكما حرامٌ . فلم يَزالا معه كذلك يتَعَلَّمان منه ، حتى كان عيداً للملكِ ، فجعل ^(٥) طعاماً ، ثم جَمَعَ الناسَ والأشرافَ ، وأرسل إلى ابنِ الملكِ ، فدعاه إلى صَنِيعِهِ ليأْكُلَ مع الناسِ ، فأبى الفتى وقال : إني عنك مَشغولٌ ، فكل أنت وأصحابك . فلما أَكثَرَ عليه مِنَ الرُّسُلِ ، أَخْبَرَهُمْ أَنه لا يَأْكُلُ مِنْ طعامِهِمْ ، فبعثَ الملكُ إلى ابنِهِ ، فدعاه وقال : ما أمركَ هذا ^(٥) ؟ قال : إنا لا نَأْكُلُ مِنْ ذبائِحِكُمْ ، إنكم / كفارٌ ، ليس تحِلُّ ذبائِحُكم . فقال له الملكُ : مَنْ أمركَ بهذا ؟ فأخبرَهُ أن ٣٢٢/١
الراهبَ أمرَهُ ^(٦) بذلك ، فدعا الراهبَ فقال : ماذا يَقُولُ ابني ؟ قال : صدق ابنك . قال له : لولا أن الدمَ فينا عظيمٌ لقتلُوكَ ، ولكن اخرج من أرضنا . فأجَلَّهُ أَجْلاً . قال سلمانٌ : فقمتنا نَبِكِي عليه ، فقال لهما : إن كنتما صادقين ، فإننا في بيعةِ المُوَصِّلِ مع ستين رجلاً نَعْبُدُ اللَّهَ فيها ، فائتونا فيها . فخرج الراهبُ ، وبقي سلمانٌ وابنُ الملكِ ، فجعل سلمانٌ يقولُ لابنِ الملكِ : انطَلِقْ بنا . وابنُ الملكِ يقولُ : نعم . وجعل ابنُ

(١) بعده في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « اللَّهُ » .

(٢ - ٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن معصيته فيه » .

(٣ - ٣) في الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قومكم عليكم » .

(٤) جعل هنا : صنع . والجعل والصنع واحد . التاج (ج ع ل) .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) في ت ١ : « أخبره » .

الملك يبيع متاعه يُريدُ الجَهَّازَ^(١)، فلَمَّا أُبْطِأَ على سلمانَ، خرجَ سلمانُ حتى أتاهم، فنَزَلَ على صاحبه، وهو ربُّ البيعةِ، وكان أهلُ تلكَ البيعةِ^(٢) أفضلَ مرتبةً من^(٣) الرُّهبانِ، فكان سلمانُ معه^(٤) يَجْتَهِدُ في العبادةِ، وَيُتَعَبُّ نَفْسَهُ، فقال له الشيخُ: إنك غلامٌ حَدَثٌ، تَكَلَّفُ^(٥) من العبادةِ ما لا تُطِيقُ، وأنا خائفٌ أن تَفْتَرَ وتَعْجِزَ، فازْفُقْ بنفسِكَ وخَفِّفْ عنها^(٦). فقال له سلمانُ: أَرَأَيْتَ الذي تَأْمُرُنِي به، أهو^(٧) أفضلُ أو الذي أَصْنَعُ؟ قال: لا^(٨)، بل الذي تَصْنَعُ؟ قال: فخلِّ عني. قال: ثم إن صاحبَ البيعةِ دعاه، فقال: أتَعَلَّمُ أن هذه البيعةُ لي، وأنا أحقُّ الناسِ بها، ولو شئتُ أن أُخْرِجَ هؤلاءَ منها لَفَعَلْتُ! ولكني رجلٌ أَضْعَفُ عن عبادةِ هؤلاءِ، وأنا أريدُ أن أَتَحَوَّلَ من هذه البيعةِ إلى بيعةٍ أُخرى، هم أهونُ عبادةً من هؤلاءِ، فإن شئتُ أن تُقِيمَ ههنا فَأَقِيمْ، وإن شئتُ أن تَنْطَلِقَ معي فأنطَلِقْ. فقال له سلمانُ: أيُّ البيعتينِ أَفْضَلُ أهلاً؟ قال: هذه. قال سلمانُ: فأنا أَكُونُ في هذه. فأقامَ سلمانُ بها، وأوصَى صاحبُ البيعةِ [١٧/٣] عَالِمَ البيعةِ بِسَلْمَانَ، فكان سلمانُ يَتَعَبَّدُ معهم. ثم إن الشيخَ العَالِمَ أرادَ أن يَأْتِيَ بيتَ المقدسِ،^(٩) فدعا سلمانَ، فقال: إني أريدُ أن آتِيَ بيتَ المقدسِ، فإن شئتُ^(١٠) أن تَنْطَلِقَ معي فأنطَلِقْ، وإن شئتُ أن تُقِيمَ فَأَقِيمْ. قال له سلمانُ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؛ أَنْطَلِقُ معك أو^(١١) أَقِيمْ؟ قال: لا، بل تَنْطَلِقْ معي. فأنطَلِقْ

(١) في ت ١، ٢، ت ٣: «الجهاد».

(٢ - ٣) في م: «من أفضل»، وفي ت ١، ت ٢، ت ٣: «أفضل من».

(٣) في م: «معهم».

(٤) في م: «تتكلف»، وفي ت ٢: «فكلف».

(٥) في م: «عليها».

(٦) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «هو».

(٧) سقط من: م.

(٨ - ٩) في م: «فقال لسلمان: إن أردت»، وفي ت ١، ت ٢، ت ٣: «فإن شئت».

(٩) في م: «أم».

معه ، فمَرُوا بِمُقْعَدٍ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ مُلْقَى ، فلما رآهما نادى : يا سيدَ الرَّهْبَانِ ، اِرْحَمْنِي رِحْمَكَ ^(١) اللَّهُ . فلم يُكَلِّمهُ ، ولم يُنْظُرْ إِلَيْهِ ، وانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، فقال الشيخُ لسلمانَ : اِخْرُجْ فَاطْلُبِ الْعِلْمَ ، فَإِنَّهُ يَحْضُرُ هَذَا الْمَسْجِدَ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْأَرْضِ . فخرجَ سلمانٌ يَسْمَعُ مِنْهُمْ ، فَرَجَعَ يَوْمًا حَزِينًا ، فقال له الشيخُ : ما لك يا سلمانُ ؟ قال : أَرَى الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدْ ذَهَبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ . قال له الشيخُ : يا سلمانُ ، لا تَحْزَنْ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ نَبِيٌّ لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ أَفْضَلَ تَبَعًا مِنْهُ ، وَهَذَا زَمَانُهُ الَّذِي يَخْرُجُ فِيهِ ، وَلَا أُرَانِي أُذْرِكُهُ ، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَابَّ فَلَعلَّكَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَهُوَ يَخْرُجُ فِي أَرْضِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ فَأَمِنْ بِهِ وَاتَّبِعْهُ . فقال له سلمانُ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ عِلْمَتِهِ بِشَيْءٍ . قال : نَعَمْ ، هُوَ مَخْتَوِمٌ فِي ظَهْرِهِ بِخَاتَمِ النَّبُوَّةِ ، وَهُوَ يَأْكُلُ الْهَدْيَةَ ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ . ثم رَجَعَا حَتَّى بَلَغَا مَكَانَ الْمُقْعَدِ ، فناداهما فقال : يا سيدَ الرَّهْبَانِ ، اِرْحَمْنِي رِحْمَكَ ^(١) اللَّهُ . فعطَفَ إِلَيْهِ حِمَارَهُ ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ فَرَفَعَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ ، وَدَعَا لَهُ ، وَقَالَ : قُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ . فقامَ صَاحِبًا يَشْتَدُّ ^(٢) . فجعلَ سلمانُ يَتَعَجَّبُ وَهُوَ يُنْظُرُ إِلَيْهِ يَشْتَدُّ ، وَسَارَ الرَّاهِبُ ، فَتَغَيَّبَ عَنْ سَلْمَانَ ، وَلَا يَعْلَمُ سَلْمَانُ . ثم إنَّ سلمانَ فَرِغَ ، فَطَلَبَ الرَّاهِبَ ، ^(٣) فلقىَ رَجُلَيْنِ ^(٤) مِنَ الْعَرَبِ مِنْ كَلْبٍ ، فَسَأَلَهُمَا : هَلْ رَأَيْتُمَا الرَّاهِبَ ؟ فَأَنَاخَ أَحَدُهُمَا رَاحِلَتَهُ ، قَالَ : نَعَمْ رَاعَى الصُّرْمَةَ ^(٥) هَذَا ! فَحَمَلَهُ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . قال سلمانُ : فَأَصَابَنِي مِنَ الْحَزَنِ شَيْءٌ لَمْ يُصِيبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ . فَاشْتَرَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَكَانَ يَزْعَمُ عَلَيْهَا هُوَ وَغُلَامٌ لَهَا يَتْرَاوِحَانِ الْغَنَمَ ، هَذَا يَوْمًا وَهَذَا يَوْمًا ، وَكَانَ سَلْمَانُ يَجْمَعُ الدَّرَاهِمَ يَنْتَظِرُ خُرُوجَ

(١) فى م : «يرحمك» .

(٢) يشتد : يسرع ويعدو . اللسان (ش د د) .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «فلقى رجلا» .

(٤) الصرمة : القطيع من الإبل والغنم . انظر اللسان (ص م) .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ : «هذه» .

محمد ﷺ ؛ /فبينا هو يوماً يَوعَى ، إذ أتاه صاحبه الذى يَغْقُبُهُ ، فقال له (١) :
 أشعزت أنه (٢) قديم اليوم المدينة رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ ؟ فقال له سلمانٌ : أقم فى
 الغنم حتى آتيتك . فهبط سلمانٌ إلى المدينة ، فنظر إلى النبي ﷺ ودار حوله ،
 فلما [١٨/٣] رآه النبي ﷺ عرف ما يُريد ، فأرسل ثوبه ، حتى خرج خاتمته ،
 فلما رآه أتاه وكلمه ، ثم انطلق ، فاشترى بدينارٍ ، ببعضه شاةً فشاها (١) ،
 وبعضه خبزاً ، ثم أتاه به ، فقال : « ما هذا ؟ » قال سلمانٌ : هذه صدقةٌ ، قال :
 « لا حاجة لى بها ، فأخرجها فليناكلها المسلمون » . ثم انطلق فاشترى بدينارٍ
 آخر خبزاً ولحماً ، فأتى به النبي ﷺ ، فقال : « ما هذا ؟ » قال : هذه هديئةٌ .
 قال : « فاقعد فكل (٢) » . فقعد فأكلا جميعاً منها ، فبينا هو يُحدثه إذ ذكر
 أصحابه ، فأخبره خبرهم ، فقال : كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك ،
 ويشهدون أنك سبعت نبياً . فلما فرغ سلمانٌ من ثنائه عليهم قال له نبيُّ الله :
 « يا سلمانُ ، هم من أهل النار » . فاشتد ذلك على سلمانَ ، وقد كان قال له
 سلمانٌ : لو أذركوك صدقوك وأتبعوك . فأنزل الله هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰئِرِينَ وَالصَّٰبِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ .
 فكان إيمانُ اليهود أنه من تمسك بالتوراة وسنة موسى (٣) كان مؤمناً (٤) ، حتى جاء
 عيسى ، فلما جاء عيسى كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها ، و
 يتبع عيسى كان هالكاً . وإيمانُ النصارى أنه من تمسك بالإنجيل منهم وشرائع
 عيسى ، كان مؤمناً مقبولاً منه ، حتى جاء محمد ﷺ ، فمن لم يتبع محمداً ﷺ

(١) سقط من م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ : « قد » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) بعده فى م : « لم » .

منهم وَيَدْعُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سِنَةِ عِيسَى وَالْإِنْجِيلِ ، كَانَ هَالِكًا^(١) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ الآية . قَالَ : سَأَلَ^(٢) سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَوْلِيكَ النَّصَارَى وَمَا رَأَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، قَالَ : « لَمْ يَكُونُوا عَلَى الْإِسْلَامِ » . قَالَ سَلْمَانٌ : فَأُظْلِمَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ ، وَذَكَرْتُ^(٣) اجْتِهَادَهُمْ^(٤) . فَنَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ ، فَدَعَا سَلْمَانَ فَقَالَ : « نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي أَصْحَابِكَ » . ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « مَنْ مَاتَ عَلَى دِينِ عِيسَى ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ بِي ، فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ ، وَمَنْ سَمِعَ بِي الْيَوْمَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِي فَقَدْ هَلَكَ »^(٥) .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [١٨/٣] وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَةَ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . فَأَنْزَلَ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٣/١ إلى المصنف - بلفظه - وابن أبي حاتم . وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٧/١ (٦٣٦) ، والواحدى في أسباب النزول ص ١٦ من طريق عمرو بن حماد به ، مختصرا . وأخرجه الواحدى - أيضا - وابن عساكر في تاريخه ٤١٨/٢١ ، ٤١٩ من طريق عمرو ، عن أسباط ، عن السدى ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، مختصرا . وذكره الذهبى في السير ٥٢٢/١ - ٥٢٥ من طريق عمرو به عن السدى بإسناده ، مطولا .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « للنبي » .

(٤) فى م ، ت ١ : « ذكر » .

(٥) فى الأصل : « أخبارهم » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٤/١ إلى المصنف . وأخرجه الواحدى في أسباب النزول ص ١٥ من طريق ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : لما قص سلمان ... وأخرجه ابن أبي عمر المدنى في مسنده - كما فى الدر المنثور ٧٣/١ - ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٢٦/١ (٦٣٤) من طريق ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، قال : قال سلمان ... ومجاهد لم يسمع من سلمان .

اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْدَ هَذَا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) [آل عمران: ٨٥].

^(٢) حَدَّثَنَا ابْنُ الْبَرَقِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلْمَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. قَالَ: هِيَ مَنْسُوخَةٌ، نَسَخْتُهَا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا﴾^(٣).

وهذا الخبرُ يُدُلُّ على أن ابنَ عباسٍ كان يرى أن الله تعالى ذكره قد كان وعد
من عمل صالحاً من اليهود والنصارى والصابئين على عمله في الآخرة الجنة، ثم نسخ
ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

فتأويل الآية إذن على ما ذكرنا عن مجاهد والسدي: إن الذين آمنوا من هذه
الأمّة، والذين هادوا / والنصارى والصابئين - من آمن من اليهود والنصارى والصابئين
باللّه واليوم الآخر - فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

٣٢٤/١

والذي قلنا من التأويل الأول أشبهه بظاهر التنزيل؛ لأن الله تعالى ذكره لم يخص
بالأجر على العمل الصالح مع الإيمان بعض خلقه دون بعض منهم، والخبر بقوله: ﴿مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. عن جميع من^(٣) ذكر في أول الآية.

القول في تأويل قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾.

الميثاقُ المفعولُ، من الوثيقة؛ إما يمين، وإما بعهد، أو غير ذلك من الوثائق.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٦/١ (٦٣٥)، وابن الجوزي في ناسخه ص ١٣٠ من طريق أبي
صالح به.

(٢) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) سقط من: ت ١، وفي م، ت ٢، ت ٣: «ما».

ويعنى بقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ . الميثاق الذى أخبر الله تعالى ذكره أنه أخذ منهم فى قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة : ٨٣ - ٨٥] . الآيات التى ذكر معها .

وكان سبب أخذ الميثاق عليهم فيما ذكر ابن زيد ما حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : لما رجع موسى من عند ربّه بالألواح قال لقومه بنى إسرائيل : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، وأمره الذى أمركم به ، ونهيه الذى نهاكم عنه . فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا والله حتى نرى الله جهره ، حتى يطلع الله إلينا^(١) فيقول : هذا كتابى فخذوه . فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى ! فيقول : هذا كتابى فخذوه . قال : فجاءت غضبة من الله ، فجاءتهم صاعقة فصعقتهم ، فماتوا أجمعون . قال : ثم أحياهم الله من بعد موتهم ، فقال لهم موسى : [١٩/٣] خذوا كتاب الله . فقالوا : لا . قال : أى شىء أصابكم ؟ قالوا : ميثاق حيينا . قال : خذوا كتاب الله . قالوا : لا . فبعث الله ملائكة ، فنتقت الجبل فوقهم .^(٢) وقرأ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٤] . قال : فرفع فوقهم^(٣) . فقيل لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، هذا الطور . قال : خذوا الكتاب ، ولا طرخناه عليكم . قال : فأخذوه بالميثاق . وقرأ قول الله تعالى ذكره : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ . حتى بلغ : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . قال : ولو كانوا أخذوه أول مرة لأخذوه بغير ميثاق^(٣) .

(١) فى م : « علينا » .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) تقدم هذا الأثر فى ١/٦٩٦ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ .
 أمّا الطُّورُ فإنه الجبلُ في كلامِ العربِ ، ومنه قولُ العجاجِ ^(١) :

دائى جناحيه ^(٢) من الطُّورِ فَمَرَّ

تَقْضَى ^(٣) البازى إذا البازى كَسَرُ ^(٤)

وقيل : إنه اسمُ جبلٍ بعينه . وذكروا ^(٥) أنه الجبلُ الذى ناجى الله عليه موسى .

وقيل : إنه من الجبالِ ما أثبتت دون ما لم يُثبِت .

/ذكر من قال : هو الجبلُ كائنا ما كان

٣٢٥/١

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي
 نجیح ، عن مُجاهدٍ ، قال : أمر موسى قومه أن يدخلوا البابَ سُجَّدًا ويقولوا : حِطَّةٌ .
 وطُوِّطِي لَهُم ^(٦) البابُ ليشجُدوا ، فلم يشجُدوا ودخلوا على أذبارهم ، وقالوا :
 حِطَّةٌ . فنتق فوقهم الجبلَ - يقول : أخرج أصلَ الجبلِ من الأرضِ ، فرفعه فوقهم
 كالظلَّةِ - والطورُ بالشريانيةِ الجبلُ - تخويفاً ، ^(٧) فدخلوا سُجَّدًا على خوفٍ - أو
 حَزَفٍ ، شكُّ أبو عاصمٍ ^(٨) - أعينهم إلى الجبلِ ، وهو الجبلُ الذى تجلَّى له ربُّه ^(٩) .

(١) ديوانه ص ٢٨ .

(٢) دائى جناحيه : ضمهما .

(٣) تقضى : أصلها : تقضض ، فقلب الضاد الأخيرة ياءً استقلاً . وتقضض الطائر : هوى فى طيرانه يريد
 الوقوع . تاج العروس (ق ض ض) .

(٤) كسر : إذا ضم من جناحيه شيئاً وهو يريد الوقوع أو الانقضاء . التاج (ك س ر) .

(٥) فى م : « ذكر » .

(٦) فى الأصل : « عليهم » .

(٧ - ٧) فى م : « أو خوفاً ، شك أبو عاصم ، فدخلوا سجداً على خوف » .

(٨) تفسير مجاهد ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وتقدم أوله فى ١ / ٧١٤ .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، [١٩/٣] عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : رُفِعَ الْجِبَلُ فَوْقَهُمْ كَالظُّلَّةِ ^(١) ، كَالسَّحَابَةِ ، فَقِيلَ لَهُمْ : لَتُؤْمِنَنَّ أَوْ لَيَقَعَنَّ عَلَيْكُمْ . فَأَمَنُوا . وَالْجِبَلُ بِالشَّرِيَانِيَةِ الطُّورُ .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ . قَالَ : الطُّورُ جِبَلٌ ^(٢) كَانُوا بِأَصْلِهِ ، فَرُفِعَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ رِعْوِسِهِمْ ، فَقَالَ : لَتَأْخُذَنَّ أَمْرِي ، أَوْ لِأُرْمِيَنَّكُمْ بِهِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ . قَالَ : الطُّورُ الْجِبَلُ ، ائْتَلَعَهُ اللَّهُ ، فَرَفَعَهُ فَوْقَهُمْ ، فَقَالَ : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ . فَأَقْرَبُوا بِذَلِكَ ^(٤) .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ . قَالَ : رَفَعَ فَوْقَهُمْ الْجِبَلُ ، يُخَوِّفُهُمْ بِهِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيِّ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : الطُّورُ الْجِبَلُ ^(٦) .

حَدَّثَنَا مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَشْبَاهُ ، عَنْ الشُّدِيِّ : لَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ لَهُمْ : ﴿ اذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ . فَأَبَوْا أَنْ يَسْجُدُوا ، وَأَمَرَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ الْجِبَلُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ ، فَنظَرُوا إِلَيْهِ وَقَدْ غَشِيَهُمْ ، فَسَقَطُوا سُجَّدًا ،

(١) سقط من : م .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الجبل » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩/١ عقب الأثر (٦٥٢) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع من قوله .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩/١ عقب الأثر (٦٥٢) معلقًا .

(تفسير الطبري ٤/٢)

فسجدوا^(١) على شقِّ ، ونظروا بالشقِّ الآخرِ ، فرحِمهم اللهُ ، فكشَفه عنهم ،^(٢) فقالوا : ما سجدةٌ أحبُّ إلى اللهِ من سجدةٍ كَشَفَ بها العذابَ عنكم . فهم يسجدون لذلك على شقِّ^(٢) ، وذلك قوله : ﴿ وَإِذْ نُنَقِّنَا الْجِبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾ [الأعراف : ١٧١] . وقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ ﴾^(٣) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الجبلُ بالشُّرْيَانِيَّةِ الطُّورُ ،^(٤) وهو بالعربيةِ الجبلُ .

وقال آخرونُ : الطُّورُ اسمٌ للجبلِ الذي نَجَّى اللهُ جَلَّ جلالُه عليه موسى عليه السلامُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الطُّورُ الجبلُ الذي أُنزِلَتْ عليه - يعنى على موسى - التَّوراةُ ، وكانت بنو إسرائيلَ أسفلَ منه^(٥) . قال ابنُ جُرَيْجٍ : قال لى عطاءٌ : رَفَعُ [٢٠/٣] الجبلَ على بنى إسرائيلَ ، فقال : لَتُؤْمِنَنَّ به أو لَيَقَعَنَّ عليكم . فذاك قوله : ﴿ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾^(٦) .

وقال آخرونُ : الطُّورُ من الجبالِ ما أُثْبِتَ خاصَّةً .

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٢٩/١ (٦٥٣) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء .

/ذكر من قال ذلك

٣٢٦/١

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَزْوِجٍ ، عَنْ الصَّحَّاحِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ اَلطُّورَ ﴾ قَالَ : الطُّورُ مِنَ الْجِبَالِ مَا أَتَيْتَ ، وَمَا لَمْ يُنْبِتْ فَلَيْسَ بِطُورٍ ^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ .

اختلف أهل العربية في تأويل ذلك ؛ فقال بعض نحويي البصرة : هو مما استغنى بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره منه ^(٢) ، وذلك أن معنى الكلام : ورفعنا فوقكم الطور ، وقلنا لكم : خذوا ما آتيناكم بقوة ، وإلا قدفناه عليكم .

وقال بعض نحويي الكوفة : أخذ الميثاق قول ، فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قول فيه ، فيكون من كلامين ، غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى القول أن تكون معه « أن » ، كما قال تعالى ذكره : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾ [نوح : ١] . قال : ويجوز بحذف ^(٣) « أن » .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن كل كلام نطق به ، مفهوم به معنى ما أريد منه ^(٤) ، ففيه الكفاية من غيره .

ويعنى بقوله : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ : ما أمرناكم به في التوراة . وأصل الإيتاء الإعطاء .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٢٩/١ (٦٥١) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفي م : « له » .

(٣) في م : « أن تحذف » .

(٤) سقط من : الأصل ، م ، ت ١ ، ت ٢ .

ويعنى بقوله: ﴿يَقْوَى﴾: بجِدٍّ، و^(١) تَأْدِيَةً مَا أُمِرْتُمْ بِهِ^(٢) فيه وافترض عليكم .
 كما^(٣) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ، قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ
 عُيَيْنَةَ، قال: ^(٤) حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَقْوَى﴾ قال: بجِدٍّ^(٥) .
 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قال: ^(٤) حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قال: حَدَّثَنَا عَيْسَى، عَنْ
 ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقْوَى﴾ . قال: بِعَمَلٍ^(٦) بما فيه^(٧) .
 حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قال: حَدَّثَنَا أَبُو حَذَيْفَةَ، قال: حَدَّثَنَا شَيْبَلُ، عَنْ ابْنِ أَبِي
 نَجِيحٍ، [٢٠/٣ظ] عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قال: حَدَّثَنَا آدَمُ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنْ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي
 الْعَالِيَةِ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقْوَى﴾ .^(٨) أى: بِطَاعَةِ اللَّهِ^(٩) .
 حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَازِمٍ الْغِفَارِيُّ، قال: أَخْبَرَنَا عَيْدُ اللَّهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ
 الرَّبِيعِ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقْوَى﴾^(٨) . قال: بِطَاعَةِ^(١٠) .
 حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قال: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ

(١) فى م: «فى» .

(٢ - ٢) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «أمركم» .

(٣ - ٣) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «حدث عن» .

(٤ - ٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف .

(٦) فى م: «تعملوا»، وفى ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يعمل» .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه عبد بن حميد - كما فى تعليق التعليق ١٧٣/٤ - وابن أبى حاتم

فى تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٧) .

(٨ - ٨) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

(٩) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٦) من طريق آدم به .

(١٠) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٠/١ عقب الأثر (٦٥٦) من طريق أبى جعفر به .

قَتَادَةَ : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : القوةُ الجِدُّ ، وإِلا قَدَفْتُهُ ^(١) عليكم . قال : فَأَقْرُوا بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مَا أُوتُوا بِقُوَّةٍ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قال : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قال : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ : يعني بِجِدٍّ واجْتِهَادٍ ^(٣) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ ، وسأَلْتُهُ عن قولِ اللَّهِ تعالى ذِكْرُهُ : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ . قال : خُذُوا الكتابَ الذي جاء به موسى بِصدقٍ وحقٍّ .

^(٤) حَدَّثَنَا القاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الحَسِينُ ، قال : حَدَّثَنِي حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ ﴾ . قال : كتابُكم ، لِنَأْخُذَنَّهُ أو لِيَقَعَنَّ عَلَيْكُم الطُّورُ . قالوا : نَأْخُذُهُ . وَأَقْرُوا ثم نَقَضُوا الميثاقَ بعدَ ذلك ^(٥) .

فتأويلُ الآيةِ إِذْنٌ : خُذُوا ما افْتَرَضْنَا عَلَيْكُم في كتابنا مِنَ الفرائضِ فأَقْبَلُوهُ ، وَاَعْمَلُوا بِاجْتِهَادٍ مِنْكُم في أَدَائِهِ ، مِنْ غيرِ تَقْصِيرٍ ولا تَوَانٍ . وذلك هو معنى أَخَذَهُمْ إِيَّاهُ بِقُوَّةٍ وَبِجِدٍّ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَناءُهُ : ﴿ وَأَذْكُرُوا ما فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

يعنى تعالى ذِكْرُهُ : وَأَذْكُرُوا ما فِيما آتَيْنَاكُم مِنَ كتابنا مِنْ وعيدٍ ووعيدٍ ^(٥) ، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهيبٍ ، /فَاتْلُوهُ وَاغْتَبِرُوا بِهِ ، وَتَدَبَّرُوهُ ، ^(٦) كى إِذا فَعَلْتُم ذلك تَتَّقُونى ^(٦) ، ٣٢٧/١

(١) فى ت ١ ، ٢ ، ت ٣ : « قذفه » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) عزاه الحافظ فى الفتح ١٦١/٨ إلى المصنف .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٢٩/١ (٦٥٣) من طريق حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، نحوه .

(٥) بعده فى م ، ت ٢ : « شديد » .

(٦ - ٦) فى م : « إذا فعلتم ذلك كى تتقوا » .

وتخافوا عِقَابِي ، بإِضْرَارِكُمْ عَلَى ضَلَالِكُمْ ، فَتُنِيْبُوا إِلَى طَاعَتِي ، وَتَنْزِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِي .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْحَصِينِ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . قَالَ : تَنْزِعُونَ عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ^(١) .

والذِي آتَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ هُوَ التَّوْرَةُ ، كَمَا حَدَّثَنِي المُنْثَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا آدَمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا [٢١/٣] أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنِ الرَّبِيعِ ، عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . يَقُولُ : وَادْكُرُوا مَا فِي التَّوْرَةِ ^(٢) وَاعْمَلُوا بِهِ ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . يَقُولُ : ^(٣) اقْرءُوا مَا ^(٤) فِي التَّوْرَةِ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . قَالَ : اعْمَلُوا بِمَا فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ وَصَدَقَ . قَالَ : وَقَالَ : اذْكُرُوا ^(٥) مَا فِيهِ ، وَلَا ^(٦) تَنْسَوْهُ وَلَا تُغْفِلُوهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ .

يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ : ثُمَّ أَعْرَضْتُمْ . وَإِنَّمَا هُوَ « تَفَعَّلْتُمْ » ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف وابن إسحاق .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠/١ (٦٥٩) من طريق آدم به بنحوه . وينظر تفسير ابن كثير ١٥٠/١ .

(٣ - ٣) في م : « أمروا بما » ، وفي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أمروا ما » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٠/١ عقب الأثر (٦٥٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) في ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « واذكروا » .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لا » .

من قولهم: ولأني فلانٌ دُبْرَه . إذا استدْبِرَ عنه وخلفه خلفَ ظهره ، ثم يُستَعْمَلُ ذلك في كلِّ تاركٍ طاعةَ أمرٍ ، ^(١) وهاجرٍ خِلٍّ ^(٢) ، ومُعْرِضٍ بوجهٍ ^(٣) ، فيقالُ : فلانٌ قد تَوَلَّى عن طاعةِ فلانٍ ، وتَوَلَّى عن مُواصلته . ومنه قولُ اللهِ تعالى ذكره : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [التوبة : ٧٦] . يعنى بذلك : خالفوا ما كانوا وعدوا اللهُ مِن قولهم : ﴿ لَئِن آتَيْنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [التوبة : ٧٥] . ونَبَذُوا ذلك وراءَ ظُهورهم .

ومن شأنِ العربِ استعارةَ الكلمةِ ووضعها مكانَ نظيرتها ، كما قال أبو ذؤيب ^(٤) الهذليُّ :

فليس كعهدي ^(٤) الدارِ يا أمَّ مالكٍ ولكن أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ
وعاد الفتى كالكهليِّ ليس بقائلٍ سوى العذلِ ^(٥) شيئًا واستراح العواذِلُ

يعنى بقوله : أحاطتْ بالرقابِ السلاسلُ . أن الإسلامَ صار في منعه إيانا ما كنا نأتيه في الجاهليةِ مما حرّمه اللهُ علينا في الإسلامِ ، بمنزلةِ السلاسلِ المحيطةِ برقابنا التي تحوّلُ بينَ مَنْ كانت في رقبته ، مع العُلِّ الذي في يده ، وبينَ ما حاول أن يتناولَه .

ونظائرُ ذلك في كلامِ العربِ أكثرُ من أن تُحصى . فكذلك قوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ . يعنى بذلك أنكم تركتم العملَ بما أخذنا ميثاقكم وعهودكم على العملِ به بجدٍّ واجتهادٍ ، بعدَ إعطائكم ربكم الموائيقَ على العملِ به ، والقيامِ بما

(١ - ١) في م : « بها عز وجل » .

(٢) في م : « بوجهه » .

(٣) كذا في النسخ ، وكذا قال ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ١١٢ ، والبيتان من قصيدة لأبي خراش الهذلي يرضى بها زهير ابن العجوة . ديوان الهذليين ١٥٠ / ٢ .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لعهد » .

(٥) في الأصل : « العذل » ، وفي م : « الحق » . وينظر شرح أشعار الهذليين ١٢٢٣ / ٣ .

أَمَرَكُمْ بِهِ فِي كِتَابِكُمْ ، فَبَدَّئْتُمُوهُ [٢١/٣ ظ] وراء ظهوركم .

وَكُنِّي بِقَوْلِهِ : ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ . عن جميع ما قبله في الآية المتقدمة ، أعنى قوله :
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ الآية .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ .

/يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ . فلولا أن الله
تَفَضَّلَ عليكم بالتوبة بعد نكثكم^(١) الميثاق الذى واثقتموه - إذ رفع فوقكم الطور -
بأنكم تَجْتَهِدُونَ فى طاعته ، وأداء فرائضه ، والقيام بما أمَرَكم به ، والانتِهَاء عما
نَهَاكم عنه فى الكتاب الذى آتاكم ، فأنتعم عليكم بالإسلام ، ورحمته التى رَحِمَكُم
بها ، فتجاوز عنكم خَطِيئَتِكُم التى رَكِبْتُمُوهَا ، بمراجعتكم طاعة ربكم - لكنتم من
الخاسرين .

٣٢٨/١

وهذا وإن كان خطاباً لمن كان بينَ ظَهْرَانِي مُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ
الكتابِ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فإنما هو خبيرٌ عن أسلافهم ، فأُخْرِجَ^(١) مُخْرَجَ الْخَبِيرِ^(٢)
عَنهم ، على نحو ما قد بيَّنَّا فيما مضى ، من أن القبيلةَ مِنَ الْعَرَبِ تُخَاطَبُ الْقَبِيلَةَ عِنْدَ
الْفَخَارِ أَوْ غَيْرِهِ ، بما مضى مِنْ فِعْلِ أَسْلَافِ الْمُخَاطَبِ بِأَسْلَافِ الْمُخَاطَبِ ، فَتُضَيَّفُ فِعْلَ
أَسْلَافِ الْمُخَاطَبِ إِلَى أَنْفُسِهَا ، فَتَقُولُ : فَعَلْنَا^(٤) وَفَعَلْنَا^(٤) .^(٥) وما فُعِلَ بِأَسْلَافِ
الْمُخَاطَبِ إِلَى الْمُخَاطَبِ لَهُمْ بِقَوْلِهِمْ : فَعَلْنَا بِكُمْ^(٥) وَفَعَلْنَا بِكُمْ^(٦) . وقد ذَكَرْنَا بَعْضَ

(١) فى ت ٢ ، ت ٣ : « نقضكم » ، وفى ت ١ : « نبذكم » .

(٢) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الخبير » .

(٣) فى م : « الخبير » .

(٤) بعده فى م : « بكم » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) زيادة من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

الشواهد في ذلك من شعرهم فيما مضى^(١).

وقد زعم بعضهم أن الخطاب في هذه الآيات إنما أُخْرِجَ بإضافة الفعل إلى المخاطبين، والفعل لغيرهم؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا يتولون من كان فعل ذلك من أوائل بني إسرائيل، فصيرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم.

وقال بعضهم: إنما قيل ذلك كذلك؛ لأن سامعيه كانوا عالمين - وإن كان الخطاب خرج خطاباً للأحياء من بني إسرائيل وأهل الكتاب - أن^(٢) المعنى في ذلك إنما هو خبر عما^(٣) قد مضى^(٣) من أنباء أسلافهم، فاشتغنى بعلم السامعين بذلك عن ذكر أسلافهم [٢٢/٣] بأعيانهم. ومثل ذلك بقول الشاعر^(٤):

إذا ما انتسبنا لم تِلْدُنِي لَيْمَةً
ولم تجدي من أن تُقَرِّي به بُدًّا
فقال: إذا انتسبنا. و«إذا» تَقْتَضِي مِنَ الْفِعْلِ مُسْتَقْبَلًا، ثم قال: لم تِلْدُنِي لَيْمَةً. فأخبر عن ماضٍ مِنَ الْفِعْلِ، وذلك أن الولادة قد مَضَتْ وتقدّمت، وإنما فعل ذلك - عند المحتج به - لأن السامع قد فهم معناه.

فجعل ما ذكرنا من خطاب الله أهل الكتاب الذين كانوا بين ظهرانئنا مهاجر رسول الله ﷺ أيام رسول الله ﷺ، بإضافة أفعال أسلافهم إليهم - نظير ذلك - والأول الذي قلنا هو المُسْتَفِيضُ فِي^(٥) كلام العرب وخطابها.

(١) ينظر ما تقدم في ١/٦٤٢، ٦٤٣.

(٢) في م: «إذ».

(٣ - ٣) في م: «قص الله».

* من هنا يبدأ خرم في المخطوطة الأصل وينتهي في ص ١٥٩.

(٤) معاني القرآن ١/٦١، وفي حاشية الأمير على معنى اللبيب ١/٢٥: في حاشية السيوطي: قائله زائدة بن

صعصعة الفقعسي. ولم ينسبه السيوطي في شرحه على شواهد المغني ١/٨٩.

(٥) في م: «من».

وكان أبو العالية يقول في قوله: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ - فيما
ذُكِرَ لنا - نحو القول الذي قلناه .

حدَّثني المثنى بن إبراهيم، قال: حَدَّثَنَا آدَمُ، قال: ثنا أبو جعفر^(١)، عن الربيع،
عن أبي العالية: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ . قال: فضل الله الإسلام،
ورحمته القرآن^(٢) .

وحدَّثت عن عمار، قال: حَدَّثَنَا ابنُ أبي جعفر،^(٣) عن أبيه^(٤)، عن الربيع
بمثله^(٥) .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٤) .

قال أبو جعفر: فلولا فضل الله عليكم ورحمته إياكم، بإنقاذه إياكم بالتوبة
عليكم من خطيئتيكم وجزئكم، لكنتم الباخسين أنفسكم حُظوظها دائماً،
الهالكين بما اجترأتم من نقض ميثاقكم، وخلافكم أمره وطاعته .

وقد تقدّم بياننا قبل بالشواهد عن^(٥) معنى الخسار، بما أعتى عن إعادته في هذا
الموضع^(٦) .

/القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا
لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (٦٥) .

٣٢٩/١

(١) في النسخ: «النضر». وهو من الأسانيد الدائرة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١/١ عقب الأثر (٦٦٢) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) سقط من النسخ، وهو من الأسانيد الدائرة .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣١/١ عقب الأثر (٦٦٢، ٦٦٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) في ت ٢: «على» .

(٦) ينظر ما تقدم في ٤٤٢/١ .

يعنى بقوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ : ولقد عرفتم ، كقولك : قد علمت أخاك ، ولم أكن أعلمه . يعنى : عرفته ولم أكن أعرفه . كما قال جل ثناؤه : ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠] . يعنى : لا تعرفونهم ، الله يعرفهم . وقوله : ﴿الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ . أى : الذين تجاوزوا حدى ، وركبوا ما نهيتهم عنه فى يوم السبت ، وعصوا أمرى .

وقد دللت فيما مضى على أن الاعتداء أصله تجاوز الحد فى كل شىء ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(١) .

قال : وهذه الآية وآيات بعدها تتلوها ، مما عدّد جل ثناؤه فيها على بنى إسرائيل - الذين كانوا بين حلال دور الأنصار زمان النبى ﷺ ، الذين ابتدأ بذكرهم فى أول هذه السورة من نكت أسلافهم عهد الله وميثاقه - ما كانوا يُتْرَمون من العقود ، وخذّر المخاطبين بها أن يحلّ بهم - بإصرارهم على كفرهم ومقامهم على جُحود نبوة محمد ﷺ ، وتركهم اتباعه والتصديق بما جاءهم به من عند ربّه - مثل الذى حلّ بأوائلهم من المشخ والرّجف والصّعق ، وما لا قبل لهم به من غضب الله وسخطه .

كالذى حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عُمارة ، عن أبى رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ يقول : ولقد عرفتم . وهذا تحذير لهم من المعصية ، يقول : اخذروا أن يصيبكم ما أصاب أصحاب السبت إذ عصوني ، ﴿أَعْتَدُوا﴾ ، يقول : اجترعوا ، ﴿فِي السَّبْتِ﴾ . قال : لم ينعث الله نبياً إلا أمره بالجمعة ، وأخبره بفضلها وعظمتها فى السماوات وعند الملائكة ، وأن الساعة تقوم فيها ، فمن اتبع الأنبياء فيما

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٢ .

مضى ، كما اتبعت أمة محمد ﷺ محمداً ، قبل الجمعة ، وسمع وأطاع وعرف فضلها ، وثبت عليها بما أمره الله تعالى به ونبيه ﷺ ، ومن لم يفعل ذلك كان بمنزلة الذين ذكر الله في كتابه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وذلك أن اليهود قالت لموسى حين أمرهم بالجمعة ، وأخبرهم بفضلها : يا موسى ، كيف تأمُرنا بالجمعة وتفضلها على الأيام كلها ، والسبت أفضل الأيام كلها ؛ لأن الله خلق السماوات والأرض والأقوات في ستة أيام ، وسبت^(١) له كل شيء مَطِيعًا يوم السبت ، وكان آخر الستة ؟

قال : وكذلك قالت النصارى لعيسى ابن مريم حين أمرهم بالجمعة ، قالوا له : كيف تأمُرنا بالجمعة ، وأول الأيام أفضلها وسيئها ، والأول أفضل ، والله واحد ، والواحد الأول أفضل ؟ فأوحى الله إلى عيسى أن دَعهم والأحد ، ولكن ليفعلوا فيه كذا وكذا مما أمرهم به ، فلم يفعلوا ، فقصَّ الله تعالى قصصهم في الكتاب بمعصيتهم .

قال : وكذلك قال الله لموسى حين قالت له اليهود ما قالوا في أمر السبت أن دَعهم والسبت فلا يصيدوا/فيه سمكًا ولا غيره ، ولا يعمَلوا شيئًا ، كما قالوا . قال : فكان إذا كان السبتُ ظَهَرَت الحيتانُ على الماء ، فهو قوله : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا ﴾ [الأعراف : ١٦٣] . يقول : ظاهرة على الماء - ذلك لمعصيتهم موسى - وإذا كان غير يوم السبت صارت صيدًا كسائر الأيام ، فهو قوله : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ . ففعلت الحيتان ذلك ما شاء الله ، فلما رأوها كذلك طمِعوا في أخذها ، وخافوا العقوبة ، فتناول بعضهم منها ، فلم تمتنع

٣٣٠/١

(١) سبت له : سكن وخشع وانقطع إلا عن العبادة . ينظر التاج (س ب ت) .

عليه ، وحذير العقوبة التي حذّره موسى من الله تعالى ، فلما رأوا أن العقوبة لا تحيلُ بهم عادوا وأخبر بعضهم بعضًا بأنهم قد أخذوا السمك ولم يُصيبتهم شيء ، فكثروا في ذلك ، وظنّوا أن ما قال لهم موسى كان باطلاً ، وهو قولُ الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ يقول لهؤلاء الذين صادوا السمك : فمسخهم الله قردةً بمعصيتهم . يقول : إذن لم يحيوا في الأرض إلا ثلاثة أيام ، ولم تأكل ، ولم تشرب ، ولم تنسل ، وقد خلق الله القردة والخنازير ، وسائر الخلق في الستة الأيام التي ذكر الله في كتابه ، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة ، وكذلك يفعل بمن شاء كما يشاء ، ويحوّله كما يشاء^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضل ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال ابنُ عباس : إن الله إنما افترض على بنى إسرائيل اليوم الذي افترض عليكم في عيدكم ، يوم الجمعة ، فخالفوا إلى السبت فعظموه ، وتركوا ما أمروا به ، فلما أبوا إلا لزوم السبت ابتلاهم الله فيه ، فحرّم عليهم ما أحلّ لهم في غيره ، وكانوا في قرية بين أيلة والطور يقال لها : مدين . فحرّم الله عليهم في السبت الحيتان ؛ صيدها وأكلها ، وكانوا إذا كان يوم السبت أقبلت إليهم شرعاً إلى ساحل بحرهم ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن ، فلم يروا حوتاً صغيراً ولا كبيراً ، حتى إذا كان يوم السبت أتيتهم شرعاً ، حتى إذا ذهب السبت ذهبن ، فكانوا كذلك ، حتى إذا طال عليهم الأمد ، وقروا^(٢) إلى الحيتان عمداً رجل منهم ، فأخذ حوتاً سرّاً يوم السبت ، فحزّمه^(٣) بخيط ، ثم أرسله في

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٥ ، ٣/١٣٧ إلى المصنف مختصراً ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٥١ عن الضحاك به ، نحوه .

(٢) القَرْمُ ، بالتحريك : شدة الشهوة إلى اللحم . اللسان (ق ر م) .

(٣) حزم الشيء يخزمه خزماً : شكه . اللسان (خ ز م) .

الماء، وأؤتد له وتدا في الساحل، فأؤتقه ثم تركه، حتى إذا كان الغد جاء فأخذه -
 أى: إنى لم أخذه في يوم السبت - ثم انطلق به فأكله، حتى إذا كان يوم السبت الآخر
 عاد لمثل ذلك، ووجد الناس ريح الحيتان، فقال أهل القرية: واللّه لقد وجدنا ريح
 الحيتان. ثم عثروا على ما صنع ذلك الرجل، قال: ففعلوا كما فعل، وأكلوا سراً ماناً
 طويلاً، لم يعجل الله عليهم بعقوبة حتى صادوها علانيةً وباعوها بالأسواق، وقالت
 طائفة منهم من أهل البقيّة^(١): ويحكم! اتقوا الله. ونهؤهم عما كانوا يصنعون.
 وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان، ولم تنه القوم عما صنعوا: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ
 مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَيْنَا رَبِّكُمْ﴾ لسخطنا أعمالهم^(٢)،
 ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْفُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقيّة في أنديةهم
 ومساجدهم، وفقدوا الناس فلا يزورهم، فقال بعضهم لبعض: إن للناس لساناً،
 فأنظروا ما هو. فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها / مغلقة عليهم، قد دخلوا
 ليلاً، فغلّقوها على أنفسهم، كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحو فيها قردة؛
 إنهم ليغرفون الرجل بعينه، وإنه لقرود، والمرأة بعينها وإنها لقرودة، والصبي بعينه وإنه
 لقرود.

قال: يقول ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين نهوا عن الشؤ لقلنا:
 أهلكت الجميع منهم. قالوا: وهى القرية التى قال الله لمحمد ﷺ: ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ
 الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ الآية^(٣).

(١) فى م: «التقية». وأهل البقية: هم أهل الفهم والطاعة. قال القتيبي: أولو بقية من دين قوم لهم بقية: إذا
 كانت بهم مسكة وفيهم خير. ينظر اللسان (ب ق ي).

(٢) فى ت ٣: «عليهم».

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩٧/٥ - ١٦٠٢ مفرقاً من طريق ابن إسحاق به. وعزاه السيوطى =

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: أَحَلَّتْ لَهُمُ الْحَيْتَانُ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ بِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَأَمَّا صِنْفٌ فَصَارَ الْقَوْمُ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ؛ فَأَمَّا صِنْفٌ فَأَمْسَكَ وَنَهَى عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَأَمَّا صِنْفٌ فَأَمْسَكَ عَنِ حُرْمَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا صِنْفٌ فَانْتَهَكَ حُرْمَةَ اللَّهِ وَمَرَدَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا الْإِعْتِدَاءَ إِلَى مَا نُهِوا عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. فَصَارُوا قِرَدَةً لَهَا أذُنَاتٌ تَعَاوَى، بَعْدَ مَا كَانُوا رِجَالًا وَنِسَاءً^(١).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾. قَالَ: نُهِوا عَنْ صَيْدِ الْحَيْتَانِ يَوْمَ السَّبْتِ، فَكَانَتْ تَشْرَعُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ السَّبْتِ، وَبُلُّوا بِذَلِكَ فَاعْتَدَوْا فَاصْطَادُواهَا، فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ قِرَدَةً خَاسِئِينَ^(٢).

حَدَّثَنِي مُوسَى قَالَ: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن الشدئي: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. قال: فهم أهلُ أَيْلَةٍ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ، فَكَانَتِ الْحَيْتَانُ إِذَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ - وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ أَنْ يَعْمَلُوا فِي السَّبْتِ شَيْئًا - لَمْ يَبْقَ فِي الْبَحْرِ حُوتٌ إِلَّا خَرَجَ حَتَّى يُخْرِجَنَّ خَرَاطِيمَهُنَّ مِنَ الْمَاءِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ لَزِمَنَّ سُفْلَ الْبَحْرِ، فَلَمْ يُرْ مِنْهُنَّ شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ يَوْمَ السَّبْتِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي

= في الدر المنثور ١٣٧/٣ إلى أبي الشيخ.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٥/١ إلى المصنف وعبد بن حميد. وأخرج آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣/١ (٦٧١) من طريق شيبان، عن قتادة.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢/١ (٦٦٧) عن الحسن بن يحيى به. وهو في تفسير عبد الرزاق ٤٧/١، ٤٨ عن قتادة والكلبي.

كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَكَتِهِمْ شِرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴿٦٥﴾ . فَاشْتَهَى بَعْضُهُم السَّمَكَ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَخْفِرُ الْخَفِيرَةَ ، وَيَجْعَلُ لَهَا نَهْرًا إِلَى الْبَحْرِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ فَتَحَ النَّهْرَ ، فَأَقْبَلَ الْمَوْجَ بِالْحَيْتَانِ يَضْرِبُهَا حَتَّى يُلْقِيَهَا فِي الْخَفِيرَةِ ، وَيُرِيدُ الْحَوْثَ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يُطِيقُ مِنْ أَجْلِ قَلَةِ مَاءِ النَّهْرِ ، فَيَمْكُثُ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْأَحَدِ جَاءَ فَأَخَذَهُ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَشْوِي السَّمَكَ ، فَيَجِدُ جَارَهُ رِيحَهُ ، فَيَسْأَلُهُ فَيُخْبِرُهُ ، فَيَصْنَعُ مِثْلَ مَا صَنَعَ جَارَهُ ، حَتَّى إِذَا فَشَا فِيهِمْ أَكَلَ السَّمَكِ قَالَ لَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ : وَيَحْكُمُ إِنَّمَا تَصْطَادُونَ السَّمَكَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَهُوَ لَا يَجِلُّ لَكُمْ . فَقَالُوا : إِنَّمَا صِيدْنَاهُ يَوْمَ الْأَحَدِ حِينَ أَخَذْنَاهُ . فَقَالَ الْفُقَهَاءُ : لَا ، وَلَكِنَّمَا صِيدْتُمُوهُ يَوْمَ فَتَحْتُمْ لَهُ الْمَاءَ ، فَدَخَلَ . فَقَالُوا : لَا . وَعَتَوْا أَنْ يَنْتَهُوا ، فَقَالَ بَعْضُ الَّذِينَ نَهَوْهُمْ لِبَعْضٍ : ﴿ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ . يَقُولُ : لِمَ تَعْطُونَهُمْ وَقَدْ وَعَظْتُمُوهُمْ فَلَمْ يُطِيعُواكُمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ﴿ مَعذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَعَلَاهُمْ يَنْقُونَ ﴾ . فَلَمَّا أَبَوْا قَالَ الْمُسْلِمُونَ : وَاللَّهِ لَا نُسَاكِنُكُمْ فِي قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ . فَقَسَمُوا الْقَرْيَةَ بِجُدَارٍ ، فَفَتَحَ الْمُسْلِمُونَ بَابًا وَالْمُعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ /بَابًا ، وَلَعَنَهُمْ دَاوُدُ ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَخْرُجُونَ مِنْ بَابِهِمْ ، وَالْكَفَّارُ مِنْ بَابِهِمْ ، فَخَرَجَ الْمُسْلِمُونَ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَلَمْ يَفْتَحِ الْكَفَّارُ بَابَهُمْ ، فَلَمَّا أَبْطَلُوا عَلَيْهِمْ تَسَوَّرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطَ ، فَإِذَا هُمْ قِرْدَةٌ تَيْبٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَفَتَحُوا عَنْهُمْ ، فَذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٦] . فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٨] . فَهِيَ الْقِرْدَةُ ^(١) .

٣٣٢/١

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٢/١ (٦٦٩) من طريق عمرو بن حماد به ، إلى قوله : حتى يكون =

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً ﴾ . قال : لم يُمسخوا ، إنما هو مثلٌ ضرب به الله لهم ، مثل ما ضرب مثل الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِيَةً ﴾ . قال : مُسِخَتْ قلوبهم ، ولم يُمسخوا قِرَدَةً ، وإنما هو مثلٌ ضرب به الله لهم ، كمثل الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا^(٢) .

وهذا القول الذي قاله مجاهدٌ قولٌ لظاهر ما دل عليه كتابُ الله مُخَالِفٌ ، وذلك أن الله أَخْبَرَ في كتابه أنه جعل منهم القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ، كما أَخْبَرَ عنهم أنهم قالوا لنبِيِّهم : ﴿ أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء : ١٥٣] . وأن الله تعالى ذكره أَضْعَقَهُمْ عِنْدَ مَسْأَلَتِهِمْ ذَلِكَ رَبِّهِمْ ، وَأَنَّهُمْ عَبَدُوا الْعِجْلَ ، فَجَعَلَ تَوْبَتَهُمْ قَتْلَ أَنفُسِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ أُبْرُوا بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، فَقَالُوا لنبِيِّهم : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَلْعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . فابتلاهم بالثَّيْبِ ، فسواء^(٣) قال قائلٌ^(٣) : هم لم يُمسخهم قِرَدَةً . وقد أَخْبَرَ جَلَّ ذكره أنه جعل منهم قِرَدَةً وخَنَازِيرَ - وَأَخْرَجُ قال : لم يَكُنْ شَيْءٌ مَّا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ ؛ مِنَ الْخِلَافِ

= يوم السبت . وذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٥٢ ، ١٥٣ عن السدي بتمامه .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٥ بنحوه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٣ (٦٧٢) عن أبيه ، عن أبي حذيفة به . وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ١/٧٥ إلى ابن المنذر ، وانظر التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (١٨٤) .

(٣ - ٣) في ١ ، ٢ ، ٣ : « قال قائلهم » .

على أنبيائهم ، والعقوباتِ والأنكالي التي أحلها الله بهم . ومن أنكّر شيئاً من ذلك وأقرّ بآخَر منه ، سُئل البرهان على قوله ، وغورِض - فيما أنكّر من ذلك - بما أقرّ به ، ثم يُسأل الفرقُ من خبرٍ مُستفِيضٍ أو أثرٍ صحيح ، هذا مع خلافِ قولِ مجاهدٍ قولَ جميعِ الحُجّةِ التي لا يجوزُ عليها الخطأُ والكذبُ فيما نقلته مُجمِعةٌ عليه ، وكفى دليلاً على فسادِ قولِ إجماعها على تخطئته .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ فقلنا لهم ﴾ . أى : فقلنا للذين اعتدوا فى السبت - يعنى فى يومِ السبت - وأصلُ السَّبْتِ الهدؤُ والسكونُ فى راحةٍ ودَعْيَةٍ ، ولذلك قيل للنائم : مسنُوتٌ . لهدؤه وسكونِ جسده واستراحته ، كما قال جلُّ ثناؤه : ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾ [البأ : ٩] . أى : راحةً لأجسادكم ، وهو مصدرٌ من قولِ القائلِ : سبت فلانٌ يَسبُتُ سبتاً .

وقد قيل : إنه سُمى سبتاً ؛ لأن الله جلُّ ثناؤه فرغ يوم الجمعة - وهو اليوم الذى قبله - من خلقِ جميعِ خلقه .

وقوله : ﴿ كونوا قردةً خاسئين ﴾ . أى : صيروا كذلك .

والخاسيُّ المَبْعَدُ المَطْرُودُ ، كما يَخْسَأُ الكلبُ ، يُقالُ منه : خَسَأَتْهُ أَحْسَاؤُهُ خَسِئًا وخُسُوءًا ، وهو يَخْسَأُ خُسُوءًا . قال : ويقالُ : خَسَأَتْهُ فَخَسَأَ وانخَسَأَ . ومنه قولُ الراجزِ^(١) :

/ كالكلبِ إن قلتَ له اخسأ انخسأ

(١) اللسان (خ س أ) ، وفيه : إن قيل له . بدل : إن قلت له .

يعنى : إن طرذته انطرذ ذليلاً صاغراً . فكذلك معنى قوله : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . أى : مُبْعَدِينَ مِنَ الْخَيْرِ إِذْلَاءً صُغَرَاءً .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ^(١) بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . قَالَ : صَاغِرِينَ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَفْيَانُ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ خَاسِئِينَ ﴾ . قَالَ : صَاغِرِينَ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . أَيْ : إِذْلَةً صَاغِرِينَ^(٤) .

وَحَدَّثْتُ عَنِ الْمُتَّجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : خَاسِئًا : يَعْنِي ذَلِيلًا^(٥) .

(١) سقط من النسخ : وهو محمد بن بشار ، وقد سبق مرارًا .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣/١ عقب الأثر (٦٧٤) ، معلقًا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٦ إلى المصنف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٤٨/١ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣/١ عقب الأثر (٦٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ ، ٢٤٨/٦ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم . وعزاه أيضًا في ٧٦/١ إلى ابن المنذر بلفظ : صاغرين .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل الهاء والألف في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ . وعلام هي عائدة؟ فرؤي عن ابن عباس فيها قولان:

أحدهما، ما حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، قال: حدثنا أبو رزق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: فجعلنا تلك العقوبة، وهي المسخة، نكالا^(١).

فالهاء والألف من قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ . على قول ابن عباس هذا، كناية عن المسخية، وهي «فغلة» من: مسخهم الله مسخة.

فمعنى الكلام على هذا التأويل: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: فصاروا قردة ثمسوخين. ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾^(٢): فجعلنا عقوبتنا ومسخنا إياهم ﴿نَكَلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ .

والقول الآخر من قول ابن عباس ما حدثني به محمد بن سعيد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: يعني الحيتان.

والهاء والألف على هذا القول من ذكر الحيتان، ولم يجر لها ذكر، ولكن لما كان في الخبر دلالة كنى عن ذكرها، والدلالة على ذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

(٢) سقط من: ت ٢ .

وقال آخرون: فجعلنا القرية التي اغتدى أهلها في السبت. فالهاء والألف في قول هؤلاء كناية عن قرية القوم الذين مسخوا.

/ وقال آخرون: معنى ذلك: فجعلنا القردة الذين مسخوا نكالا لما بين يديها ٣٣٤/١ وما خلفها. فجعلوا الهاء والألف كناية عن القردة.

وقال آخرون: ﴿جَعَلْنَاهَا﴾ يعني به: فجعلنا الأمة التي اغتدت في السبت نكالا.

القول في تأويل قوله: ﴿نَكَالًا﴾.

والنكال مصدر من قول القائل: نكل فلان بفلان تنكيلا ونكالا. وأصل النكال العقوبة، كما قال عدى بن زيد العبادي^(١):

لا يُسَخِّطُ المَلِيكَ^(٢) ما يسع^(٣) الـ عبد ولا في نكاله تنكيرو
وبمثل الذي قلنا في ذلك روى الخبر عن ابن عباس.

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، قال: حدَّثنا بشرُ بنُ عُمارةَ، قال: حدَّثنا أبو رُوَيْحٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿نَكَالًا﴾. يقول: عقوبة^(٤).

حدَّثني المثنى، قال: حدَّثني إسحاقُ، قال: حدَّثني ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه،

(١) التبيان ٢٩٢/١.

(٢ - ٢) في م: «يحط الضليل»، وفي ت ١، ت ٢: «تسحه العبيك»، وفي ت ٣: «تسخط العبيك». والمثبت من التبيان. وينظر تعليق الشيخ شاکر.

(٣) في م: «يصنع».

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف.

عن الربيع في قوله : ﴿ فَجَعَلْنَهَا نَكَالًا ﴾ . أى : عقوبة^(١) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباس : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ . يقول : ليحذر من بعدهم عُقوبتي ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . يقول : الذين كانوا بقوا معهم^(٢) .

حدثني المشي ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ : لما خلا لهم من الذنوب ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . أى : عيرة لمن بقى من الناس^(٣) .

وقال آخرون بما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال ابن عباس : ﴿ فَجَعَلْنَهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . أى من القرى^(٤) .

وقال آخرون بما حدثنا به بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : قال الله : ﴿ فَجَعَلْنَهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ : من ذنوب القوم ، ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ أى : للحيثان التي أصابوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧ ، ٦٨١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٣/١ ، ١٣٤ ، (٦٧٦ ، ٦٨٠) من طريق ابن إسحاق به .

عن قتادة في قوله: ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: من ذنوبها، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾: من الحيتان^(١).

حدّثني محمد بن عمرو، قال: حدّثنا أبو عاصم، قال: حدّثني عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: ما مضى من خطاياهم إلى أن هلكوا به.

/ حدّثني المثنى، قال: حدّثنا أبو حذيفة، قال: حدّثنا شبّل، عن ابن أبي نجيح، ٣٣٥/١، عن مجاهد: ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَفَهَا﴾. يقول: ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: ما مضى من خطاياهم، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾: خطاياهم التي هلكوا بها^(٢).

حدّثنا القاسم، قال: حدّثنا الحسين، قال: حدّثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾: خطيئتهم التي هلكوا بها.

وقال آخرون بما حدّثني به موسى بن هارون، قال: حدّثنا عمرو، قال: حدّثنا أسباط، عن الشّدّي: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَفَهَا﴾. قال: أما ما ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: فما سلف من عملهم، ﴿وَمَا خَلَفَهَا﴾: فمن كان بعدهم من الأمم أن يعصوا، فيصنع الله بهم مثل ذلك^(٣).

وقال آخرون بما حدّثني به ابن سعيد، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عمي، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَفَهَا﴾: يعنى الحيتان جعلها نكالاً لما بين يديها وما خلفها من الذنوب التي

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٨/١. وينظر تفسير ابن أبي حاتم ١٣٤/١ (٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨٢).

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤/١ (٦٨٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٤/١ عقب الأثر (٦٧٧) من طريق عمرو به نحوه.

عَمِلُوا قَبْلَ الْحَيَاتَانِ ، وَمَا عَمِلُوا بَعْدَ الْحَيَاتَانِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ ^(١) .

وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ما رواه الضحاك عن ابن عباس ، وذلك لما وصفنا من أن الهاء والألف في قوله : ﴿ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا ﴾ . بأن تكون من ذكر العقوبة والمسخة التي مسخها القوم أولى منها بأن تكون من ذكر غيرها ؛ من أجل أن الله جل ثناؤه إنما يُحذِرُ خلقه بأسه وسطوته ، وبذلك يُخَوِّفُهُمْ ، وفي إبانته عز ذكره بقوله : ﴿ نَكَالًا ﴾ . أنه عني به العقوبة التي أحلها بالقوم - ما يُعلم أنه عني بقوله : ﴿ جَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . فجعلنا عقوبتنا التي أحلناها بهم عُقُوبَةً لما بين يديها وما خلفها ، دون غيره من المعاني . وإذا كانت الهاء والألف بأن تكون من ذكر المسخة والعقوبة أولى منها بأن تكون من ذكر غيرها ، فكذلك العائد في قوله : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ . من الهاء والألف ، أن يكون من ذكر الهاء والألف اللتين في قوله : ﴿ جَعَلْنَاهَا ﴾ . أولى من أن يكون من غيره .

فتأويل الكلام - إذا كان الأمر على ما وصفنا - : فقلنا لهم : كونوا قردة حاسيين . فجعلنا عُقُوبَتَنَا لهم عقوبة لما بين يديها من ذنوبهم السالفة منهم ، مسخنا إياهم ، وعقوبتنا لهم ، ولما خلف عقوبتنا لهم من أمثال ذنوبهم ، أن يعمل بها عامل ، فيمسخوا مثل ما مسخوا ، وأن يحل بهم مثل الذي حل بهم . تحذيراً من الله تعالى ذكره عباده أن يأتوا من معاصيه ، مثل الذي أتى الممسوخون فيعاقبوا عقوبتهم .

وأما الذي قال في تأويل ذلك ﴿ جَعَلْنَاهَا ﴾ : يعني الحيتان ؛ عُقُوبَةً لما بين

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف بنحوه .

يدى الحيتانِ من ذنوبِ القومِ وما بعدها من ذنوبهم . فإنه أبعَدَ في الإنزاعِ ؛ وذلك أن الحيتانَ لم يَجْر لها ذكْرٌ فيقالُ : ﴿ جَعَلْنَاهَا ﴾ .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن ذلك جائزٌ وإن لم يكنْ جرى للحيتانِ ذكْرٌ ؛ لأن العربَ قد تُكْنى عن الاسمِ ولم يَجْر له ذكْرٌ ، فإن ذلك وإن كان كذلك ، فغيرُ جائزٍ أن يُتْرَكَ المفهومُ من ظاهرِ الكتابِ - والمعقولُ به ظاهرٌ في الخطابِ والتنزيلِ - إلى باطنٍ لا دلالةٌ عليه من ظاهرِ التنزيلِ ، ولا خبرٍ عن الرسولِ ﷺ منقولٍ ، ولا فيه من الحجّةِ إجماعٌ مُستَفِيضٌ .

وأما تأويلُ مَنْ تأوّل ذلك : لما بينَ يديها من القُرَى ، وما خلفها . فيُنظَرُ إلى ٣٣٦/١
تأويلِ مَنْ تأوّل ذلك : بما بينَ يدي الحيتانِ وما خلفها .

القولُ في تأويلِ قوله تعالى : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ .

والموعظةُ مصدرٌ من قولِ القائلِ : وَعَظْتُ الرجلَ أَعْظُهُ وَعَظًّا وَمَوْعِظَةً . إذا ذكَّرْتَهُ .
فتأويلُ الآيةِ : فجعلناها نكالا لما بينَ يديها وما خلفها وتذكُّرًا للمتقين ،
ليَتَّبِعُوا بها وَيَعْتَبِرُوا وَيَتَذَكَّرُوا بها .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ،
عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ . يقولُ : وتذكُّرًا
وعبرةً للمتقين ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وأما المُتَّقُونَ فهم الذين اتَّقَوْا بأداءِ فرائضِهِ واجْتِنابِ مَعْاصِيهِ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ إلى المصنف .

كما حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، قال : ثنا أبو رُوَيْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . يقولُ : للمؤمنين الذين يَتَّقُونَ الشُّرْكَ ، وَيَعْمَلُونَ بِطَاعَتِي ^(١) .

فجعل تعالى ذكره ما أحلَّ بالذين اعتدوا في السبتِ من عقوبته مَوْعِظَةً للمتقين خاصَّةً ، وعِبْرَةً للمؤمنين دون الكافرين به إلى يومِ القيامةِ .

كالذي حَدَّثَنَا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حَدَّثَنِي ابنُ إسحاقَ ، عن داودَ بنِ الحصينِ ، عن عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ في قوله : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : إلى يومِ القيامةِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : بعدهم ^(٣) .

حَدَّثَنَا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ مثله ^(٤) .

حَدَّثَنَا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدِيِّ : أما ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ : فهم أمةُ محمدٍ ﷺ ^(٥) .

حَدَّثَنِي المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . قال : فكانت موعظةً للمتقين خاصَّةً ^(٦) .

(١) تقدم في ٢٣٨/١ ، ٢٣٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ١٣٥/١ (٦٨٤) من طريق ابن إسحاق به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥/١ عقب الأثر (٦٨٦) معلقا .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٤٨/١ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥/١ (٦٨٨) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٥/١ (٦٨٥) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسنُ ، قال : حَدَّثَنِي حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ في قوله : ﴿ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . أى : لمن بعدهم .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَننَّخِذْنَا هَرُورًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٦٧) قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تُمَرُونَ ﴾ (٦٨) .

/وهذه الآيةُ مما وَبَّخَ اللهُ بها المخاطِبِينَ [١/٩٨٨ظ] من بنى إسرائيلَ في نَقْضِ ٣٣٧/١ أوَائِلِهِم الميثاقَ الذى أَخَذَهُ اللهُ عليهم بالطاعةِ لِأَنْبِيَاءِهِ ، فقال لهم : واذْكُرُوا أَيضًا مِنْ نَكْحِتِكُمْ ميثاقى ، ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾ - وقومُه بنو إسرائيلَ ، إِذْ أَدَارَعُوا فى القَتيلِ الذى قُتِلَ فيهم إليه - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَننَّخِذْنَا هَرُورًا ﴾ . والهُزُورُ : اللَّعِبُ والسُّخْرِيَّةُ ، كما قال الراجزُ ^(١) :

قد هزرتُ منى أُمَّ طَيْسَلَةَ

قالتَ أَرَأهَ مُعْدِمًا لا شىءَ لَهْ

يعنى بقوله : قد هزرتُ : قد سخرتَ ولعبتَ .

ولا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ - فيما أُخْبِرَتْ عن اللَّهِ مِنْ أَمْرٍ أو نَهْيٍ - هُرُورًا أو لَعِبًا ، فَظَنُّوا بِمُوسَى أَنَّهُ فى أَمْرِهِ إِيَاهُمْ - عن أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِذَبْحِ البَقَرَةِ عِنْدَ تَدَارُثِهِمْ فى القَتيلِ إِلَيْهِ ^(٢) - هازئٌ لَاعِبٌ ، ولم يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَظُنُّوا ذَلِكَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ، وهو يُخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ هو الذى أَمَرَهم بِذَبْحِ البَقَرَةِ .

(١) هو صخير بن عمير التميمي ، والرجز في الأصمعيات ص ٢٣٤ ، وأمالى القالى ٢ / ٢٨٤ ، وسمط اللالكى ص ٩٣٠ ، واللسان (ط س ل) على اختلاف فى روايته .

(٢) بعده فى م : « أنه » .

وَحَذِفَتِ الْفَاءَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَلَنَخِذْنَا هُزُؤًا﴾ . وهو جواب ، لاسْتِغْنَاءِ مَا قَبْلَهُ مِنْ الْكَلَامِ عَنْهُ ، وَحُسْنِ السَّكُوتِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ . فجاز لذلك إسقاط الفاءِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿أَلَنَخِذْنَا هُزُؤًا﴾ . كما جاز وَحَسْنَ إِسْقَاطِهَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا﴾ [الحجر: ٥٧، ٥٨، والذاريات: ٣١، ٣٢] . ولم يَقُلْ: «فقالوا: إنا أُرْسِلنا» . ولو قيل: «فقالوا» . كان حَسَنًا أَيْضًا جَائِزًا . ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تُسْقَطْ منه الفاءُ ، وذلك أنك إِذَا قُلْتَ: قَمْتُ وَفَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . لم ^(١) تَقُلْ: قَمْتُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا؛ لِأَنَّهَا عَطْفٌ لَا اسْتِفْهَامٌ يُوقَفُ عَلَيْهِ .

فَأَخْبَرَهُمْ مُوسَى - إِذْ قَالُوا لَهُ مَا قَالُوا - أَنَّ الْمُخَيَّرَ عَنِ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ بِالْهُزْءِ وَالسَّخِرِيَّةِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، وَبَرَأَ نَفْسَهُ مِمَّا ظَنُّوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ . يعنى: مِنَ السَّفَهَاءِ الَّذِينَ يَزُوُونَ عَنِ اللَّهِ الْكُذْبَ وَالْبَاطِلَ . وَكَانَ سَبَبَ قِيلِ مُوسَى لَهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ مَا حَدَّثَنَا بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ: ثنا الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَيُّوبَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ عُبَيْدَةَ ، قَالَ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ عَقِيمٌ - أَوْ عَاقِرٌ - قَالَ: فَقَتَلَهُ وَوَلِيَّهُ ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ ، فَأَلْقَاهُ فِي سَبْطٍ غَيْرِ سَبْطِهِ . قَالَ: فَوَقَعَ بَيْنَهُمْ فِيهِ الشُّرُ ، حَتَّى أَخَذُوا السَّلَاحَ ، قَالَ: فَقَالَ أُولُو النَّهْيِ: اتَّقَتِّلُونِ وَفِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: فَأَتَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَقَالَ: اذْبَحُوا بَقْرَةً . فَقَالُوا: ﴿أَلَنَخِذْنَا هُزُؤًا﴾ . قَالَ: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ . قَالُوا: ﴿أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ . قَالَ: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ . قَالَ: فَضْرِبَ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِقَاتِلِهِ . قَالَ: وَلَمْ تُؤَخَذِ الْبَقْرَةُ إِلَّا بِوزْنِهَا ذَهَبًا . قَالَ: وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) فِي النسخ: «ولم» . والصواب ما أثبت .

أَخَذُوا أُذُنَى بَقْرَةٍ لَأَجْزَاتٍ عَنْهُمْ . فلم يُورَثْ قَاتِلٌ بَعْدَ ذَلِكَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُنْثَنِيُّ ، قَالَ : ثنا آدمُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ غَنِيًّا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ، وَكَانَ لَهُ قَرِيبٌ ، وَكَانَ وَاثِرَهُ ، فَقَتَلَهُ لِيَرِثَهُ ، ثُمَّ أَلْقَاهُ عَلَى مَجْمَعِ الطَّرِيقِ ، وَآتَى مُوسَى ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ قَرِيبِي قُتِلَ ، وَآتَى ^(٢) إِلَيَّ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا يُبَيِّنُ لِي مَنْ ^(٣) قَتَلَهُ غَيْرَكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . قَالَ : فَنَادَى / مُوسَى فِي ٣٣٨/١ النَّاسِ : أَنْشُدُوا اللَّهَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَا عِلْمٌ إِلَّا يَتَّبِعْنَا . فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمُهُ ، فَأَقْبَلَ الْقَاتِلُ عَلَى مُوسَى ، فَقَالَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ ، فَاسْأَلْ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يُبَيِّنَ لَنَا . فَسَأَلَ رَبَّهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ . فَعَجِبُوا وَقَالُوا : ﴿ أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا ﴾ . قَالَ : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . قَالُوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ . قَالَ : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ ﴾ - يَعْنِي : لَا هَرِمَةٌ - ﴿ وَلَا يَكْرُ ﴾ - يَعْنِي : وَلَا صَغِيرَةٌ - ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ - أَيْ : نَصَفٌ بَيْنَ الْبَكْرِ وَالْهَرِمَةِ - قَالُوا ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ . قَالَ : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ - أَيْ : صَافٍ لَوْنُهَا - ﴿ تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴾ - أَيْ : تُعْجِبُ النَّظِيرِينَ - قَالُوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ شَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . قَالَ : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ ﴾ - أَيْ : لَمْ يُذَلَّلْهَا الْعَمَلُ - ﴿ تُبَيِّرُ الْأَرْضَ ﴾ - يَعْنِي : لَيْسَتْ بِذَلُولٍ فَتُبَيِّرُ الْأَرْضَ - ﴿ وَلَا تَسْقِي

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٤٨/١ عن معمر، عن أيوب به . وأخرجه آدم بن أبي إياس وعبد بن حميد في تفسيرهما - كما في تفسير ابن كثير ١٥٤/١ - وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٦/١ (٦٩٠)، والبيهقي ٦/٢٢٠ من طريق هشام بن حسان عن ابن سيرين به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٦/١ إلى ابن المنذر .

(٢) في تفسير ابن كثير : « وإني » .

(٣) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

الْحَزْبِ ﴿١﴾ - يقول: ولا تَعْمَلُ فِي الْحَزْبِ - ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ - يعني: مُسَلَّمَةٌ مِنْ الْعِيُوبِ - ﴿لَا شَيْئَةَ فِيهَا﴾ - يقول: لا بِيَاضَ فِيهَا - قالوا: ﴿أَلَنْ جِئْتِ بِالْحَقِّ﴾. ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾. قال: ولو أن القومَ حينَ أمِروا أن يذبحوا بقرةً استعترضوا بقرةً من البقرِ فذبحوها، لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدَّ اللهُ عليهم، ولولا أن القومَ استثنوا فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. لما هُدُوا إليها أبدًا، فبلغنا أنهم لم يجدوا البقرة التي نُعِتَتْ لهم إلا عند عَجُوزٍ عندها يتامى، وهى القِيَمَةُ عليهم، فلما عَلِمَتْ أنهم لا يَزُكُونَ^(١) لهم غيرها أضعفت عليهم الثمنَ، فأتوا موسى فأخبروه أنهم لم يجدوا هذا النعتَ إلا عند فلانة، وأنها سألتهم أضعافَ ثمنها، فقال لهم موسى: إن الله قد كان خففَ عليكم فشددتم على أنفسكم، فأعطوها رضاها وحكمها. ففعلوا واشتروها، فذبحوها، فأمرهم موسى أن يأخذوا عَظْمًا منها فيضربوا به القَتِيلَ، ففعلوا، فرجع إليه رُوحه، فسمي لهم قاتله، ثم عاد ميتًا كما كان، فأخذوا قاتله [١/٩٩٩] - وهو الذى كان أتى موسى فشكا إليه - فقتله اللهُ على أسوأِ عملِهِ^(٢).

حدَّثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾. قال: كان رجلٌ من بنى إسرائيلَ مُكْتَبِرًا مِنَ الْمَالِ، وكانت له ابنةٌ، وكان له ابنٌ أخٍ محتاجٌ، فخطبَ إليه ابنُ أخيه ابنته، فأبى أن يُزَوِّجَها إياها، فغضبَ الفتى، وقال: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّ عَمِّي، وَلَا أَخُذَنَّ

(١) أى لا يصلح.

(٢) أخرجه آدم بن أبى إياس فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ١/١٥٤ - ومن طريقه ابن حاتم فى تفسيره ١/١٤٠ عقب الأثر (٧١٦)، ١/١٤١، ١٤٢ (٧٢٤، ٧٢٩، ٧٣٠) مفرقا. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٧٨، ٧٩ إلى المصنف مختصرا.

ماله ، ولأنكحنت ابنته ، ولأكلن دينته . فأتاه الفتى ، وقد قدم تجاراً في بعض أسباط بني إسرائيل ، فقال : يا عم ، انطلق معي ، فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلي أصيب فيها^(١) ، فإنهم إذا رأوك معي أعطوني . فخرج العم مع الفتى ليلاً ، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتلته الفتى ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه ، كأنه لا يدري أين هو ، فلم يجده ، فانطلق نحوه ، فإذا هو بذلك السبط مجتمعين عليه ، فأخذهم وقال : قتلتم عمي ، فأدوا إلى دينته . وجعل يكي ، ويحشو التراب على رأسه ، وينادي : واعمّاه ! فرفعهم إلى موسى ، ففضى عليهم بالذية ، فقالوا له : يا رسول الله ، اذع لنا حتى يبيّن له من صاحبه ، فيؤخذ صاحب الجريمة^(٢) ، فوالله إن دينته علينا لهيئة ، ولكننا نستحي أن نعير به . فذلك حين يقول الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأَتْكُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ/ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا ٣٣٩/١ بَقْرَةً ﴾ . قالوا : نسألك عن القتل ، وعمّن قتله ، وتقول : اذبحوا بقرة ! أنهزأ بنا ؟ قال موسى : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . قال : قال ابن عباس : فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى ، فشدد الله عليهم ، فقالوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ بَيْتِكَ ذَٰلِكَ ﴾ - والفارض : الهرمة التي لا تلد ، واليكر : التي لم تلد إلا ولداً واحداً ، والعوان : النصف التي بين ذلك ، التي قد ولدت وولدت ولداً ولداً - ﴿ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴾ . قالوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ - قال : تعجب الناظرين - قالوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ . قال : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا

(١) في تفسير ابن كثير : « منها » .

(٢) في ت ١ ، ت ٣ : « الفرجة » ، وفي ت ٢ : « المرحة » .

ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْمَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا ﴿٦٧﴾ - مِنْ بِيَاضٍ ، وَلَا سَوَادٍ ،
وَلَا حُمْرَةٍ - قَالُوا : ﴿ أَلَنْ جِئْتِ بِالْحَقِّ ﴾ . فَطَلَبُوهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا .

وكان رجلٌ من بنى إسرائيلَ من أبرِّ الناسِ بأبيه ، وأن رجلاً مرَّ به معه لؤلؤٌ
يبيعه ، فكان أبوه نائماً تحت رأسه المفتاح ، فقال له الرجلُ : تشتري منى هذا اللؤلؤَ
بسبعين ألفاً ؟ فقال له الفتى : كما أنت حتى يستيقظ أبى ، فأخذَه بثمانين ألفاً . فقال
له الآخرُ : أيقظُ أباك ، وهو لك بستين ألفاً . فجعلَ التاجرُ يحطُّ له حتى بلغ ثلاثين
ألفاً ، وزاد الآخرُ على أن ينتظرَ حتى يستيقظَ أبوه ، حتى بلغ مائة ألفٍ ، فلما أكثرَ
عليه قال : لا والله ، لا أشتريه منك بشيءٍ أبداً . وأبى أن يُوقظَ أباه ، فعوضه الله من
ذلك اللؤلؤِ أن جعلَ له تلك البقرة ، فمرَّت به بنو إسرائيلَ يطلبون البقرة ، فأبصروا
البقرةَ عنده ، فسألوه أن يبيعهم إياها بقرّة بقرّة ، فأبى . فأعطوه ثنتين فأبى ، فزادوه
حتى بلغوا عشراً فأبى ، فقالوا : والله لا نتركك حتى نأخذها منك . فانطلقوا به إلى
موسى ، فقالوا : يا نبيَّ الله ، إنا وجدنا البقرةَ عندَ هذا ، فأبى أن يُعطيناها ، وقد
أعطيناه ثمناً . فقال له موسى : أعطهم بقرتك . فقال : يا رسولَ الله ، أنا أحقُّ بمالى .
فقال : صدقت . وقال للقومِ : ارضوا صاحبكم . فأعطوه وزنها ذهباً فأبى ، فأضعفوا
له مثلَ ما أعطوه وزنها ، حتى أعطوه وزنها عشرَ مراتٍ ، فباعهم إياها ، وأخذ ثمنها ،
فقال : اذبحوها . فذبحوها ، فقال : اضربوه ببعضها ، فضربوه بالبضعة التي بينَ
الكَتِفَيْنِ فعاش ، فسألوه : من قتلك ؟ فقال لهم : ابنُ أختى ، قال : أقتله ، وأخذ
ماله ، وأكحجَ ابنته . فأخذوا الغلامَ ، فقتلوه ^(١) .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة ، وحدثني يونسٌ ، قال :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٦/١ - ١٤٣ (٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٨ ، ٧٠٠ ، ٧١٦ ،

٧٢٨ ، ٧٣٨) مفرداً من طريق عمرو بن حماد به .

أخبرنا ابنُ وهبٍ، عن ابنِ زيدٍ، «وحدَّثني عن مُجاهِدٍ^(١)، وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شيبان، قال: حدثني خالد بنُ يزيد، عن مُجاهِدٍ، وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيلُ بنُ^(٢) عبدِ الكَرِيمِ، قال: حدثني عبدُ الصَّمَدِ بنُ مَعْقِلٍ، أنه سَمِعَ وهبًا يَدُكُرُ، وحدثني القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: حدثني حجاج، عن ابنِ جُرَيْجٍ، عن مُجاهِدٍ، وَحَجَّاجٍ، عن أبي مَعَشَرٍ، عن محمدِ بنِ كعبِ القُرظِيِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ، وحدثني محمدُ بنُ سعيدٍ، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: أخبرني أبي، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ. فذكر جميعهم أن السبب الذي من أجله قال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ نحو السبب الذي ذكره عبيدة وأبو العالية والسدي، غير أن بعضهم ذكر أن الذي قتل القَتيلَ الذي اختُصِمَ في أمره إلى موسى كان أخا المقتول، وذكّر بعضهم أنه كان ابنُ أخيه. وقال بعضهم: بل كانوا جماعةً ورثةً استبطنوا حياته. إلا أنهم جميعًا مُجمِعون على أن موسى إنما أمرهم [١/٩٩ ظ] بذبحِ البقرة من أجلِ القَتيلِ إذ اختكموا إليه - عن أمرِ الله إياهم بذلك - فقالوا له: وما ذُبِحَ البقرة لبيِّن لنا خصوصتنا التي اختصمنا فيها إليك في قتلٍ من قتلٍ، فادّعى على بعضنا أنه القاتلُ، أتَهْرَأُ بنا؟ كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ: قُتِلَ قَتيلٌ من بني إسرائيل، فطُرحَ في سِبطٍ من الأسباطِ، فأتى أهلُ ذلك القَتيلِ إلى ذلك السِبطِ، فقالوا: أنتم واللهِ قتلتم صاحبنا؟ قالوا: لا واللهِ. فأتوا موسى، فقالوا: هذا قَتيلنا بينَ أظهرهم، وهم واللهِ قتلوه. فقالوا: لا واللهِ يا نبيَّ الله، طُرحَ علينا. فقال لهم

(١ - ١) كذا في النسخ، والصواب حذفه. وتفسير ابن زيد مشهور.

(٢) في النسخ: «عن». وهو خطأ وقد تقدم في ١/٧٠١، ٧٠٩، وسيأتي في ص ١١٥ بهذا الإسناد على الصواب.

(تفسير الطبري ٦/٢)

موسى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ . فقالوا : أَتَسْتَهْزِئُ بِنَا ؟ وقرأ قول الله جل ثناؤه : ﴿ أَلَنَخَذُنَا هُزُؤًا ﴾ . قالوا : نَأْتِيكَ فَتَذَكُرُ قَتِيلَنَا وَالَّذِي نَحْنُ فِيهِ ، فَتَسْتَهْزِئُ بِنَا ؟ فقال موسى : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، وحجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس : لما أتى أولياء القتل والذين ادَّعوا عليهم قتل أصحابهم ، موسى ، وقصوا قصتهم عليه ، أوحى الله إليه أن يذبحوا بقرة ، فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ . قالوا : ﴿ أَلَنَخَذُنَا هُزُؤًا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . قالوا : وما البقرة والقَتِيلُ ؟ قال : أقول لكم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ . وتقولون : ﴿ أَلَنَخَذُنَا هُزُؤًا ﴾ ^(١) .

قال أبو جعفر : فقال الذين قيل لهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ - بعد أن علموا واستقرَّ عندهم أن الذي أمرهم به موسى عليه السلام من ذلك عن أمر الله من ذبح بقرة ، جدُّ وحقٌّ - : ﴿ ادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ . فسألوا موسى أن يسألَ ربَّه لهم ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم : اذبحوا بقرة . لأنه جل ثناؤه إنما أمرهم بذبح بقرة من البقر - أي بقرة شاءوا وذبحها ، من غير أن يحضّر لهم ذلك على نوع منها دون نوع ، أو صنفٍ دون صنفٍ - فقالوا بجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم وسوء أفهامهم ، وتكليف ما قد وضع الله عنهم مؤنثه ؛ تعنتنا منهم لرسول الله ﷺ ، كما حدثني محمد بن سعيد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما قال لهم موسى : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾

(١) قال ابن كثير في تفسيره ١/١٥٧ : وهذه السياقات عن عبدة وأبي العالية والسدي وغيرهم فيها اختلاف ما ، والظاهر أنها مأخوذة من كتب بني إسرائيل ، وهي مما يجوز نقلها ، ولكن لا نصدق ولا نكذب ، فلهذا لا نعلم عليها إلا ما وافق الحق عندنا ، والله أعلم .

الجهليين ﴿﴾ . قالوا له يَتَعَنَّوْهُ : ﴿﴾ ادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴿﴾ .

فلَمَّا تَكَلَّفُوا جَهْلًا مِنْهُمْ مَا تَكَلَّفُوا - مِنَ الْبَحْثِ عَمَّا كَانُوا قَدْ كَفُّوهُ مِنْ صِفَةِ
البقرة التي أَمَرُوا بِذَبْحِهَا ؛ تَعَنَّتْنَا مِنْهُمْ بِنَبِيِّهِمْ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، بَعْدَ الَّذِي
كَانُوا أَظْهَرُوا لَهُ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ عَنِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِمْ : ﴿﴾ اَلنَّخْدُنَا
هُزُؤًا ﴿﴾ - عَاقِبَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ حَصَّ بِذَبْحِ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ بِذَبْحِهِ مِنَ الْبَقْرِ ، عَلَى
نَوْعٍ مِنْهَا دُونَ نَوْعٍ ، فَقَالَ لَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ - إِذْ سَأَلُوهُ ، فَقَالُوا : مَا هِيَ ، مَا صَفْتُهَا ،
وَمَا / حَلَيْتُهَا ^(١) ؟ حَلَّهَا لَنَا لِنَعْرِفَهَا . - قَالَ : ﴿﴾ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ ﴿﴾ . ٣٤١/١

يعنى بقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿﴾ لَا فَارِضٌ ﴿﴾ : لَا مُسِنَّةً هَرِمَةً . يُقَالُ مِنْهُ : فَارِضَتِ الْبَقْرَةَ
تَفْرِضُ فُرُوضًا ، ^(٢) وَفَرَضْتُ ^(٣) . يعنى بذلك : أَسَنَّتْ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ ^(٤) :

يَا رَبِّ ذِي ضِغْنٍ عَلَى فَارِضٍ

لَهُ قُرُوءٌ كَثُرُوءِ الْحَائِضِ ^(٥)

يعنى بقوله : « فَارِضٌ » . قَدِيمٌ : يَصِفُ ضِغْنًا قَدِيمًا . وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ ^(٥) :

لَهَا ^(٦) زِجَاجٌ ^(٧) وَلَهَاةٌ فَارِضٌ ^(٨)

(١) الحلية : الصفة . وحلها : صيغتها . انظر اللسان (ح ل ي) .

(٢ - ٣) سقط من : م .

(٣) مجالس ثعلب ص ٣٦٤ ، والمعاني الكبير ٢ / ٨٥٠ ، ٨٥١ ، والحیوان ٦ / ٦٧ ، والأضداد ص ٢٨ وغيرها .

(٤) القروء : جمع قرء ، وهو وقت الحيض . قال الجاحظ : كأنه ذهب إلى أن حقهده يخبو تارة ثم يستعر ، ثم يخبو ثم يستعر .

(٥) البيت الأول في اللسان (ز ج ج) ، والثاني في المخصص ١ / ١٦٢ .

(٦) في م : « له » ، والتصويب من اللسان .

(٧) الزجاج : هى الأنياب ، على الاستعارة ، وأصل الزجاج : الحديدية التى تتركب أسفل الرمح ، يركز به الرمح فى الأرض . انظر التاج (ز ج ج) .

(٨) معناها هنا : العظيمة الضخمة . وانظر اللسان (ف ر ض) .

حَدَلَاءُ كَالْوَطْبِ نَحَاهُ الْمَاخِضُ^(١)

وبمثل الذي قلنا في تأويل ﴿فَارِضٌ﴾ قال المتأولون .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ الْكِنْدِيِّ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ حَرْبٍ ، عَنْ خُصَيْفٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿لَا فَارِضٌ﴾ . قَالَ : لَا كَبِيرَةٌ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ عَطِيَّةَ ، قَالَ : ثنا شَرِيكٌ ، عَنْ خُصَيْفٍ ، عَنْ
سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَوْ عَنْ عِكْرَمَةَ - شَكَّ شَرِيكٌ - : ﴿لَا فَارِضٌ﴾ .
قَالَ : الْكَبِيرَةُ^(٣) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي
أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿لَا فَارِضٌ﴾ . الْفَارِضُ الْهَرْمَةُ .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : ثنا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ : ﴿لَا فَارِضٌ﴾ . يَقُولُ : لَيْسَتْ بِكَبِيرَةٍ هَرْمَةٍ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ
جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿لَا فَارِضٌ﴾ : الْهَرْمَةُ^(٤) .

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «هدلاء كالوطب تجاه الماخض» . والمثبت من المخصص . قال في المخصص :
رجل أحدل وامرأة حدلاء . قال : والأحدل من الرجال الذي في منكبيه ورقبته انكباب إلى صدره .
والوطب : سقاء اللبن من جلد . ونحاه : صرفه وأماله . والماخض من : مخض اللبن ، إذا أخذ زبده .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ ، ١٣٨ (٦٩٥ ، ٧٠١) من طريق عبد السلام بن حرب به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٤) معلقاً عن عكرمة .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ (٦٩٤) من طريق ابن جريج به .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن
مجاهد : الفارض الكبير^(١) .

حدَّثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : ثنا
شريك ، عن خُصيف ، عن مجاهد قوله : ﴿لَا فَارِضٌ﴾ قال : الكبير .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية :
﴿لَا فَارِضٌ﴾ : يعنى : لا هَرَمَةٌ^(٢) .

حدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله^(٣) .

حدَّثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : الفارض الهَرَمَةُ^(٤) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : قال معمر : قال قتادة :
الفارض الهَرَمَةُ . يقول : ليست بالهَرَمَةِ ولا البِكرِ ، عَوَانٌ بينَ ذلك^(٥) .

حدَّثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدي : الفارض الهَرَمَةُ التي لا تَلِدُ^(٦) .

= وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٧، ٧٨ إلى ابن المنذر وعطاء الخراساني لم يسمع من ابن
عباس . وينظر التحفة ٥/٩٠، وتهذيب الكمال ٢٠/١١٥، والفتح ٨/٦٦٧، ٩/٤١٨، وهدي الساري
ص ٣٧٤ .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٤) معلقاً .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/٤٨ .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٣٧ عقب الأثر (٦٩٤) من طريق عمرو به .

وحدَّثني يونس، [١٠٠/١] قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الفارضُ
الكبيرةُ .

/القولُ في تأويلِ قولهِ تعالى : ﴿ وَلَا يَكْرُؤُ ﴾ .

٣٤٢/١

و« الْيَكْرُؤُ » مِنْ إِنَاثِ الْبَهَائِمِ وَبَنَى آدَمَ مَا لَمْ يَفْتَحِ لَهُ الْفَعْلُ ، وَهِيَ مَكْسُورَةُ الْبَاءِ ،
لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ « فَعَلٌ » وَلَا « يَفْعَلُ » . وَأَمَّا « الْيَكْرُؤُ » بِفَتْحِ الْبَاءِ فَهُوَ الْفَتْحِيُّ مِنَ الْإِبِلِ .
وَإِنَّمَا عَنَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا يَكْرُؤُ ﴾ : وَلَا صَغِيرَةٌ لَمْ تَلِدْ .

كما حدَّثني عليُّ بنُ سعيدِ الكِنْدِيُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، عن
خُصَيْفٍ ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿ وَلَا يَكْرُؤُ ﴾ : صَغِيرَةٌ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُدَيْفَةَ ، قال : ثنا سِثْلٌ ، عن ابنِ أبي نُجَيْحٍ ، عن
مُجَاهِدٍ : الْيَكْرُؤُ الصَّغِيرَةُ^(٢) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عَطِيَّةَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن خُصَيْفٍ ،
عن سعيدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أو عكرمةَ - شكَّ^(٣) - : ﴿ وَلَا يَكْرُؤُ ﴾ . قال : الصَّغِيرَةُ^(٤) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ ،
عن عطاءِ الخُراسانيِّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا يَكْرُؤُ ﴾ : الصَّغِيرَةُ^(٥) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني أبو سفيانَ ، عن مَعْمَرٍ ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٥) من طريق عبد السلام بن حرب به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٦ .

(٣) يعني شريكًا ، كما تقدم في ص ٨٤ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٨) معلقًا عن عكرمة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٦) من طريق ابن جريج به .

قَتَادَةَ : ﴿ وَلَا يَكْرُ ﴾ : وَلَا صَغِيرَةٌ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : ثنا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي رُوَيْقٍ ، عَنْ الضُّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَلَا يَكْرُ ﴾ : وَلَا صَغِيرَةٌ ضَعِيفَةٌ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا آدَمُ ، قَالَ : ثنا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ وَلَا يَكْرُ ﴾ : يَعْنِي : وَلَا صَغِيرَةٌ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، مِثْلَهُ .
وَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَشْبَاهُ ، عَنْ السَّدِيِّ فِي « الْبَكْرِ » : لَمْ تَلِدْ إِلَّا وَلَدًا وَاحِدًا^(٤) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَوَانٌ ﴾ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : الْعَوَانُ النَّصْفُ الَّتِي قَدْ وَلَدَتْ بَطْنًا بَعْدَ بَطْنٍ ، وَليست بنعتٍ لِلْبَكْرِ . يُقَالُ مِنْهُ : قَدْ عَوْنَتْ . إِذَا صَارَتْ كَذَلِكَ .

وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ : قَالَ : إِنَّهُ يَقُولُ : إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ^(٥) ، عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ . وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿ عَوَانٌ ﴾ إِلَّا مُبْتَدَأً ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ بَيْتَكَ ذَٰلِكَ ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ الْفَارِضِ وَالْبَكْرِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَّفَقًا عَلَيْهِمَا . وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ^(٦) :

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٨) معلقًا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٧) عن أبي زرعة ، عن منجاب به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ عقب الأثر (٦٩٨) من طريق آدم به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٨) من طريق عمرو به .

(٥) بعده في م : « بل » .

(٦) شرح ديوان الأخطل ص ٨٣ .

وما بمكة^(١) من شُمطٍ مُحفلةٍ وما بيثرب من عُونٍ وأبكارٍ^(٢)
 وجمعها عُونٌ، يُقال: امرأةٌ عَوَانٌ من نِسوةِ عُونٍ، ومنه قولُ تميمِ بنِ مُقبِلٍ^(٣):
 ومأمِّمٌ^(٤) كالدمى حُورٍ مدامعها لم تَبأسِ^(٥) العيشَ أبكارًا ولا عُونا
 و«بقرةٌ عَوَانٌ»، و«بقرةٌ عُونٌ». قال: وربما قالت العربُ: «بقرةٌ عُونٌ»، مثلُ
 «رُسلٍ»؛ يَطْلُبونَ بذلك الفرقَ بينَ جمعِ «عَوَانٍ» مِنَ البقرِ، وجمعِ «عَانَةٍ» مِنَ
 الحُمُرِ، ويقالُ: هذه حربٌ عَوَانٌ. إذا كانت حربًا قد قُوتِلَ فيها مرَّةٌ / بعدَ مرَّةٍ،
 يُمَثَّلُ ذلك بالمرأةِ التي قد ولدتَ بطنًا بعدَ بطنٍ، وكذلك يُقالُ: حاجةٌ^(٦) عَوَانٌ. إذا
 كانت قد قُضِيَتْ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ.

٣٤٣/١

حدَّثني يونسُ، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ أن ابنَ زييدٍ أنشدَه:

قُعودٌ لَدَى الأبوابِ طُلابٌ حاجةٍ عَوَانٍ مِنَ الحاجاتِ أو حاجةٌ بِكْرًا
 قال أبو جعفرٍ: والبيتُ للفرزدقِ^(٧).

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك تأوَّلُه أهلُ التأويلِ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا عليُّ بنُ سعيِّدِ الكِنْدِيُّ، ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ، عن حُصَيْفِ، عن

(١) في المصدر: «بزمزم».

(٢) الشمط، جمع أشمط وشمطاء، والشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده. ومحفلة: من الحفيل والاحتفال وهو الجد والاجتهاد.

(٣) ديوانه ص ٣٢٥.

(٤) المأمم: جماعة النساء أو الرجال في خير أو شر. اللسان (أ ت م).

(٥) في الديوان: «تبأس».

(٦) في م: «حالة».

(٧) ديوان الفرزدق ص ٢٢٧.

مُجَاهِدٍ : ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وَسَطٌ ، قَدْ وَلَدْتُ بَطْنًا أَوْ بَطْنَيْنِ ^(١) .

حدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿عَوَانٌ﴾ قال : العَوَانُ : العائِسُ النَّصْفُ ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مُجَاهِدٍ : العَوَانُ : النَّصْفُ ^(٣) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطيّة ، قال : ثنا شريك ، عن خُصَيْفٍ ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، أو عكرمة - شك شريك - ﴿عَوَانٌ﴾ . قال : بين ذلك ^(٤) .

حدَّثتُ عن المنجاب ، قال : ثنا بشر ، عن أبي رزق ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابن عباس : ﴿عَوَانٌ﴾ . قال : بين الصغيرة والكبيرة ، وهي أقوى ما يكون من البقر والدَّوَابِّ ، وأحسن ما يكون ^(٥) .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسن ، قال : حدَّثني حجاج ، قال : قال ابن جزيج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : ﴿عَوَانٌ﴾ قال : النَّصْفُ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٧٠١) من طريق عبد السلام بن حرب به . وأخرجه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير ٥٠٦/٢ ، تحقيق أبي إسحاق الحويني - من طريق خصيف به .

(٢) أخرجه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣ ، تحقيق أبي إسحاق الحويني - من طريق ابن أبي نجيح به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٠٦ .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ عقب أثر (٦٩٩) معلقاً عن عكرمة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٦٩٩) من طريق منجاب به .

﴿عَوَانٌ﴾ نَصَفٌ ^(١).

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ: الْعَوَانُ نَصَفٌ بَيْنَ ذَلِكَ ^(٢).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: ثنا شَرِيكٌ، عَنْ خُصَيْفٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿عَوَانٌ﴾: الَّتِي ^(٣) تُنْتَجَجُ شَيْئًا بِشَرِطٍ ^(٤) أَنْ تَكُونَ ^(٥) الَّتِي قَدْ تُتَبَّجَتُ بَكْرَةً أَوْ بَكْرَتَيْنِ.

حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: ثنا عَمْرُو، قَالَ: ثنا أَشْبَاهُ، عَنِ الشَّدِيِّ: الْعَوَانُ النَّصَفُ الَّتِي بَيْنَ ذَلِكَ، الَّتِي قَدْ وُلِدَتْ وَوُلِدَ وَلِدُهَا ^(٥).

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْعَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ لَيْسَتْ بِبَكْرٍ وَلَا كَبِيرَةٍ.

[١٠٠/١] الط [الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾].

يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: بَيْنَ الْبَكْرِ وَالْهَرَمَةِ.

كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا آدَمُ، قَالَ: ثنا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: أَيْ: بَيْنَ الْبَكْرِ وَالْهَرَمَةِ ^(٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) من طريق آدم به.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) معلقاً.

(٣) بعده في ت ١، ت ٢، ت ٣: «لم».

(٤ - ٤) سقط من: ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٧٠٠) من طريق عمرو بن حماد به.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ عقب الأثر (٦٩٩) من طريق آدم به.

/فإن قال قائلٌ : قد علمت أن « بين » لا تصلح إلا أن تكون مع شيئين ٣٤٤/١ فصاعدًا ، فكيف قيل : ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ . و ﴿ ذَلِكَ ﴾ واحدٌ في اللفظ ؟

قيل : إنما صلحت مع كونها واحدة ؛ لأن « ذلك » بمعنى اثنين ، والعرب تجمع في « ذلك » و « ذاك » شيئين ومعنيين من الأفعال ، كما يقول القائل : أظن أخاك قائمًا ، و كان عمرؤ أباك . ثم يقول : قد كان ذاك ، وأظن ذلك . فيجمع بـ « ذاك » و « ذلك » الاسم والخبر الذي كان لا بد لـ « أظن » ^(١) و « كان » منهما .

فمعنى الكلام : قال : إنه يقول : إنها بقرة لا ميسنة هريمة ، ولا صغيرة لم تلد ، ولكنها بقرة نصف قد ولدت بطنًا بعد بطن بين الهرم والشباب . فجمع ﴿ ذَلِكَ ﴾ معنى الهرم والشباب ، لما وصفنا ، ولو كان مكان « الفارض والبكر » اسمًا شخصين لم يجمع مع « بين » « ذلك » ، وذلك أن « ذلك » لا يؤدى عن اسم شخصين ، وغير جائز لمن قال : كنت بين زيد وعمرؤ . أن يقول : كنت بين ذلك . وإنما يكون ذلك مع أسماء الأفعال دون أسماء الأشخاص .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴾ (٦٨) .

يقول الله لهم جل ثناؤه : أفعلوا ما أمركم به تذكروا حاجاتكم وطلباتكم عندي ، واذبحوا البقرة التي أمرتكم بذبحها ، تصلوا - بانتهائكم إلى طاعتي بذبحها - إلى العلم بقاتل قتيلكم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ ﴾ .

ومعنى ذلك : قال قوم موسى لموسى : ادع لنا ربك يبين لنا لون البقرة التي

(١) في النسخ : « للظن » . والمثبت هو الصواب .

أمرنا بذبحها . وهذا أيضًا تعنت آخر منهم بعد الأول ، وتكلف طلب ما قد كانوا كفوهم في المرة الثانية والمسألة الآخرة ، وذلك أنهم لم يكونوا حُصروا في المرة الثانية ، إذ قيل لهم بعد مسألتهم عن حلية البقرة التي كانوا أمرُوا بذبحها ، فأبوا إلا تكلف ما قد كُفوه من المسألة عن صفتها ، فحُصروا على نوعٍ دون سائر الأنواع ؛ عقوبة من الله لهم على مسألتهم التي سألوها نبيهم ﷺ تعنتًا منهم له ، ثم لم يحضُرهم على لونٍ منها دون لونٍ ، فأبوا إلا تكلف ما كانوا عن تكلفه أغنياء ، فقالوا - تعنتًا منهم لنبيهم ﷺ كما ذكر ابن عباس - : ﴿ اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ فقيل لهم عقوبة لهم : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ فحُصروا على لونٍ منها دون لونٍ ، ومعنى ذلك : أن البقرة التي أمرتكم بذبحها صفراء فاقع لونها .

قال : ومعنى قوله : ﴿ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ : أى شىء لونها ؟ فلذلك كان اللون مرفوعًا ؛ لأنه مُرافِعٌ « ما » ، وإنما لم يُنصَب « ما » بقوله : ﴿ يُبَيِّنْ لَنَا ﴾ لأن أصل « أى » و « ما » جمعٌ مُتَفَرِّقٍ الاستفهام . يقول^(١) القائل : بيِّن لنا أسوداء هذه البقرة أم صفراء ؟ فلما لم يكن^(٢) لقوله : بيِّن لنا . أن يقع على الاستفهام متفرقًا ، لم يكن له أن يقع^(٣) على « أى » ؛ لأنه جمعٌ ذلك المتفرق ، وكذلك كلُّ ما كان من نظائره ، فالعمل فيه واحدٌ فى « ما » و « أى » .

٣٤٥/١ /واختَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ صَفْرَاءُ ﴾ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : سَوْدَاءٌ شَدِيدَةٌ السَّوَادِ .

(١) فى النسخ : « كقول » . والمثبت يقتضيه السياق .

(٢ - ٢) فى النسخ : « كقوله بين لنا ارتفع على الاستفهام منصرفاً لم يكن له ارتفع » . والمثبت هو الصواب .

وينظر معانى القرآن للفراء ٤٦/١ - ٤٨ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنْهُمْ

حَدَّثَنِي أَبُو مَسْعُودٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مَسْعُودٍ الْجَحْدَرِيُّ ، قَالَ : ثنا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْفٍ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ صَفْرَاءُ فَأَقِعْ لَوْنُهَا ﴾ . قَالَ : سَوْدَاءُ شَدِيدَةٌ السَّوَادِ ^(١) .

حَدَّثَنِي أَبُو زَائِدَةَ زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي زَائِدَةَ وَالْمَثْنَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَا : ثنا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا نُوحُ بْنُ قَيْسٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْفٍ ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ ، عَنْ الْحَسَنِ مِثْلَهُ ^(٢) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : صَفْرَاءُ الْقَرْنِ وَالظُّلْفِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ يُونُسَ التَّهَمَلِيُّ ، قَالَ : ثنا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ، عَنْ أَشْعَثَ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ صَفْرَاءُ فَأَقِعْ لَوْنُهَا ﴾ . قَالَ : صَفْرَاءُ الْقَرْنِ وَالظُّلْفِ .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيُّ ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ زِيَادٍ ، عَنْ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ صَفْرَاءُ فَأَقِعْ لَوْنُهَا ﴾ . قَالَ : كَانَتْ وَحْشِيَّةً ^(٣) .

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ ، قَالَ : ثنا مَرْوَانَ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي حَفْصٍ ، عَنْ

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٩٢- تفسير)، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٩) من طريق نوح بن قيس به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠/١ (٧١٥) من طريق مسلم بن إبراهيم به . وقال ابن كثير في تفسيره ١٥٨/١ : وهذا غريب .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٨/١ (٧٠٤) من طريق هشيم به .

مغراء، أو عن رجل، عن سعيد بن جبير: ﴿بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾. قال: صفراء القزْنِ والظُّلْفِ^(١).

حدثني يونس، قال: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قال: قال ابْنُ زَيْدٍ: هِيَ صَفْرَاءٌ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا الضَّحَّاكُ بْنُ مَخْلَدٍ، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿إِنَّمَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾. قال: لو أَخَذُوا بَقْرَةً صَفْرَاءً لِأَجْزَأَتِ عَنْهُمْ^(٢).

قال أبو جعفر: وَأَحْسَبُ أَنَّ الَّذِي قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿صَفْرَاءٌ﴾: يَعْنِي بِهِ سُودَاءَ. ذَهَبَ إِلَى قَوْلِهِ^(٣) فِي نَعْتِ الْإِبِلِ السُّودِ: هَذِهِ إِبِلٌ صُفْرٌ، وَهَذِهِ نَاقَةٌ صَفْرَاءٌ. يَعْنِي بِهَا سُودَاءَ، وَإِنَّمَا قِيلَ ذَلِكَ فِي الْإِبِلِ لِأَنَّ سُودَاهَا يَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٤):

تلك خَيْلِي مِنْهُ^(٥) وتلك رِكَابِي^(٦) هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّبِيبِ

يعنى بقوله: هُنَّ صُفْرٌ: هُنَّ سُودٌ، وَذَلِكَ إِنْ وُصِفَتِ الْإِبِلُ بِهِ فَلَيْسَ مِمَّا تُوصَفُ بِهِ الْبَقَرُ، مَعَ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَصِفُ السُّودَ بِالْفُقُوعِ، وَإِنَّمَا تَصِفُ السُّودَ - إِذَا وَصَفْتَهُ بِالشَّدَةِ - بِالْحُلُوكَةِ وَنَحْوِهَا، [١٠١/١] فَتَقُولُ: هُوَ أَسُودٌ

(١) إبراهيم هو ابن يزيد الخوزي متروك. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٨) من طريق ليث بن أبي سليم، عن مغراء، عن سعيد بن جبير. وأخرجه ابن أبي حاتم أيضًا ١٣٩/١ (٧٠٧) من طريق شريك، عن الأعمش، عن مغراء، عن ابن عمر في قوله: ﴿صَفْرَاءٌ﴾. قال صفراء الظلف.

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٦).

(٣) كذا في النسخ، ولعل صوابها: «قولهم».

(٤) هو الأعشى الكبير، والبيت في ديوانه ص ٦٨.

(٥) في م: «منها».

(٦) الركاب: الإبل التي يسار عليها، واحدها راحلة، ولا واحد لها من لفظها. التاج (رك ب).

حالكٌ وحانِكٌ وحلْكوكٌ، وأسودُ غزيبٌ ودَجُوجيٌّ . ولا تقولُ : هو أسودُ فاقعٌ . وإنما تقولُ : هو أصفرُ فاقعٌ . فوضِّفه إياه بالفقوعِ مِنَ الدليلِ البينِ على خلافِ التأويلِ الذى تأوَّلَ قوله: ﴿ إِنَّمَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ المتأوَّلُ بأن معناه سوداءٌ شديدةُ السوادِ .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ .

يعنى : خالصٌ لونها . والفقوعُ فى الصَّفرةِ نظيرُ التُّصوعِ فى البياضِ ، وهو شدُّته وصرْفاؤه .

/ كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، ٣٤٦/١ قال : قال قتادةُ : ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ : هى الصافى لونها^(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبى العالِيَةِ : ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ . أى : صافٍ لونها^(٢) .

حدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثله^(٣) .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّى : ﴿ فَاقِعٌ ﴾ . قال : نَقِيٌّ لونها^(٤) .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، قال : حدَّثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ : شديدةُ الصَّفرةِ ، تكادُ مِنَ

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٩/١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ عقب الأثر (٧١١) من طريق آدم به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ عقب الأثر (٧١١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٣٩/١ عقب الأثر (٧١١) من طريق عمرو بن حماد به .

صُفِرْتَهَا تَبْيِضُ^(١) . قال أبو جعفر: أراه أبيض .

حدَّثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ فَاقْصُ
لَوْنَهَا ﴾ . قال : شديدةٌ صفرتها .

يقالُ منه : فَقَعَ لَوْنُهُ يَفْقَعُ ، وَيَفْقَعُ ، فَقَعًا وَفُقوعًا فهو فاقعٌ . كما قال الشاعرُ :
حَمَلْتُ عَلَيْهِ الْوَرْدَ^(٢) حَتَّى تَرَكْتُهُ ذَلِيلًا يَسْفُ الثُّرْبَ وَاللَّوْنَ فَاقِعُ
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴾ : تُعْجِبُ هذه البقرة ، في حُسنِ خَلْقِهَا
وَمَنْظَرِهَا وَهَيْئَتِهَا ، الناظرِ إليها .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ تَسْرُ
النَّظِيرِينَ ﴾ أى : تُعْجِبُ الناظرين^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال :
حدَّثني عبدُ الصَّمَدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سَمِعَ وهبًا : ﴿ تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴾ : إذا نظرتَ
إليها يُخَيَّلُ إليك أن شُعاعَ الشمسِ يَخْرُجُ مِنْ جَلْدِهَا^(٤) .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطٌ ، عن السدي : ﴿ تَسْرُ
النَّظِيرِينَ ﴾ قال : تُعْجِبُ الناظرين^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠/١ (٧١٤) عن محمد بن سعد به .

(٢) الورد من الخيل : بين الكمية والأشعر .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠/١ عقب الأثر (٧١٦) معلقاً .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠/١ (٧١٧) من طريق إسماعيل بن عبد الكريم به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٠/١ (٧١٦) من طريق عمرو بن حماد به .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ قَسَبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ (٧٠) .

قال أبو جعفر: يعنى بقوله: ﴿ قَالُوا ﴾: قال قوم موسى الذين أمروا بذبح البقرة، لموسى . فترك ذكر « موسى » ، وذكر عائذ ذكره اكتفاء بما دل عليه ظاهر الكلام . وذلك أن معنى الكلام: قالوا له: اذْعُ لَنَا رَبِّكَ . فلم يَذْكُرْ « له » لما وصَفْنَا .

وقوله: ﴿ يُبَيِّنَ لَنَا مَا هِيَ ﴾ خبرٌ مِنَ اللَّهِ عن القومِ بجهلةٍ منهم ثالثة ، وذلك أنهم لو كانوا إذ أمروا بذبح البقرة ذبحوا أيتها تيسرت مما يقع عليه اسم بقرة كانت عنهم مُجَزَّةً ، ولم يَكُنْ عليهم غيرها ؛ لأنهم لم يَكُونُوا كَلَّفُوهَا بصفية دون صفة ، فلما سألوا بيانها بأية صفة هي ، فبيّن لهم أنها بسنٍّ مِنَ الْأَسْنَانِ دُونَ سِنِّ سَائِرِ الْأَسْنَانِ ، فقليل لهم : هي عَوَانٌ بَيْنَ الْفَارِضِ وَالْبِكْرِ الضَّرْعِ ^(١) . فكانوا - إذ يُبَيِّنَتْ لهم سنُّها - لو ذبحوا أذنى بقرة بالسنِّ التي يُبَيِّنَتْ لهم كانت عنهم مُجَزَّةً ؛ لأنهم لم يَكُونُوا كَلَّفُوهَا بغيرِ السنِّ التي حُدَّتْ لهم ، ولا كانوا حُصِرُوا على لُونٍ منها / دُونَ ٣٤٧/١ لُونٍ ، فلما أبوا إلا أن تكون مُعَرَّفَةً لهم بَعَوْرَتِهَا ، مُبَيَّنَةً بِحُدُودِهَا التي تُفَرِّقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَائِرِ بَهَائِمِ الْأَرْضِ ، فشَدَّدُوا على أَنفُسِهِمْ ، شَدَّدَ ^(٢) اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ نَبِيَّهُمْ واختلافهم عليه .

ولذلك قال نبيُّنا ﷺ لِأُمَّتِهِ : « ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن

(١) الضَّرْعُ ، بالتحريك ، والضارع : الصغير من كل شيء . وقيل : الصغير السن الضعيف الضاوي النحيف . اللسان (ض ر ع) .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فشدد » .

شئٍ فانتَهوا عنه ما استَطَعْتُمْ»^(١) .

قال أبو جعفرٍ : ولكنَّ القومَ لما زادوا نبيَّهم موسى عليه السلام أذَى وتَعَتَّتا ، زادهم اللهُ عقوبةً وتشديدًا .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عَتَّامُ بْنُ عَلِيٍّ ، عن الأعمشِ ، عن المنهالِ بنِ عمرو ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو أخذوا أذنى بقره اكتَفَوْا بها ، لكنهم شدَّدوا فشُدِّد اللهُ عليهم^(٢) .

حدَّثنا محمد^(٣) بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ ، قال : سَمِعْتُ أَيُوبَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عبيدةَ ، قال : لو أنَّهم أخذوا أذنى بقره لأَجْزَأَتْ عنهم .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ ، عن أيوبَ ، وحدثني المنثى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، جميعًا عن ابنِ سيرينَ ، عن عبيدةَ السُّلَمَانِيِّ ، قال : سأَلوا وشدَّدوا ، فشُدِّدَ عليهم .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ، عن عمرو بنِ دينارٍ ، عن عكرمةَ ، قال : لو أخذ بنو إسرائيلَ بقره لأَجْزَأَتْ عنهم ، ولولا قولهم : ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ما وجدوها^(٤) .

حدثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ،

(١) أخرجه أحمد ١٢/٣٢٥ ، ٤٦٨ ، (٧٣٦٧ ، ٧٥٠١) ، والبخارى (٧٢٨٨) ، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة .

وقوله : « فإذا أمرتكم بشئ فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شئ فانتهوا عنه ما استطعتم » . خطأ ، صوابه : « فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم » . وانظر الفتح ١٣/٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٢) ذكره ابن كثير ١/١٥٨ عن المصنف . وقال : إسناد صحيح . وقد رواه غير واحد عن ابن عباس .

(٣) في م ، ت ١ : « عمر » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « عمرو » . وتقدم على الصواب كما أثبتناه في ص ٧٦ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٥٠ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٩٣ - تفسير) عن ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، يبلغ به النبي عليه السلام . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٧٧ إلى الفريابي وابن المنذر مرفوعًا .

عن مُجاهِدٍ في قولِ اللهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾: لو أخذوا بقرة ما كانت لأجزأت عنهم، ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ قَالَ [١٠١/١] إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ. قال: لو أخذوا بقرة من هذا الوصف لأجزأت عنهم، ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾. قال: لو أخذوا بقرة صفراء لأجزأت عنهم، ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ الآية^(١).

حدَّثني المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو حذيفة، قال ثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مُجاهِدٍ بنحوه، وزاد فيه: ولكنهم شدّدوا فشدد عليهم.

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدَّثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال مُجاهدٌ: لو أخذوا بقرة ما كانت، أجزأت عنهم. قال ابن جريج: قال لى عطاء: لو أخذوا أذنى بقرة كفّتهم. قال ابن جريج: قال رسول الله ﷺ: «إنما أمرؤ بأذنى بقرة، ولكنهم لما شدّدوا على أنفسهم شدّد الله عليهم، وإنهم لو أنهم لم يشتتوا ما بيّنت لهم آخر الأبد»^(٢).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: لو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها لكانت إيّاهم، ولكنهم شدّدوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، ولولا أن القوم اشتتوا فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهتدون﴾ لما هُدوا إليها أبدا^(٣).

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٥، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٩/١ (٧٠٦) مختصرا.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٧/١ إلى المصنف عن ابن جريج مرفوعا.

(٣) تقدم مطولا في ص ٧٧، ٧٨.

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « إِنَّمَا أَمِيرُ الْقَوْمِ بِأَذْنِي بَقْرَةَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَدُّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ شَدَّدَ عَلَيْهِمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ يَسْتَشْتُوا لَمَّا يُبَيِّنْتَ لَهُمْ آخِرَ الْأَيْدِ » ^(١) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ فِي خَبْرٍ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَوْ أَعْرَضُوا ^(٢) بَقْرَةَ فذَبَحُوهَا لِأَجْزَاتٍ عَنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ شَدُّدُوا وَتَعَتُّوا مُوسَى ، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَوْ أَنَّ الْقَوْمَ نَظَرُوا أَدْنَى بَقْرَةَ - يَعْنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - لِأَجْزَاتٍ عَنْهُمْ ، وَلَكِنْ شَدُّدُوا فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ ، فَاشْتَرَوْهَا بِمَلءِ جَلْدِهَا دَنَانِيرَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : لَوْ أَخَذُوا بَقْرَةَ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ كَفَاهُمْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الْبَلَاءَ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، فَقَالُوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾ فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانًا بَيْنَكَ ذَلِكَ ﴾ فَقَالُوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا ﴾ قَالَ : ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ . قَالَ : وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ . فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ . فَأَبَوْا أَيْضًا فَقَالُوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ، فَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ ﴾

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٧/١ إلى المصنف .

(٢) في م : « اعترضوا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٣٧/١ (٦٩٣) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي ،

عن ابن عباس .

لَا شَيْءَ فِيهَا ﴿١﴾ . قال : فاضطربوا إلى بقرة لا يُعلم على صفتها غيرها ، هي صفراء ليس فيها سوادٌ ولا بياض .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم ، من قولهم : إن بنى إسرائيل لو كانوا أخذوا أذنى بقرة فذبحوها أجزأت عنهم ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم - من أوضح الدلالة على أن القوم كانوا يرون أن حكم الله فيما أمر ونهى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ على العموم الظاهر دون الخصوص الباطن ، إلا أن يخص بعض ما عمه ظاهر التنزيل ، كتاب من الله أو رسول الله ، وأن التنزيل أو الرسول إن خص بعض ما عمه ظاهر التنزيل بحكم خلاف ما دل عليه الظاهر ، فالخصوص من ذلك خارج من حكم الآية التي عمّت ذلك الجنس خاصة ، وسائر حكم الآية على العموم ، على نحو ما قد بيناه في كتابنا « كتاب الرسالة » من « لطيف القول في البيان عن أصول الأحكام » - في قولنا في العموم والخصوص ، وموافقة قولهم في ذلك قولنا ، ومذهبيهم مذهبتنا ، وتخطئتهم قول القائلين بالخصوص في الأحكام ، وشهادتهم ٣٤٩/١ على فساد قول من قال : حكم الآية الجائية مجيء العموم على العموم ما لم يخص منها بعض ما عمته الآية ، فإن خص منها بعض ، فحكم الآية حينئذ على الخصوص فيما خص منها ، وسائر ذلك على العموم .

وذلك أن جميع من ذكرنا قوله أنفاً - ممن عاب على ^(١) بنى إسرائيل مسألتهم نبيهم ﷺ عن صفة البقرة التي أمروا بذبحها وسنّها وحليتها - رأوا أنهم كانوا في مسألتهم رسول الله ﷺ موسى ذلك مخطئين ، وأنهم لو كانوا استعرضوا أذنى بقرة من البقر - إذ أمروا بذبحها بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ فذبحوها -

كانوا للواجب عليهم من أمر الله في ذلك مؤذنين ، وللحق مُطيعين ، إذ لم يكن القوم حُصروا على نوعٍ من البقرِ دون نوعٍ ، وسنٌ دون سنٍ .

ورأوا مع ذلك أنهم إذ سألوا موسى عن سنّها ، فأخبرهم عنها وحصرهم منها على سنٌ دون سنٍ ، ونوعٍ دون نوعٍ ، وخصّص من جميع أنواع البقرِ نوعاً منها ، كانوا في مسألتهم إياه المسألة الثانية بعد الذي خصّص لهم من أنواع البقرِ ، من الخطأ على مثل الذي كانوا عليه من الخطأ في مسألتهم إياه المسألة الأولى .

[١٠٢/١] وكذلك رأوا أنهم في المسألة الثالثة على مثل الذي كانوا عليه من ذلك في الأولى والثانية ، وأن اللازم كان لهم في الحالة الأولى استعمال ظاهر الأمر ، وذبح أي بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة .

وكذلك رأوا أن اللازم كان لهم في الحالة الثانية استعمال ظاهر الأمر ، وذبح أي بهيمة شاءوا مما وقع عليها اسم بقرة عوانٍ لا فارضٍ ولا بكرٍ ، ولم يروا أن حكمهم - إذ خصّص لهم بعض البقرِ دون البعض في الحالة الثانية - انتقل عن اللازم كان لهم في الحالة الأولى من استعمال ظاهر الأمر إلى الخصوص .

ففي إجماع جميعهم على ما روينا عنهم من ذلك - مع الرواية التي رويناها عن رسول الله ﷺ بالموافقة لقولهم - دليل واضح على صحة قولنا في العموم والخصوص ، وأن أحكام الله جل ثناؤه في أي كتابه - فيما أمر ونهى - على العموم مالم يخص ذلك ما يجب التسليم له ، وأنه إذا خصّص منه شيء فالخصوص منه خارج حكمه من حكم الآية العامة الظاهر ، وسائر حكم الآية على ظاهرها العام ، ومؤيّد حقيقة ما قلنا في ذلك ، وشاهد عدل على فساد قول من خالف قولنا فيه .

وقد زعم بعض من عظمت جهالته ، واشتدّت حيرته ، أن القوم إنما سألوا موسى ما سألوا بعد أمر الله إياهم بذبح بقرة من البقر ؛ لأنهم ظنّوا أنهم أمروا بذبح بقرة بعينها

خُصِّتْ بِذَلِكَ ، كما خُصِّتْ عصا موسى في معناها ، فسألوه أن يُحَلِّيَهَا لهم ليُغْرِفوها .
ولو كان الجاهلُ تَدَبَّرَ قَوْلَهُ هذا ، لسَهَّلَ عليه ما اسْتَصْعَبَ مِنَ الْقَوْلِ ، وذلك أنه
اسْتَعْظَمَ مِنَ الْقَوْمِ مَسْأَلَتَهُمْ نَبِيَّهُمْ ما سألوه تَشَدُّدًا مِنْهُمْ في دِينِهِمْ ، ثم أضاف إليهم
مِنَ الْأَمْرِ ما هو أَعْظَمُ مما اسْتَنْكَرَهُ أن يَكُونَ كان مِنْهُمْ ، فزَعَمَ أَنَّهُمْ كانوا يَرُؤْنَ أنه
جائزٌ أن يَفْرِضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَرَضًا وَيَتَعَبَّدَهُمْ بعبادة ، ثم لا يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَفْرِضُ عَلَيْهِمْ
وَيَتَعَبَّدُهُمْ به ، حتى يَسْأَلُوا بَيانَ ذلك لَهُمْ ، فأضاف إلى اللَّهِ تعالى ذِكْرَهُ ما لا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ
إِلَيْهِ ، ونَسَبَ الْقَوْمَ مِنَ الْجَاهِلِ إِلَى ما لا يُنْسَبُ الْمَجَانِينُ إِلَيْهِ ، فزَعَمَ أَنَّهُمْ كانوا يَسْأَلُونَ رَبَّهُمْ
أن يَفْرِضَ عَلَيْهِمْ الْفَرَائِضَ ، فنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَيْرَةِ ، ونَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالْهِدَايَةَ .

٣٥٠/١

وأما قَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾ . فإن الْبَقَرَ جَماعُ بَقْرَةٍ .

وقد قرأ بعضهم : (إن الباقِر) ^(١) . وذلك وإن كان في الكلامِ جائزًا لِجَيِّئِهِ في
كلامِ الْعَرَبِ وأشعارِها ، كما قال ميمونُ بنُ قيسٍ ^(٢) :

وما ذنبُه أن عافَتِ الماءَ باقِرًا وما إن تعافَ الماءُ إلا ليضربا ^(٣)
وكما قال أمية ^(٤) :

ويشوقون باقِرًا ^(٥) السَّهْلَ لِلطُّورِ دِهْ مَهازِيلَ حَاشِيَةَ أن تَبُورَا

(١) وبها قرأ محمد ذو الشامة وعكرمة ويحيى بن يعمر . ينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ١٤ ، والبحر
الحيط ٢٥٣/١ .

(٢) ديوان الأعشى ص ١١٥ .

(٣) قال الجاحظ : وكانوا إذا أوردوا البقر فلم تشرب ؛ إما لكدر الماء ، أو لقلّة العطش ، ضربوا الثور ليقتمح
الماء ؛ لأن البقر تتبعه كما تتبع الشؤلُ الفحل . الحيوان ١٨/١ .

(٤) ديوانه ص ٤٥ .

(٥ - ٥) في النسخ : « الطود للسَّهْل » . والمثبت من الديوان . يقول الجاحظ في ذكر نيران العرب : « ونار
أخرى ، وهى النار التى كانوا يستمطرون بها فى الجاهلية الأولى ، فإنهم كانوا إذا تابعت عليهم الأزمات
وركد عليهم البلاء ، واشتد الجذب ، واحتاجوا إلى الاستمطار ، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من =

- فغيرُ جائزةِ القراءةُ به لمخالفتهِ القراءةَ الجائِزةَ مَجِيءَ الحِجَّةِ ، بنقلٍ مَنْ لا يَجوزُ عليه - فيما نقلوه مُجمِعِينَ عليه - الخطأُ والشَّهْوُ والكذبُ .

وأما تأويلُ : ﴿ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾ فإنه يعنى به : التَّبَسُّ علينا .

والقراءةُ مختلفةٌ في تلاوتهِ ؛ فبعضُهم كانوا يَتْلُوْهُ : ﴿ تَشَبَهَ عَلَيْنَا ﴾ .
بتخفيفِ الشينِ ونصبِ الهاءِ على مثالِ « تَفَاعَلَ » وَيَذَكُرُ الفِعْلَ وإن كان البقرُ جَماعاً ؛ لأن من شأنِ العربِ تَذَكِيرَ كُلِّ فِعْلِ جَمْعٍ كانت واحِدتهُ بالهاءِ ، وجمعه بطرحِ الهاءِ وتأنِيثه ، كما قال اللهُ تعالى في نظيره في التَّذَكِيرِ : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ مُنْفَعِرٍ ﴾ [القمr: ٢٠] . فذَكَرَ « الْمُتَفَعَّرَ » ، وهو من صفةِ « النخْلِ » لتذكيرِ لفظِ « النخْلِ » . وقال في موضعٍ آخرَ : ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧] . فأنت « الخاويةُ » وهى من صفةِ النخْلِ - بمعنى النخْلِ ؛ لأنها وإن كانت فى لفظِ الواحدِ المذكورِ - على ما وصفنا قبلَ - فهى جِماعٌ نخلةٌ .

وكان بعضُهم يَتْلُوْهُ : (إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) ^(١) . بتشديدِ الشينِ وضمِّ الهاءِ ، فَيُؤَنَّثُ الفِعْلُ بمعنى تَأْنِيثِ « البقرِ » ، كما قال : ﴿ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ ﴾ . وَيُدْخِلُ فى أولِ « تَشَابَهَ » تاءً تُدَلُّ على تَأْنِيثِها ، ثم تُدْعَمُ التاءُ الثانيةُ فى شينِ « تَشَابَهَ » ؛ لتقارُبِ مَخْرَجِها ومَخْرَجِ الشينِ ، فتَصِيرُ شِينًا مُشَدَّدَةً ، وتُرْفَعُ الهاءُ بالاستقبالِ والسلامةِ مِنَ الجوازِمِ والتَّوَأْسِبِ .

وكان بعضُهم يَتْلُوْهُ : (إِنَّ البَقَرَ يَشَابَهُ عَلَيْنَا) ^(٢) . فَيُخْرِجُ « يَشَابَهُ » مُخْرَجَ الخبرِ عن الذَّكَرِ ؛ لِما ذَكَرْنَا مِنَ العِلَّةِ فى قراءةِ مَنْ قرأ ذلك : ﴿ تَشَبَهَ ﴾ بالتخفيفِ ،

= البقر ، ثم عقدوا فى أذنانها وبين عراقيها ، السَّلْعُ والعُشْرُ ، ثم صعَدوا بها فى جبلٍ وعر ، وأشعلوا فيها النيران ، وضجوا بالدعاء والتضرع ، فكانوا يرون أن ذلك من أسباب السقيا . الحيوان ٤/٤٦٦ .

(١) هى قراءة الأعرج ، ورويت عن الحسن . البحر المحيط ١/٢٥٤ .

(٢) هى قراءة ابن مسعود . السابق .

ونصب الهاء، غير أنه كان يرفعه بالياء التي يُحدِّثها في أول «تَشَابَه» التي تأتي بمعنى الاستقبال، وتُدعَمُ التاء في الشين، كما فعله القارئ في (تَشَابَه) بالتاء والتشديد.

والصواب في ذلك من القراءة عندنا: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾. بتخفيف شين «تَشَابَه» ونصب هائه، بمعنى «تَفَاعَلَ»؛ لإجماع الحُجَّة من القراءة على تصويب ذلك ورفعهم^(١) ماسواه من القراءات، ولا يُعترض على الحُجَّة بقول مَنْ يَجُوزُ عليه فيما نقل السهوَ والغفلة والخطأ.

وأما قوله: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾. فإنهم عنوا: وإنما إن شاء الله لمُتَّبِعِينَ لنا ما التَّبَس علينا وتَشَابَه من أمر البقرة التي أمرنا بذبحها. ومعنى «اهْتَدَيْتُمْ» في هذا الموضع معنى «تَبَيَّنْتُمْ» أي ذلك الذي لزمهم ذبْحُه مما سواه من أجناس البقر. القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ [١٠٢/١] لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾.

/وتأويل ذلك: قال موسى: إن الله يقول: إن البقرة التي أمرتكم بذبحها بقرةٌ لا ذلولٌ. ويعنى بقوله: ﴿لَا ذَلُولٌ﴾. أي: لم يُدَلِّلها العمل. فمعنى الآية: إنها بقرة لم تُدَلِّلها إثارة الأرض بأظلافها، ولا سُئِنَ عليها^(٢) الماء، فيسقى عليها الزرع، كما يقال للدابة التي قد ذلَّ لها الركوب أو العمل: دابةٌ ذلولٌ بيَّنةُ الذلِّ. بكسر الذال، ويُقال في مثله من بنى آدم: رجلٌ ذليلٌ بيِّنُ الذلِّ والذلة.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدٌ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة قوله: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾. يقول: صعبةٌ لم يُدَلِّلها عملٌ، ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾^(٣).

(١) كذا بالنسخ، ولعل الصواب: «دفعهم».

(٢) سئيت الدابة وغيرها سئى: إذا سقى عليها. اللسان (س ن ي).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤١/١ (٧٢٧) من طريق شيبان، عن قتادة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد.

حدَّثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿إِنهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾. يقول: بقرة ليست بذلولٍ يُزْرَعُ عليها، وليست تسقى الحرث^(١).

حدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿إِنهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾. أى: لم يُذَلِّهَا العملُ. ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾. يعنى: ليست بذلولٍ فتُثِيرُ الأرضَ. ﴿وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾. يقول: وَلَا تَعْمَلُ^(٢) فى الحرث^(٣).

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابنُ أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿إِنهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾. يقول: لم يُذَلِّهَا العملُ، ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾. يقول: تُبَيِّنُ الأرضَ^(٤) بأظلافها. ﴿وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾. يقول: وَلَا تَعْمَلُ^(٥) فى الحرث.

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدَّثني حجاج، قال: قال ابنُ جريج: قال الأعرج: قال مجاهدٌ قوله: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾. يقول: ليست بذلولٍ فتفعل ذلك^(٥).

حدَّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة: ليست بذلولٍ تُثِيرُ الأرضَ، وَلَا تَسْقَى الحرث.

ويعنى بقوله: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾: تُقَلِّبُ الأرضَ للحرث، يقالُ منه: أثارَتْ الأرضُ أُثِيرُها إثارةً، إذا قلبتها للزرع.

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٢/١ (٧٢٨) من طريق عمرو بن حماد به.

(٢) سقط من: ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) تقدم مطولا فى ص ٧٧.

(٤) أبانت الماشية الأرض، إذا فصلتها عن بعضها. اللسان (ب ي ن).

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤١/١ (٧٢٣) من طريق حجاج به.

وإنما وصفها جلُّ ثناءؤه بهذه الصفة؛ لأنها كانت - فيما قيل - وَحْشِيَّةً .
 حدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا جُوَيْرٌ ، عن كثيرِ بنِ
 زيادٍ ، عن الحسنِ ، قال : كانت وَحْشِيَّةً^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله تعالى : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ .

ومعنى ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ : مُفَعَّلَةٌ ، مِنَ السَّلَامَةِ ، يقالُ منه : سَلَّمْتُ تُسَلِّمُ فَهِيَ
 مُسَلَّمَةٌ .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ في المعنى الذي سَلَّمَتْ منه ، فوصفها اللهُ بالسَّلَامَةِ منه ؛
 فقال مجاهدٌ بما حدثنا به محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ
 أبي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . يقولُ : مُسَلَّمَةٌ مِنَ الشَّيْءِ ، و ﴿ لَا شَيْءَ
 فِيهَا ﴾ : لا بياضَ فيها ولا سوادَ^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن
 مجاهدٍ مثله .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال :
 قال مجاهدٌ : ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ . قال : مُسَلَّمَةٌ مِنَ الشَّيْءِ ، ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ : لا بياضَ
 فيها ولا سوادَ .

(١) تقدم في ص ٩٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٤٢ (٧٣٢، ٧٣٥) من طريق ابن أبي نَجِيحٍ به ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ١/٧٨ إلى عبد بن حميد .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾. أَى: مُسَلَّمَةٌ مِنَ الْعَيُوبِ^(١).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. يَقُولُ: لَا عَيْبَ فِيهَا^(٢).

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا آدَمُ، قَالَ: ثنا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. يَعْنِي: مُسَلَّمَةٌ مِنَ الْعَيُوبِ^(٣).

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ بِمِثْلِهِ^(٤).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾: لَا عَوَارَ فِيهَا^(٥).

وَالَّذِي قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَمَنْ قَالَ بِمِثْلِ قَوْلِهِمَا فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، أَوْلَى بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ مِمَّا قَالَهُ مَجَاهِدٌ؛ لِأَنَّ سَلَامَتَهَا لَوْ كَانَتْ مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الْأَلْوَانِ سِوَى لَوْنِ جَلْدِهَا، لَكَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. مُكْتَنَفَى عَنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾، مَا يُوضِّحُ عَنْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾. غَيْرُ مَعْنَى

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٤٩/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢/١ (٧٣٣) عن الحسن بن

يحيى به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢/١ عقب الأثر (٧٣٣) من طريق آدم به.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٢/١ عقب الأثر (٧٣٣) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/١ إلى المصنف.

قوله: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾. وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام أنه يقول: إنها بقرة لم تُدَلَّلْها إثارة الأرض وقبْلِها للحِرائة ولا الشُّتُو عليها للمزارع، وهي مع ذلك صحيحة مُسَلِّمةٌ مِنَ العيوبِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾.

يعنى بقوله: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾: لا لونَ فيها يُخَالِفُ لونَ جلدِها. وأصله من: وَشِي الثوبِ. وهو تحسِينُ عُيوبِهِ التي تَكُونُ فيه بضروبٍ مختلفةٍ من ألوانِ سَدَاهِ وِحْمَتِهِ، يقالُ منه: وَشَيْتُ الثوبَ فَأَنَا أَشْيَاهُ شَيْئَةً وَوَشَيْتًا. ومنه قيل للساعي بالرجلِ إلى السلطانِ أو غيره: واشٍ. لكذِبِهِ عليه عنده وتحسينه كذبه بالأباطيلِ، يقالُ منه: وَشَيْتُ به إلى السلطانِ وَشَايَةً. ومنه قولُ كعبِ بنِ زُهَيْرٍ^(١):

تَسْعَى الوُشَاةُ بِجَنبِهَا^(٢) وَقَوْلُهُمْ إِنَّكَ يَا بَنَ أُمِّي سُلْمَى لَمَقْتُولُ
والوُشَاةُ جمع واشٍ، يعنى أنهم يَتَقَوَّلُونَ بالأباطيلِ، وَيُخْبِرُونَهُ أَنَّهُ إن لِحِقِ
بِالنَّبِيِّ ﷺ قَتَلَهُ.

وقد زعم بعض أهل العربية أن الوشَى العلامةُ. وذلك لا معنى له، إلا أن يكونَ أراد بذلك تحسِينَ الثوبِ بالأعلامِ؛ لأنه معلومٌ أن القائلَ: وَشَيْتُ بفلانٍ إلى فلانٍ. غيرُ جائزٍ أن يُتَوَهَّمَ عليه أنه أراد: جعلتُ له عنده علامةً.

وإنما قيل: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾. وهى من: وَشَيْتُ؛ لأن الواو لما أسقطت من أولها أبدلت مكانها الهاء في آخرها، كما قيل: وَزَنَّتْ زَنَةً [١٠٣/١]، و«سَيِّئَةٌ سَيِّئَةٌ»^(٣).

(١) ديوانه ص ١٩.

(٢) فى م: «جنابها».

(٣ - ٣) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «وشيته شية». وسيته: حلقته. ينظر اللسان (وسى).

وَوَعَدْتُهُ عِدَّةً ، وَوَدَّيْتَهُ دِيَّةً .

وبمثل الذي قلنا فى معنى قوله : ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ قال أهل التأويل .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ . أى : لا يياض فيها^(١) .

/ حدَّثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة ، مثله^(٢) .

٣٥٣/١

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالىة : ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ . يقول : لا يياض فيها^(٣) .

حدَّثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ . أى : لا يياض فيها ولا سواد^(٤) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابنُ إدريس ، عن أبيه ، عن عطية : ﴿ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾ . قال : لوئها واحدٌ ، ليس فيها لونٌ سوى لونها^(٥) .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٦) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٤٩ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٦) من طريق آدم به .

(٤) تقدم فى ص ١٠٧ .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٣/١ عقب الأثر (٧٣٧) معلقا .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنِ السُّدِّيِّ : ﴿ لَا شَيْئَةَ فِيهَا ﴾ : مِنْ بِياضٍ وَلَا سَوَادٍ وَلَا حُمْرَةَ^(١) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ لَا شَيْئَةَ فِيهَا ﴾ : هِيَ صَفْرَاءُ لَيْسَ فِيهَا بِياضٌ وَلَا سَوَادٌ .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ : ﴿ لَا شَيْئَةَ فِيهَا ﴾ . يَقُولُ : لَا بِياضَ فِيهَا^(٢) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَالُوا أَلَكُنَّ جِئْتِ بِالْحَقِّ ﴾ .

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ قَالُوا أَلَكُنَّ جِئْتِ بِالْحَقِّ ﴾ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : الْآنَ بَيَّنَّتْ لَنَا الْحَقَّ فَتَبَيَّنَّاهُ ،^(٣) وَعَرَفْنَا أَيَّةَ بَقْرَةٍ عَنَيْتِ^(٤) .

وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ قِتَادَةٌ :

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قِتَادَةَ : ﴿ قَالُوا أَلَكُنَّ جِئْتِ بِالْحَقِّ ﴾ . أَى : الْآنَ بَيَّنَّتْ لَنَا^(٤) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ نَسَبُوا نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَأْتِيهِمْ بِالْحَقِّ فِي أَمْرِ الْبَقْرَةِ قَبْلَ ذَلِكَ .

وَمَنْ رَوَى عَنْهُ مَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٣١ (٧٣٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٣١ عقب الأثر (٧٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣ - ٣) في م ، ت ٢ : « وعرفناه ، أنه بقرة عينت » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٤٣١ (٧٣٩) من طريق شيبان ، عن قِتَادَةَ .

حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : اضطروا إلى بقرة لا يعلمون على صفتها غيرها ، وهي صفراء ليس فيها سوادٌ ولا بياض ، فقالوا : هذه بقرة فلان ، ﴿ أَلَتْنَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ . وقبل ذلك والله قد جاءهم بالحق^(١) .

وأولى التأويلين عندنا بقوله : ﴿ قَالُوا أَلَتْنَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ . قول قتادة ، وهو أن تأويله : الآن بينت لنا الحق في أمر البقر^(٢) ، فعرفنا أيها^(٣) الواجب علينا ذبحها منها ؛ لأن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم قد أطاعوه ، فذبحوها بعد قبيلهم هذا مع غلظ مؤنة ذبحها عليهم وثقل أمرها ، فقال : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . وإن كانوا قد قالوا - بقولهم : الآن بينت لنا الحق - هراء^(٤) من القول ، وأتوا خطأ وجهلاً من الأمر ، وذلك أن نبي الله موسى ﷺ كان مبيئاً لهم - في كل مسألة سألوها إياه ، ورد^(٥) رادوه في أمر البقرة - / الحق ، وإنما يقال : الآن بينت لنا الحق لمن لم يكن مبيئاً قبل ذلك ، فأما من كان كل قبيله - فيما أبان عن الله تعالى ذكره - حقاً وبيئاً ، فغير جائز أن يقال له في بعض ما أبان عن الله في أمره ونهيه ، وأدى عنه إلى عباده من فرائضه التي أوجبها عليهم : ﴿ أَلَتْنَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ . كأنه لم يكن جاءهم بالحق قبل ذلك .

٣٥٤/١

وقد كان بعض من سلف يزعم أن القوم ارتدوا عن دينهم ، وكفروا بقولهم لموسى : ﴿ أَلَتْنَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ﴾ . ويزعم أنهم نفوا أن يكون موسى أتاهم بالحق في أمر البقرة قبل ذلك ، وأن ذلك من فعلهم وقبيلهم كفر .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٥٩/١ مقتصرًا على آخره . وتقدم بطوله في ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) في النسخ : « البقرة » . والمثبت يقتضيه السياق .

(٣) في م ، ت ، ٢ : « أنها » ، وفي ت ، ١ ، ت ، ٣ : « أنه » .

(٤) في ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « هزوا » .

(٥) في ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « رده » .

وليس الذى قال من ذلك عندنا كما قال ؛ لأنهم أذعنوا بالطاعة بذبحها ، وإن كان قيلهم الذى قالوه لموسى جهلة منهم وهفوة من هفواتهم .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧١) .

يعنى بقوله : ﴿ فَذَبَحُوهَا ﴾ : فذبح قوم موسى البقرة التى وصفها الله لهم ، وأمرهم بذبحها .

ويعنى بقوله : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . أى : قاربوا أن يدعوا ذبحها ، ويتزكوا فرض الله عليهم فى ذلك .

ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله كادوا أن يضيعوا فرض الله عليهم فى ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك ؛ فقال بعضهم : ذلك السبب كان غلاء ثمن البقرة التى أمروا بذبحها ، ويثبت لهم صفتها .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا أبو معشر المدنى ، عن محمد بن كعب القرظى فى قوله : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : لغلاء ثمنها^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد الهلالى ، قال : ثنا عبد العزيز بن الخطاب ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . قال : من كثرة قيمتها .

(١) تفسير عبد الرزاق ٤٩/١ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : أَخْبَرنا الحسِينُ ، قال : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، وحجاجٍ ، عن أبي مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبِ القُرظِيِّ ومحمدِ بنِ قيسٍ - في حديثٍ فيه طُولٌ ، ذَكَرَ أن حديثَ بعضهم دَخَلَ في حديثِ بعضٍ - قوله : ﴿ فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ : لكثرةِ الثمنِ ، أَخَذُوهَا بِمِلءِ مَسْكِيهَا ذَهَبًا مِن مالِ المقتولِ ، فكان سَوَاءً ، لم يَكُنْ فيه فَضْلٌ فَذَبَّحُوهَا ^(١) .

حدَّثتُ عن المنجابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رُوَيْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . يقولُ : كادوا لا يَفْعَلُونَ ، [١٠٣/١] ولم يَكُنْ الذي أرادوا ؛ لأنهم أرادوا ألا يَذَبَّحُوهَا ، وكلُّ شَيْءٍ في القرآن «أَكادُ» ^(٢) و«كَادوا» و«لو» ، فإنه لا يَكُونُ ، وهو مثلُ قوله : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيًا ﴾ ^(٤) [طه : ١٥] .

وقال آخرون : لم يكادوا أن يفعلوا ذلك ، خوفَ الفضيحةِ إن أطلعَ اللهُ على قاتلِ القَتيلِ الذي اختَصَمُوا فيه إلى موسى .

والصوابُ مِنَ التَّأويلِ عندنا أن القومَ لم يكادوا يفعلون ما أمرهم اللهُ به مِن ذبحِ البقرةِ لِلخَلَّتَيْنِ كلتيهما ؛ إحداهما : غَلَاءُ ثَمَنِهَا مع ما ذَكَرَ لنا من صِغَرِ حَظِّهَا وقِلَّةِ قيمَتِهَا . والأخرى : خوفُ عظيمِ الفضيحةِ على أنفُسِهِم بإظهارِ اللهُ نبيَّهُ موسى صلواتُ اللهُ عليه وأتباعه على قاتله ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٤/١ (٧٤٣) من طريق أبي معشر ، عن محمد بن كعب .

(٢) في م ، ت ٢ : «كاد» .

(٣) في م ، ت ٢ : «أو» .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٣/١ (٧٤٢) عن أبي زرعة ، عن المنجاب به . وينظر تفسير ابن كثير

١٦٠/١ .

(٥) ينظر تفسير ابن كثير ١٦٠/١ .

٣٥٥/١

/ فأما غلاءٌ ثَمِنَها فإنه قد رُوِيَ لنا فيه ضُروبٌ مِنَ الرِّواياتِ .

فحدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، قال : اشتروها بوزنها عشرَ مراتٍ ذهبًا ، فباعهم صاحبُها^(١) إياها وأخذ ثَمَنَها^(٢) .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عبيدةَ ، قال : اشتروها بمِلِّءٍ جلدِها دنانيرَ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : كانت البقرةُ لرجلٍ يَبْرَأُ أمَّهُ ، فرزقه اللهُ أنْ جعلَ تلكَ البقرةَ له ، فباعها بمِلِّءٍ جلدِها ذهبًا^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلُ ، قال : حدَّثني خالدُ بنُ يزيدَ ، عن مجاهدٍ ، قال : أعطوا صاحبَها مِلَّءَ مَسكِها ذهبًا ، فباعها منهم .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ^(٤) عبدِ الكريمِ ، قال : حدَّثني عبدُ الصمدِ بنُ مَعْقِلٍ ، أنه سمعَ وهبًا يقولُ : اشتروها منه على أنْ يَمْلُئوا له جلدَها دنانيرَ ، ثم ذَبَحوها فعمَدوا إلى جلدِ البقرةِ فملئوه دنانيرَ ، ثم دَفَعوها إليه .

حدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ^(٥) ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي^(٦) ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وجدوها عندَ رجلٍ يَبْرَعُمُ أنه ليسَ بِاتِّعَها

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « صاحبهم » .

(٢) تقدم مطولاً في ص ٨٠ .

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٨١ .

(٤) في النسخ : « عن » . وانظر ما تقدم في ص ٨١ .

(٥) في م : « سعيد » .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٣ : « يحيى » .

بمالٍ أبداً ، فلم يَزَالُوا به حتى جعلوا له أن يَسْلُخُوا له مَسْكِهَا ، فيملئوه له دنانيرَ ، فرضى به فأعطاهم إياها^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : حدثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : لم يجِدوها إلا عندَ عَجَوزٍ ، وإنما سألتهم أضعافَ ثمنها ، فقال لهم موسى : أعطوها رضاها وحُكْمها . ففعلوا ، واشتروها فذبحوها^(٢) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، قال : قال أيوبُ ، عن ابنِ سيرينَ ، عن عبيدةَ ، قال : لم يجِدوا هذه البقرةَ إلا عندَ رجلٍ واحدٍ ، فباعها بوزنها ذهباً - أو مِئْلاً مَسْكِهَا ذهباً - فذبحوها^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن هشامِ بنِ حسانَ ، عن محمدِ بنِ سيرينَ ، عن عبيدةَ السُّلَمانيِّ ، قال : وجدوا البقرةَ عندَ رجلٍ ، فقال : إني لا أبيعها إلا بمِئْلاً جلدِها ذهباً . فاشتروها بمِئْلاً جلدِها ذهباً .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : جعلوا يَزِيدون صاحبها حتى ملئوا له مَسْكِهَا - وهو جلدُها - ذهباً .

وأما صِغَرُ خَطَرِها وقِلَّةُ قيمَتِها ، فإن الحسنَ بنَ يحيى حدَّثنا ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا ابنُ عُيَيْنَةَ ، قال : حدثني محمدُ بنُ سُوقَةَ ، عن عكرمةَ ، قال : ما كان ثمنها إلا ثلاثةَ دنانيرَ^(٤) .

(١) انظر ما تقدم في ص ٨٧ .

(٢) تقدم مطولاً في ص ٧٨ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩ ، وتقدم مطولاً في ص ٧٧ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٤٤ (٧٤٤) عن الحسن بن يحيى به . وقال ابن كثير : إسناد جيد .

وأما ما قلنا من خوفهم الفضيحة على أنفسهم ، فإن وهب بن منبّه كان يقول :
 ٣٥٦/١ إن القوم إذ أمروا / بذبح البقرة إنما قالوا موسى : ﴿ ائْتِنَا هُزُؤًا ﴾ . لعلمهم بأنهم
 سيفتضحون إذا ذبحت ، فحادوا عن ذبحها .

حدثت بذلك عن إسماعيل بن عبد الكريم ، عن عبد الصمد بن معقل ، عن
 وهب بن منبّه .

وكان ابن عباس يقول : إن القوم بعد أن أحيا الله الميت فأخبرهم بقاتله ،
 أنكرت قتلته قتله ، فقالوا : والله ما قتلناه . بعد أن رأوا الآية والحق .

حدثني بذلك محمد بن سعيد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال :
 حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ^(١) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا ﴾ : واذكروا يا بنى إسرائيل إذ قتلتم
 نفسًا . والنفس التى قتلوها هى النفس التى ذكرنا قصتها فى تأويل قوله : ﴿ وَإِذْ
 قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ .

وقوله : ﴿ فَاذْرَءْ ثُمَّ فِيهَا ﴾ . يعنى : فاحتلفتم وتنازعتم . وإنما هو : فتدارأتم فيها .
 على مثال «تفاعلتم» ، من الذرء ، والذرء العوج . ومنه قول أبي ^(٢) النجم العجلي :

خَشِيَّةٌ طَعَامٌ إِذَا هَمَّ جَسْرُ

يَأْكُلُ ذَا الذَّرْءِ وَيُقْصِي مَنْ حَقَرُ

يعنى ذا العوج والعسر ، ومنه قول رؤبة بن العجاج ^(٣) :

(١) سيأتى فى ص ١٢٩ .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ديوان رؤبة ص ١٦٦ .

أَذْرَكْتُهَا قُدَّامَ كُلِّ مِذْرَةٍ^(١)

بِالدَّفْعِ عَنِ ذَرَّةٍ كُلِّ غُنْجَةٍ^(٢)

ومنه الخبرُ الذي حَدَّثَنَا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ المقْدَامِ ، عن إسرائيلَ ، عن إبراهيمَ بنِ المهاجرِ ، عن مجاهدٍ ، عن السائبِ ، قال : جاءني عثمانُ وزهيرُ ابنا أمية^(٣) ، فاستأذنا لى على رسولِ اللهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « أنا أعلمُ به منكما ، ألم تكنُ شريكى فى الجاهلية ؟ » قلتُ : نعم ، بأبى أنت وأمى ، فنعِمَ الشَّرِيكُ ، كنتَ لا تُمارى ولا تُدارى^(٤) .

يعنى بقوله : لا تُدارى . لا تخالفُ رفيقك وشريكك [١٠٤/١] ولا تُنازعه ولا تُشاره^(٥) .

وإنما أصلُ ﴿ فَأَذْرَكْتُم ﴾ : فتدارأتم . ولكنَّ التاءَ قريية^(٦) من مخرجِ الدالِ -

(١) درهت عن القوم : دفعت عنهم ، ومدره القوم ، بالكسر : الدافع عنهم . اللسان (د ر ه) .

(٢) العنجه والعنجهى ، بالضم : المتكبر ذو العظمة . التاج (ع ج ه) .

(٣) كذا فى النسخ . والصواب : عثمان بن عفان ، وزهير بن أبى أمية . انظر الآحاد والمثانى ، والمسند ، والإصابة ٥٧٢/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٦٩٢) عن أبى كريب به ، وسقط منه ذكر مجاهد .

وأخرجه أحمد ٢٤/٢٥٨ ، ٢٥٩ (١٥٥٠٠) عن أسود بن عامر ، عن إسرائيل به .

واختلف فى إسناده ، فقليل : عن مجاهد ، عن السائب . وقيل : عن مجاهد ، عن قائد السائب ، عن

السائب . وقيل : عن مجاهد ، عن قيس بن السائب . وقيل غير ذلك .

وقال ابن عبد البر : مضطرب جدًّا ، منهم من يجعل الشركة مع رسول الله ﷺ للسائب بن أبى السائب ،

ومنهم من يجعلها لأبى السائب أبيه ، ومنهم من يجعلها لقيس بن السائب ، ومن يجعلها لعبد الله بن السائب ،

وهذا اضطراب لا يثبت به شىء ، ولا تقوم به حجة . وينظر العلل لابن أبى حاتم (٣٥٠) ، والاستيعاب ٥٧٢/٢ -

٥٧٤ ، وأسَدُ الغابة ٢/٣١٥ ، ٣١٦ ، ٤/٤٢٣ ، والتمحفة ٣/٢٥٦ ، ونصب الراية ٣/٤٧٤ ، والإصابة ٣/٢٢٢ ،

٢٣ ، ٥٧١/٥ - ٤٧٣ ، وتهذيب التهذيب ٣/٤٤٩ .

(٥) لا يشارى ، من المشاركة ، وهى الملاجة ، وقيل : لا يشارى ، من الشر . اللسان (ش ر ي) .

(٦) بعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « المخرج » .

وذلك أن مخرج التاء من طرف اللسان وأصول الشَّيْتَيْنِ^(١) ، ومخرج الدال من طرف اللسان وأطراف الشَّيْتَيْنِ - فأدغمت التاء في الدال ، فجعلت دالاً مُشَدَّدةً ، كما قال الشاعر^(٢) :

تُولَى الضُّجَيْعِ إِذَا مَا اسْتَأْفَاهَا^(٣) حَصِيْرًا^(٤) عَذَبَ الْمَذَاقِ إِذَا مَا اتَّبَعَ الْقُبْلُ

يُرِيدُ : إِذَا مَا تَتَابَعَ الْقُبْلُ . فَأُدْغِمَ إِحْدَى التَّائِيْنِ فِي الْآخَرَى .

فلما أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الدَّالِ ، فَجُعِلَت دَالًا مِثْلَهَا سَكَنَتْ ، فَجَلَبُوا^(٥) أَلْفًا لِيَصِلُوا إِلَى الْكَلَامِ بِهَا ، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ قَبْلَهُ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّ الْإِدْغَامَ لَا يَكُونُ إِلَّا وَقَبْلَهُ شَيْءٌ ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ جَلْ ثَنَاؤُهُ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيْعًا ﴾ [الأعراف : ٣٨] .
 إِنَّمَا هُوَ : تَدَارَكُوا . وَلَكِنَّ التَّاءَ مِنْهَا أُدْغِمَت فِي الدَّالِ ، فَصَارَتْ دَالًا مُشَدَّدةً ، وَجُعِلَت فِيهَا أَلْفٌ - إِذَا وُصِلَتْ بِكَلَامٍ - قَبْلَهَا لِيَسْلَمَ الْإِدْغَامُ . وَإِذَا / لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ مَا يُوَاصِلُهُ ، وَابْتِدَى بِهِ ، قِيلَ : تَدَارَكُوا وَتَثَاقَلُوا . فَأَظْهَرُوا الْإِدْغَامَ . وَقَدْ قِيلَ :
 يُقَالُ : أَدَارَكُوا وَأَدَارَأُوا .

وقد قيل : إن معنى قوله : ﴿ فَأَدَارَةٌ تَمَّ فِيهَا ﴾ : فندافعتم فيها . من قول القائل :
 دَرَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ عَنِّي . وَمِنْ قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ ﴾ [النور : ٨] . بمعنى :
 يَدْفَعُ عَنْهَا الْعَذَابَ .

وهذا قول قريب المعنى من القول الأول ؛ لأن القوم إنما تدافعوا قتل قتيل ،

(١) في م : « الشفتين » .

(٢) البيت في معاني القرآن للفراء ٤٣٨ / ١ .

(٣) في م ، ت ٢ : « اشتاقها » ، وفي ت ١ ، ت ٣ : « استاقها » ، والمثبت من معاني القرآن ، واستاقها : شهما .
 التاج (س و ف) .

(٤) الخصر : البارد من كل شيء ، ويريد هنا ريقها . التاج (خ ص ر) .

(٥) في ت ١ : « يجعلها » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « فجعلنا » .

فَانْتَقَى كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ قَاتِلَهُ، كَمَا قَدْ بَيَّنَّا قَبْلُ فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا^(١).

وَبِنَحْوِ الَّذِي قَلْنَا فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَدْرَاةٌ تَمَّ فِيهَا﴾. قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿فَأَدْرَاةٌ تَمَّ فِيهَا﴾. قَالَ: اخْتَلَفْتُمْ فِيهَا.

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى، قَالَ: ثَنَا أَبُو حذيفة، قَالَ: ثَنَا سُبَيْلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ^(٢).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حِجَاجٌ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَاةٌ تَمَّ فِيهَا﴾. قَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ. وَقَالَ الْآخَرُونَ: أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ^(٣).

حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَدْرَاةٌ تَمَّ فِيهَا﴾. قَالَ: اخْتَلَفْتُمْ، وَهُوَ التَّنَازُحُ؛ تَنَازَعُوا فِيهِ. قَالَ: قَالَ هَؤُلَاءِ: أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ. وَقَالَ هَؤُلَاءِ: لَا^(٤).

وَكَانَ تَدَارُؤُهُمْ فِي النَّفْسِ الَّتِي قَتَلُوهَا كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنْ عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: صَاحِبُ الْبَقْرَةِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ، فَأَلْقَاهُ عَلَى بَابِ نَاسٍ آخَرِينَ، فَجَاءَ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ فَادَّعَوْا دَمَهُ عِنْدَهُمْ، ^(٤) فَاثْتَفَوْا - أَوْ ائْتَفَلُوا^(٥) - مِنْهُ. شَكََّ أَبُو عَاصِمٍ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثَنَا أَبُو حذيفة، قَالَ: ثَنَا سُبَيْلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ

(١) ينظر ما تقدم في ص ٧٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٤٤ (٧٤٦) من طريق أبي حذيفة به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٨/١ إلى عبد بن حميد.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٦٠.

(٤ - ٤) في ت ١، ت ٢، ت ٣: «فانثقلوا أو انتقلوا».

(٥) انتقلت من الشيء وانتفتيت منه: تبرأت منه. اللسان (ن ف ل، ن ف ي).

مجاهدٍ بمثله سواءً، إلا أنه قال: فادَّعُوا دَمَهُ عِنْدَهُمْ فَانْتَقُوا. ولم يَشُكْ فِيهِ^(١).

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدٌ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة، قال: قَتِيلٌ كان في بني إسرائيلَ، فَقَذَفَ كُلُّ سَبِيطٍ مِنْهُمْ، حَتَّى تَفَاقَمَ بَيْنَهُمُ الشُّرُ، حَتَّى تَرَأَفُوا فِي ذَلِكَ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنْ اذْبَحْ بَقْرَةَ، فَاضْرِبْ بِبَعْضِهَا، فَذَكَرْنَا أَنَّ وَلِيَّهُ الَّذِي كَانَ يَطْلُبُ بِدَمِهِ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ مِنْ أَجْلِ مِيرَاثٍ كَانَ بَيْنَهُمْ^(٢).

حدَّثني ابنُ سعيدٍ^(٣)، قال: حدَّثني أبي^(٤)، قال: حدَّثني عمي، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ^(٥) في شأنِ البقرة: وذلك أن شَيْخًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى كَانَ مُكْثِرًا مِنَ الْمَالِ، وَكَانَ بَنُو أَخِيهِ فُقَرَاءَ لَا مَالَ لَهُمْ، وَكَانَ الشَّيْخُ لَا وَلَدَ لَهُ، وَكَانَ^(٦) بَنُو أَخِيهِ وَرَثَتَهُ، فَقَالُوا: لَيْتَ عَمَّنَا قَدِ مَاتَ فَوَرِثْنَا مَالَهُ. وَإِنَّهُ لَمَّا تَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ أَلَا يَمُوتُ عَمُّهُمْ أَتَاهُمُ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ إِلَى أَنْ تَقْتُلُوا عَمَّكُمْ فَتَرِثُوا مَالَهُ، وَتَغْرِمُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ الَّتِي لَشْتُمْ بِهَا دِينَهُ؟ - وَذَلِكَ أَنَّهُمَا كَانَتَا مَدِينَتَيْنِ كَانُوا فِي إِحْدَاهُمَا، فَكَانَ الْقَتِيلُ إِذَا قُتِلَ وَطُرِحَ^(٧) بَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ، قَيْسَ مَا بَيْنَ الْقَتِيلِ وَمَا بَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ، فَأَيُّهُمَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ غَرِمَتْ الدِّيَةَ - وَأَنْهُمْ لَمَّا سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ذَلِكَ، ٣٥٨/١، وَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ أَلَا يَمُوتُ عَمُّهُمْ، عَمَدُوا إِلَيْهِ فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ عَمَدُوا فَطَرَحُوهُ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ الَّتِي لَيْسُوا فِيهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ جَاءَ بَنُو أَخِي الشَّيْخِ، فَقَالُوا: عَمَّنَا قَتِيلٌ عَلَى بَابِ مَدِينَتِكُمْ^(٧)، فَوَاللَّهِ لَتَغْرِمُنَّ لَنَا دِيَّةَ عَمَّنَا. فَقَالَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: نُقَسِمُ بِاللَّهِ مَا

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٤/١ (٧٤٥). وينظر ما تقدم في ص ٨١.

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٨٠، ٨١.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) بعده في ت ١، ت ٢: « قوله ».

(٥) سقط من: ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٦) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « يطرح ».

(٧) في ت ٢: « هذه المدينة ».

قَتَلْنَا ، وَلَا عَلِمْنَا قَاتِلًا ، وَلَا فَتَحْنَا بَابَ مَدِينَتِنَا مِنْذُ أَغْلِقَ حَتَّى أَصْبَحْنَا . وَإِنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى مُوسَى ، فَلَمَّا أَتَوْا قَالَ بَنُو أَخِي الشَّيْخِ : عَمْنَا وَجَدْنَاهُ مَقْتُولًا عَلَى بَابِ مَدِينَتِهِمْ . وَقَالَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ : نُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا قَتَلْنَاهُ ، ^(١) «وَلَا عَلِمْنَا قَاتِلًا» ، وَلَا فَتَحْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ مِنْ حِينَ أَغْلَقْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحْنَا . وَأَنْ جَبْرِيلَ جَاءَ بِأَمْرِ رَبِّنَا السَّمِيعِ الْعَلِيمِ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : قُلْ لَهُمْ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ فَتَضَرَّبُوهُ بِبَعْضِهَا ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا حَسِينٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حِجَابٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، عَنْ مِجَاهِدٍ ، وَحِجَابٍ ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ - دَخَلَ حَدِيثٌ بَعْضُهُمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ - قَالُوا : إِنْ سَبَطْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا رَأَوْا كَثْرَةَ سُورِ النَّاسِ بَنَوْا مَدِينَةً فَاعْتَزَلُوا سُورَ النَّاسِ ، فَكَانُوا إِذَا أَمْسَوْا لَمْ يَتْرُكُوا أَحَدًا مِنْهُمْ [١٠٤/١] ظَ [خَارِجًا إِلَّا أَدْخَلُوهُ ، وَإِذَا أَصْبَحُوا قَامَ رَئِيسُهُمْ فَنَظَرَ وَتَشَرَّفَ ^(٣) ، فَإِذَا لَمْ يَرَ شَيْئًا فَتَحَ الْمَدِينَةَ فَكَانُوا مَعَ النَّاسِ حَتَّى يُنْسُوا ، وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَارِثٌ غَيْرُ ابْنِ ^(٤) أَخِيهِ ، فَطَالَ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ ، فَقَتَلَهُ لِيَرْتَهُ ، ثُمَّ حَمَلَهُ فَوَضَعَهُ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ كَمَنَ فِي مَكَانٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، قَالَ : فَتَشَرَّفَ رَئِيسُ الْمَدِينَةِ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، فَفَتَحَ الْبَابَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَتِيلَ رَدَّ الْبَابَ فَنَادَاهُ ^(٥) ابْنُ أَخِي ^(٥) الْمَقْتُولِ وَأَصْحَابُهُ : هِيَهَاتَ ! قَتَلْتُمُوهُ ثُمَّ تَزِدُّونَ الْبَابَ . وَكَانَ مُوسَى لَمَّا رَأَى الْقَتْلَ كَثِيرًا فِي أَصْحَابِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَانَ إِذَا رَأَى الْقَتِيلَ بَيْنَ ظَهْرِي الْقَوْمِ أَحَدَهُمْ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٥٥ ، ١٥٦ عن المصنف . وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت

(٥٤) من طريق سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس نحوه .

(٣) تشرف الشيء واستشرفه : وضع يده على حاجبه كالذى يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه .

اللسان (ش ر ف) .

(٤) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥ - ٥) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «أخو» .

فكاد يكون بين أخى المقتول وبين أهل المدينة قتالاً ، حتى ليس الفريقان السلاح ، ثم كف بعضهم عن بعض ، فأتوا موسى فذكروا له شأنهم ، فقالوا : يا رسول الله ، إن هؤلاء قتلوا قتيلاً ثم ردوا الباب . وقال أهل المدينة : يا رسول الله ، قد عرفت اعتراضنا الشرور ، وبنينا مدينة - كما رأيت - نعتزل شرور الناس ، ما قتلنا ولا عَلِمْنَا قاتلاً ، فأوحى الله تعالى ذكْرَهُ إليه أن يذبّحوا بقرة ، فقال لهم موسى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ ^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن عبدة ، قال : كان في بنى إسرائيل رجلٌ عقيمٌ وله مالٌ كثيرٌ ، فقتله ابنُ أخٍ له ، فجزه فألقاه على بابِ ناسٍ آخرين ^(٢) ، ثم أصبحوا فادّعاه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء ، فأرادوا أن يقتلوا ، فقال ذوو النهى منهم : أتقتلون وفيكم نبيُّ الله ؟ فأمسكوا حتى أتوا موسى ، فقصوا عليه القصة ، فأمرهم أن يذبّحوا بقرةً فيضربوه ببعضها ، فقالوا : ﴿ أَنْتَخِذْنَا هُزُوًّا ﴾ . قال : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد : قَتِيلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ طَرِحَ فِي سَبْطٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ فَأَتَى أَهْلَ ذَلِكَ السَّبْطِ إِلَى ذَلِكَ السَّبْطِ ، فقالوا : أنتم والله قتلتم صاحبنا . فقالوا : لا والله . فأتوا إلى موسى فقالوا : هذا قَتِيلُنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، وهم والله قتلوه . فقالوا : لا والله يانبيي الله ، طَرِحَ عَلَيْنَا . فقال لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ ^(١) .

/قال أبو جعفر : فكان اختلافهم وتنازعهم وخصامهم بينهم في أمر القتييل ٣٥٩/١

(١) ينظر ما تقدم في ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) بعده في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أو في آخرين » .

(٣) تقدم بطوله في ص ٧٧ ، ٧٨ .

الذى ذكرنا أمره على ما رَوَيْنَا عن علمائنا من أهل التأويل ، هو الذَّرءُ الذى قال اللهُ
جل ثناؤه لذرِّيَتِهِم وبقايا أولادِهِم : ﴿ فَادْرَأْهُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٧٢) .

ويعنى بقوله : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : واللَّهُ مُعْلِنٌ مَّا كُنْتُمْ تُسِرُّونَهُ
مِن قَتْلِ القَتِيلِ الذى قَتَلْتُمْ ثُمَّ ادَّارَأْتُمْ فِيهِ .

ومعنى « الإخراج » فى هذا الموضع : الإظهارُ والإعلانُ لمن خفى ذلك عنه ،
وإطلاعُهُم عليه ، كما قال اللهُ تعالى ذكره : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الحَبَّ
فِي السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النمل : ٢٥] . يعنى بذلك : يُظهِرُهُ وَيُطْلِعُهُ مِن مَّخْبِئِهِ بَعْدَ
خَفَائِهِ .

والذى كانوا يَكْتُمُونَهُ فأخْرَجَهُ ، هو قَتْلُ القَاتِلِ القَتِيلِ ، كما كَتَمَ ذلك القاتِلُ ومن
عَلِمَهُ مَن شَابَعَهُ على ذلك حتى أظهره اللهُ وأخْرَجَهُ ، فأَعْلَنَ أمرَهُ لِمَن لا يَعْلَمُ أمرَهُ .

وعنَى جَلَّ ذِكْرُهُ بقوله : ﴿ تَكْتُمُونَ ﴾ : تُسِرُّونَ وَتُعْيِيُونَ .

كما حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى
نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ . قال : تُعْيِيُونَ ^(١) .

حَدَّثَنِى المُنْثَى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن
مجاهدٍ : ﴿ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ : ما كُنْتُمْ تُعْيِيُونَ .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ .

يعنى جَلَّ ذِكْرُهُ بقوله : ﴿ فَقُلْنَا ﴾ : لقومِ موسى الذين ادَّارَعُوا فى القَتِيلِ -

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٦ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٤/١ (٧٤٨) . وعزاه السيوطى فى

الذى قد تقدم وَصَفْنَا أمره - اضربوا القتيل . والهَاءُ التى فى قوله : ﴿ اضْرِبُوهُ ﴾ من ذِكْرِ القتيل ، ﴿ بَعْضَهَا ﴾ أى : ببعضِ البقرة التى أمرهم اللّهُ بذبحها فذبحوها .
ثم اختلف العلماء فى البعضِ الذى ضُرب به القتيلُ من البقرة ، وأىُّ عُضْوٍ كان ذلك منها ؛ فقال بعضهم : ضُربَ بفَخِذِ البقرة القتيلُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجیح ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُربَ بفَخِذِ البقرة فقام حيًّا ، فقال : قتلنى فلانٌ . ثم عاد فى مِيتَتِهِ ^(١) .

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبّلى ، عن ابنِ أبى نجیح ، عن مجاهدٍ ، قال : ضُربَ بفَخِذِ البقرة . ثم ذكر مثله .

حدّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، عن النَّضْرِ بنِ عَرَبِيٍّ ، عن عكرمة : ﴿ فقلنا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ . قال : ^(٢) بفَخِذِهَا ، فلمَّا ضُربَ بها ^(٢) عاش وقال : قتلنى فلانٌ . ثم عاد إلى حالِهِ ^(٣) .

/حدّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبّلى ، عن خالدِ بنِ يزيدٍ ، عن ٣٦٠/١ مجاهدٍ ، قال : ضُربَ بفَخِذِهَا الرجلُ فقام حيًّا ، فقال : قتلنى فلانٌ . ثم عاد فى مِيتَتِهِ .

حدّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، قال :

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧٩/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢ - ٢) فى ت ٢ : « ضرب بفخذها » .

(٣) أخرجه وكيع - كما فى الدر المنثور ٧٩/١ - وابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٥/١ (٧٥٢) من طريق النضر ابن عربى به بنحوه .

قال أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبدة : ضربوا المقتول ببعض لحمها . وقال معمر : قال قتادة : ضربوه بلحم الفخذِ فعاش ، فقال : قتلتني فلان^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنهم ضربوه بفخذها فأحياه الله ، فأبأ بقاتله الذي قتله وتكلم ، ثم مات^(٢) .

وقال آخرون : الذي ضرب به منها هو البضعة^(٣) التي بين الكتفين .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ فَكُلْنَا أَصْرِيُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ : فـضـرـبـوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش ، فسأله : من قتلك ؟ فقال لهم : ابن أخي^(٤) .

وقال آخرون : الذي أمرُوا أن يضربوه به منها عظمٌ من عظامها .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني الثني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : أمرهم موسى أن يأخذوا عظمًا منها فيضربوا به القتل ، ففعلوا ، فرجع إليه رُوحه ، فسَمي لهم قاتله ثم عاد ميتًا كما كان ، فأخذ قاتله - وهو الذي أتى موسى فشكا إليه - فقتله الله على أسوأ عمله^(٥) .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٤٩ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٥/١ عقب الأثر (٧٥٢) معلقًا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧٩/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) البضعة : القطعة من اللحم . اللسان (ب ض ع) . والمراد به غضروف الكتف كما سيأتي في كلام المصنف .

(٤) تقدم مطولاً في ص ٨٠ .

(٥) تقدم مطولاً في ص ٧٨ .

وقال آخرون بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ضربوا الميت ببعض آرابها^(١) ، فإذا هو قاعدٌ ، قالوا : من قتلك ؟ قال : ابن^(٢) أخي . قال : وكان قتله وطرحه^(٣) على ذلك السبط ، أراد أن يأخذ دية^(٤) .

والصواب من القول في تأويل قوله عندنا : ﴿ فَكُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ . أن يقال : أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليخيا المضروب . ولا دلالة في الآية ، ولا خبر تقوم به حجة ، على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به . وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف وغير ذلك من أبعاضها . ولا يضرب الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل ، ولا ينفع العلم به ، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها ، فأحياه الله .

فإن قال قائل : وما كان معنى الأمر بضرب القتيل ببعضها ؟

قيل : ليخيا فينبئ نبي الله موسى ﷺ والذين أذرعوا فيه من قاتله .

فإن قال قائل : وأين الخبر عن أن^(١) الله جل ثناؤه أمرهم بذلك لذلك ؟ قيل : ترك ذلك اكتفاءً بدلالة ما ذكر من الكلام الدال عليه ، نحو الذي ذكرنا من نظائر ذلك فيما مضى .

(١) الإرب : العضو ، والجمع آراب . اللسان (أ ر ب) .

(٢) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « طرح » .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٨١ ، ٨٢ .

ومعنى الكلام : فقلنا : اضربوه ببعضها ليتخيا . فضرَبوه فحى - كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ ﴾ [الشعراء : ٦٣] . والمعنى : / فضرِب فانفَلَقَ - يدلُّ على ذلك قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُعْجِبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَيِّدُكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُعْجِبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقوله : ﴿ كَذَلِكَ يُعْجِبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . مخاطبةٌ مِنَ اللَّهِ عباده المؤمنين ، واحتجاجٌ منه على المشركين المكذِّبين بالبعث ، ^١ « وأمرهم بالاعتبار ^١ بما كان منه جل ثناؤه من إحياء قتيلِ بنى إسرائيلَ بعد مماتِهِ فى الدنيا ، فقال لهم تعالى ذكره : أيها المكذِّبون بالبعثِ بعد المماتِ ، اعتَبِرُوا بإحيائى هذا القتيلَ بعد مماتِهِ ، فإنى كما أحييته فى الدنيا فكذلك أُحيى الموتى بعد مماتِهِمْ ، فأبعثهم يومَ البعثِ .

فإنما احتجَّ جل ذكره بذلك على مُشْرِكى العربِ وهم قومُ أمِّيِّون لا كتاب لهم ؛ لأن الذين كانوا يعلمون علمَ ذلك من بنى إسرائيلَ كانوا بين أظهرهم وفيهم نزلت هذه الآياتُ ، فأخبرهم جل ذكره بذلك ليتعرَّفوا علمَ من قبلهم .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ وَيُزَيِّدُكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٣) .

يعنى جلُّ ذكره : ويُزيِّدكم اللهُ أيها الكافرون المكذِّبون بحمدي ﷺ ، وبما جاء به من عندِ اللهِ من آياته - وأياته : أعلامه وحججه الدالة على نُبوتِهِ - لَتَعْقِلُوا وَتَفْهَمُوا أنه مُحِيقٌ صادقٌ فتؤمنوا به وتتبعوه .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ .

يعنى بذلك كُفَّارَ بنى إسرائيل ، وهم - فيما ذكر - بنو أخى المقتول ، فقال لهم : ثم قَسَتْ قلوبكم . أى : جَفَتْ وغلُظت وَعَسَتْ ، كما قال الراجز^(١) :

وَقَدْ قَسَوْتُ وَقَسَا لُدَّتِي^(٢)

يُقَالُ : قسا وعسا وعتا ، بمعنى واحد ، وذلك إذا جفا وغلُظ وصلب . يُقَالُ منه : قسا قلبه يَقْسُو قَسْوًا وَقَسُوهُ وَقَسَاوَةً وَقَسَاءً .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ : من بعد أن أحيا المقتول لهم الذى أدارعوا فى قتله ، فأخبرهم بقاتله ، وما السبب الذى من أجله قتله . كما قد وصفنا قبل على ما جاءت به^(٣) الآثار والأخبار ، وفصل الله تعالى ذكره بخبره بين الحقيق منهم والمبطل . وكانت قساوة قلوبهم التى وصفهم الله بها أنهم - فيما بلغنا - أنكروا أن يكونوا هم قتلوا القتيل الذى أحياه الله ، فأخبر بنى إسرائيل بأنهم كانوا قتلته بعد إخباره إياهم بذلك ، وبعد ميثته الثانية .

كما حدثنى محمد بن سعيد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، / عن ابن عباس ، قال : لما ضرب المقتول ببعضها - يعنى ٣٦٢/١ ببعض البقرة - جلس حيناً^(٤) ، فقيل له : من قتلك ؟ فقال : بنو أخى قتلونى . ثم قبض ، فقال بنو أخيه حين قبض : والله ما قتلناه . فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه ، فقال الله : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ : يعنى بنى أخى [١٠٤/١] الشيخ ، ﴿ فِيهِمْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً ﴾^(٥) .

(١) مجاز القرآن ١/١٥٨ .

(٢) فى النسخ : « لدنى » . والمثبت من مجاز القرآن ، واللدة : الثرب ، وهو الذى يولد معك فى وقت واحد . التاج (و ل د) .

(٣) سقط من : م ، ت ٢ .

(٤) بعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ما كان قط » .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٢/١ عن عطية العوفى به . (تفسير الطبرى ٩/٢)

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ . يقول : من بعد ما أراهم الله من إحياء الموتى ، وبعد ما أراهم من أمر القتل ما أراهم ، ﴿ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾^(١) .

^(٢) حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ : من بعد هذه الآية ، ﴿ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾^(٢) .

^(٣) حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حدثنا آدم ، قال : حدثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾^(٣) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ فِيهِ ﴾ . قلوبكم ، يقول : ثم صلبت قلوبكم - بعد إذ رأيتم الحق فبتيتتموه وعرفتموه - عن الخضوع له والإذعان لواجب حق الله عليكم ، فقلوبكم كالحجارة صلابة ويؤسأ ، وغلظاً وشدة ، أو أشد صلابة - يعنى قلوبكم - عن الإذعان لواجب حق الله عليهم ، والإقرار له باللازم من حقوقه لهم من الحجارة .

فإن سأل سائل فقال : وما وجه قوله : ﴿ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ و « أو » عند أهل العربية إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك ، والله تعالى جل ذكره غير جائز في خبره الشك ؟

قيل : إن ذلك على غير الوجه الذى توهمته من أنه شك من الله جل ذكره فيما

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٦/١ (٧٥٧) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ٢ . والأثر فى تفسير عبد الرزاق ٥٠/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١ ١٤٦ (٧٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

أخبر عنه ، ولكنه خبرٌ منه عن قلوبهم القاسية أنها - عند عباده الذين هم أصحابها الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله - كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة عندهم وعند من عرف شأنهم ، وقد قال في ذلك جماعة من أهل العربية أقوالاً ؛ فقال بعضهم : إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَمَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾ . وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي بـ « أو » كقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴾ [الصفات : ١٤٧] . وكقول الله جل ذكره : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] . فهو عالم أي ذلك كان . قالوا : ونظير ذلك قول القائل : أكلت بُشرة أو رُطبة . وهو عالم أي ذلك أكل ، ولكنه أبهم على المخاطب ، كما قال أبو الأسود الديلمي^(١) :

أحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيئَا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رَشْدًا أَصْبَهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غَيَا

قالوا : ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكاً في أن حُب من سُمي رَشْدًا ، ولكنه أبهم على من خاطبه به . وقد ذُكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الآيات قيل له : شككت ؟ فقال : كلا والله . ثم انتزع^(٢) بقول الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ . فقال : أو كان شاكاً من أخبر بهذا في الهدى من الضلال !؟

وقال بعضهم : ذلك كقول القائل : ما أطعمتك إلا حُلوا أو حامضاً . وقد أطعمه النوعين جميعاً . / فقالوا : فقائل ذلك لم يكن شاكاً أنه قد أطعم صاحبه الحلو ٣٦٣/١ والحامض كليهما ، ولكنه أراد الخبر عمّا أطعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين .

(١) ديوانه (نفائس المخطوطات) ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انتزع : تمل . التاج . (ن ز ع) .

قالوا: فكذلك قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾. وإنما معناه: فقلوبهم لا تَخْرُجُ من أحدِ هذينِ المثلينِ؛ إما أن تكونَ مثلاً للحجارة في القسوة، وإما أن تكونَ أشدَّ منها قسوةً. ومعنى ذلك على هذا التأويلِ: فبعضُها كالْحِجَارَةِ قسوةً، وبعضُها أشدُّ قسوةً من الحجارة.

وقال بعضهم: «أو» في قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾. بمعنى: وأشدُّ قسوةً. كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمُونَ مِنْهُمْ رِيشًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]. بمعنى: وكفورًا. وكما قال جريرُ بنُ عطية^(١):

نال الخلافةَ أو كانت له قدرًا كما أتى رَبُّهُ موسى على قَدَرٍ
يعنى: نال الخلافةَ وكانت له قدرًا. وكما قال النابغة^(٢):

قَالَتْ^(٣) أَلَا لَيْتِمَا^(٣) هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ^(٤) نِصْفُهُ فَقَدٍ^(٥)
يريدُ: ونصفه.

وقال آخرون: «أو» في هذا الموضع بمعنى «بل». فكان تأويله عندهم: فهى كالحجارة بل أشدُّ قسوةً. كما قال جل ثناؤه: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾. بمعنى: بل يزيدون^(٦).

(١) تقدم البيت في ٣٥٥/١.

(٢) ديوانه ص ١٦.

(٣ - ٣) في الديوان: «فإليتما».

(٤) في الديوان: «و».

(٥) فقد: حسب. اللسان (ق د د).

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٧٢/١.

وقال آخرون: معنى ذلك: فهي كالحجارة أو أشد قسوة عندكم.

قال أبو جعفر: ولكلُّ ممَّا قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجهًا ومخرَج في كلام العرب، غير أن أعجب الأقوال إلى^(١) في ذلك ما قلناه أولًا، ثم القول الذي ذكرناه عمن وجه ذلك إلى أنه بمعنى: فهي أوجه في القسوة من أن تكون كالحجارة أو أشد. على تأويل أن منها كالحجارة، ومنها أشد قسوة؛ لأن «أو» وإن استعملت في أماكن من أماكن «الواو» حتى يلتبس معناها ومعنى «الواو» - لتقارب معنيتهما في بعض تلك الأماكن - فإن أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين، فتوجيهها إلى أصلها -^(٢) من وجد^(٣) إلى ذلك سبيلًا - أعجب إلى من إخراجها عن أصلها ومعناها المعروف لها.

قال: وأما الرفع في قوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾. فمن وجهين؛ أحدهما: أن يكون عطفًا على معنى الكاف التي في قوله: ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾. لأن معناها الرفع؛ وذلك أن معناها معنى «مثل»: فهي مثل الحجارة أو أشد قسوة من الحجارة.

والوجه الآخر: أن يكون مرفوعًا على معنى تكرير «هي» عليه، فيكون تأويل ذلك: فهي كالحجارة أو هي أشد قسوة من الحجارة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾.

يعنى بقوله جل ذكره: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾: وإن

(١) في ت ١، ت ٢، ت ٣: «التي».

(٢ - ٣) كذا في النسخ، ولعل الصواب: ما وجدنا، أو: متى وجدنا.

من الحجارة لحجارة^(١) يَتَفَجَّرُ منها الماء الذي تكون منه الأنهار. فاستغنى^(٢) بذكر الأنهار عن ذكر الماء^(٣)، وإنما دُكر فليل: ﴿ مِنْهُ ﴾ للفظ «ما».

والتفجُّرُ التَّفْعُلُ من: تَفَجَّرَ^(٤) الماء، وذلك إذا تنزل خارجًا من منبعه، وكلُّ سائلٍ شَخَصَ خارجًا من موضِعِهِ ومكانِهِ فقد [١٠٦/٣] انفجر، ماءً كان ذلك أو دمًا أو صديدًا أو غير ذلك، ومنه قولُ عُمَرَ بنِ لَجَأٍ^(٥):

٣٦٤/١ /وَلَمَّا أَنْ قُرِنْتُ^(٥) إِلَى جَرِيرٍ أَبِي ذُو بَطْنِيهِ^(٦) إِلَّا انْفِجَارًا
يعنى: إِلَّا خُرُوجًا وَسَيْلَانًا.

القولُ في تأويلِ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾.

يعنى بقوله جلُّ ثناؤه: وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ. وَتَشَقُّهَا تَصَدُّعُهَا، وَإِنَّمَا هِيَ: لَمَّا يَتَشَقَّقُ، وَلَكِنَّ التَّاءَ أَدْعَمَتْ فِي الشَّيْنِ فَصَارَتْ شَيْنًا مُشَدَّدَةً.

وقوله: ﴿ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾. يقولُ: فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ^(٧) فَيَكُونُ عَيْنًا نَابِعَةً^(٨) وَأَنْهَارًا^(٩) جَارِيَةً.

القولُ في تأويلِ قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَبْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾.

(١) في م: «حجارة».

(٢) (٢ - ٢) في م، ت ١، ت ٣: «بذكر الماء عن ذكر الأنهار».

(٣) في النسخ: «فجر». والمثبت هو الصواب.

(٤) البيت في طبقات فحول الشعراء ١/٤٣٢، والأغانى ٨/٧٢.

(٥) في النسخ: «قربت». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٦ - ٦) في مصدرى التخريج: «إلا انحدارا».

(٧ - ٧) سقط من: م، ت ٣.

(٨ - ٨) في ت ١، ت ٢، ت ٣: «لا أنهارًا».

قال أبو جعفر : يعنى بذلك جل ثناؤه : وإن من الحجارة لما^(١) يهبط - أى : يتردى - من رأس الجبل إلى الأرض والسفح من خوف الله وخشيته . وقد دللنا على معنى الهبوط فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(٢) .
وأذخلت هذه الألامات اللواتى فى « ما » توكيداً للخبر .

وإنما وصف الله تعالى ذكره الحجارة بما وصفها به - من أن منها^(٣) المتفجر منه^(٤) الأنهار ، وأن منها المتشقق بالماء ، وأن منها الهابط من خشية الله ، بعد الذى جعل منها لقلوب الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى إسرائيل مثلاً - معذرة منه جل ثناؤه لها دون الذين أخبر عن قسوة قلوبهم من بنى إسرائيل ؛ إذ كانوا بالصفة التى وصفهم الله بها من التكذيب برؤسليه والجحود لآياته بعد الذى أراهم من الآيات والعبير ، وعابتوا من عجائب الأدلة والحجج ، مع ما أعطاهم تعالى ذكره من صحة العقول ، ومن به عليهم من سلامة النفوس التى لم يُعْطِها الحجر والمدر ، ثم هو مع ذلك منه ما يتفجر بالأنهار ، ومنه ما يتشقق بالماء ، ومنه ما يهبط من خشية الله ، فأخبر تعالى ذكره أن من الحجارة ما هو أليّن من قلوبهم لما^(٥) يُدْعَوْنَ إليه من الحق .
كما حدّثنا ابنُ حمّيد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق^(٦) .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

(١) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحجارة » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١ / ٥٧١ .

(٣) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منها » .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عما » .

(٦) سيرة ابن هشام ١ / ٥٣٦ ، وعراه السيوطى فى الدر المنثور ١ / ٨١ ، إلى المصنف وابن إسحاق وابن أبى حاتم . وهو عند ابن أبى حاتم ١ / ١٤٧ (٧٦٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . وينظر تفسير ابن كثير ١ / ١٦٢ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبِكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾. قال: كلُّ حجرٍ يتفجَّرُ منه الماءُ، أو يَشَقُّ عن ماءٍ، أو يتردَّى من رأسِ جبلٍ، فهو من خشيةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، نزل بذلك القرآن^(١).

حَدَّثَنِي المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ مثله.

حَدَّثَنِي بشرٌ بنُ معاذٍ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾. ثم عذرَ الحجارَةَ ولم يَعدِرْ شَقِيَّ ابنِ آدمَ، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

حَدَّثَنَا الحسَنُ بنُ يحيى، قال: أخبرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قتادةٍ مثله.

/حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ سعيدٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، قال: حَدَّثَنِي عُمِي، قال: حَدَّثَنِي أَبِي، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ، قال: ثم عذرَ اللَّهُ الحجارَةَ فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ﴾^(٣).

٣٦٥/١

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٧، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٧/١ (٧٦٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد.

(٢) تقدم أوله في ص ١٣٠.

(٣) تقدم أوله منه في ص ١٢٩.

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قَالَ : ثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ أَنَّهُ قَالَ فِيهَا : كُلُّ حَجَرٍ انْفَجَرَ مِنْهُ مَاءٌ ، أَوْ تَشَقَّقَ عَنْ مَاءٍ ، أَوْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ ، فَمِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ .

ثم اختلف أهل النحو في معنى هُبُوطٍ ما هَبَطَ مِنَ الْحَجَارَةِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ .
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ هَبُوطٌ مَا هَبَطَ مِنْهَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ : تَفَيُّؤٌ ظَلَالِيهِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : ذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي صَارَ دَكًّا إِذْ تَجَلَّى لَهُ رَبُّهُ ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ كَانَ مِنْهُ ، وَيَكُونُ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَعْطَى بَعْضَ الْحَجَارَةِ الْمَعْرِفَةَ وَالْفَهْمَ ، فَعَقَلَ طَاعَةَ اللَّهِ فَأَطَاعَهُ ، كَالَّذِي رُوِيَ عَنِ الْجُدْعِ الَّذِي كَانَ يَسْتَبِيدُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ ، فَلَمَّا تَحَوَّلَ عَنْهُ حَنَّ ^(٣) . وَكَالَّذِي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ حَجْرًا كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ قَوْلُهُ : ﴿ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ . كَقَوْلِهِ : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ [الكهف : ٧٧] . وَلَا إِرَادَةَ لَهُ . قَالُوا : وَإِنَّمَا أُرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ عِظَمِ أَمْرِ اللَّهِ يُرَى كَأَنَّهُ هَابِطٌ خَائِشِعٌ مِنْ ذُلِّ خَشْيَةِ اللَّهِ ، كَمَا قَالَ زَيْدُ الْحَيْلِ ^(٥) :

بِجَمْعِ تَضِلُّ الْبُلْتُقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأُكْمَ فِيهَا سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ

(١) يشير إلى الآية ٤٨ من سورة النحل ٤٨ .

(٢) يعني الآية ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) أخرجه أحمد ١١٧/٢٢ ، ١٨٧ ، (١٤٢٠٦ ، ١٤٢٨٢) ، والبخاري (٣٥٨٤) من حديث جابر . وينظر البداية والنهاية ٦٧٩/٨ .

(٤) أخرجه الطيالسي (٨١٨) ، وأحمد ٨٩/٥ (الميمنية) ، ومسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة . وينظر البداية والنهاية ٦٩٤/٨ .

(٥) تقدم البيت في ٧١٥/١ .

وكما قال سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ يَصِفُ عَدُوًّا لَهُ يُرِيدُ أَنَّهُ ذَلِيلٌ^(١) :

سَاجِدَ الْمُنْحَرِ إِذْ يَرْفَعُهُ خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمٌ^(٢) الْمُسْتَمَعِ
وكما قال جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ^(٣) :

لَمَّا أَتَى خَبِيرُ الرَّسُولِ تَضَعُّعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْحُشَّعِ
وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ يَهَيْطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ . أى : يُوجِبُ الخَشْيَةَ
لغيره بدلالته [١٠٦/١] على صانعه ، كما قيل : نَاقَةٌ تَاجِرَةٌ : إِذَا كَانَتْ مِنْ نَجَابَتِهَا
وفراستها تدعو الناس إلى الرغبة فيها ، كما قال جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ^(٤) :

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهَانَ أَمَا نَهَارُهُ فَأَعْمَى وَأَمَا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ
فجعل الصفة لليل والنهار ، وهو يُرِيدُ بذلك صاحبه النَّبْهَانِيَّ الذى يَهْجُوهُ مِنْ
أَجْلِ أَنَّهُ فِيهِمَا كَانَ مَا وَصَفَهُ بِهِ .

وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى مَّا تَحْتَمِلُهُ الآية من التأويل ، فإن
تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها ، فلذلك لم نَسْتَجِزْ صرفَ تأويل
الآية إلى معنى منها .

وقد دللنا فيما مضى على معنى الخشية ، وأنها الرهبة والخافة ، فكرهنا إعادة
ذلك فى هذا الموضع^(٥) .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ .

(١) البيت فى المفضليات ص ٢٠١ ، والأضداد لابن الأنبارى ص ٢٩٥ .

(٢) فى ت ٢ ، ت ٣ : « أذل » .

(٣) تقدم البيت فى ١/٦٢٣ ، والرواية هناك : « خير الزبير تواضعت » . وكذا فى الديوان .

(٤) تقدم البيت فى ١/٣٣٢ .

(٥) تقدم البيت فى ١/٥٩٨ .

يعنى بقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: وما الله بغافلٍ - يا معشر المكذبين بآياته، والجاحدين / نبوة رسوله محمد ﷺ، والمتقولين عليه الأباطيل من بنى إسرائيل وأحبار اليهود - عما تعملون من أعمالكم الخبيثة، وأفعالكم الرديئة، ولكنه يُحصيها عليكم، فيجازيكم بها فى الآخرة أو يعاقبكم بها فى الدنيا.

وأصل العفلة عن الشيء تزكته على وجه السهو عنه والنسيان له. فأخبرهم تعالى ذكره أنه غير غافلٍ عن أفعالهم الخبيثة ولا ساهٍ عنها، بل هو لها مُخصٍ، ولها حافظ.

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿أَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾.

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿أَنْظَمُونَ﴾. أصحاب^(١) محمد. ^(٢) يقول: ﴿أَنْظَمُونَ﴾^(٢) أى: أفتزجون يا معشر المؤمنين بمحمد ﷺ، والمصدقين ما جاءكم به من عند الله، أن يؤمن لكم يهود بنى إسرائيل.

ويعنى بقوله: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: أن يُصدقوكم بما جاءكم به نبيكم ﷺ محمد من عند ربكم.

كما حدثت عن عمار بن الحسن، عن ابن أبى جعفر، عن أبيه، عن الربيع فى قوله: ﴿أَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾: يعنى أصحاب محمد ﷺ أن يؤمنوا لكم، يقول: أفتظمعون أن يؤمن لكم اليهود^(٣)؟

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿أَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ الآية. قال: هم اليهود^(٤).

(١) فى م: «يا أصحاب».

(٢) - ٢) سقط من: م.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٨/١ (٧٦٩) من طريق ابن أبى جعفر به.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد.

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ .

قال أبو جعفر : أما « الفريق » فجمع ، كالمطائفة ، لا واحد له من لفظه ، وهو « فصيل » من « التفريق » ، سُمي به الجماع كما سُميت الجماعة بـ « الحزب » من « التحزب » ، وما أشبه ذلك ، ومنه قول أعشى بنى تغلبة^(١) :

أجدوا^(٢) فلما خفت أن يتفرقوا فریقین منهم مُصعبٌ ومُصوبٌ^(٣)

يعنى بقوله : ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ : من بنى إسرائيل . وإنما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعدهم من بنى إسرائيل ، من اليهود الذين قال الله لأصحاب محمد ﷺ : ﴿ أَنْظِمُونِ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ . لأنهم كانوا آباءهم وأسلافهم ، فجعلهم منهم إذ كانوا عشائرهم وفرطهم وأسلافهم ، كما يذكر الرجل اليوم الرجل ، وقد مضى على منهاج الذاكر وطريقته ، وكان من قومه وعشيرته ، فيقول : كان منا فلان . يعنى أنه كان من أهل طريقته ومذهبه ، أو من قومه وعشيرته ، فكذلك قوله ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ .

/القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

٣٦٧/١

اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم بما حدثني به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي

(١) ديوان الأعشى ص ٢٠١ .

(٢) فى م : « أخذوا » . وأجد فى السير : أسرع فيه . اللسان (ج د د) .

(٣) التصويب : الانحدار وهو خلاف التصعيد . اللسان (ص و ب) .

نَجِيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ أَنْظِمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : فالذين يُحَرِّفُونَهُ والذين يَكْتُمُونَهُ هم العلماء منهم ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ بِنَحْوِهِ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : ثنا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ أَنْظِمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . قَالَ : هِيَ التَّوْرَةُ حَرَّفُوهَا ^(٢) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ . قَالَ : التَّوْرَةُ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِمْ يُحَرِّفُونَهَا ، يَجْعَلُونَ الْحَلَالَ فِيهَا حَرَامًا ، وَالْحَرَامَ فِيهَا حَلَالًا ، وَالْحَقَّ فِيهَا بَاطِلًا ، وَالْبَاطِلَ فِيهَا حَقًّا ، إِذَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ بِرِشْوَةٍ أَخْرَجُوا لَهُ كِتَابَ اللَّهِ ، وَإِذَا جَاءَهُمُ الْمُبْطَلُ بِرِشْوَةٍ أَخْرَجُوا لَهُ ذَلِكَ الْكِتَابَ فَهُوَ فِيهِ مُحَقَّقٌ ، وَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَسْأَلُهُمْ شَيْئًا لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ وَلَا رِشْوَةٌ وَلَا شَيْءٌ أَمَرُوهُ بِالْحَقِّ ، فَقَالَ لَهُمْ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ [١٠٧/٣] الْحَسَنِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٩/١ (٧٧٣) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٩/١ (٧٧٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٥/١ عن ابن وهب به .

كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ : فكانوا يَسْمَعُونَ مِنْ ذَلِكَ كَمَا يَسْمَعُ أَهْلُ الثَّبَوَةِ ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقٍ في قوله : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ الآية . قال : ليس قوله : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ : يَسْمَعُونَ التوراةَ ، كلُّهم قد سمعها ، ولكنَّهم الذين سألوا موسى رؤيةَ ربِّهم فأخذتهم الصاعقةُ فيها ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، قال : بلغني عن بعضِ أهلِ العلمِ أنهم قالوا للموسى : يا موسى ، قد حِيلَ بيننا وبينَ رؤيةِ اللَّهِ عز وجل ، فَأَسْمِعْنَا كَلِمَتَهُ حِينَ يُكَلِّمُكَ . فطلبَ ذلك موسى إلى ربِّه ، فقال : نعم ، فمُرهم فليَتَطَهَّرُوا ، وليُطَهِّرُوا ثيابَهم ، ويَصُومُوا . ففعلوا ، ثم خرجَ بهم حتى أتى الطُّورَ ، فلما غَشِيَهُمُ الغَمَامُ أمرهم موسى عليه السلامُ فوقعوا سجودًا ، وكلمه ربُّه ، فسمعوا كَلِمَتَهُ يَأْمُرهم وَيَنْهَاهم ، / حتى عَقَلُوا ما سَمِعُوا ، ثم انصَرَفَ بهم إلى بنى إسرائيلَ ، فلما جاءهم حَرْفُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ما أمرهم به ، وقالوا حين قال موسى لبنى إسرائيلَ : إن اللَّهَ قد أمركم بكذا وكذا . قال ذلك الفريقتُ الذى ذكَّره اللهُ : إنما قال كذا وكذا . خلافاً لما قال اللهُ عز وجل لهم ، فهم الذين عَنَى اللهُ لرسوله محمدٍ ﷺ ^(٣) .

٣٦٨/١

وَأَوْلَى التَّوَالِينِ الَّذِينَ ذَكَرْتُ بِالْآيَةِ وَأَشْبَهُهُمَا بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّلَاوَةِ ، مَا قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ ، وَالَّذِي حَكَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٨/١ (٧٧١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٨/١ (٧٧٠) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٤٨/١ (٧٧٢) من طريق سلمة به ، إلى قوله : ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل . وذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٤/١ عن ابن إسحاق به ، مطولاً .

ذِكْرُهُ إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ مَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَمَاعَ مُوسَى إِيَّاهُ مِنْهُ ، ثُمَّ حَرَّفَ ذَلِكَ وَبَدَّلَ مِنْ بَعْدِ سَمَاعِهِ وَعَلِمِهِ بِهِ وَفَهَمِهِ إِيَّاهُ . وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّ التَّحْرِيفَ كَانَ مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، اسْتِعْظَامًا مِنَ اللَّهِ لِمَا كَانُوا يَأْتُونَ مِنَ الْبَهْتَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمُ وَالْبِرْهَانِ ، وَإِذَانًا مِنْهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَطَعَ أَطْمَاعَهُمْ مِنْ إِيْمَانِ بَقَايَا نَسْلِهِمْ بِمَا أَتَاهُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْحَقِّ وَالنُّورِ وَالْهُدَى ، فَقَالَ لَهُمْ : كَيْفَ تَطْمَعُونَ فِي تَصَدِيقِ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ إِيَّاكُمْ ، وَإِنَّمَا تُخْبِرُونَهُمْ - بِالَّذِي تُخْبِرُونَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ غَيْبٍ لَمْ يُشَاهِدُوهُ وَلَمْ يُعَايِنُوهُ ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ كَلَامَهُ وَأَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، ثُمَّ يُبَدِّلُهُ وَيُحَرِّفُهُ وَيَجْحَدُهُ ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مِنْ بَقَايَا نَسْلِهِمْ أُخْرَى أَنْ يَجْحَدُوا مَا أَتَيْتُمُوهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْكُمْ - وَأَقْرَبُ إِلَى أَنْ يُحَرِّفُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَةِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَعْتِهِ ، وَيُبَدِّلُوهُ وَهُمْ بِهِ عَامِلُونَ ، فَيَجْحَدُوهُ وَيُكْذِبُوا - مِنْ أَوْلِيائِهِمُ الَّذِينَ بَاشَرُوا كَلَامَ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ثُمَّ حَرَّفُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَعَلِمُوهُ ، مُتَعَمِّدِينَ التَّحْرِيفَ .

ولو كان تأويل الآية على ما قاله الذين زعموا أنه عنى بقوله : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ : يَسْمَعُونَ التوراة . لم يكن لذكر قوله : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ . معنى مفهوم ؛ لأن ذلك قد سمعه الحرف منهم وغير الحرف ، فخصوص الحرف منهم بأنه كان يسمع كلام الله - إن كان التأويل على ما قاله الذين ذكرنا قولهم دون غيرهم ممن كان يسمع ذلك سماعهم - لا معنى له .

فإن ظنَّ ظانٌّ إنما صلح أن يقال ذلك لقوله : ﴿ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ . فقد أغفل وجه الصواب في ذلك ، وذلك أن ذلك لو كان كذلك لقليل : أفتطمعون أن يؤمنوا لكم

وقد كان فريقٌ منهم يُحَرِّفُونَ كَلامَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . ولكنه جل ثناؤه أَخْبَرَ عن خاصٍّ من اليهودِ كانوا أُعْطُوا ، مِنْ مُبَاشَرَتِهِمْ سَمَاعَ كَلامِ اللَّهِ تَعَالَى ، ما لم يُعْطَهُ أَحَدٌ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ، ثم بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا ما سَمِعُوا مِنْ ذلك ، فَذلك وَصَفَهُمْ بِما وَصَفَهُمْ بِهِ لِلخُصُوصِ الَّذِي كان خَصَّ بِهِ هؤُلاءِ الْفَرِيقَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ فِي كِتابِهِ تَعَالَى ذِكرُهُ .

ويعنى بقوله : ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ : ثم يُبَدِّلُونَ مَعْنَاهُ وَتَأْوِيلَهُ وَيُغَيِّرُونَهُ . وَأَصْلُهُ مِنْ انْحِرَافِ الشَّيْءِ عَنِ جِهَتِهِ ، وَهُوَ مِيلُهُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا ، فَكَذلك قَوْلُهُ : ﴿ يُحَرِّفُونَهُ ﴾ . أَى : يُبَيِّلُونَهُ عَنِ وَجْهِهِ وَمَعْنَاهُ الَّذِي هُوَ مَعْنَاهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَأَخْبَرَ اللَّهُ جَلْ ثَناءُؤُهُ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما فَعَلُوا مِنْ ذلك عَلى عَلمٍ مِنْهُمْ بِتَأْوِيلِ ما حَرَّفُوا ، وَأَنَّهُ بِخِلافِ ما حَرَّفُوهُ إِلَيْهِ ، فَقال : ﴿ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ ﴾ . يعنى : مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوا تَأْوِيلَهُ ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . أَى : يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ فِي تَحْرِيفِهِمْ ما حَرَّفُوا مِنْ ذلك مُبْطِلُونَ كاذِبُونَ . وَذلك إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَناءُؤُهُ عَنِ إِقْدامِهِمْ عَلى البُهْتِ ، وَمُنَاصِبَتِهِمُ العِداوَةَ لَهُ وَلرِسالِهِ موسى ﷺ ، وَأَنْ بَقاياهم - مِنْ مُنَاصِبَتِهِمُ العِداوَةَ لِلَّهِ وَلرِسالِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَغِيًا وَحَسَدًا - عَلى مِثْلِ الَّذِي كان عَلَيْهِ أوائِلُهُمْ مِنْ ذلك فِي عَصْرِ موسى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ .

القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ﴾

أما قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا ﴾ . فَإِنَّه خَبَرٌ [١٠٧/٣] مِنَ اللَّهِ جَلْ ذِكرُهُ عَنِ الَّذِينَ أَيَّاسُ أَصْحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ إِيمانِهِمْ - مِنْ يهودِ بَنى إِسرائِيلَ الَّذِينَ كان فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ - وَهُمْ الَّذِينَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرِسالِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ قالُوا : آمَنَّا . يعنى

بذلك أنهم إذا لقوا الذين صدّقوا بالله وبمحمد ﷺ رسوله^(١) ، وبما جاء به من عند الله قالوا : آمنا . أى : صدّقنا بمحمد وبما صدّقتم به ، وأقررنا بذلك . أخبر الله عز وجل عنهم أنهم تخلّقوا بأخلاق المنافقين وسلّكوا منهاجهم .

كما حدّثنى محمد بن سعيد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عمى ، قال : حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنًا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . وذلك أن نفراً من اليهود كانوا إذا لقوا محمداً ﷺ قالوا : آمنا . وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم .

حدّثنا أبو كرييب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عماره ، عن أبى رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنًا ﴾ : يعنى المنافقين من اليهود كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا : آمنا^(٢) .

وقد روى عن ابن عباس فى تأويل ذلك قول آخر ، وهو ما حدّثنا به ابن حُميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنًا ﴾ . أى : بصاحبكم^(٣) رسول الله ﷺ ، ولكنه إليكم خاصة^(٤) .

حدّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدّى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنًا ﴾ الآية . قال : هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا^(٥) .

(١) سقط من : م .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٥/١ عن الضحاك به .

(٣) فى ت ٢ ، ت ٣ : « صاحبكم » .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٥/١ عن ابن إسحاق به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٤٩/١ (٧٧٩) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ . أى : إذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف الله / صفتهم - إلى بعض منهم ، فصاروا فى خلأء من الناس غيرهم ، وذلك هو الموضع الذى ليس فيه غيرهم ، ﴿ قَالُوا ﴾ يعنى قال بعضهم لبعض : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ .

٣٧٠/١

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم بما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمارة ، عن أبى رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . يعنى : بما أمركم الله به . فيقول الآخرون : إنما نستَهزئُ بهم ونضحك .

وقال آخرون بما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا ﴾ . أى : بصاحبكم ^(١) رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة . وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا : لا تُحَدِّثُوا العرب بهذا ، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم . فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ . أى : يُقَرُّون بأنه نبي ، وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يُخبرهم أنه النبي ^(٢) الذى كُنَّا نَتَّظِرُّ وَنَجِدُهُ فى كتابنا ، اجحدوه ولا تُقَرُّوا لهم به . يقول الله :

(١) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « صاحبكم » .

(٢) بعده فى النسخ : « ﷺ » . ولا موضع لها هنا .

﴿ أَوْلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾^(١) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا عَلَىٰكُمْ ﴾ . أى : بما أنزل الله عليكم في كتابكم ، من نعت^(٢) محمد ﷺ^(٣) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة : ﴿ قَالُوا أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا عَلَىٰكُمْ ﴾ . أى : بما من الله عليكم في كتابكم من نعت^(٤) محمد ﷺ ، فإنكم إذا فعلتم ذلك احتجوا به عليكم ، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٥) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا عَلَىٰكُمْ ﴾ لِيَحْتَجُّوا بِهِ عَلَيْكُمْ^(٦) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، قال : قال قتادة : ﴿ أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا عَلَىٰكُمْ ﴾ . يعنى : بما أنزل الله عليكم من أمر محمد ﷺ ونعته^(٧) .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ

(١) تقدم طرف منه فى ص ١٤٥ .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعث » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٠/١ (٧٨١) من طريق آدم به .

(٤) فى ت ٣ : « بعث » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٠/١ ، بزيادة فى أوله .

(٧) فى ت ٢ ، ت ٣ : « بعته » .

رَبِّكُمْ ﴿١﴾ . قال : قولُ يهودَ من قُرَيْظَةَ حينَ سَبَّهمُ النبيُّ ﷺ بأنهم إخوانُ القِرْدَةِ والخنَازيرِ ، قالوا : مَنْ حَدَّثَكَ ؟ هذا حينَ أُرسلَ إليهمَ عليًّا فَأَذَوْا مُحَمَّدًا ، فقال : يا إخوانَ القِرْدَةِ والخنَازيرِ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عن مُجَاهِدٍ مثله ، إِلَّا أَنَّهُ قال : / هذا حينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَذَوْا النَّبِيَّ ﷺ ، [١٠٨/١] فقال : « اخْسَئُوا يَا إِخْوَةَ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ » . ٣٧١/١

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : أَخْبَرَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَرَّةَ ، عن مُجَاهِدٍ في قَوْلِهِ : ﴿ اتَّخَذْتُهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ . قال : قامَ النبيُّ ﷺ يَوْمَ قُرَيْظَةَ تحتَ حُضُونِهِمْ ، فقال : « يا إِخْوَانَ الْقِرْدَةِ ، ويا إِخْوَانَ الْخَنَازِيرِ ، ويا عَبَدَةَ الطَّاغُوتِ » . فقالوا : مَنْ أَخْبَرَ هَذَا مُحَمَّدًا ؟ ما خَرَجَ هَذَا إِلَّا مِنْكُمْ ، ﴿ اتَّخَذْتُهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ : بما حَكَمَ اللَّهُ لِلْفَتْحِ لِيَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ عَلَيْكُمْ . قال ابنُ جُرَيْجٍ ، عن مُجَاهِدٍ : هذا حينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ عليًّا فَأَذَوْا مُحَمَّدًا ﷺ ^(٢) .

وقال آخرون بما حَدَّثَنِي موسى ، قال : ثنا عَمْرُو ، قال : ثنا أَشْبَاطُ ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ قَالُوا اتَّخَذْتُهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ - من العذابِ - ﴿ لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ : هؤلاء ناسٌ من اليهودِ آمَنوا ثم نَافَقُوا ، فكانوا يُحَدِّثُونَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْعَرَبِ بما عُدُّوا به ، فقال بعضهم لبعضٍ : اتَّخَذْتُهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٠/١ (٧٨٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨١/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٦/١ عن ابن جريج به .

العذاب ليقولوا نحن أحب إلى الله منكم ، وأكرم على الله منكم ^(١) .

وقال آخرون بما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ . قال : كانوا إذا سُئِلُوا عن الشيء قالوا : أما تَعْلَمُونَ في التوراة كذا وكذا ؟ قالوا : بلى . قال : وهم يهود . فيقول لهم رؤسائهم الذين يرجعون إليهم : ما لكم تُخبرونهم بالذي أنزل الله عليكم فيحاجُّوكم به عند ربكم ، أفلا تعقلون ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا قَصَبَةُ الْمَدِينَةِ إِلَّا مُؤْمِنٌ » . فقال رؤسائهم من أهل الكفر والنفاق : اذهبوا فقولوا : آمنا . واكفروا إذا رجعتُمْ . قال : فكانوا يأتون المدينة بالبكر ويرجعون إليهم بعد العصر . وقرأ قول الله : ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٢] . وكانوا يقولون إذا دخلوا المدينة : نحن مسلمون . ليعلموا خبر رسول الله ﷺ وأمره ، وإذا رجعوا رجعوا إلى الكفر . فلما أخبر الله نبيه ﷺ بهم ، قطع ذلك عنهم فلم يكونوا يَدْخُلُونَ ، وكان المؤمنون الذين مع رسول الله ﷺ يَظُنُّون أنهم مؤمنون ، فيقولون لهم : ليس قد قال الله لكم كذا وكذا ؟ فيقولون : بلى . فإذا رجعوا إلى قومهم قالوا : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ الآية ^(٢) .

وأصل الفتح في كلام العرب النصر والقضاء والحكم ، يقال منه : اللهم افتح بيني وبين فلان : أي احكم بيني وبينه . ومنه قول الشاعر ^(٣) :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٠/١ (٧٨٣) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٥/١ ، ١٦٦ .

(٣) نسب هذا البيت - على اختلاف في روايته - إلى الأسعر الجعفي ، ومحمد بن حمران ، والأعشى ، وهو في جمهرة اللغة ٤/٢ ، وأمالي القالي ٢٨١/٢ .

أَلَا أُبْلِغُ بَنِي عُضْمِ رَسُولًا بِأَنِّي عَنْ فُتَاخَتِكُمْ غِنِيٌّ
/قال : ويُقال للقاضي : الفُتَاح . ومنه قولُ اللهِ عز وجل : ﴿ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٩] . أى : احكُم بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ .

فإذا كان معنى الفتح ما وَصَفْنَا ، تَبَيَّنَ أن معنى قوله : ﴿ قَالَوَا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا
فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ . إنما هو : أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا حَكَمَ اللهُ بِهِ
عَلَيْكُمْ وَقَضَاهُ فِيكُمْ . وَمِنْ حُكْمِهِ جَلْ ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ بِهِ مِيثَاقَهُمْ مِنْ
الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ بِهِ فِي التَّوْرَةِ ، وَمِنْ قَضَائِهِ فِيهِمْ أَنْ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ
وَالْخَنَازِيرَ . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِهِ وَقَضَائِهِ فِيهِمْ ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ لِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ حُجَّةً عَلَى الْمُكْذِبِينَ بِهِ ^(١) مِنَ الْيَهُودِ الْمُقْرِينَ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ
وَغَيْرِ ذَلِكَ .

فإن كان كذلك ، فالذى هو أَوْلَى عِنْدِي بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ : معنى
ذلك : أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْثِ ^(٢) مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى خَلْقِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلْ
ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا قَصَّ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْآيَةِ الْخَبَرَ عَنْ قَوْلِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ : آمَنَّا بِمَا
جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ . فالذى هو أَوْلَى بِأَخْرِجِهَا أَنْ يَكُونَ نَظِيرَ الْخَبْرِ عَمَّا ابْتَدَى بِهِ
أَوَّلُهَا .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجبُ أن يكونَ تِلَاوُتُهُمْ كَانَ فِيهَا بَيْنَهُمْ فِيمَا
كَانُوا أَظْهَرُوهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ لَهُمْ : آمَنَّا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِمَا جَاءَ
بِهِ . وَكَانَ قِيلُهُمْ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ كَانُوا ^(١) يَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ ، وَكَانُوا

(١) سقط من : م .

(٢) فى ت ١ ، ت ٣ : « نعت » .

يُخْبِرُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ ، فَكَانَ تَلَاؤُهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِذَا خَلَوْا عَلَى مَا كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمَا هُوَ حُجَّةٌ لِّلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُخْبِرُونَهُمْ عَن وَجُودِ نَعْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي كُتُبِهِمْ وَيَكْفُرُونَ بِهِ ، وَكَانَ فَتْحُ اللَّهِ الَّذِي فَتَحَهُ لِّلْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ ، وَحُكْمُهُ عَلَيْهِمْ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ ، أَن يَأْمُرُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ ، فَلَمَّا بُعِثَ كَفَرُوا بِهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِبُيُوتِهِ .

وقوله : ﴿ أَفَلَا نَعْقِلُونَ ﴾ . خبيرٌ من الله تعالى ذكره عن اليهود اللائمين إخوانهم على ما أخبروا أصحاب [١٠٨/١] رسول الله ﷺ بما فتح الله لهم عليهم ، أنهم قالوا لهم : أفلا تفقهون أيها القوم وتفقّلون أن إخباركم أصحاب محمد ﷺ^(١) بما في كتبكم أنه نبيّ مبعوثٌ ، حجةٌ لهم عليكم عند ربكم يحتجّون بها عليكم؟! أي : فلا تفعلوا ذلك ، ولا تقولوا لهم مثل ما قلتم ، ولا تخبروهم بمثل ما أخبرتموهم به من ذلك . فقال جل ثناؤه : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : أَوَلَا يَعْلَمُ هؤُلاءِ اللائمونَ من اليهود إخوانهم من أهلِ مِلَّتِهِمْ - على كونهم^(٢) إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا . وعلى إخبارهم المؤمنين بما في كتبهم من نعتِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ومبعثه ، القائلون لهم : ﴿ أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾ - أَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا يُسِرُّونَ فَيُخْفُونَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي خَلَائِهِمْ ؛ من كفرهم وتلاؤمهم بينهم على إظهارهم ما أظهروا الرسولِ

(١) فى م : « النبى » .

(٢) فى ت ١ ، ٢ ، ٣ : « قولهم » .

اللَّهُ ﷺ وللمؤمنين به من الإقرارِ بِمحمّدٍ ﷺ ، وعلى قِبلهم لهم : آمناً . ونهَى بعضهم بعضاً أن يُخبروا المؤمنين بما فتح اللهُ للمؤمنين عليهم ، وقضى لهم عليهم في كتبهم من حقيقة نبوةِ محمدٍ ﷺ ونعته ومبعثه ، وما يُعلنون فيظهِرونه لمحمدٍ ﷺ ولأصحابه المؤمنين به إذا لقّوهم من قِبلهم لهم : آمناً بِمحمّدٍ ﷺ وبما جاء به . نفاقاً وخداعاً لله ولرسوله وللمؤمنين .

كما حدّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ أَوْلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ ﴾ من كفرهم وتكذيبهم محمداً ﷺ إذا خلا بعضهم إلى بعض ، ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ إذا لقّوا أصحابَ محمدٍ ﷺ قالوا : آمناً . ليوضّوهم بذلك ^(١) .

حدّثني المنثي ، قال : ثنا آدمٌ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ أَوْلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ : يعني ما أسروا من كفرهم بِمحمّدٍ ﷺ وتكذيبهم به ، وهم يجذونه مكتوباً عندهم ، ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ : يعني ما أعلنوا حين قالوا للمؤمنين : آمناً ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ : ومن هؤلاء اليهود الذين قصَّ اللهُ قصصهم في هذه الآيات ، وأيأس أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ من إيمانهم ، فقال لهم : ﴿ أَنْظِمُوهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ . وهم إذا لقّوكم قالوا : آمناً .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥١/١ عقب الأثر (٧٨٧) معلقاً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨١ ، ٨٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥١/١ (٧٨٦ ، ٧٨٨) من طريق آدم به .

كما حَدَّثَنَا الْمُتَنِّي ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ : يعني من اليهود ^(١) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قال : ثنا ^(٢) ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله .

حدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن مُجَاهِدٍ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ . قال : أناسٌ من يهودٍ ^(٣) .

قال أبو جعفرٍ : يعني بـ « الأُمِّيِّينَ » الذين لا يكتبون ولا يقرءون ، ومنه قولُ النبيِّ ﷺ : « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَقْرَأُ » ^(٤) .

يقالُ منه : رجلٌ أمِّي . أى : يئسُ الأُمِّيَّةُ .

كما حَدَّثني الْمُتَنِّي ، قال : حدَّثني سُؤَيْدُ بْنُ نَصْرِ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ . قال : منهم مَنْ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَكْتُبَ ^(٥) .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ . قال : أُمِّيُونَ لَا يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ .

رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلٌ خِلافَ هَذَا الْقَوْلِ ، وهو ما حَدَّثنا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال :

ثنا عثمانُ بْنُ سَعِيدٍ ، عن /بِشْرِ بْنِ عُمَارَةَ ، عن أَبِي رُوَيْحٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ

٣٧٤/١

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٨٩) من طريق آدم به .

(٢ - ٣) في ت ٣ : « أبو جعفر » .

(٣) سيأتي بتمامه في ص ١٥٧ .

(٤) أخرجه أحمد ٤٣/٢ (٥٠١٧) ، والبخاري (١٩١٣) ، ومسلم (١٥٠/١٠٨٠) ، وأبو داود (٢٣١٩) من

حديث ابن عمر .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٩١) من طريق سفيان به نحوه .

عباس : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ . قال : الأُمِّيون قومٌ لم يُصدِّقوا رسولاً أرسله اللهُ ، ولا كتاباً أنزله اللهُ ، فكتبوا كتاباً بأيديهم ، ثم قالوا لقومٍ سفلةٍ جُهَّالٍ : ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . وقال : قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم ، ثم سمَّاهم أُمِّيِينَ لِجُحُودِهِمْ كَتَبَ اللَّهُ وَرُسُلَهُ ^(١) .

وهذا التأويلُ تأويلٌ على خلافٍ ما يُعرفُ من كلامِ العربِ المُستفيضِ بينهم ، وذلك أن الأُمِّيَّ عندَ العربِ هو الذي لا يكتبُ .

قال أبو جعفرٍ : وأرى أنه قيلَ للأُمِّيِّ : أُمِّيٌّ . نسبةً له ، بأنه لا يكتبُ ، إلى أمِّه ؛ لأن الكتابَ كان في الرجالِ دونَ النساءِ ، فُنسِبَ مَنْ لا يكتبُ ولا يخطُّ من الرجالِ إلى أمِّه في جهله بالكتابةِ دونَ أبيه ، كما ذكرنا عن النبيِّ ﷺ من قوله : « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نَحْسُبُ » . وكما قال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢] .

فإذا كان معنى الأُمِّيِّ في كلامِ العربِ ما وصَّفنا ، فالذي هو أوَّلَى بتأويلِ الآيةِ ما قاله النَّخَعِيُّ من أن معنى قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ ﴾ : ومنهم مَنْ لا يُحسِنُ أن يكتبُ .

القولُ في تأويلِ قوله تعالى : ﴿ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ .

يعنى بقوله : ﴿ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ﴾ : لا يعلمون ما في الكتابِ الذي أنزله اللهُ ولا يدرون ما أوَّده اللهُ من [١٠٩/١] حدوده وأحكامه وفرائضه ، كهيئةِ البهائمِ .

كالذي حدَّثني الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةٍ في قوله : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ : إنما هم أمثالُ البهائمِ لا يَعْلَمُونَ شيئاً ^(٢) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/١ إلى المصنف ، وذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٧/١ ، وقال : في صحة هذا عن ابن عباس - بهذا الإسناد - نظر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٥٠ .

حدثنا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ يقولُ^(١): لا يدرون ما فيه^(٢).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا آدمُ، قال: ثنا أبو جعفرٍ، عن الربيعِ، عن أبي العاليةِ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾: لا يَدْرُونَ ما فيه^(٣).

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ، قال: ثنا سَلَمَةُ، عن ابنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ، عن عكرمةَ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ قال: لا يدرون ما^(٤) فيه^(٥).

حدثنا يونسُ^(٦)، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾. لا يَعْلَمُونَ شيئاً؛ لا يَفْرَعُونَ، التوراةُ ليست تُسْتَضْهِهُ، إنما تُقْرَأُ هكذا، فإذا لم يَكْتُبْ أحدهم لم يَسْتَطِيعْ أن يقرأه^(٧).

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، عن بِشْرِ بْنِ عُمَارَةَ، عن أبي رُوَيْقٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾. يقولُ^(٨): لا يَعْرِفُونَ الكتابَ الذي أنزله اللهُ.

قال أبو جعفرٍ: وإنما عَنَى بالكتابِ التوراةَ، ولذلك أُدْخِلَتْ فيه الألفُ واللامُ؛

(١) بعده في م: «لا يعلمون الكتاب و».

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٠) معلقاً.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٠) من طريق آدم به.

(٤) في م: «بما».

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/١ إلى ابن إسحاق.

(٦) في النسخ: «بشر». وهو إسناد دائر.

(٧) في م: «يقرأ».

(٨) سقط من: ت ٢، وفي م: «قال».

لأنه قُصِدَ به كتابٌ معروفٌ بعينه ، ومعناه : ومنهم فريقٌ لا يَكْتُوبُونَ ولا يَدْرُونَ ما فى الكتابِ الذى عَرَفْتُمُوهُ الذى هو عندهم/ وهم يَنْتَحِلُونَهُ ، ويدَّعون الإقرارَ به من أحكامِ اللّهِ وفرائضِهِ وما فيه من حُدُودِهِ التى يَنْتَهِى فِيهَا .

٣٧٥/١

١) واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله : ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ ؛ فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ ، عن أبى رَؤِيقٍ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ . يقولُ : إلَّا قولًا يَقُولُونَهُ ^(٢) بأفواههم كذبًا ^(٣) .

حدثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا آمَانِي﴾ : إلَّا كذبًا ^(٤) .
حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثله .

وقال آخرون بما حدثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ يقولُ : يتمنون على اللّهِ ما ليس لهم ^(٥) .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن

(١ - ١) سقط من النسخ ، وأثبتناها كنهج أبى جعفر فى التفسير .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ : « يقولون » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٢ إلى المصنف .

(٤) بعده فى ت ٢ : « محمد » .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٢ (٧٩٤) . وعزاه السيوطى

فى الدر المنثور ١/٨٢ إلى عبد بن حميد .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٢ عقب الأثر (٧٩٣) معلقًا .

قتادة: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ . يقول: يتمنون على الله الباطل وما ليس لهم^(١) .

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح،^(٢) عن معاوية بن صالح^(٣)، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ . يقول: إلا أحاديث^(٣) .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ . قال: ناس من يهود لم يكونوا يعلمون من الكتاب شيئاً، وكانوا يتكلمون بالظن بغير ما في كتاب الله، ويقولون: هو من الكتاب. أمانى يتمنونها^(٤) .

حدثنا المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ : يتمنون على الله ما ليس لهم^(٥) .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ . قال: تمنؤا فقالوا: نحن من أهل الكتاب. وليسوا منهم .

وأولى ما رويناه في تأويل قوله: ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ . بالحق، وأشبهه بالصواب، الذي قاله ابن عباس، الذي رواه عنه الضحاك، وقول مجاهد، أن الأميين الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية وأنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله على موسى شيئاً، ولكنهم يتخرون الكذب ويتقولون الأباطيل كذباً وزوراً، والتمنى في هذا الموضع هو تحلق الكذب وتخرصه وافتعاله، يقال منه: تمنيت

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٠ .

(٢ - ٣) سقط من النسخ . وهو إسناد دائر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٢ (٧٩٢) عن أبيه، عن أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨٢ إلى ابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٨٢ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٥٢ (٧٩٣) من طريق آدم به .

كذا . إذا افتعلته وتخرصته . ومنه الخبرُ الذي رُوِيَ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما تَعَيَّيْتُ^(١) ولا تَمَنَّيْتُ^(٢) . يعني بقوله : ما تمنيتُ : ما تخرصتُ الباطلَ ولا اختلقتُ الكذبَ والإفكَ .

والذي يَدُلُّ على صِحَّةِ ما قلنا في ذلك وأنه أَوْلَى بتأويلِ قوله : ﴿إِلَّا آمَانِي﴾ . من غيره من الأقوالِ ، قولُ اللهِ جل ثناؤه : ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ . فأخبر عنهم جل ثناؤه أنهم يتمنون ما يتمنون من الأكاذيبِ ظنًّا منهم / لا يقينًا ، ولو كان معنى ذلك أنهم يتلونه ، لم يكونوا ظانين ، وكذلك لو كان معناه : يتشبهونه ؛ لأن الذي يتلوه إذا تدبره علمه ، ولا يستحقُّ الذي يتلو كتابًا قرأه وإن لم يتدبره بتدبيره أن يقال : هو ظانٌّ لما يتلو . إلا أن يكون شاكًّا في نفس ما يتلوه لا يدرى أحقُّ هو أم باطلٌ ؟ ولم يكن القومُ الذين كانوا يتلون التوراةَ على عصرِ نبينا محمدٍ ﷺ من اليهودِ فيما بلغنا شاكِّين في التوراةِ أنها من عندِ اللهِ ، وكذلك الممتنى الذي هو في معنى التشهي ، غيرُ جائزٍ أن يقال : هو ظانٌّ^(٣) تمنَّيه . لأن التَّمَنَّى من التَّمَنَّى إذا تمنَّى ما قد وُجِدَتْ^(٤) عينه ، فغيرُ جائزٍ أن يقال : هو شاكٌّ فيما هو به عالمٌ ؛ لأن العلمَ والشكَّ معنيان يُنْفَى كلُّ واحدٍ منهما صاحبه لا يجوزُ اجتماعهما في جزءٍ واحدٍ ، والمتمنى في حالِ تمنَّيه موجودٌ^(٥) تمنَّيه ، فغيرُ جائزٍ أن يقال : هو يظنُّ تمنَّيه . وإنما

٣٧٦/١

(١) في م ، ت ٢ : « تغنيت » ، وفي ت ١ ، ت ٣ : « تعنيت » . والصواب ما أثبتناه . وعنا يعتر عتوا وعتيا : استكبر وجاوز الحد . اللسان (ع ت و) .

(٢) أخرجه محمد بن عائذ اللدمشقي - كما في البداية والنهاية ١٠ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (ص ٢٣ ، ٢٩ - ترجمة عثمان ، طبعة مجمع اللغة بدمشق) - والفسوي في تاريخه ٢ / ٤٨٨ ، وفيه قصة .

(٣) بعده في م : « في » .

(٤) في م : « وجد » .

(٥) في م : « حيز » .

(٦ - ٦) في م : « غير » . وينظر التبيان ١ / ٣٢٠ .

قيل: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾. والأمانى من غير نوع الكتاب، كما قال ربنا جل ثناؤه ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧]. والظن من العلم بمنزلة، وكما قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠]. وكما قال الشاعر^(١):

[٢٢/٣] ليس بينى وبين قيس عتابٌ
غير طعن الكلى وضرب الرقاب
وكما قال نابغة بنى ذبيان^(٢):

حلفت يمينا غير ذى مثنوية^(٣)
ولا علم إلا حُسن ظنُّ بصاحب^(٤)
فى نظائر لما ذكرنا يطول بإحصائها الكتاب.

ويُخْرَجُ بـ «إلا» ما بعدها من معنى ما قبلها، ومن صفته، وإن كان كل واحد منهما من غير شكل الآخر ومن غير نوعه، ويسمى ذلك بعض أهل العربية استثناءً منقطعاً، لانقطاع الكلام الذى يأتى بعد «إلا» عن معنى ما قبلها، وإنما يكون ذلك كذلك فى كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان «إلا» «لكن»، فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثانى عن معنى الأول، ألا ترى أنك إذا قلت: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾. ثم أردت وضع «لكن» مكان «إلا» وحذفت

(١) البيت لعمرو بن الأيهم بن أفلت التغلبى، وهو فى الوحشيات ص ٤٢، ومعجم الشعراء ص ٧٠، وسط اللآلى ١/١٨٤.

* إلى هنا ينتهى الحرم الذى فى الأصل. والذى بدأ فى أثناء ص ٥٧.

(٢) ديوان النابغة ص ٥٥.

(٣) حلقة غير ذات مثنوية: أى غير مُخلَّلة. اللسان (ث ن ي).

(٤) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «بغائب». وهى رواية ابن السكيت، وأما الذى فى الأصل فهو رواية الأصمعى وينظر ديوان النابغة برواية ابن السكيت ص ٥٥ وديوان النابغة بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٤١.

«إلا»، وَجَدْتَ الْكَلَامَ صَحِيحًا مَعْنَاهُ صَحَّتْهُ وَفِيهِ «إلا»، وذلك إذا قلتَ : ومنهم أُمِّيُونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ، لكن أمانئ . يعنى : لكنهم يَتَمَنُّونَ . وكذلك قوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ ﴾ [النساء : ١٥٧] : لكن اتِّبَاعِ الظَّنِّ . بمعنى : لكنهم يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ . وكذلك جميعُ هذا النوعِ من الكلامِ على ما وصَفْنَا .

وقد ذُكِرَ عن بعضِ القَرَأَةِ أَنَّهُ قَرَأَ : (إِلَّا أمانئ) . مخففة^(١) . ومن خَفَّفَ ذلك وَجَّهَهُ إِلَى نَحْوِ جَمْعِهِمُ الْمَفْتاحِ مَفَاتِحَ ، وَالقُرُقُورَ^(٢) قَرَارَ ، وَأَنْ يَأْءَ الْجَمْعِ لَمَّا حُدِفَتْ خُفِّفَتِ الْيَاءُ الْأَصْلِيَّةُ ، أَعْنَى مِنْ «الْأمانئ» ، كَمَا جَمَعُوا الْأَنْفِيَّةَ^(٣) أَثْفَانِيَّ مَخْفَفَةً ، كَمَا قَالَ زَهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ^(٤) :

أَثْفَانِيَّ سَفْعًا^(٥) فِي مُعْرَسٍ^(٦) مِرْجَلٍ^(٧) وَنُؤْيَا^(٨) كَجِلْمٍ^(٩) الْحَوْضِ لَمْ يَتَلَّمْ^(١٠)
وَأَمَّا مَنْ ثَقَّلَ ﴿أَمَانِيَّ﴾ فَشَدَّدَ يَاءَهَا ، فَإِنَّهُ^(١١) نَحْوُ جَمْعِهِمُ الْمَفْتاحِ مَفَاتِيحَ ،

(١) وهى قراءة أبى جعفر - وهو من العشرة . ينظر النشر لابن الجزرى ١٦٤ / ٢ .

(٢) القُرُقُورُ : السفينة أو الطويلة أو العظيمة . التاج (ق ر ر) .

(٣) الأنفية : ما يوضع عليه القِدْرُ . اللسان (ث ف ي) .

(٤) شرح ديوان زهير ص ٧ .

(٥) السفعة : السواد المشرب حمرة ، ومنه قيل للأثافي : سفع . وهى التى أوقد بينها النار فسودت صفاها التى تلى النار . اللسان (س ف ع) .

(٦) المعرس : موضع التعريس ، والتعريس : نزول القوم فى السفر من آخر الليل يقعون وقعة للاستراحة . اللسان (ع ر س) .

(٧) المرجل : القِدْرُ من الحجارة والنحاس . اللسان (ر ج ل) .

(٨) النؤى : حفرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر . اللسان (ن أ ي) .

(٩) الجلم : أصل الشئ . اللسان (ج ذ م) .

(١٠) تلم الإناء والسيف ونحوه يثلمه ثلماً ، وثلمته فانتلم وتثلم : كسر حرفه . اللسان (ث ل م) .

(١١) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وجه ذلك إلى » .

وَالْقُرْآنَ قَرَأْتُمْ ، وَالزُّبُورَ زَنَّايِرَ ، فَاجْتَمَعَتْ يَاءٌ « فَعَالِيلٌ » وَلاَمُهَا وَهَمَّا جَمِيعًا يَاءَان ، فَأُدْغِمَتْ إِحْدَاهُمَا فِي الْأُخْرَى فَصَارَتَا يَاءً وَاحِدَةً مُشَدَّدَةً .

فأما القراءة التي لا يجوز غيرها لقارئ عندى فى ذلك ، فتشديد ياء « الأمانى » ، لإجماع القراء على أنها القراءة / التى مضى على القراءة بها السلف ، مستفيض ٣٧٧/١ ذلك بينهم غير مدفوعة صحته ، وشذوذ القارئ بتخفيفها عما عليه الحجة مجمعة فى ذلك ، « وكفى شاهدًا على خطأ » قارئ ذلك ^(٢) بتخفيفه إجماعها ^(٣) على تخطئته .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

[٢٢/٣ظ] يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ هُمْ ﴾ : وما هم . كما قال جل ثناؤه : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [إبراهيم : ١١] . يعنى بذلك : ما نحن إلا بشرٌ مثلكم . ومعنى قوله : ﴿ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ : إلا ^(٤) يشكون ولا يعلمون حقيقته وصحته . والظن فى هذا الموضع شك .

فمعنى الآية : ومنهم من لا يكتف ولا يخط ولا يعلم كتاب الله ولا يدرى ما فيه إلا تخريصًا وتقولاً على الله الباطل ، ظنًا منه أنه مُحَقَّقٌ فى تخريصه وتقوله الباطل ، وإنما وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم فى تخريصهم على ظن ، ^(٥) هل هم فيه مُحَقِّقُونَ أم مُبْطِلُونَ ؛ لأنهم كانوا قد سمعوا من رؤسائهم وأخبارهم أمورًا حسيبوها من كتاب

(١ - ١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وكفى خطأ على » .

(٢ - ٢) فى م : « بتخفيفها إجماعًا » .

(٣) تقدم أن القراءة بتخفيف الياء قراءة أبى جعفر المدنى ، وهى قراءة متواترة .

(٤) فى م : « لا » .

(٥ - ٥) فى م : « أنهم محقون وهم مبطلون » ، وفى ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أنهم محقون أم مبطلون » .

اللَّهِ ، ولم تكن من كتابِ اللَّهِ ، فوصفهم جل ثناؤه بأنهم يتزكون التصديق بالذي يُوقنون به أنه من عندِ اللَّهِ مما جاء به محمدٌ ﷺ ، ويتبعون ما هم فيه شاؤون ، وفي حقيقته مُرتابون ، مما أخبرهم به كبرائهم ورؤسائهم وأحبارهم ؛ عنادا منهم لله ولرسوله ، ومخالفةً منهم لأمرِ اللَّهِ ، واغترارا منهم بإمهالِ اللَّهِ تعالى ذكره إياهم .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . قال فيه المتأولون من

السلف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، وحدثني
المنثري ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن
مجاهد : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ : إلا يُكذِّبون^(١) .

حدثنا القاسم ،^(٢) قال : حدثنا الحسين^(٢) ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ،
عن مجاهدٍ مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد
ابن أبي محمد ، عن عكرمة ، أو عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : ﴿ لَا
يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ . أي : لا يعلمون الكتاب ولا
يُدرون ما فيه ، وهم يجحدون نبوتك بالظن^(٣) .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا

(١) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٦) ، وعزاه السيوطي في الدر
المنثور ٨٢/١ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٨/١ . وينظر تفسير ابن كثير ١٦٧/١ .

يُظَنُّونَ ﴿١﴾ قال: يُظَنُّونَ الظنَّونَ بغيرِ الحقِّ^(١).

حدثني المثنى، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: يُظَنُّونَ الظنَّونَ بغيرِ الحقِّ^(٢).

حدثت عن عمار، قال: حدثنا ابنُ أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله^(٣).

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿فَوَيْلٌ﴾.

/اختلف أهل التأويل في تأويلِ قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾؛ فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا عثمانُ بنُ سعيد، عن بشرِ بنِ عُمارة، عن أبي رزق، عن الضحاك، عن ابنِ عباس [٢٣/٣]: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾. يقول: فالعذابُ عليهم^(٤).

وقال آخرون بما حدثنا به ابنُ بشار، قال: حدثنا ابنُ مهدي، قال: حدثنا سفيان، عن زيادِ بنِ فياض، قال: سمعتُ أبا عياضٍ يقول: الويلُ ما يسيلُ من صديدٍ في أصلِ جهنم^(٥).

حدثني مُشَرَّفُ^(٦) بنُ أبانٍ الحطاب، قال: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن زيادِ بنِ

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٥) معلقا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ (٧٩٥) من طريق آدم به.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٢/١ عقب الأثر (٧٩٥) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٤) سيأتي مطولا في ص ١٧٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٣/١ (٧٩٩) من طريق ابن مهدي به، وأخرجه ابن المبارك في الزهد

(٣٣٣ - زوائد نعيم بن حماد)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في صفة النار (٣٣) عن سفيان به.

(٦) في م: «بشر»، وفي ت ١، ت ٢: «شرف».

فياض ، عن أبي عياض في قوله : ﴿ فَوَيْلٌ ﴾ . قال : صَهْرِيحٌ فِي أَصْلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِ صَدِيدُهُمْ ^(١) .

حدثني علي بن سهل الرَّمْلِيُّ ، قال : حدثنا زيد بن أبي الزرقاء ، قال : حدثنا سفيان ، عن ^(٢) زياد بن فياض ، عن أبي عياض ، قال : الويلُ وادٍ من صديدي في جهنم .

حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا مهران ، عن سفيان ^(٣) ، قال : ﴿ وَوَيْلٌ ﴾ : ما يسيل من صديد في أصل جهنم .

وقال آخرون بما حدثني به المنثي ، قال : حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري ^(٤) ، قال : حدثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن ^(٥) عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة العدوي ، عن عثمان بن عفان ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « الويلُ جبلٌ في النارِ » ^(٦) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال : « ويلٌ وادٍ في جهنم يهوى فيه الكافرُ أربعين خريقاً قبل أن يتلغَّ قعره » ^(٧) .

(١) ذكره ابن رجب في التخويف من النار ص ١١٨ .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بن » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « شقيق » . وانظر تهذيب الكمال ٥٩٥/٢٨ - ٥٩٩ .

(٤) في م : « التستري » .

(٥) في م : « بن » .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٨/١ عن المصنف ، وقال : غريب جدا . وينظر تفسير ابن كثير تحقيق أبي

إسحاق الحويني ٥٥٢/٢ ، ٥٥٣ .

(٧) إسناده ضعيف ؛ لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم ، والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٣/١ =

قال أبو جعفر: فمعنى الآية على ما زُوي عن ذكره قوله في تأويل ﴿فَوَيْلٌ﴾: فالعذاب الذي هو شُرْبُ صديد أهل جهنم، الذي^(١) في أسفل الجحيم، لليهود الذين يَكْتُوبُونَ الباطلَ بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

يعنى بذلك جل ثناؤه: الذين حَرَفُوا كتابَ اللهِ من يهودِ بنى إسرائيل، وكتبوا كتابًا على ما تَأَوَّلُوهُ من تأويلاتهم، مخالفًا لما أنزله اللهُ عز وجل على نبيه موسى عليه السلام، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما فى التوراة، جهالٍ بما فى كُتُبِ اللهِ، طَلَبَ^(٢) عَرَضٍ من الدنيا خسيسٍ، فقال اللهُ تعالى ذكره لهم: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

كما حدثنا موسى بنُ هارونَ، قال: حدثنا عمرو بنُ حمادٍ، قال: حدثنا أسباطُ، عن السدي: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. قال: كان ناسٌ [٢٣/٣] من اليهودِ كتبوا

= (٧٩٨) عن يونس به. وأخرجه ابن المبارك فى الزهد (٣٣٤ - زوائد نعيم بن حماد)، وفى المسند (١٤٤)، وأحمد ٢٤٠/١٨ (١١٧١٢)، وعبد بن حميد (٩٢٢)، والترمذى (٢٥٧٦، ٣١٦٤)، وأبو يعلى (١٣٨٣)، وابن حبان (٧٤٦٧)، والحاكم ٥٠٧/٢، ٥٤٣، ٥٩٦/٤، والبيهقى فى البعث والنشور (٥١٢، ٥١٣، ٥٣٧)، وابن أبى الدنيا فى صفة النار (٣١) من طريق دراج به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٢/١ إلى هناد فى الزهد والطبرانى وابن مردويه.

(١) سقط من: م.

(٢) فى م: «لطلب».

كتابًا من عندهم يبيعونه من العرب ، ويُحَدِّثُونَهُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَأْخُذُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا^(١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رزقٍ ، عن / الضحاكِ ، عن ابن عباسٍ ، قال : الأُمِّيُّونَ قَوْمٌ لَمْ يُصَدِّقُوا رَسُولًا أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَا كِتَابًا أَنْزَلَهُ اللَّهُ ، فَكَتَبُوا كِتَابًا بِأَيْدِيهِمْ ، ثُمَّ قَالُوا لِقَوْمٍ سَفِيلَةٍ جُهَالٍ : ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ﴾ .^(٢) قال : لِيَتَاعَوْا بِهِ ﴿ ثَمَنًا ﴾ . قال : عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا^(٣) .

حدثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ : ﴿ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . قال : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُحَرِّفُونَهُ^(٤) .

حدثنا المنثي ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابن أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله ، إلا أنه قال : ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ .

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ الآية : وَهُمْ الْيَهُودُ^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٣/١ (٨٠٢) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٧/١ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٢/١ ، ٨٣ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨٨٩/٢ (٣٧٣٤) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر

٤٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والفريابي .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٦٨/١ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ . قال : كان ناسٌ من بنى إسرائيل كتبوا كتابًا بأيديهم لئيتأكلوا الناس ، فقالوا : هذا من عند الله . وما هو من عند الله ^(١) .

حدثنا المثني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ . قال : عمدوا إلى ما أنزل الله تعالى ذكره في كتابهم من نعت محمد ﷺ ، فحرفوه عن مواضعه ، يبتغون بذلك عرضًا من عرض الدنيا ، فقال الله ^(٢) : ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴾ ^(٣) .

حدثني المثني بن إبراهيم ، قال : ثنا إبراهيم بن عبد السلام ، قال : ثنا علي بن جرير ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن كنانة بن نعيم العدوي ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴾ قال : « الويل جبل في النار » . وهو الذي أنزل في اليهود ؛ لأنهم حَرَفُوا التوراة ، زادوا فيها ما يُحِبُّون ، وَمَحَوُا مِنْهَا مَا يَكْرَهُون ، وَمَحَوُا اسْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ التوراة ، فلذلك غَضِبَ اللَّهُ جَل ثناؤه عليهم فرَفَعَ بعضُ التوراة

(١) تفسير عبد الرزاق / ١ ، ٥٠ ، ٥١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره / ١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ (٨٠٨) عن الحسن

ابن يحيى . وعزه السيوطي في الدر المنثور / ١ ، ٨٣ إلى ابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره / ١ ، ١٥٥ (٨١١) من طريق آدم به .

فقال: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُوبُونَ﴾^(١).

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سعيد بن أبي أيوب ، عن محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، قال : ويلٌ وإد في جهنم لو سُيِّرَتْ فيه الجبال [٢٤/٣] لآمَعت^(٢) من شدة حرِّه^(٣).

فإن قال لنا قائلٌ: فما وجهُ قوله^(٤): ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾؟ وهل يكتبون^(٥) بغير اليد حتى احتاج المخاطبون^(٦) بهذه المخاطبة إلى أن يُخبروا عن هؤلاء القوم الذين قَصَّ اللهُ تعالى ذكره قصتهم أنهم كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم؟

قيل له: إن الكتاب من بنى آدم وإن كان منهم باليد، فإنه قد يضاف الكتاب إلى غير كاتبه وغير المتولَّى رسمَ خطِّه، فيقال: كَتَبَ فلانٌ إلى فلانٍ بكذا. وإن كان المتولَّى كتابته^(٧) غير المضاف إليه الكتاب، إذا كان الكاتب كَتَبَهُ بأمر المضاف إليه الكتاب، فأَعْلَمَ ربُّنا جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. عبادة المؤمنين أن أحبارَ اليهود تلى كتابة الكذب والفريضة على الله بأيديهم على علم منهم وعمد للكذب على الله، ثم تَنَحَّلَهُ^(٨) إلى أنه من عند الله وفي كتاب الله جلَّ

(١) تقدم تخريجه في ص ١٦٤.

(٢) في م: «لآمَعت»، وأماع واعماع: ذاب وسال. اللسان (م ي ع).

(٣) ابن المبارك في الزهد (٣٣٢ - زوائد نعيم بن حماد)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٣/١ (٨٠٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٥١٦)، من طريق سعيد بن أبي أيوب به.

(٤) سقط من: م.

(٥) في م: «تكون الكتابة».

(٦) في م: «المخاطب».

(٧) بعده في م: «بيده».

(٨) نحله القول ينحله: نسبه إليه. اللسان (ن ح ل).

وعزَّ، تَكْذُبا على اللهِ وافتراءً عليه، فنفى الله بقوله: ﴿يَكْتُوبُونَ الْكِذْبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. أن يكونَ ولىّ كتابةً ذلك بعضُ جُهاَلِهِم بأمرِ علمائِهِم وأجبارِهِم. وذلك نظيرُ قولِ القائلِ: باعنى فلانٌ عَيْتُهُ كذا^(١)، واشترى فلانٌ نفسه كذا. يراذ بإدخالِ النفسِ والعينِ فى ذلك نَفَى اللبْسِ عن سامعِهِ أن يكونَ المتولّى بيعَ ذلك أو شراؤه غيرَ الموصوفِ به بأمرِهِ، ويوجبُ حقيقةَ الفعلِ للمُخْبِرِ عنه، فكذلك قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِذْبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾.

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩).

يعنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. أى: فالعذابُ فى الوادى السائلِ من صديدِ أهلِ النارِ فى أسفلِ جهنّمِ لهم. يعنى: للذين كتبوا الكتابَ الذى وصفنا أمره من يهودِ بنى إسرائيلَ محرّفاً، ثم قالوا: هذا من عندِ الله. ابتغاءَ عَرَضٍ من الدنيا^(٢) قليلٍ ممن يتناعه منهم.

وقوله: ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾. يقولُ: من الذى كَتَبَتْ أَيْدِيهِم من ذلك، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ أيضاً ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يعنى: مما يعملون من الخطايا، ويجترّحون من الآثامِ، ويكسبون من الحرامِ، بكتائبِهِم الذى يكتُوبونه بأيديهِم بخلافِ ما أنزلَ اللهُ، ثم يأكلون ثمنه وقد باعوه ممن باعوه منهم^(٣) على أنه من كتابِ الله.

كما حدثنى المثنى، قال: ثنا آدم، قال: حدثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي

(١) بعده فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «وكذا».

(٢) بعده فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «به».

(٣) فى الأصل: «به».

العالية: ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾: يعنى من الخطيئة^(١).

حدثنا أبو كريب، [٣/٢٤٤ظ] قال: ثنا عثمان بن سعيد، عن بشر بن عمارة، عن
أبي رزق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ يقول: فالعذاب عليهم.
قال: يقول: من الذى كتبوا بأيديهم من ذلك الكذب^(٢)، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا
يَكْسِبُونَ﴾ يقول: مما يأكلون به الناس^(٣) السفلة وغيرهم^(٤).

وأصل «الكسب» العمل، فكلُّ عاملٍ عملاً بمباشرةٍ منه لما عمِل، ومعاناةٍ
باحترافٍ، فهو كاسبٌ لما عمِل، كما قال لبيد بن ربيعة^(٥):

لِمُعَفِّرٍ^(٦) قَهْدٍ^(٧) تَنَارَعَ شِلْوَهُ^(٨) غُبْشٍ^(٩) كَوَاسِبٍ لَا يُمِئُّ طَعَامَهَا
القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
مَّعْدُودَةً﴾.

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالُوا﴾: اليهود. يقول: وقالت اليهود: ﴿لَنْ
تَمَسَّنَا النَّارُ﴾. يعنى: لن تلاقى أجسامنا/ النار، ولن ندخلها إلا أياماً معدودة. ٣٨١/١

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٥/١ (٨١٢) من طريق آدم به.

(٢) فى ت ٢: «الكتب».

(٣) سقط من: ت ١، ت ٢، ت ٣، وفى م: «من».

(٤) ذكره ابن كثير فى التفسير ١٦٩/١ عن الضحاك عن ابن عباس. وقد تقدم هذا الأثر مختصراً فى
ص ١٦٣.

(٥) شرح ديوان لبيد ص ٣٠٨.

(٦) المعفر: المرغ فى التراب. اللسان (ع ف ر).

(٧) القهد: ضرب من الضأن. اللسان (ق ه د).

(٨) شلو الحيوان: عضده، وشلو الشيء: بقيته. اللسان (ش ل و).

(٩) الغبس والغبسة: لون الرماد، وهو بياض فيه كدرة. اللسان (غ ب س).

وإنما قيل : « معدودة » . وإن لم يكن مُبَيَّنًا عددها في التنزيل ؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر عنهم بذلك وهم عارفون عدد الأيام التي يُوقَّتونها لمكثهم في النار ، فلذلك ترك ذكر تسمية عدد تلك الأيام ، وسماها معدودة لما وصفنا .

ثم اختلف أهل التأويل في مبلغ الأيام المعدودة التي عنتها^(١) اليهود القائلون ما أخبر الله عنهم من ذلك ؛ فقال بعضهم بما حدثنا به أبو كُرَيْب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي رُوَيْق ، عن الضحَّاک ، عن ابن عباس : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ .^(٢) قالوا : هي أربعون يومًا لأمرٍ عُذِّبوا فيه ، ثم لا يُصَيَّبُ بعدها عذاب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾^(٣) : قال ذلك أعداء الله اليهود ، قالوا^(٤) : لن يُدخِلنا الله^(٥) النار إلا تحلة القسم ؛ الأيام التي أصبنا فيها العجل أربعين ليلة^(٤) ، فإذا تقضت عتًا تلك الأيام ، انقطع عتًا العذاب والقسم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ . قالوا : أيامًا معدودة ؛ ما أصبنا في العجل^(٥) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) في م : « عينها » .

(٢) - ٢ (٢ - سقط من : م .

(٣) زيادة من : م .

(٤) في م : « يوما » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٦/١ (٨١٦) عن الحسن بن يحيى به .

السُّدِيِّ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾. قال: قالت اليهود: إن الله يُدْخِلُنَا النَّارَ فَمَكْتُ فِيهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، حتى إذا أَكَلَتِ النَّارُ خَطَايَانَا وَاسْتَنْقَيْنَا^(١)، نَادَى مُنَادٍ: أَخْرِجُوا كُلَّ مَخْتُونٍ مِنْ وَدَيْ إِسْرَائِيلَ. فلذلك أَمَرْنَا أَنْ نَخْتَنَ. قالوا: فلا يَدْعُونَ فِي النَّارِ مِنَّا أَحَدًا إِلَّا أَخْرَجُوهُ.

حدَّثني المثنى، قال: ثنا [٢٥/٣] آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قالت اليهود: إن ربنا عتب علينا في أمر^(٢)، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يُخْرِجَنَا. فأكذبهم الله جل ثناؤه.

حدَّثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن قتادة، قال: قالت اليهود: لن ندخل النار إلا تحلة القسم، عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل^(٤).

حدَّثني محمد بن سعيد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني عمي، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ الآية. قال ابن عباس: ذُكِرَ أَنَّ الْيَهُودَ وَجَدُوا فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا: إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، إلى أن يُنتهى إلى شجرة الرُّقُومِ نابتًا في أصل الجحيم - وكان ابن عباس يقول: إن الجحيم سقر، وفيها شجرة الرُّقُومِ - فزعم أعداء الله أنه إذا خلا العبد الذي وجدوا في كتابهم أيامًا معدودة - وإنما يعنى بذلك المسير الذي

(١) في م: «استنقنا»، وفي ت ٢: «استيقنا».

(٢) بعده في م: «بنى».

(٣) في م: «أمرنا».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٧/١ (٨١٨)، من طريق آدم به مطولاً. وسيأتى الأثر بتمامه في ص

ينتهى إلى أصلِ الجحيم - فقالوا: إذا خلا العدُدُ انقضى^(١) الأجلُ، فلا عذابَ وتذهبُ جهنمُ وتهلكُ. فذلك قوله: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾. يَعْتُونَ بِذَلِكَ الْأَجَلَ، فقال ابنُ عباسٍ: لما افتتحوا من بابِ جهنمِ ساروا في العذابِ حتى انتهوا إلى شجرةِ الزُّقُومِ آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَةِ، وهى الأربعون سنةً، فلما أكلوا من شجرةِ الزُّقُومِ وملئوا منها البطونَ آخِرَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَةِ^(٢)، قال لهم خُزَّانُ سَقَرٍ: زعمتم أنكم لن تمسكم النارُ إلا أيامًا معدودةً، فقد خلا العدُدُ وأنتم فى الأبدِ، فأخذ بهم فى الصُّعُودِ فى جهنمِ يُرْهَقُونَ^(٣).

/ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي، قَالَ: ٣٨٢/١
حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾: ^(٢) فَإِنَّهُمْ الْيَهُودُ قَالُوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ^(٢) إِلَّا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٤).

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثنا حَفْصُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبِيانٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: خَاصَمَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: لَنْ نَدْخُلَ النَّارَ إِلَّا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَسَيُخْلَفُنَا فِيهَا قَوْمٌ آخَرُونَ - يَعْنُونَ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدِي عَلَى رِءُوسِهِمْ: «بَلْ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، لَا يَخْلَفُكُمْ إِلَيْهَا»^(٥) أَحَدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(٦) الآية.

(١) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «انتهى».

(٢ - ٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣) فى ت، ٢، ت، ٣: «يرهقون».

والأثر ذكره ابن رجب فى التخويف من النار ص ٨١ عن العوفى عن ابن عباس وعزاه إلى المصنف، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٦/١ (٨١٧)، والواحدى فى أسباب النزول ص ١٧ من طريق الضحاك، عن ابن عباس، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى ابن المنذر.

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٦٩/١.

(٥) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فيها».

(٦) إسناده ضعيف مرسل. أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٦/١ (٨١٥) من طريق حفص به، والأثر =

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحَسِينُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ ، قَالَ :
 أَخْبَرَنِي الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، قَالَ : اجْتَمَعَتْ يَهُودُ يَوْمًا تُخَاصِمُ
 النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْتِامَا مَعْدُودَةٌ ﴾^(١) ؛ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
 ثُمَّ يَخْلُفُنَا أَوْ يَلْحَقُنَا فِيهَا أَنْاسٌ . فَأَشَارُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ :
 « كَذَّبْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مُخَلَّدُونَ ، لَا نَلْحَقُكُمْ أَوْ^(٢) نَخْلُفُكُمْ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 أَبَدًا » .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا [٢٥٠/٣] عَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ ، عَنْ أَبِي
 مَعَاوِيَةَ ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ ، عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْتِامَا
 مَعْدُودَةٌ ﴾ قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : لَا نُعَذَّبُ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْمًا مِقْدَارَ
 مَا عَبَدْنَا الْعِجْلَ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : حَدَّثَنِي أَبِي ، أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ : « أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ وَبِالتَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَوْمَ
 طُورِ سَيْنَاءَ ، مَنْ أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ ؟ » قَالُوا : إِنْ رَبِّهِمْ غَضِبَ
 عَلَيْهِمْ غَضِبَةً ، فَتَمَكَّتْ فِي النَّارِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، ثُمَّ نَخْرُجُ فَتَخْلُفُونَنَا فِيهَا . فَقَالَ
 النَّبِيُّ ﷺ : « كَذَّبْتُمْ وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا » . فَنَزَلَ الْقُرْآنُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ
 النَّبِيِّ ﷺ وَتَكْذِيبًا لَهُمْ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْتِامَا مَعْدُودَةٌ قُلْ
 أَنْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٣) .

= عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٤/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « سموا » .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ولا » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٤/١ إلى المصنف .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدثنى سعيْدُ بنُ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانت يهودُ يقولون : إنما هذه (١) الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، وإنما يُعَذَّبُ الناسُ يومَ القيامةِ بِكُلِّ ألفِ سنةٍ من أيامِ الدنيا يوماً واحداً من أيامِ الآخرةِ ، (٢) وإنما هى (٣) سبعةُ أيامٍ . فأنزلَ اللهُ فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ الآية .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قديم رسول الله ﷺ المدينة ويهودُ تقولُ : / إنما مدَّةُ الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، وإنما يُعَذَّبُ الناسُ فى النارِ بِكُلِّ ألفِ سنةٍ من أيامِ الدنيا يوماً واحداً فى النارِ من أيامِ الآخرةِ ، فإنما هى سبعةُ أيَّامٍ ، ثم يَنْقَطِعُ العذابُ . فأنزلَ اللهُ عزَّ وجل فى ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ الآية (٣) .

حدثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نُجَيْجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ قال : كانت تقولُ : إنما الدنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ ، فإنما نُعَذَّبُ مكانَ كلِّ ألفِ سنةٍ يوماً (٤) .

(١) فى م : « مدة » .

(٢ - ٢) فى م : « وإنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٣٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٥/١ (٨١٣) من طريق سلمة به . وأخرجه الواحدي فى أسباب النزول ص ١٧ من طريق ابن إسحاق به بدون ذكر سعيد .

وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١١٦٠) من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن سيف بن سليمان

عن مجاهد عن ابن عباس .

وسنده ضعيف جدا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٤/١ إلى عبد بن حميد .

حدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهدٍ مثله ، إلا أنه قال : كانت اليهود تقول : إنما الدنيا . وسائر الحديث مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال مجاهد : ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ [٢٦/٣] إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ : من الدهر . وسموا عدة سبعة آلاف سنة ، من كل ألف سنة يوماً . يهودٌ تقولهُ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَفُؤُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

ولما قالت اليهود ما قالت من قولها : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ . على ما قد بينا من تأويل ذلك ، قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد لعشير اليهود : ﴿ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾^(١) بما تقولون من أن النار لن تمسنا إلا أياماً معدودة ، فلن يخلف الله عهده . ويعنى بقوله : ﴿ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾^(٢) : أخذتم بما تقولون من ذلك من الله ميثاقاً ، فالله لا يتقضى ميثاقه ، ولا يُبدل وعده وعقده ، أم تقولون على الله الباطل جهلاً وجزاةً عليه ؟

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، وحدثني المنثى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال ، ثنا شبيل ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ . أى : موثقاً من الله بذلك أنه كما تقولون^(٣) .

وحدثني المنثى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن قتادة ، قال : قالت

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٠٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٧/١ (٨١٩) ، وعزاه السيوطى فى

الدر المنثور ١/٨٥ إلى عبد بن حميد .

اليهود: لَنْ نَدْخُلَ النَّارَ إِلَّا نَحْمَلُ الْقَسَمَ عِدَّةَ الْأَيَّامِ الَّتِي عِبَدْنَا فِيهَا الْعِجْلَ . فقال الله: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ بهذا الذي تقولون، أَلَكُمْ بهذا حجة وبرهان، ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾، فهاتوا حججتكم وبرهانكم، ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال: ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، عن بشرِ بنِ عُمارةَ، عن أبي رُوَيْقٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ، قال: لما قالت اليهودُ ما قالت، قال اللهُ جلَّ ثناؤه لمحمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ﴾ . يقول: أَدَخَرْتُمْ ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ . يقول: أَقَلْتُمْ: لا إلهَ إلا اللهُ . لم تُشْرِكُوا، ولم تُكْفُرُوا به، فإن كُنْتُمْ قُلْتُموها فارجعوا بها، وإن كنتم لم تقولوها فليَمَّ تقولون على اللهِ ما لا تعلمون؟ يقول: لو كنتم قلتم: لا إلهَ إلا اللهُ . ولم تُشْرِكُوا به شيئاً، ثم مُثِّمٌ على ذلك لكان لكم دُخْرًا عندي، ولم أُخْلِفْ وُعْدِي لكم أنى أجازيكم بها^(٢).

٣٨٤/١ /حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّيِّ، قال: لما قالت اليهودُ ما قالت، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ . وقال في مكانٍ آخر: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤] . ثم أخبر الخبر فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ [٢٦/٣] كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ .

وهذه الأقوال التي رَوَيْنَاهَا عن ابنِ عباسٍ ومجاهدٍ وقتادةَ، بنحوٍ معنى ما قلنا في تأويلِ قوله: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾؛ لأنَّ مما أعطى اللهُ عباده من ميثاقه أن مَنْ آمَنَ به وأطاع أمره نَجَّاه من نارِهِ يومَ القيامةِ، ومن الإيمانِ به الإقرارُ بأنَّ لا إلهَ إلا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٧/١ (٨١٨) من طريق آدم به، وتقدم مختصراً في ص ١٧٢.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١ إلى المصنف . (تفسير الطبري ١٢/٢)

اللَّهُ، وكذلك من ميثاقه الذى واثقهم به، أن من أتاه يوم القيامة بحجة تكون له نجاة من النار^(١) أن يُنجيه^(١) منها، فكلُّ ذلك وإن اختلفت ألفاظُ قائليه، فمتفقُ المعانى على ما قلنا فيه.

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ .

وقوله جل ثناؤه: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ تكذيبٌ من الله جل ثناؤه القائلين من اليهود: ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾، وإخبارٌ منه لهم أنه مُعَذَّبٌ^(٢) من أشرك وكفر به وبرسله، وأحاطت به ذنوبه فمخلدُه^(٣) فى النار، وأنَّ الجنة لا يَسْكُنُهَا إِلَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ به وبرسله، وأهلُ الطاعةِ له، والقائمون بحدوده.

كما حدثنا محمدُ بنُ حَمَيْدٍ، قال: ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ، قال: حدثنى محمدُ بنُ إسحاق، قال: حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ، عن سعيدِ بنِ جبير، أو عكرمة، عن ابنِ عباسٍ: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ .
أى: من عمل مثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يُحيطَ كفره بما له من حسنة، ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤).

(١ - ١) فى م: «فينجيه» .

(٢) فى م: «يعذب» .

(٣) فى م، ت ٢: «فمخلد» .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٣٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٥٧، ١٥٨، ١٥٩ (١٥٩، ٨٢٢)، ٨٢٦،

٨٣٠، ٨٣٢) من طريق سلمة به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٨٥ إلى ابن المنذر، وسيأتى أتم من هذا

وأما ﴿بَكَى﴾ فإنها إقرارٌ في كلِّ كلامٍ في أوله جَحَدٌ، كما «نَعَم» إقرارٌ في الاستفهام الذي لا جَحَدَ فيه . وأصلها «بَلْ» التي هي رجوعٌ عن الجَحَدِ المحضِ في قولك : ما قام عمُرو ، بل زيدٌ . فزِيدَتْ فيها الياءُ^(١) ليُصْلِحَ عليها الوقوفُ ، إذ كانت^(٢) عطفًا ورجوعًا عن الجَحَدِ ، ولتكوْنَ - أعنى «بَلَى»^(٣) - رجوعًا عن الجَحَدِ فقط ، وإقرارًا بالفعل الذي بعدَ الجَحَدِ ، فدَلَّتْ الياءُ منها على معنى الإقرارِ والإنعامِ^(٤) ، ودَلَّ لفظُ «بَلْ» على الرجوعِ عن الجَحَدِ .

وأما السيئةُ التي ذَكَرَها اللهُ في هذا المكانِ فإنها الشُّرُكُ باللهِ .

كما حدَّثني محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سفيانَ ، قال : حدَّثني عاصِمٌ ، عن أبي وائلٍ : ﴿بَكَى مَنْ كَسَبَ سَكِينَةً﴾ . قال : الشركُ^(٥) . حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبَلٌ ، جميعًا عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿بَكَى مَنْ كَسَبَ سَكِينَةً﴾ : شرُّكًا^(٦) .

/حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿بَكَى مَنْ كَسَبَ سَكِينَةً﴾ . قال : أما السيئةُ فالشُّرُكُ^(٦) .

(١) يعنى الألف المقصورة أو اللينة ؛ حيث إنها ترسم ياءً .

(٢) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «بل لا يصلح عليها الوقوف ، إذ كانت» .

(٣) فى الأصل : «بَلْ» .

(٤) هو التصديق والإقرار ، من قول القائل : نعم . إذا أقر ما سمع .

(٥) بعده فى م : «بالله» .

والأثر ذكره ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) عن أبي وائل معلقًا .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) معلقًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١

إلى عبد بن حميد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة مثله ^(١) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، [٢٧/٣] قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : أما السيئة فهي الذنوب التي وعد الله عليها النار ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ . قال : الشرك ^(٣) .

قال ابن جريج : قال مجاهد : ﴿ سَيِّئَةً ﴾ : شركاً .

حدثت عن عمارة ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ : يعنى الشرك ^(٤) .

وإنما قلنا : إن السيئة التي ذكرها الله عز وجل أن من كسبها وأحاطت به ذنوبه ^(٥) ، فهو من أهل النار - فى هذا الموضع - المخلدين فيها ، إنما عنى جل ذكره بها بعض السيئات دون بعض ، وإن كان ظاهرها فى التلاوة عاماً ؛ أن ^(٦) الله قضى على أهلها بالخلود فى النار . والخلود فى النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به ؛ لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أن أهل الإيمان لا يُخلدون فيها ، وأن الخلود فى النار لأهل الكفر بالله دون أهل الإيمان به .

وبعد ، فإن الله جل ثناؤه قد قرن بقوله : ﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٥٨/١ عقب الأثر (٨٢٤) من طريق عمرو به .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) معلقاً . وسيأتى مطولاً فى ص ١٨٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٥٧/١ عقب الأثر (٨٢٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) فى م : « خطيئته » .

(٦) فى م ، ت ٢ : « لأن » .

بِهِ حَطِيطَتُهُ^(١) فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ . قوله : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ . فكان معلوماً بذلك أن الذين لهم الخلود في النار من أهل السيئات ، غير الذين لهم الخلود في الجنة من أهل الإيمان .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن الذين لهم الخلود في الجنة من الذين آمنوا هم الذين عملوا الصالحات دون الذين عملوا السيئات ، فإن في إخبار الله تعالى ذكره بأنه مكفّرٌ - باجتناينا كبايئر ما نُنهى عنه - سيئاتنا ، ومُدخِلنا المُدخَلَ الكَرِيمَ ، ما يُنْبئُ عن صِحَّةِ ما قلنا في تأويل قوله : ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ . وأن ذلك على خاص من السيئات دون عامها .

فإن قال لنا قائلٌ : فإن الله جل ثناؤه إنما ضمن لنا تكفير سيئاتنا باجتناينا كبايئر ما نُنهى عنه ، فما الدلالة على أن الكبايئر غير داخلية في قوله : ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ ؟

قيل : لما صحَّ من أن الصغائر غير داخلية فيه ، وأن المعنى بالآية خاصٌّ دون عامٍّ ، ثبت وصحَّ أن القضاء والحكم بها غير جائز لأحدٍ على أحدٍ إلا على من وقَّفه^(٢) الله عليه بدلالةٍ من خبرٍ قاطعٍ عُذِرَ مَنْ بَلَغَهُ ، وقد ثبت وصحَّ أن الله جل ثناؤه قد عني بذلك أهل الشرك والكفر به بشهادة جميع الأمة ، فوجب بذلك القضاء على أن أهل الشرك والكفر ممن عناه الله بالآية ، فأما أهل الكبايئر فإن الأخبار القاطعة عُذِرَ مَنْ بَلَغَهُ قد تظاهرت عندنا بأنهم غير معنيين بها ، ومن أنكر ذلك ممن دافع حُجَّةَ الأخبار المُستَفِيضةِ والأنبياء المتظاهرة ، فاللازم له ترك قطع الشهادة على أهل الكبايئر بالخلود ٣٨٦/١ في النار بهذه [٢٧/٣] الآية ونظائرها التي جاءت بعمومهم في الوعيد ؛ إذ كان تأويل القرآن غير مُدْرِكٍ إلا ببيان من جعل الله إليه بيان القرآن ، وكانت الآية فيها تأتي

(١) في الأصل : « حطيطاته » . وهى قراءة نافع ، وقرأ الباقون بالإفراد . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢ .

(٢) في الأصل : « وقف » .

عامًا في صِنْفٍ ظاهرها ، وهي خاصٌّ في ذلك الصنفِ باطنها .

ويُسألُ مدافعو هذا الخبرِ بأن أهلَ الكبائرِ من أهلِ الاستثناءِ سؤالنا مُتكرِري^(١) رجمِ الزانى المحصنِ ، وزوالِ فرضِ الصلاةِ عن الحائضِ فى حالِ الحيضِ ، فإن السؤالَ عليهم نظيرُ السؤالِ على أولاءِ^(٢) سواءً .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ .

يعنى بقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ : اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ فَمَاتَ عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا . وَأَصْلُ الْإِحْطَاءِ بِالشَّيْءِ الْإِحْدَاقُ بِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الْحَائِطِ الَّذِي تُحَاطُ بِهِ الدَّارُ فَتُحْدِقُ بِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَاقْتَرَفَ ذُنُوبًا جَمَّةً فَمَاتَ عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ مُخَلَّدُونَ فِيهَا أَبَدًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قاله المُتأوِّلون .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مِنْهُمْ

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا ابنُ يَمَانٍ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ،^(٣) عن أبى رَزِينٍ^(٤) : ﴿ وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . قال : ماتَ بَدَنِيهِ^(٥) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ وَأَخْطَأْتُ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . قال : ماتَ بَدَنِيهِ^(٥) .

(١) فى م : « منكر » .

(٢) فى م : « هؤلاء » .

(٣ - ٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عن أبى روق » ، وفى م : « عن أبى روق ، عن الضحاك » .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٨/١ عقب الأثر (٨٢٨) معلقًا .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ ، قَالَ : ثنا الْأَعْمَشُ ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ ،
عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ : ﴿ وَأَحْطَطْتُ بِهِ خَطِيئَتَهُ ﴾ . قَالَ : فَمَاتَ عَلَيْهَا ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَوْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَأَحْطَطْتُ
بِهِ خَطِيئَتَهُ ﴾ . قَالَ : يُحِيطُ كَفْرُهُ بِمَا لَهُ مِنْ حَسَنَةٍ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي
نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَأَحْطَطْتُ بِهِ خَطِيئَتَهُ ﴾ . قَالَ : ^(٣) مَا وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ
النَّارَ ^(٥) .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ وَأَحْطَطْتُ بِهِ خَطِيئَتَهُ ﴾ . قَالَ ^(٤) : مَا أَوْجَبَ اللَّهُ فِيهِ النَّارَ .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَأَحْطَطْتُ
بِهِ خَطِيئَتَهُ ﴾ . قَالَ ^(٦) : أَمَّا الْخَطِيئَةُ فَالْكَبِيرَةُ الْمَوْجِبَةُ ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٩٧/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٨/١ (٨٢٨) من طريق الأعمش به نحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٨/١ (٨٢٦) من طريق سلمة به . وينظر ص ١٧٨ .

(٣ - ٣) سقط من : ت ١ ، ت ٢ .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ٣ .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٩/١ عقب الأثر (٨٢٩) معلقاً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد ، وهو في تفسير مجاهد ص ٢٠٨ بلفظ : الخطيئة يعني ما يعذب الله عليها .

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٩/١ عقب الأثر (٨٢٩) معلقاً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، ^(١) قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة : ﴿ وَأَخْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . قال : الخطيئةُ الكبائرُ ^(٢) .

حدَّثني المثنى [٢٨/٣] ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيعٌ ويحيى بنُ آدمَ ، عن سَلامِ بنِ مسكينٍ ، قال : سألَ رجلٌ الحسنَ عن قوله : ﴿ وَأَخْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . فقال : ما نَدري ما الخطيئةُ يابني ، أثلُ القرآنَ ، فكلُّ آيةٍ وَعَدَ اللهُ عليها النارَ فهي الخطيئةُ ^(٣) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقِ الأهوازيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبيرُ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن / مجاهدٍ في قوله : ﴿ بَكَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَخْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . قال : كلُّ ذنبٍ مُحِيطٍ فهو ما أوعد ^(٤) اللهُ عليه النارَ ^(٥) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبي رزينٍ : ﴿ وَأَخْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . قال : مات بخطيئته .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا الأعمشُ ، قال : ثنا مسعودُ أبو رزينٍ ، عن الربيعِ بنِ خُثيمٍ ^(٦) في قوله : ﴿ وَأَخْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . قال : هو الذى

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١ / ٥١ .

(٣) فى الأصل : « المحيطة » .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « وعد » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١ / ١٥٩ عقب الأثر (٨٢٩) معلقاً ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١ / ٨٥ إلى وكيع .

(٦) فى م : « خيثم » .

يموت على خطيئته قبل أن يتوب .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : قال وكيعٌ : سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ : مات بذُنُوبِهِ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ : الْكَبِيرَةُ الْمُوجِبَةُ ^(٢) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدَدِيِّ : ﴿ وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ : فَمَاتَ وَلَمْ يَتُبْ ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ^(٤) ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : ﴿ وَأَحْطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ . قَالَ : الشَّرْكُ . ثُمَّ تَلَا : ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [النمل : ٩٠] .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾  .

يعنى تعالى ذكره : فأولئك الذين كسبوا السيئات وأحاطت بهم خطيئاتهم أصحاب النار ^(٥) .

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٨/١ عقب الأثر (٨٢٨) معلقاً ، وعراه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١ إلى وكيع .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٩/١ عقب الأثر (٨٢٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٨/١ عقب الأثر (٨٢٨) من طريق عمرو به .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حسان » .

(٥) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هم فيها خالدون » .

ويعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أهل النار. وإنما جعلهم لها أصحاباً؛ لإيثارهم - كان في حياتهم الدنيا - من الأعمال ما يُورِدُهُمُوهَا، ويُضِلُّهِمْ^(١) سعيَها، على الأعمال التي تُورِدُهُم الجنة، فجعلهم جل ذكره بإيثارهم أسبابها على أسباب الجنة لها أصحاباً، كصاحب الرجل الذي يَصْحَبُهُ، مؤثراً صُحْبَتَهُ على صحبة غيره حتى يُعْرِفَ به.

﴿هُم فِيهَا﴾. [٢٨/٣] يعنى: هم في النار خالدون. ويعنى بقوله: ﴿خَالِدُونَ﴾: مقيمون أبداً^(٢).

كما حدثنا محمد بن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ^(٣) حدثني محمد بن إسحاق، قال: ^(٤) حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبيرة، أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾. أى: خالدون أبداً^(٥).

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾: لا يخرجون منها أبداً^(٥).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٨٢).

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. أى: صدقوا بما جاء به محمد ﷺ. ويعنى بقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أطاعوا الله فأقاموا حدوده،

(١) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يوردهم».

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣-٣) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٣٩، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/١٥٩ (٨٣٠) من طريق سلمة به. وينظر ص ١٧٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/١٥٩ عقب الأثر (٨٣٠) من طريق عمرو به.

وَأَذُوا فَرَائِضَهُ ، وَاجْتَنَبُوا مُحَارَمَهُ . ويعنى بقوله / ﴿ أَوْلِيَّكَ ﴾ الذين هم كذلك ، ٣٨٨/١
﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ . يعنى : أهلها الذين هم أهلها ، ﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
مقيمون أبداً .

وإنما هذه الآية والتي قبلها إخبارٌ من الله عباده عن بقاء النارِ وبقاءِ أهلها
فيها ، " وبقاءِ الجنةِ وبقاءِ أهلها فيها " ، ودوامِ ما أعدَّ " الله عز وجل " فى كلِّ
واحدةٍ منهما لأهلها ، تكديتاً من الله القائلين من يهود بنى إسرائيل أن النارَ لن تَمْسَهُمْ
إِلَّا أَيَّامًا معدودةً ، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى الجنةِ . فأخبرهم بخلودِ كفارهم فى
النارِ وخلودِ مؤمنهم فى الجنةِ .

كما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقٍ ، قال :
حدثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ :
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَوْلِيَّكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .
أى : مَنْ آمَنَ بما كَفَرْتُمْ به وَعَمِلَ بما تَرَكْتُمْ من دينه ، فلهم الجنةُ خالدين فيها ،
يُخْبِرُهُمْ أن الثوابَ بالخيرِ والشرِّ مقيَّمٌ على أهله أبداً ، لا انقطاعَ له أبداً^(١) .

حدثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ : محمدٌ عليه السلامُ وأصحابه ، ﴿ أَوْلِيَّكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ
إِلَّا اللَّهَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٣٩/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٥٩/١ (٨٣٢) من طريق سلمة به . وتقدم
أوله فى ص ١٧٨ .

قد دَلَّلْنَا فيما مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا عَلَى أَنَّ الْمِيثَاقَ «مِفْعَالٌ» ، مِنْ التَّوَثُّقِ بِالْيَمِينِ [٢٩/٣] وَنَحْوِهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤَكِّدُ الْقَوْلَ ^(١) .

فمعنى الكلامِ إذن : واذكُرُوا أَيضًا يَا مَعْشَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ .

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَوْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ . أَى : مِيثَاقَكُمْ ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(٢) .

وَالْقِرَاءَةُ مُخْتَلِفَةٌ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ ؛ فبَعْضُهُمْ يَقْرَأُهَا بِالتَّاءِ ، وَبَعْضُهُمْ يَقْرَأُهَا بِالْيَاءِ ^(٣) ، وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ وَاحِدٌ ، وَإِنَّمَا جَازَتْ الْقِرَاءَةُ بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ ، وَأَنْ يُقَالَ : ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، وَ (لَا يَعْبُدُونَ) . وَهَمْ غَيْبٌ ^(٤) ؛ لِأَنَّ أَخَذَ الْمِيثَاقِ بِمَعْنَى الاسْتِحْلَافِ . فَكَمَا تَقُولُ : اسْتَحْلَفْتُ أَخَاكَ لِيَقُومَنَّ . فَتُخْبِرُ عَنْهُ خَبْرَكَ عَنْ الْغَائِبِ لِغَيْبَتِهِ عَنْكَ ، وَتَقُولُ : اسْتَحْلَفْتَهُ لَتَقُومَنَّ . فَتُخْبِرُ عَنْهُ خَبْرَكَ عَنِ الْمَخَاطَبِ ؛ لِأَنَّكَ قَدْ كُنْتَ خَاطِبْتَهُ بِذَلِكَ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ صَحِيحًا جَائِزًا . فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ . وَ (لَا يَعْبُدُونَ) . مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالتَّاءِ ، فَبِمَعْنَى ^(٥) الْخِطَابِ ، إِذْ كَانَ الْخِطَابُ قَدْ كَانَ بِذَلِكَ ، / وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ فَلَأَنَّهُمْ ^(٦) كَانُوا غَيْرَ ^(٦) مَخَاطَبِينَ بِذَلِكَ فِي وَقْتِ الْخَبْرِ عَنْهُمْ .

٣٨٩/١

(١) ينظر ما تقدم في ٤٣٩/١ ، ٤٦/٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٩/١ (٨٣٣) من طريق سلمة به .

(٣) قرأ بالتاء نافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ بالياء ابن كثير وحمره والكسائي . ينظر السبعة لابن

مجاهد ص ١٦٢ .

(٤) ضبطها في الأصل بفتح الباء ، اسم جمع ، ويجمع أيضا « غُيِّبَ وَغُيِّبَ » . ينظر التاج (غ ي ب) .

(٥) في م : « فمعنى » .

(٦ - ٦) في م : « ما كانوا » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كانوا » .

وأما رفع (لا يعبدون^(١)) . فبالياء^(٢) التى فى (يعبدون^(١)) . « ولم تُنصَب^(٣) بـ
« أن » التى كانت تَصْلُحُ أَنْ تَدْخُلَ مَعَ : (لا يَعْبُدُونَ^(١) إِلَّا اللَّهَ) . لأنها إذا صَلَحَ
دخولها على فعلٍ فَحُذِفَتْ ولم تَدْخُلْ ، كان وجهُ الكلامِ فيه الرفعُ ؛ كما قال جَلُّ
شأنه : ﴿ قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ^(٤) أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر: ٦٤] . فزُفِعَ
﴿ أَعْبُدُ ﴾ - إذ لم تَدْخُلْ فيها « أن » - بالألفِ الدَّالَّةِ على مَعْنَى الاستِقبالِ ، وكما
قال الشاعر^(٥) :

ألا أيهذا الزَّاجِرِى أَحْضَرُ الوَعَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللِّدَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدى
فَرَعِ « أَحْضَرُ » - وإن كان يَصْلُحُ دِخْوَلُ « أَنْ » فيها ، إذ حُذِفَتْ - بالألفِ
التى تَأْتى بمعنى الاستِقبالِ .

وإنما صَلَحَ حَذْفُ « أن » مِنْ قَوْلِهِ : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنى إِسْرَائِيلَ لا
يَعْبُدُونَ) . لدلالة ما ظَهَرَ مِنَ الكلامِ عليها ، فاكْتَفَى بدلالة الظاهرِ عليها
منها .

وقد كان بعضُ نحوِّى أهلِ البصرة يقولُ : معنى قولِهِ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنى إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ حكايةٌ ؛ كأنك قلتَ : استحلَفناهم لا تعبدون .
أى : قلنا لهم : واللَّهِ لا تَعْبُدون . أو قالوا : واللَّهِ لا يَعْبُدون .

والذى قال مِنْ ذلك قَرِيبٌ معناه مِنْ معنى القولِ الذى قلناه فى ذلك .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تعبدون » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فبالتاء » .

(٣ - ٣) فى م : « ولا ينصب » .

(٤) فى الأصل : « تأمرونى » . وهى قراءة ابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ٦٢٥ .

(٥) هو طرفة بن العبد ، والبيت فى ديوانه ص ٣١ .

[٢٩/٣ظ] وبنحو التاويل الذى قلنا فى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ تأوله أهل التاويل .

ذَكَرُ مِنْ تَأْوِيلِ ذَلِكَ كَذَلِكَ

حدَّثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالىة : أخذ موثيقهم أن يُخلصوا له وألا يعبدوا غيره^(١) .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبىه ، عن الربيع فى قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ . قال : أخذنا ميثاقهم أن يُخلصوا لله وألا يعبدوا غيره .

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدَّثنى حجاج ، عن ابنِ جريج : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ . قال : الميثاق الذى أخذ عليهم فى «المائدة»^(٢) .

القول فى تاويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿وَيَا أُولَ الَّذِينَ إِحْسَانًا﴾ .

وقوله جل ثناؤه : ﴿وَيَا أُولَ الَّذِينَ إِحْسَانًا﴾ . عطفت على موضع «أن» المحذوفة فى ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ . فكأن معنى الكلام : وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وبالولدين إحساناً . فزفع ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ لما حذفت «أن» ، ثم عطفت ﴿وَيَا أُولَ الَّذِينَ﴾ على موضعها ، كما قال الشاعر^(٣) :

مُعَاوَى إِنَّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٠/١ (٨٣٤) من طريق آدم به نحوه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٠/١ (٨٣٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

(٣) قيل : عقيبة بن هبيرة ، وقيل : عبد الله بن الزبير الأسدى ، وقيل : عمر بن أبى ربيعة . ينظر الأزمنة والأمكنة ٣١٧/٢ ، والخزانة ٢/٢٦٠ ، وديوان عبد الله بن الزبير (مجموع) ص ١٤٥ ، وتنظر حاشيته .

فَنصَبَ «الحديد» على العطفِ به على موضعِ «الجبالي» ؛ لأنها لو لم تكن فيها باءٌ خافضةٌ كانت نصبًا ، فعطف بـ «الحديد» على موضعِ ^(١) «الجبالي» لا على لفظها ، فكذلك ما وصفتُ من قوله : ﴿ وَيَا لَوْلَا دِينٍ إِحْسَانًا ﴾ .

وأما «الإحسان» فمنصوبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ يُؤدِّي عن ^(٢) معناه قوله : ﴿ وَيَا لَوْلَا دِينٍ إِحْسَانًا ﴾ ^(٣) . إذ كان مفهوماً معناه ، فكأنَّ معنى الكلام لو أُظْهِرَ / المحذوفُ : وإذ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، وبأنْ تُحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا . فَكُتِبَ فِي [٣٠/٣] بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيَا لَوْلَا دِينٍ إِحْسَانًا ﴾ من أن يقالَ : وبأنْ تُحْسِنُوا إِلَى الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ؛ إذ كان مفهوماً أن ذلك معناه بما ظهَرَ مِنَ الْكَلَامِ .

وقد زعم بعضُ أهلِ العربيةِ في ذلك أن معناه : وبالوالدين فأحسِنوا إحسانًا . فجعل الباءَ التي في «الوالدين» من صلةِ «الإحسان» مقدّمةً عليه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ألا تعبدوا إلا الله ، وأحسِنوا بالوالدين إحسانًا . فزعموا أن الباءَ التي في «الوالدين» من صلةِ المحذوفِ ، أعني من ^(٢) «أحسِنوا» ، فجعلوا ذلك من كلامين . وإنما يُضْرَفُ الكلامُ إلى ما ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يُوجَدْ لِاتِّسَاقِ الْكَلَامِ عَلَى كَلَامٍ وَاحِدٍ وَجْهٌ . فَأَمَّا وَلِلْكَلامِ وَجْهٌ مَفهُومٌ عَلَى اتِّسَاقٍ ^(٤) عَلَى كَلَامٍ وَاحِدٍ ، فَلَا وَجْهَ لَصَرْفِهِ إِلَى كَلَامَيْنِ . وَأُخْرَى ^(٥) أَنْ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ لَوْ كَانَ عَلَى مَا قَالُوا الْقِيلَ : وَإِلَى الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا . لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَالُ : أَحْسَنَ فُلَانٌ إِلَى وَالِدَيْهِ . وَلَا يُقَالُ :

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «معنى» .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) في م : «اتساقه» .

(٥) في م : «أخرى» .

أحسن بوالديه . إلا على استكراهٍ للكلام ، ولكن القول فيه ما قلنا ، وهو : وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل بكذا وبالوالدين إحساناً . على ما بيّنا قبل ، فيكون « الإحسان » حينئذٍ مصدرًا من معنى ^(١) الكلام لا من لفظه ، كما قد بيّنا فيما مضى من نظائره ^(٢) .

فإن قال قائل : وما ذلك الإحسان الذي أخذ عليهم بالوالدين الميثاق ؟

قيل : نظير ما فرض الله على أمّتنا لهما من فعل المعروف بهما ، والقول الجميل ، وخفض جناح الذل رحمةً بهما ، والتحنن عليهما ، والرأفة بهما ، والدعاء بالخير لهما ، وما أشبه ذلك من الأفعال التي ندب الله جلّ وعزّ عباده أن يفعلوا بهما .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾ .

يعنى بقوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ : وبذي القربى أن يصلوا قرابته منهم ورحمته .

و « الْقُرْبَىٰ » مصدرٌ على تقدير « فَعَلَى » ، من قولك : قرّبت مني رحم فلان قرابةً وقربى ^(٣) وقربةً ^(٣) وقربًا . بمعنى واحد .

وأما « اليتامى » فهو جمع يتيم ، مثل أسير وأسارى ، ويدخل في اليتامى الذكور منهم والإناث .

فمعنى ذلك : وإذا أخذنا ميثاق بنى إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وحده دون ما ^(٤) سواه من الأنداد ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى ؛ أن تصلوا رحمته ، وتعرفوا حقّه ، وباليتامى ؛ أن تتعطفوا عليهم بالرحمة والرأفة ، وبالمساكين ؛ أن

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم في ١/١٣٧ .

(٣-٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « من » .

تُوْتُوهُمْ حَقْوَقَهُمِ التِي أَلْزَمَهَا [٣/٣٠ظ] اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْوَالِكُمْ .

و «المسكين» هو الْمُتَحَسُّعُ الْمُتَدَلِّلُ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ ، وهو «مَفْعِيلٌ» مِنَ الْمَسْكِنَةِ ، وَالْمَسْكِنَةُ هِيَ ذُلُّ الْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ .

إن قال لنا قائل : كيف قيل : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . فأخرج الكلام أمرًا ولما يتقدمه أمر ، بل الكلام جارٍ من أول الآية معجزي الخبر ؟

قيل : إن الكلام وإن كان قد جرى في أول الآية معجزي الخبر ، فإنه مما يحسن في موضعه الخطاب بالأمر والنهي ، فلو كان مكان ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، « لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ » . على وجه النهي من الله لهم عن عبادة غيره - كان حسنًا صوابًا ، وقد ذكر أن ذلك كذلك في قراءة أبي بن كعب^(١) ، وإنما حسن ذلك وجاز لو كان مقروءًا به ؛ لأن أخذ الميثاق قول ، فكأن^(٢) معنى الكلام - لو كان / مقروءًا كذلك - : ٣٩١/١

وإذ قلنا لبني إسرائيل : لا تعبدوا إلا الله . كما قال جل ثناؤه في موضع آخر : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ [البقرة : ٦٣] . فتلقى ذلك بالأمر ، كما تقول : قلنا لهم : خذوا ما آتيناكم بقوة^(٣) . فلما كان حسنًا وضع الأمر والنهي في موضع ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ عطف بقوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ على موضع ﴿ تَعْبُدُونَ ﴾^(٤) - وإن كان مخالفًا لفظ^(٥) كل واحد منهما ومعناه معنى صاحبه^(٦) - لما وصفنا من جواز وضع الخطاب بالأمر والنهي موضع

(١) وهى قراءة شاذة ، ينظر البحر المحيط ١/٢٨٢ .

(٢) فى م : « فکان » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لا تعبدون » .

(٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ما فيه » .

﴿ لَا تَعْبُدُونَ ﴾ . فكأنه قيل : وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله ،
وقولوا للناس حسناً . وهو نظير ما قدمنا البيان عنه ، من أن العرب تبتدئ الكلام
أحياناً على وجه الخبر عن الغائب في مواضع الحكايات عمماً^(١) أخبرت عنه ، ثم تعود
إلى الخبر على وجه الخطاب ، وتبتدئ أحياناً على وجه الخطاب ، ثم تعود إلى
الإخبار على وجه الخبر عن الغائب ، لما في الحكاية من المغنيين ، كما قال الشاعر^(٢) .

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةٌ إِنْ تَقَلَّتِ
يعنى : تقلبت .

وأما « الحُسْنُ » فإن القراءة اختلفت في قراءته ؛ فقرأته عامة قراءة أهل الكوفة غير
عاصم : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا) بفتح الحاء والسين^(٣) .

وقراءته عامة قراءة أهل المدينة : ﴿ حُسْنًا ﴾ بضم الحاء وتسكين السين^(٤) .
وقد روى عن بعض القراء أنه كان يقرأها : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَى) .
على مثال « فُعْلَى »^(٥) .

واختلف أهل العربية في فزق ما بين معنى قوله : (حَسَنًا) ، و ﴿ حُسْنًا ﴾ ؛
فقال بعض البصريين : هو على أحد وجهين ؛ إما أن يكون يُرادُ بـ « الحُسْنِ » :
« الحَسَنُ » ، لكنها^(٦) لغة ، كما [٣١/٣] تقول : « البُخْلُ » و « البُخْلُ » . وإما أن
يكونُ جُعِلَ « الحُسْنُ » هو « الحَسَنُ » فى التشبيه ، وذلك أن الحُسْنَ مصدرٌ ،

(١) فى م : « كما » .

(٢) هو كثير عزة ، والبيت فى ديوانه (مجموع) ص ١٠١ .

(٣) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٢ .

(٤) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع وعاصم وابن عامر . السابق .

(٥) وهى قراءة أبى وطلحة بن مصرف . البحر المحيطة ١/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ . وهى قراءة شاذة .

(٦) فى م : « كلاهما » ، وفى ت ٢ : « كلاهما » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « وكلها » .

و «الحَسَنَ» هو الشيءُ الحَسَنُ، فيكونُ ذلك حينئذٍ كقولك: إنما أنت أكلٌ وشُرْبٌ. كما^(١) قال الشاعر^(٢):

وَحَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ^(٣) لَهَا بِحَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيْعٌ
فَجَعَلَ التَّحِيَّةَ ضَرْبًا.

وقال آخَرُ: بل «الحُسْنُ» هو الاسمُ العامُّ الجامعُ جميعَ معاني الحُسْنِ، و«الحَسَنُ» هو البعضُ من معاني «الحُسْنِ». قال: وكذلك^(٤) قال جَلُّ ثَنَاؤُهُ إذْ أوصى بالوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. يعنى بذلك أنه وصَّاه فيهما^(٥) بجميعِ معاني «الحُسْنِ»، وأمره في سائرِ الناسِ ببعضِ الذى أمره به في والديه، فقال: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). يعنى بذلك بعضَ معاني الحُسْنِ.

والذى قاله هذا القائلُ فى معنى «الحُسْنِ» - بضم الحاءِ وسكونِ السينِ - غيرُ بعيدٍ من الصوابِ، وأنه اسمٌ لنوعه الذى سُمِّيَ به. وأمَّا «الحَسَنُ» فهو صفةٌ^(٦) ونعتٌ^(٧) لما وُصِفَ به، وذلك يَقَعُ لخاصِّ^(٧). وإذا كان الأمرُ كذلك، فالصوابُ من القراءةِ فى قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: (حَسَنًا)؛ لأن القومَ إنما أمروا - فى هذا العهدِ الذى قيل لهم: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ - باستعمالِ الحَسَنِ من القولِ دونَ سائرِ معاني الحُسْنِ، الذى يكونُ بغيرِ القولِ، وذلك نَعَتْ

(١) فى م، ت، ١، ٢، ت، ٣: «وكما».

(٢) هو عمرو بن معديكرب، والبيت فى ديوانه المجموع ص ١٣٠.

(٣) دلفت: مشيت.

(٤) فى م، ت، ١، ١، ت، ٣: «لذلك».

(٥) فى الأصل، ت، ٢، ت، ٣: «فيه».

(٦ - ٦) فى م: «وقعت».

(٧) فى م، ت، ٢، ت، ٣: «بخاص».

لخاص من معاني الحُسن وهو القول ، فلذلك اخترتُ قراءته بفتح الحاء والسين ، على قراءته بضم الحاء وسكون السين ^(١) .

وأما الذي قرأ ذلك : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَى) . فإنه خالف بقراءته إياه كذلك قراءة أهل الإسلام ، وكفى شاهداً على خطأ القراءة بها كذلك خروجها من قراءة أهل الإسلام لو لم يكن على خطئها شاهدٌ غيره . فكيف وهى مع ذلك خارجة من المعروف من كلام العرب ، وذلك أن العرب لا تكاد أن تتكلم بـ « فُعَلَى » و « أَفْعَل » إلا بالألف واللام أو بالإضافة ، لا تقول : جاءنى أحسن . حتى يقولوا : الأحسن . ولا : أجمل . حتى يقولوا : الأجل . وذلك أن « الأفعَل » و « الفُعَلَى » لا يكادان يوجدان صفة إلا لمفهود معروف ، كما تقول : بل أخوك الأحسن ، و : بل أختك الحُسنَى . وغير جائز أن يُقال : امرأة حُسنَى ، ورجل أحسن .

وأما تأويل القول الحُسن الذى أمر الله به جل ثناؤه الذين وصف أمرهم من بنى إسرائيل فى هذه الآية أن ^(٢) يقولوه للناس ، فهو ما حدثنا به أبو كُرَيْب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبى رُوَيْق ، عن الضُّحَّاك ، عن ابن عباس : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أمرهم أيضاً بعد هذا الخلق أن يقولوا للناس حسناً ؛ أن يأثروا بـ « لا إله إلا الله » من لم يقلها ورغب عنها ، حتى يقولوها كما قالوها ، فإن ذلك قربة لهم من الله جل ثناؤه . ^(٣) قال : والحسن ^(٤) أيضاً لئىن القول ، من الأدب الحسن الجميل ، والخلق الكريم ، وهو مما ارتضاه الله وأحبه ^(٥) .

(١) القراءات واختياراتها لا تثبت بمثل هذا التعليل وإنما تثبت بالتواتر والنقل الصحيح عن النبى ﷺ .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لأن » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وقال الحسن » .

(٤) بعده فى الأصل : « من » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٥/١ إلى المصنف نحوه مختصراً ، وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره

حَدَّثَنَا [٣١/٣] المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : يَقُولُ : قولوا للناس معروفًا ^(١) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : صِدْقًا في شأنِ محمدٍ ﷺ ^(٢) .

حَدَّثْتُ عن يزيد بن هارون ، قال : سَمِعْتُ سفيانَ الثَّورِيَّ يَقُولُ في قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : مُرُوهِمَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَأَنْهَوْهَمَ عَنِ الْمُنْكَرِ ^(٣) .

حَدَّثَنِي هَارُونَ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمِّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ المحاربيِّ ، قال : ثنا عبدُ الملكِ بنُ أبي سليمان ، قال : سألتُ عطاءَ بنَ أبي رباحٍ عن قولِ اللَّهِ : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : مَنْ لَقِيَتْ مِنَ النَّاسِ ، فَقُلْ لَهُ حَسَنًا مِنَ الْقَوْلِ . قال : وسألتُ أبا جعفرٍ فقال مثل ذلك .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ^(٤) ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الملكِ ، عن أبي جعفرٍ وعطاءِ بنِ أبي رباحٍ في قوله : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ . قال : للناسِ كُلِّهِمْ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يعقوبُ بنُ إبراهيم ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا عبدُ الملكِ ، عن عطاءِ مثله ^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦١/١ (٨٤٣) من طريق آدم به .

(٢) ذكره ابن الجوزي في ناسخه ص ١٣٢ معلقاً .

(٣) ذكره النحاس في ناسخه ص ١٠٣ معلقاً .

(٤) في م : « القاسم » ، وفي ت ٢ : « نعيم » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦١/١ (٨٤٤) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (٣٠٤) من طريق عبد الملك بن سليمان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٥/١ إلى عبد بن حميد .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣٠٨) ، وفي مداراة الناس (١٠٦) من طريق عبد الملك به .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ : أدوها بحدودها^(١) الواجبة عليكم فيها .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، عن بشر بن عمار ، عن أبي رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس^(٢) ، قال : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ :^(٣) فى هذه الأخلاق^(٤) ، وإقامة الصلاة تمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع ، والإقبال عليها فيها^(٥) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ .

قد بيننا فيما مضى قبل معنى الزكاة وما أصلها^(٥) .

وأما الزكاة التى كان الله جل ثناؤه أمر بها بنى إسرائيل الذين ذكر أمرهم فى هذه الآية ، فهى ما حدثنا به أبو كريب ، قال : ثنا عثمان ، عن بشر ، عن أبي رزق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ . قال : إيتاء الزكاة ما كان الله فرض عليهم فى أموالهم من الزكاة ، وهى سنة كانت لهم غير سنة محمد ﷺ ، كانت زكاة أموالهم قروبانا تهبط إليه [٣٢/٣] ناز فتحميلها ، فكان ذلك تقبله ، ومن لم تقبل الناز به ذلك كان غير متقبل ، وكان الذى قرب من مكسب لا يحل من ظلم أو غشم ، أو أخذ بغير ما أمره الله عز وجل به وبينه له .

(١) فى م : « بحقوقها » .

(٢) فى م : « مسعود » .

(٣ - ٣) فى م : « هذه » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فى هذه » ثم ياض بمقدار كلمة .

(٤) تقدم تخريجه فى ٢٤٨/١ .

(٥) ينظر ما تقدم فى ٦١١/١ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ﴾ : يعنى بالزكاة طاعةَ اللهِ تعالى ذكره والإخلاص^(١) .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٨٣) .

وهذا خبرٌ من اللهِ تعالى ذكره عن يهودِ بنى إسرائيل ، أنهم نكثوا عهده ، ونقضوا ميثاقه ، بعد ما أخذ ميثاقهم على الوفاء له بأن لا يعبدوا غيره ، وبأن يُحسِنوا إلى الآباءِ والأمهات ، ويصلوا الأرحام ، ويتعطفوا على الأيتام ، ويؤدُّوا حقوقَ أهلِ المسكنةِ إليهم ، ويأتمروا بعبادته بما أمرهم اللهُ به ، ويحثُّوهم على طاعته ، ويقيموا الصلاةَ بحدودها وفرائضها ، ويؤتوا زكواتِ أموالهم ، فخالفوا أمره فى ذلك كله ، وتولَّوا عنه مُعْرِضِينَ ، إلا من عصم اللهُ منهم ، فوفى اللهُ بعهده وميثاقه .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ ، عن بشرٍ ، عن أبى رزوقٍ ، عن الصَّحَّاحِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما فرض اللهُ عليهم - يعنى على هؤلاء الذين وصف اللهُ أمرهم فى كتابه من بنى إسرائيل - هذا الذى ذكر أنه أخذ ميثاقهم به ، أعرضوا عنه استئقالاتاً له^(٢) وكرهيةً ، وطلبوا ما خفَّ عليهم ، إلا قليلاً منهم ، وهم الذين استثنى اللهُ تعالى ذكره فقال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ . يقولُ : أعرضتم عن طاعتي ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ ﴾ . قال : القليلُ الذين اخترتهم لطاعتي ، وسيحلُّ عقابى بمن تولَّى وأعرض عنها . يقولُ : تركها استخفافاً بها^(٣) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٩٩/١ (٤٦٤) من طريق أبى صالح به .

(٢) سقط من : م .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٦/١ إلى المصنف .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : ^(١) ثنا ابنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَوْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ : أَي : تَرَكْتُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ ^(٢) .

وقال بعضهم : عنى الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ اليهود الذين كانوا على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وعنى بسائرِ الآيةِ أشلافهم . كأنه ذهب إلى أن معنى الكلام : ثم تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا [٣/٣٢ظ] منكم ، ثم تَوَلَّيْتُمْ سَلْفَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ . ولكنه جعل خطابًا لبقايا نسلهم - على ما قد ذكرناه فيما مضى قبل ^(٣) - ثم قال : وَأَنْتُمْ معشرٌ ببقاياهم مُّعْرِضُونَ أيضًا عن الميثاقِ الذى أخذته عليكم بذلك ، وتاركوه تَرَكَ أَوْلِيَاءِكُمْ .

وقال آخرون : بل قوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ خطابٌ لمن / كان بين ظَهْرَانِي مُهَاجِرِ رَسولِ اللهِ ﷺ من يهودِ بنى إِسْرَائِيلَ ، وذَمٌّ لهم بنقضهم الميثاقِ الذى أُخِذَ عَلَيْهِمْ فى التوراةِ وتبديلهم أمرَ اللهِ وركوبهم معاصيه . ٣٩٤/١

القول فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ . فى المعنى والإعراب نظيرُ قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من الأصل .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٣٩ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٦٢ (٨٥٠) من طريق سلمة به .

(٣) تقدم فى ١/٦٤٢ - ٦٤٣ .

وَأَمَّا سَفْكُ الدَّمِ ، فَإِنَّهُ صَبُّهُ وَإِرَاقَتُهُ .

فإن قال قائلٌ : وما معنى قوله : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ﴾ . وقال : أَوَ كَانَ الْقَوْمُ يَقْتُلُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيُخْرِجُونَهَا مِنْ دِيَارِهَا ، فَيُنْهَوْنَ عَنْ ذَلِكَ ؟

قيل : ليس الأمرُ في ذلك على ما ظننتُ ، ولكن نُهوا عن أن يُقتلَ بعضهم بعضًا ، فكان في قتلِ الرجلِ منهم الرجلَ منهم قتلٌ لنفسه ، إذ كانت مِلَّتَهُمَا^(١) واحدةً ، ودينتُهُما واحدًا ، وكانَ أهلُ الدينِ الواحدِ في ولايةِ بعضهم بعضًا^(٢) بمنزلةِ رجلٍ واحدٍ ، كما قال ﷺ : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ بَيْنَهُمْ بِمَنْزِلَةِ^(٣) الْجَسَدِ الْوَاحِدِ^(٤) ، إِذَا اشْتَكَى^(٥) مِنْهُ عُضْوٌ^(٦) تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهْرِ^(٧) » .

وقد يجوزُ أن يكونَ معنى قوله : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ أي : لا يقتلُ الرجلُ منكم^(٨) الرجلَ منكم^(٩) ، فيُقَادَ به قِصَاصًا ، فيكونَ بذلك قاتلاً لنفسه ؛ لأنه كان الذي سبَّبَ لنفسه ما استحَقَّتْ به القتلَ ، فأُضِيفَ إليه بذلك قتلُ وليِّ المقتولِ إياه قِصَاصًا بوليِّه ، كما يقالُ للرجلِ يَرْكَبُ فِعْلًا مِنَ الْأَفْعَالِ يَسْتَحِقُّ بِهِ الْعُقُوبَةَ فَيَعَاقِبُ^(١٠) : أَنْتَ جَنَيْتَ هَذَا عَلَى نَفْسِكَ .

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) في ت ٢ : « رجل واحد » .

(٣ - ٣) في م : « بعضه » .

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١١) ، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير ، وقد ذكره المصنف هنا بمعناه .

(٥ - ٥) سقط من : ت ٢ .

(٦) بعده في م ، ت ١ : « العقوبة » ، وفي ت ٢ : « به العقوبة » .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ أَيْ : لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ وَنَفْسُكَ يَا بَنَ آدَمَ أَهْلُ مَلَّتِكَ ^(١) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا آدَمُ ، قَالَ : ثنا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنِ الرَّبِيعِ ، عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ . يَقُولُ : لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ . يَقُولُ : لَا يُخْرِجُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنَ الدِّيَارِ ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا آدَمُ ، قَالَ : ثنا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ . يَقُولُ : لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا .

^(٣) حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ . يَقُولُ : لَا يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِغَيْرِ حَقٍّ ، ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ فَتَسْفِكُ يَا بَنَ آدَمَ دِمَاءَ أَهْلِ مَلَّتِكَ وَدَعْوَتِكَ .

/القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ .

٣٩٥/١

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ ^(١) أَيْ : أَقْرَرْتُمْ ^(٢) بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْنَا

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٣/١ عقب الأثر (٨٥٢) معلقاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٢/١ ، ١٦٣ (٨٥١ ، ٨٥٢) من طريق آدم به .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

عليكم ^(١) «أَلَا تَسْفِكُوا» دماءكم ولا تُخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ .

كما حدّثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . يقول : أقررتهم بهذا الميثاق ^(٢) .

حدّثت عن عمّار ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيعٍ مثله .

القولُ في تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ^(٣) .

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في من شوطب بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم : ذلك خطابٌ من الله جلّ وعزّ لليهود الذين كانوا بين ظهرانئى مهاجرِ رسولِ الله ﷺ أيامَ هجرته إليه مؤثّباتاً لهم على تضييعهم أحكامَ ما فى أيديهم من التوراة التى كانوا يُقرّون بحكمها ، فقال الله عزّ وجلّ لهم : ﴿ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ ﴾ . يعنى بذلك : أقرّ ^(٤) أوائلكم و سلفكم ، ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ على إقرارهم بأخذِ الميثاقِ عليهم بأن لا يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ ، ولا يُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، ^(٥) «وَيُصَدِّقُونَ» بأنّ ذلك حقٌّ من ميثاقى عليكم ^(٥) . ومن حكي هذا القولُ عنه ابنُ عباس .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، قال : حدّثنى محمد بنُ أبى محمد ، عن سعيد بنِ جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابنِ عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ^(٦) لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ

(١ - ١) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « لا تسفكون » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٦٣/١ (٨٥٥) من طريق آدم به .

(٣) فى م : « إقرار » .

(٤ - ٤) فى م : « ويصدقون » .

(٥) فى م : « عليهم » .

وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿١﴾ : عَلَى أَنَّ هَذَا حَقٌّ مِنْ مِيثَاقِي عَلَيْكُمْ ^(١) .

وقال آخرون : بل ذلك خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ أَوْلِيائِهِمْ ، ولكنه تعالى ذكره أخرج الخبرَ بذلك عنهم مُخْرِجَ المخاطبةِ على النحو الذي وَصَفْنَا فِي سَائِرِ الآيَاتِ التي هي نظائرها ، التي قد بَيَّنَّا تَأْوِيلَهَا فيما مضى ^(٢) .

وتأولوا قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ بمعنى : وأنتم شهودٌ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المشني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ يقول : وأنتم شهودٌ .

وأولى الأقاويل في تأويل ذلك بالصوابِ عندي أن يكون ﴿ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ خبرًا عن أسلافهم ، وداخلًا فيه المخاطبون به ^(٣) الذين أذركوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كما كان قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ خبرًا عن أسلافهم وإن ^(٤) كان خطابًا للذين أذركوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ؛ لأنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرَهُ أَخَذَ ميثاقَ الذين كانوا على عهدِ موسى عليه السلام / من بني إسرائيلَ على سبيلِ ما قد بيَّنه لنا في كتابه ، فالزَّمَّ جميعَ مَنْ بعدهم مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ مِنْ حُكْمِ التوراةِ مثلَ الذي أَلَزَمَ مِنْهُ مَنْ كان على عهدِ موسى عليه السلامِ منهم ، ثم أَنبَ الذين خاطبهم بهذه الآياتِ على نقضِهِمْ ونقضِ سلفِهِمْ ذلك الميثاقَ ، وتبديلِهِمْ ^(٥) ما وَكَّدُوا على أَنفُسِهِمْ له بالوفاءِ مِنَ العهودِ بقوله :

٣٩٦/١

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٣/١ (٨٥٤) من طريق سلمة به .

(٢) ينظر ما تقدم في ١/ ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

(٣) في م : « منهم » .

(٤) في م : « بأن » .

(٥) في م ، ت ، ٢ : « تكذيبهم » .

﴿ ثُمَّ أَفْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وإن كان خارجاً على وجه الخطاب للذين كانوا على عهد نبينا ﷺ منهم ، فإنه معنى به كلُّ من أقرَّ^(١) بالميثاقِ منهم على عهدِ موسى عليه السلامِ ومن بعده ، وكلُّ من شهد منهم بتصديق ما فى التوراة ؛ لأنَّ الله جلَّ ثناؤه لم يَخْصُصْ بقوله : ﴿ ثُمَّ أَفْرَزْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وما أشبه ذلك من الآيِ بعضهم دون بعض ، والآيةُ محتملةٌ أن يكون أريدَ بها جميعُهُم ، فإذا كان ذلك كذلك ، فليس لأحدٍ أن يدعى أنه أريدَ بها بعضٌ منهم دون بعض ، وكذلك حكمُ الآيةِ التى بعدها ، أعنى قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية ؛ لأنه قد ذُكِرَ أن أوائلهم قد كانوا يفعلون من ذلك ما كان يفعلُه أو اخرهم الذين أدركوا عصرَ نبينا ﷺ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [٣٤/٣]
وَتَخْرُجُونَ قَرِيبًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ .

ويتَّجِهْ قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾ وجهين ؛ أحدهما ، أن يكون أريدَ به : ثم أنتم يا هؤلاء . فترك « يا » استغناءً بدلالة الكلام عليه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا ﴾ [يوسف : ٢٩] . وتأويله : يا يوسفُ أَعْرِضْ عَن هَذَا . فيكون معنى الكلام حينئذٍ : ثم أنتم^(٢) يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيل ، بعد إقراركم بالميثاقِ الذى أخذته عليكم^(٣) ألا تَسْفِكُوا^(٤) دماءكم ، ولا تُخْرِجُوا^(٥) أنفسكم من دياركم ، وبعد شهادتكم على أنفسكم بأن ذلك حقٌّ لى عليكم لازمٌ لكم الوفاء لى به - تقتلون

(١) فى م : « واثق » .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣ - ٣) فى م : « لا تسفكون » .

(٤) فى م : « تخرجون » .

(٥) بعده فى م : « ثم أفررتم » .

أنفسكم وتُخرجون فريقًا منكم من ديارهم ، متعاونين عليهم ^(١) في إخراجكم إياهم بالإثم والعدوان . والتعاون هو التظاهر . وإنما قيل للتعاون : التظاهر . لتقوية بعضهم ظهر بعض ، فهو تفاعل من الظهر ، وهو مساندة بعضهم ظهره إلى ظهر بعض .

والوجه الآخر أن يكون معناه : ثم أنتم ، القوم ^(٢) ، تقتلون أنفسكم ، فيزجج إلى الخبر عن « أنتم » ، وقد اغترض بينهم وبين الخبر عنهم بـ « هؤلاء » ، كما تقول العرب : أنا ذا أقوم ، أنا ذا أجلس . ولو قيل : أنا هذا يجلس . كان صحيحًا جائزًا ، وكذلك : أنت ذاك تقوم .

وقد زعم بعض البصريين أن قوله : ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ . في قوله : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ ﴾ ^{٣٩٧/١} تنبيه وتوكيد ^٣ لـ ﴿ أَنْتُمْ ﴾ . وزعم / أن « أنتم » وإن كانت كناية أسماء جماع المخاطبين ، فإنما جاز أن يؤكدوا بـ « هؤلاء » - ^٤ و « هؤلاء » لا يؤكد بها ^٤ عن مخاطبين - كما قال خفاف ابن نُدبة ^(٥) :

أقول له والرؤمخ يَأْطِرُ مَثَنَهُ تَأْمَلُ ^(٦) خُفَافًا إِنِّي أَنَا ذَلِكَ يريد : أنا هذا ^(٧) . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتَ بِرِيمٍ رِيحٍ طَبَّيْبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

ثم اختلف أهل التأويل في من عنى بهذه الآية نحو اختلافهم في من عنى بقوله :

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « عليه » .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « قوم » .

(٣ - ٣) في حاشية الأصل : « في الأم : تنبيه لا توكيد » .

(٤ - ٤) في م : « وأولى لأنها كناية » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « وأولى لا يكتفى بها » .

(٥) تقدم في ٢٣٠/١ .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تبين » .

(٧) في الأصل : « هو » .

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ .

ذِكْرُ اخْتِلَافِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، أَوْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ : أَي : أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى تَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ مَعَهُمْ وَتُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : ابْتَلَاهُمْ ^(١) اللَّهُ بِذَلِكَ ^(٢) مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فِدَاءَ أَشْرَاهِمَ ، فَكَانُوا فَرِيقَيْنِ ؛ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَنُو قَيْنِقَاعَ وَلِقُفَهُمْ ^(٣) حَلَفَاءُ الْخَزْرَجِ ، [ظ٣٤/٣] وَالنَّضِيرُ وَقَرِيظَةُ وَلِقُفَهُمْ ^(٤) حَلَفَاءُ الْأَوْسِ ، فَكَانُوا إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حَرْبٌ خَرَجَتْ بَنُو قَيْنِقَاعَ مَعَ الْخَزْرَجِ ، وَخَرَجَتْ النَّضِيرُ وَقَرِيظَةُ مَعَ الْأَوْسِ ، يُظَاهِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حَلَفَاءَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ حَتَّى يَتَسَافَكُوا دِمَاءَهُمْ بَيْنَهُمْ ، وَبِأَيْدِيهِمُ التَّوْرَةَ يَعْرِفُونَ مِنْهَا مَا عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ ، وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَهْلُ شَرِكٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ لَا يَعْرِفُونَ جَنَّةً وَلَا نَارًا ، وَلَا بَعَثًا وَلَا قِيَامَةً ، وَلَا كِتَابًا وَلَا حَرَامًا وَلَا حَلَالًا ، فَإِذَا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا افْتَدَوْا أَشْرَاهِمَ ، تَصَدِيقًا لِمَا فِي التَّوْرَةِ وَأَخَذًا بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ . يَفْتَدِي بَنُو قَيْنِقَاعَ مَا كَانَ مِنْ أَشْرَاهِمَ فِي أَيْدِي الْأَوْسِ ، وَتَفْتَدِي النَّضِيرُ وَقَرِيظَةُ مَا كَانَ فِي أَيْدِي الْخَزْرَجِ مِنْهُمْ ، وَيُطِيلُونَ ^(٥) مَا أَصَابُوا مِنَ الدَّمِ ، وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، مَظَاهِرَةً لِأَهْلِ الشَّرِكِ عَلَيْهِمْ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ أَنْبَأَهُمْ بِذَلِكَ : ﴿أَفَتَوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ : «أَنِيم» .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : م . وَاللَّفُّ : الْحَزْبُ وَالطَّائِفَةُ ، وَالْقَوْمُ الْمُجْتَمِعُونَ . وَالْجَمْعُ لُفُوفٌ وَأَلْفَافٌ . التَّاجُ (ل ف ف) .

(٤) الطَّلُّ : هَدْرُ الدَّمِ ، وَقِيلَ : هُوَ أَلَا يَثَّارٌ بِهِ أَوْ تَقْبَلُ دَيْتَهُ . اللِّسَانُ (ط ل ل) .

يَبْعُضُ ﴿١﴾ أَى: ^(١) يُفَادِيهِ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ، وَيَقْتُلُهُ، وَفَى حُكْمِ التَّوْرَةِ أَلَا يَفْعَلُ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ دَارِهِ، وَيُظَاهِرُ ^(٢) عَلَيْهِ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ ابْتِغَاءَ عَرْضِ الدُّنْيَا. فَفَى ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ مَعَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ - فِيمَا بَلَّغْنِي - نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ ^(٣).

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ، قَالَ: ثَنَا أَسْبَاطُ، عَنْ السَّدِيِّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ شَاهِدُونَ﴾. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ أَخَذَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي التَّوْرَةِ أَلَا يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَيُّمَا عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ وَجَدْتُمُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاشْتَرَوْهُ بِمَا ^(٤) قَامَ تَمَنُّهُ ^(٥) فَأَعْتَقُوهُ، فَكَانَتْ قَرِيبَةً حُلَفَاءِ الْأَوْسِ، وَالنُّضَيْرِ حُلَفَاءِ الخَزْرَجِ، فَكَانُوا يَقْتُلُونَ فِي حَرْبِ سَمِيرٍ ^(٦)، فَتَقَاتَلُ بَنُو قَرِيبَةَ مَعَ حُلَفَائِهَا النُّضَيْرِ وَحُلَفَاءِهَا، وَكَانَتْ النُّضَيْرُ تُقَاتِلُ قَرِيبَةَ وَحُلَفَاءَهَا وَيَغْلِبُونَهُمْ، فَيُخْرِبُونَ دِيَارَهُمْ وَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَإِذَا أُسِرَ رَجُلٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، جَمَعُوا لَهُ حَتَّى يَقْدُوهُ، فَتُعَيِّرُهُمُ الْعَرَبُ بِذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: كَيْفَ تَقَاتِلُونَهُمْ وَتَقْدُونَهُمْ؟ قَالُوا: /إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَقْدِيَهُمْ وَحُرِّمَ عَلَيْنَا قِتَالَهُمْ. قَالُوا: فَلِمَ تُقَاتِلُونَهُمْ؟ قَالُوا: إِنَّا نَسْتَحْيِي أَنْ يُسْتَدَلَّ حُلَفَاؤُنَا. فَذَلِكَ حِينَ عَيَّرَهُمُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ، فَقَالَ: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ قَرِيبًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ ^(٧).

٣٩٨/١

(١ - ١) فى م: «تفادونه بحكم التوراة وتقتلونه وفى حكم التوراة ألا يقتل ولا يخرج من ذلك ولا يظاهر».
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٣ - ١٦٦ (٨٥٦، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦٤، ٨٦٧، ٨٧٠) مرفقاً من طريق سلمة به.

(٣ - ٣) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «قدم يمينه» وبما قام ثمنه. يريد: بما بلغه ثمنه. يقال: كم قامت ناقتك؟ أى كم بلغت. وقد قامت الأمة مائة دينار. أى بلغ قيمتها مائة دينار. اللسان (ق و م).

(٤) سمير: رجل من بنى عمرو بن عوف. وينظر خبر هذه الحرب فى الكامل لابن الأثير ١/ ٦٥٨، والأغانى ٣/ ١٨. وسيدكره المصنف مرة أخرى فى تفسير الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٦٣ (٨٥٢، ٨٥٧) عن أبى زرعة، عن عمرو به.

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : كَانَتْ قَرِيظَةُ وَالنَضِيرُ أَحْوَيْنَ ، وَكَانُوا بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ ^(١) ، وَكَانَ الْكِتَابُ بِأَيْدِيهِمْ ، وَكَانَتِ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ أَحْوَيْنَ فَافْتَرَقَا ، وَافْتَرَقَتْ قَرِيظَةُ وَالنَضِيرُ ، فَكَانَتِ النَّضِيرُ مَعَ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَتِ قَرِيظَةُ مَعَ الْأَوْسِ . قَالَ : فَاقْتَتَلُوا ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ ﴾ الْآيَةَ .

[٣/٣٥٠ظ] وَقَالَ آخِرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي الْمُنْثَى ، قَالَ : ثَنَا آدَمُ ، قَالَ : ثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، قَالَ : كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا اسْتَضَعَفُوا قَوْمًا أَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقُ أَلَّا يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَلَا يُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ^(٢) .

وَأَمَّا الْعُدْوَانُ فَهُوَ الْقُعْلَانُ مِنَ التَّعَدَّى ، يُقَالُ مِنْهُ : عَدَا فُلَانٌ فِي كَذَا يَعْدُو فِيهِ عَدْوًا وَعُدْوَانًا ، وَاعْتَدَى فَهُوَ يَعْتَدِي اعْتِدَاءً . وَذَلِكَ إِذَا جَاوَزَ حَدَّهُ ظُلْمًا وَبَغْيًا .

وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الْقِرَاءَةُ فِي قِرَاءَةِ ﴿ تَطَاهَرُونَ ﴾ ؛ فَقَرَأَهَا بَعْضُهُمْ : ﴿ تَطَاهَرُونَ ﴾ . عَلَى مِثَالِ « تَفَاعَلُونَ » ، بِحَذْفِ التَّاءِ الزَّائِدَةِ - وَهِيَ التَّاءُ الْآخِرَةُ ، وَقَرَأَهَا آخِرُونَ : (تَطَاهَرُونَ) . مُشَدَّدَةً ، بِتَأْوِيلِ « تَنْظَاهَرُونَ » ، غَيْرَ أَنَّهُمْ أَدْعَمُوا التَّاءَ الثَّانِيَةَ فِي الظَّاءِ لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيْهِمَا فَصَيَّرُوهُمَا ظَاءً مُشَدَّدَةً ^(٣) .

وَهَاتَانِ الْقِرَاءَتَانِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهُمَا فَهِيَ مُتَّفِقَتَا الْمَعْنَى ، فَسَوَاءٌ بِأَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ بِهِ الْقَارِئُ ؛ لِأَنَّهِمَا جَمِيعًا لُغَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ وَقِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيدَتَانِ فِي أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، لَيْسَ فِي إِحْدَاهُمَا مَعْنَى تَشْتَقِيقٌ بِهَ اخْتِيَارِهَا عَلَى الْآخَرَى ، إِلَّا

(١) فِي م : « الْمَثَابَةُ » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٦٣/١ (٨٥٣) مِنْ طَرِيقِ آدَمَ بِهِ .

(٣) وَبِهَا قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ : عَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ « تَطَاهَرُونَ » بِالتَّشْدِيدِ . يَنْظُرُ النُّشْرُ ٢١٨/٢ .

(تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٤/٢)

أن يختارَ مختارًا (تَطَاهَرُونَ) بالتشديد طلبًا منه تَمَمَةَ الكلمة .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْدُوهُمْ ﴾ . اليهود ، يُؤْتِبُهُمْ ^(١) بذلك ، ويُعَرِّفُهُمْ به قبيح أفعالهم التي كانوا يفعلونها ، فقال لهم : ثم أنتم ، بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ألا تسفكوا دماءكم ، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم ، تقتلون أنفسكم - يعنى به : يقتل بعضكم بعضًا - وأنتم مع قتلكم من تقتلون منكم ، إذا وجدتم الأسير منكم فى أيدى غيركم من أعدائكم تقدونهم ويخرج بعضكم بعضًا من داره ، وقتلكم إياهم وإخراجكموهم من ديارهم حرام عليكم ، كما حرام عليكم تزكهم أسرى فى أيدى عدوكم ، فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدايهم من عدوهم ؟ أم كيف لا تستجيزون ترك فدايهم ، وتستجيزون قتلهم ، وهما جميعًا فى اللازم لكم من الحكم فيهم سواء ؛ لأن الذى حرمت عليكم من قتلهم وإخراجهم من دورهم نظير الذى حرمت عليكم من تزكهم أسرى فى أيدى عدوهم ، أتؤمنون ببعض الكتاب الذى فرضت عليكم فيه فرائضى ويكنن لكم فيه حُدودى وأخذت عليكم ^(٢) بالعمل بما فيه ميثاقى - ٣٩٩/١ فتصدقون [٣/٣٥] به ، فتفادون أسراكم من أيدى عدوكم ، وتكفرون ببعضه ، فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم ومن قومكم ، وتخرجونهم من ديارهم ، وقد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقض منكم عهدى وميثاقى !؟

(١) فى م : « يربخهم » .

(٢) فى م : « عليه » .

كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَبْطِغُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ^(١) وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: فادين، والله إن فداءهم للإيمان، وإن إخراجهم للكفر، فكانوا يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وإذا رأوهم أُسْرَىٰ فِي أَيْدِي عَدُوِّهِمْ افْتَكُوهُمْ^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبيرة، أو عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ﴾: قد علمتم أن ذلكم عليكم في دينكم ﴿وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ في كتابكم ﴿إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: أفتأدونهم مؤمنين بذلك، وتُخْرِجُونَهُمْ كَفْرًا بِذَلِكَ^(٣).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ﴾. يقول: إن وجدته في يد غيرك فديته وأنت تقتله^(٤) بيديك.

حدثني المشني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، قال: قال أبو جعفر: كان قتادة يقول في قوله: ﴿أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: فكان إخراجهم كفرًا وفداؤهم إيمانًا.

حدثني المشني، قال: حدثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية

(١-١) في الأصل: «أسرى تفتدوهم». وفي م، ت، ١، ٢: «أسارى تفتدوهم»، وهذه قراءات سيذكرها المصنف.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٦٦ (٨٦٨) من طريق يزيد به.

(٣) تقدم مطولاً في ص ٢٠٧.

(٤) بعده في الأصل: «أو أنت تقتله».

في قوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ الآية. قال: كان في بني إسرائيل إذا استضعفوا قوماً أخرجوهم من ديارهم، وقد أخذ عليهم الميثاق ألا يسفكوا دماءهم، ولا يُخْرِجُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وأُخِذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقُ إِنْ أُسِرَ بَعْضُهُمْ أَنْ يُفَادُوهُمْ، فَأُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، ثم فادوهم، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض، آمنوا بالفيداء ففدوا، وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوا^(١).

حدَّثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، قال: ثنا الربيع بن أنس، قال: أخبرني أبو العالية، أن عبد الله بن سلام مرَّ على رأس الجالوت بالكوفة وهو يُفَادِي مِنَ النِّسَاءِ مَنْ لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ، وَلَا يُفَادِي مَنْ قَدِ وَقَعَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: أَمَا إِنَّهُ مَكْتُوبٌ عِنْدَكَ فِي كِتَابِكَ: أَنْ فَادُوهُنَّ كُلَّهُنَّ^(٢).

حدَّثني القاسم، قال [٣٦/٣]: ثنا الحسين، قال: حدَّثني حجاج، عن ابن جريج:

﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾. قال: كفرهم القتل والإخراج،

٤٠٠/١ وإيمانهم الفداء. قال ابن جريج: /يقول: إذا كانوا عندكم تقتلونهم، وتخرجونهم من ديارهم، وأما إذا أسروا ففادوهم؟ وبلغني أن عمر بن الخطاب قال في قصة بني إسرائيل: إن بني إسرائيل قد مضوا، وإنكم^(٣) يا أهل الإسلام تُعْتَنُونَ بهذا الحديث.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى فَعُدُّوهُمْ﴾؛ فقرأه

بعضهم: (أسرى فعدوهم). وبعضهم: (أسارى فعدوهم). وبعضهم:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٦٥، ١٦٦ (٨٦٦، ٨٧٢) من طريق آدم به.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٧٤ عن آدم بن أبي إياس في تفسيره. مصنف ابن أبي شيبة ١٣/١٣،

وتفسير ابن أبي حاتم ١/١٦٥ (٨٦٥).

(٣ - ٣) في م: «أنتم».

(أَسَارَى تَفْدُوهُمْ) . وبعضُهم : (أَسْرَى تُفَادُوهُمْ) ^(١) .

فَمَنْ قَرَأَ ذَلِكَ : (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى) . فإنه أراد جمع الأسيرِ ، إذ كان على «فَعِيلٍ» على مثالِ جمعِ أسماءِ ذَوِي العاهاتِ التي يَأْتِي واحدُها على تقديرِ «فَعِيلٍ» ؛ إذ كان الأُسْرُ شَبِيهَ المعنى - في الأذَى والمكروه الداخلِ به على الأسييرِ - ببعضِ معاني العاهاتِ ، وألْحَقَ جَمْعُ المسمى ^(٢) به بجمعِ ما وَصَفْنَا ، فقليل : أَسِيرٌ وَأَسْرَى . كما قيل : مريضٌ ومَرْضَى ، وكَسِيرٌ وكَسْرَى ، وجَرِيحٌ وجَرْحَى .

وأما الذين قرءوا ﴿أَسْرَى﴾ فَإِنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ عَلَى مُخْرَجِ جَمْعِ «فَعْلَانٍ» ؛ إذ كان جمعُ «فَعْلَانٍ» الذي له «فَعْلَى» ، قد يُشَارِكُ جمعَ «فَعِيلٍ» ، كما قالوا : سَكَارَى وَسَكَرَى ، وكُسَالَى وكَسَلَى ، فشبَّهوا أَسِيرًا - إذ جمَعوه مرةً أُسَارَى ، وأخرى أَسْرَى - بذلك .

وكان بعضهم يَزْعُمُ أن معنى الأَسْرَى مخالِفٌ معنى الأَسَارَى ، وَيَزْعُمُ أن معنى الأَسْرَى اسْتِثْسَاؤُ القومِ بغيرِ أسيرٍ مِنَ المُسْتَأْسِرِ لَهُمْ ، وأن معنى الأَسَارَى معنى مَصِيرِ القومِ المَأْسُورِينَ في أيدي الأَسِيرِينَ بِأَسْرِهِمْ إِيَاهُمْ وَأَخَذِهِمْ قَهْرًا وَغَلْبَةً .

قال أبو جعفرٍ : وذلك ما لا وجهَ له يُفْهَمُ في لغةِ أحدٍ مِنَ العَرَبِ ، ولكنَّ ذلك على ما وَصَفْتُ من جمعِ الأَسِيرِ مرةً على «فَعْلَى» لِأَنَّ بَيِّنَتُ مِنَ العلةِ ، ومرةً على «فَعَالَى» لِأَنَّ ذَكَرْتُ من تشبيهِهم جمَعَهُ بجمعِ سَكَرَانَ وكَسَلَانَ وما أشَبَهَ ذلك . وأولى القراءاتِ ^(٣) بالصوابِ في ذلك ^(٤) قراءةٌ من قرأ : (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى) ؛

(١) القراءة الأولى قرأ بها حمزة ، والثانية قرأ بها الكسائي وعاصم ونافع وأبو جعفر ، والثالثة قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وخلف ، والرابعة قراءة شاذة مما فوق العشرة . انظر النشر ٢/٢١٨ .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «المستلحق» .

(٣) سقط من : م .

(٤) القراءات المتواترة لا تفاضل بينها ، قال أبو عمرو الداني : وأئمة القراء لا يعمل في شيء من حروف القرآن =

لأن «فَعَالِي» في جمع «فَعِيل» غير مُسْتَفِيضٍ في كلام العرب، فإذا كان ذلك غير مُسْتَفِيضٍ في كلامهم، وكان مُسْتَفِيضًا فاشيًا فيهم جمع ما كان من الصفات - التي بمعنى الآلام والزمانة - واحده على تقدير «فَعِيل» على «فَعَلَى» كالذي وصفنا قبل، وكان أحد ذلك الأسير - كان الواجب أن يُلْحَقَ بِنظائره وأشكاله فيجمع جمعها دون غيرها [٣٦/٣] ظ من خالفها.

وأما من قرأ: ﴿تَقْدُوهُمْ﴾ فإنه أراد: إنكم تقدونهم من (١) أسرهم، ويُقْدَى منكم الذين أسروهم؛ فقادوكم بهم (أسراهم منكم) (٢).

وأما من قرأ ذلك: (تَقْدُوهُمْ) فإنه أراد أنكم يا معشر اليهود إن أتاكم الذين أخرجتموهم منكم من ديارهم أسرى، فدئتموهم فاستتقدتموهم.

وهذه القراءة أعجب إلى من الأولى - أغنى: (أسرى تقدوهم) - لأن الذي على اليهود في دينهم فداء أسراهم بكل حال، فدئ الآسرون أسراهم منهم أم لم يقدوهم.

وأما قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فإن في قوله: ﴿وَهُوَ﴾ وجهين من التأويل؛ أحدهما: أن يكون كناية عن الإخراج الذي تقدم ذكره، فكأنه قال: وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم، وإخراجهم مُحَرَّمٌ عليكم. ثم كرر الإخراج الذي بعد ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ﴾ تكررًا على «هو»، لما حال بين «الإخراج» و﴿هُوَ﴾ كلام.

والتأويل الثاني: أن يكون عمادًا (٣) لما كانت الواو التي مع ﴿وَهُوَ﴾ تقتضي

= على الألف في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها. النشر ١٦/١.

(١) في م: «من».

(٢) في م: «أمرامهم».

(٣) هو ضمير الفصل ويسميه الكوفيون عمادًا، لكونه حافظًا لما بعده حتى لا يسقط عن الخبرية، أو كأنه =

اسمًا يَلِيهَا دُونَ/ الفعل^(١) ، فلما قَدَّمَ الفعلَ قَبْلَ الاسمِ - الذى تَقْتَضِيهِ الواوُ أَنْ يَلِيَهَا - ٤٠١/١
 أُوْلِيَتْ « هو » ؛ لأنه اسمٌ ، كما تَقُولُ فى الكلامِ : أَتَيْتُكَ ، وهو قائمٌ أبوك . بمعنى
 وأبوك قائمٌ ؛ إذ كانت الواوُ تَقْتَضِي اسمًا ، فَعُمِدَتْ بِـ « هو » ؛ إذ سبق الفعلُ الاسمَ
 ليَضْلُحَ الكلامُ به ، كما قال الشاعرُ^(٢) :

فَأُبْلِغُ أَبَا يَحْيَى إِذَا مَا لَقِيْتَهُ عَلَى الْعَيْسِ فِي أَبَاطِهَا عَرَقٌ يَيْسُ
 بِأَنَّ السُّلَامِيَّ الَّذِي بَضْرِيَّةٌ^(٣) أَمِيرَ الْحِمَى قَدْ بَاعَ حَقِّي بَنَى عَبْسِ
 بثوبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودرهمٍ فهل هو مرفوعٌ بما هلهنا رأسُ
 فأوْلِيَتْ « هل »^(٤) لطلبِها الاسمَ العِمَادَ .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ﴾ : فليس لمن
 قتل منكم قتيلاً - فكفر بقتله إياه^(٥) ببعضِ حكم^(٥) الله الذى حكم به عليه فى
 التَّوْرَةِ ، وأخرج منكم فريقاً من ديارهم مُظَاهِرًا^(٦) عليهم أعداءهم من أهلِ الشريكِ
 ظُلماً وَعُدْوَانًا ، وخلافاً لما أمره الله به فى كتابه الذى أنزله إلى موسى - ﴿ جَزَاءُ ﴾ ،
 يعنى بـ « الجزاءِ » الثوابُ ، وهو العَوْضُ مما فَعَلَ من ذلك والأجرُ عليه ، ﴿ إِلَّا خِزْيٌ

= عمد الاسم وقواه بتحقيق الخبر . شرح المفصل ١١٠/٣ ، شرح الرضى على الكافية ٢٤/٢ ، ٢٥ .

(١) المراد بالفعل هنا : المشتقات التى تعمل عمل الفعل . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٥٢ - ٥٤ .

(٢) معانى القرآن للقرئ ٥٢/١ .

(٣) ضرية : أرض بنجد وينسب إليها حمى ضرية ينزلها حاج البصرة . معجم البلدان ٣/٢٧٢ .

(٤) أى : أوليت هل الضمير « هو » .

(٥ - ٥) فى م ، ت ، ١ ، ٢ : « بنقض عهد » .

(٦) فى الأصل : « مظاهرة » .

فِي الْحَيَاةِ [٣٧/٣] الدُّنْيَا ﴿١﴾ . وَالْحَزْبِيُّ الدُّلُّ وَالصَّغَارُ . يُقَالُ مِنْهُ : قَدْ حَزَى الرَّجُلُ
يَحْزَى حِزْيًا ﴿٢﴾ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣﴾ ، يَعْنِي : فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ .

ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي الْحِزْبِ الَّذِي جَزَاهُمْ ^(١) اللَّهُ بِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ ^(٢) مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ إِيَّاهُ ؛
فَقَالَ بَعْضُهُمْ : ذَلِكَ هُوَ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَخْذِ الْقَاتِلِ بِمَنْ
قَتَلَ وَالْقَوْدِ بِهِ قِصَاصًا ، وَالِاتِّقَامِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ذَلِكَ هُوَ أَخْذُ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ مَا أَقَامُوا عَلَى دِينِهِمْ ذَلَّةً لَهُمْ
وَصَغَارًا .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ذَلِكَ الْحِزْبِيُّ الَّذِي جُوزُوا بِهِ فِي الدُّنْيَا إِخْرَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
النَّضِيرِ عَنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، وَقَتْلُ مُقَاتِلَةِ قُرَيْظَةَ وَسَبْيُ ذُرَّارِيهِمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ لَهُمْ
حِزْبًا فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ أَلْقَيْتُمَا بِرُءُوسِكُمَا إِلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ يَا حَزْبِيَ إِنْ كُنْتُمْ
إِلَّا قَوْمًا مَتَّعَيْنًا ﴾ .

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَيَوْمَ أَلْقَيْتُمَا بِرُءُوسِكُمَا إِلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ يَا حَزْبِيَ إِنْ كُنْتُمْ
إِلَّا قَوْمًا مَتَّعَيْنًا ﴾ ^(٣) السَّاعَةَ ، يُرَدُّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ بَعْدَ الْحِزْبِ الَّذِي يَجِلُّ بِهِ فِي الدُّنْيَا جِزَاءً
عَلَى مَعْصِيَتِهِ اللَّهُ ، إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِأَعْدَائِهِ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : مَعْنَى ذَلِكَ : ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا .

وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ قَائِلِ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ
مَعَانِي الْعَذَابِ ، وَلِذَلِكَ أُدْخِلَ فِيهِ الْأَلْفَ وَاللَّامَ ؛ لِأَنَّهُ عَنَى بِهِ جِنْسَ الْعَذَابِ كُلِّهِ
دُونَ نَوْعٍ مِنْهُ .

(١) فِي م : « أَخْزَاهُمْ » .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٨٥) .

اختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأه بعضهم : (وما الله بغافل عما يعملون) .

بالباء^(١) على وجه الإخبار / عنهم ، فكأنهم نحووا بقراءتهم معنى : ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ ٤٠٢/١ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ويوم القيامة يُرَدُّ من يفعل ذلك منكم إلى أشد العذاب (وما الله بغافل عما يعملون) يعنى : عمَّا يَعْمَلُهُ الَّذِينَ أَخْتَبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ جَزَاءٌ عَلَى فِعْلِهِمْ إِلَّا الْخِزْيُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَرْجِعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ .

وقرأه آخرون : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ بالناء على وجه المخاطبة .

قال : فكأنهم نحووا بقراءتهم : أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، [٣٧/٣ظ] وما الله بغافل يا معشر اليهود عما تعملون أنتم .

وأعجب القراءتين في ذلك إلى قراءة من قرأ بالياء إبتاعاً لقوله : ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ

يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ ﴾ ولقوله : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ ﴾ ؛ لأن قوله : (وما الله بغافل عما يعملون) . إلى ذلك أقرب منه إلى قوله : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ فإتباعه الأقرب إليه أولى من إلحاقه بالأبعد منه .

والوجه الآخر غير بعيد من الصواب .

وتأويل قوله : ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢) : وما الله بساهٍ عن

أعمالهم الخبيثة ، بل هو مُحْصٍ لها ، وحافظها عليهم حتى يُجَازِيَهُمْ بها في الآخرة ، وَيُخْزِيَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَيَذِلَّهُمْ وَيَفْضَحَهُمْ بها^(٣) .

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وأبو بكر ويعقوب ، وقرأ بقية العشرة بالناء ، وكلنا القراءتين متواترة . النشر ٢/٢١٨ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١٦) .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ الذين أخبر عنهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب فيفادون أسراهم من اليهود ، ويكفرون ببعض فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من أهل ملتهم ، ويخرجون من داره من حرم الله عليهم إخراجهم من داره ، نقضاً لعهد الله وميثاقه في التوراة إليهم ، فأخبر جل ثناؤه أن هؤلاء هم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا على الضعفاء وأهل الجهل والغباء من أهل ملتهم ، وابتاعوا المآكل الخسيسة الرديئة فيها بالإيمان الذي كان يكون لهم به في الآخرة - لو كانوا أتوا به مكان الكفر - الخلود في الجنان . وإنما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ؛ لأنهم رضوا بالدنيا - بكفرهم بالله فيها - عوضاً من نعيم الآخرة الذي أعده الله للمؤمنين ، فجعل تركهم^(١) حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمناً لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا .

كما حدثنا^(٢) بشر بن معاذ ، قال : ثنا^(٣) يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ﴾ : استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة^(٤) .

ثم أخبر الله جل ثناؤه أنهم إذ^(٤) باعوا حظوظهم من نعيم الآخرة بتزكهم

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٧/١ (٨٧٧) من طريق يزيد به .

(٤) في م : « إذا » .

طاعته ، وإيثارهم الكفر به والخسيس من الدنيا عليه ، فلا^(١) حَظَّ لهم في نعيم الآخرة ، وأن الذى لهم فى الآخرة العذاب ، غير مُخَفَّفٍ عنهم فيها العقاب ؛ لأن الذى يُخَفِّفُ عنه فيها من العذاب هو الذى له حَظٌّ فى نعيمها ، ولا حَظٌّ لهؤلاءٍ لاشترائهم^(٢) - كان فى الدنيا^(٣) - دنياهم بآخرتهم .

وأما [٣٨/٣] قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . فإنه أخبر عنهم أنهم لا يُنصَرُونَ فى الآخرة أحدٌ فيُدْفَعُ عنهم بنصرتهم عذاب الله ، لا بقوة^(٤) ، ولا بشفاعته^(٥) ولا غيرهما .

/القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْهُ ٤٠٣/١ بَعْدَهُ بِالرُّسُلِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ : أنزلناه إليه .

وقد بيَّنا أن معنى الإيتاء الإعطاء ، فيما مضى قبل^(٦) .

والكتاب الذى آتاه الله موسى عليه السلام هو التوراة .

وأما قوله : ﴿ وَقَفَّيْنَا ﴾ . فإنه يعنى : وأرَدْنَا وأتبعنا بعضهم خلف بعض ،

كما يَقْفُو الرجلُ الرجلَ إذا سار فى أثره من ورائه ، وأصله من القفا ، يقال منه : قَفَوْتُ فلاناً : إذا صِرْتُ خلفَ قفاه ، كما يقال : دَبَرْتُهُ : إذا صِرْتُ فى دُبُرِهِ .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ : من بعد موسى .

ويعنى : ﴿ بِالرُّسُلِ ﴾ : الأنبياء ، وهم جَمْعُ رسولٍ ، يقال : هو رسولٌ ، وهم

(١) فى م : « لا » .

(٢) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الذى » .

(٣) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « و » .

(٤) فى م : « بقوته » .

(٥) فى م : « بشفاعته » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٥١ .

رُسُلٌ . كما يقال : هو رَجُلٌ صَبُورٌ ، وهم قومٌ صَبُورٌ ، وهو رَجُلٌ شَكُورٌ ، وهم قومٌ شُكْرٌ .

وإنما يعنى جلُّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ . أى : أتبعنا بعضهم بعضاً على منهاج واحد وشريعة واحدة ؛ لأن كلَّ مَنْ بعثه الله نبياً بعد موسى صلوات الله عليه إلى أزمان عيسى ابن مريم ، فإنما بعثه يأمر بنى إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء إلى ما فيها ، فلذلك قيل : ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ يعنى : على منهاجه وشريعته ، والعمل بما كان يعمل به .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ : أعطينا عيسى ابن مريم . ويعنى بـ « الْبَيْنَتِ » التى آتاه الله إياها ، ما أظهر على يديه من الحجج له ^(١) ، والدلالة على نبوته ؛ من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه ^(٢) والأبرص ^(٣) ، ونحو ذلك من الآيات التى أبانت منزلته من الله ، ودلت على صدقه وصحة نبوته .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبى محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَعَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ ﴾ . أى : الآيات التى وضع على يديه ؛ من إحياء الموتى ، وخلقهم من الطين كهية الطير ، ثم ينفخ فيه [٣٨/٣] فيكون طائراً ياذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخبر بكثير من العيوب مما يدخرون فى بيوتهم ، وما ردَّ عليهم من التوراة مع الإنجيل الذى أحدث الله إليه ^(٤) .

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٤١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/١٦٨ ، ٢/٤٨٣ (٨٨١ ، ٢٥٥٥) من طريق سلمة به .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ .
 أمّا معنى قوله : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ ﴾ فإنه : قَوَّيْنَاهُ ^(١) وَأَعْنَاهُ بِهِ ^(١) .

كما حدثني المنثي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرِ ، عن
 الضَّحَّاكِ في قوله : ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ ﴾ . يقول : نصَّرنَاهُ .

يقال منه : أَيَّدَكَ اللهُ ، أى : قَوَّكَ اللهُ ، وهو رجلٌ ذو أيدٍ وذو آيدٍ ، يراد : ذو
 قوَّةٍ . ومنه قول العجاج ^(٢) :

مِنْ أَنْ تَبَدَّلْتُ بَادِي آدَا

يعنى : ^(٣) تَبَدَّلْتُ بِقُوَّةِ شَبَابِي ^(٣) قُوَّةَ الْمَشَيْبِ . ومنه قول الشاعر ^(٤) :

٤٠٤/١

إِنَّ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا بِالْكَسْرِ ذُو جَلْدٍ ^(٥) وَبَطْشِ أَيْدٍ
 يعنى بالأيد : القوي .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ ؛ فقال
 بعضهم : الروح ^(٦) الذى أختبر الله تعالى ذكره أنه أيد عيسى به هو جبريل عليه
 السلام .

(١ - ١) فى م : « فأعناه » .

(٢) مجاز القرآن ٤٦/١ .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بشبابى » .

(٤) التعازى والمرائى للمبرد ص ١٢٥ .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « خلد » ، وفى التعازى والمرائى : « حنق وكسر » .

(٦) فى م : « روح القدس » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادة في قوله : ﴿ وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . قال : هو جبريلُ ^(١) .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حَمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن الشَّدِيِّ قوله : ﴿ وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . قال : هو جبريلُ ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضُّحَّاكِ في قوله : ﴿ وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . قال : رُوحُ الْقُدُسِ : جبريلُ .

وحدَّثتُ عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ . قال : أيدَ عيسى بجبريلَ ، وهو رُوحُ الْقُدُسِ ^(٣) .

حدَّثنا ^(٤) ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدَّثنا سلمةُ ، عن ^(٥) ابنِ إسحاقٍ ، قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي الحسينِ المَكِّيُّ ، عن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبِ الأَشعَرِيِّ ، أن نَفَرًا مِنَ اليَهُودِ سألوا رسولَ اللهِ ﷺ فقالوا : أخبرنا عن الرُّوحِ . قال : « أنشدكم بالله وبأيَّامِهِ عندَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هل تَعْلَمُونَ أَنَّهُ جِبْرِيلُ ، وهو الذي يَأْتِينِي ؟ قالوا : نعم ^(٦) . »

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٨/١ عقب الأثر (٨٨٤) من طريق عمرو به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٨/١ عقب الأثر (٨٨٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وقال » .

(٥ - ٥) في م : « إسحاق » .

(٦) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ مطولا . وسيأتي بتمامه في ص ٢٨٥ ، وينظر ص ٢٨٣ .

وقال آخرون: الروح الذي أئد الله به عيسى هو الإنجيل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، [٣٩/٣] قال: قال ابن زبير في قوله: ﴿وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾. قال: أئد الله عيسى بالإنجيل روحاً كما جعل القرآن روحاً لله، كلاهما روح الله، كما قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال آخرون: الروح هو الاسم الذي كان عيسى يُعحى به المؤتى.

ذكر من قال ذلك

حدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾. قال: هو الاسم الذي كان يُعحى به عيسى المؤتى^(١).

/وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع ٤٠٥/١

جبريل؛ لأن الله جل ثناؤه أخبرنا أنه أئد عيسى به، كما أخبر في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].^(٢) أنه أئده به^(٢)، فلو كان الروح الذي أئده الله به هو الإنجيل لكان قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ - ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٦) عن أبي زرعة، عن المنجاب به.

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٧﴾ تَكَرَّرَ قَوْلِي لَا مَعْنَى لَهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى تَأْوِيلِ قَوْلِي مَنْ قَالَ : مَعْنَى ﴿إِذْ أَيْدُتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ : «إِذْ أَيْدُتُّكَ بِالْإِنْجِيلِ» .
 إِنَّمَا هُوَ : إِذْ أَيْدُتُّكَ بِالْإِنْجِيلِ ، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْإِنْجِيلَ . وَهُوَ لَا يَكُونُ بِهِ مُؤَيَّدًا إِلَّا وَهُوَ مُعَلَّمُهُ ، فَذَلِكَ تَكَرَّرَ كَلَامِي وَاحِدًا ^(١) فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ ^(٢) مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ مَعْنَى فِي أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخِرِ ، وَذَلِكَ تَخَلُّفٌ مِنَ الْكَلَامِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُخَاطَبَ عِبَادَهُ بِمَا لَا يُفِيدُهُمْ بِهِ فَائِدَةٌ .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَبَيَّنْتُ فَسَادَ قَوْلِي مَنْ زَعَمَ أَنَّ الرُّوحَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْإِنْجِيلُ ، وَإِنْ كَانَ جَمِيعُ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الَّتِي أَوْحَاهَا إِلَى رَسَلِهِ رُوحًا مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ تَحِيًّا بِهَا الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ ، وَتَنْتَعِشُ بِهَا النُّفُوسَ الْمُؤَلِّئَةَ ، وَتَهْتَدِي بِهَا الْأَحْلَامُ الضَّالَّةَ .
 وَإِنَّمَا سَمَّى اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جِبْرِيْلَ «رُوحًا» وَأَضَافَهُ إِلَى «الْقُدُسِ» ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِتَكْوِينِ اللَّهِ لَهُ رُوحًا مِنْ عِنْدِهِ عَنْ غَيْرِ وِلَادَةٍ وَالِدٍ وَلَدِهِ ، فَسَمَّاهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ «رُوحًا» ، وَأَضَافَهُ إِلَى «الْقُدُسِ» - وَالْقُدُسُ هُوَ الطُّهُرُ - كَمَا سَمَّى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحَ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ تَكْوِينِهِ لَهُ رُوحًا مِنْ عِنْدِهِ مِنْ غَيْرِ وِلَادَةٍ وَالِدٍ وَلَدِهِ .

وَقد بَيَّنَّا فِيْمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا [٣/٣٩ظ] هَذَا أَنَّ مَعْنَى التَّقْدِيسِ التَّطْهِيرُ ^(٣) .
 وَالْقُدُسُ الطُّهُرُ مِنْ ذَلِكَ .

وَقد اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَحْوَ اِخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عُمَرُو ، قَالَ : ثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ ، قَالَ : الْقُدُسُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر ما تقدم في ١/٥٠٥ وما بعدها .

البركة^(١).

وَحَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ، قَالَ: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، ^(٢) «عن الربيع^(٢)»، قال:
القدس هو الربُّ^(٣).

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ:
﴿وَأَيَّدَنَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ قَالَ: اللَّهُ الْقُدُسُ، وَأَيَّدَ عَيْسَى بِرُوحِهِ. قَالَ: ^(٤) «وَاحْتَجَّ
فِي هَذَا بِقَوْلِ كَعْبٍ^(٤): اللَّهُ الْقُدُسُ. وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿هُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]. وَقَالَ: الْقُدُسُ
وَالْقُدُّوسُ وَاحِدٌ.

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ^(٥)، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ،
عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ، عَنْ هَلَالِ بْنِ^(٦) أُسَامَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: قَالَ:
كَعْبٌ^(٨): اللَّهُ الْقُدُسُ.

القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَفْكَلَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ﴿١٧﴾.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٨) من طريق عمرو به.

(٢ - ٢) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) بعده في م: «تعالى ذكره». والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٩/١ (٨٨٧) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٤ - ٤) في م: «نعت»، وفي ت ١، ت ٢، ت ٣: «واحتج بقول بعث».

(٥) بعده في ت ٢: «قال: قال ابن زيد».

(٦ - ٦) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٧) بعده في الأصل: «أبي». وهو هلال بن علي بن أسامة. وقد ينسب إلى جده كما في تهذيب الكمال ٣٠/٣٤٣.

(٨) في م: «نعت». وينظر تفسير ابن كثير ١٧٦/١.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ . اليهود من بنى إسرائيل .

حدثنى بذلك محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

قال أبو جعفر : يقول الله جل ثناؤه لهم : يا معشر يهود بنى إسرائيل ، لقد آتينا موسى التوراة ، / وتابعتنا من بعده الرسل^(١) إليكم ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات والحجج إذ بعثناه إليكم ، وقويناه بروح القدس ، وأنتم كلَّمَا جاءكم رسولٌ من رُسُلِي بغير الذى تهواه نفوسكم استكبرتم عليه^(٢) - تجبراً وبغياً - استكباراً إمامكم إبليس ، فكذبتم منهم بعضاً ، وقتلتم بعضاً ، أفهذا^(٣) فعلكم أبداً برسلى !

وقوله : ﴿ أَفَكُلَّمَا ﴾ وإن كان خرج مخرج التقرير في الخطاب فهو بمعنى الخبر .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ .

اختلفت القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأه بعضهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ مخففة اللام ساكنة ، وهى قراءة عامة قراءة الأمصار في جميع الأقطار^(٤) . وقرأه بعضهم : (وقالوا قلوبنا غلّف) . مثقلة^(٥) اللام مضمومة^(٦) .

(١) فى م : « بالرسل » .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عليهم » .

(٣) فى م : « فهذا » .

(٤) قرأ ذلك نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٤ .

(٥) يريد بالثقل هنا التحريك لا التشديد .

(٦) وبذلك قرأ أبو عمرو . المصدر السابق .

فأما الذين قرءوها بسكون اللامِ وتخفيفها ، فإنهم تأوّلوها أنهم قالوا : قلوبنا في أكنةٍ وأغطيةٍ وغُلفٍ ، فالغُلفُ - على قراءة هؤلاء - جمعُ أغلَفٍ ، وهو الذى فى غِلافٍ [٤٠/٣] وغطاءٍ ، كما يقال للرجل الذى لم يَخْتَنِ : أغلَفُ . وللمرأة : غلَفاءُ . وكما يقال للسيفِ إذا كان فى غلافه : سيفٌ أغلَفُ ، وقوسٌ غلَفاءُ . وجمعها غُلفٌ ، وكذلك جمعُ ما كان من النعوتِ ذَكَرَهُ على « أفعل » وأثناه على « فَعَلَاءِ » ، يُجْمَعُ على « فَعَلٌ » مضمومةً الأولى ساكنةً الثانى ، مثل أحمرٌ^(١) وحُميرٌ ، وصَفراءٌ^(٢) وصُفْرٌ ، فيكونُ ذلك جماعاً للتأنيثِ والتذكيرِ ، ولا يجوزُ تثقيبُ عينِ « فَعَلٌ » منه إلا فى ضرورةٍ شعريّةٍ ، كما قال طرفةُ بن العبدِ^(٣) :

أَيُّهَا الْفِثْيَانُ فِي مَجْلِسِنَا جَرِّدُوا مِنْهَا^(٤) وَرَادًا^(٥) وَشُقْرًا
يُرِيدُ : شُقْرًا .^(٦) «إِلَّا أَنَّ الرُّوِيَّ^(٧) اضْطَرَّه إِلَى تَحْرِيكِ ثَانِيهِ فَحَرَّكَه .

ومنه الخبرُ الذى حدَّثنا به ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا الحَكَمُ بنُ بَشِيرِ بنِ سلمانٍ ، قال : ثنا عمرو بنُ قيسِ الملائمى ، عن عمرو بنِ مُرَّةِ الجَمَلِيِّ ، عن أبى البَخْتَرِيِّ ، عن حُدَيْفَةَ ، قال : القلوبُ أربعةٌ . ثم ذَكَرَها ، فقال فيما ذَكَرَ : وقلبُ أغلَفُ مَغْضُوبٌ^(٨) عليه ، فذاك قلبُ الكافرِ^(٩) .

(١ - ١) فى م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « وحمز وأصفر وصفر » .

(٢) ديوان طرفة بشرح الأعلام ص ٦٩ .

(٣) منها : أى الخيل . وجرودوا الخيل ، يعنى : ألقوا عنها جلالها وأسرجموها استعداداً للقتال واللقاء . المصدر السابق .

(٤) وراذ : جمع وُزْد ، وهو من الخيل ما كان بين الكميث - الأسمر - والأشقر - الأحمر - . التاج (ورد ،

ش ق ر) .

(٥ - ٥) فى م : « لأن الشعر » .

(٦) فى الأصل ، ت ، ١ ، : « مغضوب » .

(٧) أخرجه ابن أبى شيبة ٣٦/١١ ، ١٠٨/١٥ ، وأبو نعيم فى الحلية ٢٧٦/١ من طريق الأعمش ، عن عمرو

ابن مرة به ، وأبو البخترى - سعيد بن فيروز - لم يدرك حذيفة .

ورواه شيبان بن عبد الرحمن ، عن ليث بن أبى سليم - وهو ضعيف - عن عمرو بن مرة ، عن أبى =

ذَكَرُ مَنْ تَأَوَّلَ ^(١) ذَلِكَ بِمَعْنَى ^(٢) أَنَّهَا فِي أُغْطِيَةِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَوْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أَي : فِي أَكِنَّةٍ ^(٣) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي معاويةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ ^(٤) أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أَي : فِي غُطَاءٍ ^(٥) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ : فَهِيَ الْقَلْبُ الْمَطْبُوعُ عَلَيْهَا ^(٦) .

وَحَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : ثنا حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ : عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ ^(٧) .

٤٠٧/١ /وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا شَيْبَلٌ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ

= البخترى ، عن أبي سعيد الخدرى مرفوعًا . أخرجه أحمد ٢٠٨/١٧ (١١٢٩) ، والطبرانى فى الصغير ٢/١١٠ ، وأبو نعيم فى الحلية ٤/٣٨٥ ، وأبو البخترى لم يدرك أبأ سعيد الخدرى . وقال أبو نعيم : غريب من حديث عمرو وتفرّد به شيبان ، عن ليث .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « معنى » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/١٧٦ .

(٤ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١/١٧٠ (٨٩٥) ، ١١٠٨/٤ (٦٢٢١) عن أبيه عن أبي صالح به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر ١/٨٧ إلى المصنف .

ابن^(١) كثير، عن مجاهد: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ : عليها غشاوة .

وحدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: ثنا أبو أحمد الزبيرى، قال: ثنا شريك، عن الأعمش قوله: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ قال: هي فى غلف .

وحدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أى: لا تفقه^(٢) .

وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة فى قوله: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . قال: هو كقوله: ﴿ قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ ﴾^(٣) [فصلت: ٥] .

حدثنى المثنى، قال: ثنا [٤٠/٣] إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة فى قوله: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . قال: عليها طابع . قال: هو كقوله: ﴿ قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ ﴾^(٣) .

وحدثنى المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبى العالية: ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ أى: لا تفقه^(٤) .

وحدثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ قال: يقولون: عليها غلاف، وهو الغطاء^(٥) .

(١) بعده فى الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: «أبى» .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٠، ٤/ ١١٠٨ عقب الأثر (٨٩٧، ٦٢٢٣) من طريق سعيد عن قتادة به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥١ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٠ (٨٩٧) من طريق آدم به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/ ١٧٠ عقب الأثر (٨٩٥) عن أبى زرعة عن عمرو به .

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾. قال: يقول: قلبي في غلاف، فلا يخلص إليه ما^(١) تقول. وقرأ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾^(٢).

وأما الذين قرءوها: (غُلْفٌ). بتحريك اللام وضمها، فإنهم تأولوها أنهم قالوا: قلوبنا غُلْفٌ للعلم. بمعنى أنها أوعية لها^(٣). والغُلْفُ - على قراءة^(٤) هؤلاء - جمع غلاف، كما يُجمع الكتابُ كُتُبًا، والحِجَابُ حُجُبًا، والشَّهَابُ شُهَبًا.

فمعنى الكلام على تأويل من قرأه: (غُلْفٌ). بتحريك اللام وضمها: وقالت اليهود: قلوبنا غُلْفٌ للعلم، وأوعية له أو^(٥) لغيره.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي^(٦)، قال: ثنا أبي، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية: (وقالوا قلوبنا غُلْفٌ). قال: أوعية للذكر^(٧).

وحدثني محمد بن عمار الأسدي، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا فضيل، عن عطية في قوله: (غُلْفٌ). قال: أوعية للعلم^(٨).

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «ما».

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٧٧.

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «قال».

(٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «تأويل».

(٥) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «أو».

(٦) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٠، ٤/١١٠٨، (٨٩٨، ٦٢٢٤) من طريق أسباط بن محمد به. وفيه: أوعية للمنكر.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٠، ٤/١١٠٨، (٨٩٤، ٦٢٢٠) من طريق فضيل به.

وحدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا فضيل^(١) بن مرزوق^(٢)، عن عطية مثله.

وحدثت عن المنجاب، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي رزق، عن الضحاك، عن ابن عباس في قوله: (وقالوا قلوبنا غلقت). قال: مملوءة علماً لا يحتاج إلى علم^(٣) محمد ولا غيره^(٤).

٤٠٨/١ والقراءة التي لا يجوز غيرها في قوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفَتْ﴾ هي قراءة من قرأها: ﴿غُلْفَتْ﴾. بتسكين اللام، بمعنى أنها في أغشية وأغطية؛ لاجتماع الحجة من القراءة وأهل التأويل على صحتها، وشذوذ من شذ عنهم بما خالفه من قراءة ذلك بضم اللام. وقد دللنا على أن ما جاءت به الحجة متفقة عليه، حجة على من بلغه، وما جاء به المنقرد فغير جائز الاعتراض به على ما جاءت به الجماعة التي تقوم بها الحجة نقلاً،^(٥) قولاً أو عملاً، في غير هذا الموضع، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا المكان.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: بل أقصاهم الله وأبعدهم وطردهم وأخزاهم وأهلكهم بكفرهم، [٤١/٣] وهو^(٥) جحودهم آيات الله وبيئاته وما ابتعث به رسله، وتكذيبهم أنبيائه، فأخبر الله تعالى ذكره أنه أبعدهم منه ومن رحمته بما

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٠، ٤/١١٠٨، (٨٩٣، ٦٢١٩) عن أبي زرعة عن

منجاب به.

(٤ - ٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «وقولا وعملا».

(٥) سقط من: م.

كانوا يفعلون من ذلك .

وأصل « اللعين » الطردُ والإبعادُ والإقصاءُ ، يقال منه : لعن فلانٌ ^(١) فلانًا يلعنُهُ لعنًا ، وهو ماعونٌ . ثم يُصَرَّفُ « مفعولٌ » ^(٢) منه إلى « فَعِيلٌ » ^(٣) ، فيقال : هو لَعِينٌ . ومنه قولُ الشَّمَاخِ ^(٤) :

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ مَقَامٌ ^(٥) الذُّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ
وفى قولِ اللهِ جَلُّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ . تكذيبٌ منه للقائلين
من اليهود : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ . لأن قوله : ﴿ بَلْ ﴾ . دلالةٌ على جحده جل
ذكره ، وإنكاره ما ادَّعَوْا من ذلك ، إذ كانت « بل » لا تدخلُ فى الكلامِ إلَّا
نقْضًا لمجحودٍ .

فإذ ^(٥) كان ذلك كذلك ، فبيِّنُ أن معنى الآية : وقالت اليهودُ : قلوبُنَا فى أِكْنَةِ
مِمَّا تدعونَا إليه يا محمدُ . فقال اللهُ تعالى ذكره : ما ذلك كما زعموا ، ولكنَّ الله
أَقْصَى اليهودَ وأبعَدَهُم من رحمته ، وطرَدَهُم عنها وأخزاهم ، بجحودِهِم ^(٦) به
وبرسلِهِ ^(٧) فقليلًا ما يؤمنون .

القولُ فى تأويلِ قوله جَلُّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

اختلف أهلُ التَّأْوِيلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم :

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الله » .

(٢ - ٣) سقط من : م ، وفى ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « منه » .

(٣) ديوانه ص ٣٢١ .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « مكان » .

(٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فإذا » .

(٦ - ٧) فى م : « له ورسله » .

معناه: فقليلٌ منهم مَنْ يُؤْمِنُ. أى: لا يُؤْمِنُ منهم إِلَّا قليلٌ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾: وَلَعَمْرِي، لِمَنْ رَجَعَ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ أَكْثَرَ مِمَّنْ رَجَعَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، إِنَّمَا آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ رَهْطٌ يَسِيرٌ.

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ^(١).

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِقَلِيلٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ.

٤٠٩/١

/ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحَسِينُ، قَالَ: ثنا أَبُو سَفِيَانَ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قَالَ: لَا يُؤْمِنُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ. قَالَ مَعْمَرٌ: وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِقَلِيلٍ مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَأَوْلَى التَّأْوِيلَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ بِالصَّوَابِ [٤١/٣] مَا نَحْنُ مُبَيَّنُّوهُ^(٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَعَنَ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ قَلِيلُو الْإِيمَانِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلِذَلِكَ

(١) تفسير عبد الرزاق ٥١/١. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١/١، ١١٠٩/٤، (٩٠٠، ٦٢٢٩) عن

الحسن بن يحيى به.

(٢) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «متقنوه».

نَصَبَ قَوْلَهُ: ﴿فَقَلِيلًا﴾ لأنه نعتٌ للمصدرِ المتروكِ ذكره، ومعناه: بل لعنهم الله بكفرهم، وإيمانًا قليلاً ما يؤمنون. فقد تبين إذن - بما بيّنا - فسادُ القولِ الذي رُوِيَ عن قتادة في ذلك؛ لأن معنى ذلك لو كان على ما رُوِيَ عنه من أنه يعني به: فلا يُؤْمِنُ منهم إلا قليلاً، أو فقليلٌ منهم مَنْ يُؤْمِنُ. لكان «القليلُ» مرفوعاً لا منصوباً؛ لأنه إذا كان ذلك تأويله كان «القليلُ» حينئذٍ مُرَافِعاً «ما»، وإن نُصِبَ «القليلُ» - و«ما» في معنى «مَنْ» أو «الذي» - بقيت «ما» لا مُرَافِعَ لها، وذلك غيرُ جائزٍ في لغةٍ أُحِدَ مِنَ الْعَرَبِ.

فَأَمَّا أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى ﴿مَا﴾ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ زَائِدَةٌ لَا مَعْنَى لَهَا، وَإِنَّمَا تَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَقَلِيلًا يُؤْمِنُونَ. كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَنْتَ لِهَمًّا﴾ [آل عمران: ١٥٩] وما أشبه ذلك. فزعم أن «ما» في ذلك زائدة، وأن معنى الكلام: فبرحمة من الله لئن لهم. وأنشد مُخْتَجًّا لِقَوْلِهِ ذَلِكَ بَيْتَ مُهْلِهِل^(١):

لَوْ بِأَبَانَيْنِ^(٢) (٣) جَاءَ يَخْطُبُهَا^(٣) خُضِبَ^(٤) مَا أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمِ

وزعم أنه يعني: خُضِبَ أَنْفُ خَاطِبِ بَدَمِ. وأن «ما» زائدة.

وَأَنْكَرَ آخَرُونَ مَا قَالَهُ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ فِي «مَا» فِي الْآيَةِ، وَفِي الْبَيْتِ الَّذِي أَنْشَدَهُ، وَقَالُوا: إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ عَلَى ابْتِدَاءِ الْكَلَامِ بِالْخَبْرِ عَنِ عَمُومِ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ؛ إِذْ كَانَتْ «مَا» كَلِمَةً تَجْمَعُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، ثُمَّ تَخْصُ^(٥) بَعْضَ مَا عَمَّتْ «مَا» بِمَا يُذَكَّرُ^(٥) بَعْدَهَا.

(١) شرح المفصل ٤٦/١، والكامل ٩١/٣.

(٢) أبانٌ جليلٌ، وهما أبانان: أبان الأسود وأبان الأبيض. قاله المبرد.

(٣-٣) في الأصل، ت ١: «جئت تخطبها».

(٤) في المفصل: «زُئِلَ»، وفي الكامل: «ضرج». وكل ذلك بمعنى.

(٥-٥) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «وتعم ما عمته بما تذكره».

وهذا القول عندنا هو أَوْلَى بالصَّوابِ ؛ لأن زيادة ما لا يُفيدُ من الكلامِ معنى في الكلامِ غيرُ جائزة^(١) إضافة إلى الله جل ثناؤه .

ولعل قائلًا أن يقولَ : هل كان للذين أُخبرَ اللهُ عنهم أنهم قليلًا ما يؤمنون ، من الإيمانِ قليلٌ أو كثيرٌ ، فيقالُ فيهم : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ؟ .

قيل : إن معنى الإيمانِ هو التصديقُ ، وقد كانت اليهودُ التي أُخبرَ اللهُ عنها هذا الخبرُ تُصدِّقُ بوحدانيَّةِ اللهِ وبالبعثِ والثوابِ والعقابِ ، وتكفُرُ بمحمدٍ ﷺ وبنبوتِهِ ، وكلُّ ذلك كان فرضًا عليهم الإيمانُ به ؛ لأنه في كُتُبِهِمْ ومَّا جاءهم به موسى ، فصدَّقوا ببعضِ ،^(٢) وذلك هو^(٣) القليلُ من إيمانِهِمْ ، وكذَّبوا ببعضِ ، وذلك هو الكثيرُ الذي أُخبرَ اللهُ عنهم أنهم يَكفُرُونَ به .

وقد قال بعضهم : إنهم كانوا غيرَ [٤٢/٣] مؤمنين بشيءٍ ، وإنما قيل : ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ . وهم بالجميعِ كافرون ، كما تقولُ العربُ : قلَّما رأيتُ مثلَ هذا قَطُّ .^(٤) ثريدٌ : ما رأيتُ مثلَ هذا قَطُّ^(٥) . ورؤي عنها سماعًا منها : مرزثٌ بيلدي^(٦) قلَّما/ يُنْبِتُ إِلَّا الكُرَّاثَ والبصلَ . يعني : ما يُنْبِتُ^(٧) شيئًا إِلَّا الكُرَّاثَ والبصلَ . وما أشبه ذلك من الكلامِ الذي يُنطَقُ به بوصفِ الشيءِ بالقلَّةِ ، والمعنى فيه نفى جميعه .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ .

(١) في م : « جائز » .

(٢ - ٢) في م : « هو ذلك » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بيلاد » .

(٥ - ٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « غير » .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: ولما جاء اليهود من بنى إسرائيل الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم ﴿كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يعنى بـ «الكتاب» القرآن الذى أنزله على محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ يعنى: مصدّقٌ للذى معهم من الكتب التى أنزلها الله من قبل القرآن.

كما حدّثنا بشر بن مُعَاذٍ، قال: حدّثنا يزيد بن زُرَيْعٍ، عن سعيدٍ، عن قتادة قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: وهو القرآن الذى أنزله على محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (أى: للتوراة^(١) والإنجيل^(٢)).

وحدّث عن عمّار بن الحسن، قال: حدّثنا ابنُ أبى جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيع فى قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾: وهو القرآن الذى أنزل على محمد ﷺ مصدّقٌ لما معهم من التوراة والإنجيل^(٣).

القول فى تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾.

يعنى بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى: وكان هؤلاء اليهود - الذين لما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدّقٌ لما معهم من الكتب التى أنزلها الله قبل الفرقان، كفروا به - يستفتِحون بمحمد ﷺ - ومعنى الاستفتاح: الاستنصار - ويستنصرون الله به على مشركى العرب من قبل مبعثه^(٤). وذلك قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾^(٤) أى: من قبل أن يُبعثَ.

(١ - ١) فى م: «من التوراة».

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧١/١ (٩٠١) من طريق شيبان، عن قتادة.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧١/١ عقب الأثر (٩٠١، ٩٠٢) من طريق ابن أبى جعفر به.

(٤ - ٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ،
 عَنْ عَاصِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ [٤٢/٣ ظ] الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْهُمْ قَالُوا: فِينَا
 وَاللَّهِ وَفِيهِمْ - يَعْنِي: فِي الْأَنْصَارِ وَفِي الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا جِيرَانَهُمْ - نَزَلَتْ
 هَذِهِ الْقِصَّةُ - يَعْنِي: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ
 وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا
 بِهِ﴾ - قَالُوا: كُنَّا قَدْ عَلَوْنَاهُمْ دَهْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَنَحْنُ أَهْلُ شَرِكٍ،
 وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنْ نَبِيًّا (يُيَعِّثُ الْآنَ نَتَّبِعُهُ) قَدْ أَظَلَّ (١)
 زَمَانُهُ، (٢) نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ (٣) قَتَلَ عَادٍ وَإِرَمَ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ رَسُولَهُ مِنْ
 قُرَيْشٍ وَاتَّبَعْنَاهُ، كَفَرُوا بِهِ، يَقُولُ اللَّهُ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا
 بِهِ﴾ (٤).

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ:
 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى آلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَوْ
 سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ يَهُودَ كَانُوا/ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ
 بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَرَبِ، كَفَرُوا بِهِ، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا
 يَقُولُونَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ مَعَاذُ بَنِي جَبَلٍ، وَبَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ أَخُو بَنِي سَلِيمَةَ:
 يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَنَحْنُ
 أَهْلُ شَرِكٍ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ. فَقَالَ سَلَامٌ بْنُ مِشْكَمٍ أَخُو

(١ - ١) فِي م: «الآن مبعثه».

(٢) فِي الْأَصْل: «أظلم».

(٣ - ٣) فِي م: «يقتلكم».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي سِيرَتِهِ ص ٦٣ (٦٢)، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ ٢/ ٧٥، ٤٣٣، وَعَزَاهُ

السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ٨٧/١ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ. وَيَنْظُرُ سِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ١/ ٤١١ هـ.

بنى التَّضْيِيرِ : ما جاءنا بشيءٍ نَعْرِفُهُ ، وما هو بالذى كُنَّا نَذْكُرُكُمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

وحدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : حدَّثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى آلِ ^(٢) زيد بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثني سعيدُ بنُ جبْرِ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ مثله ^(١) .

وحدَّثني محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يقولُ : يَسْتَفْتِحُونَ بِخُرُوجِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ . يَعْنِي بِذَلِكَ أَهْلَ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَرَأَوْهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ وَحَسَدُوهُ ^(٣) .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن عليِّ الأزدِيِّ في قولِ الله : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : اليهودُ ، كانوا يقولون : اللهمَّ ابعثْ لنا هذا النبيَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ . ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ : يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ^(٤) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٥) ، وأبو نعيم في الدلائل (٤٣) من طريق ابن إسحاق به .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف .

(٤) تفسير مجاهد (ص ٢٠٩) ، ومن طريقه البيهقي في الدلائل ٧٦/٢ .

وحدَّثني المُثَنِّي قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شَيْبَلُ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن عليِّ الأزديِّ - وهو البارقِي - في قولِ اللهِ : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِخُونَ ﴾ . فذكر مثله سواءً .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، [٤٣/٣] قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدُ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِخُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : كانت اليهودُ تَسْتَفْهِخُ بِمَحْمَدٍ ﷺ على كفارِ العربِ مِن قَبْلُ ، وقالوا : اللهم ابعث هذا النبيَّ الذي نَجِّدُه مَكْتُوبًا في التوراةِ يُعَذِّبُهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ . فلَمَّا بعث اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ فرأوا أنه بُعثَ مِن غيرِهِمْ ، كفروا به ، حسداً للعربِ ، وهم يعلمون أنه رسولٌ ، يَجِدُونُه مَكْتُوبًا عندهم في التوراةِ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

^(٢) وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِخُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قال : كانوا يقولون : إنه سيأتي نبيٌّ . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ^(٣) .

وحدَّثني المُثَنِّي ، قال : حدَّثنا آدمُ ، قال : حدَّثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ ، قال : كانت اليهودُ تَسْتَفْهِخُ بِمَحْمَدٍ ﷺ على مُشْرِكِي العربِ ، يقولون : اللهم ابعث هذا النبيَّ الذي نَجِّدُه مَكْتُوبًا عندنا حتى يُعَذِّبَ المُشْرِكِينَ وَيَقْتُلَهُمْ ، فلَمَّا بعث اللهُ محمداً ﷺ ورأوا أنه مِن غيرِهِمْ كفروا به ، حسداً للعربِ ، وهم يعلمون أنه رسولُ اللهِ ، فقال اللهُ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي نعيم .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

والأثر في تفسير عبد الرزاق ٥٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧١/١ (٩٠٤) عن الحسن بن

﴿الْكَافِرِينَ﴾^(١).

وحدثنى موسى بن هارون، قال: حدّثنا عمرو، قال: حدّثنا أسباط، عن
 ٤١٢/١ الشّدّي: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ
 يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ قال: كانت
 العرب تُمرّ باليهود فيؤذونهم، وكانوا يجدون محمداً ﷺ فى التوراة، فيسألون^(٢)
 الله أن يعثه فيقتاتلوا معه العرب، فلما جاءهم محمدٌ كَفَرُوا به حين لم يكن من بنى
 إسرائيل^(٣).

وحدّثنا القاسم، قال: حدّثنا الحسين، قال: حدّثني حجاج، عن ابن
 جريج، قال: قلت لعطاء: قوله: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
 كَفَرُوا﴾؟ قال: كانوا يستفتحون على كفار العرب بخروج النبي ﷺ ويؤججون أن
 يكون منهم، فلما خرج ورأوه ليس منهم كَفَرُوا، وقد عَرَفُوا أنه الحق وأنه نبي الله
 ﷺ، قال الله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
 الْكَافِرِينَ﴾.

^(٤) قال ابن جريج: وقال مجاهد^(٤): يَسْتَفْتِحُونَ بمحمد، تقول: إنه يخرج.
 ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ وكان من غيرهم ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٦) من طريق آدم به .

(٢) فى م : « ويسألون » .

(٣) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٥٣٦/٢ من طريق عمرو، عن أسباط، عن السدى، بإسناده المعروف .

(٤ - ٤) فى م ، ت ، ٢ ، ٣ : « قال حدّثنا ابن جريج وقال مجاهد » ، وفى ت ١ : « قال حدّثنا ابن جريج قال حدّثنا مجاهد » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٧) من طريق حجاج عن ابن جريج، عن مجاهد نحوه .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حِجَابٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ : وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى كِفَارِ الْعَرَبِ .

[٤٣/٣] وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحِمَّانِيُّ ^(١) ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عَنْ أَبِي الْجَحَافِ ^(٢) ، عَنْ مُسْلِمِ الْبِطِينِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَوْلَهُ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ ، عَرَفُوا مُحَمَّدًا أَنَّهُ نَبِيُّ وَكَفَرُوا بِهِ ^(٣) .

وَحَدَّثْتُ عَنِ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي زُرْقٍ ، عَنِ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ قَالَ : كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ ، يَقُولُونَ : نَحْنُ نُعِينُ مُحَمَّدًا عَلَيْهِمْ ^(٤) . وَلَيْسُوا كَذَلِكَ ، يَكْذِبُونَ ^(٥) .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ . قَالَ : كَانَتْ يَهُودٌ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى كِفَارِ الْعَرَبِ ، يَقُولُونَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَدْ جَاءَ النَّبِيُّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ مُوسَى وَعِيسَى ؛ أَحْمَدُ ، لَكَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ . وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ مِنْهُمْ ، ^(٦) وَكَانُوا بِالْمَدِينَةِ ^(٧) وَالْعَرَبُ حَوْلَهُمْ ، وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْهِمْ بِهِ وَيَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، فَلَمَّا ^(٨) كَانَ مِنْ غَيْرِهِمْ أَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا ^(٩) بِهِ وَحَسَدُوهُ . وَقَرَأَ قَوْلَ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْجَمَانِيُّ » .

(٢) فِي النِّسْخِ : « الْحَجَافِ » وَهُوَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ ، أَبُو الْحَجَافِ الْكُوفِيُّ . تَرْجَمْتَهُ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ ٤٣٤ / ٨ .

(٣) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوْرِ ٨٨ / ١ إِلَى الْمَصْنَفِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَلَيْكُمْ » .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٧١ / ١ (٩٠٣) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنِ مَنْجَابٍ بِهِ .

(٦ - ٦) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٧ - ٧) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا » .

اللَّهِ: ﴿ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال: قد تبيَّن لهم أنه رسول الله، فمن هنالك نفع الله الأوس والخزرج بما كانوا يسمعون منهم أن نبيًا خارج.

فإن قال لنا قائل: فأين جواب قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾؟ قيل: قد اختلف أهل العربية في جوابه؛ فقال بعضهم: هو مما ترك جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين به بمعناه وبما قد ذكر من أمثاله في سائر القرآن، وقد تفعل العرب ذلك إذا طال الكلام، فتأتى بأشياء لها أجوبة فتحذف/ أجوبتها ٤١٣/١ لاستغناء سامعيها بمعرفتهم بمعناها عن ذكر الأجوبة، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَنَا سُرِّتْ بِهٖ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهٖ الْمَوْتُ ﴾ [الرعد: ٣١]. فترك جوابه. والمعنى: ولو أن قرآنًا سوى هذا القرآن سُرِّت به الجبال لسُرِّت بهذا القرآن. "فترك قوله: لسُرِّت بهذا القرآن". استغناء بعلم السامعين بمعناه. قالوا: فكذلك قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾.

وقال آخرون: جواب قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾. في «الفاء» التي في قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾. وجواب الجزاءين في ﴿ كَفَرُوا بِهِ ﴾. كقولك: لما قُمت فلما جِئتنا أحسنت. بمعنى: لما جِئتنا إذ قُمت أحسنت.

القول في تأويل قوله: ﴿ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ ﴾.

[٤٤/٣] وقد دللنا على معنى «اللعنة» وعلى معنى «الكفر» فيما مضى بما فيه الكفاية^(٢).

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) ينظر معنى «اللعنة» في ص ٢٣١، وتقدم معنى الكفر في ٢٦٢/١.

فمعنى الآية: فِخْرِيُّ اللّٰهِ وإبعاده على الجاحدين ما قد عَرَفُوا من الحق عليهم لله ولأنبيائه، المنكرين ما قد ثَبِتَ عندهم صحته من نبوة محمد ﷺ. وفي إخبار الله عز وجل عن اليهود بما أختبر عنهم بقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾: البيان الواضح أنهم تَعَمَّدُوا الكفر بمحمد ﷺ بعد قيام الحجة بنبوته عليهم وقَطَعَ اللّٰهُ عُذْرَهُم بأنه رسوله إليهم.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ بِسْمَا أَسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا ﴾.

ومعنى قوله جل ثناؤه: ﴿ بِسْمَا أَسْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾: ساء ما اشتروا به أنفسهم.

وأصل «بِسْمِ» من البؤس، سُكُنَتْ همزُها ثم نُقِلَتْ حركتها إلى الباء، كما قيل في: ظَلَلْتُ: ظَلَلْتُ. وكما قيل للكَبِدِ: كَبِدْتُ. فَنُقِلَتْ حركة الباء إلى الكاف لما سُكُنَتْ الباء. وقد يَحْتَمِلُ أن تكون «بِسْمِ» - وإن كان أصلها «بِسْمِ» - من لغة الذين ينقلون حركة العين من «فَعِلَ» إلى الفاء، إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة، كما قالوا من: لِعَبَ، لِعَبَ. ومن: سَمِمَ، سَمِمَ. وذلك فيما يقال لغة فاشية في تميم، ثم جعلت دلالة^(١) على الذم والتوبيخ ووصلت بـ «ما».

ثم اختلف أهل العربية في معنى «ما» التي مع ﴿ بِسْمَا ﴾؛ فقال بعض نحويي البصرة: هي وحدها - اسمٌ، و﴿ أَنْ يَكْفُرُوا ﴾ تفسير له، نحو: نعم رجلاً زيداً. و﴿ أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ ﴾ بدلٌ من ﴿ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾.

(١) في م: «دالة».

وقال بعض نحويي الكوفة: معنى ذلك: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم أن يكفروا. ف « ما » اسم « بئس »، و ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا ﴾ الاسم الثاني. وزعم أن قوله^(١): ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا ﴾^(٢) إن شئت جعلت: ﴿ أَنْ ﴾/ في موضع رفع، وإن شئت في موضع خفض؛ أما الرفع: فيئس الشيء هذا أن يفعلوا. وأما الخفض: فيئس الشيء اشتروا به أنفسهم بأن^(٣) يكفروا بما أنزل الله بغيا. قال: وقوله: ﴿ لَيْسَ مَا قَدَّمْتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة: ٨٠] كمثل ذلك. قال^(٤): والعرب تجعل « ما » وحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التام، كقوله: ﴿ فَنِعْمًا هِيَ ﴾ [البقرة: ٢٧١]. وبئسما أنت. واستشهد لقوله ذلك برجز لبعض الرجاج^(٥):

لا تعجلا في السيرِ واذلواها^(٦)
 لبيئسما بطةً ولا نزعهاها^(٨)

(١) سقط من: م.

(٢) في النسخ: « ينزل الله من فضله »، والمثبت من معاني القرآن للفراء ٥٦/١، وينظر تفسير القرطبي ٢٨/٢.

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « أن ».

(٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٥) في م: « بعض ».

(٦) هوزفر بن الحيار المحاربي، والرجز في التكملة والذيل والصلة، واللسان، والتاج (ن ب ل)، واللسان (د ل و) باختلاف عما هنا.

(٧) دلوت الناقة والإبل دلوا: سقتها سوقا رفيقا رويدا.

(٨) في الأصل، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « انزعهاها »، وفي الموضع الأول من اللسان والتاج: « ترعاها ».

والعرب تقول: لِبِسْمَا تَزْوِيحٌ وَلَا مَهْرٌ. فَيَجْعَلُونَ « ما » وحدها اسماً بغيرِ صلةٍ .

قال أبو جعفر: وقائل هذه المقالة لا يُجيزُ أن يكونَ الذي يلي « بِسْمَا » معرفةً مُوقَّتَةً، وخبره معرفةً موقَّتَةً. وقد زعم أن « بِسْمَا » بمعنى^(١): بِسْمِ الشَّيْءِ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ. فقد صارت « ما » بِصِلَتِهَا اسماً موقَّتاً؛ لأنَّ « اشْتَرَوْا » فعلٌ ماضٍ من صلةٍ « ما »، في قولِ قائلِ هذه المقالة، وإذا وُصِلَتْ بِماضٍ من الفعلِ كانت معرفةً موقَّتَةً معلومةً، فيصيرُ تأويلُ الكلامِ حينئذٍ: بِسْمِ شَرَاؤِهِمْ كَفَرَهُمْ. وذلك عنده غيرُ جائزٍ، فقد تبيَّنَ فسادُ هذا القولِ .

وكان آخرُ منهم^(٢) يزعمُ أنَّ ﴿ أَنْ ﴾ في موضعِ خفضٍ إن شئتَ، ورفعٍ إن شئتَ. فأما الخفضُ فإنَّ تَرَدُّدَهُ عَلَى الْهَاءِ الَّتِي فِي ﴿ بِوَاءٍ ﴾. عَلَى التَّكْرِيرِ عَلَى كَلَامَيْنِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: اشْتَرَوْا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ. وَأَمَّا الرَّفْعُ فَإِنَّ يَكُونُ مُكْرَرًا^(٣) عَلَى مَوْضِعِ « ما » الَّتِي تَلِي « بِسْمَا ». قال: ولا يجوزُ أن يكونَ رفعا على قولك: بِسْمِ الرَّجُلِ عَبْدُ اللَّهِ .

وقال بعضهم: ﴿ بِسْمَا ﴾ شَيْءٌ وَاحِدٌ يُعْرَبُ بِمَا بَعْدَهُ، كَمَا حُكِيَ عَنِ الْعَرَبِ: بِسْمَا تَزْوِيحٌ وَلَا مَهْرٌ. فَرَفَعَ « تَزْوِيحٌ » بِ « بِسْمَا »، كَمَا يَقَالُ: بِسْمَا زَيْدٌ. وَنَعْمًا^(٤) عَمْرُو. فَيَكُونُ « بِسْمَا » رَفْعًا بِمَا عَادَ عَلَيْهَا مِنَ الْهَاءِ، كَأَنَّكَ

(١) في م: « بمنزلة » .

(٢) هو الفراء في معاني القرآن ١/ ٥٦ .

(٣) في معاني القرآن: « مكرورا » .

(٤) (٤ - ٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « يعرف بها » .

(٥) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بسما » .

قُلْتُ: «شَيْءٌ يَفْسُ^(١) الشَّيْءِ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ. وَتَكُونُ «أَنْ» مَرْجَمَةٌ^(٢) عَنْ «بِسْمَا» .

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ قولٌ من جعلَ : ﴿ بِسْمَا ﴾ مرفوعًا بالراجعِ من الهاءِ فى قوله : ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ ﴾ كما رَفَعُوا ذلك بـ «عبدِ الله» ، إذ قالوا : بسما عبدُ الله . وجعلَ ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا ﴾ مترجمةً عن ﴿ بِسْمَا ﴾ . فيكونُ معنى الكلامِ حينئذٍ : بسِ الشَّيْءِ باعِ اليهودُ به أَنْفُسَهُمْ كفرَهُم بما أنزَلَ اللهُ بغيًا وحسدًا أَنْ يُنَزَّلَ اللهُ من فضله . وتكونُ ﴿ أَنْ ﴾ التى فى قوله : ﴿ أَنْ يُنَزَّلَ اللهُ ﴾ فى موضعِ نصبٍ ؛ لأنه يَغْنَى به : أَنْ يَكْفُرُوا بما أنزَلَ اللهُ من أجلِ أَنْ يُنَزَّلَ اللهُ من فضله على مَنْ يشاءُ من عباده . وموضعُ ﴿ أَنْ ﴾ جزاءً^(٣) . وكان بعضُ أهلِ العربيةِ من الكوفيين^(٤) يزعمُ أنَّ ﴿ أَنْ ﴾ فى موضعِ خفضٍ بنيةِ الباءِ . وإنما اختَرنا^(٥) فيها النصبَ لتمامِ الخبرِ قبلها ، ولا خافضَ معها يَخْفِضُها ، والحرفُ الخافضُ لا يُخَفِّضُ به مُضْمَرًا .

وأما قوله : ﴿ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فإنه يَغْنَى به : باعُوا به أَنْفُسَهُمْ .

كما حدثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدى : ﴿ بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ . يقولُ : باعُوا به^(٦) أَنْفُسَهُمْ ﴿ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ﴾^(٧) .

(١ - ١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بسِ شَيْءٍ » .

(٢) الترجمة هى تسمية الكوفيين لما يسميه البصريون عطف البيان . مع الهوامع ١ / ١٢١ .

(٣) فى م : « جر » . وينظر معانى القرآن ١ / ٥٨ .

(٤) هو الكسائى . ينظر معانى القرآن الموضع السابق .

(٥) فى ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أجزنا » .

(٦) سقط من : م .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١ / ١٧٢ ، ١٩٥ ، (٩٠٨ ، ١٠٣٠) من طريق عمرو به .

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين^(١)، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: ﴿يَسْكَمُ أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾: يهود، شَرُوا الحَقَّ بالباطل، وكتماناً ما [٤٥/٣] جاء به محمد ﷺ / بأن يُبَيِّنُوهُ^(٢).

٤١٥/١

والعرب تقول: «شَرَيْتُ الشَّيْءَ»^(٣). بمعنى: بَعَثَهُ. و﴿أَشْرَوْا﴾ في هذا الموضع «افتعلوا» من «شَرَيْتُ». وأكثر^(٤) كلام العرب - فيما بلغنا - أن يقولوا: شَرَيْتُ. بمعنى: بَعَثْتُ، و: اشْتَرَيْتُ. بمعنى: ابْتَعْتُ. وقيل: إنما سُمِّيَ الشَّارِي شَارِيًا؛ لأنه باع نفسه وديناه بأخبرته. ومن ذلك قول يزيد بن مفرغ الحميري^(٥):
وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتْنِي من قبل^(٦) بُزْدٍ كُنْتُ هَامَةً^(٨)
ومنه قول المسيب بن علس^(٩):

يُعْطَى بِهَا ثَمْنَا فَيَمْتَنَعُهَا ويقول صاحبها^(١٠) ألا تشتري^(١١)
يعنى به: بَعَثْتُ بُرْدًا. وربما اسْتَعْمِلَ «اشْتَرَيْتُ»^(١٢) في معنى^(١٢): بَعَثْتُ،

(١) في م: «الحسن».

(٢) في م: «بينوه».

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٢/١ (٩٠٩) من طريق حجاج به.

(٣ - ٣) في م: «شريته».

(٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٥) الشاري واحد الشراة: وهم الخوارج. التاج (ش ر ي).

(٦) طبقات فحول الشعراء ٦٨٩/٢، وأمالى الزجاجي ص ٤٢، والأضداد ص ٧٣.

(٧) في مصادر التخريج: «بعد».

(٨) في ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «كهامة». يقال: هذا هامة اليوم أو غد. أي يموت اليوم أو غدا. اللسان (ه و م).

(٩) الأضداد ص ٧٤، وهو في الخزانة ٢٣٧/٣ ضمن أبيات للأعشى.

(١٠) كذا في النسخ، وفي مصدرى التخريج: «صاحبه»، وهو الصواب، راجع الخزانة.

(١١) في ت، ٢، ت، ٣: «تشتري».

(١٢ - ١٢) في م: «بمعنى».

و « شَرِيْتُ » في معنى : اِبْتَعْتُ . والكلامُ المُسْتَفِيضُ ^(١) هو ما وصفتُ .

وأما معنى قوله : ﴿ بَغِيًّا ﴾ فإنه يعني به : تعديًّا وحسدًا .

كما حَدَّثَنَا بشرُ بْنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قال : حَدَّثَنَا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ بَغِيًّا ﴾ . قال : أى حسدًا ، وهم اليهودُ ^(٢) .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُدِّيِّ : ﴿ بَغِيًّا ﴾ . قال : بَغَوْا على محمدٍ ﷺ وحسدوه ، وقالوا : إنما كانت الرسلُ من بنى إسرائيلَ ، فما بالُ هذا من بنى إسماعيلَ ؟ فحسدوه أن يُنَزَّلَ اللهُ من فضله على مَنْ يشاءُ من عباده .

وحدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ ، قال : ثنا أبو جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العالِيَةِ : ﴿ بَغِيًّا ﴾ يعني : حسدًا ﴿ أَنْ يُنَزَّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ وهم اليهودُ ، كفروا بما أنزلَ على محمدٍ ﷺ ^(٣) .

وحدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أُمِّ جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثله .

فمعنى الآية : بمس الشيء باعوا به أنفسهم ، الكفرُ بالذي أنزله اللهُ في كتابه على موسى ، من نبوةِ محمدٍ ﷺ والأمرِ بتصديقه واتباعه ، من أجلِ أن أنزلَ اللهُ من فضله - وفضله حكمته وآياته ونبوته - ﴿ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ يعني به : على محمدٍ ﷺ ، بغيا وحسدًا لمحمدٍ ﷺ من أجلِ أنه كان من ولدِ إسماعيلَ ، ولم يكن من بنى إسرائيلَ .

(١) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فيهم » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٣ (٩١٠ ، ٩١١) من طريق آدم به .

فإن قال قائلٌ : وكيف باعت اليهودُ أنفسَها بالكفرِ ، فقيل : ﴿ بِشِكْمَا اشْتَرَوْا بِوَعِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ . وهل يُشترى بالكفرِ شيءٌ ؟

قيل : إن معنى الشراءِ والبيعِ عندَ العربِ هو إزالةُ مالِكٍ مِلْكِهِ إلى غيرِهِ بِعَوَضٍ يَغْتَاضُهُ مِنْهُ ، ثم تَشْتَعْمَلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِي كُلِّ مُعْتَاضٍ مِنْ عَمَلِهِ عَوَضًا ، شَرًّا أَوْ خَيْرًا ، فَتَقُولُ : نِعَمَ مَا بَاعَ بِهِ فَلَانَّ نَفْسَهُ ، وَبِئْسَ مَا بَاعَ بِهِ فَلَانَّ نَفْسَهُ . بِمَعْنَى : نِعَمَ الْكَسْبِ أَكْسَبَهَا ، وَبِئْسَ الْكَسْبُ أَكْسَبَهَا . إِذَا أَوْزَتْهَا بِسَعْيِهِ عَلَيْهَا خَيْرًا أَوْ شَرًّا . فَكَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ جَلُّ ثَنَاؤِهِ : ﴿ بِشِكْمَا اشْتَرَوْا ﴾ [٤٥/٣] بِوَعِ أَنْفُسَهُمْ ﴿ . لَمَّا أَوْبَقُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَأَهْلَكَوْهَا ، حَاطَبَهُمُ اللَّهُ وَالْعَرَبُ بِالذِي يَغْرِفُونَهُ فِي كَلَامِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ بِشِكْمَا اشْتَرَوْا بِوَعِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ : بِئْسَ مَا أَكْسَبُوا أَنْفُسَهُمْ بِسَعْيِهِمْ ، وَبِئْسَ الْعَوَضُ اعْتَاضُوا مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ فِي تَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ؛ إِذْ كَانُوا قَدْ رَضُوا عَوَضًا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ - لَوْ كَانُوا / آمَنُوا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيَّ ٤١٦/١ أَنْبِيَاءَهُ - بِالنَّارِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِذَلِكَ .

وهذه الآية - وما أخبر الله فيها عن حسدِ اليهودِ محمدًا ﷺ وقومِهِ مِنَ الْعَرَبِ ، مِنْ أَجْلِ أَنْ اللَّهُ جَعَلَ النَّبُوَّةَ وَالْحِكْمَةَ فِيهِمْ دُونَ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حَتَّى دَعَاهُمْ ذَلِكَ إِلَى الْكُفْرِ بِهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ ، وَأَنَّهُ لِلَّهِ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ - نَظِيرَةٌ لِآيَةِ الْأُخْرَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ إِذْ لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٥١ - ٥٤] .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِي﴾ .

قد ذكرنا تأويل ذلك وبيننا معناه ، ولكننا نذكر الرواية بتصحيح ما قلنا فيه :
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن أشياخ منهم قوله : ﴿بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِي﴾ . أي : أن الله تعالى جعله في غيرهم ^(١) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : هم اليهود ، لما بعث الله نبيه محمدا ﷺ فأرأوا أنه بُعث من غيرهم ، كفروا به حسدا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ ، يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ^(٢) .

وحدثني المثني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية مثله .

وحدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

وحدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدي ، قال : قالوا : إنما كانت الرسل من بني إسرائيل ، فما بال هذا من بني إسماعيل ؟

وحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن علي الأزدي ، قال : نزلت في اليهود ^(٣) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَيَّ غَضَبٌ﴾ .

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٣٦ .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٣٨ .

(٣) تقدم تخريجه في ص ٢٣٧ .

[٤٦/٣] يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾: فرجعت اليهود من بنى إسرائيل - بعد الذى كانوا عليه من الاستنصار بمحمد ﷺ والاستفتاح به ، وبعد الذى كانوا يُخَيِّرُونَ^(١) الناس من قبل مبعثه أنه نبيّ مبعوث - مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ حين بعثه الله نبيًا مرسلًا ،^(٢) وانصرفت^(٣) بغضبٍ من الله ، استحقوه منه بكفرهم بمحمد حين بعثه^(٤) ، ومُجْحِدِهِمْ بِنُبُوَّتِهِ ، وإنكارهم إياه أن يكون هو الذى يجدون صفتَه فى كتابهم ، عِنَادًا مِنْهُمْ لَهُ ، وبغيًا وحسدًا له وللعرب ، عَلَىٰ غَضَبٍ سَالِفٍ كَانَ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ ، سابقِ غَضَبِهِ الثَّانِي ؛ لِكُفْرِهِمْ^(٥) / كان قبل ذلك ، بعيسى ابن مريم ، أو لعبادتهم العجل ، أو لغير ذلك من ذنوب كانت لهم سَلَفَتْ ، استحقُّوا^(٥) بها الغضب من الله .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمد بنِ أبى محمدٍ - فيما^(٦) يرى أبو جعفر الطبري^(٦) - عن سعيد بنِ جبير ، أو عكرمة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ : فالغضبُ على الغضبِ ، غضبه عليهم فيما كانوا ضَيَعُوا مِنَ التَّوْرَةِ وهى معهم ، وغضبٌ بكفرهم بهذا النبيِّ الذى أخذت اللهُ إليهم^(٧) .

وحدَّثنا ابنُ بشارٍ^(٨) ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ وعبدُ الرحمنِ ، قالا : ثنا سفيانُ ،

(١) بعده فى م : « به » .

(٢ - ٣) فى م : « فباءوا » .

(٣) فى م : « بعث » .

(٤) بعده فى م : « الذى » .

(٥) فى م : « يستحقون » .

(٦ - ٦) فى م : « أروى » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أرى » .

(٧) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٣/١ (٩١٥) من طريق سلمة به .

(٨) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يسار » .

عن أبي بكر^(١) ، عن عكرمة: ﴿ فَبَاءُوا بَغْضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ . قال: كُفِّرَ بَعِيسَى
وكُفِّرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ .

وحدثنا أبو كرييب ، قال: ثنا يحيى بن يمان ، قال: ثنا سفيان ، عن أبي بكر^(١) ،
عن عكرمة: ﴿ فَبَاءُوا بَغْضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ . قال: كُفِّرَ بَعِيسَى
ومحمد^ﷺ .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا الثوري ، عن
أبي بكر^(١) ، عن عكرمة مثله^(٢) .

وحدثنا ابن حميد ، قال: ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، قال: الناس يوم
القيامة على أربعة منازل: رجل كان مؤمناً ببعيسى فآمن بمحمد^ﷺ ، فله أجران ،
ورجل كان كافراً ببعيسى فآمن بمحمد^ﷺ ، فله أجر ، ورجل
كان كافراً ببعيسى فكفر بمحمد^ﷺ ، فباء بغضب على غضب ، ورجل كان كافراً
ببعيسى من مشركي العرب ، فمات بكفره قبل محمد^ﷺ ، فباء بغضب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال: ثنا يزيد بن زريع قال: ثنا سعيد ، عن قتادة قوله:
﴿ فَبَاءُوا بَغْضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ : غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِالْإِنْجِيلِ وَبَعِيسَى صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِالْقُرْآنِ وَبِمُحَمَّدٍ ^(٣) ﷺ .

وحدثني المثني ، قال: ثنا أبو حذيفة ، قال: ثنا شبث ، عن ابن أبي نجيح ، عن

(١) في الأصل، م، ت: « بكير ». وينظر تهذيب الكمال ١٥٩/٢٣ .

(٢) في الأصل: « نحوه » .

والأثر في تفسير عبد الرزاق ٥١/١ . وأبو بكر هو الهذلي ، ضعيف .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ١٢١/١ عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٨٨/١ إلى المصنف وعبد بن

مجاهد: ﴿فَبَاءُوا بَعْضًا﴾: اليهود، غَضِبَ^(١) بما كان من تبديلهم التوراة قبل خروج النبي ﷺ، ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ لجحودهم [٤٦/٣] ظ النبي ﷺ وكفرهم بما جاء به^(٢).

وحدثني المثني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿فَبَاءُوا بَعْضًا﴾: غَضِبَ اللهُ عليهم بكفرهم بالإنجيل وعيسى، ثم غَضِبَ^(٣) عليهم بكفرهم بمحمد ﷺ وبالقرآن^(٤).

وحدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَبَاءُوا بَعْضًا﴾: أما الغضب الأول، فهو حين غَضِبَ اللهُ عليهم في العجل، وأما الغضب الثاني، فغَضِبَ عليهم حين كفروا بمحمد ﷺ^(٥).

وحدثني القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن^(٦) عطاء وعبيد بن عمير في قوله: ﴿فَبَاءُوا بَعْضًا﴾: قال: غَضِبَ اللهُ عليهم فيما كانوا فيه من قبل خروج النبي ﷺ / من تبديلهم وكفرهم، ثم غَضِبَ^(٧) عليهم في محمد ﷺ إذ خرج فكفروا به.

وقد بيّنا معنى الغَضِبِ من الله على مَنْ غَضِبَ^(٧) من خلقه، واختلاف المختلِفين في صفته فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته^(٨).

(١) سقط من: م.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ١٢١/١ عن مجاهد.

(٣) في م: «غضبه».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٣/١ (٩١٤) من طريق آدم به.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٤/١ (٩١٧) عن أبي زرعة، عن عمرو به.

(٦) في م، ت١، ت٢، ت٣: «و».

(٧) بعده في م: «عليه».

(٨) ينظر ما تقدم في ١٨٩/١، ١٩٠.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾ ﴿٩٠﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ﴾: وللجاحدين نبوة محمد ﷺ من الناس كلهم عذاب من الله، إمّا فى الآخرة وإمّا فى الدنيا والآخرة، ﴿مُهِيتٌ﴾: وهو المذلُّ صاحبه المخزى، الملبّسُه هوانًا وذلّةً .

فإن قال قائل: وأى عذاب هو غير مُهين صاحبه، فيكون للكافرين المُهين منه؟

قيل: إن المُهين هو الذى قد بيّنا أنه المورثُ صاحبه ذلّةً وهوانًا، الذى يخلدُ فيه صاحبه فلا ينتقلُ من هوانه إلى عزٍّ وكرامةٍ أبدًا، وهو الذى خصَّ الله به أهل الكفر به وبرسليه، وأما الذى هو غير مُهين لصاحبه، فهو ما كان تمحيصًا لصاحبه، وذلك^(١) كالسارق من أهل الإسلام، يشرِّق ما يجبُ عليه به القطعُ فتقطعُ يده، والزانى منهم يُزنى فيقامُ عليه الحدُّ، وما أشبه ذلك من العذابِ والنكالي الذى جعله الله كفاراتٍ للذنوبِ التى عذّبَ بها أهلها، وكأهل الكبائر^(٢) من أهل الإسلام الذين يُعذّبون فى الآخرة بمقاديرِ أجزائهم التى ارتكبوها ليُمحصّوا من ذنوبهم، ثم يدخلون الجنة، فإن كلَّ ذلك وإن كان عذابًا، فغير مُهينٍ من عذّبَ به، إذ كان تعذيبُ الله له^(٣) به ليُمحصّبه به^(٤) من آثامه، ثم يُورده معدنَ العزِّ والكرامةِ، ويُخلدُه فى نعيمِ الجنانِ .

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه [٤٧/٣]: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ .

يعنى بقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾: وإذا قيل لليهود من بنى إسرائيل،

(١) بعده فى م: ت ١، ت ٢، ت ٣: «هو» .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «الكتاب» .

(٣) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «إياه» .

(٤) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣ .

الذين كانوا بين ظَهْرَانِي مُهَاجِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ أى : صَدَّقُوا ﴿ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ من القرآنِ على مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿ قَالُوا نُؤْمِنُ ﴾ أى : نُصَدِّقُ ﴿ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ يعنى : بالتوراة التى أنزلها الله على موسى .

القول فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَيَكْفُرُونَ ﴾ : وَيَجْحَدُونَ ، ﴿ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ يعنى : بما وراء التوراة .

وتأويل « وراء » فى هذا الموضع : « سوى » ، كما يقال للرجل يتكلم^(١) بالحسن : ما وراء هذا الكلامِ شىء . يُرادُ به : ليس عند المتكلمِ به شىء سوى ذلك الكلامِ . فكذلك معنى قوله : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ أى : بما سوى التوراة وبما بعده من كتبِ الله التى أنزلها إلى رسوله .

كما/ حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ٤١٩/١ قوله : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ يقول : بما بعده^(٢) .

وحدثنا المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ أى : بما بعده ، يعنى : بما بعد التوراة^(٣) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ يقول : بما بعده^(٤) .

القول فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ .

(١) فى م : « المتكلم » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ عقب الأثر (٩٢١) معلقاً .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ (٩٢١) من طريق آدم به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٤/١ عقب الأثر (٩٢١) من طريق ابن أبى جعفر به .

يَعْنَى جَل ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ أَى : وَمَا وَّرَاءِ الْكِتَابِ الَّذِى أُنزِلَ عَلَيْهِمْ ، مِنْ الْكِتَابِ الَّتِى أُنزِلَهَا اللَّهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ، الْحَقُّ . وَإِنَّمَا يَعْنَى بِذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرَهُ الْقُرْآنَ الَّذِى أُنزِلَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ .

كَمَا حَدَّثَنِى مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ السَّدِىِّ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ﴾ : وَهُوَ الْقُرْآنُ ، يَقُولُ اللَّهُ جَل ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ ^(١) .

وَإِنَّمَا قَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾ . لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، فَفِى الْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ ، مِثْلُ الَّذِى مِنْ ذَلِكَ فِى تَوْرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلِذَلِكَ قَالَ جَل ثَنَاؤُهُ لِلْيَهُودِ - إِذْ أَخْبَرَهُمْ عَمَّا وَرَاءَ كِتَابِهِمُ الَّذِى أُنزِلَهُ عَلَى مُوسَى ، مِنْ الْكِتَابِ الَّتِى أُنزِلَهَا إِلَى أَنْبِيَائِهِ - أَنَّهُ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِلْكِتَابِ الَّذِى مَعَهُمْ . يَعْنَى أَنَّهُ لَهُ مُوَافِقٌ فِيمَا لِلْيَهُودِ بِهِ مُكَذِّبُونَ ^(٢) . وَذَلِكَ خَبْرٌ مِنَ اللَّهِ جَل ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ [٤٧/٣ظ] بِالتَّوْرَةِ عَلَى مِثْلِ الَّذِى هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالْإِنْجِيلِ وَالْفِرْقَانِ ، عِنَادًا لِلَّهِ ، وَخِلَافًا لِأَمْرِهِ ، وَبَعْثًا عَلَى رَسَلِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

الْقَوْلُ فِى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَل ثَنَاؤُهُ : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٩١) .

يَعْنَى بِقَوْلِهِ جَل ثَنَاؤُهُ : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ ﴾ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ بَنَى إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ إِذَا قُلْتَ لَهُمْ : ﴿ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ ﴾ قَالُوا لَكَ : ﴿ نُوْمِنُ بِمَا

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِى تَفْسِيرِهِ ١٧٤/١ (٩٢٢) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

(٢) بَعْدَهُ فِى م : « قَالَ » .

أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴿١﴾ - : لم تَقْتُلُون - إن كنتم يا معشرَ اليهودِ مؤمنين بما أنزلَ اللهُ عليكم -
 أنبياءه ، وقد حرّم اللهُ في الكتابِ الذي أنزلَ عليكم قتلهم ، بل أمركم فيه باتباعهم
 وطاعتهم وتصديقهم . وذلك من الله جل ثناؤه تكذيبٌ لهم في قولهم : ﴿ نُوْمِنُ
 بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ وتغييرٌ لهم .

كما حدثنا موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن
 السديّ ، قال : قال اللهُ تعالى ذكره وهو يُغيّرهم ، يعنى اليهودَ : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ
 أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل ^(٢) : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ فابتدأ
 الخبرَ على لفظِ المستقبلِ ، ثم أخبر أنه قد مضى ؟

قيل : إن أهلَ العربيةِ مُختلفون في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُ البصريّينَ : /معنى
 ذلك : فلم قتلتم أنبياءَ اللهِ من قبلُ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا
 الشَّيَاطِينُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] أى : ما تَلَّتْ . وكما قال الشاعرُ ^(٣) :

ولقد أمرُّ على اللعيمِ يسبُّني فمضيتُ عنه وقلتُ لا يعنيني
 يريدُ بقوله : ولقد أمرُّ : ولقد مررتُ . واستدلَّ على أن ذلك كذلك بقوله :
 فمضيتُ عنه . ولم يُقلْ : فأمضيتُ عنه . وزعم أن « فعل » و « يفعل » قد تشتركا في
 معنَى واحدٍ ، واستشهدَ على ذلك بقولِ الشاعرِ ^(٤) :

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٥/١ (٩٢٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

(٢) بعده في م : « لهم » .

(٣) البيت لشمر بن عمرو الخنفي في الأصمعيات ص ١٢٦ ، ولرجل من بني سلول في الكتاب ٢٤/١ ، وبلا
 نسبة في الصحابي ص ٣٦٤ ، واللسان (ث م م ، م ن ي) .

(٤) هو الطرماح ، والبيت في ذيل ديوانه (ملحق بالديوان) صفحة ٥٧٢ .

وإني لآيتيكم تَشْكُرُ^(١) ما مَضَى من الأمرِ واستيجاب ما كَانَ في غَدِ

يعنى بذلك : ما يكونُ في غَدِ . وبقولِ الحُطَيْبَةِ^(٢) :

شَهِدَ الحُطَيْبَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ

يعنى : يَشْهَدُ . وكما قال الآخرُ^(٣) :

فَمَا أَضْحَى وَلَا أَمْسَيْتُ إِلَّا «أَرَأَيْتَ مِنْكُمْ» فِي كُوفَانِ^(٤)

فقال : أَضْحَى . ثم قال : وَلَا أَمْسَيْتُ .

وقال بعضُ نحوِّ الكوفيين^(٥) : إنما [٤٨/٣] قيل : ﴿ فَلَمْ تَقْنُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ

٤٢١/١

مِنْ قَبْلُ ﴾ فخطبهم بالمستقبل من الفعل ومعناه الماضي ، كما يُعْنَفُ الرجلُ الرجلَ

على ما سَلَفَ منه من فِعْلٍ ، فيقولُ له : ويحك لِمَ تَكْذِبُ ، وَلِمَ تُبْغِضُ نَفْسَكَ إِلَى

الناسِ ! كما قال الشاعرُ^(٦) :

إِذَا مَا انْتَسَبْنَا لَمْ تَلِدْنِي لَغِيْمَةً وَلَمْ تَجِدِي مِنْ أَنْ تُقِرِّي بِهَا^(٨) بُدًّا

(١) في م : « بشكري » .

(٢) ديوانه ص ٢٣٣ .

(٣) البيت في الصحاح ص ٣٦٤ ، واللسان (ك وف) .

(٤ - ٤) في الصحاح : « رأوني منهم » .

(٥) يقولون : وقنا في كُوفَانٍ وكُوفَانٍ . أى عناء ومشقة ، كأنهم اشتقوا ذلك من الرمل المتكوف ؛ لأن المشى

فيه يُعْنَى . مقاييس اللغة ٥/١٤٧ . وفي حاشية الأصل : « كوفان من كيف » .

(٦) هو الفراء في معاني القرآن ١/٦٠ ، ٦١ .

(٧) تقدم البيت في ص ٥٧ .

(٨) في م : « به » .

فالجزاء للمستقبل ، والولادة كلها قد مضت ، وذلك أن المعنى معروف ، فجاز ذلك .

قال : ومثله في الكلام : إذا نظوت في سيرة عمر لم يُسئ^(١) . المعنى : لم تجده أساء . فلما كان أمر عمر لا يُشك في مُضيّه ، لم يَقَع في الوهم أنه مُستقبل ، فلذلك صلحت : ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ مع قوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

قال : وليس الذين خوطبوا بالقتل هم القتل ، إنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا ، فتولّوهم^(٢) على ذلك ورَضُوا ، فنسب القتل إليهم .

والصواب في ذلك من القول عندنا أن الله تعالى ذكره خاطب الذين أدرَكوا رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل - بما خاطبهم به^(٣) في سورة « البقرة » وغيرها من سائر السور - بما سلف من إحسانه إلى أسلافهم ، وما^(٤) سلف من كفران أسلافهم نعمه ، وارتكابهم معاصيه ، واجترائهم عليه وعلى أنبيائه ، فأضاف^(٥) ذلك إلى المخاطبين به ، نظير قول العرب بعضها لبعض : فعلنا بكم يوم كذا^(٦) وكذا ، وفعلتم بنا يوم كذا^(٦) وكذا - على نحو ما قد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا^(٧) - يفتنون بذلك أن أسلافنا فعلوا ذلك بأسلافكم ، وأن أوائلنا فعلوا ذلك بأوائلكم ،

(١) في م : « تجده يسىء » .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قتلوهم » .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) في م : « بما » .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وأضاف » .

(٦) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كذا » .

(٧) ينظر ما تقدم في ١/٦٤٢ ، ٦٤٣ .

فكذلك ذلك في قوله: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾^(١) . وما أشبهه . فإذا كان ذلك معناه ، وكان قوله: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾^(١) - وإن كان قد خرج على لفظ الخبر عن المخاطبين به - خبراً من الله تعالى ذكره عن فعل السالفين منهم - على نحو الذي بيئنا - جاز أن يُقال: ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ . إذ كان معناه: قل: فلم يقتل أسلافكم أنبياء الله من قبل . وكان معلوماً بأن قوله: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ إنما هو خبرٌ عن فعلٍ سلفهم .

وتأويلُ قوله: ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أى: من قبل اليوم .

أما قوله: ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . فإنه يعنى: إن كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم كما تزعمون^(٢) . وإنما يعنى^(٣) بذلك اليهود الذين أدرَكوا رسولَ الله ﷺ وأسلافهم: إن كانوا وكنتم - كما تزعمون أيها اليهود - مؤمنين . وإنما عيّرهم جل ثناؤه [٤٨/٣] بقتل أوائلهم أنبياءه عند قولهم - حين قيل لهم: ﴿ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾^(٤) قالوا: ﴿ نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ لأنهم كانوا لأوائلهم الذين تولوا قتل أنبياء الله مع قبيلهم: ﴿ نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ﴾ مُتَوَلِّينَ ، وبفعلهم راضين ، فقال لهم: إن كنتم كما تزعمون مؤمنين بما أنزل عليكم، فلم تتولون قتل أنبيائي^(٥) ، وتزضون أفعالهم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

(٢) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « زعمتم » .

(٣) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « عنى » .

(٤) بعده فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « قالوا » .

(٥) فى م: « أنبياء الله ، أى » ، وفى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « أنبياء الله » .

الْعَجَلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أى : جاءكم بالبينات الدالة على صدقه وحقيقته ^(١) نبوته ، كالعصا التى تحوّلت ثعباناً مبيناً ، ويده التى أخرجها بيضاء للناظرين ، وفلق البحر ، ومصير أرضه له طريقاً يبساً ، والجراد والقمل والضفادع ، وسائر الآيات التى بيّنت صدقه وحقيقته ^(١) نبوته . وإنما سماها الله جل ثناؤه بيّنات ، لتبيّنها للناظرين إليها أنها معجزة لا يقدر على أن يأتي بها بشرٌ إلا بتسخير الله ذلك له ، وإنما هى جمعُ بيّنةٍ مثل طيّبةٍ وطيباتٍ .

ومعنى الكلام : ولقد جاءكم يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيل موسى بالآياتِ البيّناتِ على ^(٢) أمره وصدقته وحقيقته ^(١) نبوته .

وقوله : ﴿ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعَجَلِ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ يقول جل ثناؤه لهم : ثم اتخذتم العجلَ من بعد موسى ^(٣) . فالهاء التى فى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ من ذكر موسى . وإنما قال : من بعد موسى ؛ لأنهم اتخذوا العجلَ من بعد أن فارَقهم موسى ماضياً إلى ربّه لموعده ، على ما قد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا ^(٤) . وقد يجوز أن تكون الهاء التى فى : ﴿ بَعْدِهِ ﴾ من ^(٥) ذكر المجيء ، فيكون تأويلُ الكلام حينئذٍ : ولقد جاءكم موسى بالبينات ، ثم اتخذتم العجلَ من بعد مجيء ^(٦) موسى بالبينات ^(١) وأنتم ظالمون . كما تقول : جئتني فكرهتُك ^(٧) . يعنى : فكرهتُ مجيئك .

(١) فى م : « حقية » .

(٢) زيادة من : م .

(٣) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إلها » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٦٦٨/١ وما بعدها .

(٥) فى م : « إلى » .

(٦ - ٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « البيّنات » .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فكرهته » .

وأما قوله: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ فإنه يعنى بذلك أنكم فعلتُم ما فعلتُم من عبادة العجلِ وليس ذلك لكم ، وعبدتُم غيرَ الذى كان يُتبعى لكم أن تَعْبُدُوهُ ؛ لأن العبادة لا تُتبعى لغيرِ الله . وهذا توبيخٌ من الله جل ثناؤه لليهود ، وتغييرٌ منه لهم ، وإخبارٌ منه لهم أنهم ^(١) إذ كانوا قد فعلوا ما فعلوا من اتخاذِ العجلِ [٤٩/٣] إلهاً وهو لا يملكُ لهم ضرراً ولا نفعاً ، بعدَ الذى عَلِمُوا أن ربهم هو الربُّ الذى يَفْعَلُ من الأعاجيبِ وبدائعِ الأفعالِ ما أجراه على يَدَيِ موسى صلواتُ الله عليه ، من الأمورِ التى ^(٢) عاينوها التى لا يَقْدِرُ عليها أحدٌ من خلقِ الله ، ولم يَقْدِرْ عليها فرعونٌ وجنوده مع بطشه وكثرةِ أتباعه ، وقُرْبِ عهدهم بما عاينوا من عجائبِ حكمِ الله فيهم ، فهم إلى تكذيبِ محمدٍ ﷺ ، / ووجودِ ما فى كتبهم التى زعموا أنهم بها مؤمنون من صفتِهِ ونعتِهِ ، مع بُعْدِ ما بينهم وبين عهدِ موسى مِنَ المدةِ - أسرُحْ ، وإلى التَّكْذِيبِ بما جاءهم به موسى من ذلك أقرب .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ : واذكروا إذ أخذنا عهدكم بأن تُخْذُوا ما آتيناكم مِنَ التوراةِ التى أنزلناها إليكم أن تعملوا بما فيها من أمرى ، وتنتهوا عما نهيتكم فيها بجددٍ منكم فى ذلك ونشاطٍ ، فأعطيتم على العملِ بذلك ميثاقكم ، إذ رفَعنا فوقكم الجبلَ .

وأما قوله : ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ فإن معناه : واسمِعوا ما أمرتكم به ، وتَقَبَّلوه بالطاعةِ . كقولِ الرجلِ للرجلِ يأمره بالأمرِ : سَمِعْتُ وأطعْتُ . يعنى بذلك : سَمِعْتُ قولك وأطعْتُ أمرك . كما قال الراجِزُ ^(٣) :

(١ - ١) فى م : «إذا كانوا» .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) ذكره المصنف فى تاريخه ٢٩٩/٥ .

السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالتَّسْلِيمُ

خَيْرٌ وَأَعْفَى لِبَنِي تَيْمِيمٍ

يعنى بقوله : السمع : قبول ما تسمع ، والطاعة لما تؤمر . فكذاك معنى قوله ﴿ وَأَسْمَعُوا ﴾ : اقبلوا ما سمعتم ، واعملوا به .

قال أبو جعفر : فمعنى الآية إذن : وإذا أخذنا ميثاقكم أن أخذوا ما آتيناكم بقوة ، واعملوا بما سمعتم ، وأطيعوا الله ، ورفعنا فوقكم الطور من أجل ذلك .

وأما قوله : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ فإن الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب ، وذلك ما وصفنا من أن ابتداء الكلام إذا كان حكاية ، فالعرب تُخاطب فيه ثم تعود فيه إلى الخبر عن الغائب ، وتُخبر عن الغائب ثم تُخاطب ، كما قد بينا ذلك فيما مضى قبل . فكذاك ذلك فى هذه الآية ؛ لأن قوله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ بمعنى : قلنا لكم فأجبتونا . وأما قوله : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا ﴾ فإنه خبرٌ من الله عن اليهود الذين أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما فى التوراة ، وأن يُطيعوا الله فيما [٤٩/٣] يسمعون منها ، أنهم قالوا حين قيل لهم ذلك : سمعنا قولك ، وعصينا أمرك .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ؛ فقال بعضهم : تأويله : وأشربوا فى قلوبهم حبَّ العجل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

قتادة : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ قال : أشربوا حبه حتى خلص ذلك إلى

قلوبهم^(١) .

٤٢٣/١ / حدَّثني المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ قال : أشربوا حبَّ العجلِ بكُفْرِهِمْ^(٢) .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ قال : أشربوا حبَّ العجلِ في قلوبهم^(٣) .

وقال آخرون : معنى ذلك أنهم سُقُوا الماءَ الذي دُرِّيَ فيه سُحَالَةٌ^(٤) العجلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : لما رجع موسى إلى قومه أخذ العجلَ الذي وجدهم عاكفين عليه فذبحه^(٥) ، ثم حرقه^(٦) بالمبرد ، ثم ذرَّاهُ في اليمِّ ، فلم يَبْقَ بحرٌّ يومئذٍ يَجْرِي إلا وقع فيه شيءٌ منه ، ثم قال لهم موسى : اشربوا منه . فشرَّبوا منه ، فمن كان يُجِبُّه خرج على شاربه الذهبُ ، فذلك حين يقولُ اللهُ عز وجل : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٧) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن ابنِ جريج ، قال :

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١ (٩٣٤) عن الحسن بن يحيى به .
 (٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١ عقب الأثر (٩٣٤) من طريق آدم به .
 (٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١ عقب الأثر (٩٣٤) من طريق ابن أبي جعفر به .
 (٤) السحالة : ما سقط من الذهب والفضة ونحوها إذا برد . التاج (س ح ل) .
 (٥) أى : شقه .

(٦) فى م : « حرقه » . وحرقه بالمبرد : برده . وينظر ما تقدم فى ١ / ٦٨١ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٧٦/١ (٩٣٣) من طريق عمرو به .

لما سُجِّلَ فَأَلْقَى فِي الْيَمِّ اسْتَقْبَلُوا جِرْيَةَ الْمَاءِ ، فَشَرِبُوا حَتَّى مَلَأُوا بَطُونَهُمْ ، فَأَوْزَتْ ذَلِكَ مَنْ فَعَلَهُ مِنْهُمْ مُجْتَبَأً .

قال أبو جعفر: وَأَوْلَى التَّأْوِيلِينَ الَّذِينَ ذَكَرْتُ بِقَوْلِ اللَّهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ تَأْوِيلٌ مَنْ قَالَ: وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حَبَّ الْعِجْلِ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ لَا يُقَالُ مِنْهُ: أُشْرِبَ فَلَانٌ فِي قَلْبِهِ. وَإِنَّمَا يُقَالُ ذَلِكَ فِي حَبِّ الشَّيْءِ، فَيُقَالُ مِنْهُ: أُشْرِبَ قَلْبُ فَلَانٍ حَبَّ كَذَا. بِمَعْنَى: سَقِيَ ذَلِكَ حَتَّى غَلَبَ عَلَيْهِ وَخَالَطَ قَلْبَهُ. كَمَا قَالَ زُهَيْرٌ^(١):

فَصَحَّوْتُ عَنْهَا بَعْدَ حُبِّ دَاخِلٍ وَالْحُبُّ يُشْرِبُهُ فُوَاذَكَ دَاءً
ولكنه تركَ ذِكْرَ «الْحُبِّ» اِكْتِفَاءً بِفَهْمِ السَّامِعِ لِمَعْنَى الْكَلَامِ؛ إِذْ كَانَ
مَعْلُومًا [٥٠/٣] وَأَنَّ الْعِجْلَ لَا يُشْرِبُ الْقَلْبَ، وَأَنَّ الَّذِي يُشْرِبُ الْقَلْبَ مِنْهُ جِبَّةٌ.
كَمَا قَالَ جَلِ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً
الْبَحْرِ﴾^(٢) [الأعراف: ١٦٣]. ﴿وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا
فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٣):

حَسِبْتُ بُغَامَ^(٤) رَاحِلَتِي عِنَاقًا^(٥) وَمَا هِيَ وَئِيبٌ^(٦) غَيْرِكِ بِالْعِنَاقِ
يعنى بذلك: حَسِبْتُ بُغَامَ رَاحِلَتِي بُغَامَ عِنَاقٍ.

(١) شرح ديوانه ص ٣٣٩.

(٢) - ٢) ليست فى: الأصل.

(٣) البيت فى اللسان (وى ب) (ب غ م)، وفى النوادر ص ١١٦، ومعانى القرآن للفراء ١/ ٦٢، منسوب لذى الخزق الطهوى يخاطب ذئبا تبعه فى طريقه، وفى اللسان (ع ن ق) منسوب لقريط بن أنيف، وغير منسوب فى مجالس ثعلب ١/ ٧٦.

(٤) بغام الناقة: صوت لا تفصح به. اللسان (ب غ م).

(٥) العناق: الأثنى من المعز. اللسان (ع ن ق).

(٦) الويب: كلمة بمعنى ويل. اللسان (وى ب).

وكما قال طرفةُ بنُ العبدِ^(١) :

ألا إنني سقيتُ أسودَ حالكًا ألا بجلى^(٢) من الشرابِ ألا بجلٍ
يعنى بذلك : سقيتُ سَمًا أسودَ . فاكْتَفَى بذكرِ « أسودَ » من ذِكْرِ « السَّمِ »
لمعرفةِ السامعِ معنى ما أراد بقوله : سقيتُ أسودَ . ويُرْوَى :

ألا إنني سقيتُ أسودَ سالخًا^(٣)

وقد تقولُ العربُ : إذا سرَّكَ أن تنظُرَ إلى السخاءِ فانظُرْ إلى هَرَمٍ أو إلى حاتمٍ .
فَتَجْتَرِي بِذكرِ الاسمِ من ذكرِ فعلِهِ ، إذا كان معروفًا بشجاعةٍ أو سخاءٍ ، أو ما أشبهَ
ذلك من الصفاتِ ، ومنه قولُ الشاعرِ^(٤) :

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بَعْرَوَةَ وَإِنْ جِهَادًا طَيِّئٌ وَقَتَالُهَا
القولُ في تأويلِ قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾^(٩٣) .

يَعْنِي بِذلك جَل ثناؤُهُ : قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِيَهُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : بِسْمِ الشَّيْءِ يَأْمُرُكُمْ
بِهِ إِيمَانُكُمْ ، إِنْ كَانَ يَأْمُرُكُمْ بِقَتْلِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالتَّكْذِيبِ بِكُتُبِهِ ، وَجُحُودِ مَا
جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ . وَمَعْنَى إِيمَانِهِمْ : تَصَدِّقُهُمْ / الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِهِ مُصَدِّقُونَ مِنْ كِتَابِ
اللَّهِ ، إِذْ قِيلَ لَهُمْ : آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ . فَقَالُوا : نُوْمُنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا . ٤٢٤/١

وقوله : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أى : إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ - كما زعمتم - بما

(١) ديوانه ص ١١٥ .

(٢) بجلى : حسى . التاج (ب ج ل) .

(٣) السالخ : الأسود من الحيات شديد السواد وأقتل ما يكون من الحيات . اللسان (س ل خ) .

(٤) معاني القرآن للفراء ٦٢/١ ، ومجالس ثعلب ٧٦/١ ، واللسان (غ ز ي) .

أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ . وَإِنَّمَا كَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ لِأَنَّ التَّوْرَةَ تَنْهَى عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَتَأْمُرُ بِخِلَافِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ تَصْدِيقَهُمْ بِالتَّوْرَةِ إِنْ كَانَ يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ ، فَبِعَسِّ الْأَمْرِ تَأْمُرُ بِهِ . وَإِنَّمَا ذَلِكَ نَفَى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ عَنِ التَّوْرَةِ أَنْ تَكُونَ تَأْمُرُ بِشَيْءٍ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَأَنْ يَكُونَ التَّصْدِيقُ بِهَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ ، وَإِعْلَامُ مَنْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ [٣/٥٠٠ظ] أَنَّ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ أَهْوَاؤُهُمْ ، وَالَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ الْبَغْيُ وَالْعِدْوَانُ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذه الآية مما احتجَّ الله به لنبيه محمد ﷺ على اليهود الذين كانوا بين ظَهْرَانِي مُهَاجِرِهِ ، وَفَضَّحَ بِهَا أَحْبَابَهُمْ وَعِلْمَاءَهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى قَضِيَّةٍ عَادِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فِيمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْخِلَافِ ، كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَ الْفَرِيقَ الْآخَرَ مِنَ النَّصَارَى - إِذْ خَالَفُوهُ فِي عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَجَادَلُوهُ فِيهِ - إِلَى فَاصِلَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ الْمُبَاهَلَةِ ، وَقَالَ لِفَرِيقِ الْيَهُودِ : إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ، فَإِنْ ذَلِكَ غَيْرُ ضَارِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِيمَا تَدْعُونَ مِنَ الْإِيمَانِ وَقُرْبِ الْمَثَلَةِ مِنَ اللَّهِ ، بَلْ إِنْ أُعْطِيتُمْ أَمْنِيَّتِكُمْ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا تَمَنَّيْتُمْ ، فَإِنَّمَا تَصِيرُونَ إِلَى الرَّاحَةِ مِنْ تَعَبِ الدُّنْيَا وَنَصْبِهَا وَكَدَرِ عَيْشِهَا ، وَالْفَوْزِ بِجَوَارِ اللَّهِ فِي جَنَانِهِ ، إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُونَ ، مِنْ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكُمْ خَالِصَةً دُونَنَا ، وَإِنْ لَمْ تُعْطَوْهَا عَلِمَ النَّاسُ أَنَّكُمْ الْمُبْطِلُونَ ، وَنَحْنُ الْمُحِقُّونَ فِي دَعْوَانَا ، وَإِن كُنْتُمْ مُحِقِّينَ فِيمَا تَدْعُونَ لَكُمْ . فَامْتَنَعَتِ الْيَهُودُ مِنْ إِجَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى ذَلِكَ لَعَلَّمَهَا أَنَّهَا إِنْ تَمَنَّتِ الْمَوْتَ هَلَكَتْ ، فَذَهَبَتْ دُنْيَاهَا ، وَصَارَتْ إِلَى خِزْيِ الْأَبَدِ فِي آخِرَتِهَا ، كَمَا امْتَنَعَ فَرِيقُ النَّصَارَى الَّذِينَ جَادَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي عَيْسَى ، إِذْ دُعُوا إِلَى الْمُبَاهَلَةِ - مِنَ الْمُبَاهَلَةِ ، فَبَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا ، وَلَرَأَوْا

مقاعدهم من النار ، ولو خرَج الذين يُياهلون رسولَ اللهِ ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً .

حدَّثنا بذلك أبو كريب ، قال : حدثنا ^(١) زكريا بنُ عدى ، قال : حدَّثنا عُبيدُ اللهِ ابنُ عمرو ، عن عبدِ الكريم ، عن عكرمة ، عن ابنِ عباس ، عن رسولِ اللهِ ﷺ . ^(٢)

حدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا عَثمُ بنُ علي ، عن الأعمش ، عن ابنِ عباس في قوله : ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قال : لو تَمَنُّوا الموتَ لَشَرِقَ أحدهم بريقه . ^(٣)

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا مَعمرٌ ، عن عبدِ الكريمِ الجَزْرِي ، / عن عكرمة في قوله : ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قال : [٥١/٣] قال ابنُ عباس : لو تَمَنَّى اليهودُ الموتَ لَمَاتُوا . ^(٤) ٤٢٥/١

حدَّثني موسى ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن الشدى ، عن ابنِ عباس مثله .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاق ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمد - قال أبو جعفر : فيما أرى - أنا - عن سعيد ، أو عكرمة ، عن ابنِ عباس ، قال : لو تَمَنَّوه يومَ قال لهم ذلك ، ما بقي على ظَهْرِ الأرضِ

(١) بعده في م : « أبو » .

(٢) إسناده صحيح . أخرجه البزار (٢١٨٩ - كشف) ، وابن مردويه - كما في الفتح ٧٢٤/٨ - من طريق زكريا بن عدى به . وأخرجه أحمد ٩٩/٤ (٢٢٢٦) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٦١) ، وأبو يعلى (٢٦٠٤) من طريق عبيد الله بن عمرو به .

(٣) الأعمش لم يدرك ابن عباس . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٧/١ (٩٣٦) من طريق عثم ، عن الأعمش قال : لا أظنه إلا عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٥٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٧/١ (٩٣٨) عن الحسن بن يحيى به . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/٨٩ إلى ابن المنذر وأبي نعيم .

يهودىّ إلامات^(١) .

قال أبو جعفر: فانكشف - لمن كان مُشْكِلًا عليه أمرُ اليهودِ يومئذٍ - كذبهم وبُهْتُهُمْ وبَغْيُهُمْ على رسولِ اللهِ ﷺ وأصحابه، وظَهَرَتْ حُجَّةُ رسولِ اللهِ وحُجَّةُ أصحابه عليهم، ولم تزل - والحمدُ لله - ظاهرةً عليهم وعلى غيرهم من سائرِ أهلِ المللِ، وإنما أَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يقولَ لهم: ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ لأنهم - فيما ذكر لنا - قالوا: ﴿ نَحْنُ أَنْبَتُوا اللَّهَ وَأَجَبْتُوهُ ﴾ [المائدة: ١٨] وقالوا: ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾ [البقرة: ١١١] . فقال اللهُ لِنبيِّه محمدٍ ﷺ: قل لهم إن كنتم صادقين فيما تزعمون فتمنّوا الموتَ . فأبان اللهُ كذبهم بامتناعهم من تمّنى ذلك، وأفلج حُجَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ .

وقد اختلف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى من أجله أمر اللهُ نبيِّه ﷺ أن يدعو اليهودَ إلى أن يتمنّوا الموتَ، وعلى أى وجهٍ أمروا أن يتمنّوه؛ فقال بعضهم: أمروا أن يتمنّوه على وجهِ الدعاءِ على الفريقِ الكاذبِ منهما .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: حدَّثنا سلمةُ، قال: حدَّثنى ابنُ إسحاقَ، قال: حدَّثنى محمدُ بنُ أبى حميدٍ، عن سعيدٍ، أو عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال اللهُ لِنبيِّه ﷺ: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى: ادعوا بالموتِ على أى الفريقين أكَذِبُ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٧/١ (٩٤٠) من طريق سلمة به .

(٢) سيأتى بتامه فى ص ٢٧٢، ٢٧٣ .

وقال آخرون بما حدَّثني بشر بن معاذ، قال: حدَّثنا يزيد بن زريع، قال: حدَّثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾: وذلك أنهم قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾. وقالوا: ﴿نَحْنُ آبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ﴾. فقيل لهم: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

حدَّثني المشي، قال: حدَّثنا آدم، قال: حدَّثنا أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قالت اليهود: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ وقالوا: ﴿نَحْنُ آبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ﴾. فقال الله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً [٣/٥١ظ] مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلم يفعلوا^(٢).

حدَّثني المشي، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: حدَّثني^(٣) ابن أبي جعفر، عن ٤٢٦/١ أبيه^(٣)، عن الربيع قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية: وذلك بأنهم قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ وقالوا: ﴿نَحْنُ آبَتُوا اللَّهَ وَأَحْبَبْتُوهُ﴾^(٤).

وأما تأويل قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فإنه يقول: قُلْ يا محمد: إن كان نعيم الدار الآخرة ولذاتها لكم يا معشر اليهود عند الله. فاكتفى بذكر الدار من ذكر نعيمها لمعرفة مخاطبين بالآية معناها.

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٧/١ عقب الأثر (٩٣٥) معلقا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٦/١، ١٧٧ (٩٣٥) من طريق آدم به.

(٣ - ٣) في م: «أبو جعفر».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٧/١ عقب الأثر (٩٣٥) من طريق ابن أبي جعفر به.

وقد بينّا معنى الدارِ الآخرة فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع^(١).
 وأما تأويلُ قوله: ﴿ خَالِصَةً ﴾ فإنه يعنى به: صافيةً. كما يُقال: خَلَصَ لى^(٢) هذا الأمرُ. بمعنى: صار لى وَخدى وصفاً لى، يُقالُ منه: خَلَصَ لى هذا الشىءُ فهو يَخْلُصُ خلوصاً وخالصةً. والخالصةُ مصدرٌ، مثلُ العافية، ويقالُ للرجل: هذا خُلَصَانى. يعنى به: خالِصَتى من دونِ أصحابى.

وقد روى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يتأولُ قوله: ﴿ خَالِصَةً ﴾: خاصةً. وذلك تأويلٌ قريبٌ من معنى التأويلِ الذى قلناه فى ذلك.

حدّثنا أبو كريبٍ، قال: ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، قال: ثنا بشرٌ بنُ عُمارةَ، عن أبى رَؤقٍ، عن الضحاكِ، عن ابنِ عباسٍ قوله: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ ﴾ قال: قُلْ يا محمدُ لهم - يعنى اليهودَ - إن كانت لكم الدارُ الآخرةُ، يعنى الخَيْرَ^(٣) ﴿ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً ﴾. يقولُ: خاصةً لكم^(٤).

وأما قوله: ﴿ مَن دُونِ النَّاسِ ﴾ فإن الذى يدلُّ عليه ظاهرُ التنزيلِ أنهم قالوا: لنا الدارُ الآخرةُ عندَ اللهِ خالصةً من دونِ جميعِ الناسِ. ويبيِّنُ أن ذلك كان قولهم - من غيرِ استثناءٍ منهم من ذلك أحداً من بنى آدمَ - إخبارُ اللهِ عنهم أنهم قالوا: ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا ﴾. إلا أنه قد روى عن ابنِ عباسٍ قولٌ غيرُ ذلك.

(١) ينظر ما تقدم فى ٢٥١/١، ٢٥٢.

(٢) (٢ - ٢) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فلان».

(٣) كذا فى النسخ، وفى الدر المنثور: «الجنة».

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٨٩/١ إلى المصنف.

ذَكَرُ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَزْوَقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ مِّنْ دُونِ النَّاسِ ﴾ يَقُولُ : مِنْ دُونِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اسْتَهْزَأْتُمْ بِهِمْ ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْحَقَّ فِي أَيْدِيكُمْ ، وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَكُمْ دُونَهُمْ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ فَإِنْ تَأْوِيلُهُ : تَشَهَّوْهُ وَأَرِيدُوهُ . وَقَدْ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي تَأْوِيلِهِ : فَسَلُّوا الْمَوْتَ . [٥٢/٣] وَلَا يُعْرَفُ التَّمَنَّى بِمَعْنَى الْمَسْأَلَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ . وَلَكِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَجَّهَ مَعْنَى الْأُمْنِيَّةِ - إِذْ كَانَتْ مَحَبَّةَ النَّفْسِ وَشَهْوَتِهَا - إِلَى مَعْنَى الرَّغْبَةِ وَالْمَسْأَلَةِ ، إِذْ كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ هِيَ رَغْبَةُ السَّائِلِ إِلَى اللَّهِ فِيمَا سَأَلَهُ .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَزْوَقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ يَقُولُ : فَسَلُّوا الْمَوْتَ ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٩٥) .

وَهَذَا خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنِ الْيَهُودِ وَكَرَاهَتِهِمُ الْمَوْتَ ، وَامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الْإِجَابَةِ إِلَى مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنْ تَمَنَّى الْمَوْتِ ؛ لَعَلِمِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَالْوَعِيدُ بِهِمْ نَازِلٌ ، وَالْمَوْتُ بِهِمْ حَالٌ ، وَلِمَعْرِفَتِهِمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ مَرْسَلٌ ، وَهُمْ بِهِ مُكَدِّبُونَ ، وَأَنَّهُ لَنْ يُخْبِرَهُمْ خَيْرًا إِلَّا كَانَ حَقًّا كَمَا أَخْبَرَ ، فَهُمْ / يَحَدِّثُونَ أَنَّ يَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ، خَوْفًا أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ عِقَابُ اللَّهِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ . ٤٢٧/١

كَالَّذِي حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ

إسحاق ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ - فيما يَرَى أَبُو جَعْفَرٍ - عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أو عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ ﴾ الآية .
 أَى : اذْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى أَىِّ الْفَرِيقَيْنِ أَكْذَبُ ، فَأَتُوا^(١) ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
 يَقُولُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ أَى : لَعَلِمِهِمْ
 بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ وَالْكَفْرِ بِذَلِكَ^(٢) .

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سَعِيدٍ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رُوَيْقٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا ﴾ . يقولُ : يا مُحَمَّدُ ، وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا ؛ لِأَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ كاذِبُونَ ، وَلَوْ كَانُوا صادِقِينَ لَتَمَنَّوهُ ، وَرَغِبُوا فِي التَّعَجِيلِ إِلَى كَرَامَتِي ، فَلَيْسَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ^(٣) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَهُ : ﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : وَكَانَتِ الْيَهُودُ أَشَدَّ النَّاسِ^(٤) فَرَارًا مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَمْ يَكُونُوا لِيَتَمَنَّوهُ أَبَدًا .

وَأَمَّا قولُهُ : ﴿ بِمَا قَدَّمْت [٥٢/٣] أَيْدِيهِمْ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : بِمَا أَسْلَفْتَهُ أَيْدِيهِمْ . وَإِنَّمَا ذَلِكَ مَثَلٌ ، عَلَى نَحْوِ مَا تَمَثَّلُ بِهِ الْعَرَبُ فِي كَلَامِهَا ، فَتَقُولُ لِلرَّجُلِ يُؤْخَذُ بِجَرِيرَةٍ جَرَّهَا ، أو جَنَائِيَةَ جَنَاهَا فَيَعَاقِبُ عَلَيْهَا : نَالِكَ هَذَا بِمَا جَنَّتْ يَدَاكَ ، وَبِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ ، وَبِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ . فَتُضَيَّفُ ذَلِكَ إِلَى الْيَدِ ، وَلَعَلَّ الْجَنَائِيَةَ الَّتِي جَنَاهَا فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهَا الْعُقُوبَةَ كَانَتْ بِاللِّسَانِ أو بِالْفَرْجِ أو بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ سِوَى

(١) فى م : « قالوا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٧٧/١ (٩٣٧ ، ٩٤٠) من طريق سلمة به .

(٣) تقدم أول هذا الأثر فى ص ٢٧١ .

(٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ٣ .

اليد . وإنما قيلَ ذلك بإضافته إلى اليد ؛ لأنَّ عَظْمَ جِنَايَاتِ النَّاسِ بِأَيْدِيهِمْ ، فَجَزَى الْكَلَامَ بِاسْتِعْمَالِ إِضَافَةِ الْجِنَايَاتِ الَّتِي يَجْنِيهَا النَّاسُ إِلَى أَيْدِيهِمْ ، حَتَّى أُضِيفَ كُلُّ مَا عُوقِبَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا جَنَاهُ بِسَائِرِ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ إِلَى أَنَّهَا عُقُوبَةٌ عَلَى مَا جَنَّتَهُ يَدَاهُ ^(١) ، فَلِذَلِكَ قَالَ جَل تَنَاوُهُ لِلْعَرَبِ : ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ .
 يعنى به : ولن يَتَمَنَّى اليهودُ الموتَ بما قَدَّموا أَمَاتَهُمْ فى حَيَاتِهِمْ مِنْ كَفْرِهِمْ بِاللَّهِ ، فى مَخَالِفَتِهِمْ أَمْرَهُ وَطَاعَتَهُ فى اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ وما جَاءَهُمْ ^(٢) به مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَةِ ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ . فَأَضَافَ جَل تَنَاوُهُ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ ، وَأَضَمَّرَتْهُ نَفُوسُهُمْ ، وَنَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ ؛ مِنْ حَسَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَالبَغْيِ عَلَيْهِ ، وَتَكْذِيبِهِ وَجُحُودِ رِسَالَتِهِ - إِلَى أَيْدِيهِمْ ، وَأَنَّهُ مِمَّا قَدَّمْتَهُ أَيْدِيهِمْ لِعَلِمِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى ذَلِكَ فى مَنْطِقِهَا وَكَلَامِهَا ، إِذْ كَانَ جَل تَنَاوُهُ إِنَّمَا أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِلِسَانِهَا ، وَبَلَّغْتَهَا خَاطِبَهَا ^(٣) .

وَرُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فى ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا عِثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : ثنا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنِ أَبِي رَوْقٍ ، عَنِ الضُّحَاكِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ يَقُولُ : بِمَا أَسْلَفْت أَيْدِيهِمْ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حِجَابُ ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ : ﴿ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ﴾ . قَالَ : إِنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ نَبِيٌّ فَكَتَمُوهُ .

وَأما قَوْلُهُ : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنَى جَل تَنَاوُهُ : وَاللَّهُ ذُو عِلْمٍ بِظُلْمَةِ ٤٢٨/١ بنى آدَمَ - يَهُودِهَا / وَنَصَارَاها وَسَائِرِ أَهْلِ "مَلِكِهَا غَيْرِهِمْ" - وَمَا يَعْمَلُونَ .

(١) فى م : « يده » .

(٢) فى م : « جاء » .

(٣) سقط من : م .

(٤) ليست فى : الأصل .

(٥ - ٥) فى م : « الملل غيرها » .

وظلم اليهود كفرهم بالله في خلافهم أمره وطاعته في اتباع محمد ﷺ، بعد أن كانوا يَسْتَفْتِحُونَ به وببعثه، ومُجْرِدِهِمْ نبوته وهم عالمون أنه نبي الله ورسوله إليهم. وقد دَلَّلْنَا على معنى الظلم فيما مضى بما أَعْنَى عن إعادته في هذا الموضوع^(١).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾

[٥٣/٣] يَعْنِي جَلْ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾

اليهود. يقول: يا محمد، لَنَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حِرْصًا على الحياة في الدنيا، وأشدَّهُم كراهةً للموت، اليهود، كما حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قال: حَدَّثَنَا سَلْمَةُ، قال: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عن محمد بن أبي محمد - فيما يَرَى^(٢) أبو جعفر - عن سعيد بن جبيرة، أو عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾. يعني اليهود^(٣).

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر،^(٤) عن الربيع، عن أبي

العالية: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ﴾. يعني اليهود^(٥).

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى،^(٤) قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن

الربيع مثله^(٦).

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي

(١) ينظر ما تقدم في ٥٥٩/١، ٥٦٠.

(٢) في م: «يروي».

(٣) سيرة ابن هشام ٥٤٢/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٨/١ (٩٤٤، ٩٤٦)، والحاكم ٢/٢٦٣ من طريق مسلم البطين عن سعيد به بزيادة: ﴿ومن الذين أشركوا﴾ قال: الأعاجم. وستأتي بقيته في ص ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٢.

(٤ - ٤) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٨/١ عقب الأثر (٩٤٤) من طريق آدم به.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٨/١ عقب الأثر (٩٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به.

نجيح ، عن مجاهدٍ مثله .

وإنما كراهتهم الموت لعلمهم بما لهم في الآخرة من الخزي والهوان الطويل .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ : وأحرص من الذين أشركوا على الحياة . كما يقال : هو أشجع الناس ومن عنتره . بمعنى : هو أشجع من الناس ومن عنتره . فكذاك قوله : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ . لأن معنى الكلام : ولتجدن يا محمد اليهود من بنى إسرائيل أحرص من ^(١) الناس على حياة ومن الذين أشركوا . فلما أضيف ﴿ أحرص ﴾ إلى ﴿ الناس ﴾ ، وفيه تأويل « من » - أظهرت بعد حرف العطف رداً على التأويل الذى ذكرنا .

وإنما وصف الله جل ثناؤه اليهود بأنهم أحرص الناس على الحياة ، لعلمهم بما قد أعد لهم فى الآخرة على كفرهم ، مما لا يُقرُّ به أهل الشرك ، فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ؛ لأنهم يؤمنون بالبعث ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب ، وأن المشركين لا يُصدِّقون ببعث ولا عقاب ، فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت .

وقيل : إن الذين أشركوا ، الذين أخبر الله تعالى ذكره أن اليهود أحرص منهم فى هذه الآية على الحياة ، هم المجوس . ^(٢) وقيل : هم ^(٣) الذين لا يُصدِّقون بالبعث .

(١) سقط من : م .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

٤٢٩/١

/ ذكر من قال : هم الجوس

حدثنى المثني ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ : يعنى الجوس^(١) .

وحدثنى المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : [٥٣/٣] ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قال : الجوس .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنى ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ . قال : يهود أحرص من هؤلاء على الحياة .

ذكر من قال : هم الذين يُنكرون البعث

حدثننا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : حدثنى محمد ابن أبي محمد - فيما يَرى^(٢) أبو جعفر - عن سعيد بن جبیر ، أو عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَلَنَجْذِثَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ : وذلك أن المشرك لا يَزْجُو بعثاً بعد الموت ، فهو يُحبُّ طول الحياة ، وأن اليهودي قد عَرَفَ ما له فى الآخرة من الخزي ،^(٣) لما ما صَبَّحَ بما^(٤) عنده من العلم^(٤) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه^(٥) عن الذين أشركوا ، الذين أخبر أن اليهود

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٧٩/١ (٩٤٧) من طريق آدم به .

(٢) فى م : « بروى » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بما ضيع مما » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ١٧٩/١ (٩٥٠) من طريق سلمة به .

(٥) بعده فى : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بقوله » .

أحرص منهم على الحياة، يقول جل ثناؤه: **يَوَدُّ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْرَكُوا** - ^(١) ليأسيه بفناء^(١) دنياه وانقضاء أيام حياته، من ^(٢) أن يكون له بعد ذلك نُشُورٌ أو مَحْيَا، أو فَرِيحٌ أو سُورٌ - لو يُعَمَّرُ^(٣) في الدنيا^(٤) ألف سنة، حتى جعل بعضهم تحية بعض: ^(٥) عِشْ أَلْفَ عامٍ. حرصاً منهم على الحياة.

كما حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قال: سَمِعْتُ أَبِي عَلِيًّا يَقُولُ^(٦): أَخْبَرَنَا أَبُو حَمزة، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. قال: هو قول الأعاجم: هَزَارٌ^(٧) سال زه نُوْرُوْزٍ مِهْرَجَانِ دَرِ.

وَحَدَّثَتْ عَنْ نُعَيْمِ النَّخَوِيِّ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. قال: هو قول أهل الشرك بعضهم لبعض إذا عَطِسَ: زه هَزَارٌ سال^(٧).

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قالا: ثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيْيَةَ، عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن قتادة في قوله: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. قال: حُبِّبَتْ إِلَيْهِمُ الْخَطِيئَةُ طَوْلَ الْعُمُرِ^(٨).

(١ - ١) في م: «إلا بعد فناء».

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣ - ٣) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٤ - ٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «عشرة آلاف».

(٥) في النسخ: «حر».

وهزار: ألف، وسال: سنة، وزه: عيش، ونوروز ومهرجان: من أعياد الفرس، ودر: حرف جر بمعنى:

في. وينظر المعجم الذهبى ص ٢٥٨، ٣١٦، ٣٢٧، ٥٥١، ٦٠٣.

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٨٤ عن المصنف.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٩ عقب الأثر (٩٤٩) معلقاً.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٧٩ (٩٤٩) من طريق ابن عليه، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَعْبُدٍ ، عَنْ ابْنِ عُثَيْبٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَوْمًا أَحَدَهُمْ ﴾ . فَذَكَرَ مِثْلَهُ .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَنَجْذِثَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفٌ [٥٤/٣] سَنَةً ﴾ : وَيَهُودُ أَحْرَصُ مِنْ هَؤُلَاءِ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَقَدْ وَدَّ هَؤُلَاءِ لَوْ يُعَمَّرُ أَحَدُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ^(١) .

/ وَحَدَّثَتْ عَنْ أَبِي مَعَاوِيَةَ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ٤٣٠/١ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَوْمًا أَحَدَهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ . قَالَ : هُوَ قَوْلُ أَحَدِهِمْ إِذَا عَطَسَ : زَهْ هَزَارَ سَالٍ . يَقُولُ : « عِشْ أَلْفَ سَنَةٍ^(٢) » .^(٣)

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَائُهُ : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُرْخِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ .

يَعْنَى جَلِ ثَنَائُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُرْخِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ : وَمَا التَّعْمِيرُ وَطُولُ الْبَقَاءِ بِمُرْخِجِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ .

و^(٤) قَوْلُهُ : ﴿ هُوَ ﴾ . عِمَادٌ ، لَطَلَبٌ « مَا » الْأَسْمَ أَكْثَرَ مِنْ طَلَبِهَا الْفِعْلُ ، كَمَا

(١) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٨٥/١ .

(٢ - ٢) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عِشْرَةَ آلَافٍ » .

(٣) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سَنَنِهِ (٢٠١ - تَفْسِيرٍ) ، وَالْحَاكِمُ ٢/٢٦٣ مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَعَاوِيَةَ بِهِ . وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ١٠/٤٧٣ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١/١٧٩ (٩٤٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ نَجْمٍ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مُسْلِمِ الْبَطْنِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بِهِ ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ٢/٢٦٣ ، ٢٦٤ مِنْ طَرِيقِ قَيْسِ بْنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ إِيَّاسٍ ، عَنْ سَعِيدِ بِهِ . وَتَقَدَّمَ فِي ص ٢٧٨ عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَّرِ ١/٨٩ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ .

(٤) بَعْدَهُ فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هُوَ » .

قال الشاعر^(١) :

* فهل هو مرفوع بما هلهنا رأس *

و ﴿أَنْ﴾ التي في : ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ رَفَعُ بِـ ﴿مُزَحَّزِجِهِ﴾ ، و ﴿هُوَ﴾ التي مع ﴿مَا﴾^(٢) من ذكره^(٣) ، عمادٌ للفعل ؛ لاستفتاح^(٤) العربِ النكرة قبل المعرفة .

وقد قال بعضهم : إن ﴿هُوَ﴾ التي مع ﴿وَمَا﴾ كنايةٌ من ذكرِ العُمَرِ . كأنه قال : يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لو يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ، وما ذلك العُمَرُ بِمُزَحَّزِجِهِ من العذابِ . وجعل : ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ مُتَزَجِّمًا^(٥) عن ﴿هُوَ﴾ . يُرِيدُ : ما هو بِمُزَحَّزِجِهِ التعميرُ .

وقال بعضهم : قوله : ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِجِهِ مِنْ أَلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ نظيرُ قولك : ما زيدٌ بِمُزَحَّزِجِهِ أَنْ يُعَمَّرَ .

وأقربُ هذه الأقوالِ عندنا إلى الصوابِ ما قلناه ، وهو أن يكونَ ﴿هُوَ﴾ عمادًا ، نظيرُ قولك : ما هو قائمًا^(٦) عمرو .

وقد قال قومٌ من أهلِ التأويلِ : إنَّ ﴿أَنْ﴾ التي في قوله : ﴿أَنْ يُعَمَّرَ﴾ بِمَعْنَى : وإنَّ عُمَرَ . وذلك قولٌ لمعاني كلامِ العربِ المعروفِ مخالفٌ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المشي ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية :

(١) تقدم تخريج البيت في ص ٢١٥ ، وينظر تعريف العماد هناك أيضًا .

(٢) في م : «أو» .

(٣ - ٣) في م : «تكرير» .

(٤) في ت ١ ، ٢ ، ت ٣ : «لاستفتاح» .

(٥) ينظر تعريف الترجمة في ص ٢٤٦ .

(٦) في م ، ت ١ ، ٢ ، ت ٣ : «قائم» .

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ . يقول : وإن عُمر^(١) .

وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ : ولو عُمر^(٢) .

وأما تأويل قوله : ﴿ بِمُزَحَّزِحِهِ ﴾ فإنه : بمُبْعِدِهِ وَمُنْجِيهِ^(٣) ، كما قال الحطيفة^(٤) :
وقالوا تَزَحْزَخْ لا بنا فَضْلُ حَاجَةٍ إِلَيْكَ ولا مِنَّا لِيُوهَبِكَ^(٥) راقع
[٥٤/٣] يعني بقوله : تَزَحْزَخْ : تَبَاعَدُ . يقالُ منه : زَحْزَحَهُ يُزَحْزِخُهُ زَحْزَخَةً
وَزَحْزَاخًا ، وهو عنك يُزَحْزِخُ . أى : هو مُتَبَاعِدٌ .

فتأويل الآية : وما طولُ العُمُرِ بِمُبْعِدِهِ من عذابِ اللهِ ولا مُنْجِيهِ^(٣) منه ؛ لأنه لا بُدَّ للعُمُرِ من الفناءِ ومصيره إلى اللهِ .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال :
حدثني محمد بن أبي محمد - قال أبو جعفر : فيما أرى - عن سعيد بن جبير ، أو

(١) سيأتي بتمامه في ص ٢٨٢ .

(٢) سيأتي تخريجه في ص ٢٨٣ .

(٣) في م : « بمنجيه » .

(٤) البيت في الاختيارين ص ٢٢٧ ، والأغاني ١٤ / ١٥٧ ، منسوب لقيس بن الحداية ، ونسب الشطر

الأخير ابن بري - كما في اللسان (وهى) إلى الحطيفة . والشطر الأول في الاختيارين :

* وقالت تزحزح لابنا خلعت خلة *

وفى الأغاني :

* فقالت تزحزح ما بنا كبر حاجة *

(٥) فى الاختيارين والأغاني : « لفقرك » . والوهى : خرق قليل من السقاء . اللسان (وهى) .

عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ . أى : ما هو
بمُنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ^(١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية :
﴿ وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ . يقول : وإنْ عُمِّر ، فما ^(٢) ذلك بِمُغْنِيهِ ^(٣)
من الْعَذَابِ ولا منجِيهِ .

٤٣١/١ / وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن
الربيع مثله .

وحدَّثنى محمد بنُ سعيد ، قال : حدَّثنى أبى ، قال : حدَّثنى عمى ، عن أبيه ،
عن جدّه ، عن ابنِ عباسِ قوله : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِيهِ
مِنَ الْعَذَابِ ﴾ : فهم الذين عادوا جبريلَ عليه السلام ^(٤) .

وحدَّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ
يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ ﴾ : ويهودُ أحرصُ على
الحياة من هؤلاء ، وقد وُدَّ هؤلاء لو يُعَمَّرُ أحدهم ألفَ سنة ، وليس ^(٥) بمُزْحَجِيهِ من
العذابِ لو عُمِّر كما عُمِّر إبليس ، لم يَنْفَعَهُ ذلك إذا ^(٦) كان كافراً ، لم ^(٧) يُزْحَجِيهِ ذلك

(١) تقدم أوله فى ص ٢٧٥ ، ٢٧٧ .

(٢ - ٣) فى م : « ذلك بمغنيته » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٧٩/١ (٩٥١) من طريق آدم به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٨٤/١ عن العوفى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٨٩/١ إلى

المصنف .

(٥) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ : « ذلك » ، وفى ت ٢ : « ذلك » .

(٦) فى م : « إذ » .

(٧) فى م : « ولم » .

من العذاب^(١) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ : واللّه ذو إِبصارٍ بما^(٢) يعملون ، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، بل هو بجميعها مُحيطٌ ، ولها حافظٌ ذاكراً ، حتى يُذيقهم بها من العقابِ جزاءها .

وأصلُ بصيرٍ مُبصِرٌ ، من قولك^(٣) : أبصرتُ فأنا مُبصِرٌ . ولكنه صُرف إلى « فَعِيلٍ » ، كما صُرفَ مُسْمِعٌ إلى سَمِيعٍ ، وعذابٌ مؤلِّمٌ إلى أليمٍ ، ومُبدِعُ السمواتِ إلى بَدِيعٍ ، وما أشبه ذلك .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ .

أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بنى إسرائيل ، إذ زعموا أنّ جبريلَ عدوٌّ لهم ، وأن ميكائيلَ وليٌّ لهم . ثم اختلفوا في السببِ [٥٥٠/٣] الذى من أجله قالوا ذلك ؛ فقال بعضهم : إنّما^(٤) كان سببُ قيلهم ذلك من أجلِ مناظرةٍ جرّث بينهم وبين رسولِ الله ﷺ فى أمرِ نبوّته .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن عبد الحميدِ بنِ بَهْرَامٍ ، عن

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٨٥ .

(٢) فى الأصل : « ما » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قول القائل » .

(٤) ليست فى : الأصل .

(٥) فى م : « عن » .

شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه قال : حَضَرَتْ عِصَابَةُ مِنَ الْيَهُودِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، حَدَّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُمْ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيُّ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَلُوا عَمَّا سِئْتُمْ ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَيَّ بَيْنَهُ ، لَئِنْ أَنَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ لَتَتَابِعُنِي ^(١) عَلَى الْإِسْلَامِ » . فَقَالُوا : ذَلِكَ لَكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَلُونِي عَمَّا سِئْتُمْ » . فَقَالُوا : أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعٍ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُمْ ؛ أَخْبِرْنَا أُمَّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ، وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ وَمَاءُ الرَّجُلِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ الذِّكْرُ مِنْهُ وَالْأُنْثَى ، وَأَخْبِرْنَا بِهَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ فِي ^(٢) النَّوْمِ ، وَمِنْ ^(٣) وَلَيْتِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ لَئِنْ أَنَا أَنْبَأْتُكُمْ لَتَتَابِعُنِي ^(٤) » . فَأَعْطَوْهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ ، فَقَالَ : « نَسَدْتُكُمْ / بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ ^(٥) مَرِيضًا شَدِيدًا ، فَطَالَ سَقَمُهُ مِنْهُ ، فَتَذَرُ لِلَّهِ ^(٦) نَذْرًا لَئِنْ عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ سَقَمِهِ ، لِيَحْرَمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ حُمَانُ ^(٧) الْإِبِلِ » - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : فِيمَا أَرَى أَنَا - « وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا ؟ » فَقَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ^(٨) . وَأَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أَيْبُضٌ غَلِيظٌ ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَصْفَرٌ رَقِيقٌ ، فَأَيُّهُمَا عَلَا كَانَ لَهُ الْوَلَدُ وَالشَّبَبَةُ يَأْذِنُ اللَّهُ ، إِذَا ^(٩) عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ كَانَ الْوَلَدُ ذَكَرًا يَأْذِنُ اللَّهُ ، وَإِذَا عَلَا مَاءُ

(١) في ت ٢ ، ونسخ من الطيالسي : « لتتابعني » .

(٢ - ٣) في الأصل ، ت ١ ، ت ٢ : « التوراة و » .

(٣) في ت ١ ، ت ٣ ، ونسخ من الطيالسي : « لتتابعني » ، وفي ت ٢ : « لتتابعوه » ، وغير منقوطة في الأصل .

(٤) سقط من : م .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لحم » .

(٦ - ٧) في م : « أشهد الله عليكم » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أشهد عليكم » .

(٨) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فإذا » .

المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى يا ذن الله ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : « اللهم اشهد » . قال : « وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى ، هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ » قالوا : اللهم نعم . قال : « اللهم اشهد » . قالوا^(١) : أنت الآن ، فحدثنا من وليك من الملائكة ، فعندها نجامعك^(٢) أو نفارقك . قال : « فإن وليي جبريل ، ولم يتعب الله نبيا قط إلا وهو وليه » . قالوا : فعندها نفارقك ؛ لو كان وليك سواء من الملائكة تابغناك وصدقناك . قال : « فما يمتنعكم أن تصدقوه ؟ » قالوا : إنه عدونا . فأنزل [٥٥/٣] الله عز وجل : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . فعندها باءوا بغضب على غضب^(٣) .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي الحسين المكي ، عن شهر بن حوشب الأشعري ، أن نفرا من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له : يا محمد ، أخبرنا عن أربع خصال^(٤) نسألك عنهن ، فإن فعلت أتبعناك وصدقناك وأمتنا بك . فقال لهم^(٤) رسول الله ﷺ : « عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، لعن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني » . قالوا : نعم . قال : « فسألوا عما بدا لكم » . فقالوا : أخبرنا كيف يشبه الولد أمه وإنما النطفة من الرجل ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أنشدكم بالله وبآيame^(٥) عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأثيمتا علت^(٦) صاحبتهما

(١) في الأصل : « فقالوا » .

(٢) في م : « تابعتك » .

(٣) أخرجه الطيالسي (٢٨٥٤) ، وابن سعد في الطبقات ١/١٧٤ ، وعبد بن حميد في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير ١/١٨٦ - وأحمد ١/٢٧٣ ، ٢٧٨ ، (٢٤٧١ ، ٢٥١٤) ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند ١/٢٧٨ (٢٥١٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٠٤ (٣٨١٦) ، والطبراني في الكبير (١٢/١٣٠) ، والبيهقي في الدلائل ٦/٢٦٦ ، ٢٦٧ من طرق عن عبد الحميد بن بهرام به .

(٤) سقط من : م .

(٥) في ١ ، ٢ ، ٣ : « وآياته » .

(٦) في م : « غلبت » .

كان لها الشبهة؟» قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا كيف نوّمك؟ قال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل، هل تعلمون أن 'نوم هذا' (١) النبي الذي تزعمون أنى لست به، تنام عينه (٢) وقلبه يقظان؟» قالوا: اللهم نعم. قال: «فكذلك نوّمى؛ تنام عيني وقلبي يقظان». قالوا: فأخبرنا عما 'حرم إسرائيل على نفسه' (٣)، فقال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل (٤)، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها، فحرم أحب الطعام والشراب إليه شكراً (٥) لله، فحرم على نفسه لحوم الإبل وأبناها؟» قالوا: اللهم نعم. قالوا: فأخبرنا عن الروح. قال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بنى إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل، وهو الذي يأتينى؟» قالوا: نعم، ولكنه/لنا عدو، وهو ملك إنما يأتي بالشدّة وسفك الدماء، فلولا ذلك اتبعناك. فأنزل الله فيهم: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. إلى قوله: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨).

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدّثنى حجاج، عن ابن جرير، قال: حدّثنى القاسم بن أبى بزة، أن يهود سألوا النبي ﷺ من صاحبه الذى ينزل عليه بالوحي؟ فقال: «جبريل». قالوا: فإنه لنا عدو، ولا يأتى إلا بالحرب والشدّة والقتال. فنزل: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ﴾ الآية. قال ابن جرير: وقال

(١ - ١) فى م: «هذا النبي الأمى تنام عيناه ولا ينام قلبه».

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى م، ت ١، ت ٢: «عيناه».

(٤ - ٤) فى م: «اللهم اشهد. قالوا: أخبرنا أى الطعام».

(٥) بعده فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «من قبل أن تنزل التوراة».

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) فى الأصل: «تشكرا».

(٨) سيرة ابن هشام ٥٤٣/١. وتقدم طرف منه فى ص ٢٢٢.

مجاهدٌ : قالت يهودُ : يا محمدُ ، ما ينزلُ جبريلُ إلا بشدةٍ وحرِبٍ و قتالٍ ^(١) ، وإنه لنا لعدوٌّ . فنزلَ : ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ الآية ^(٢) .

وقال آخرون : بل كان سببَ قيلهم ذلك من أجلِ مُناظرةٍ جرت بين عمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه وبينهم [٥٦/٣] في أمرِ النبي ﷺ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا ربيعُ ابنُ عُليّةَ ، عن داودَ بنِ أبي هنيدي ، عن الشُعبيِّ ، قال : نزلَ عمرُ بنُ الخطابِ الروحاءَ ^(٣) ، فرأى رجالاً يتتديرون أحجاراً يُصلون إليها ، فقال : ما بال ^(٤) هؤلاء ؟ قالوا : يزعمون أن رسولَ الله ﷺ صلى هل هنا . قال : فكره ذلك ، وقال : إنما رسولُ الله ﷺ أدر كنه الصلاةِ بوادي ، فصلّى ، ثم ارتحل وتركه . ثم أنشأ يُحدثهم فقال : كنتُ أشهدُ اليهودَ يومَ مِدراسِهِم ^(٥) ، فأعجبُ من التوراةِ كيف تُصدّقُ الفرقانَ ، ومن الفرقانِ كيف يُصدّقُ التوراةَ ، فبينما أنا عندهم ذاتَ يومٍ قالوا : يا بنَ الخطابِ ، ما من أصحابك أحدٌ أحبُّ إلينا منك . قلتُ : ولم ذلك ؟ قالوا : إنك تغشانا وتأتينا . قال : قلتُ : إني آتيكم فأعجبُ من الفرقانِ كيف يُصدّقُ التوراةَ ، ومن التوراةِ كيف تُصدّقُ الفرقانَ . قال : ومرَّ رسولُ الله ﷺ فقالوا : يا بنَ الخطابِ ، ذاك صاحبكم فالحقُّ به . قال : فقلتُ لهم عند ذلك : نشدّكم بالله الذي لا إلهَ إلا هو ، وما استرعاكم من حقه واشتدّعكم من كتابه ، أتعلمون أنه

(١) في م : « قالوا » .

(٢) أخرجه سنيد في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير ١٨٦/١ - عن حجاج بن محمد به .

(٣) الروحاء : بئر ماثورة ارتوى منها النبي ﷺ في غزوة بدر تبعد عن المدينة نحو ٧٥ كيلو متر . صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ١٧٩/٥ .

(٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ٢ .

(٥) المدراس : البيت الذي يدرس فيه اليهود التوراة . ينظر النهاية ١١٣/٢ .

رسولُ الله؟ قال: فسكّتوا. قال: فقال عالمُهم وكبيرُهم: إنه قد عظم عليكم فأجيبوه. قالوا: أنت عالمنا وسيّدنا، فأجبه أنت. قال: أمّا إذ نشدّتنا^(١) بما نشدّتنا^(٢) به، فإنّا نعلّم أنه رسولُ الله. قال: قلت: ويحكّم! فأنى^(٣) هلكتُم! قالوا: إنّنا لم نَهلك. قال: قلت: كيف ذلك وأنتم تعلّمون أنه رسولُ الله، ثم لا تتّبعونه ولا تُصدّقونه؟ قالوا: إنّ لنا عدوّاً من الملائكة وسلماً من الملائكة، وإنه قرّن بنبوته^(٤) عدوّنا من الملائكة. قال: قلت: ومن عدوّكم ومن سلّمكم؟ قالوا: عدوّنا جبريلُ وسلّمنا ميكائيلُ. قال: قلت: وفيم عاديتُم جبريلَ وفيم سلّمتُم ميكائيلَ؟ قالوا: إنّ جبريلَ ملكُ الفظاظِ والغلظةِ والإعسارِ والتشديدِ والعذابِ ونحو ذلك، وإن ميكائيلَ ملكُ الرأفةِ والرحمةِ والتخفيفِ ونحو هذا. قال: قلت: وما منزلةُهما من ربّهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. قال: فقلت: فوالله الذي لا إله إلا هو، إنهما والذى بينهما لعدوّ لمن عاداهما، وسلّم لمن سلّمهما، ما ينبغى لجبريلَ أن يُسالَمَ عدوّ ميكائيلَ، و^(٥) ما ينبغى^(٦) لميكائيلَ أن يُسالَمَ عدوّ جبريلَ. قال: ثم قمّت فأتبعّت النبي ﷺ، فلحقّته وهو خارجٌ من خوخة^(٧) لبنى فلان، فقال لى: «يا بن الخطاب، ألا/ أقرّئك آياتِ نزلنّ قبل^(٨)؟» فقرأ عليّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِحَبْرَةَ لَجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ حتى قرأ الآيات. قال: قلت: بأبى وأمى يا رسولَ الله، والذى بعثك بالحقّ، لقد جئتُ وأنا أريدُ أن أُخبرك

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) فى م: «أى».

(٣) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «به».

(٤ - ٤) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «لا».

(٥) فى م: «خرقة». والخرقة: باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب. النهاية

.٨٦/٢

(٦) سقط من: م.

الخبر، فأسمع اللطيف الخبير قد سبقني إليك بالخبر^(١).

حدثني يعقوب بن^(٢) إبراهيم، قال: ثنا ابن عُلَيَّةَ، عن داود، عن الشعبي، قال: قال عمر: كنت رجلاً أغشى اليهود في يومِ مِدراسِهِمْ. ثم ذكر نحوَ حديثِ رُبَيْعٍ.

وحدثنا بشر بن مُعَاذٍ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْعٍ، عن سعيد، عن قتادة، قال: ذُكِرَ لنا أن عمرَ بنَ الخطابِ انطلقَ ذاتَ يومٍ إلى اليهودِ، فلما أبصروه رَجَبُوا به، فقال لهم عمر: أما والله ما جئتُ لِحُبِّكُمْ ولا للرغبةِ فيكم، ولكن جئتُ لأسمعَ منكم. فسألهم وسألوه، فقالوا: من صاحبُ صاحبِكُمْ؟ فقال لهم: جبريلُ. فقالوا: ذاك عدونا من أهلِ السماءِ، يُطْلَعُ محمداً على سُرْنَا، وإذا جاء جاء بالحربِ والسنةِ^(٣)، ولكنَّ صاحبَ صاحبِنَا ميكائيلُ، وكان إذا جاء جاء بالخصبِ والسلمِ. فقال لهم عمر: أفتعرفون جبريلَ وتُكِرُونَ محمداً؟ ففارقَهُم عمرٌ عندَ ذلك وتوجَّه نحوَ رسولِ اللهِ ﷺ ليُحدِّثَهُ حديثَهُمْ، فوجده قد أنزلت عليه هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

وحدثني المثنى، قال: ثنا آدم، قال: ثنا أبو جعفر، عن قتادة، قال: بلغنا أن عمرَ بنَ الخطابِ أقبلَ إلى^(٥) اليهودِ يوماً. فذكر نحوه.

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (٣٨٩١) - من طريق داود به. وقال

السيوطي في الدر المنثور ١/٩٠: صحيح الإسناد، ولكن الشعبي لم يدرك عمر.

(٢) في م: «قال: ثنا».

(٣) السنة: القحط والجذب. اللسان (س ن ه).

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٩٠ إلى المصنف.

(٥) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «على».

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرَيْلَ ﴾ قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ : إِنَّ جَبْرِيلَ هُوَ عَدُوْنَا ؛ لِأَنَّهُ يَنْزِلُ بِالشَّدَّةِ وَالْحَرْبِ وَالسَّنَةِ ، وَإِنَّ مِيكَائِيلَ يَنْزِلُ بِالرِّخَاءِ وَالْعَافِيَةِ وَالْحِضْبِ ، فَجَبْرِيلُ عَدُوْنَا . فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرَيْلَ ﴾ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : ثنا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرَيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قَالَ : كَانَ لِعَمْرٍو بْنِ الْخَطَّابِ أَرْضٌ بِأَعْلَى الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَأْتِيهَا ، وَكَانَ تَمْرُهُ عَلَى طَرِيقِ مَدْرَاسِ الْيَهُودِ ، وَكَانَ كَلِّمَا ^(٢) مَرَّ عَلَيْهِمْ " دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَيَسْمَعُ ^(٣) مِنْهُمْ ، وَإِنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِمْ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالُوا : يَا عَمْرُ ، مَا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْكَ ، إِنَّهُمْ يَمْزُونَ بِنَا فَيُؤْذُونَنَا ، وَتَمْرُ بِنَا فَلَا تُؤْذِينَا ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِيكَ . قَالَ لَهُمْ عَمْرُ : أَيُّ يَمِينٍ فِيكُمْ أَعْظَمُ ؟ قَالُوا : الرَّحْمَنُ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى بِطُورِ سَيْنَاءَ . قَالَ لَهُمْ عَمْرُ : فَأَنْشُدْكُمْ بِالرَّحْمَنِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى بِطُورِ سَيْنَاءَ ، أَتَجِدُونَ مُحَمَّدًا ﷺ عِنْدَكُمْ . فَأُسْكِرْتُوا ، فَقَالَ : تَكَلَّمُوا ، مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَوَاللَّهِ مَا سَأَلْتُكُمْ وَأَنَا شَاكٌّ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِي . فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : أَخْبِرُوا الرَّجُلَ ، لَتُخْبِرُنَّهُ أَوْ لَأُخْبِرُنَّهُ . قَالُوا : نَعَمْ ، إِنَّا لَنَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا ، وَلَكِنَّ [٥٧/٣] صَاحِبَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالْوَحْيِ هُوَ جَبْرِيلُ ، وَجَبْرِيلُ عَدُوْنَا ، وَهُوَ صَاحِبُ كُلِّ عَذَابٍ أَوْ قِتَالٍ أَوْ حَسَنَفٍ ، وَلَوْ أَنَّهُ كَانَ وَلِيَهُ مِيكَائِيلَ إِذْنٌ لَأَمَّنَّا بِهِ ، فَإِنَّ مِيكَائِيلَ صَاحِبُ كُلِّ رَحْمَةٍ وَكُلِّ غَيْثٍ . قَالَ لَهُمْ عَمْرُ : فَأَنْشُدْكُمْ بِالرَّحْمَنِ الَّذِي أَنْزَلَ

٤٣٥/١

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٢ ، ٥٣ .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) في م : «سمع» ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «فسمع» .

التوراة على موسى بطورٍ سَيِّئَةٍ ، أين مكانُ جبريلَ من الله ؟ قالوا : جبريلُ عن يمينه ، وميكائيلُ عن يساره . قال عمرُ : فأشهدُ^(١) أن الذي هو عدوُّ للذي عن يمينه عدوُّ للذي هو عن يساره ، والذي هو عدوُّ للذي هو عن يساره ، عدوُّ للذي هو عن يمينه ، وأنه مَنْ كان عدوًّا لهما فإنه عدوُّ لله . ثم رجع عمرُ ليخبرَ النبي ﷺ فوجد جبريلَ قد سبقه بالوحي ، فدعاه النبي ﷺ فقرأه عليه ، فقال عمرُ : والذي بعثك بالحق ، لقد جئتُك وما أريدُ إلا أن أُخبرَكَ^(٢) .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحجاجِ الرازي ، قال : ثنا أبو زهيرٍ عبدُ الرحمنِ بنُ مَعْرَاءَ ، عن مجالدٍ^(٣) ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : انطلق عمرُ إلى يهودَ ، فقال : إني أنشدُكم بالذي أنزلَ التوراةَ على موسى ، هل تجدون محمدًا ﷺ في كتابكم ؟ فقالوا : نعم . فقال : فما يمتنعكم أن تتبعوه ؟ فقالوا : إن الله لم يبعث رسولاً إلا كان له من الملائكةِ كِفْلٌ ، وإن جبريلَ هو الذي يتكفلُ بمحمدٍ ﷺ ، وهو عدوُّنا من الملائكةِ ، وميكائيلُ سلمُنَا ، فلو كان هو الذي يأتيه أتبعناه . قال : فإني أنشدُكم بالذي أنزلَ التوراةَ على موسى ، ما منزلتُهما من ربِّ العالمين ؟ قالوا : جبريلُ عن يمينه ، وميكائيلُ عن جانبه الآخرِ . فقال : إني أشهدُ ما يقولان إلا بإذنِ الله ، وما كان ميكائيلُ ليعادِيَ سِلْمَ جبريلَ ، وما كان جبريلُ ليمسِّلمَ عدوَّ ميكائيلَ . إذ مرَّ نبيُّ الله ﷺ ، فقالوا : هذا صاحبك يا بنَ الخطابِ . فقام إليه ، فاتاه وقد أنزلَ عليه : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . إلى قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(٤) .

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فأشهدكم » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٠/١ إلى المصنف .

(٣ - ٣) في م : « ثنا عبد الرحمن بن معراء ، قال : ثنا زهير ، عن مجاهد » .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٨٥/١٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٨١/١ من طريق مجالد به .

وحدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا حُصَيْنٌ ^(١) بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ أبي ليلى في قوله : ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ ﴾ . قال : قالت اليهودُ للمسلمين : لو أن ميكائيلَ كان الذي يَنْزِلُ عليكم لَتَبِعْنَاكُمْ ، فإنه يَنْزِلُ بالرحمةِ والغَيْثِ ، وإن جبريلَ يَنْزِلُ بالعذابِ والثَّقَمَةِ ، وهو لنا عدوٌّ . قال : فنزلت هذه الآيةُ : ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ ﴾ ^(٢) .

وحدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أَخْبَرَنَا ^(٣) عبدُ الملكِ ، عن عطاءِ بنِ نحوٍ من ذلك .

وأما تأويلُ الآيةِ ، أعنى قوله : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ يَا ذِينَ اللَّهِ ﴾ . فهو أن الله تعالى ذكره يقولُ لنبِيِّه محمدٍ ﷺ : قل يا محمدُ لمعاشِرِ اليهودِ مِن بنى إسرائيلَ الذين زعموا أن جبريلَ [٥٧/٣ ط] لهم عدوٌّ ، من أجل أنه صاحبُ عذابٍ وسطواتٍ وعقوباتٍ ، لا صاحبُ وحيٍ وتنزيلٍ ورحمةٍ ، فأبوا اتِّباعَكَ ، وجحدوا نبوتَكَ ، وأنكروا ما جئتُهم به مِن آياتي وبيِّناتِ حُكْمِي ، مِن أجلِ أن جبريلَ ولِيكَ وصاحبُ وحيِّ إِلَيْكَ ، وزعموا أنه لهم عدوٌّ - : مَنْ يَكُنْ مِنَ النَّاسِ لِحَبْرِيلَ عَدُوًّا ، ومُنْكَرًا أن يَكُونَ صاحبُ وحيِّ اللَّهِ إلى أنبيائه ، وصاحبُ رحمةِ اللَّهِ ، فإنِّي له وليٌّ وخليلٌ ، ومُقرِّرٌ بأنه صاحبُ وحيِّ اللَّهِ إلى أنبيائه ورسوله ، وأنه هو الذي يُنَزِّلُ وحيَّ اللَّهِ على قلبي مِن عندِ رَبِّي ، يا ذِينَ من رَبِّي له بذلك ، فيَرْبِطُ به على قلبي وَيَشُدُّ به فؤادِي .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بشرُ ابنُ عُمارةَ ،

(١) في الأصل : « أبو حصين » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٢/١ (٩٦١) من طريق حصين بن عبد الرحمن به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١/١ إلى ابن المنذر .

(٣) في الأصل : « وأخبرنا » .

عن أبي رَوْقٍ، عن الضُّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيِّ﴾ . قال: وذلك أن اليهودَ قالت حين سألتُ محمدًا ﷺ عن أشياء كثيرة، فأخبرهم بها على ما هي عندهم - إلا جبريلَ، فإن جبريلَ كان/ عندَ اليهودِ صاحبَ عذابٍ وسَطُوةٍ، ولم يكن عندهم صاحبٌ وحيٍّ - يعنى: تنزيلٍ من الله على رسوله - ولا صاحبَ رحمةٍ. فأخبرهم رسولُ اللهِ ﷺ فيما سأله عنه؛ أن جبريلَ صاحبٌ وحيٍّ اللهُ، وصاحبٌ يقيمه^(١)، وصاحبٌ رحمته. فقالوا: ليس بصاحبٍ وحيٍّ ولا رحمةٍ، وهو لنا عدوٌّ. فأنزل اللهُ تعالى ذكره إكذابًا لهم: ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيِّ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ﴾ . يقول: فإن جبريلَ ﴿نَزَلَهُ﴾ . يقول: نزل القرآن^(٢) من عندي ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ . يقول: على قلبك يا محمدُ: ﴿يَاذِنِ اللَّهُ﴾ . يقول^(٣): بأمرِ اللهِ . يقول^(٣): يَشُدُّدُ بِهِ فؤادَكَ، وَيَرْبُطُ بِهِ عَلَى قَلْبِكَ - يعنى: بوحيِّنا الذى نزل به جبريلُ عليك من عندِ اللهِ - وكذلك يَفْعَلُ بالمرسلينَ والأنبياءِ مِنْ قَبْلِكَ^(٤) .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدُ، عن قتادةَ قوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيِّ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ يَاذِنِ اللَّهُ﴾ . يقول: أنزل الكتابَ على قلبِكَ يَاذِنِ اللهُ .

وحدَّثتُ عن عمارٍ، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ: ﴿فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ . يقول: نزل الكتابَ على قلبِكَ جبريلُ^(٥) .

(١) في م: (نقمته) .

(٢ - ٢) سقط من: م .

(٣) سقط من: م .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٠/١ (٩٥٣، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧) من طريق أبي كريب به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٠/١ عقب الأثر (٩٥٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

ولما قال جل ثناؤه : ﴿ فَإِنَّهُمْ نَزَلُوهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ . وهو يعنى بذلك قلب محمد ﷺ ، وقد أمر محمدًا ﷺ فى أول الآية أن يُخْبِرَ اليهودَ بذلك عن نفسه ، ولم يَقُلْ : فإنه نَزَلَه على قلبى . ولو قيلَ : على قلبى . كان صوابًا من الكلام ؛ لأن من شأن العرب إذا أمرت رجلاً أن يَحْكِي ما قيلَ له عن نفسه ، أن تُخْرِجَ فعلَ المأمورِ مرّةً مضافًا إلى « كنايةه ، كهَيْئَةِ » المخبرِ عن نفسه ، إذ كان هو المخبرُ عن نفسه ، ومرّةً مضافًا إلى اسمه ، كهَيْئَةِ كنايةِ اسمِ المخاطبِ ؛ لأنه به مخاطبٌ . فتقولُ فى نظيرِ ذلك : [٥٨/٣] قُلْ للقومِ : إن الخيرَ عندي كثيرٌ . فتُخْرِجُ كنايةَ اسمِ « المأمورِ كهَيْئَةِ اسمِ » المخبرِ عن نفسه ؛ لأنه المأمورُ أن يُخْبِرَ بذلك عن نفسه . وقل للقومِ : إن الخيرَ عندك كثيرٌ . فتُخْرِجُ كنايةَ اسمه أُخْرَى ^(٣) كهَيْئَةِ كنايةِ اسمِ المُخاطَبِ ؛ لأنه وإن كان مأمورًا بقيلِ ذلك ، فهو مخاطبٌ مأمورٌ بحكاية ما قيلَ له . وكذلك : لا تقلُ للقومِ : إني قائمٌ . ولا تقلُ لهم : إنك قائمٌ . والياءُ من « إني » اسمُ المأمورِ بقولِ ذلك على ما وَصَفْنَا . ومن ذلك قولُ اللهِ عز وجل : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ (سَيُغْلَبُونَ) ^(٤) [آل عمران : ١٢] بالياءِ والتاءِ ^(٥) مثلَ الذى وَصَفْنَا سواءً ^(٦) .

وأما جبريلُ ، فإن للعربِ فيه لغاتٍ ، فأما أهلُ الحجازِ فإنهم يقولون : جبريلُ وميكالُ . بغيرِ همزٍ ، بكسْرِ الجيمِ والراءِ من جبريلُ ، وبالتخفيفِ . وعلى القراءةِ بذلكِ عامّةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ ^(٧) .

(١ - ١) فى م : « كناية نفس » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) سقط من : م .

(٤) سيأتى تخريج هاتين القراءتين فى موضعها .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) وهى قراءة أبى عمرو وحفص عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٦ .

وأما تميمٌ وقيسٌ وبعضُ نجدٍ فإنهم يقولون: جَبْرَيْلُ وميكائيلُ. على مثالِ: جَبْرَيْلِ وميكاعيلِ. بفتحِ الجيمِ والراءِ، وبهمزٍ، وزيادةِ ياءٍ بعدَ الهمزةِ. وعلى القراءةِ بذلكِ عامةُ قَرَأةِ أهلِ الكوفةِ^(١)، كما قال جريرُ بنُ عطية^(٢):

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ
وَبَجَبْرَيْلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالاً
وقد ذُكِرَ عن الحسنِ البصرىِّ وعبدِ اللهِ بنِ كثيرٍ أنهما كانا يقرآن: (جَبْرَيْلِ). بفتحِ الجيمِ وتركِ الهمزِ.

وهي قراءةٌ غيرُ جائزةٍ القراءةُ بها^(٣)؛ لأنَّ «فَعْلِيلَ»^(٤) في كلامِ العربِ غيرُ موجودٍ. وقد أجاز^(٥) ذلكَ بعضُهم، وزعمَ أنه اسمٌ أعجميٌّ، كما يُقالُ: سَمَوِيلٌ^(٦). وأنشد في ذلك^(٧):

بِحَيْثُ لَوْ وُزِنَتْ لِحَمِّمٍ بِأَجْمَعِهَا
مَا وَازَنْتُ^(٨) رِيْشَةً مِنْ رِيْشِ سَمَوِيلَا^(٩)

/ وأما بنو أسدٍ فإنها تقولُ: جَبْرَيْنُ. بالنونِ.

٤٣٧/١

وقد حُكِيَ عن بعضِ العربِ أنها تزيدُ في جبريلَ أَلِفًا فتقولُ: جِبْرَائِيلُ وميكائيلُ.

وقد حُكِيَ عن يحيى بنِ يعمرَ أنه كان يقرأُ: (جَبْرَيْلُ) بفتحِ الجيمِ، والهمزِ، وتركِ المدِّ، وتشديدِ اللامِ^(١٠).

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي، ورواية عن أبي بكر عن عاصم. السبعة لابن مجاهد ص ١٦٧.

(٢) ديوانه ٥٢/١.

(٣) بل هي قراءة متواترة مستفيض نقلها.

(٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فَعْلِيلَ».

(٥) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «اختار».

(٦) في ت ٢، ت ٣: «شمويل»، وسمويل: طائر، وقيل: بلدة كثيرة الطير. اللسان (س م ل). والبيت فيه.

(٧) البيت للربيع بن زياد العبسي، وهو في الفاخر ص ١٧٣، والأغانى ١٧/١٨٦.

(٨ - ٨) في مصادر التخريج: «لم يعدلوا».

(٩) في ت ١، ت ٣: «شمويلا»، بالشين، وهو رواية للبيت، ويروى أيضًا: «قَمَيْلا».

(١٠) مختصر الشواذ لابن خالويه، والبحر المحيط ٣١٨/١.

فأما «جبر» و «ميك» ، فإنهما هما الاسمان اللذان أحدهما بمعنى «عبيد» ،
والآخرُ بمعنى «عبيد» .

وأما «إيل» فهو الله تعالى ذكوه ، كما حدثنا أبو كريبي ، قال : ثنا جابر بن
نوح الحِمَاني ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن
عباس : جبريل وميكائيل كقولك : عبدُ الله .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا [٥٨/٣] يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن
واقيد ، عن يزيد النخعي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جبريل : عبدُ الله ،
وميكائيل : عبيدُ الله ، وكلُّ اسمٍ «إيل» فهو الله .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن
عمير^(١) مولى ابن عباس ،^(٢) عن ابن عباس^(٣) ، أن إسرائيل وميكائيل وجبريل وإسرافيل ،
كقولك : عبدُ الله^(٤) .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن
عبد الله بن الحارث ، قال : «إيل» الله بالعبرانية^(٥) .

وحدثنا الحسين بن يزيد الطحان^(٦) ، قال : ثنا إسحاق بن منصور ، قال : ثنا
قيس ، عن عاصم ، عن عكرمة ، قال : جبريلُ اسمه عبدُ الله ، وميكائيلُ اسمه عبيدُ
الله ، «إيل» الله^(٧) .

(١) في ت ١ ، ٢ ، ٣ : «عمر» . وينظر تهذيب الكمال ٣٨١ / ٢٢ .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) تقدم في ٥٩٣ / ١ .

(٤) في م ، ت ١ ، ٢ ، ٣ : «الضحاك» . وينظر تهذيب الكمال ٥٠١ / ٦ .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٧ / ١ عن المصنف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١ / ١ إلى ابن المنذر .

وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري^(١)، قال: ثنا أبو أحمد الزبيرى، قال: ثنا سفيان، عن^(٢) محمد بن عمرو بن علقمة، عن^(٣) محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن حسين، قال: اسم جبريل عبد الله، واسم ميكائيل عبيد الله، واسم إسرائيلي عبد الرحمن، وكلُّ مُعَبَّدٍ بـ «إيل» فهو عبد الله.

حدثني المثنى، قال: ثنا قبيصة بن عُقبة، قال: ثنا سفيان، عن محمد المدني - قال المثنى: قال قبيصة: أراه محمد بن إسحاق - عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن حسين، قال: ما تَعُدُّون جبريل في أسمائكم؟ قال: جبريل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وكلُّ اسمٍ فيه «إيل» فهو مُعَبَّدٌ لله.

^(١) وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن حسين، قال: اسم جبريل عبد الله، وميكائيل عبيد الله، وكلُّ اسمٍ فيه «إيل» فهو مُعَبَّدٌ لله^(٢).

وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن علي بن حسين، قال: قال لى: هل تَدْرِي ما اسم جبريل من أسمائكم؟ قال: قلت: لا. قال: عبد الله. فهل تَدْرِي ما اسم ميكائيل من أسمائكم؟ قلت: لا. قال: عبيد الله. قال: وقد سَمَّى لى إسرائيلي^(٣) باسمٍ نحو ذلك فتسبيته، إلا أنه

(١) فى م، ١، ت ٢، ت ٣: «العبرى» ..

(٢ - ٢) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) فى م: «إسرائيل».

قد قال لى: أرأيتَ كلَّ اسمٍ يَزِجُ إلى «إيل»، فهو مُعَبَّدٌ لله^(١).

حدَّثنا ابنُ وكيع، قال: ثنا أبى، عن سفيان، عن حُصَيْفٍ، عن عِكْرَمَةَ فى قوله: ﴿جَبْرِيلُ﴾. قال: «جبر» عبدٌ، «إيل» الله، و«ميكاً» قال: عبدٌ، «إيل» الله^(٢).

فهذا تأويلٌ مَنْ قرأ: (جِبْرَائِيلَ). بالفتح، والهمز، والمدُّ، وهو إن شاء الله معنى مَنْ قرأ بالكسر، وتَرَكَ الهمز.

وأما تأويلٌ مَنْ قرأ ذلك بالهمز وتَرَكَ المدُّ وتشديد اللام، فإنه قصِدَ بقراءته ذلك كذلك، إلى إضافة «جبر» و«ميكاً» إلى اسمِ الله [٥٩/٣] الذى يُسَمَّى به بلسانِ العرب، دون السريانىِّ والعِبرانىِّ، وذلك أن «الإلَّ» بلسانِ العرب: / الله، كما قال ٤٣٨/١ الله تعالى ذكره: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فى مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلاَ ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠]. فقال جماعةٌ من أهلِ العلمِ: «الإلَّ» هو الله. ومنه قولُ أبى بكرٍ الصديقِ رضى اللهُ عنه لوفدِ بنى حَنيفَةَ، حين سألهم عما كان مُسَلِّمَةً يقولُه، فأخبروه - فقال لهم: وَيَحْكُمُ! أين ذُهِبَ بكم؟ فوالله، إن هذا الكلامَ ما خَرَجَ مِنْ إِلٍّ وَلاِ بِرٍّ^(٣). يعنى بقوله: مِنْ إِلٍّ: مِنْ الله.

وقد حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قال: ثنا ابنُ عُليَّةَ، عن سليمانَ التيميِّ، عن أبى مجليزٍ فى قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فى مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلاَ ذِمَّةً﴾. قال: قوله: «جبريلُ»

(١) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «به».

والأثر أخرجه ابنُ أبى حاتمٍ فى تفسيره ١٨٢/١ (٩٦٦)، وأبو الشيخ فى العظمة (٣٨٤) من طريقين عن ابنِ إسحاق به.

(٢) علقه البخارى فى باب قوله: ﴿من كان عدواً لجبريل﴾ من كتاب التفسير. فتح البارى ١٦٥/٨، وعلقه أيضاً ابنُ أبى حاتمٍ فى تفسيره ١٨٢/١ عقب الأثر (٩٦٦)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩١/١ إلى وكيع.

(٣) ينظر تاريخ المصنف ٣/٣٠٠.

«ميكائيل» «إسرافيل»، كأنه يقول حين يُضَيَّفُ «جبر» و«ميكاء» و«إسرا»^(١) إلى «إيل» يقول: عبد الله، فقال: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا﴾ . كأنه يقول: لا يَرْقُبُونَ الله عز وجل^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ : القرآن . ونصب ﴿مُصَدِّقًا﴾ على القطع من «الهاء» التي في قوله: ﴿نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ﴾ فمعنى الكلام: فإن جبريل نزل القرآن على قلبك يا محمد، مصدقًا لما بين يدي القرآن . يعنى بذلك: مُصَدِّقًا لما سَلَفَ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ أَمَامَهُ ، ونزل على رسوله الذين كانوا قبل محمد ﷺ . وتصديقه إياها موافقة معانيه معانيها في الأمر باتباع محمد ﷺ ، وما جاء به من عند الله ، وفي تصديقه^(٣) .

كما حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي رزق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿مُصَدِّقًا﴾ يقول: مصدقًا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ . يقول: لما قبله من الكتب التي أنزلها الله، والآيات، والرسول الذين بعثهم الله بالآيات، نحو موسى ونوح وهود وشعيب وصالح، وأشباههم من المرسلين^(٤) .

وحدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٥) : من التوراة والإنجيل^(٦) .

(١) في الأصل: «سرافى» .

(٢) ينظر ما سيأتى في تفسير هذه الآية من سورة التوبة .

(٣) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «هى» .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٠/١ (٩٥٧) من طريق أبى كريب به .

(٥) بعده إحالة غير واضحة فى الأصل .

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ عقب الأثر (٩٥٨) معلقًا .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ
مِثْلَهُ ^(١) .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١٧) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَهُدًى ﴾ : ودليل وبرهان ، وإنما سماه الله جل ثناؤه
هدى لاهتداء المؤمن به ، واهتداؤه به اتخاذه إياه هادياً يتبعه ، وقائداً يقتاد لأمره
ونهيهِ ، وحلاله وحرامه . والهادى من كل شىء ما تقدم أمامه . ومن ذلك قيل
لأوائل الخيل : هودايا . وهو ما تقدم أمامها ، [٣/٥٩٠ظ] ولذلك ^(٢) قيل للغنقى :
الهادى . لتقدمها أمام سائر الجسد .

وأما البشرى ، فإنها البشارة . أخبر الله عباده المؤمنين أن القرآن لهم بشرى
منه ؛ لأنه أعلمهم فيه ما أعد لهم من الكرامة عنده فى جنانه ، وما هم إليه صائرون فى
معاذهم من ثوابه ، وذلك هو البشرى الذى ^(٣) بشر الله المؤمنين بها فى كتابه ؛ لأن
البشارة فى كلام العرب إعلام الرجل ^(٤) الرجل ما لم يكن به عالماً مما يُسّر به من
الخير ، قبل أن يسمع منه غيره ، أو يعلمه من قبل غيره . وقد روى عن قتادة فى ذلك
قولاً قريب المعنى مما قلناه .

حدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَهُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) : ﴿ جعل الله هذا القرآن هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ ؛ لأن المؤمن

٤٣٩/١

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨١/١ عقب الأثر (٩٥٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) فى م ، ت ٢ : « كذلك » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التى » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بما » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

إذا سمع القرآن حفظه ووعاه^(١) ، وانتفع به ، وأطمأن إليه ، وصدّق بموعودِ الله الذي وعد فيه ، وكان على يقين من ذلك^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ^(٣) فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ .

وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه^(٤) عن عداوته^(٥) من عاداه وعادى جميع ملائكته ورسوله ، وإعلام منه أن من عادى جبريل فقد عاداه وعادى ميكائيل ، وعادى جميع ملائكته ورسوله ؛ لأن الذين سَمَّاهم الله في هذه الآية هم أولياء الله وأهل طاعته ، ومن عادى لله ولِئلا فقد عادى الله وبارزه بالمحاربة ، ومن عادى الله فقد عادى جميع أهل طاعته وولايته ؛ لأن العدو لله عدو أوليائه ، والعدو لأوليائه عدو له . فلذلك قال الله تعالى ذكره لليهود الذين قالوا : إن جبريل عدونا من الملائكة ، وميكائيل ولينا منهم : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ . من أجل أن عدو جبريل عدو كل ولي لله ، فأخبرهم جل ثناؤه أن من كان عدواً لجبريل ، فهو لكل من ذكره ؛ من ملائكته ورسوله وميكائيل ، عدو ، وكذلك عدو بعض رسل الله عدو لله ولكل ولي لله^(٦) .

وقد حدَّثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد الله - يعني العتكي - عن رجل من قريش ، قال : سأل النبي ﷺ اليهود فقال : « أسألكم

(١) في م : « ورعاه » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨١/١ (٩٥٩) من طريق يزيد به .

(٣) في الأصل : « ميكائيل » ، وهي قراءة نافع . السبعة لابن مجاهد ص ١٦٦ .

(٤ - ٤) في م : « من كان عدو لله » .

(٥) في م : « فكذلك » .

(٦) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

بكتابتكم الذي تَقْرَءُونَ ، هل تَجِدُونِي ^(١) قد بشرى عيسى أن يأتيكم رسول اسمه أحمد؟ فقالوا : اللهم نعم ^(٢) ، وجدناك في كتابنا ، ولكننا كرهناك لأنك تَسْتَحِلُّ الأموالَ وتُهْرِيقُ الدِّمَاءَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : [٦٠/٣] ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ . الآية ^(٣) .

وحدث عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : إنَّ يهوديًّا لقي عمرَ فقال له : إنَّ جبريلَ الذي يذكُرُه صاحبك هو عدوُّ لنا . فقال له عمرُ : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ . قال : فنزلت ^(٤) على لسانِ عمرَ ^(٥) .

وهذا الخبر يدلُّ على أنَّ الله تعالى ذكره أنزل هذه الآيةَ توييحًا لليهودِ في كفرهم بمحمدٍ ﷺ ، وإخبارًا منه لهم أن من كان لمحمدٍ ﷺ عدوًّا فالله له عدوٌّ ، وأنَّ عدوُّ محمدٍ ﷺ من الناسِ كلُّهم من الكافرين بالله الجاحدين آياته .

فإن قال قائلٌ : أو ليس جبريلُ وميكائيلُ من الملائكةِ ؟ قيل : بلى . فإن قال : فما معنى تكريرِ ذكرهما بأسمائهما وقد مضى ذكرهما في الآية في جملةِ أسماءِ الملائكةِ ؟ قيل : معنى إفرادِ ذكرهما بأسمائهما أن اليهودَ لما قالت : جبريلُ عدوُّنا وميكائيلُ وليُّنا . وزعمت أنَّها تكفُرُ ^(٦) بمحمدٍ ﷺ من أجلِ أن جبريلَ صاحبُ محمدٍ ﷺ ، أعلمهم الله أن من كان لجبريلَ عدوًّا ، فإنَّ الله له عدوٌّ ، وأنَّه من

(١) في م : « تجدون به » وفي ت ١ ، ت ٢ : « تجدونه » ، وفي ت ٣ : « تجدون » .

(٢) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩١/١ إلى المصنف .

(٤) في الأصل ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فنزل » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٢/١ (٩٦١) من طريق أبي جعفر به .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كفرت » .

الكافرين . فنصَّ عليه باسمِه وعلى ميكائيلَ باسمِه ، لئلا يقولَ منهم قائلٌ : إنما قال الله : مَنْ كان عدوًّا لله وملائكته ورسله . ولسنا لله ولا لملائكته ورسله بأعداءٍ ؛ لأنَّ الملائكةَ اسمٌ عامٌّ يَحْتَمِلُ خاصًّا ، وجبريلُ / وميكائيلُ غيرُ داخِلينِ فيه . وكذلك ٤٤٠/١ قوله : ﴿ وَرُسُلِهِمْ ﴾ . فلستَ يا محمدُ بداخلٍ فيهم . فنصَّ الله تعالى ذكره على أسماءٍ مَنْ زعموا أنَّهم أعداؤه بأعيانهم ؛ ليقطَعَ بذلك تليستهم على أهلِ الضعفِ منهم ، ويَحْسِمَ تمويههم أمورهم على المنافقين .

وأما إظهارُ اسمِ الله في قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ . وتكريره فيه - وقد ابتدأَ أوَّلَ الخبرِ بذكره فقال : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾ - ^(١) فإرادةٌ نقيِّ الشكِّ عن سامعِ ذلك أن الذي هو عدوٌّ من عادي جبريلَ أو ملائكته أو رسله ، الله جلُّ ثناؤه ^(٢) ، ولعلَّ يلتبسَ - لو ظهر ذلك بكنايةٍ ، فقليلٌ : فإنه عدوٌّ للكافرين - على سامعِهِ - مَنْ المعنىُّ بالهاءِ التي في قوله ^(٣) : فَإِنَّهُ . اللَّهُ ^(٤) ، أم جبريلُ ، أم ميكائيلُ ؟ إذ لو جاء ذلك بكنايةٍ على ما وصَّفنا - فإنه - لالتبسَ ^(٥) معنى ذلك على مَنْ لم يُوقَفْ على المعنىِّ بذلك ؛ لاحتمالِ الكلامِ ما وصَّفتُ .

وقد كان بعضُ أهلِ العربيةِ يوجِّهُ ذلك إلى نحوِ قولِ الشاعرِ ^(٦) :

ليت الغرابُ غداةً يَتَعَبُ دَائِبًا ^(٧) كان الغرابُ مُقَطَّعَ الأوداجِ ^(٨)

(١) - سقط من : م .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) بعده في م : « أم رسل الله جل ثناؤه » .

(٤) في م : « يلتبس » .

(٥) هو جرير بن عطية . والبيت في ديوانه ١٣٦/١ .

(٦) في الديوان : « بالنوى » .

(٧) الودج : عرق في العنق ، وهما ودجان . تاج العروس (ودج) .

[٦٠/٣] وأنه إظهارُ الاسمِ الذي حظَّه الكنايةُ عنه .

والأمرُ في ذلك بخلافِ ما قال ؛ وذلك أن الغرابَ الثاني لو كان مَكْنِيًّا عنه لما التبسَ على أحدٍ يعقلُ كلامَ العربِ أنه كنايةُ اسمِ الغرابِ الأولِ ؛ إذ كان لا شيءَ قبله يحتملُ الكلامُ أن يوجَّهَ إليه غيرُ كنايةِ اسمِ الغرابِ الأولِ ، وأنَّ قبلَ^(١) قوله : ﴿ فَاِنَّ لِلّٰهِ عَدُوًّا لِّلْكَافِرِيْنَ ﴾ . أسماء^(٢) لو جاء اسمُ الله تعالى ذكره مكنياً عنه ، لم يُعْلَمَ مِنَ المقصودِ إليه بكنايةِ الاسمِ إلا بتوقيفٍ من حجةٍ ، فلذلك اختلفَ أمرهما .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ ءَايٰتٍ بَيِّنٰتٍ ﴾ .

يعنى جلُّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَلَقَدْ اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ ءَايٰتٍ بَيِّنٰتٍ ﴾ . أى : أنزلنا إليك يا محمدُ علاماتٍ واضحاتٍ دالّاتٍ على نُبوَّتِكَ ، وتلك الآياتُ هي ما حواه كتابُ الله الذى أنزله إلى محمدٍ ﷺ من خفايا علومِ اليهودِ ، ومكنونِ سرائرِ^(٣) أخبارِهِم وأخبارِ^(٤) أوائلِهِم من بنى إسرائيل ، والنبأُ عما تضمّنته كتبُهُم التى لم يكن يعلمُها إلا أخبارُهُم وعلمائُهُم ، وما حرّفه أوائلُهُم وأواخرُهُم وبدّلوه من أحكامِهِم التى كانت فى التوراة ، فأطلّع الله تعالى ذكره فى كتابِهِ الذى أنزله إلى نبيِّهِ محمدٍ ﷺ ، فكان فى ذلك من أمرِهِ الآياتُ البيناتُ لمن أنصفَ نفسه ، ولم يدعُه إلى إهلاكِها الحسدُ والبغى ؛ إذ كان فى فطرةِ كلِّ ذى فطرةٍ صحيحةٍ تصديقٌ من أتى بمثلِ الذى أتى به محمدٌ ﷺ من الآياتِ البيناتِ التى وصفتُ ، عن غيرِ تعلُّمٍ تعلَّمَهُ من بشرى^(٤) ، ولا أخذٍ شيءٍ منه عن آدمي .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك روى الخبيرُ عن ابنِ عباسٍ .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قبل » .

(٢) فى م : « أسماء » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « أخبارهم وأخبار » .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بشرى » .

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثمان بن سعيد، قال: ثنا بشر بن عمار، عن أبي رزق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ .
يقول: فأنت تتلوه عليهم وتُخبرهم به عُذوة وعشية وبين ذلك، وأنت عندهم أمي لم تقرأ كتابًا، وأنت تُخبرهم بما في أيديهم على وجهه، يقول الله: ففي ذلك لهم عبرة وبيان، وعليهم حجة لو كانوا يعلمون^(١).

٤٤١/١ / وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو^(٢) عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: قال^(٣) ابن صورياً^(٤) الفطيموني^(٥) لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنبتعك لها^(٦). فأنزل الله^(٧) في ذلك من قوله^(٨): ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا [٦١/٣] إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾^(٩).

(١) في الأصل: «يعقلون».

والأثر ذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٢/١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٤/١ إلى المصنف.

(٢) في م، ت، ٢: «و».

(٣ - ٣) في سيرة ابن هشام ٥٤٨/١: «أبو صلوبا»، وفي نسختين منها: «ابن صلوبا».

وقد ذكر ابن إسحاق - كما في سيرة ابن هشام ٥١٤/١ - الأعداء من بني النضير فقال: ومن بني ثعلبة بن الفطيمون؛ عبد الله بن صوريا الأعور، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه، وابن صلوبا...

(٤) في م، ت، ٢: «القطيوني». بالقاف. وضبط في الأصل: «القطيوني». والمثبت موافق لما في المعرب ص ٢٩٣، والروض الأنف ٣٩٧/٤ حيث ذكره: الفطيمون، وضبطه في الجمهرة ١١١/٣: الفطيمون. وقال السهيلي: والفطيمون كلمة عبرانية، وهي عبارة عن كل من ولى أمر اليهود وملكهم.

(٥) في م: «بها».

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) سيرة ابن هشام ٥٤٨/١.

حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاق ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : حدَّثني سعيدُ ابنُ جبيرٍ أو عكرمةٌ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال ابنُ صُوريا لرسولِ اللهِ ﷺ . فذكر مثله ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ (٩٩) .

يعنى بقوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا ﴾ : وما يجحدُ بها . وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على أن معنى الكفرِ الجحودُ ، بما أغنى عن إعادته ههنا ^(٢) ، وكذلك بيَّنا معنى الفِسيقِ ، وأنه الخروجُ من ^(٣) الشىءِ إلى غيره ^(٤) .

فتأويلُ الآية : ولقد أنزلنا إليك - فيما أوحينا إليك من الكتابِ - علاماتٍ واضحاتٍ ، تُبيِّنُ لعلماءِ بنى إسرائيلَ وأحبارِهِم ، الجاحدينِ نبوتَكَ والمكذِّبينِ رسالتَكَ ، أنك لى إليهم رسولٌ مُرسلٌ ، ونبيٌّ مبعوثٌ ، وما يجحدُ تلك الآياتِ الدالاتِ على صدقِكَ ونبوتِكَ ، التى أنزلتها إليك فى كتابى ، فيكذبُ بها منهم ، إلا الخارجُ منهم من دينه ، التاركُ منهم فرائضى عليه فى الكتابِ الذى يدينُ بتصديقه ، فأما المتمسكُ منهم بدينه والمتَّبِعُ منهم حكمَ كتابه ، فإنه بالذى أنزلتُ إليك من آياتى مصدِّقٌ ، وهم الذين كانوا آمنوا باللهِ وصدَّقوا رسولهَ محمداً ﷺ من يهودِ بنى إسرائيلَ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾

(١) أخرجه ابنُ حاتمٍ فى تفسيره ١٨٣/١ (٩٧٠) من طريقِ يونسِ بنِ بكيرٍ به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢٦٢/١ .

(٣) فى م : « عن » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٤٣٤/١ .

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ .

اختلف أهل العربية في حكم الواو التي في قوله: ﴿أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا﴾؛ فقال بعض نحويي البصريين هي واوٌ تُجْعَلُ مع حروف الاستفهام، وهي مثل الفاء في قوله: ﴿أَفْكَلَمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَمَّا لَا تُهَوِّىْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [البقرة: ٨٧]. قال: وهما زائدتان في هذا الوجه، وهي مثل الفاء التي في قوله: أفالله^(١) لتصنعن كذا وكذا. وكقولك للرجل: أفلا تقوم؟ قال^(٢): وإن شئت جعلت الواو والفاء ههنا حرف عطف.

وقال بعض نحويي الكوفيين: هي حرفٌ عطفٍ أدخِلَ عليها ألف^(٣) الاستفهام.

والصواب عندى في ذلك من القول أنها واوٌ عطفٍ أدخِلت عليها ألفُ الاستفهام، كأنه قال جلّ ذكره: وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا، قالوا: سمعنا وعصينا. [٣/٦١ ظ] و^(٤) كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم. ثم أدخِلَ ألفَ الاستفهام على «وكلما»، فقال: قالوا: سمعنا وعصينا. أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم.

وقد بيّنا فيما مضى أنه غيرُ جائز أن يكونَ في كتابِ الله حرفٌ / لا معنَى ٤٤٢/١ له^(٥)، فأغنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن الواو والفاء من قوله:

(١) في م، ت ٢: «فالله».

(٢) سقط من: م، ت ٢.

(٣) في م، ت ٢: «حرف».

(٤) في م، ت ٢: «أو».

(٥) ينظر ما تقدم في ٤٦٦/١ وما بعدها.

﴿ أَوْ كَلَّمَا ﴾ . و﴿ أَفْكَلَّمَا ﴾ . زائدتان لا معنى لهما .

وأما العهد ، فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملن بما^(١) في التوراة مرة بعد أخرى ، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى ، فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك ، وعيّر به أبناءهم إذ سلكوا منهاجهم في نقض^(٢) ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالإيمان به من أمر محمد ﷺ من العهد والميثاق ، فكفروا به^(٣) ، وجحدوا ما في التوراة من نعتيه وصفته ، فقال تعالى ذكره : أَوْ كَلَّمَا عَاهَدَ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَبَّهُمْ عَهْدًا ، وَأَوْثَقُوهُ مِيثَاقًا ، نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فَتَرَكَهُ وَقَضَاهُ !

كما حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : حدّثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : حدّثني سعيد بن جبيرة ، أو عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال مالك بن الضيف^(٤) حين بعث رسول الله ﷺ ، وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه : والله ما عهد الله إلينا في محمد ﷺ عهدًا ، وما أخذ له علينا ميثاقًا . فأنزل الله جل ثناؤه : ﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن

(١) في م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « بها » .

(٢) في م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « بعض » .

(٣) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ٣ .

(٤) في م ، ت ، ٢ ، ت ٣ ، ونسخة من سيرة ابن هشام : « الصيف » ، وهما روايتان فيه .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٤٧/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٣/١ (٩٧٣) من طريق يونس بن بكير به .

(٦) بعده في م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « آل » ، وانظر تهذيب الكمال ٢٦/٣٨٢ .

سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس مثله .

وأما « النَّبْدُ » فإن أصله في كلام العرب الطَّرْحُ ، ولذلك قيل للملقوط : المنبوذ . لأنه مطروح مرمى به ، ومنه سُمِّيَ النبيذُ نبيذًا ؛ لأنه زيبٌ أو تمرٌ يُطْرَحُ في وعاءٍ ، ثم يعالجُ^(١) بما عولج به^(١) ، وأصله « مفعولٌ » صُرف إلى « فاعيلٍ » ، أعنى أن النبيذَ أصله منبوذٌ ، ثم صُرف إلى « فاعيلٍ » ، فقيل : نبيذٌ . كما قيل : كَفَّ خضيبٌ ، ولحيةٌ دهينٌ . بمعنى مخضوبةٌ ومدهونةٌ . يقال منه : نبذته أنبذه نَبْدًا . كما قال أبو الأسود الدؤلي^(٢) :

نظرت إلى عنوانه فنبدته كنبذك نعلًا أخلقت من يعالكا
فمعنى قوله جل ذكره : ﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ : طرحه فريقٌ منهم ، فتركه
ورفضه ونقضه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة :
﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ يقول : نقضه فريقٌ منهم^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج قوله :
﴿ نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ﴾ . قال : لم يكن في [٦٢/٣] الأرض عهدٌ يعاهدون عليه إلا
نقضوه ، ويعاهدون اليوم ويتقضون غدًا . قال : وفي قراءة عبد الله : (نقضه فريقٌ
منهم)^(٤) .

(١ - ١) في م : « بالماء » .

(٢) في م : « الديلي » ، وفي ت ٢ ، ت ٣ : « الدلمي » .

والبيت في مجاز القرآن ٤٨/١ ، واللسان (خ ل ق ، ع ن ن) .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٤/١ (٩٧٥) من طريق يزيد به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٥/١ إلى المصنف ، وقراءة ابن مسعود ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز

٣٣٦/١ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٣٢٤/١ .

والهَاءِ التِي فِي قَوْلِهِ: ﴿ تَبَدَّلْهُمُ ﴾ مِنْ ذِكْرِ « الْعَهْدِ » ، فَمَعْنَاهُ : أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا
عَهْدًا نَبَذَ ذَلِكَ الْعَهْدَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ !

و « الْفَرِيقُ » الْجَمَاعَةُ ، لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، بِمَنْزِلَةِ الْجَيْشِ وَالرَّهْطِ الَّذِي لَا
وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ .

وَالهَاءِ وَالْمِيمِ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ﴾ . مِنْ ذِكْرِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . فَإِنَّهُ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ : بَلْ أَكْثَرُهُمْ هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ كَلَّمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَهْدًا^(١) وَوَأْتَقَوْهُ مَوْثِقًا ، نَقَضَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ .

وَلِذَلِكَ وَجْهَانِ مِنَ التَّأْوِيلِ : أَحَدُهُمَا ، أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ / دَلَالَةٌ عَلَى الزِّيَادَةِ ٤٤٣/١
وَالتَّكْثِيرِ فِي عَدَدِ الْمَكْذِبِينَ النَّاqِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ عَلَى عَدَدِ الْفَرِيقِ ، فَيَكُونَ الْكَلَامُ حَيْثُذِ
مَعْنَاهُ : أَوْ كَلِمَا عَاهَدَتِ الْيَهُودُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَبَّهَا عَهْدًا نَقَضَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ذَلِكَ
الْعَهْدَ ؟ لَا ، مَا يَنْقُضُ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَرِيقٌ ، وَلَكِنْ الَّذِي يَنْقُضُ ذَلِكَ فَيَكْفُرُ بِاللَّهِ أَكْثَرُهُمْ
لَا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ . فَهَذَا أَحَدُ وَجْهَيْهِ .

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ ، أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ : أَوْ كَلِمَا عَاهَدَتِ الْيَهُودُ رَبَّهَا عَهْدًا نَبَذَ ذَلِكَ
الْعَهْدَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ؟ لَا ، مَا يَنْبِذُ ذَلِكَ الْعَهْدَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فَيَنْقُضُهُ ، عَلَى الْإِيمَانِ مِنْهُمْ
بأن ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ لَهُمْ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَصَدِّقُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَا بِوَعْدِهِ
وَوَعِيدِهِ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا عَلَى مَعْنَى الْإِيمَانِ وَأَنَّهُ التَّصْدِيقُ^(٢) .

(١) لَيْسَتْ فِي : الْأَصْلِ .

(٢) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ١ / ٢٤١ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ وَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١١).

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾: ^(١) «ولمَّا جاء» أبحار اليهود وعلماءها من بنى إسرائيل ﴿رَسُولٌ﴾ يعنى بالرسول محمدًا ﷺ.

كما حدثنى موسى بن هارون قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾. قال: لما جاءهم محمدٌ ﷺ ^(٢).

وأما قوله: ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾. فإنه يعنى به أن محمدًا ﷺ يُصدِّقُ التوراة، والتوراة تصدِّقه فى أنه نبيُّ لله مبعوثٌ إلى خلقه.

وأما تأويل قوله: ﴿لَمَّا مَعَهُمْ﴾ فإنه: للذى ^(٣) هو مع اليهود، وهو التوراة. فأخبر الله جل ثناؤه أن اليهود لما جاءهم رسولٌ ^(٤) من الله بتصديق ما فى أيديهم من التوراة، بأن محمدًا ﷺ [٦٢/٣] نبيُّ لله؛ ﴿بَدَّ وَرِيْقٌ﴾. يعنى بذلك أنهم جحدوه ورفضوه بعد أن كانوا به مقرِّين؛ حسدًا منهم له وبغيًا عليه.

وقوله: ﴿مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾. وهم علماء اليهود الذين أعطاهم الله العلم بالتوراة وما فيها. ويعنى بقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾: التوراة. وبقوله: ﴿بَدَّ وَرِيْقٌ﴾: جعلوه وراء ظهورهم. وهذا مثل، يقال لكل رافضٍ أمرًا

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٤/١ (٩٧٧) من طريق عمرو بن حماد به.

(٣) فى الأصل: «الذى».

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «رسول الله ﷺ».

كان منه على بال: قد جعل فلان هذا الأمر منه بظهير، وجعله وراء ظهره. يعنى به: أعرض عنه وصد وأنصرف.

كما حدثني موسى قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَشْرًا فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾. قال: لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، فذلك قول الله: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

ومعنى قوله: ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: كأن هؤلاء الذين نبذوا كتاب الله من علماء اليهود - فنقضوا / عهد الله بتركهم العمل بما واثقوا الله على أنفسهم العمل^(٢) به مما^(٣) فيه - لا يعلمون ما فى التوراة من الأمر باتباع محمد ﷺ وتصديقه. وهذا من الله جل ثناؤه إخبار عنهم أنهم جحدوا الحق على علم منهم به ومعرفة، وأنهم عاندوا أمر الله فخالفوه على علم منهم بوجوبه عليهم.

كما حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿بَشْرًا فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾. يقول: نقضه فريق من الذين أوتوا الكتاب ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أى: أن القوم قد^(٣) كانوا يعلمون، ولكنهم أفسدوا علمهم و^(٤) جحدوه وكتموه وكفروا به^(٤).

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٤/١ (٩٧٧، ٩٧٩) من طريق عمرو بن حماد به.

(٢ - ٢) فى ت ٢، ت ٣، م: «بما».

(٣) سقط من: م.

(٤ - ٤) فى م: «جحدوا وكفروا وكتموه».

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٥/١ (٩٨٠) من طريق يزيد به إلى قوله: وراء ظهورهم، وأخرج

بقيته (٩٨١)، من طريق شيبان النحوى، عن قتادة.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۗ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ ۗ﴾ . الفريق من أحبار يهود وعلمائها الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم نبذوا كتابه الذى أنزله إلى^(١) موسى وراء ظهورهم ، تجاهلاً منهم وكفرًا بما هم به عالمون ، كأنهم لا يعلمون ، فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذى [٦٣/٣] يعلمون أنه تنزيل^(٢) من عنده على نبيه^(٣) موسى صلوات الله عليه^(٤) ، ونقضوا عهده الذى أخذه عليهم فى العمل بما فيه ، وآثروا السحر الذى تلته الشياطين فى ملك سليمان بن داود صلى الله عليه فاتبعوه ، وذلك هو الخسائر والضلال المبين .

واختلف أهل التأويل فى الذين غنوا بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۗ﴾ ؛ فقال بعضهم : عنى الله تبارك وتعالى بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهرانيهم مهاجرين رسول الله ﷺ ؛ لأنهم خاصموا رسول الله ﷺ بالتوراة ، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة ، تأمروا من اتباع محمد ﷺ وتصديقه بمثل الذى يأمر به القرآن ، فخاصموه بالكتب التى كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ۗ﴾ . قال : كانت الشياطين تصعد إلى السماء

(١) فى م : « على » .

(٢) فى م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « منزل » .

(٣ - ٤) فى م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « ﷺ » .

(٤) بعده فى الأصل : « على عهد سليمان » .

٤٤٥/١ فتقعدُ منها / مقاعدَ للسمع ، فيستمعون من كلامِ الملائكةِ فيما يكونُ في الأرضِ من موتٍ أو غيبٍ^(١) أو أمرٍ ، فيأتون الكهنةَ فيخبرونهم ، فتحدّثُ الكهنةُ الناسَ فيجدونه كما قالوا ، حتى إذا أمّنتهم الكهنةُ كذبوا لهم ، فأدخلوا فيه غيره ، فزادوا مع كلِّ كلمةٍ سبعينَ كلمةً ، فاكتتبَ الناسُ ذلكَ الحديثَ في الكتبِ ، وفشا في بني إسرائيلَ أن الجنَّ تعلمُ الغيبَ ، فبعثَ سليمانُ في الناسِ فجمَعَ تلكَ الكتبَ ، فجمعها في صندوقٍ ، ثم دَفَنها تحتَ كرسيِّه ، ولم يكن أحدٌ من الشياطينِ يستطيعُ أن يدنو من الكرسيِّ إلا احترقَ ، وقال : لا أسمعُ أحدًا يذكرُ أن الشياطينَ تعلمُ الغيبَ إلا ضربتُ عنقه . فلما مات سليمانُ وذهبتِ العلماءُ الذين كانوا يعرفون أمرَ سليمانَ ، وخلفَ بعد ذلكَ خلفٌ ، تمثَّلَ شيطانٌ^(٢) في صورةِ إنسانٍ ، ثم أتى نفرًا من بني إسرائيلَ فقال لهم^(٣) : هل أدلكم على كنزٍ لا تأكلونه^(٤) أبدًا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفروا تحتَ الكرسيِّ ، وذهبَ معهم فأراهم المكانَ ، وقام ناحيةً ، فقالوا له : فاذنْ . قال : لا ، ولكني ههنا في أيديكم ، فإن لم تجِدوه فاقتلوني . فحفروا فوجدوا تلكَ الكتبَ ، فلما أخرجوها قال الشيطانُ : إن سليمانَ إنما كان يضبطُ الإنسَ والشياطينَ والطيرَ بهذا السحرِ . ثم طار فذهبَ ، وفشا في الناسِ أن سليمانَ كان ساحرًا ، واتَّخذتْ بنو إسرائيلَ تلكَ الكتبَ ، فلما جاء محمدٌ خاصموه بها ، فذلكَ حينَ يقولُ اللهُ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾^(٥) .

(١) في تفسير ابن أبي حاتم وابن كثير : « غيب » .

(٢) في م : « الشيطان » .

(٣) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) أكل فلان عمره : إذا أفناه . تهذيب اللغة ١٠ / ٣٦٩ . والمراد : لا يفنى .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٦ / ١ (٩٨٧) من طريق عمرو بن حماد به إلى قوله : « إلا احترق » ،

وذكره ابن كثير بتمامه في تفسيره ١ / ١٩٤ .

وحدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . قال ^(١) : إن اليهود سألو محمدا ﷺ زمانا عن أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألو عنه فيخصمهم ^(٢) ، فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل إلينا منّا . وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه به ، فأنزل الله : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ . وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك ، فدفنوه تحت مجلس سليمان - وكان سليمان لا يعلم الغيب - فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر ، وخذعوا به الناس وقالوا : هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه . فأخبرهم النبي ﷺ بهذا الحديث ، فرجعوا من عنده وقد خزوا ^(٣) وأدحض الله حججهم ^(٤) .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . قال : لما جاءهم رسول الله ﷺ مصادقا لما معهم ﴿ بَدَّ وَرَيْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الآية . قال : اتبعوا السحر ، وهم أهل الكتاب . فقرأ حتى بلغ : ﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ . وقال آخرون : بل عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان .

(١) في م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « قالوا » .

(٢) خصمه يخصمه خصما وخصومة : غلبه . تاج العروس (خ ص م) .

(٣) في م ، ت ٣ : « خزوا » ، وفي ت ٢ : « خزيوا » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١ / ١٩٤ ، ١٩٥ عن الربيع . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١ / ٩٥ إلى

المصنف وابن أبي حاتم عن أبي العالية . وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ١٨٦ (٩٨٥) .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الحسينُ، قَالَ: حَدَّثَنِي حجاجُ، قَالَ: قَالَ ابْنُ جَرِيحٍ: ٤٤٦/١
تَلَّتِ الشَّيَاطِينُ / السَّحْرَ عَلَى الْيَهُودِ عَلَى مَلِكِ سَلِيمَانَ، فَاتَّبَعْتَهُ الْيَهُودُ عَلَى مَلِكِهِ.
يعنى: اتَّبَعَتِ السَّحْرَ عَلَى مَلِكِ سَلِيمَانَ.

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: ثنا سلمةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: عَمَدَتِ
الشَّيَاطِينُ حِينَ عَرَفَتْ مَوْتَ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَتَبُوا أَصْنَافَ السَّحْرِ:
مَنْ كَانَ يَحِبُّ أَنْ يَبْلُغَ كَذَا وَكَذَا، فَلْيَقُلْ^(١) كَذَا وَكَذَا. حَتَّى إِذَا صَنَعُوا^(٢) أَصْنَافَ
السَّحْرِ، جَعَلُوهُ فِي كِتَابٍ ثُمَّ خَتَمُوا عَلَيْهِ بِخَاتَمِ عَلَى نَقِشِ خَاتَمِ سَلِيمَانَ، وَكَتَبُوا فِي
عُنُوقِهِ: هَذَا مَا كَتَبَ أَصْفُ بْنُ بَرْخِيَا الصَّدِيقُ لِلْمَلِكِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ مِنْ ذَخَائِرِ كُنُوزِ
الْعِلْمِ. ثُمَّ دَفَنُوهُ تَحْتَ كُرْسِيِّهِ. فَاسْتَخْرَجْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ أَحَدَثُوا مَا
أَحَدَثُوا، فَلَمَّا عَثَرُوا عَلَيْهِ قَالُوا: ^(٣) وَاللَّهِ مَا كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ إِلَّا بِهَذَا. فَافْشَرُوا
السَّحْرَ فِي النَّاسِ، [٦٤/٣] وَتَعَلَّمُوهُ وَعَلَّمُوهُ، فَلَيْسَ فِي أَحَدٍ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي يَهُودَ، فَلَمَّا
ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ - سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ، وَعَدَّهُ فِي مَنْ عَدَّهُ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ مِنْ يَهُودَ: أَلَا تَعَجَبُونَ لِمُحَمَّدٍ، يَزْعُمُ أَنَّ ابْنَ دَاوُدَ
كَانَ نَبِيًّا، وَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا سَاحِرًا. فَانزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ عَلَى مُحَمَّدٍ:
﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ ^(٣) الْآيَةُ^(٤).

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي، قَالَ:
حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ﴾^(٣) عَلَى مَلِكِ

(١) فِي م: «فَلْيَفْعَلْ».

(٢) فِي م، ت ٢، ت ٣: «صَنَعُوا».

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: م، ت ٢، ت ٣.

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١/١٩٥. وَهُوَ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١/٥٤٤ مَخْتَصَرًا.

سَلِيمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴿١﴾ . قال : كان حين ذهب
 ملكُ سليمان ، ارتدَّ فِئامٌ^(١) من الجنِّ والإنسِ واتبَعوا الشهواتِ ، فلما رجع اللهُ إلى
 سليمانَ ملكه ، أقام^(٢) الناسُ على الدِّينِ كما كان^(٣) ، وإن سليمانَ ظهرَ على كتبهم
 فدفنَها تحتَ كرسيه ، وتوفِّي سليمانَ جِدْثَانٌ^(٤) ذلك ، فظهرت الجنُّ والإنسُ على
 الكتبِ بعدَ وفاةِ سليمانَ ، وقالوا : هذا كتابٌ من اللهِ نزلَ على سليمانَ أخفاه مِنَّا ؛
 فأخذوا به فجعلوه دينًا ، فأنزل اللهُ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
 لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَى ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ ﴾ . واتبَعوا^(٥) الشهواتِ التي كانت^(٥) تتلو الشياطينُ ، وهي المعازفُ
 واللعبُ ، وكلُّ شىءٍ يضدُّ عن ذكرِ اللهِ^(٦) .

والصوابُ من القولِ في تأويلِ قوله : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ
 سُلَيْمَنَ ﴾ . أن ذلك من اللهِ جلَّ ذكره توييحٌ لأخبارِ اليهودِ الذين أدركوا رسولَ
 اللهِ ، فجحدوا نبوتَه وهم يعلمون أنه لله رسولٌ مرسلٌ ، وتأنبٌ منه لهم في رفضهم
 تنزيله ، وهجرهم العملَ به ، وهو في أيديهم يعلمونه ويعرفون أنه كتابُ اللهِ ،
 واتباعهم واتباعِ أوائلهم وأسلافهم ما تلتته الشياطينُ في عهدِ سليمانَ . وقد بيَّنا وجهَ
 جوازِ إضافةِ أفعالِ أسلافهم إليهم فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا

(١) الفئام : الجماعة الكثيرة : اللسان (ف أم) .

(٢) فى م : « قام » ، وفى تفسير ابن أبى حاتم وابن كثير : « وقام » .

(٣) فى م : « كانوا » .

(٤) حدثان الأمر ، بالكسر : أوله وابتدأه كحدثه . التاج (ح د ث) .

(٥ - ٥) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « ما » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٥/١ (٩٨٤) عن محمد بن سعد به .

الموضع^(١).

وإنما اخترنا هذا التأويل؛ لأن المتبعة ما تلتها الشياطين في عهد سليمان وبعده، إلى أن بعث الله نبيه بالحق،^(٢) من السحرة لم تزل^(٣) في اليهود، ولا دلالة في الآية أن الله أراد بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا﴾. بعضاً منهم دون بعض، إذ كان جائزاً فصيحاً في كلام العرب إضافة ما وصفنا من أتباع أسلاف المخبر عنهم بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ﴾. إلى أخلافهم بعدهم، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول، ولا حجة تدل عليه، فكان الواجب [٣/٦٤٤ظ] من القول في ذلك أن يقال: كل متبوع ما تلتها الشياطين على عهد سليمان من اليهود داخل في معنى الآية. على النحو الذي قلنا.

٤٤٧/١ / القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانِ﴾.

ويعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا تَتْلُوا﴾: الذي تتلو. فتأويل الكلام إذن: واتبعوا الذي تتلو الشياطين.

واختلف أهل التأويل^(٣) في تأويل قوله: ﴿تَتْلُوا﴾؛ فقال بعضهم: يعنى بقوله: ﴿تَتْلُوا﴾: تُحَدِّثُ وتروى وتتكلَّم به وتخبر، نحو تلاوة الرجل القرآن، وهى قراءته. ووجه قائلو هذا القول تأويلهم ذلك إلى أن الشياطين هى التى علّمت الناس السحر ورزوته لهم.

(١) ينظر ما تقدم فى ٦٤٢/١ ، ٦٤٣ .

(٢ - ٢) فى م : « وأمر السحر لم يزل » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثنا أَبُو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن عمرو بن دينار ، عن مجاهد في قولِ اللهِ : ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ﴾ . قال : كانت الشياطينُ تَسْمِعُ الوحي ، فما سَمِعوا من كَلِمَةٍ زادوا فيها مائتين مثَلها ، فأرسل سليمانُ إلى ما كَتَبوا من ذلك ^(١) ، فلما توفى سليمانُ وجدَّته الشياطينُ فعَلَّمته الناسَ ، وهو السحرُ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ﴾ . قال ^(٣) : من الكهانة والسحر . قال ^(٤) : وذُكِرَ لنا ، والله أعلم ، أن الشياطينَ ابتدعت كتابًا فيه سحرٌ وأمرٌ عظيمٌ ، ثم أفسوه في الناسِ وعَلَّموهم إيَّاه ^(٥) .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال لي عطاء : قوله : ﴿ مَا تَنَلُّوا ﴾ . قال : نراه ما تُحَدِّثُ ^(٥) .

وحدَّثني سلمٌ ^(٦) بنُ جنادة الشوائبي ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : انطلقت الشياطينُ في الأيام التي ابتلى فيها سليمانُ ، فكتبَتْ فيها كتبًا فيها سحرٌ وكفرٌ ، ثم دفنوها تحت كرسيِّ

(١) بعده في م : « فجمعه » .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٩٥ .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٨٧ (٩٩٢) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة نحوه بزيادة في أوله

ستأتي في ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٩٦ إلى المصنف .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « سالم » .

سليمان ، ثم أخرجوها فقرءوها على الناس^(١) .

وقال آخرون : معنى قوله : ﴿ مَا تَتْلُوا ﴾ : ما^(٢) تتبّع وتأتّمه^(٣) وتعملُ به .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا^(٣) الحسينُ بنُ عمرو بنِ محمدِ العنقريّ^(٤) ، قال : حدّثنا أبي ، عن أسباط ، عن السديّ ، عن أبي مالك ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ تَتْلُوا ﴾ . قال : تتبّع^(٤) .

وحدّثني نصرُ بنُ عبدِ الرحمنِ الأوديّ ، قال : ثنا يحيى بنُ إبراهيم ، عن سفيانِ الثوريّ ، [٦٥/٣] عن منصور ، عن أبي رزين مثله .

والصوابُ مِنَ القَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَحَبَّرَ عَنِ الَّذِينَ أَحَبَّرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ ؛ بِاتِّبَاعِهِمْ مَا تَلَّهَ الشَّيَاطِينُ . وَلِقَوْلِ القَائِلِ : هُوَ يَتْلُو كَذَا . فِي كَلَامِ العَرَبِ مَعْنِيَانِ : أَحَدُهُمَا : الاتِّبَاعُ ، كَمَا يَقَالُ : تَلَوْتُ فَلَانًا . إِذَا مَشَيْتَ خَلْفَهُ وَتَبِعْتْ أَثَرَهُ ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاوَهُ : (هُنَالِكَ تَتْلُو^(٥) كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) [يونس : ٣٠] . يَعْنِي بِذَلِكَ : التَّبِعُ . وَالأخْرَى : القِرَاءَةُ وَالدِّرَاسَةُ ، كَمَا يَقَالُ : فَلَانٌ يَتْلُو القُرْآنَ . بِمَعْنَى أَنَّهُ يَقْرَأُهُ وَيَدْرُسُهُ ، كَمَا قَالَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ^(٦) :

٤٤٨/١ / نَبِيٌّ يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

(١) سيأتي بتمامه في ص ٣٢٣ .

(٢) (٢ - ٢) في م : « تتبعه وترويه » .

(٣) (٣ - ٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحسن بن عمرو العنقري » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٩٦ إلى المصنف .

(٥) في م ، ت ٣ : « تلو » . وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبي عمرو وابن عامر . والمثبت قراءة حمزة والكسائي . السبعة لابن مجاهد ص ٣٢٥ .

(٦) ديوانه ص ٣٧٧ .

ولم يخبرنا الله تعالى ذكره بأى معنى^(١) التلاوة كانت تلاوة الشياطين الذين تَلَوْا ما تَلَوْه من السحرِ على عهدِ سليمانَ ، بخبرٍ يقطعُ العذرَ ، وقد يجوزُ أن تكونَ الشياطينُ تَلَت ذلكَ دراسةً وروايةً وعملاً به^(٢) ، فتكونَ كانت له^(٣) متبِعَةً^(٤) بالعملِ ، ودراسةً^(٥) بالروايةِ ، فأتبعتِ اليهودُ منهاجها في ذلكَ فعملتْ به ورَوته .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ ﴾ : فى ملكِ سليمانَ . وذلكَ أن العربَ تَصْعُ « فى » موضعَ « على » ، و « على »^(٦) موضعَ « فى » . من ذلكَ قولُ الله تعالى ذكره : ﴿ وَلَا ضَلِيلَتَكُمْ فِى جُدُوعِ النَّخْلِ ۗ ﴾ [طه : ٧١] . يعنى به : على جدوعِ النخلِ ، وكما يقالُ : فعلتُ كذا فى عهدِ كذا ، وعلى عهدِ كذا . بمعنى واحدٍ . وبما قلنا فى^(٧) ذلكَ كان ابنُ جريجٍ وابنُ إسحاقَ يقولانِ فى تأويله .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ ﴾ . يقولُ : فى ملكِ سليمانَ^(٨) .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ فى قوله : ﴿ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ ﴾ . أى : فى ملكِ سليمانَ^(٩) .

(١) فى م : « معنى » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) فى م : « متبِعته » .

(٤) فى م : « دارسته » .

(٥) بعده فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فى » .

(٦) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « من » .

(٧) عزاه فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٨) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٨٦/١ (٩٨٨) من طريق سلمة به .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ .

[٦٥/٣] إن قال لنا قائل: وما هذا الكلام من قوله: ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ﴾ . ولا خبر مضي^(١) قبل عن أحد أنه أضاف الكفر إلى سليمان، بل إنما ذكر اتباع من اتبع من اليهود ما تلت الشياطين، فما وجه نفي الكفر عن سليمان بعقب الخبر عن اتباع من اتبع^(٢) الشياطين في العمل بالسحر وروايته من اليهود؟

قيل: وجه ذلك أن الذين أضاف الله جل ثناؤه إليهم اتباع ما تلت الشياطين على عهد سليمان من السحر والكفر من اليهود، نسبوا ما أضافه الله تعالى ذكره إلى الشياطين من ذلك إلى سليمان بن داود، وزعموا أن ذلك كان من عمله^(٣) وروايته، وأنه إنما كان يستعبد من كان^(٤) يستعبد من الإنس والجن والشياطين وسائر خلق الله بالسحر^(٥)، فحسبوا بذلك - من ركبهم ما حرّم الله عليهم من السحر - لأنفسهم عند من كان جاهلاً بأمر الله ونهيه، وعند من كان لا علم له بما أنزل الله في ذلك من التوراة. وتبرأ - بإضافة ذلك إلى سليمان - من سليمان، وهو نبي الله صلى الله عليه، منهم بشر، وأنكروا أن يكون كان لله رسولا، وقالوا: بل كان ساحرا. فبرأ الله جل ثناؤه سليمان بن داود من السحر والكفر عند من كان منهم ينسب إلى السحر والكفر، لأسباب ادّعواها عليه قد ذكرنا بعضها قبل، وسند كُرِّ

(١) في م، ت، ٢، ت ٣: «معنا» .

(٢) في م: «اتبعت»، وفي ت ٢، ت ٣: «اتبعت» .

(٣) في م، ت، ٢: «علمه» .

(٤) سقط من: م، ت، ٢، ت ٣ .

(٥) بعده في الأصل، ت، ١: «دون الشياطين» .

باقى ما حضرنا ذكره منها ، وأكذب الآخرين الذين كانوا يعملون بالسحر ، مُتَزَيِّينَ
عند أهل الجهل في علمهم^(١) ذلك بأن سليمان كان يعملهُ ، فنفى الله عن سليمان
عليه السلام أن يكونَ كان ساحراً أو كافراً ، وأعلمهم أنهم إنما اتبعوا في عملهم
/ بالسحر ما تلتة الشياطين في عهد سليمان ، دون ما كان سليمان يأمرهم به^(٢) من
طاعة الله ، واتباع ما أمرهم به في كتابه الذى أنزله على موسى صلى الله عليه .

ذكر الدلالة^(٣) على صحة ما قلنا من الأخبار والآثار

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن
سعيد بن جبير ، قال : كان سليمان يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر ، فيأخذهُ
فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزائنه^(٤) ، فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه ، فدنت^(٥) إلى
الإنس فقالوا لهم : أتريدون العلم الذى كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير
ذلك ؟ قالوا : نعم . قالوا : فإنه فى بيت [٦٦/٣] خزائنه^(٤) وتحت كرسيه . فاستشارته
الإنس فاستخرجوه فعملوا به ، فقال أهل الحجا^(٦) : كان سليمان يعمل بهذا ، وهذا
سحر . فأنزل الله على لسان نبيه محمد ﷺ براءة سليمان فقال : ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا
الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ الآية . فأبرأ الله^(٧) سليمان على لسان نبيه ﷺ .^(٨)

(١) فى م : « علمهم » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « الدلائل » .

(٤) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ وتفسير ابن كثير : « خزائنه » .

(٥) فى تفسير ابن كثير : « فدبت » .

(٦) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « الحجاز » ، والحجا : العقل والفتنة والمقدار . القاموس المحيط (ح ج ي) .

(٧ - ٧) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن كثير : « فأنزل الله براءة » .

(٨) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ١٩٥ .

حدَّثني أبو السائب الشوائي ، قال : حدَّثنا أبو معاوية ، قال : حدَّثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان الذي أصاب سليمان بن داود في سبب أناس من أهل امرأة يقال لها : جرادة . وكانت من أكرم نسائه عليه ، قال : فكان هوى سليمان أن يكون الحقُّ لأهل الجرادة فيقضِي لهم ، فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحداً . قال : وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء ، أو يأتي شيئاً من نسائه ، أعطى الجرادة خاتمه ، فلما أراد الله أن يتتلى سليمان بالذي ابتلاه به ، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه ، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي . فأخذه فليسسه ، فلما ألبسه دانث له الشياطين والجن والإنس . قال : فجاء سليمان فقال : هاتي خاتمي . فقالت : كذبت لست سليمان . قال : فعرف سليمان أنه بلاءٌ ابتلي به . قال : فانطلقت الشياطين في تلك الأيام فكتبت كتبا فيها سحرٌ وكفرٌ ، ثم دفنوها تحت كرسي سليمان ، ثم أخرجوها فقروها على الناس ، وقالوا : إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب . قال : فبرئ الناس من سليمان وأكفروه حتى بعث الله محمداً ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيْطَانِ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ ﴾ . يعنى : الذي كتب الشياطين من السحر والكفر ، ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا ﴾ . فأنزل الله عذره ^(١) .

وحدَّثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعتُ عمران بن حدير ^(٢) ، عن أبي مجلز ، قال : أخذ سليمان من كل دابة عهداً ،

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٩٩٣) ، وفي تفسيره (١٣) من طريق أبي معاوية به بأطول مما هنا . وابن عساكر في تاريخه ٢٤٨/٢٢ من طريق جعفر بن عون ، عن الأعمش به مختصراً . وذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٣/١ عن المصنف . وإسناده ضعيف لعنة الأعمش ، والمتن فيه نكارة واضحة .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جبير » .

فَإِذَا أَصِيبَ رَجُلٌ فَسْتَعْلِمُ^(١) بِذَلِكَ الْعَهْدِ ، خُلِّيَ^(٢) عَنْهُ ، فَزَادَ^(٣) النَّاسُ السَّجْعَ وَالسَّحَرَ
 وَقَالُوا : هَذَا كَانَ يَعْمَلُ بِهِ سَلِيمَانُ . فَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ
 الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ ﴾^(٤) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ^(٥) حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا جَرِيذٌ ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ
 عِمْرَانَ ،^(٦) وَهُوَ عِمْرَانُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ
 فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : مِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ قَالَ : مِنَ الْعِرَاقِ . قَالَ : مِنْ أَيُّهُ ؟ قَالَ : مِنَ الْكُوفَةِ . ٤٥٠/١
 قَالَ : فَمَا الْخَبْرُ ؟ قَالَ : تَرَكَتُهُمْ يَتَحَدَّثُونَ [٦٦/٣] أَنْ عَلِيًّا خَارَجَ إِلَيْهِمْ . فَفَزِعَ^(٧) ثُمَّ
 قَالَ^(٨) : مَا تَقُولُ لَا أَبَا لَكَ ! لَوْ شَعَرْنَا مَا نَكَحْنَا نِسَاءَهُ ، وَلَا قَسَمْنَا مِيرَاثَهُ ، أَمَا^(٩) إِنِّي
 سَأُحَدِّثُكُمْ عَنْ^(١٠) ذَلِكَ ، إِنَّهُ كَانَتْ الشَّيَاطِينُ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَيَجِيءُ^(١١)
 أَحَدُهُمْ بِكَلِمَةٍ حَقٌّ قَدْ سَمِعَهَا ، فَإِذَا جُرِّبَ^(١٢) مِنْهُ صِدْقٌ ، كَذَبَ مَعَهَا سَبْعِينَ كَذْبَةً .
 قَالَ : فَيُشْرِبُهَا قُلُوبَ النَّاسِ ، فَأَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا سَلِيمَانَ فَدَفَنَهَا تَحْتَ كُرْسِيِّهِ ، فَلَمَّا تَوَفَّى
 سَلِيمَانَ قَامَ شَيْطَانٌ بِالطَّرِيقِ فَقَالَ : أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ الْمُنْتَعِ الَّذِي لَا كَنْزَ لَهُ^(١٣) مِثْلُهُ ؟

(١) فى تفسير ابن كثير، والدر المنثور: «فسأل». وقوله: «فستل». لعله يريد: فستل له.

(٢) فى الأصل: «خلت».

(٣) فى م، ت، ١، ت، ٣، والدر المنثور: «فرأى»، وفى ت ٢: «فرأوا».

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٩٦/١ عن المصنف. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف وابن المنذر.

(٥) فى م: «أبو».

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧ - ٧) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فقال».

(٨ - ٨) فى م: «أحدتكم من».

(٩) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فأتى».

(١٠) فى م، ت، ١، ت، ٢: «حدث».

(١١) سقط من: م.

تحت الكرسي. فأخرجوه فقالوا: هذا سحر. فتناسخها الأمم - حتى بقاياها^(١) ما يتحدث به أهل العراق - فأنزل الله عذر سليمان: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَٰ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَفَرَ الشَّيْطَانُ وَلَٰكِنَّ النَّاسَ لَیْسِرُونَ﴾^(٢).

وحدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكّرنا، والله أعلم، أن الشياطين ابتدعت كتابا فيه سحر وأمر عظيم، ثم أشوه في الناس وعلموهم^(٣) إياه، فلما سمع بذلك سليمان نبي الله، تتبع^(٤) تلك الكتب، فأتى بها فدفنها تحت كرسيه، كراهية أن يتعلّمها الناس، فلما قبض الله نبيه سليمان، عمدت الشياطين فاستخرجوها من مكانها التي كانت فيه فعلموها الناس، فأخبروهم أن هذا علم كان يكتمه سليمان ويستأثر به، فعذر الله^(٥) سليمان وبرّاه من ذلك، فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَفَرَ الشَّيْطَانُ وَلَٰكِنَّ النَّاسَ لَیْسِرُونَ﴾^(٦).

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: كتبت الشياطين كتبًا فيها سحر وشرك، ثم دفنت تلك الكتب تحت كرسي سليمان، فلما مات استخرج الناس تلك الكتب فقالوا: هذا علم كتّمناه سليمان. فقال الله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَٰ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا كَفَرَ الشَّيْطَانُ وَلَٰكِنَّ النَّاسَ لَیْسِرُونَ﴾^(٧).

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «بقاياهم».

(٢) أخرجه الحاكم ٢/٢٦٥ وابن عساكر في تاريخه ٢٢/٢٥٥ من طريق جرير به. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٠٧ - تفسير)، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٨٧ (٩٨٩) من طرق عن حصين به، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/٩٥ إلى سفيان بن عيينة وابن المنذر.

(٣) في م ت ١، ت ٢، ت ٣: «أعلموهم».

(٤) في م، ت، ١، ت، ٣: «فتتبع».

(٥) بعده في م ت ١، ت ٢، ت ٣: «نبيه».

(٦) تقدم طرف منه في ص ٣١٩، وسيأتي تخريجه في ص ٣٢٩.

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/٥٣، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٢٢/٢٥٤ من طريق معمر به.

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا ^(١) الحسينُ ، قال : حدَّثني ^(١) حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ قوله : ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ الآية ^(٢) . قال : كانت الشياطينُ تَسْمِعُ الوحيَ من السماءِ ، فما سَمِعوا مِن كَلِمَةٍ زادوا فيها مثلها ، وإن سليمانَ أخذ ما كَتَبُوا مِن ذلك فدَفَنه تحت كرسيه ، فلما توفِّي وجدته الشياطينُ فعَلِمته الناسُ ^(٣) .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن أبي بكرٍ ، عن شهرِ بنِ حوشبٍ ، قال : لما سُلبَ سليمانُ مُلكه ، كانتِ الشياطينُ تَكْتُبُ السحرَ في غِيبةِ سليمانَ ، فكَتَبَتْ : مَنْ أراد أن يَأْتِيَ كذا وكذا ، فليستَقِيلِ الشمسَ وليَقْلُ كذا وكذا ، ومن أراد أن يَفْعَلَ كذا وكذا ، فليستَدِيرِ الشمسَ وليَقْلُ كذا وكذا . [٣٧/٦٧] فكَتَبَتْه وجعلتْ عُنوانه : هذا ما كَتَبَ أَصْفُ بْنُ بَرْحِيَا للملِكِ سليمانَ بنِ داودَ مِن ذخائرِ كنوزِ العلمِ . ثم دَفَنته تحت كرسيه ، فلما مات سليمانُ قام إبليسُ خطيبا فقال : يا أَيُّها الناسُ ، إن سليمانَ لم يكن نبيا ، إنما كان ساحرا ، فالتَمَسوا سحره في متاعه وبيوته . ثم دلَّهم على المكانِ الذي دُفِن فيه ، فقالوا : والله لقد كان سليمانُ ساحرا ، هذا سحره ، بهذا تعبدنا ، وبهذا قهرنا . فقال المؤمنون : بل كان نبيا مؤمنا . فلما بعثَ / اللهُ النبيَّ ﷺ ، جعل يذكُرُ الأنبياءَ حتى ذَكَرَ داودَ وسليمانَ ، فقالتِ ٤٥١/١ اليهودُ : انظروا إلى محمدٍ ، يخلِطُ الحقَّ بالباطلِ ، يذكُرُ سليمانَ مع الأنبياءِ ، وإنما كان ساحرا يركبُ الريحَ . فأنزلَ اللهُ عذرَ سليمانَ ، فقال ^(٤) : ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتَلَوُا الشَّيَاطِينُ ﴾ الآية ^(٤) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) تقدم تخريجه من طريق عمرو بن دينار عن مجاهد في ص ٣١٩ .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٥/١ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٥/١ إلى المصنف .

وحدَّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا ابن إسحاق: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾: وذلك أن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين، قال بعض أحبار يهود: ألا تعجبون من محمد، يزعم أن ابن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً. فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾. أى: باتباعهم السحر، «وعملهم» به، ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتَ وَمُرُوتَ ﴾^(١).

فاذ^(٢) كان الأمر في ذلك ما وصفنا، وتأويل قوله: ﴿ وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنُ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾. ما ذكرنا، فبيِّن^(٤) أن في الكلام متروكاً، ترك ذكره اكتفاءً بما ذكر منه، وأن معنى الكلام: وأتبعوا ما تتلو الشياطين من السحر على ملك سليمان، فتضيِّفه إلى سليمان، وما كفر سليمان فيعمل بالسحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر.

وقد كان قتادة يتأول قوله: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾. على «نحو ما ذكرنا».

حدَّثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن

(١ - ١) فى ت ٢، ت ٣: «وعلمهم».

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٤٤.

(٣) فى م: «فاذا».

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فتبين».

(٥ - ٥) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «ما قلنا».

قتادة : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ . يقول : ما كان عن مشورته ، ولا عن رضا منه ، ولكنه شئٌ افتعلته الشياطينُ دونهُ ^(١) .

وقد دللنا فيما مضى قبل على اختلافِ المختلفين في معنى : ﴿ تَتْلُوا ﴾ . وتوجيه من وجه ذلك إلى أنه ^(٢) بمعنى « تلت » ، إذ كان الذي قبله خبراً ماضياً ، وهو قوله : ﴿ وَاتَّبِعُوا ﴾ . وتوجيه الذين وجهوا ذلك إلى خلاف ذلك ، وبيننا فيه وفي نظيره الصواب من القول ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ^(٣) .

وأما معنى قوله : ﴿ مَا تَتْلُوا ﴾ . فإنه بمعنى : الذي تتلو ، وهو [٦٧/٣] السحر .

كما ^(٤) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَنَ ﴾ . أي : السحر .

ولعل قائلًا أن يقول : أو ما كان السحر إلا أيام سليمان ؟

قيل له : بل ^(٥) قد كان ذلك قبل ذلك ، وقد أخبر الله عن سحرة فرعون بما ^(٦) أخبر عنهم ، وقد كانوا قبل سليمان ، وأخبر عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح إنه ساحر .

فإن ^(٧) قال : فكيف أخبر عن اليهود أنهم اتبعوا ما تلتته الشياطين في عهد ^(٨)

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٧/١ (٩٩٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة .

(٢) في م : « أن تتلو » .

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٢٥٦ .

(٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بلي » .

(٦) في م : « ما » .

(٧) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٨) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « على » .

سليمانَ ،^(١) دون الخبيرِ عنهم أنهم اتَّبَعُوا ما تَلَّتهُ الشَّيَاطِينُ من ذلكِ أَيَّامِ نوحٍ وأَيَّامِ موسى ؟

قيل : إنما أَخْبَرَ اللهُ بذلك ، تعالى ذكره ، عن اتِّبَاعِهِمْ ما تَلَّتهُ الشَّيَاطِينُ على عهدِ سليمانَ^(١) ؛ لأنهم أضافوا ذلك إلى سليمانَ - على ما قد قَدَّمنا البيانَ عنه - فأراد اللهُ تعالى ذكره تَبَرُّثَهُ سليمانَ بما نَحَلَّوه وأضافوا إليه مما كانوا وجدوه ، إما فى خزائنه^(٢) وإما تحت كرسِيِّه ، على ما جاءت به الآثُرُ التى قد ذكَّرنها من ذلك ، فخصَّ^(٣) الخبرَ عما كانت اليهودُ اتَّبَعْتَهُ مما^(٤) تَلَّتهُ الشَّيَاطِينُ أَيَّامَئِذٍ^(٥) دونَ غيرهَ لذلك من^(٦) السَّبَبِ ، وإن كانت الشَّيَاطِينُ قد كانت تاليةَ السحرِ والكفرِ قبلَ ذلك .

٤٥٢/١ / القولُ فى تأويلِ قولِهِ جل ثناؤُهُ : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتَ وَمُرُوتَ ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : اختلف أهلُ التَّأويلِ^(٧) فى تأويلِ « ما » التى فى قولِهِ : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معناها^(٨) الجحدُّ ، وهى بمعنى « لَمْ » .

(١ - ١) فى م : « قيل » .

(٢) فى الأصل : « خزائنه » .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فحصر » .

(٤) فى م : « فيما » .

(٥) فى م : « أيامِ سليمان » .

(٦) سقط من : م ، ت ، ١ .

(٧) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « العلم » .

(٨) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « معناه » .

ذكر من قال ذلك

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾. فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ السَّحَرَ^(١).

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَكَّامٌ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ﴾. قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا السَّحَرَ^(٢).

فتأويل الآية على هذا المعنى الذي ذكرناه عن ابن عباس والربيع - من توجيهيهما معنى قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ﴾. أى^(٣): ولم ينزل على الملكين: واتبعوا الذي تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. فيكون حينئذ قوله: ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم.

فإن [٦٨/٣] قال لنا قائل: وكيف وجه تقديم ذلك؟

قيل: وجه تقديمه أن يقال: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان^(٤)، وما كفر سليمان^(٤)، وما أنزل على الملكين، ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. فيكون معنيًا بـ ﴿الْمَلَائِكِينَ﴾ جبريل وميكائيل؛

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٨/١ (٩٩٧) عن محمد بن سعد به.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٨/١ عقب الأثر (٩٩٨) من طريق أبي جعفر به.

(٣) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «إلى».

(٤ - ٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

لأنَّ سحرَةَ اليهودِ ، فيما ذَكَرَ ، كانت تزعمُ أن الله أنزلَ السحرَ على لسانِ جبريلَ وميكائيلَ إلى سليمانَ بنِ داودَ ، فأكذَبها اللهُ بذلك ، وأخبرَ نبيَّهُ محمدًا ﷺ أن جبريلَ وميكائيلَ لم ينزِلا بسحرٍ قطُّ ، وبزأ سليمانَ مما نحلوه من السحرِ ، وأخبرهم أن السحرَ من عملِ الشياطينِ ، وأنها تعلَّمُ الناسَ ذلكَ ^(١) بيابِلَ ، وأن الذين يعلمونهم ذلكَ رجلانَ ؛ اسمُ أحدهما هاروثُ ، واسمُ الآخرِ ماروثُ ، فيكونُ هاروثُ وماروثُ على هذا التأويلِ ترجمةً عن ^(٢) الناسِ وردًا عليهم .

وقال آخرون ^(٣) : تأويلُ « ما » التي في قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ :

الذى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : قال معمرٌ : قال قتادةُ والزهرى ، عن عُبيدٍ ^(٤) اللِّهِ : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ . كانا ملكينِ مِنَ الملائكةِ ، فأهبطا ليحكُما بينَ الناسِ ؛ وذلك أن الملائكةَ سجروا من حكامِ ^(٥) بنى آدمَ . قال : فحاكمتُ إليهما ^(٦) امرأةٌ ، فحافا ^(٧) لها ، ثم ذهبَا يصعدان فحيلَ بينهما وبينَ ذلكَ ، وخُيِّرا بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ، فاختارا عذابَ

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « على » .

(٣) بعده فى م : « بل » .

(٤) فى م : « عبد » ، وينظر تفسير ابن كثير ٢٠٢ / ١ ، والدر المنثور ٩٩ / ١ .

(٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وتفسير عبد الرزاق : « أحكام » .

(٦) فى ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إليهم » .

(٧) فى تفسير عبد الرزاق : « فحاييا » . والثبت موافق لما فى الدر . وقوله : « فحافا » . ضبط فى الأصل بتشديد الفاء ، وضبطناه بالتخفيف على أصل الفعل ، ومعناه : جارا وظلما ومالا عن القصد فى الحكم . وانظر التاج (ح ي ف) .

الدنيا . قال معمرٌ : وقال قتادةُ : فكانا يعلمان الناسَ السحرَ ، فأخذ عليهما ألا يعلما^(١) أحدا حتى يقولوا : ﴿ إِنَّمَا مَحْنُ فِتْنَةٍ فَلَا تَكْفُرْ ﴾^(٢) .

وحدثني موسى ، قال : ثنا عمرو بن حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديّ : أما قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ / بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ . فهذا سحرٌ آخرُ ٤٥٣/١ خاصموه به أيضًا . يقولُ : خاصموه بما أنزل على الملكين ، وأن كلامَ الملائكة فيما بينهم ، إذا علمته الإنس فضنّيع وعميل به كان سحرًا^(٣) .

وحدثنا بشر بن معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قولهُ : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ : فالسحرُ سحران : سحرٌ تعلّمهُ الشياطينُ ، وسحرٌ يعلمهُ هاروتُ وماروتُ^(٤) .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ الله بنُ صالحٍ ، قال : حدثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليّ بنِ أبي طلحةٍ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ . قال : التفريقُ بين المرءِ وزوجه^(٥) .

وحدثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ . [٦٨/٣] فقرأ حتى بلغ : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . قال : الشياطينُ والملائكة يعلمون الناسَ

(١) في ت ١ ، ٢ ، ت ٣ : « يعلمان » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٣/١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٩/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٦/١ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٨/١ (٩٩٦) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٩٦/١ إلى ابن المنذر .

السحر .

فمعنى الآية على تأويل هذا القول الذى ذكرناه عمّن ذكرنا عنه : واتبعت اليهود الذى تلت الشياطين فى ملك سليمان والذى أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت .

^(١) وقال قائلو هذه المقالة : إن الله أنزل السحر على هاروت وماروت بيابل . وهما ملكان من ملائكة الله ، سندكروا ما روى من الأخبار فى شأنهما بعد^(٢) إن شاء الله .

وقالوا : إن قال لنا قائل : وهل يجوز أن يُنزل الله السحر ، أم هل يجوز للملائكة أن تعلمه الناس ؟

قلنا له : إن الله تبارك وتعالى قد أنزل الخير والشر كله ، وبين جميع ذلك لعباده ، فأوحاه إلى رسله ، وأمرهم بتعليم خلقه وتعريفهم ما يحل لهم مما يحرم عليهم ، وذلك كالزنا والسرق^(٣) وسائر المعاصى التى عرفتموها^(٤) ونهاهم عن ركوبها ، فالسحر أحد تلك المعانى^(٥) التى أخبرهم بها ونهاهم عن العمل بها .

وقالوا : ليس فى العلم بالسحر إثم ، كما لا إثم فى العلم بصنعة الخمر ونحت الأصنام والطناير^(٦) والملاعب ، وإنما الإثم فى عمله وتسويته .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « السرقه » . وهما بمعنى .

(٤) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عرفتموها » .

(٥) فى م : « المعاصى » .

(٦) الطناير ، جمع الطنثور والطنبار : من آلات الطرب ، ذو عنق طويل وستة أوتار ، معرب تنبور . الألفاظ

الفارسية المعربة ص ١١٣ .

قالوا: وكذلك لا إثم في العلمِ بالسحرِ، وإنما الإثمُ في العملِ به، وأن يَضُرَّ به من لا يَحِلُّ ضُرُّه به.

قالوا: فليس في إنزالِ الله إياه على المَلَكَيْنِ، ولا في تعليمِ المَلَكَيْنِ من عُلَمَاءِ من الناسِ إثمٌ؛ إذ^(١) كان تعليمُهُما من عُلَمَاءِ ذلك يَأْذِنُ اللهُ لهما بتعليمِهِ، بعدَ أن يُخْبِرَاهُ أَنَّهُمَا فِتْنَةٌ، وينهيهما عن السحرِ والعملِ به والكفرِ، وإنما الإثمُ على مَنْ يتعلَّمُهُ منهما ويعمَلُ به؛ إذ كان اللهُ تعالى ذَكَرَهُ قد نَهَى^(٢) عن تعلُّمِهِ والعملِ به.

قالوا: ولو كان اللهُ أَباحَ لِبْنِي آدَمَ أن يتعلَّموا ذلك، لم يكنْ من تعلَّمَهُ^(٣) حَرِجًا، كما لم يكونا حَرِجَيْنِ^(٤) لعلمِهِما به؛ إذ كان علمُهُما بذلك عن تنزِيلِ اللهُ إليهِما.

وقال آخرون: معنى «مَا» معنى «الذى»، وهى عطفٌ على «مَا» الأولى، غيرَ أن الأولى فى معنى السحرِ، ومعنى^(٥) الآخِرة فى معنى التفريقِ بينَ المرءِ وزوجِهِ.

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ: وَاتَّبَعُوا السَّحَرَ الَّذِي تَتَلَوُ الشَّيَاطِينُ فِي مُلْكِ سَلِيمَانَ، وَالتَّفْرِيقَ^(٦) بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ.

(١) فى م: «إذا».

(٢) فى م: «نها».

(٣) بعده فى الأصل: «منهما».

(٤) الحِرْجُ والحَرَجُ: الإثمُ، والحارجُ: الآثمُ. قال ابن سيدة: أراه على النسب؛ لأنه لا فعل له. اللسان (ح ر ج). وقال الشيخ شاکر عن استعمال الحرج بمعنى الآثم: وأهل اللغة ينكرون ذلك، لا يقال للآثم إلا «الحارج».

(٥) سقط من: م.

(٦) بعده فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «الذى».

ذكر من قال ذلك

٤٥٤/١ / حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَرْوَةَ ﴾ : وهما يعلمان ما يفترقون به بين المرء وزوجه ، وذلك قول الله - ^(١) وقالوا : كفر سليمان ^(٢) - : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ . فكان يقول : أمَّا السحرُ فإنما تُعلمه الشياطين ، وأمَّا الذي يعلمه الملكان فالتفريقُ بين المرء وزوجه ، كما قال الله تعالى ^(٣) .

وقال آخرون : جائز أن تكون « ما » بمعنى « الذي » ، وجائز أن تكون بمعنى « لم » .

[٦٩/٣] ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، وسأله رجل عن قول الله : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَرْوَةَ ﴾ . فقال الرجل : يعلمان الناس ما أنزل عليهما ، أم يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما ؟ قال القاسم : ما أبالي أيتهما كانت ^(٣) .

وحدثني يونس ، قال : حدثني أنس ^(٤) بن عياض ، عن بعض أصحابه ، أن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٩٦ إلى المصنف .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/١٩٨ عن المصنف . وينظر طبقات ابن سعد ٥/١٨٧ .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بشر » . وينظر تهذيب الكمال ٣/٣٤٩ .

القاسم بن محمد سُئل عن قولِ الله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ . فقيل له: أنزل أو لم يُنزل؟ فقال: لا أبالي أي ذلك كان، إلا أني آمنتُ به^(١).

والصوابُ من القولِ في ذلك عندنا قولٌ من وجه « ما » التي في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ . إلى^(٢) معنى « الذي » دونَ معنى « ما » التي هي بمعنى الجحدِ . وإنما اخترتُ ذلك من أجل أن « ما » إن وُجِّهت إلى معنى الجحدِ فتَنَى^(٣) عن الملكين أن يكونا مُنزلًا إليهما، لم^(٤) يخلُ الاسمان اللذان بعدهما - أعنى هاروتَ وماروتَ - من أن يكونا بدلًا منهما وترجمةً عنهما، أو بدلًا من « الناس » في قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ . وترجمةً عنهم^(٥) . فإن جُعِلَا بدلًا من « الملكين » وترجمةً عنهما، بطلَ معنى قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ . لأنهما إذا لم يكونا عالمين بما يُفَرِّقُ به بين المرء وزوجه، فما الذي يُتعلَّمُ منهما مما^(٦) يفرِّقُ بين المرء وزوجه؟

وبعدُ، فإن « ما » التي في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ . إن كانت بمعنى^(٧) الجحدِ عطفًا على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ . فإن الله جلَّ ثناؤه نفَى بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ . عن سليمان أن يكونَ السحرُ من عمله أو من علمه أو تعليمه، فإن كان الذي نفَى عن الملكين من ذلك نظيرَ الذي نفَى عن سليمان

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٨/١ عن المصنف . وينظر طبقات ابن سعد ١٨٧/٥ .

(٢) في ت ١، ت ٢، ت ٣: « التي » .

(٣) في م، ت ١، ت ٣: « فتَنَى » .

(٤) في م: « ولم » .

(٥) في م: « عنهما » .

(٦) في م: « ما » .

(٧) في م: « في معنى » .

منه - وهاروث وماروث هما الملكان - فَمَنْ التَّعَلَّمَ مِنْهُ إِذْنًا مَا يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ؟ وَعَمَّنَ الْخَبِيرِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾؟ إِنَّ خَطَأَ هَذَا الْقَوْلِ لَوَاضِحٌ بَيِّنٌ .

وإن كان قوله: ﴿هَارُوتَ وَمَرْوُتَ﴾ . ترجمة عن «الناس» الذين في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ . فقد وجب أن تكون /الشياطين هي التي تعلم هاروت وماروت السحر، وأن^(١) تكون السحرة إنما تعلمت السحر من هاروت وماروت عن تعليم الشياطين إياهما . فإن يكن ذلك كذلك ، فلن يخلو هاروت وماروث عند قائل^(٢) هذه المقالة من أحد أمرين ؛ إما أن يكونا ملكين ، فإن كانا عندهم^(٣) ملكين ، فقد أوجبوا^(٤) لهما من الكفر بالله والمعصية له - بنسبتهم^(٥) إياهما إلى أنهما يتعلمان من الشياطين السحر^(٦) والكفر^(٦) ويعلمانه الناس ، وإصرارهما على ذلك ومقامهما عليه - أعظم مما ذكر عنهما أنهما أتياه من المعصية التي استحقا عليها العقاب . وفي خبر الله تعالى ذكره عنهما أنهما لا يعلمان [٦٩/٣] أحدا ما يتعلم منهما حتى يقول له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ . ما يُعْنَى عَنِ الْإِكْتَارِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى خَطَأِ هَذَا الْقَوْلِ ، أَوْ أَنَّ يَكُونَا كَانَا^(٧) رجلين من بني آدم ، فإن يكن ذلك كذلك فقد كانا يجب أن يكون بهلاكهما قد

(١) سقط من : م .

(٢) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « قائل » ، وغير واضحة في : ت ١ .

(٣) في م : « عنده » .

(٤) في م : « أوجب » .

(٥) في م : « بنسبته » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

ارتفع السحرُ والعلمُ به والعملُ من بنى آدمَ ؛ لأنه إذا كان علمُ ذلك من قبلهما يُؤخذُ ،
ومنهما يُتعلَّمُ ، فالواجبُ أن يكونَ بهلاكِهما وعدمِ وجودِهما عدمُ السبيلِ إلى
الوصولِ إلى المعنى الذى كان لا يوصلُ إليه إلا بهما . وفى وجودِ السحرِ فى كلِّ
زمانٍ ووقتٍ ، أبيضُ الدلالةِ على فسادِ هذا القولِ . أو ^(١) يزعمُ قائلو ^(٢) ذلك أنهما
رجلان من بنى آدمَ لم يُعدّما من الأرضِ منذُ خُلقتِ الأرضُ ^(٣) ، ولا يُعدّمان ^(٤) ما
وجدَ السحرُ فى الناسِ ، فيدعى ما لا يخفى بطلُوه .

فإذ ^(٥) فسدتْ هذه الوجوهُ التى دللنا على فسادِها ، فيبينُ أن معنى « ما » التى
فى قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ . بمعنى « الذى » وأن هاروتَ وماروتَ
مترجمَ بهما عن « الملائكين » ، ولذلك فُتحت أو اخُرُ أسماءُهما ؛ لأنهما فى موضعِ
خَفَضٍ بالردِّ ^(٦) على « الملائكين » ، ولكنهما لما كانا لا يُجريان ^(٧) فُتحت أو اخُرُ
أسمائُهما .

فإن التَّبَسُّ على ذى غباءٍ ما قلنا ، فقال : وكيف يجوزُ لملائكةِ الله أن تتعلَّمِ الناسُ
التفريقَ بينَ المرءِ وزوجِهِ ؟ أم كيف يجوزُ أن يُضافَ إلى الله إنزالُ ذلك على الملائكةِ ؟
قيل له : إن اللهَ جلَّ ثناؤه عَرَفَ عبادهَ جميعَ ما أمرهم به ، وجميعَ ما نهاهم
عنه ، ثم أمرهم ونهاهم بعدَ العلمِ منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه ، ولو كان الأمرُ

(١) فى م : « وقد » .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قائل » .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بعد » .

(٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « فإذا » .

(٦) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « على الرد » .

(٧) فى م : « يجران » . والإجراء هو الصرف . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٩٨ - ١٠١ .

على غير ذلك ، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم ، فالسحر مما قد نهى عباده من بنى آدم عنه ، فغير منكر أن يكون جل ثناؤه علمه الملكين اللذين سمّاهما في تنزيله ، وجعلهما فتنة لعباده من بنى آدم ، كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه ، وعن السحر ، فيمحص المؤمن بتزكته التعلم منهما ، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر منهما ، ويكون الملكان في تعليمهما من علما ذلك ، لله مطيعين ، إذ كانا عن إذن الله لهما بتعليم ذلك من علماه يُعلمان ، وقد عُبد من دون الله جماعة من أولياء الله ، فلم يكن ذلك لهم ضائرا ، إذ لم يكن ذلك بأمرهم إياهم به ، بل عُبد بعضهم والمعبود عنه ناه ، فكذلك الملكان غير ضائريهما سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما إياه عنه ، وعظيتهما له بقولهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ [٧٠/٣] فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . إذ كانا قد أدّينا ما أمرا به بقليلهما ذلك .

كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن عوف ، عن الحسن في قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . قال : قوله : ﴿ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ^(١) : أخذ عليهما ذلك ^(٢) .

٤٥٦/١ / ذكر بعض الأخبار التي ^(٣) جاءت في شأن الملكين ^(١) وأمرهما ، ومن قال : إن هاروت وماروت هما الملكان اللذان ذكر الله في قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ ^(١) بَابِلَ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٢/١ (١٠١١) من طريق عباد بن منصور ، عن الحسن نحوه مطولا .

(٣ - ٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « في بيان » .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ
 قَتَادَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو شُعْبَةَ الْعَدَوِيُّ فِي جَنَازَةِ يُونُسَ بْنِ جَبْرِ أَبِي غَلَّابٍ، عَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَفْرَجَ السَّمَاءَ لِمَلَائِكَتِهِ يَنْظُرُونَ إِلَى أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ،
 فَلَمَّا أَبْصَرُوهُمْ يَعْمَلُونَ بِالْخَطَايَا، قَالُوا: يَا رَبِّ، هَؤُلَاءِ بَنُو آدَمَ الَّذِي خَلَقْتَ بِيَدِكَ،
 وَأَسَجَدْتَ لَهُ مَلَائِكَتَكَ، وَعَلَّمْتَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، يَعْمَلُونَ بِالْخَطَايَا. قَالَ: أَمَّا
 إِنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ مَكَانَهُمْ لَعَمِلْتُمْ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ. قَالُوا: سَبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا.
 قَالَ: فَأَمَرُوا أَنْ يَخْتَارُوا^(١) «مَلَكِينَ لِيَهْبِطَا» إِلَى الْأَرْضِ. قَالَ: فَاخْتَارُوا هَارُوتَ
 وَمَارُوتَ، فَأَهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ، وَأَجَلَّ لهُمَا مَا فِيهَا مِنْ شَيْءٍ، غَيْرَ الَّذِي شَرِكَا بِاللَّهِ شَيْئًا،
 وَلَا يَسْرِقَا، وَلَا يَزْنِيَا، وَلَا يَشْرَبَا الْخَمْرَ، وَلَا يَقْتُلَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ. قَالَ:
 فَمَا أَشْهَرَا^(٢) حَتَّى عَرَّضَ لهُمَا بِامْرَأَةٍ^(٣) قَدْ قُسِمَ لَهَا نِصْفُ الْحَسَنِ، يُقَالُ لَهَا:
 يَيْدُخْتُ^(٤). فَلَمَّا أَبْصَرَاهَا كَثُرَا^(٥) بِهَا إِزْبَابًا^(٦)، فَقَالَتْ: لَا، إِلَّا أَنْ تُشْرِكَا بِاللَّهِ،
 وَتَشْرَبَا الْخَمْرَ، وَتَقْتُلَا النَّفْسَ، وَتَسْجُدَا لِهَذَا الصَّنَمِ. فَقَالَا: مَا كُنَّا لِنُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا.
 فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ: لَا، إِلَّا أَنْ تُشْرَبَا الْخَمْرَ. فَشْرَبَا حَتَّى
 ثَمَلَا^(٧)، وَدَخَلَ عَلَيْهِمَا سَائِلٌ فَقَتَلَاهُ، فَلَمَّا وَقَعَا فِيهَا وَقَعَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ، أَفْرَجَ اللَّهُ

(١ - ١) فِي م: «مَنْ يَهْبِطُ».

(٢) فِي م، ت ١، ت ٢: «اسْتَمَرَا». وَأَشْهَرُ: أَتَى عَلَيْهِ شَهْرٌ. التَّاجُ (ش ه ر).

(٣) فِي م: «امْرَأَةٌ».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «يَيْدُخْتُ». بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ. وَتَقَالُ بِالْوَجْهِينِ. يَنْظُرُ نَهَايَةَ الْأَرْبِ ٣٩/١.

(٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَفِي م: «أَرَادَا»، وَفِي ت ١، ت ٢، ت ٣: «كُسِرَا». وَكُتِبَ فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ:

«فِي الْأَمِّ: كُسِرَا» وَصَحَّحَهَا.

وَكَثُرَ عَنْ أَسْنَانِهِ إِذَا أَبْدَى، يَكُونُ فِي الضَّحْكِ وَغَيْرِهِ. وَقَدْ كَاشَرَهُ: إِذَا ضَحَكَ فِي وَجْهِهِ وَبِاسْطِطِهِ.

وَالْكَثْرُ ضَرْبٌ مِنَ النِّكَاحِ. التَّاجُ (ك ش ر). وَلَعَلَّهُ كُنِيَ بِذَلِكَ عَنْ إِرَادَةِ الزَّانِ وَالْمُرَاوِدَةِ.

(٦) فِي م: «زَنَا».

(٧) ثَجِلٌ يَثْمَلُ ثَمَلًا: إِذَا سَكَرَ وَأَخَذَ فِيهِ الشَّرَابَ. اللِّسَانُ (ث م ل).

السماءَ للملائكَةِ ، فقالوا : سبحانَكَ كُنْتَ أَنْتَ^(١) . أعلم . قال : فأوحى اللهُ إلى سليمانَ ابنِ داودَ أن يُخَيِّرَهما بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرة ، فاختارا عذابَ الدنيا ، فكُتِبَلا مِن أَكعِبَهما إلى أعناقِهما بمثلِ أعناقِ البُخْتِ^(٢) ، وجُعِلا بيابِلَ^(٣) .

حدَّثنى المثنى بن إبراهيم ، قال : حدَّثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدَّثنا حماد^(٤) ، عن^(٥) علي بن زييد ، عن أبى عثمان النهدي ، [٧٠/٣] عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا : لما كثر بنو آدم وعصوا ، دعت الملائكة عليهم والأرض والسماء والجبال : ربنا "ألا تهلكهم"^(٦) ؟ فأوحى اللهُ إلى الملائكة : إنى لو أنزلت الشهوة والشيطان من قلوبكم ، ولو نزلتم لفعَلْتُم أيضًا . قال : فحدَّثوا أنفسهم أن لو^(٧) ابتلوا اعتصموا . فأوحى اللهُ إليهم أن اختاروا ملكين من أفضلِكُم . فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فأهبطا إلى الأرض ، وأنزلت الزهرة إليهما فى صورة امرأةٍ من أهلِ فارس ، كان أهلُ فارسَ يسمونها بيذخت . قال : فوقعا بالخطيئة ، وكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر : ٧] . فلما وقعا بالخطيئة استغفروا لمن فى الأرض : ﴿ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى : ٥] . فخيَّرا بينَ عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرة ، فاختارا

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) البخت : الإبل الخراسانية . اللسان (ب خ ت) .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠٠/١ إلى المصنف . وإسناده ضعيف لجهالة أبى شعبة العدوى .

(٤) فى م : « حجاج » ، وينظر تفسير ابن كثير ٢٠٠/١ .

(٥) فى الأصل : « بن » .

(٦ - ٦) فى العقوبات لابن أبى الدنيا : « أهلِكهم » ، وفى تفسير ابن كثير : « لا تهلكهم » ، وفى الدر المنثور : « لا تمهلهم » . وكذا فى بعض طبعات ابن كثير كما أشار محققوه .

(٧) سقط من : الأصل ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

عذاب الدنيا^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا الحجاج ، قال : حدَّثنا حمادٌ ، عن خالدِ الحذاءِ ، عن عميرِ^(٢) بنِ سعيدٍ ، قال : سمعتُ عليًّا يقولُ : كانت الزُّهرةُ امرأةً جميلةً من أهلِ فارسَ ، وإنها خاصمتُ إلى الملكينِ هاروتَ وماروتَ ، فراوداها عن نفسها ، فأبتَ عليهما إلا أن يعلمَها الكلامَ الذي إذا تُكلمُ به يُعرجُ به إلى السماءِ ، فعَلماها ، فتكلَّمتُ ، فعرجتُ إلى السماءِ فمسيحتُ كوكبًا^(٣) .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا مؤمِّلُ بنُ إسماعيلَ ، وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، جميعًا عن الثوريِّ ، عن موسى^(٤) بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن كعبٍ ، قال : ذكرتُ الملائكةُ أعمالَ بني آدمَ وما يأتون من الذنوبِ ، فقيل لهم : اختاروا منكم/ اثنين - وقال الحسنُ بنُ يحيى ٤٥٧/١ في حديثه : اختاروا ملكين - فاختاروا هاروتَ وماروتَ ، فقيل لهما : إنى أرسلُ إلى بني آدمَ رُسُلًا ، وليس بيني وبينكما رسولٌ ، انزلا ، لا تُشركا بى شيئًا ، ولا تزنيا ، ولا تشربا الخمرَ . قال كعبٌ : فوالله ما أمسيا من^(٥) يومهما الذي أهبطا فيه إلى الأرضِ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٢١) من طريق حماد بن سلمة به .

(٢) في م : « عمرو » .

(٣) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالمة (٣٨٩٢) - وابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٢٣) ، وأبو الشيخ في العظمة (٧٠٢) ، والحاكم ٢/٢٦٥ من طريق عمير بن سعيد عن علي مطولا ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين . وذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٩/١ عن المصنف ، وقال : وهذا الإسناد رجاله ثقات ، وهو غريب جدا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٧/١ إلى عبد بن حميد .

(٤) في م : « محمد » .

(٥) في الأصل : « في » .

حتى استكملا جميع ما نُهيّا عنه . وقال الحسنُ بنُ يحيى في حديثه : فما استكملا يومهما الذى أنزلا فيه حتى عملا ما حرّم الله عليهما^(١) .

وحدّثني المثني ، قال : ثنا معلى بن أسيد ، قال : ثنا عبد العزيز بن المختار ، عن موسى بن عقبة ، قال : حدّثني سالم ، أنه سمع عبد الله يحدث عن كعب الأحمري ، أنه حدّث أن الملائكة أنكروا أعمال بني آدم وما يأتون في الأرض من المعاصي ، فقال الله لهم : إنكم لو كنتم مكانهم أتيتهم ما يأتون من الذنوب ، فاختروا منكم ملكين . فاختروا هاروت وماروت اختياراً^(٢) ، فقال [٧١/٣] الله لهما : إني أرسلُ رُسلي إلى الناس ، وليس بيني وبينكما رسولٌ ، أنزلا إلى الأرض ، ولا تُشركا بي شيئاً ولا تزنيّا . فقال كعبٌ : والذى نفس كعب بيده ، ما استكملا يومهما الذى نزلا فيه حتى أتيا كلٌّ ما حرّم عليهما .^(٣)

وحدّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ : إنه كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم ، فقبل لهما : إني أعطيتُ بني آدمَ عشرًا من الشهواتِ فيها يعصونني . قال هاروت وماروت : ربّنا لو أعطيتنا تلك الشهواتِ ثم نزلنا ، لحكمتنا بالعدل . فقال لهما : انزلا ، فقد أعطيتكما تلك الشهواتِ العشرَ ، فاحكّما بين الناس . فنزلا بيابل دُباؤند^(٤) ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٠/١ (١٠٠٦) من طريق مؤمل به . وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٥٣/١ ، وابن أبي شيبة ١٣/١٨٦ ، وابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٢٤) ، والبيهقي في الشعب (١٦٤) من طريق الثوري به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٨/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) سقط من : م .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) في م : « ابن » .

(٥) دُباؤند لغة في دُباؤند ، ودُباؤند كورة من كور الرى بينها وبين طبرستان ، ودُباؤند جبل من نواحي =

فكانا^(١) يحكمان ، حتى إذا أَسِيَا عَزَجَا ، فإذا أَصْبَحَا هَبَطَا ، فلم يَزَالَا بِذَلِكَ حَتَّى أَتَتْهُمَا امْرَأَةٌ تَخَاصِمُ زَوْجَهَا ، فَأَعْجَبَهُمَا حَسْنُهَا - وَأَسْمُهَا بِالْعَرَبِيَّةِ الزُّهْرَةُ ، وَأَسْمُهَا^(٢) بِالنَّبَطِيَّةِ يَبْدُخْتُ ، وَأَسْمُهَا بِالْفَارَسِيَّةِ أَنَاهَيْدُ - فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِمُصَاحِبِهِ : إِنَّهَا لَتُعْجِبُنِي . قَالَ الْآخَرُ : قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَذْكَرَكَ ذَلِكَ^(٣) فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْكَ . فَقَالَ الْآخَرُ : هَلْ لَكَ أَنْ أَذْكَرَهَا لِنَفْسِهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَلَكِنْ كَيْفَ لَنَا بِعَذَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ الْآخَرُ : إِنْ نَرَجُو رَحْمَةَ اللَّهِ . فَلَمَّا جَاءَتْ تَخَاصِمُ زَوْجَهَا ذَكَرَا لَهَا^(٤) نَفْسَهَا ، فَقَالَتْ : لَا ، حَتَّى تَقْضِيَا لِي عَلَى زَوْجِي . فَقَضِيَا لَهَا عَلَى زَوْجِهَا ، ثُمَّ وَاعَدْتُهُمَا خَرِبَةً مِنَ الْخَرِبِ يَأْتِيَانَهَا فِيهَا ، فَأَتِيَاهَا لِذَلِكَ ، فَلَمَّا أَرَادَ الَّذِي يَواقِعُهَا ، قَالَتْ : مَا أَنَا بِالَّذِي أَفْعَلُ حَتَّى تَخْبِرَانِي بِأَيِّ كَلَامٍ تَصْعَدَانِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَبِأَيِّ كَلَامٍ تَنْزِلَانِ مِنْهَا . فَأَخْبَرَاهَا فَتَكَلَّمَتْ فَصَعِدَتْ ، فَأَنَسَاهَا اللَّهُ مَا تَنْزَلُ بِهِ ، فَبَقِيَتْ مَكَانَهَا ، وَجَعَلَهَا اللَّهُ كَوْكَبًا - فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ عَمَرَ كَلِمًا رَأَاهَا لَعْنَهَا وَقَالَ : هَذِهِ الَّتِي فَتَنَتْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ - فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَرَادَا أَنْ يَصْعَدَا فَلَمْ يُطِيقَا^(٥) ، فَعَرَفَا الْهَلِكَةَ^(٦) ، فَخُيِّرَا^(٧) عَذَابَ الدُّنْيَا مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ ، فَاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنْيَا^(٨) ، فَعَلَّقَا بِبَابِلَ ، وَجَعَلَا يَكَلِّمَانِ النَّاسَ كَلَامَهُمَا ، وَهُوَ السَّحْرُ^(٩) .

وَحَدَّثَنِي الْمُتَنَبِّيُّ ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : لَمَّا وَقَعَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِ آدَمَ فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ ، قَالَتْ

= الرى . معجم البلدان ٢ / ٥٤٤ ، ٦٠٦ .

(١) فى الأصل : « فكانا » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إليها » .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يستطيعا » .

(٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ : « الهلك » .

(٦ - ٦) فى م : « بين عذاب الدنيا و » .

(٧) بعده فى م : « من عذاب الآخرة » .

(٨) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١ / ٢٠٢ .

الملائكة في السماء: أي رب، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك وطاعتك، وقد ركبوا الكفر، وقتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر. فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم، فقبل لهم: إنهم في غيب. فلم يعذروهم، فقبل لهم: اختاروا منكم ملكين أمرهما بأمرى، وأنهاهما عن معصيتي. فاختاروا هاروت وماروت، فأهبطا إلى الأرض، وجعل لهما^(١) شهوات بني آدم، وأمرا [٧١/٣] أن يعبدوا الله، وألا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، فليثا في الأرض على ذلك زمانا يحكمان بين الناس بالحق - وذلك في زمان إدريس - وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر النساء^(٢) كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وأنها أتت عليهما، فخضعتا لها بالقول، وأرادها على نفسها، وأنها أثبت إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأنها سألاها عن دينها الذي^(٣) هي عليه، فأخرجت لهما صنما، فقالت: هذا أعبد. فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا. فذهبا فصبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها فخضعتا لها بالقول، وأرادها على نفسها، فقالت: لا، إلا أن تكونا على ما أنا عليه. فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا. فلما رأتا أنهما قد^(٤) أتيا أن يعبدوا الصنم، قالت لهما: اختارا إحدى الخلال الثلاث؛ إما أن تعبدوا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذه^(٥) الخمر. فقالا: كل هذا لا ينبغي، وأهون الثلاث شرب الخمر. فسقتهما الخمر حتى إذا^(٦) أخذت الخمر فيهما^(٦)، وقعا بها، فمر بهما إنسان وهما في ذلك، فخشيا أن يفشي عليهما

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، والدر المنثور: «بهما».

(٢) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، والدر المنثور: «الناس».

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «التي».

(٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) بعده في الأصل: «وأنها».

فقتلاه ، فلما أن ذهب عنهما السكرُ ، عرفا ما قد^(١) وقعا فيه من الخطيئة ، وأرادا أن يصعدا إلى السماء فلم يستطيعا ، فجيل بينهما وبين ذلك ، وكُشِفَ الغطاءُ فيما^(٢) بينهما وبين أهل السماء ، فنظرت الملائكةُ إلى ما قد^(١) وقعا فيه من الذنبِ ، فعجبوا كلَّ العجبِ ، و^(٣) عرفوا أنه^(٣) من كان في عَيْبٍ فهو أقلُّ خشيةً^(٤) ، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض . وإنهما لما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة ، قيل لهما : اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة . فقالا : أمَّا عذاب الدنيا فإنه ينقطع^(٥) ويذهب^(٥) ، وأمَّا عذاب الآخرة فلا انقطاع له . فاختارا عذاب الدنيا ، فجُعِلَا يبابِلَ ، فهما يعدَّبان^(٦) .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنا فرجُ بنُ فضالةَ ، عن معاويةَ ابنِ صالح ، عن نافع ، قال : سافرتُ مع ابنِ عمرَ ، فلما كان من آخرِ الليلِ ، قال : يا نافعُ ، انظُرْ ، طلعتِ الحمراء؟^(٧) قلتُ : لا^(٧) . مرتين أو ثلاثاً ، ثم قلتُ : قد طلعت . قال : لا مرحباً بها^(٨) ولا أهلاً . قلتُ : سبحانَ الله ، نجمٌ مسخَّرٌ سامعٌ مطيعٌ ! قال : ما قلتُ لك إلا ما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ - أو^(٩) قال : قال لي^(١٠) رسولُ الله ﷺ - :

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) في م : « علموا أن » .

(٤) في م : « غشية » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٠/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٨٩/١ (١٠٠٥) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن قيس بن عباد ، عن ابن عباس قوله ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠١/١ عن ابن أبي حاتم ، وقال : رواه الحاكم في مستدركه مطولاً عن ... أبي جعفر الرازي به ، ثم قال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فهذا أقرب ما روى في شأن الزهرة ، والله أعلم .

(٧ - ٧) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قالها » .

(٨) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٩) في م : « و » .

(١٠) سقط من الأصل .

« إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ : يَا رَبُّ ، كَيْفَ صَبَرْنَا عَلَى بَنِي آدَمَ فِي الْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ ؟ قَالَ : إِنِّي ابْتَلَيْتُهُمْ وَعَاقَيْتُكُمْ . قَالُوا : لَوْ كُنَّا مَكَانَهُمْ مَا عَصَيْنَاكَ . قَالَ : فَاخْتَارُوا مَلَائِكِينَ مِنْكُمْ » . قَالَ : « فَلَمْ يَأْلُوا أَنْ يَخْتَارُوا ، فَاخْتَارُوا هَارُوتَ وَمَارُوتَ »^(١) .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبلى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : أمَّا شأنُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ، فإن [٧٢/٣] الملائكة عَجِبَتْ من ظلم بني آدَمَ ، وقد جاءَتْهم الرسلُ والكتبُ والبيناتُ ، فقال لهم ربُّهم : اختاروا منكم مَلَائِكِينَ أَنْزِلْهُمَا يَحْكُمَانِ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ بَنِي آدَمَ . فَاخْتَارُوا - " فَلَمْ يَأْلُوا " - هَارُوتَ وَمَارُوتَ . فقال لهما حينَ أَنْزَلْهُمَا : أَعْجَبْتُمَا مِن بَنِي آدَمَ وَمِن ظَلَمِهِمْ وَمَعْصِيَتِهِمْ ، وَإِنَّمَا تَأْتِيهِمُ الرسلُ والكتبُ مِن وِراءِ وِراءِ ؟! وَأَنْتُمَا لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا رِسُولٌ ، فَافْعَلَا كَذَا وَكَذَا ، وَدَعَا كَذَا وَكَذَا . فَأَمَرَهُمَا بِأَمْرٍ وَنَهَاهُمَا ، ثُمَّ نَزَلَ عَلَى ذَلِكَ ، لَيْسَ أَحَدٌ أَطْوَعَ لِلَّهِ مِنْهُمَا ، فَحَكَّمَا فَعَدَلَا ، فَكَانَا يَحْكُمَانِ النَّهَارَ بَيْنَ بَنِي آدَمَ ، فَإِذَا أَمْسَىا عَزَجَا وَكَانَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ ، وَيَنْزِلَانِ حِينَ يَصْبِحَانِ فَيَحْكُمَانِ فَيَعْدِلَانِ ، حَتَّى أَنْزَلَتْ عَلَيْهِمَا الزُّهْرَةَ ٤٥٩/١ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ امْرَأَةٍ / تَخَاصِمُ ، فَقَضَيَا عَلَيْهَا ، فَلَمَّا قَامَتْ وَجَدَتْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي نَفْسِهِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : وَجَدْتُ مِثْلَ مَا وَجَدْتُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَبَعَثْنَا إِلَيْهَا : أَنْ ائْتِينَا نَقْضِ لَكَ . فَلَمَّا رَجَعَتْ ، قَالَا لَهَا - وَقَضَيَا لَهَا - : ائْتِينَا . فَاتَتْهُمَا ، فَتَكشَّفَا لَهَا عَنْ عَوْرَتَيْهَا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ شَهْوَتُهُمَا فِي أَنْفُسِهِمَا ، وَلَمْ يَكُونَا كِبْنِي آدَمَ فِي شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَلَدَّتِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَا ذَلِكَ وَاسْتَحَلَّاهُ وَافْتَتِنَا ، طَارَتِ الزُّهْرَةُ فَرَجَعَتْ حَيْثُ كَانَتْ ، فَلَمَّا

(١) أخرجه سنيد - كما في الدر المنثور ٩٧/١ - ومن طريقه الخطيب ٤٢/٨ ، وابن الجوزي في الموضوعات ١٨٦/١ ، والذهبي في الميزان ٢٣٦/٢ . وذكره ابن كثير في تفسيره ١٩٩/١ عن المصنف ، وقال : غريب جدا ، وأقرب ما في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لا عن النبي ﷺ وينظر تفسير ابن كثير ١٩٨/١ - ٢٠٠ ، والدر المنثور ٩٧/١ ، ٩٨ ، والضعيفة (٩١٢) .

أَمْسِيَا عَرَجًا فُرَجْرًا^(١) فلم يؤذُنْ لهما ، ولم تحمِلْهُمَا أَجْنِحَتُهُمَا ، فاستغاثا برجلٍ من بنى آدمَ ، فَأَتِيَاهُ فَقَالَا : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ . فقال : كيف يشقُّ أهلُ الأرضِ لأهلِ السماءِ ؟ قالَا : سَمِعْنَا رَبَّكَ يذُكُرُكَ بخيرٍ فى السماءِ . فوعدهما يوماً ووعداً^(٢) ؛ يدعو لهما ، فدعا لهما فاستُجيبَ له ، فخيِّرا بين عذابِ الدنيا وعذابِ الآخرة ، فنظَرَ أحدهما إلى صاحبه^(٣) فقال : ألا تعلم^(٤) أن أفواج^(٥) عذابِ اللهِ فى الآخرةِ كذا وكذا فى الخلدِ^(٦) ، ومع الدنيا سبع^(٧) مراتٍ مثلها . فأَمِرا أن ينزِلا بيبابِلَ ، فثَمَّ عذابُهُما ، وزُعِمَ أنهما معلَّقانِ فى الحديدِ مطوَّيانِ ؛ يصطَفِقانِ^(٨) بأجْنِحَتَيْهِمَا^(٩) .

قال أبو جعفرٍ : وحكى عن بعضِ القراءةِ أنه كان يقرأُ ذلكَ : (وما أنزلَ على المَلِكِينَ) . يعنى به : رجلينِ من بنى آدمَ^(٩) .

(١) فى م : « فردا » ، وفى ت ١ : « فرجما » ، وفى ت ٢ : « فرجوا » .

(٢) فى م : « ووعدا » .

(٣ - ٣) فى م : « فقلا نعلم » .

(٤) فى م : « أنواع » .

(٥) بعده فى الأصل : « نعم » . وعليها استشكال .

(٦) فى تفسير ابن كثير : « تسع » .

(٧) فى تفسير ابن كثير : « يصفقان » . واصطفق القوم : اضطربوا . اللسان (ص ف ق) .

(٨) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٧٠٤) من طريق أبى حذيفة به مختصراً . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٢/١ (١٠٠٩) من طريق ابن جريج ، عن مجاهد مختصراً . وذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٠٣/١ كاملاً ثم قال : وقد روى فى قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين ، كمجاهد والسدى والحسن و... وغيرهم ، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين ، وحاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل ، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٩) قرأها كذلك ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلى والضحاك وابن أبى ، وهى قراءة شاذة . المحتسب

١٠٠/١ ، والبحر المحيط ٣٢٩/١ . وأخرج قراءة ابن أبى والضحاك ابن أبى حاتم فى تفسيره (١٠٠٠) ،

وقد دَلَّلْنَا على خطأ القراءة بذلك من جهة الاستدلال^(١) ، فأما من جهة النقل ، فإجماع الحجة على خطأ القراءة بها من الصحابة والتابعين وقرأة الأمصار . وكفى بذلك شاهداً على خطئها .

وأما قوله : ﴿ بِبَابِلَ ﴾ . فإنه اسم قرية أو موضع من مواضع الأرض .

وقد اختلف أهل التأويل فيها ؛ فقال بعضهم : إنها ببابل دُنبَاوَنَدَ .

حدَّثني بذلك موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي^(٢) .

وقال بعضهم : بل ذلك ببابل العراق .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة في قصة [٧٢/٣] ذَكَرْتَهَا عن امرأة قَدِمَتْ المدينة ، فذَكَرَتْ أنها صارت بالعراق ببابل ، فأَتَتْ بها هاروتَ وماروتَ ، فتعلَّمتَ منهما السحر^(٣) .

واختلف في معنى السحر ؛ فقال بعضهم : هو خُدْعٌ ومَخَارِيقٌ ومعانٍ يَفْعَلُهُ الساحرُ ، حتى يُخَيَّلَ إلى المسحورِ الشيءَ أنه بخلافِ ما هو به ، نظيرَ الذي يرى الشرابَ من بعيدٍ ، فيُخَيَّلُ إليه أنه ماءٌ ، ويرى الشيءَ من بعيدٍ^(٤) فيه ، فيتبيَّه^(٥) بخلافِ ما هو به^(٥) على حقيقته ، وكرابِ السفينةِ السائرةِ سيرًا حثيثًا يُخَيَّلُ إليه أن ما عين من

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(٢) تقدم تخريجه في ص ٣٤٥ .

(٣) سيأتي تخريجه في ص ٣٥٣ .

(٤ - ٤) في م : « فيبته » .

(٥) سقط من : م .

الأشجار والجبال سائرٌ معه . قالوا : فكذلك المسحورُ ، ذلك صفتهُ ، يحسبُ بعدَ الذي وصل إليه من سحرِ الساحرِ أن الذي يراه أو يفعله بخلافِ الذي هو به على حقيقته . كالذي حدَّثني أحمدُ بنُ الوليدِ وسفيانُ بنُ وكيع ، قالوا : ثنا يحيى بنُ سعيد ، عن هشامِ بنِ عروة ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أن النبي ﷺ لما سُحِر ، كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشيءَ ولم يفعله^(١) .

وحدَّثنا ابنُ وكيع ، قال : ثنا ابنُ نمير ، عن هشامِ بنِ عروة ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : سحر / رسولُ اللهِ ﷺ يهوديٌّ من يهودِ بنى زُرَيْقٍ ، يقالُ له : لبيدُ ابنُ الأعصمِ . حتى كان رسولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إليه أنه يفعلُ الشيءَ وما يفعله^(٢) .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : أخبرني يونسُ ، عن ابنِ شهاب ، قال : كان عروَةُ بنُ الزبيرِ وسعيدُ بنُ المسيَّبِ يحدثان أن يهودَ بنى زُرَيْقٍ عقدوا عَقْدَ سِحْرِ لرسولِ اللهِ ﷺ ، فجعلوها في بئرِ حِزْمِ^(٣) ، حتى كان رسولُ اللهِ ﷺ يُنَكِرُ^(٤) بصره ، ودلَّهُ اللهُ على ما صنعوا ، فأرسل رسولُ اللهِ ﷺ إلى بئرِ حِزْمِ التي فيها العَقْدُ فانتزَعها ، فكان رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ : « سحرْتنى يهودُ بنى زُرَيْقٍ »^(٥) .

(١) أخرجه أحمد ٥٠/٦ (٢٤٢٨٣) ، والبخارى (٣١٧٥) من طريق يحيى بن سعيد به . وأخرجه أحمد ٦٣/٦ (٢٤٣٩٣) ، والبخارى (٣٢٦٨) ، ومسلم (٢١٨٩) ، وغيرهم من طرق عن هشام به .
(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٩) من طريق ابن نمير به .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « حزم » بالزاي ، وفي صحيح مسلم : « بَرْدَى أروان » . قال الإمام النووي في شرح مسلم ١٧٧/١٤ : هكذا هو في جميع نسخ مسلم : ذى أروان . وكذا وقع في بعض روايات البخارى ، وفي معظمها : « ذروان » . وكلاهما صحيح ، والأول أجود وأصح ، وادعى ابن قتيبة أنه الصواب ، وهو قول الأصمعي ، وهي بئر بالمدينة في بستان بنى زريق .

(٤) في جامع معمر : « بغض » .

(٥) أخرجه معمر في جامعه (١٩٧٦٤) عن ابن شهاب به ، ولم يذكر اسم البئر . وأخرجه ابن سعد ١٩٨/٢ من طريق ابن شهاب به ، مقتصرًا على آخره .

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون الساحرُ يَقْدِرُ بسحره على قلبِ شيءٍ عن حقيقته، أو ^(١) «أستسخر» ^(٢) شيءٍ من خلقِ الله إلا نظيرَ الذي يَقْدِرُ عليه من ذلك سائرُ بني آدم، أو إنشاءِ شيءٍ من الأجسامِ سوى المخاريقِ والخُدَعِ المتخيَّلةِ لأبصارِ الناظرين، بخلافِ حقائقها التي وصفنا. وقالوا: لو كان في وَسعِ السحرةِ إنشاءُ الأجسامِ، وقلبُ حقائقِ الأعيانِ عما هي به من الهيئاتِ، لم يكن بينِ الباطلِ والحقِّ فصلٌ ^(٣)، ولجاز أن تكونَ جميعُ المحسَّاتِ ^(٤) مما سحرته السحرةُ فقلبت أعيانها. قالوا: وفي وصفِ الله جلَّ وعزَّ سحرَ ^(٥) سحرةِ فرعونَ بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ سَعَوْا﴾ [طه: ٦٦]. وفي خبرِ عائشةَ عن رسولِ الله ﷺ أنه كان إذْ ^(٦) سُحِرَ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وهو لا يفعله - أوضح الدلالةَ على بُطُولِ دَعْوَى المدَّعين - أن الساحرَ يُنشِئُ أعيانَ الأشياءِ بسحره، ويستسخرُ ما يتعدَّدُ استِسخارُه على غيره من بني آدم، كالمواتِ والجمادِ والحيوانِ - وصحة ما قلنا.

وقال آخرون: قد يَقْدِرُ الساحرُ بسحره أن يحوِّلَ الإنسانَ حمارًا، وأن يَسْحَرَ

= وقال الحافظ في الفتح ١٠/٢٢٦، ٢٢٧: قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها... وهذا كله مردود؛ لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شهادات بتصديقه، فتجوز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر، كالأمراض... وعقد القاضي عياض في هذا البحث فصلاً جيداً في الشفا ٢/٨٦٥ وما بعدها.

(١) في م: «و».

(٢) في ت ١، ت ٢، ت ٣: «استحسان».

(٣) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فضل».

(٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «المحسوسات».

(٥) سقط من: م.

(٦) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «إذا».

(١) الحيوانَ والجمادَ ، وينشئُ أعيانًا وأجسامًا .

واعتلُّوا في ذلك بما حدَّثنا به الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني ابنُ أبي الزنادِ ، قال : حدَّثني هشامُ بنُ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنها قالت : قدِمتُ على امرأةٍ من أهلِ دومةِ الجندلِ (٢) ، جاءت تبتغي رسولَ اللهِ ﷺ بعدَ موته (٣) حدَّائهُ ذلك ، تسألُهُ عن شيءٍ دخَلت فيه من أمرِ السحرِ ولم تعملْ به . قالت عائشةُ لعروةَ : يا بنَ أختي ، فرأيتهَا تبكي حينَ لم تجدْ رسولَ اللهِ ﷺ فيشفيها ، كانت تبكي حتى إنني لأرحمها ، وتقولُ : إنني لأخافُ أن أكونَ قد هلكْتُ ، كان لى زوجٍ فغاب عني ، فدخَلتُ على عَجوزٍ فشكَّوتُ ذلكَ إليها ، فقالت : إن فعلتِ ما أمركِ به ، فأجعلهُ يأتيك . فلما كان الليلُ جاءتني بكلِّبينِ أسودينِ ، فركبتُ أحدهما وركبتُ الآخرَ ، فلم يكنْ كشيءٍ (٤) حتى وقفنا بيبابِ ، فإذا برجلينِ [٧٣/٣] معلقينِ بأرجلِهما ، فقالا : ما جاء بك ؟ فقلتُ : أتعلِّمُ السحرَ . فقالا : إنما نحنُ فتنَةٌ ، فلا تكفُرى وارجعى . فأبيتُ ، وقلتُ : لا . قال : فاذهبي إلى ذلك التَّنورِ فبولي فيه . / فذهبتُ ففرعتُ فلم أفعلُ ، فرجعتُ إليهما ، فقالا : ٤٦١/١ أفعلتِ ؟ فقلتُ : نعم . قال : فهل رأيتِ شيئًا ؟ قلتُ : لم أرَ شيئًا . فقالا : لم تفعلِي ، ارجعى إلى بلادِك ولا تكفُرى . (٥) فأزبيتُ وأبيتُ (٥) ، فقالا : اذهبي إلى ذلك التَّنورِ فبولي فيه . فذهبتُ فاقتعرتُ وخفتُ ، ثم رجعتُ إليهما فقلتُ : قد فعلتُ .

(١ - ١) في م : « الإنسان والجماد » .

(٢) دومة الجندل : هي ما بين برك النمامد ومكة . معجم ما استمعتم ٥٦٤ / ٢ .

(٣) بعده في الأصل : « في » .

(٤) هذه اللفظة ليست عند ابن أبي حاتم ، حيث أورده مختصرًا ، وفي المستدرک : « مكشي » ، وفي سنن البيهقي : « كثير » .

(٥ - ٥) في م : « فأبيت » . وأرب فلان بالمكان : إذا أقام به فلم يرحه . التاج (ر ب ب) .

(تفسیر الطبری ٢٣ / ٢)

فقالا : فما رأيتِ ؟ فقلتُ : لم أَرِ شيئًا . فقالا : كذبتِ لم تفعلِي ، ارجعي إلى بلادِك ولا تكفُري ، فإنك على رأسِ أمرِك^(١) . فأزبِيتُ وأبيتُ ، فقالا : اذهبي إلى ذلك الثورِ فبولِي فيه . فذهبتُ إليه فبثلتُ فيه ، فرأيتُ فارسًا مُتقنًا بحديدٍ خرج منه^(٢) حتى ذهبَ في^(٣) السماءِ ، وغابَ عني حتى ما أراه . فجنثُهما فقلتُ : قد فعلتُ . فقالا : فما رأيتِ ؟ فقلتُ : رأيتُ^(٤) فارسًا مُتقنًا خرج منه^(٥) ، فذهبَ في السماءِ حتى ما أراه . فقالا : صدقتِ ، ذلك إيمانُك خرج منك ، اذهبي . فقلتُ للمرأة : واللّه ما أعلمُ شيئًا ، وما قالَا لي شيئًا . فقالت : بلي ، لن تريدي شيئًا إلا كان ، خُذِي هذا القمحَ فابذُري . فبذرتُ ، فقلتُ : أطلعي . فأطلعتُ ، وقلت : أحقلي . فأحقلتُ ، ثم قلت : «أفركي . فأفركتُ»^(٦) ، ثم قلت : أيسى . فأيسستُ ، ثم قلت : أطلجني . فأطلجنتُ ، ثم قلتُ : أخبزي . فأخبزتُ . فلما رأيتُ أني لا أريدُ شيئًا إلا كان ، سقطَ في يدي ونديمُ ، واللّه يا أمَّ المؤمنين^(٧) ما فعلتُ شيئًا قطُّ ولا أفعلهُ أبدًا^(٨) .

فقال أهلُ هذه المقالةِ بما وصفنا ، واعتلوا بما ذكرنا ، وقالوا : لولا أن الساحرَ يقدرُ على فعلٍ ما ادّعى أنه يقدرُ على فعله ، ما قدر أن يفرقَ بينَ المرءِ وزوجِهِ . قالوا : وقد أخبرَ اللّهُ تعالى ذكره عنهم أنهم يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بينَ المرءِ

(١) أي في أوله . التاج (رأس) .

(٢) في م ، ومصادر التخريج : « منى » . وقولها : « منه » . أي من البول .

(٣) في الأصل : « إلى » .

(٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥ - ٥) في المستدرک : « أفرخي فأفرخت » .

(٦) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « واللّه » .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٤/١ (١٠٢٢) ، والحاكم ١٥٥/٤ ، والبيهقي ١٣٦/٨ من طريق الربيع بن سليمان به مطولاً ومختصراً . وقال الحاكم : صحيح الإسناد . وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٣/١ ، ٢٠٤ عن المصنف ، وقال : أثر غريب ، وسياق عجيب . وقال أيضاً : ٢٠٥/١ : هذا إسناد جيد إلى عائشة .

وزوجه ، وذلك لو كان على غير الحقيقة ، وكان على وجه التخييل والحسبان ، لم يكن تفريقاً على صحة ، وقد أخبر الله تعالى ذكره عنهم أنهم يفرقون على صحة .
وقال آخرون : بل السحرُ أخذ بالعين .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

وتأويل ذلك : وما يعلمُ الملكان من أحدٍ من الناس الذي أنزل عليهما من التفريق بين المرء وزوجه ، حتى يقولوا له : إنما نحن بلاءٌ وفتنةٌ لبنى آدم ، فلا تكفروا برؤك .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : إذا أتاهما - يعنى هاروت وماروت - إنسانٌ يريدُ السحرَ ، وعظاه وقال له : لا تكفروا ، إنما نحن فتنةٌ . فإذا أتى ، قال له : ائت هذا الرمادَ فبئله [٧٣/٣] عليه . فإذا بال عليه خرج منه نورٌ يسطع حتى يدخل السماء ، وذلك الإيمان ، وأقبل^(١) شيءٌ أسودٌ كهيةِ الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيءٍ منه ، فذلك غضبُ الله ، فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر ، فذلك قولُ الله : ﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ الآية^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة والحسين : ﴿ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ . قال : أخذ عليهما ألا يعلما أحداً حتى يقولوا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾^(٣) .

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قيل » .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٦/١ عن السدي .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٣/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٢/١

(١٠١١ ، ١٠١٢) من طريق عباد بن منصور عن الحسن ، وأبي جعفر عن قتادة .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قَالَ :
 قَالَ قَتَادَةُ : كَانَ يَعْلمَانِ النَّاسَ السَّحْرَ ، فَأَخَذَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يَعْلَمَا أَحَدًا حَتَّى يَقُولَا :
 ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ^(١) .

٤٦٢/١ / حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن معمرٍ ، قال : قال
 غيرُ قَتَادَةَ : أَخَذَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يَعْلَمَا أَحَدًا حَتَّى يَتَقَدَّمَا إِلَيْهِ فَيَقُولَا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ
 فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ قَالَ : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : أَخَذَ
 عَلَيْهِمَا أَنْ يَقُولَا ذَلِكَ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الحسينُ ، قال : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال :
 أَخَذَ المِثَاقَ عَلَيْهِمَا أَلَّا يَعْلَمَا أَحَدًا حَتَّى يَقُولَا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ : لا
 يَجْتَرِئُ عَلَى السَّحْرِ إِلَّا كَافِرٌ ^(٢) .

وأما « الفتنة » في هذا الموضع ، فإن معناها الاختبار والابتلاء ، من ذلك قول
 الشاعر ^(٣) :

« وقد فُتِنَ الناسُ في دينهم وخَلَّى ابنُ عَقَّانَ شَرًّا طَوِيلًا

(١) تقدم تخريجه في ص ٣٣٣ .

(٢) ذكر آخره ابن كثير في تفسيره ٢٠٦/١ عن الحسين به .

(٣) نسبة المصنف في تاريخه ٤٢٦/٤ إلى الحباب بن يزيد المجاشعي عم الفرزدق . وفي الاستيعاب ٤١٢/١ ،
 والإصابة ٢/٢٩ : الحنات بن يزيد ، وفي الإصابة : زيد . ونسبه ابن قتيبة في معجم الشعراء ص ٢٤٠ ، والمبرد
 في الكامل ٣/٢٩ ، وابن حجر في الإصابة ٥/٦٣٧ ، إلى ابن الغريرة - وفي الكامل : الغريرة - النهشلي ،
 وذكر الخلاف في ذلك في الإصابة ٦/٢٢٨ فقال : وقال علي بن الغدير بن المضرس الغنوي ،
 ويقال : إهاب بن ويقال : ابن الغريرة النهشلي .

(٤) - ٤ - (٤) رزاق بن ... : « وقد فُتِنَ » .

ومنه يقال : فتنْتُ الذهبَ في النارِ - إذا امتحنتها لتعرفَ جودَتَها من رداءَتِها -
أفنتُها^(١) فتنَّةً وفتونا .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِنَّمَا
نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ . أى : بلاءٌ^(٢) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ .
وقوله جل ثناؤه : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ عن المتعلمين من الملكين
ما أنزل عليهما ، وليس بجوابٍ لقوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ . بل هو خبرٌ
مستأنفٌ ، فلذلك رفعٌ فقيلاً : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . فمعنى الكلام إذن : وما يعلمان من
أحدٍ حتى يقولوا : إنما نحنُ فتنَّةٌ . فيأبون قبولَ ذلك منهما ، فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرءِ وزوجِهِ .

وقد قيل : إن قوله : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ ﴾ . خبرٌ عن اليهودِ معطوفٌ على قوله :
﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ
هَلْرُوتَ وَمَرْوَتَ ﴾ - ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾
وجعلوا ذلك من المؤخرِ الذى معناه التقديمُ .

والذى قلنا أشبهه بتأويلِ الآية ؛ لأن إلحاقَ ذلك بالذى يليه من الكلامِ ، ما كان
للتأويلِ وجهٌ صحيحٌ ، أولى من إلحاقِهِ بما قد جيل بينه وبينه من معترضِ الكلامِ .
والهاءُ والميمُ والألفُ [٧٤/٣] من قوله : ﴿ مِنْهُمَا ﴾ . من ذكرِ الملكين .
ومعنى ذلك : فيتعلمُ الناسُ من الملكين الذى يفرقون به بين المرءِ وزوجِهِ .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ٢ : « أفنته » . وقوله : « أفنتها » . يريد القطعة من الذهب . كقوله : « امتحنتها ... » .

(٢) قوله السوطى من الدر المنثور ١/١٠٣ إلى المغرب . وأخرجه ابن أبى عمير فى تفسيره ١/١٩٢ (١٠١٢)

و ﴿ مَا ﴾ التي مع ﴿ يُفَرِّقُونَ ﴾ بمعنى الذي . وقيل : إن ^(١) معنى ذلك : السحر الذي يفرقون به . وقيل : هو معنى غير السحر . وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك فيما مضى قبل ^(٢) .

وأما « المرء » ؛ فإنه بمعنى رجل ، من أسماء بني آدم ، والأنثى منه المرأة . يوحد ويثنى ، ولا يجمع ثلاثته ^(٣) على صورته ، يقال منه : هذا امرؤ صالح ، وهذان امرآن صالحان . ولا يقال : هؤلاء امرؤو صدي . ولكن يقال : هؤلاء رجال صدي ، وقوم صدي . وكذلك المرأة تُوحَد وتُثنى ، ولا تُجمع على صورتها ، يقال : هذه امرأة ، وهاتان امرأتان . ولا يقال : هؤلاء امرآت . ولكن : هؤلاء نسوة .

وأما « الزوج » ، فإن أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل : هي زوجته . بمنزلة الزوج الذكر ، ومن ذلك قول الله تعالى ذكره : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون : هي زوجته ^(٤) .

قال الشاعر ^(٥) :

فإن ^(٦) الذي يمشي يُحرَّشُ ^(٧) زَوْجَتِي كماش إلى أشدِّ الشرى ^(٨) يشتبيلها ^(٩)

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ثلاثيه » .

(٤) بعده في م : « كما » .

(٥) هو الفرزدق ، والبيت في شرح ديوانه ص ٦٠٥ .

(٦ - ٦) في شرح الديوان : « امرأ يسعى يخيب » .

(٧) حرش بينهم : أفسد وأغرى بعضهم ببعض . التاج (ح ر ش) .

(٨) الشرى : موضع تنسب إليه الأسد ، قال بعضهم : شرى موضع بعينه تأوى إليه الأسد ، وقيل : هو شرى

الفرات وناحيته ، وبه غياض وأجام ومأسدة . اللسان (ش ر ي) .

(٩) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يستبيلها » . والمراد يأخذ بولها في يده . اللسان (ب و ل) .

٤٦٣/١

/ فإن قال قائلٌ : وكيف يفرِّقُ الساحرُ بينَ المرءِ وزوجِهِ ؟

قيل : قد دللنا فيما مضى على أن معنى السحرِ تخييلُ الشيءِ إلى المرءِ بخلافِ ما هو به في عينه وحقيقته ، بما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه ^(١) . فإذا كان ذلك صحيحًا بالذي عليه استشهدنا ، فتفريقه بينَ المرءِ وزوجِهِ ، تخييله بسحرِهِ إلى كلِّ واحدٍ منهما شخصَ الآخرِ على خلافِ ما هو به في حقيقته من حسنٍ وجمالٍ ، حتى يقبَّحه عنده ، فينصرفَ بوجهه ويعرضَ عنه ، حتى يحدثَ الزوجُ لامرأته فراقًا . فيكونُ الساحرُ مفرِّقًا بينهما بإحداثِهِ السببَ الذي كان عنه ^(٢) فُرْقَةٌ ما بينهما . وقد دللنا في غيرِ موضعٍ من كتابنا هذا على أن العربَ تضيفُ الشيءَ إلى مُسبِّبه من أجلِ تَسْيِيبِهِ ^(٣) ، وإن لم يكنْ باشرَ فعلَ ما حدثَ عن السببِ ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضعِ ^(٤) . فكذلكَ تفريقُ الساحرِ بسحرِهِ بينَ الزوجينِ ^(٥) .

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك قاله عددٌ من أهلِ التأويلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ : وتفريقهما أن يؤخذ ^(٦)

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٥٠ وما بعدها .

(٢) في م : « منه » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تسببه » .

(٤) ينظر ما تقدم في ١/١٩٨ ، ١٩٩ .

(٥) في م : « المرء وزوجه » .

(٦) التأخيد : أن تحتال المرأة بحيل في منع زوجها عن جماع غيرها وذلك نوع من السحر . اللسان

(أ خ ذ) .

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ ، وَيُغَضُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ ^(١) .
 وَأَمَّا الَّذِينَ نَفَوْا ^(٢) أَنْ يَكُونَ الْمَلِكَانَ يَعْلَمَانِ النَّاسَ التَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ،
 فَإِنَّهُمْ وَجَّهُوا تَأْوِيلَ قَوْلِهِ : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ . إِلَى : فَيَتَعَلَّمُونَ مَكَانَ مَا عَلَّمَاهُمْ
 مَا يَفْرُقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : لَيْتَ لَنَا ^(٣) مِنْ كَذَا ، كَذَا وَكَذَا ^(٤)
 كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٥) :

جَمَعْتَ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَا وَعُلبَةٌ ^(٥) وَصَرًّا لِأَخْلَافِ ^(٦) الْمَرْمَمَةِ ^(٧) الْبِزْلِ ^(٨)
 وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَمِيمَةٌ وَسَعْيًا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَخْلِ ^(٩)
 [٧٤/٣] يُرِيدُ بِقَوْلِهِ : جَمَعْتَ ^(١٠) مَكَانَ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الرَّدِيئَةَ
 وَالْأَفْعَالَ الدُّنْيَا . وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخِرِ :
 صَلَدَتْ ^(١١) صَفَاثُكَ ^(١٢) أَنْ تَلِينَ خِيُودُهَا ^(١٣) وَوَرِثْتَ مِنْ سَلَفِ الْكِرَامِ عُقُوقًا

(١) أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٩٣/١ (١٠١٥، ١٠١٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ وَسَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ نَحْوَهُ . وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ ١٠٣/١ إِلَى عَبْدِ حَمِيدٍ .

(٢) فِي م : « أَبَوَا » ، وَفِي ت ٢ ، ت ٣ : « بَنَوَا » .

(٣ - ٣) فِي م : « كَذَا مِنْ كَذَا . أَيْ مَكَانَ كَذَا » .

(٤) الْبَيْتَانِ فِي أَمْثَالِ الْمُرْتَضَى ٤٢١/١ دُونَ نَسْبَةٍ .

(٥) الْعُلبَةُ : قَدَحٌ ضَخْمٌ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ . التَّاجِ (ع ل ب) .

(٦) الْأَخْلَافُ جَمْعُ الْخَلْفِ : وَهُوَ ضَرْعُ النَّاقَةِ . اللَّسَانُ (خ ل ف) .

(٧) فِي م : « الْمَذْمُومَةُ » ، وَفِي نَسَخَتَيْنِ مِنَ الْأَمْثَالِ : « الْمَرْهَمَةُ » وَالْمَرْهَمَةُ : التُّوقُ الَّتِي عَلِقْتَ عَلَيْهَا الْأُزْمَةَ . اللَّسَانُ (ز م م) .

(٨) الْبِزْلُ جَمْعُ بَازِلٍ ، وَيُقَالُ ذَلِكَ لِلْبَعِيرِ إِذَا اسْتَكْمَلَ السَّنَةَ الثَّامِنَةَ وَطَعَنَ فِي التَّاسِعَةِ وَفَطَرَ نَابَهُ . اللَّسَانُ (ب ز ل) .

(٩) فِي م ، ت ٢ : « بِالنَّجْلِ » . وَالْمَخْلُ : الْمَكْرُ وَالْكَيْدُ . اللَّسَانُ (م ح ل) .

(١٠) بَعْدَهُ فِي م ، ت ١ ، ت ٢ : « مِنَ الْخَيْرَاتِ » ، وَبَعْدَهُ فِي ت ٣ : « مِنَ الْخَيْرَاتِ مَكَانَ هَذِهِ الْخَيْرَاتِ » .

(١١) صَلَدَتْ الْأَرْضُ : صَلَبَتْ فَلَمْ تَتَبْتْ شَيْئًا . التَّاجِ (ص ل د) .

(١٢) الصَّفَاةُ : الصَّخْرَةُ الْمَلْسَاءُ . اللَّسَانُ (ص ف ا) .

(١٣) فِي ت ١ ، ت ٣ : « جَلُودُهَا » ، وَفِي ت ٢ : « جَنُودُهَا » . وَجَبَلٌ ذُو حَيُودٍ : إِذَا كَانَتْ لَهُ حُرُوفٌ نَاتِقَةٌ =

يعنى : وَرِثْتَ مَكَانَ سَلَفِ الْكِرَامِ عُقُوقًا مِنْ وَلَدِكَ ^(١) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَكَارَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَكَارَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ : وما المتعلمون من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، بضارين بالذى تعلموه منهما من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه ، من أحد من الناس ، إلا من قد قضى الله عليه أن ذلك يضُرُّه ، فأما من دفع الله عنه ضُرَّه وحفظه من مكروه السحرِ والتفثِ والرُقى ، فإن ذلك غير ضارِّه ولا نائله أذاه .

وللإذن فى كلام العرب أوجه ؛ منها الأمر على غير وجه الإلزام ، وغير جائز أن يكون منه قوله : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَكَارَيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ ؛ لأن الله جل ثناؤه قد حرم التفريق بين الرجل ^(٢) وحليلته بغير سحر - فكيف به على وجه السحر - على لسان الأمة ؟ ومنها التخليئة بين المأذون له والمخلئ بينه وبينه . ومنها العلم ^(٣) بالشئ ، يقال منه : قد أذنت بهذا الأمر ، إذا علمت به ، آذن به إذنا . ومنه قول الخطيب ^(٤) :

ألا يا هندُ إن جدَّدتِ وِضلاً
ولأ فائذنينى بانصرام
يعنى : فأعلمينى .

= فى أعراضه لا فى أعاليه . التاج (ح ي د) .

(١) فى م : « والدك » .

(٢) فى م : « المرء » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « العمل » .

(٤) البيت ليس فى ديوانه ، وهو فى التبيان ٣٨٠ / ١ .

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿فَأَذِنُوا يَحْرَبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. وهذا هو معنى الآية، كأنه قال جل ثناؤه: وما هم بضارين بالذى تعلموا من الملكين من أحدٍ إلا بعلم الله. يعنى: بالذى سبق له فى علم الله أنه يضربهم.

كما حدثنى المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن سفيان فى قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. قال: بقضاء الله^(١).

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾. يعنى^(٢) جل ثناؤه بقوله^(٣): ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ﴾. أى: الناس الذين يتعلمون من الملكين، ما أنزل إليهما^(٤) من المعنى الذى يفرقون به بين المرء وزوجه، يتعلمون منهما السحر الذى يضربهم فى دينهم، ولا ينفعهم فى معادهم؛ فأما فى العاجل فى الدنيا، فإنهم قد كانوا يكسبون به ويصيبون به معاشاً.

[٧٥/٣] القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾.

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾. الفريق الذين^(٤) أخبر عنهم أنهم^(٥) لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم، نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان. فقال جل ثناؤه: لقد علم النابذون من يهود بنى إسرائيل،

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ١٩٤/١ (١٠٢٠) من طريق ابن المبارك به.

(٢ - ٣) فى م، ت، ١، ت، ٣: «بذلك جل ثناؤه».

(٣) فى م: «عليهما».

(٤ - ٥) سقط من، م، وفى ت، ١، ت، ٣: «أنهم».

كتابى وراء ظهورهم تجاهلاً منهم ، التاركون العمل بما فيه ، من اتباعك يا محمد واتباع ما جئت به ، بعد إنزالى إليك كتابى مصدقاً لما معهم ، وبعد إرساليك إليهم بالإقرار بما معهم وما فى أيديهم ، المؤثرون عليه اتباع السحر الذى تلتته الشياطين على عهد سليمان ، والذى أنزل على الملكين بيابل هاروت وماروت - لمن اشترى السحر بكتابى الذى أنزلته على رسولى فأثره عليه ما له فى الآخرة من خلاق .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ . (١) أى : لمن استحقه ، ﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ يقول : قد علم ذلك أهل الكتاب فى عهد الله إليهم ؛ أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة (٢) .

وحدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ يعنى : اليهود ، يقول : قد علمت اليهود أن من تعلمه و (٣) اختاره ما له فى الآخرة من خلاق (٤) .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ : لمن اشترى ما يفرق به بين المرء وزوجه (٥) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٥/١ (١٠٢٤) من طريق يزيد به ، إلى قوله : لمن استحقه . وأخرج باقيه ١٩٥/١ (١٠٢٣ ، ١٠٢٩) من طريق سعيد وغيره عن قتادة .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ٣ : «أو» .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٥/١ (١٠٣٠) من طريق عمرو بن حماد به ، إلى قوله : اليهود .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٥/١ (١٠٢٥) من طريق أبى حذيفة عن شبل عن ابن أبى نجيح من قوله .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ ٤٦٥/١
 لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ / فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ. قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ يَهُودُ أَنْ فِي كِتَابِ
 اللَّهِ فِي التَّوْرَةِ، أَنْ مَنْ اشْتَرَى السَّحْرَ، وَتَرَكَ دِينَ اللَّهِ، مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
 خَلَقٍ، ^(١) «وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَلَقٌ»، فَالْنَّازِ مَثْوَاهُ وَمَأْوَاهُ ^(٢).

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾. فَإِنَّ «مَنْ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَلَيْسَ قَوْلُهُ:
 ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾. بِعَامِلٍ فِيهَا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿عَلِمُوا﴾. بِمَعْنَى الِیْمَنِ، فَلِذَلِكَ
 كَانَتْ «مَنْ» ^(٣) فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ بِمَعْنَى: وَاللَّهُ لَمَنْ اشْتَرَى السَّحْرَ مَا لَهُ فِي
 الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ. وَيَكُونُ ^(٤) قَوْلُهُ: ﴿عَلِمُوا﴾. بِمَعْنَى الِیْمَنِ، أُجِيبَ ^(٥) بِلَامِ
 الِیْمَنِ، فَقِيلَ: ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾. كَمَا يُقَالُ: أَقْسِمُ لَمَنْ قَامَ خَيْرٌ مِنْ قَعْدٍ. وَكَمَا
 يُقَالُ: قَدْ عَلِمْتَ لِعَمْرٍو خَيْرٌ مِنْ أَيْبِكَ. وَأَمَّا «مَنْ» فَهُوَ حَرْفُ جَزَاءٍ، وَإِنَّمَا قِيلَ:
 اشْتَرَاهُ. وَلَمْ يُقَلَّ: يَشْتَرِهِ ^(٦)؛ لِذَخْوَلِ لَامِ الْقَسَمِ عَلَى «مَنْ»، وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِذَا
 أَحْدَثَتْ عَلَى حَرْفِ الْجَزَاءِ لَامَ الْقَسَمِ، أَلَّا يَنْطَلِقُوا فِي الْفِعْلِ مَعَهُ إِلَّا بِ «فَعَلٍ» دُونَ «
 يَفْعَلُ» إِلَّا قَلِيلًا؛ كِرَاهَةً أَنْ [٧٥٠/٣] يُحْدِثُوا عَلَى الْجَزَاءِ حَادِثًا وَهُوَ مَجْزُومٌ، كَمَا
 قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لِآيَاتِنَا مِنْكُمْ مَجْزُومًا﴾ [الحشر: ١٢]. وَقَدْ يَجُوزُ إِظْهَارُ
 فِعْلِهِ بَعْدَهُ عَلَى «يَفْعَلُ» مَجْزُومًا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ ^(٧):

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٣.

(٢) ينظر التبيان للطوسي ١/٣٨١.

(٣) سقط من: م، ت، ١، ت، ٣.

(٤) في م، ت، ٢: «لكون».

(٥) في م: «حققت»، وفي ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «خفت».

(٦) في م: «يشتره».

(٧) معاني القرآن للفراء ١/٦٦ ونسبه في ١٣١/٢ إلى الكميث بن معروف عن الكسائي، وهو في الخزانة ١٠/٦٨.

لئن تكُ قد ضاقتَ عليكم يُيوئثكم لِيَعْلَمُ رَبِّي أَنَّ بَيْتِي وَاسِعٌ
 واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾؛ فقال
 بعضهم: الخلاق في هذا الموضع النصيب.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي
 نجيح، عن مجاهد: ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾. يقول: من نصيب^(١).
 وحدثني موسى، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي:
 ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾. قال: من نصيب^(٢).
 وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: ثنا وكيع، قال: قال سفيان:
 سمعنا في قوله: ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾. أنه: ما له في الآخرة من
 نصيب.

وقال آخرون^(٤): الخلاق ههنا: الجهة^(٥).

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٠٣ إلى المصنف، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٩٥ عقب الأثر (١٠٢٦) معلقا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٩٥ عقب الأثر (١٠٢٦) من طريق عمرو بن حماد به.

(٣) في الأصل، م، ت، ١، ت، ٣: «وما».

(٤) في م، ت، ١، ت، ٣: «بعضهم».

(٥) في م: «الجهة».

قتادة: ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ . قال : ليس له في الآخرة جهة^(١) .
وقال آخرون : الخلاق الدين .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، قال :
قال الحسن : ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ . قال : ليس له دين^(٢) .
وقال آخرون : الخلاق هلهنا القوام .

/ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٤٦٦/١

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسين ، قال : حَدَّثَنِي حجاج ، قال : قال ابنُ جريج :
قال ابنُ عباس : ﴿ مَا لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ . قال : قوام^(٣) .

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معنى الخلاق في هذا الموضع
النصيب . وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب . ومنه قول النبي ﷺ : « لِيُؤَيِّدَنَّ
اللَّهُ هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم »^(٤) . يعني : لا نصيب لهم ولا حظ في الإسلام
والدين . ومنه قول أمية بن أبي الصلت^(٥) :

(١) في الأصل ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ : « وما » .

(٢) في م : « حجة » ، وفي تفسير عبد الرزاق : « جنة » ، وفي تفسير ابن كثير ٢٠٧/١ عن عبد الرزاق : « جهة » .
والأثر في تفسير عبد الرزاق ٥٤/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٥/١ (١٠٢٧) عن الحسن بن
يحيى به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٥٤/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٥/١ (١٠٢٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) عزاه في الدر المنثور ١٠٣/١ إلى المصنف .

(٥) حديث صحيح : أخرجه النسائي في الكبرى (٨٨٨٥) ، وابن حبان (٤٥١٧) من حديث أنس . وأخرجه
أحمد ٤٥/٥ (اليمينية) من حديث أبي بكرة ، ولفظه : « إن الله تبارك وتعالى سيؤيد ... » .

(٦) ديوانه ص ٥٤ .

يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ فِيهَا لَا خَلَاقَ لَهُمْ إِلَّا سُرَابِيلٌ مِّنْ قَطْرِ^(١) وَأَغْلَالٌ
يعنى بذلك : لا نصيب لهم ولا حظ إلا السراويل^(٢) والأغلال^(٣) .

فكذلك قوله : ﴿ مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ : ما له فى الدار الآخرة حظ من الجنة ، من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين ولا عمل صالح يجازى به الجنة ويناب عليه ، فيكون له حظ ونصيب من الجنة . وإنما قال جل ثناؤه : ﴿ مَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ . فوصفه بأنه لا نصيب له فى الآخرة ، وهو يعنى به : لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة ، دون نصيبه من النار ؛ إذ كان قد دلّ بذمه^(٤) جل ثناؤه أفعالهم التى نفى [٧٦/٣] من أجلها أن يكون لهم فى الآخرة نصيب ، على مراده من الخير ، وأنه إنما يعنى بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات ، فأما من الشرور فإن لهم منها^(٥) فيها أنصباء وأنصباء^(٥) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى : ﴿ شَكَرُوا ﴾ : باعوا^(٦) . فمعنى الكلام إذن : ولبئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته .

كما حدّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى :

(١) القطر : النحاس الذائب . تاج العروس (ق ط ر) .

(٢ - ٣) زيادة من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ .

(٣) فى م : « ذمه » .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٣ : « نصيبا » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٢٤٥ .

﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ يقول : بئس ما باعوا به أنفسهم ^(١) .

فإن قال لنا قائل : وكيف قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . وقد قال قبل : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ . فكيف يكونون عاقلين بأن من تعلم السحر فلا خلاق له ^(٢) ، وهم يجهلون أنهم بئس ما شروا بالسحر أنفسهم ؟

قيل : معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته من أنهم موصوفون ^(٣) بجهل ما هم موصوفون بالعلم به ، ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم ، وإنما معنى الكلام : وما هم بضارئين به من أحدٍ إلا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، وليبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق . فقولهُ : ﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . ذم من الله تعالى ذكره فعل المتعلمين من الملكين التفريق بين المرء وزوجه ، وخير منه جل ثناؤه عنهم أنهم بئس ما باعوا ^(٤) أنفسهم ، برضاهم بالسحر عوضاً من ^(٥) دينهم الذي به نجاه أنفسهم من الهلكة ، جهلاً منهم بسوء عاقبة فعلهم ، وخسارة صفقة يبيعهم ؛ إذ كان قد يتعلم ذلك منهما من لا يعرف الله ، ولا يعرف حلاله وحرامه ، وأمره ونهيته . ثم عاد إلى الفريق / الذي أخبر عنهم أنهم نبذوا كتابه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما أنزل على الملكين ، فأخبر عنهم أنهم قد علموا أن من اشترى السحر ما له في الآخرة من

(١) تقدم تخريجه في ص ٢٤٦ .

(٢) في م ، ت ٣ : « لهم » .

(٣ - ٣) في م ، ت ١ ، ت ٣ : « بالجهل بما » .

(٤) في م : « شروا به » .

(٥) في م : « عن » .

خلاقٍ ، ووصفهم بأنهم يركبون معاصي الله على علمٍ منهم بها ، ويكفرون بالله ورسوله ، ويؤثرون اتباع الشياطين والعمل بما أحدثته من السحر ، على العمل بكتابه ووحيه وتنزيله ، عنادًا منهم له ^(١) ، وبغيا على رسوله ، وتعديًا منهم حدوده ، على معرفةٍ منهم بما لِمَن فعل ذلك عند الله من العقاب والعذاب . فذلك تأويل ذلك ^(٢) .

وقد زعم بعض الزاعمين أن قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ . معنى ^(٣) به الشياطين ، وأن قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ معنى ^(٤) به الناس .

وذلك قول ^(٥) لقول جميع ^(٦) أهل التأويل مخالف . وذلك أنهم [٧٦/٣] مُجمعون على أن قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ . معنى به اليهود دون الشياطين ، ثم هو مع ذلك خلاف ما دل عليه التنزيل ؛ لأن الآيات قبل قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا ﴾ . وبعد قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ جاءت من الله بدم اليهود ، وتوبيخهم على ضلالهم و ^(٧) ذهابهم عن ^(٨) وحى الله وآيات كتابه ^(٩) ، مع عليهم بخطأ فعلهم ، فقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ . أخذ تلك الأخبار عنهم .

وقال بعضهم : إن الذين وصف الله بقوله : ﴿ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ ﴾

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ٣ .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « قوله » .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « يعنى » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « لجمع » .

(٥ - ٥) فى م : « وذما لهم على نبذهم » ، وفى ت ١ : « وذما لهم من نبذهم » .

(٦) بعده فى م : « وراء ظهورهم » .

أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿﴾ فنفى عنهم العلم، هم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾. وإنما نفى عنهم جل ثناؤه العلم بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. بعد وصفه إياهم بأنهم قد علموا بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾. من أجل أنهم لم يعملوا بما علموا، وإنما العالم، العامل بعلمه، فأما إذا خالف عمله علمه، فهو في معاني الجهال. قالوا^(١): وقد يقال للفاعل الفعل بخلاف ما ينبغي أن يفعل، وإن كان بفعله عالماً: لو علمت لأقصررت. كما قال كعب بن زهير المزني، وهو يصف ذئبا وغرابا تبعاه لينا من طعامه وزاده^(٢):

إذا حضّراني قلت لو تعلمانه ألم تعلمنا أنى من الرّاد مُزْمِلٌ^(٣)

فأخبر أنه قال لهما: لو تعلمانه. فنفى عنهما العلم، ثم استخبرهما فقال: ألم تعلمنا. قالوا: فكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾. و: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وهذا تأويل، وإن كان له مخرج ووجه، فإنه خلاف الظاهر المفهوم بنفس الخطاب، أعنى بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾. وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. وإنما هو استخراج. وتأويل القرآن على المفهوم الظاهر بالخطاب دون الخفي الباطن منه - حتى تأتي دلالة من الوجه الذي يجب التسليم له، بمعنى خلاف دليله الظاهر المتعارف في أهل اللسان الذين بلسانهم نزل القرآن - أولى^(٤).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) في م: «قال».

(٢) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٥١.

(٣) المرمل: الذي نفذ زاده، وأصله من الرمل، كأنه لصق بالرمل. اللسان (رم ل).

(٤) سقط من: الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣.

خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ .

/ يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا ﴾ : لو أن الذين يتعلمون ٤٦٨/١ من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴿ ءَامَنُوا ﴾ فصدقوا الله ورسوله ، وما جاءهم به من عند ربهم ﴿ وَأَتَقَوْا ﴾ ربهم فخافوه ، وخافوا عقابه ، فأطاعوه بأداء فرائضه ، وتجنب^(١) معاصيه - لكان جزاء الله إياهم ، وثوابه لهم على إيمانهم به وتقواهم إياه ، خيرا لهم من السحر وما اكتسبوا به ، ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن ثواب الله إياهم على ذلك خيرا لهم من السحر وما اكتسبوا به . وإنما نفى بقوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . العلم عنهم أن يكونوا عالمين بمبلغ ثواب الله وقدر جزائه على طاعته .

والمثوبة في كلام العرب مصدر من قول القائل : أثبتك إثابة وثوابا ومثوبة . وأصل ذلك من : ثاب إليك الشيء . بمعنى : رجع . ثم يقال : أثبتته إليك . أى : أرجعته^(٢) إليك ورددته . فكان^(٣) معنى إثابة الرجل الرجل على الهدية وغيرها ، إرجاعه إليه^(٤) منها [٧٧/٣] بدلا ، وردّه عليه منها عوضا . ثم لجعل كلّ معوض غيره من عمله أو هديته أو يده له سلفت منه إليه مبيئا له . ومنه ثواب الله عز وجل عباده على أعمالهم ، بمعنى إعطائه إياهم العوض والجزاء عليه ، حتى يرجع إليهم بدلا من عملهم الذى عملوه له .

وقد زعم بعض نحويي أهل^(٥) البصرة أن قوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَمَثُوبَةٌ

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « تجنبوا » .

(٢) فى م ، ت ٣ : « رجعته » .

(٣) فى م : « فكان » .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إليها » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

مِنَ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴿١﴾ . مما اُكْتَفَى بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهُ عَنْ ذِكْرِ جَوَابِهِ ، وَأَنْ مَعْنَاهُ :
 وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لِأَيُّبُوا . وَلَكِنَّهُ اسْتَعْنَى بِدَلَالَةِ الْخَبْرِ عَلَى الْمُثْبِتَةِ عَنْ قَوْلِهِ : لِأَيُّبُوا .
 وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّ الْكَوْفَةِ ^(١) يَنْكِرُ ذَلِكَ ، وَيَرَى أَنَّ جَوَابَ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ
 ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ - ﴿ لَمْ تُوبَةُ ﴾ وَأَنَّ « لَوْ » إِنَّمَا أُجِيبَتْ بِالْمُثْبِتَةِ ، وَإِنْ كَانَتْ
 أُجِيبَتْهَا ^(٢) بِالْمَاضِي مِنَ الْفِعْلِ ، لِتَقَارُبِ مَعْنَاهَا مِنْ مَعْنَى « لَتَنَّ » فِي أَنَّهُمَا جِزَاءَانِ ،
 وَأَنَّهُمَا جَوَابَانِ لِلْإِيمَانِ ، فَأُدْخِلَ جَوَابُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبَتِهَا ، فَأُجِيبَتْ
 « لَوْ » بِجَوَابِ « لَتَنَّ » وَ « لَتَنَّ » بِجَوَابِ « لَوْ » ، لِذَلِكَ ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ أُجُوبَتُهُمَا ،
 وَكَانَتْ « لَوْ » مِنْ حِكْمِهَا وَحِظِّهَا أَنْ تُجَابَ بِالْمَاضِي مِنَ الْفِعْلِ ، وَكَانَتْ « لَتَنَّ » مِنْ
 حِكْمِهَا وَحِظِّهَا أَنْ تُجَابَ بِالْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْفِعْلِ ، لِمَا وَصَفْنَا مِنْ تَقَارُبِهِمَا . فَكَانَ يَتَأَوَّلُ
 مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾ : وَلَتَنَّ آمَنُوا وَاتَّقَوْا الْمُثْبِتَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ .
 وَبِمَا قَلْنَا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ : ﴿ لَمْ تُوبَةُ ﴾ . قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
 قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لَمْ تُوبَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ يَقُولُ : ثَوَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ^(٣) .
 وَحَدَّثَنِي مُوسَى ^(٤) ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ :
 ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمْ تُوبَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ : أَمَّا الْمُثْبِتَةُ فَهِيَ الثَّوَابُ ^(٥) .

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أَهْلُ الْبَصْرَةِ » .

(٢) فِي م : « أَخْبِرْ عَنْهَا » .

(٣) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٥٤/١ .

(٤) فِي م : « يُونُس » .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٩٦/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٠٣٣) عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَمَادٍ بِهِ .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لِمَثُوبَةٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾ . يقولُ : ثوابٌ من عندِ اللهِ ^(١) .

[٤/١٥١] / *القولُ في تأويل قولِ اللهِ جلَّ ثناؤه : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ .

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ ؛ فقال بعضهم : تأويله : لا تقولوا خِلَافًا .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا مؤمِّلٌ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ في قوله : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ . قال : لا تقولوا خِلَافًا ^(٢) .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ : لا تقولوا خِلَافًا ^(٣) .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا سِبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٦/١ عقب الأثر (١٠٣٣) من طريق ابن أبي جعفر به .
(٥) من هنا بداية الجزء الرابع من مخطوطة جامعة القرويين بقاس وسيشار إليها بالأصل ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

(٢) تفسير الثوري ٤٧/١ ، ٤٨ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٠ ، ٢٨٣ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧/١ ، ٩٦٦/٣ ، (١٠٤٠) ، ٥٣٩٩ ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/١ ، ١٦٨/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر . وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٥ .

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: ثنا سَفِيَانُ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو نُعَيْمٍ، قَالَ: ثنا سَفِيَانُ، عَنْ مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ.
وَقَالَ آخَرُونَ: تَأْوِيلُهُ: أَرْعِنَا سَمْعَكَ. أَيْ: اسْمَعْ مِنَّا وَنَسْمَعْ مِنْكَ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: ثنا سَلْمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿رَاعِنَا﴾. أَيْ: أَرْعِنَا سَمْعَكَ^(١).

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو^(٢)، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾. لَا تَقُولُوا: اسْمَعْ مِنَّا وَنَسْمَعْ مِنْكَ^(٣).

وَحَدَّثْتُ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَجِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا عُيَيْدُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ الضُّحَّاكَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَاعِنَا﴾. قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَقُولُ: أَرْعِنِي سَمْعَكَ.

ثُمَّ اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا:

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٦٠.

(٢) في الأصل: «عمر».

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٠٤ إلى المصنف.

رَاعِنَا؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ كَلِمَةٌ كَانَتْ الْيَهُودُ تَقُولُهَا عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِهْزَاءِ وَالسَّبِّ^(١)، فَهَيَّ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾: قولٌ كَانَتْ [٢/٤] تَقُولُهُ الْيَهُودُ اسْتِهْزَاءً، فَجَرَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ^(٢).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، عَنْ فَضَيْلِ بْنِ^(٣) مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةَ: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾. قَالَ: كَانَ أَنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ يَقُولُونَ: أُرَاعِنَا سَمْعَكَ. حَتَّى قَالَهَا أَنَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَكَرِهَ اللَّهُ لَهُمْ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ، فَقَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾. كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى^(٤).

/ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ٤٧٠/١ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾. قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: رَاعِنَا سَمْعَكَ. فَكَانَ الْيَهُودُ يَأْتُونَ فِيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ مُسْتِهْزِئِينَ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾^(٥).

وَحَدَّثْتُ عَنِ الْمُتَّجَابِ، قَالَ: ثنا بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضُّحَّاكِ،

(١) فِي م: «الْمَسْبَةِ».

(٢) عَزَاهُ السِّيَوِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٠٤/١ إِلَى الْمَصْنُفِ وَعَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَأَبِي نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «فَضْلٌ». وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٣٠٥/٢٣.

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٩٧/١، ٩٦٦/٣، عَقِبَ الْأَثَرِ (١٠٣٨، ٥٣٩٨) مَعْلَقًا عَنْ عَطِيَّةَ،

وَعَزَاهُ السِّيَوِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٠٤/١ إِلَى الْمَصْنُفِ وَأَبِي نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ.

(٥) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ١٠٤/١. وَيَنْظُرُ مَا سَيَأْتِي فِي ١٠٧/٧.

عن ابن عباس في قوله : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ . قال : كانوا يقولون للنبي ﷺ :
راعنا سمعك . وإنما ﴿ رَاعِنَا ﴾ كقولك : عاطنا^(١) .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن^(٢) زيد في قوله :
﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾ قال : ﴿ رَاعِنَا ﴾
القول الذي قاله القوم ؛ قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لِيَأْ
بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴾ [النساء : ٤٦] . قال : هذا الراعين - والراعين
الخطأ^(٣) - قال : فقال للمؤمنين : لا تقولوا خطأ^(٤) كما قال القوم ، وقولوا : انظرونا
واسمعوا . قال : كانوا ينظرون إلى النبي ﷺ ويكلمونه ويسمع منهم ، ويسألونه
ويجيئهم .

وقال آخرون : بل هي كلمة كانت الأنصار في الجاهلية تقولها ، فنهاهم الله في
الإسلام أن يقولوها لنبيه ﷺ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك^(٥) ،
عن عطاء في قوله : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ قال : كانت لغة في الأنصار في
الجاهلية ، فنزلت هذه الآية : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ ولكن ﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾ إلى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٦/١ ، ٩٦٦/٣ ، (١٠٣٨ ، ٥٣٩٨) ، والطبراني في الكبير

(١٢٦٥٩) من طريق المنجاب به . وينظر الدلائل لأبي نعيم ص ٤٤ (٦) ، والفتح ٨/١٦٣ .

(٢) في الأصل : « أبو » .

(٣) في م : « الخطاء » .

(٤) في م : « خطاء » .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الرزاق » .

آخر الآية^(١).

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا هُشَيْمٌ، عن عبد الملك، عن عطاء: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾. قال: كانت لغة في الأنصار.

حدثنا ابن حُمَيْدٍ، قال: حدثنا جريزٌ، عن عبد الملك، عن عطاءٍ مثله.

وحدثني المثنى، قال: حدثنا إسحاق، عن ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾. قال: إن مُشْرِكِي الْعَرَبِ كانوا إذا حَدَّثَ بعضهم بعضًا يقول أحدهم لصاحبه: أُرْعِنِي سَمْعَكَ. [٢/٤] فَنُهِوا عن ذلك^(٢).

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، قال: قال ابن جريج: ﴿رَاعِنَا﴾ قول الساجر، فنهاهم أن يسخرُوا من قول محمد ﷺ.

وقال بعضهم: بل كان ذلك كلام يهودي من اليهود بعينه، يقال له: رفاعه بن زيد. كان يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ به^(٣) على وجه السَّبِّ له، وكان المسلمون أخذوا عنه ذلك، فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبي ﷺ.

٤٧١/١

/ ذكر من قال ذلك

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿يَتَأْتِيهَا

(١) أخرجه النحاس في ناسخه ص ١٠٤ من طريق هشيم به، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧/١ (١٠٣٩) من طريق عبد الملك به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/١ إلى عبد بن حميد.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧/١ عقب الأثر (١٠٣٨) من طريق أبي جعفر به.
(٣) سقط من: الأصل.

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ﴿١﴾ : كان رجلاً من اليهود ، من قبيلة من اليهود يقال لهم : بنو قَيْنُقَاع . كان يُدعى رفاعَةَ بن زيد بن السائب - قال أبو جعفر : هذا خطأ ، إنما هو ابن التابوت ، ليس ابن السائب - كان يأتي النبي ﷺ ، فإذا لقيه فكلمه فقال : أرعنى سمعك ، واسمع غير مُسمع . فكان المسلمون يخسبون أن الأنبياء كانت تُفخَّم^(١) بهذا ، فكان ناسٌ منهم يقولون : اسمع غير مُسمع . كقولك : اسمع غير صاغر . هي^(٢) التى فى « النساءِ » : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّأْتِيَ الْبِلْسِنُنَّهِمْ ﴾ [النساء : ٤٦] . يقول : إنما يُريدُ بقوله طَعْنًا فى الدين . ثم تقدّم إلى المؤمنين فقال : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾^(٣) .

والصواب من القول فى نهى الله جل ثناؤه المؤمنين أن يقولوا لنبىه : ﴿ رَاعِنَا ﴾ أن يقال : إنها كلمة كرهها الله لهم أن يقولوها لنبىه ﷺ ، نظير الذى ذكر عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تُقولُوا للعنّب الكرم ، ولكن قولوا الحبلّة »^(٤) . و « لا تُقولُوا عبدي ، ولكن قولوا فتاى »^(٥) .

وما أشبه ذلك من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد فى كلام العرب ، فتأتى الكراهة أو النهى باستعمال إحداهما ، واختيار الأخرى عليها فى المخاطبات .

(١) فى الأصل ، ت ٢ ، ت ٣ : « تعجم » .

(٢) فى م : « وهى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٤ إلى المصنف وابن المنذر ، وينظر تفسير ابن كثير ١/٢١٤ .

(٤) أخرجه الدارمى ٢/١١٨ ، ومسلم (٢٢٤٨) من حديث وائل بن حجر ، وأخرجه البخارى (٦١٨٢) ،

ومسلم (٢٢٤٧) ، وغيرهما من حديث أبى هريرة ، دون قوله : « ولكن قولوا الحبلّة » .

(٥) أخرجه البخارى (٢٥٥٢) ، ومسلم (٢٢٤٩) من حديث أبى هريرة نحوه .

فإن قال ^(١) قائلٌ : فإننا قد علمنا معنى نَهَى النبي ﷺ في العَنْبِ أن يقال له : كَرْمٌ . وفي العَبْدِ أن يقال له : عَبْدٌ . فما المعنى في قوله : ﴿ رَاعِنَا ﴾ . حيثُ الذي من أجله كان النهي من الله جل ثناؤه المؤمنين عن أن يقولوه ، حتى أمرهم أن يؤثروا قولهم ^(٢) : ﴿ أَنْظِرْنَا ﴾ عليه ^(٣) ؟

قيل : الذي فيه من ذلك نظيرُ الذي في قولِ القائلِ : الكَرْمِ . للعَنْبِ ، و : العَبْدُ . للمملوكِ . وذلك أن قولَ القائلِ : عَبْدٌ . ^(٤) صفةٌ جميعٌ عبادِ الله ، فكرِهَ النبي ﷺ أن يُضَافَ بعضُ عبادِ الله - بمعنى [٣/٤] المعبودِ ^(٥) - إلى غيرِ الله ^(٦) ، وأمر أن يُضَافَ ذلك إلى غيرِه ، بغيرِ المعنى الذي يُضَافُ إلى الله عز وجل ، فيقال : ^(٧) فتي الله ^(٨) . وكذلك وجهُ نهيه في العَنْبِ أن يقال لها : كَرْمٌ . ^(٩) لأن الكَرْمَ مصدرٌ من كَرَمَ كَرَمًا ^(١٠) ، وإن كانت رأؤها ^(١١) مُسَكَّنَةً ، فإن العربَ قد تُسَكِّنُ بعضَ الحركاتِ إذا تتابعت على ^(١٢) نوعٍ واحدٍ ^(١٣) ، فكرِهَ أن يُوصَفَ ^(١٤) بذلك العَنْبِ . فكذلك نهى الله عز وجل المؤمنين أن يقولوا : راعنا . لما كان قولُ القائلِ : راعنا . محتملاً أن يكونَ بمعنى : احفظنا ونحفظك ، وازقبتنا ونزقبتك . من قولِ العربِ بعضهم لبعضٍ : رعاك

(١) بعده في م : « لنا » .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قوله » .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لجميع » .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « العبودية » .

(٦) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧ - ٧) في م : « فتى » .

(٨ - ٨) سقط من : ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفي م : « خوفاً من توهم وصفه بالكرم » .

(٩ - ٩) في الأصل ك «تنوع واحدة» .

(١٠) في م : « يتصف » .

اللَّهُ . بمعنى : حَفِظَكَ اللَّهُ وَكَأَك . ومَحْتَمِلًا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى : أَرْعِنَا سَمْعَكَ . مِنْ قَوْلِهِمْ : أَرْعَيْتَ بِهِ ^(١) سَمْعِي إِرْعَاءً . أَوْ : رَاعَيْتَهُ سَمْعِي رِعَاءً أَوْ مُرَاعَاةً . بِمَعْنَى : فَرَعْتَهُ لِسَمَاعٍ كَلَامِهِ . كَمَا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ مِيمُونُ بْنُ قَيْسٍ ^(٢) :

يُزْعِي إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا أَبَدُوا لَهُ الحَزْمَ أَوْ مَا شَاءَهُ ابْتَدَعَا
بِعْنَى بِقَوْلِهِ يُزْعِي : يُضْعِفِي سَمْعَهُ إِلَيْهِ مُفَرِّغَةً لِذَلِكَ .

وَكَأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَوْقِيرِ نَبِيِّهِ ﷺ وَتَعْظِيمِهِ ، حَتَّى نَهَاهُمْ جَلَّ ذِكْرَهُ / فِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ ، عَنْ رَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ فَوْقَ صَوْتِهِ ، وَأَنْ يَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، وَخَوْفَهُمْ عَلَى ذَلِكَ حَبْوَطَ أَعْمَالِهِمْ ، تَقَدَّمَ ^(٣) إِلَيْهِمْ بِالزَّجْرِ لَهُمْ عَنْ أَنْ يَقُولُوا لَهُ مِنَ الْقَوْلِ مَا فِيهِ جَفَاءٌ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَخَيَّرُوا لِحَطَابِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَحْسَنَهَا ، وَمِنَ الْمَعَانِي أَرْقَاهَا ، فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : ﴿ رَاعِنَا ﴾ . لِمَا فِيهِ ^(٤) اِحْتِمَالٌ بِمَعْنَى : اِرْعِنَا نَزْعَكَ . إِذْ كَانَتْ الْمَفَاعَلَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ : عَاطِنَا وَحَادِثْنَا وَجَالِسْنَا . بِمَعْنَى : افْعَلْ بِنَا نَفْعَلْ بِكَ . وَمَعْنَى : أَرْعِنَا سَمْعَكَ حَتَّى نَفْهَمَكَ وَتَفْهَمَ عَنَّا . فَتَهَى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَأَمَرَهُمْ ^(٥) أَنْ يُفْرِدُوا مَسْأَلَتَهُ بِانْتِظَارِهِمْ وَإِمَهَالِهِمْ ؛ لِيَعْقِلُوا عَنْهُ ، بِتَبْجِيلِ مَنْهُمْ لَهُ وَتَعْظِيمِ ، وَالْأَلَّا يَسْأَلُوهُ مَا سَأَلُوهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْجَفَاءِ وَالتَّجْهِمِ مِنْهُمْ لَهُ ، وَلَا بِالْفِظَاظَةِ وَالْعِلْظَةِ ، تَشْبِيهًا مِنْهُمْ بِالْيَهُودِ فِي خُطَابِهِمْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِمْ لَهُ : ﴿ وَاسْمَعْ عَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا ﴾ [النساء : ٤٦] . يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلِهِ :

(١) استأذن من : م .

(٢) من قوله ص ١٠٩ .

(٣) من قوله : « فاقدم » رضى ت ١ . « تقدم » .

(٤) من قوله : « راعينا » .

(٥) من قوله : « فاقدم » .

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٥]. فدلَّ بذلك أن الذي عاتبهم^(١) عليه مما يشتره اليهود والمشركين .

فأما التأويل الذي حُكي عن مجاهد في قوله: ﴿ رَاعِنَا ﴾ . أنه بمعنى : خلافًا . فما^(٢) لا يُعْقَلُ في كلام العرب ؛ لأنَّ « رَاعَيْتُ » في كلام العرب إنما هو على أحد وجهين ؛ أحدهما ، بمعنى : فاعلْتُ ، من الرُّعْيَةِ ، وهي [٣/٤] الرُّقْبَةُ والكَلَاءَةُ^(٣) . والآخرُ ، بمعنى إفراغِ السمعِ ، بمعنى : أُرْعَيْتُهُ سمعي . وأما « رَاعَيْتُ » بمعنى : « خالفتُ » ،^(٤) فما لا^(٥) وجه له مفهومٌ في كلام العرب ، إلا أن يكونَ قرأ ذلك بالتنوين ، ثم وَجَّهه إلى معنى الرُّعُونَةِ والجهلِ والخطأ ، على النحو الذي قال في ذلك عبدُ الرحمن بنُ زيد ، فيكونُ لذلك - وإن كان مخالفاً قراءةَ القَرَاءَةِ - معنى مفهومٌ حينئذٍ .

وأما القولُ الآخرُ الذي حُكي عن عطيةٍ ومن حُكي ذلك عنه أن قوله : ﴿ رَاعِنَا ﴾ . كانت كلمةً لليهود بمعنى السبِّ والسخرية ، فاستعملها المؤمنون أخذًا منهم ذلك عنهم ، فإن ذلك غيرُ جائزٍ في صفةِ المؤمنين أن يأخذوا من كلامِ أهلِ الشركِ كلامًا لا يعرفون معناه ، ثم يشتعملونه بينهم وفي خطابِ نبيِّهم ﷺ . ولكنه جائزٌ أن يكونَ ذلك كما^(٦) روى عن قتادة ، أنها كانت كلمةً صحيحةً مفهومةً من كلامِ العربِ ، وافقتْ كلمةً من كلامِ اليهودِ بغيرِ اللسانِ العربيِّ ، هي عند اليهودِ

(١) في الأصل ، ت ٣ : « عاقبهم » .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٣ : « فمما » .

(٣ - ٣) في الأصل : « الوقفة والكلمة » ، وفي ت ١ : « الرتبة والكلية » ، وفي ت ٢ : « الرقبة والكلية » .

(٤ - ٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فلا » .

(٥) في م : « مما » .

سَبَّ، وهى عند العرب: أزعنى سمعك وفرغته لى^(١)؛ لتفهم عنى. فعلم الله جل ثناؤه معنى اليهود فى قلوبهم ذلك للنبي ﷺ، وأن معناها منهم خلاف معناها فى كلام العرب، فنهى الله عز وجل المؤمنين عن قلوبها للنبي ﷺ؛ لئلا يجترى من كان معناه فى ذلك غير معنى المؤمنين فيه، أن يخاطب رسول الله ﷺ به. وهذا تأويل لم يأت الخبر بأنه كذلك من الوجه الذى تقوم به الحجة. وإذ كان ذلك كذلك، فالذى هو أولى بتأويل الآية ما وصفنا، إذ كان ذلك هو الظاهر المفهوم بالآية دون غيره.

وقد حكى عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه: (لا تقولوا راعنا)^(٢).
بالتنوين، بمعنى: لاتقولوا قولاً راعنا. من الرعونية، وهى الحمق والجهل.

وهذه قراءة لقراءة المسلمين مخالفة، فغير جائز لأحد القراءة بها، لشذوذها وخروجها من قراءة المتقدمين والمتأخرين، وخلافها ما جاءت به الحجة من المسلمين. ومن نون (راعنا) نونه بقوله: ﴿لَا تَقُولُوا﴾؛ لأنه حيثئذ عامل فيه، ومن لم يئنونه فإنه ترك تنوينه لأنه أمر محكى؛ / لأن القوم كأنهم كانوا يقولون للنبي ﷺ: راعنا. ٤٧٣/١
بمعنى مسألته؛ إما أن يُزعجهم سمعه^(٣)؛ وإما أن يرعاهم ويؤقّبهم - على ما قد بينت فيما مضى - فليل لهم: لا تقولوا فى مسألتكم إياه: ﴿رَاعِنَا﴾. فتكون الدلالة على معنى الأمر فى ﴿رَاعِنَا﴾ حيثئذ سقوط الياء التى كانت [٤/٤] تكون فى «راعيتُه»^(٤)، ويدل عليها - أعنى على الياء الساقطة - كسرة العين من ﴿رَاعِنَا﴾.

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م: «يراعيه»، وفى ١ ت ٢، ت ٣: «راعيه».

وقد ذُكر أن^(١) قراءة ابن مسعود: (لا تقولوا راعونا)^(٢). بمعنى حكاية أمر^(٣) صالحة لجماعة بمراعاتهم^(٤). فإن كان ذلك من قراءته صحيحًا، ووجه^(٥) أن يكون القوم كأنهم نُهوا عن استعمال ذلك بينهم في خطاب بعضهم بعضًا، كان خطابهم للنبي ﷺ أو لغيره، ولا نعلم ذلك صحيحًا من الوجه الذي تصح منه الأخبار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾.

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾: وقولوا أيها المؤمنون لنبيكم ﷺ: انتظرونا وارقبنا، نفهم وتبين ما تقول لنا وتعلمنا.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾: فقهننا^(٦)، بين لنا يا محمد^(٧).

حدثنا المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَقُولُوا أَنْظَرْنَا﴾: أفهمننا، بين لنا يا محمد.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

يقال منه: نظرت الرجل، أنظره نظرة. بمعنى: انتظرته ورقبته. ومنه قول

(١) في الأصل، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «أنها».

(٢) البحر المحيط ١/٣٣٨.

(٣) في الأصل: «من».

(٤) في الأصل: «مراعاتهم».

(٥) في الأصل: «وجب».

(٦) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فهننا».

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٠، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/١٩٨ (١٠٤٤).

الخطيئة^(١) :

وقد نَظَرْتُمْ^(٢) أَعْشَاءَ صَادِرَةً^(٣) لِلْخَمْسِ^(٤) طَالَ بِهَا حَوْزِي^(٥) وَتَسَاسِي^(٥)

ومنه قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ ثُورِكُمْ﴾ [الحديد : ١٣] . يعنى به : انتظرونا .^(٦) وقد قرئ : (أنظرونا نقتسب من ثورككم)^(٧) . يعنى به : انتظرونا . وقد قرئ : (أنظرونا)^(٨) . بقطع الألف في الموضعين جميعاً . فمن قرأ ذلك كذلك ، أراد : أخزنا . كما قال جل ثناؤه ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [ص : ٧٩] . أى : أخزنى . ولا وجه لقراءة ذلك كذلك في هذا الموضع ؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ إنما أمروا بالدنو من رسول الله ﷺ ، والاستماع منه ، وإطاف الخطاب له ، وحفض الجناح ، لا بالتأخير عنه ، ولا بمسألته تأخيرهم عنه . فالصواب - إذ كان ذلك كذلك - من القراءة ، قراءة من وصل الألف من قوله : ﴿ أَنْظِرْنَا ﴾ ولم يقطعها ، بمعنى : انتظرونا .

وقد قيل : إن معنى : (أنظرونا) بقطع الألف بمعنى : أمهلنا . حكى عن بعض

(١) ديوانه ص ٢٨٣ .

(٢ - ٣) فى الأصل : «إبناء عاشية» . والأعشاء ، واحدها عشي ، والعشى : ما يتعشى به . اللسان (ع ش ي) .

(٣) الخمس : من أظماء الإبل ، وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع ، أو هو أن ترد الماء يوماً فتشربه ، ثم ترعى ثلاثة أيام ، ثم ترد الماء اليوم الخامس . التاج (خ م س) .

(٤) الحوز : السوق اللين . وقد حاز الإبل يحوزها ويحيزها وحوزها : ساقها سوقاً رويذاً . التاج (ح ز) .

(٥) التساس : سرعة الذهاب لورود الماء . التاج (ن س س) .

(٦ - ٧) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٧) هى قراءة حمزة ، وقرأ الباقون بوصل الألف . حجة القراءات ص ٦٩٩ .

(٨) هى قراءة أبي الأعشى . البحر المحيط ١ / ٣٣٩ .

العرب سماعًا: أَنْظِرْنِي أَكَلَّمَك . وذكر سامع ذلك من بعضهم أنه استثنى في معناه ، فأخبره أنه أراد : أمهلني . فإن لم ^(١) يَكُنْ ذلك صحيحًا عنهم ، فـ « انظرونا » و « أنظرونا » ، بقطع الألف ووصلها متقاربنا المعنى ، غير أن الأمر وإن كان كذلك ، فإن القراءة التي لا ^(٢) أستجيز [٤/٤] غيرها قراءة من قرأه : ﴿ وَقُولُوا أَنْظِرْنَا ﴾ .
بوصل الألف ، بمعنى : انتظرونا . لإجماع الحجة على تصويبها ، ورفضهم غيرها من القراءات ^(٣) في ذلك .

٤٧٤/١

/ القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَسْمِعُوا لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ آلِيمٍ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَأَسْمِعُوا ﴾ : اسمعوا ما يقال لكم ، ويثنى عليكم من كتاب ربكم ، وغوه وافهموه .

كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ وَأَسْمِعُوا ﴾ : اسمعوا ما يقال لكم ^(٤) .

فمعنى الآية إذن : يأيتها الذين آمنوا لا تقولوا للبيكم : راعنا سمعك وفرغنا لنا ، نفهمك وتفهمنا عما نقول ، ولكن قولوا : انتظرونا وترقبنا حتى نفهم عنك ما تعلمنا وتبينه لنا . واسمعوا منه ما يقول لكم فغوه واحفظوه وافهموه . ثم أخبرهم جل ثناؤه أن لمن جحد منهم ومن غيرهم آياته ، وخالف أمره ونهيه ، وكذب برسوله - العذاب الموجع في الآخرة ، فقال : وللكافرين بي وبرسولي عذاب أليم . يعنى بقوله : « الأليم » .
الموجع . وقد ذكرنا الدلالة على ذلك فيما مضى قبل وما فيه من الآثار ^(٥) .

(١) سقط من : م ، ت ، ١ .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) عراه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/١ إلى المصنف .

(٥) ينظر ما تقدم في ٢٩١/١ - ٢٩٣ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

يعنى بقوله: ﴿مَا يَوَدُّ﴾: ما يُحِبُّ . أى: ليس يَوَدُّ^(١) كثيرٌ من أهل الكتاب . يقال منه: وَدَّ فلانٌ كذا ، يَوَدُّ ، وَدًّا وودًّا وودًّا^(٢) ومودَّةً .

وأما «المشركون» فإنهم فى موضعِ خَفْضٍ بالعطفِ على «أهل الكتاب» . ومعنى الكلام: ما يَوَدُّ^(٣) الذين كفروا من أهل الكتاب ولا من^(٤) المشركين أن يُنَزَّلَ عليكم من خيرٍ من ربكم .

وأما «أن» فى قوله: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ﴾ فنُصِبَ بقوله: ﴿يَوَدُّ﴾ . وقد دللنا على^(٥) دخولِ «مِنْ» فى قوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ . وما أشبه ذلك من الكلام الذى يكونُ فى أوله جَحْدٌ فيما مضى ، فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع^(٦) .

فتأويلُ الكلام: ما يحبُّ الكافرون من أهل الكتاب ولا من^(٤) المشركين بالله من عبدة الأوثان ، أن يُنَزَّلَ اللهُ^(٤) عليكم شيئاً^(٤) من الخير الذى^(٧) هو عنده . والخير الذى كان^(٧) اللهُ يُنَزِّلُهُ عليهم فتمتتى المشركون [٥/٤] وكفرة أهل الكتاب ألا يُنَزِّلَهُ^(٨) اللهُ عليهم - الفرقان وما أوحاه إلى نبيه محمد ﷺ من حكمه وآياته ، وإنما أحبت

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣: «يحب» .

(٢) سقط من: م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) فى م: «يحب» .

(٤) زيادة من: الأصل .

(٥) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣: «وجه» .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١٤ ، ١٥ .

(٧ - ٧) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣: «كان عند» .

(٨) فى م: «ينزل» .

اليهودُ وأتباعهم من المشركين ذلك حسداً وبغياً منهم على المؤمنين .

وفى هذه الآية دلالةٌ بيّنةٌ على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والاستماع من قولهم ، وقبول شئٍ مما يأتونهم ^(١) به على وجه النصيحة لهم منهم ، بإطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد ، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم ^(٢) مُستبطنوه لهم ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٤) .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ : واللَّهُ يَخْتَصُّ مَن يَشَاءُ لِنُبُوَّتِهِ ورسالاتِهِ ، فيُرْسِلُهُ إلى مَن يَشَاءُ من خلقِهِ ، ويتفضَّلُ بالإيمانِ به ^(٥) على مَن أحبَّ فيهديه له . واختصاصُهُ إياهم بها ، إفرادُهُم ^(٦) بها دونَ غيرِهِم من خلقِهِ . وإنما جعلَ اللهُ رسالته إلى مَن أُرْسِلَ إليه من خلقِهِ ، وهدايته مَن هدى من عبادِهِ رحمةً ^(٧) منه له ؛ ليُصَيِّرَهُ / بها إلى رضاه ومحبتِهِ ، وفوزه بها بالجنة ، ٤٧٥/١ واستحقاقِهِ بها ثناءً ^(٨) ، وكلُّ ذلك رحمةٌ من اللهِ له .

وأما قوله : ﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ . فإنه خبرٌ من اللهِ ^(٩) جل ثناؤه ^(١٠)

(١) فى الأصل ، ت ١ : « يأتونهم » ، وحذف النون لغة . ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٣٦/٢ .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مستبطنون » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، ت ٢ ، ت ٣ : « إقرارهم » .

(٥) فى الأصل : « ورحمة » .

(٦) فى الأصل : « ثناء » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

١) عن أن كل خير ناله عباده في دينهم وديناهم، فإنه من عنده ابتداءً، وتفضلاً منه عليهم من غير استحقاقٍ منهم ذلك عليه.

وفى قوله: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. تعريضٌ من الله^(١) تعالى ذكره بأهل الكتابِ الذي أتى نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين به من الهداية تفضل^(٢) منه، وأن نعمه لا تُدرَك بالأمانى، ولكنها مواهبٌ منه يختصُّ بها من يشاء من خلقه.

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿مَا نَسَخَ مِن آيَةٍ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا نَسَخَ مِن آيَةٍ﴾: ﴿مَا نَنْقُلُ مِنْ حُكْمِ آيَةٍ﴾^(٣) إلى غيره، فمغيّره ونبدله. وذلك أن يحوّل الحلال حراماً، والحرام حلالاً، والمباح محظوراً، والمحظور مباحاً. ولا يكون ذلك إلا فى الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة. فأما الأخبارُ فلا يكون منها^(٤) ناسخٌ ولا منسوخٌ.

وأصلُ النسخِ من نسخِ أصل^(٥) الكتابِ، وهو نقله من نسخةٍ إلى أخرى غيرها. فكذلك معنى نسخِ الحكمِ إلى غيره،^(٦) إنما هو تحويله ونقلُ عباده^(٧) عنه إلى غيره^(٨). فإذا كان ذلك معنى نسخِ الآية، فسواءً - إذا نُسِخَ حكمها فغيّر وبُدِّل فرضها، وتُيَلَّ (٨) العبادة عن اللازم كان لهم بها - أَوْفَرَ حَظُّهَا^(٩) فترك، أو مُجِى أَثَرُهَا

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى م: «تفضلاً».

(٣ - ٣) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فيها».

(٥) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى م: «عبادته». وفى تفسير ابن كثير ٢١٥/١ عن المصنف: عبادة إلى غيرها.

(٨) بعده فى م: «فرض».

(٩ - ٩) فى م: «أوفر حظها».

فَعْفَى^(١) وَ نَسِيَ ؛ إذ هي حينئذ في كلتي حالتَيْها منسوخةٌ ، والحُكْمُ الحادثُ [٥/٤] المُبَدَّلُ به الحكمُ الأولُ والمنقولُ إليه فرضُ العبادِ هو الناسخُ . يقالُ منه : نَسَخَ اللهُ حُكْمًا^(٢) آيَةً كَذَا وكَذَا ، يُنَسِّخُهُ نَسْخًا ، والنُّسْخَةُ الاسمُ .

وبمثل الذي قلنا في ذلك كان الحسنُ البصريُّ يقولُ^(٣) .

حَدَّثَنَا سَوَّازُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ، قال : ثنا خَالِدٌ ، قال : ثنا عَوْفٌ ، عن الحسنِ أنه قال في قوله : ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا^(٤) فَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا ﴾ قال^(٥) : أُقْرِئَ قَرَأَانًا نَسِيَهُ ، فلم يكن شيئًا ، ومن القرآن ما قد نُسِخَ وأنتم تقرأونه^(٦) .

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ مَا نَسَخَ ﴾ ؛ فقال بعضهم بما حدثني به موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ ﴾ : أما نسخها فقبضها^(٧) .

وقال آخرون بما حدثني به المثني ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ ﴾ . ما يُبَدَّلُ من آية^(٨) .

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أو » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) بعده في الأصل : « قال » .

(٤) في ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « نساها » ، وغير منقوطة في الأصل . وقراءة الحسن : (تنسها) . ينظر إتحاف فضلاء البشر ص ٨٨ ، وسيأتي ما في هذه الكلمة من قراءات .

(٥) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قال » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٥/١ إلى المصنف .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٠/١ (١٠٥٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

(٨) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٥ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٦) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٤/١ إلى ابن المنذر .

وقال آخرون بما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن أصحاب عبد الله بن مسعود أنهم قالوا: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ﴾. نُثِبَتْ خَطُّهَا، وَتُبْدِلُ حُكْمَهَا^(١).

وحدثني المثني، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ﴾. نُثِبَتْ خَطُّهَا، وَتُبْدِلُ حُكْمَهَا. حدثت به عن أصحاب ابن مسعود.

٤٧٦/١ / حدثني المثني، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثني بكر بن شرويد^(٢)، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أصحاب ابن مسعود: ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ﴾: نُثِبَتْ خَطُّهَا. القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ أَوْ نُنسِئَهَا ﴾.

اختلف أهل القراءة في قراءة ذلك، فقرأها قراة أهل المدينة والكوفة: ﴿ أَوْ نُنسِئَهَا ﴾^(٣). ولقراءة من^(٤) «قرأها كذلك» وجهان من التأويل:

أحدهما، أن يكون تأويله: ما ننسخ يا محمد من آية فتعزير حكمها أو نُنسِئَهَا^(٥) - وقد ذكر أنها في مصحف عبد الله (ما ننسك من آية أو

(١) تفسير مجاهد ص ٢١١، ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٩/١ (١٠٥٥)، والنحاس في ناسخه ص ٥٨ من طريق ابن أبي نجيح به، وليس عند النحاس ذكر أصحاب ابن مسعود، وأخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٦، وابن أبي حاتم ٢٠٠/١ (١٠٦٢) من طريق ابن جريج، عن مجاهد، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٠٥/١ إلى آدم بن أبي إياس وأبي داود في ناسخه.

(٢) في م، ت ١: «شودب»، وفي ت ٢، ت ٣: «شودب».

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي. السبعة لابن مجاهد ص ١٦٨.

(٤ - ٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «قرأ ذلك».

(٥) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «ننساها».

نَنْسُخُهَا^(١) - نَجِيءٌ بِمِثْلِهَا . فَذَلِكَ تَأْوِيلُ النَّسِيَانِ . وَبِهَذَا التَّأْوِيلِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ : كَانَ يَنْسَخُ الْآيَةَ بِالْآيَةِ بَعْدَهَا ، وَيَقْرَأُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْآيَةَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُنْسَى وَتَرْفَعُ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخُهَا ﴾ . قَالَ : كَانَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ [٤/٦٧] يُنْسِي نَبِيَّهُ ﷺ مَا شَاءَ ، وَيَنْسَخُ مَا شَاءَ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : ثنا سِبْطٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : كَانَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ يَقُولُ : ﴿ نُنسِخُهَا ﴾ : نَزَعَهَا مِنْ عِنْدِكُمْ^(٤) .

حَدَّثَنَا سَوَّازُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : ثنا خَالِدُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَالَ : ثنا عَوْفٌ ، عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ نُنسِخُهَا ﴾^(٥) . قَالَ : إِنْ نَبِيَّكُمْ ﷺ أَقْرَأَ قَرَأْنَا ثُمَّ نُسِيَهُ .

وَكَذَلِكَ كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ^(٦) يَتَأَوَّلُ الْآيَةَ^(٧) ، «إِلَّا أَنَّهُ^(٧) كَانَ يَقْرَأُهَا :

(١) ينظر المصاحف لابن أبي داود ص ٥٨ ، والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ١٠ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٠٥ إلى المصنف وعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٥٥ .

(٤) سيأتي بآتم مما هنا في ص ٤٠٠ .

(٥) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ننسأها » . وينظر ما تقدم في ص ٣٨٨ .

(٦ - ٦) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يتأوله » .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(أو تَنْسَهَا^(١)). بمعنى الخطابِ لرسولِ الله ﷺ، كأنه عنى: أو تَنْسَهَا أنت يا محمدُ.

ذَكَرُ الْأَخْبَارِ^(٢) عَنْ ذَلِكَ^(٣)

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا يَعْلى بْنُ عَطَاءٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ يَقُولُ: (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ تَنْسَهَا). قَالَ^(٣): قُلْتُ لَهُ: فَإِنْ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقْرَأُهَا: ﴿أَوْ نُسِيهَا﴾. قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى الْمُسَيَّبِ وَلَا عَلَى آلِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ اللَّهُ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦]. ﴿وَأَذْكُرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتُ﴾^(٤) [الكهف: ٢٤].

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْلى بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ قَانِفِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ يَذْكُرُ نَحْوَهُ^(٥).

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى،^(٦) قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ، وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَدَمُ الْعَسْقَلَانِيُّ، قَالَا جَمِيعًا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ يَعْلى بْنِ عَطَاءٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْقَاسِمَ بْنَ رَبِيعَةَ الثَّقَفِيَّ يَقُولُ: قُلْتُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ: إِنِّي سَمِعْتُ ابْنَ الْمُسَيَّبِ

(١) فى ت ١: «تسناها»، وفى ت ٢، ت ٣: «نساها»، وهذه القراءة شاذة. ينظر حجة القراءات ص ١١٠.

(٢ - ٣) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بذلك».

(٣) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) أخرجه الحاكم ٥٢١/٢ من طريق يعقوب بن إبراهيم به. وأخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ١٠، وسعيد بن منصور فى سننه (٢٠٨ - تفسير)، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٩٦، والمزى فى تهذيب الكمال ٢٣/٣٧٥ من طريق هشيم به. وصححه الحاكم، والقاسم مجهول. وفى المصادر اختلاف فى حكاية قراءة سعد وسعيد فانظره فيها.

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/٥٥.

(٦ - ٦) سقط من: م.

يَقْرَأُ: ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ / أَوْ نُنسِهَا ﴾ . فقال سعدٌ : إن الله لم يُنزلِ القرآنَ على المُسيَّبِ ولا على ابنه ^(١) ، إنما هي : (ما نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) يا محمدُ . ثم قرأ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ ﴿ وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ ^(٢) .

حدَّثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . يقولُ : ﴿ نُنسِهَا ﴾ : نَزَعُهَا ، وكان اللهُ تعالى ذكره أنزلَ أمورًا من القرآنِ ثم رَفَعَهَا ^(٣) .

والوجهُ الآخرُ منهما ، أن يكونَ بمعنى التركِ ، من قولِ اللهِ جل ثناؤه : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعني به : تركوا اللهَ فتركهم . فيكونُ تأويلُ الآيةِ حينئذٍ على هذا التأويلِ : ما نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ فَنُغَيِّرُ حُكْمَهَا ، ^(٤) أو نُنزِلُهَا ولا نُغَيِّرُ حُكْمَهَا ^(٥) ولا نُبَدِّلُ فَرْضَهَا ، نأتِ بخيرٍ مِنَ التي نَسَخْنَاها أو مِثْلِها .
وعلى هذا التأويلِ تأوَّلَ ذلك ^(٥) جماعةٌ من أهلِ التأويلِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثني ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن [٦/٤] ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . يقولُ : أو نُنزِلُهَا لا نُبَدِّلُهَا ^(٦) .

(١) في الأصل : « أيبك » .

(٢) أخرجه أبو داود في ناسخه - كما في التحفة ٣/٣٠٩ - والنسائي في الكبرى (١٠٩٩٦) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٩٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٠٠ (١٠٥٩) ، والحاكم ٢/٢٤٢ من طريق شعبة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٠٤ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٠١ عقب الأثر (١٠٦٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤ - ٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) سقط من : م .

(٦) تقدم أول هذا الأثر في ص ٣٨٩ .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : ثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنِ الشَّدِيدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ أَوْ نُنْسِهَا ﴾ : نَتْرُكُهَا لَا نَنْسَخُهَا ^(١) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا جُوَيْرِيٌّ ، عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا ﴾ . قَالَ : النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ ^(٢) .

قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ يَقُولُ فِي ذَلِكَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَوْ نُنْسِهَا ﴾ . قَالَ : نَمَحُّهَا .

وَقَرَأَ ذَلِكَ آخَرُونَ : (أَوْ نَنْسَأُهَا) ^(٣) . يَفْتَحِ النَّوْنَ وَهَمْزَةٌ بَعْدَ السِّينِ ، بِمَعْنَى : نُؤَخِّرُهَا . مِنْ قَوْلِكَ : نَسَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ أَنْسَأُوهُ نَسَاءً وَنَسَاءً ، إِذَا أَخَّرْتَهُ . وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَعَثَهُ بِنِسَاءٍ . يَعْنِي : بِتَأْخِيرٍ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ ^(٤) :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَنْسَأَ ^(٥) الْفَتَى
لِكَالطُّوْلِ ^(٦) الْمُرْخَى وَثِنْيَاهُ بِالْيَدِ
يَعْنِي بِقَوْلِهِ : أَنْسَأَ . آخَرَ .

وَمَنْ قَرَأَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ^(٧) جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَقَرَأَهُ ^(٨) جَمَاعَةٌ مِنْ قِرَاءَةِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٦) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٠/١ (١٠٦١) من طريق هشيم به .

(٣) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو . حجة القراءات ص ١٠٩ .

(٤) ذبوانه ص ٣٧ .

(٥) في الديوان : « أخطأ » .

(٦) الطول : الحبل الطويل جدًا . اللسان (ط و ل) ، والبيت فيه كرواية الديوان .

(٧) سقط من : م .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل . وهي قراءة عمرو وابن عباس من الصحابة ، وقراءة النخعي وعطاء ومجاهد وعبيد

ابن عمير من التابعين . ينظر البحر المحيط ١/٣٤٣ .

المكئين^(١) والبصريين . وتأولَه كذلك جماعة من أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالَا : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ في قوله : (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسأُهَا^(٢)) . قال : نُؤخِّرُهَا^(٣) .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، قال : سمِعْتُ ابنَ أبي نُجَيْحٍ يقولُ في قولِ اللَّهِ : (أَوْ نُنسأُهَا) . قال : نُزِجَتْهَا^(٤) .

حدَّثني الثُّنَيْيُ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبي نُجَيْحٍ ، عن مجاهدٍ : (أَوْ نُنسأُهَا) : نُزِجَتْهَا وَنُؤخِّرُهَا^(٥) .

/ حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزبيرِيُّ ، قال : ثنا ٤٧٨/١
فُضَيْلٌ ، عن عطيةَ : (أَوْ نُنسأُهَا) قال : نُؤخِّرُهَا فلا نَنْسَخُهَا .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخبرني عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، عن عُبيدِ الأزدِيِّ ، عن عُبيدِ بنِ عُمَيْرٍ : (أَوْ نُنسأُهَا) : إرجاؤها^(٦) وتأخيرها^(٦) .

(١) في م : « الكوفيين » .

(٢) في الأصل ، ت ٢ ، والناسخ والمنسوخ : « نسأها » ، وفي سنن سعيد : « نسيها » .

(٣) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٦ عن هشيم به . وأخرجه أبو عبيد - أيضا - وسعيد بن منصور في سننه (٢٠٩ - تفسير) عن مروان بن معاوية عن عبد الملك به .

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٧) من طريق ابن أبي نجيح عن أصحاب ابن مسعود . وهو تمة الأثر المتقدم في ص ٣٩٠ .

(٥) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٦ ، ٧ من طريق جرير بن حازم عن حميد الأعرج عن مجاهد به .

(٦ - ٦) في الأصل : « تأخيرها » .

هكذا حدَّثنا القاسمُ : عن عبدِ اللهِ بنِ كثيرٍ ، عن عُبيدِ الأزدِيِّ ، وإنما هو : عن عليِّ الأزدِيِّ .

حدَّثني أحمدُ بنُ يوسفَ ، قال : حدَّثنا القاسمُ بنُ سلامٍ ، قال : حدَّثنا حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ كثيرٍ ، عن عليِّ الأزدِيِّ ، عن عُبيدِ بنِ عميرٍ أنه قرأها : (أو نُنسأها) ^(١) .

قال : فتأويلُ مَنْ قرأ ذلك كذلك : ما يُبدلُ مِنْ آيةٍ أنزلناها إليك يا محمدُ ، فنبطلُ حُكْمَهَا ونُثبِتُ خَطَّهَا ، أو نُؤخِّرُهَا فنُزجِئُهَا ونُقرِّها فلا نُغيِّرُها ولا نُبطلُ حُكْمَهَا ، نأتٍ بخيرٍ مِنْهَا أو مِثْلِهَا .

وقد قرأ بعضهم [٧/٤] ذلك : (ما نُنسخُ مِنْ آيةٍ أو تُنسخها) ^(٢) . وتأويلُ هذه القراءةِ نظيرُ تأويلِ قراءةٍ ^(٣) مَنْ قرأ : ﴿ أَوْ نُنْسِئُهَا ﴾ . إلا أن معنى : ﴿ أَوْ نُنْسِئُهَا ﴾ : أو نُثبِتُ حُكْمَهَا يا محمدُ نحن . مِنْ : أنسأه اللهُ يُنسيه . ومعنى مَنْ قرأ : (أو تُنسخها) ^(٤) . أو تُنسخها أنت يا محمدُ .

وقد قرأ بعضهم : (ما نُنسخُ ^(٥) مِنْ آيةٍ) . بضمِّ النونِ وفتحِ السينِ . بمعنى : ما نُنسخُك يا محمدُ نحنُ مِنْ آيةٍ . مِنْ : أنسخُك فأنا أنسخُك .

قال : وذلك خطأٌ مِنَ القراءةِ عندنا ، لخروجه عما جاءت به الحجَّةُ مِنَ القراءةِ ^(٦)

(١) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٧ .

(٢) رويت هذه القراءة عن سعيد بن المسيب . المحرر الوجيز ١ / ٣٨٢ .

(٣) في الأصل : « قوله » .

(٤ - ٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) هي قراءة ابن عامر ، من السبعة . حجة القراءات ص ١٠٩ .

(٦) في م : « القراءة » .

بالتقل المستفيض . وكذلك قراءة من قرأ : (تَنَسَّهَا) أو (تَنَسَّهَا) . لشذوذها وخروجها عن القراءة التي جاءت بها الحجة من قراءة الأمة .

وأولى القراءات في قوله : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . بالصواب ، قراءة من قرأ : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ . بمعنى : نَنَزَّحُهَا ؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر نبيه ﷺ أنه مهما بدّل حكماً أو غيره ، أو لم يبدله ولم يغيّره ، فهو آتية بخير منه أو بمثله . فالذى هو أولى بالآية إذ كان ذلك معناها ، أن يكون إذ قدّم الخبر عما هو صانع^(١) إذا هو غير وبدل حكم آية - أن يُعقّب ذلك بالخبر عما هو صانع إذا هو لم يُبدل ذلك ولم يُغيّر . والخبر الذى يجب أن يكون عقيب قوله : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ﴾ . قوله : أو نَنَزَّحْ نَسَخَهَا . إذ كان ذلك المعروف الجارى فى كلام الناس ، مع أن ذلك إذا قرئ كذلك بالمعنى الذى وَصَفْتُ ، فهو يَشْتَمِلُ على معنى الإنساء الذى هو بمعنى التَّزْكُ ، ومعنى التَّنْسِءِ^(٢) الذى هو بمعنى التَّزْكِ . ومعنى التَّنْسِءِ الذى هو بمعنى^(٣) التأخير ، إذ كان كل متروك فمؤخّر فى^(٤) حال ما هو متروك .

وقد أنكر قوم قراءة من قرأ : (أَوْ تَنَسَّهَا) . إذا عنى به النسيان . وقالوا : غير جائز أن يكون رسول الله ﷺ نَسِيَ من القرآن شيئاً مما نُسِخَ^(٥) ، إلا أن يكون نَسِيَ منه شيئاً ثم ذكره . قالوا : وبعد ، فإنه لو نَسِيَ منه شيئاً لم يكن الذين قرءوه وحفظوه من أصحابه بجائز على جميعهم أن ينسوه . قالوا : وفى قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء : ٨٦] . ما يُنبئُ عن أن الله تعالى ذكره

(١) فى الأصل : « سابع » .

(٢) فى م : « النساء » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) فى م : « على » .

(٥) فى م : « لم ينسخ » .

لم يُنْسِ نبيّه شيئاً^(١) أتاه من العلم .

قال أبو جعفر: وهذا قولٌ يشهدُ على بُطوله وفساده الأخبارُ المتظاهرةُ عن رسولِ الله ﷺ وأصحابه بنحوِ الذي^(٢) حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ، قال: حدثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ، قال: حدثنا سعيدٌ، عن قتادة، قال: حدثنا/ أنسُ بنُ مالكٍ: إنَّ أولئك السَّبَّيعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِعِثْرِ مَعُونَةَ^(٣) قرأنا بهم وفيهم [٤/٧ط] كتابًا: (بَلَّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عَنَّا وَأَرْضَانَا) . ثم إن ذلك رُفِعَ^(٤) .

٤٧٩/١

فالذي دُكِرَ^(٥) عن أبي موسى الأشعري أنهم كانوا يقرءون^(٦): (لو أن لابن آدم واديين من مالٍ لا يبتغي لهما ثالثًا، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ على مَنْ تَابَ)^(٧) . ثم رُفِعَ .

وما أشبه ذلك من الأخبارِ التي يُطوّلُ بإحصائها الكتابُ .

وغيرُ مستحيلٍ في فِطْرَةِ ذِي عَقْلِ صَحِيحٍ، ولا بِحُجَّةِ خَيْرٍ، أن يُنْسِيَ اللَّهُ نبيّه ﷺ بعضَ ما قد كان أنزله إليه، فإذا كان ذلك غيرَ مستحيلٍ من أحدٍ هذين الوجهين، فغيرُ جائزٍ لقائلٍ أن يقولَ: ذلك غيرُ جائزٍ .

وأما قوله: ﴿وَلَكِنْ سِتْنًا لِنَدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ . فإنه جل ثناؤه لم يُخَيِّرْهُ أَنَّهُ لَا يَذْهَبُ بِشَيْءٍ مِنْهُ، وإنما أخبره أنه لو يشاء لَذَهَبَ بِجَمِيعِهِ، فلم يَذْهَبْ

(١) بعده في م: «مما» .

(٢) بعده في م: «قلنا» .

(٣) بئر معونة: بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم . معجم البلدان ١/٤٣٥ .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩٠) من طريق يزيد به بنحوه .

(٥) في م: «ذكرنا» .

(٦) في الأصل: «يقولون» .

(٧) أخرجه مسلم (١٠٥٠) بنحوه . وينظر مسند الطيالسي (٥٤١) .

به ، والحمدُ لله ، بل إنما ذَهَبَ منه ^(١) بما ^(٢) لا حاجة بهم إليه منه ، وذلك أن ما نَسَخَ منه فلا حاجة بالعباد إليه ، وقد قال الله تعالى ذِكْرُه : ﴿ سَقَرْتُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ (٦) إِلَّا مَا سَأَلَ اللَّهُ ﴿ [الأعلى : ٦ ، ٧] . فأخبر أنه يُنسى نبيّه منه ماشاء . فالذى ذَهَبَ منه الذى اسْتثناه الله .

فأما نحن ، فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويلِ طلبِ اتِّساقِ الكلامِ على نظامٍ فى المعنى ، لا إنكارَ أن يكونَ اللهُ تعالى ذِكْرُه قد كان أنسى ^(٣) نبيّه بعضَ ما نَسَخَ من وحيه إليه وتنزيله .

القولُ فى تأويلِ قوله جلّ ثناؤه : ﴿ نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قوله : ﴿ نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ . فقال بعضهم بما حدّثنى به المثنى ، قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ صالح ، قال : حدّثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليّ بنِ أبى طلحة ، عن ابنِ عباس : ﴿ نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ . يقولُ : خيرٍ لكم فى المنفعةِ وأرفقَ بكم ^(٤) .

وقال آخرون بما حدّثنى به الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة فى قوله : ﴿ نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ . يقولُ : آيةٌ فيها تخفيفٌ ، فيها رخصةٌ ^(٥) ، فيها أمرٌ ، فيها نهى ^(٦) .

(١) سقط من : م .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ : « ما » .

(٣) فى م : « آتى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٧) من طريق عبد الله بن صالح به . وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٥٤ ، والفتح ١٥٨/٨ .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رحمة » .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٥/١ .

وقال آخرون: نأتٍ بخيرٍ من التي نَسَخناها، أو بخيرٍ من التي تَرَكناها فلم نَسْخِها.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى، قال: حدَّثنا عمرو، قال: حدَّثنا أسباط، عن السدي: ﴿ نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾ . يقول: نأتٍ بخيرٍ من التي نَسَخناها، ﴿ أَوْ مِثْلَهَا ﴾ أو مثل التي تَرَكناها^(١).

فالهَاءُ وَالْأَلْفُ اللَّتَانِ فِي: ﴿ مِّنْهَا ﴾ عَائِدَتَانِ - عَلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ - عَلَى الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ ﴾ . وَالْهَاءُ وَالْأَلْفُ اللَّتَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَوْ مِثْلَهَا ﴾ عَائِدَتَانِ عَلَى الْهَاءِ وَالْأَلْفِ اللَّتَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَوْ تُنْسِهَا ﴾ .

[٨/٤] وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة، قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: كَانَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ يَقُولُ: ﴿ تُنْسِهَا ﴾: نَرَفَعُهَا مِنْ عِنْدِكُمْ، فَتَأْتِي^(٢) بِمِثْلِهَا أَوْ خَيْرٍ مِنْهَا^(٣).

٤٨٠/١ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ الرَّبِيعِ: ﴿ أَوْ تُنْسِهَا ﴾: نَرَفَعُهَا، نَأَتْ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ بِمِثْلِهَا^(٤).

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ شَرِيدٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٩) عن أبي زرعة، عن عمرو بن حماد به.

(٢) في م: « نأت ».

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٠، ٢١١، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠١/١ (١٠٦٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٧) عن ابن أبي نُجَيْجٍ عن عبيد بن عمير.

(٤) تقدم تخريجه في ص ٣٩٣.

والصواب من القول في معنى ذلك عندنا: ما تُبدل من حُكْمِ آيةٍ فتُغيّره، أو تتركُ تَبْدِيلَهُ فتُقرِّره بحالِهِ، نأتُ بخير^(١) لكم من حُكْمِ الآيَةِ التي نَسَخْنَا فَغَيَّرْنَا حُكْمَهَا، إما في العاجِلِ؛ لِحِفَّتِهِ عَلَيْكُمْ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ وَضِعَ فَرَضٌ كَانَ عَلَيْكُمْ، فَأُسْقِطَ ثِقَلُهُ عَنْكُمْ، وَذَلِكَ كَالَّذِي كَانَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ فَرَضِ قِيَامِ اللَّيْلِ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ فَوَضِعَ عَنْهُمْ، فَكَانَ^(٢) خَيْرًا لَهُمْ فِي عَاجِلِهِمْ، لِسُقُوطِ عِبءِ ذَلِكَ وَثِقَلِ حِمْلِهِ عَنْهُمْ، وَإِمَا فِي الْآجِلِ؛ لِعِظَمِ ثَوَابِهِ مِنْ أَجْلِ مَشَقَّةِ حَمَلِهِ، وَثِقَلِ عِبِّهِ عَلَى الْأَبْدَانِ. كَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ صِيَامِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فِي السَّنَةِ، فَتُسِخَ وَفُرِضَ عَلَيْهِمْ مَكَانَهُ صَوْمٌ شَهْرٍ كَامِلٍ فِي كُلِّ حَوْلٍ. فَكَانَ فَرَضُ صَوْمِ شَهْرٍ كَامِلٍ كُلَّ سَنَةٍ أَثْقَلَ عَلَى الْأَبْدَانِ مِنْ صِيَامِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ، غَيْرَ أَنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَالثَّوَابُ عَلَيْهِ أَجْزَلُ، وَالْأَجْرُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ؛ لِفَضْلِ مَشَقَّتِهِ عَلَى مُكَلَّفِيهِ مِنْ صَوْمِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ بِذَلِكَ^(٣)، وَإِنْ كَانَ عَلَى الْأَبْدَانِ أَشَقَّ، فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْأَوَّلِ فِي الْآجِلِ؛ لِفَضْلِ ثَوَابِهِ وَعِظَمِ أَجْرِهِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ لَصَوْمِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ. فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا ﴾. لِأَنَّهُ إِمَّا بِخَيْرٍ مِنْهَا فِي الْعَاجِلِ لِحِفَّتِهِ عَلَى مَنْ كُفِّفَهُ، أَوْ فِي الْآجِلِ لِعِظَمِ ثَوَابِهِ وَكَثْرَةِ أَجْرِهِ. أَوْ يَكُونُ مِثْلَهَا فِي الْمَشَقَّةِ عَلَى الْبَدَنِ، وَاسْتِوَاءِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهِ، نَظِيرَ نَسْخِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ فَرَضَ الصَّلَاةِ شَطْرَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى فَرَضِهَا شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. فَالتَّوَجُّهُ شَطْرَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَإِنْ خَالَفَ التَّوَجُّهَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ^(٤)، فَكُلَّفَهُ مَوْنَةً^(٥) التَّوَجُّهَ^(٦) شَطْرَ أُيُّهُمَا تَوَجُّهًا^(٧)

(١) بعده في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «منها».

(٢) بعده في م: «ذلك».

(٣) في م، ت ٢: «فذلك».

(٤) زيادة من: ت ٢.

(٥) سقط من: م.

(٦ - ٦) في الأصل: «فوجه شطرانها».

شطره^(١) المَـتَوَجِّه^(٢) - واحدة؛ لأنَّ الذي على المَـتَوَجِّه شَطْرَ البَيْتِ المَقْدَسِ مِنْ مَّوْجِهَةٍ تَوَجَّهَ شَطْرَهُ، نَظِيرُ الذي على بَدَنِهِ^(٣) مِنْ^(٤) مَّوْجِهَةٍ تَوَجَّهَ شَطْرَ الكَعْبَةِ سِوَاهُ. فَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى المِثْلِ الذي قال جَل ثناؤُهُ: ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾.

وَإِنَّمَا عَنَى جَل ثناؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا﴾: مَا نَنْسَخُ [٤/٨٨ظ] مِنْ حُكْمِ آيَةٍ أَوْ نُنْـسِئُهَا. غَيْرَ أَنَّ المَخَاطِبِينَ بِالآيَةِ لَمَّا كَانَ مَفْهُومًا عِنْدَهُمْ مَعْنَاهَا، اِكْتَفَى بِدَلَالَةِ ذِكْرِ الآيَةِ مِنْ ذِكْرِ حُكْمِهَا. وَذَلِكَ نَظِيرُ سَائِرِ مَا ذَكَرْنَا مِنْ نَظَائِرِهِ فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾. بِمَعْنَى: حُبِّ العِجْلِ. وَنَحْوِ ذَلِكَ^(٥).

فَتَأْوِيلُ الآيَةِ إِذَنْ: مَا نُغَيِّرُ مِنْ حُكْمِ آيَةٍ فَنُبَدِّلُهُ، أَوْ نَتْرُكُهُ فَلَا نُبَدِّلُهُ، نَأْتِ بِخَيْرٍ لَكُمْ مِنْهُ^(٦) - أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ - حُكْمًا مِنْهَا، أَوْ مِثْلِ حُكْمِهَا، فِي الخِفَّةِ وَالثَّقَلِ، وَالأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ العِجْلَ لَا يُشْرَبُ^(٧) القُلُوبَ، وَأَنَّهُ لَا يَلْتَبِسُ عَلَى مَنْ سَمِعَ قَوْلَهُ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾. أَنَّ مَعْنَاهُ: وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ العِجْلِ. فَمَا الذي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْـسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ لَذَلِكَ نَظِيرٌ؟

(١) فِي ت ٢: «الشطر»، وَفِي ت ١، ت ٣: «شطره».

(٢) سَقَطَ مِنْ: م.

(٣) فِي ت ٢: «يده»، وَفِي ت ١، ت ٣: «يديه».

(٤) بَعْدَهُ فِي ت ١، ت ٢، ت ٣: «نظير».

(٥) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٢٦٥، ٢٦٦.

(٦) زِيَادَةٌ مِنْ: الأَصْلُ.

(٧) بَعْدَهُ فِي م: «فِي».

قيل : الذى دلَّ على أن ذلك كذلك قوله : ﴿ نَأْتِي بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾ .
 وغيرُ جائزٍ أن يكونَ من / القرآنِ شىءٌ خيراً من شىءٍ ؛ لأن جميعه كلامُ الله ، ولا يجوزُ فى صفاتِ الله تعالى ذكره أن يقال : بعضها أفضلُ من بعضٍ ، أو ^(١) بعضها خَيْرٌ من بعضٍ .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ : ألم تعلم يا محمدُ أنى قادرٌ على تعويضك مما نسختُ من أحكامى ، وغيرته من فرائضى التى كنتُ افترضتها عليك ، ما أشاءُ مما هو خيرٌ لك ولعبادى المؤمنين معك ، وأنفعُ لك ولهم ، إما عاجلاً فى الدنيا ، وإما آجلاً فى الآخرة ، أو بأن أبدلَ لك ولهم مكانه مثله فى النفعِ لهم ، عاجلاً فى الدنيا وآجلاً فى الآخرة ، وشبَّهه فى الحفَّةِ عليك وعليهم ؟
 فإنى - فاعلم يا محمدُ - على ذلك وعلى كلِّ شىءٍ قديرٌ .

ومعنى قوله : ﴿ قَدِيرٌ ﴾ . فى هذا الموضع : قَوِيٌّ . يقالُ منه : قد قَدَرْتُ على كذا وكذا - إذا قَوَيْتَ عليه - أقدرُ عليه ، وأقدرُ عليه ، قُدْرَةٌ وقُدْرَانًا ومَقْدَرَةٌ . وبنو مُرَّةٍ مِنْ عَطْفَانَ تقولُ خاصةً ^(٢) : قَدِرْتُ عليه . بكسرِ الدالِ .

فأما من التقديرِ من قولِ القائلِ : قَدَرْتُ الشىءَ . فإنه يقالُ منه : قَدَرْتُهُ أَقْدَرُهُ قَدْرًا وقَدْرًا .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : (و) .

(٢) سقط من : م .

قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: أو لم يكن رسول الله ﷺ يعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله له ملك السماوات والأرض حتى قيل [٤/٩] له ذلك؟

قيل: بلى، فقد كان بعضهم يقول: إنما ذلك من الله جل ثناؤه خير عن أن محمداً ﷺ قد علم ذلك، ولكنه^(١) أخرج الكلام مخرج التقرير، كما تفعل مثله العرب في خطاب بعضها بعضاً، فيقول أحدهم لصاحبه: ألم أكرمك، ألم أفضل^(٢) عليك. بمعنى إخباره أنه قد أكرمه وأفضل^(٣) عليه. يريد: أليس قد أكرمك، أليس قد أفضلت^(٤) عليك. بمعنى: قد علمت ذلك.

قال: وهذا قول^(٥) لا وجه له عندنا، وذلك أن قوله جل ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾. إنما معناه: أما علمت. وهو حرف جحد أدخل عليه حرف استفهام، وحروف الاستفهام إنما تدخل في الكلام؛ إما بمعنى الاستثبات، وإما بمعنى النفي، فأما بمعنى الإثبات، فذلك غير معروف في كلام العرب، ولا سيما إذا أدخلت على حروف الجحد، ولكن ذلك عندى، وإن كان ظهر ظهور الخطاب للنبي ﷺ، وإنما هو معنى به أصحابه الذين قال لهم^(٦) الله جل ثناؤه: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظِرْنَا وَأَسْمِعُوا﴾. والذي يدل على أن ذلك كذلك قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. فعاد بالخطاب في آخر الآية إلى جميعهم، وقد ابتداء أولها بخطاب النبي ﷺ بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. لأن المراد بذلك الذين وصفت أمرهم من أصحابه، وذلك من كلام

(١) بعده في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «قد».

(٢) في م: «أفضل».

(٣) في م: «تفضل».

(٤) في م: «تفضلت».

(٥) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٦) سقط من: م.

العرب مستفيضٌ بينهم فصيحٌ ، أن يُخْرِجَ المتكلمُ منهم ^(١) كلامه على وجه الخطابِ منه لبعضِ الناسِ ، وهو قاصدٌ به غيره ، وعلى / وجه الخطابِ لواحدٍ ، وهو يقصدُ به جماعةً غيره ، أو جماعةً ^(٢) المخاطبُ به أحدهم ، وعلى وجه ^(٣) الخطابِ للجماعةِ والمقصودُ به أحدهم ؛ من ذلك قولُ الله جل ثناؤه : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتِّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ثم قال : ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ١ ، ٢] . فرجع إلى خطابِ الجماعةِ ، وقد ابتدأ ^(٤) الكلامَ بخطابِ النبي ﷺ . ونظيرُ ذلك قولُ الكُمَيْتِ بنِ زَيْدٍ في مدحِ رسولِ الله ﷺ ^(٥) :

إلى السُّرَّاجِ الْمُنِيرِ أَحْمَدَ لَا يَغْدُلُنِي رَغْبَةٌ وَلَا رَهْبٌ
عنه إلى غيره ولو رَفَعَ النَّاسُ إِلَى الْعُيُونِ وَارْتَقَبُوا
وَقِيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ عَنَّقَنِي الْقَائِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا ^(٦)
لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فِكَ الضُّجَاجِ وَاللَّجَبِ ^(٧)
[٩/٤] أَنْتَ الْمُصْطَفَى ^(٨) الْمَحْضُ الْمُهْدَبُ فِي النُّسْبَةِ إِنْ نَصَّ ^(٩) قَوْمَكَ النَّسَبُ
فَأَخْرِجَ كَلَامَهُ عَلَى وَجْهِ الْخَطَابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وهو قاصدٌ بذلك أهلَ بيته .

(١) سقط من : م .

(٢) بعده في م : « و » .

(٣) في م : « هذا » .

(٤) في ت ١ : « ابتدئ » .

(٥) الأبيات في الحيوان للنجاح ٥ / ١٧٠ .

(٦) ثلب : لام وعاب ، وقيل : الثلب : شدة اللوم والأخذ باللسان . التاج (ث ل ب) .

(٧) اللجب : ارتفاع الأصوات واختلاطها . التاج (ل ج ب) .

(٨) في ت ١ ، ونسخ الحيوان : « المصطفى » .

(٩) نص : رفع . اللسان (ن ص ص) .

فكنى عن وصفهم ومدحهم بذكر النبي ﷺ ، وعن بنى أمية بالقائلين المعنفين ؛ لأنه معلوم أنه لا أحد يُوصف^(١) من المسلمين بتعنيف مادح النبي ﷺ وتفضيله ، ولا بإكثار الضجاج واللجب في إطناب القيل بفضله . وكما قال جميل^(٢) بن معمر^(٣) :
 ألا إن جيرانى العشيّة رائح دعتهم ذواعٍ من هوى ومنايح^(٤)
 فقال : ألا إن جيرانى العشيّة . فابتدأ الخبر عن جماعة جيرانه ، ثم قال : رائح ؛ لأن قصده في ابتدائه ما ابتدأ^(٥) من كلامه الخبر عن واحد منهم دون جماعتهم .
 وكما قال جميل أيضا في كلمته الأخرى^(٦) :

خليلي فيما عشتما هل رأيتما فتيلاً بكى من حُب قاتله قبلى
 وهو يريد قاتله^(٧) ؛ لأنه إنما يصف امرأة ، فكنى بوصف^(٨) الرجل عنها وهو يعنيها . فكذلك قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وإن كان ظاهر الكلام على وجه الخطاب للنبي ﷺ ، فإنه مقصود به قصد أصحابه ، وذلك بين بدلالة قوله : ﴿ وَمَا لَكُمْ مِّنْ ذُوْنِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ﴿١١٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلْ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ الآيات الثلاث بعدها ، على أن ذلك كذلك .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « جرير » .

(٣) التبيان ١ / ٤٠١ .

(٤) المنايح : المفاوز ، وأرض مندوحة : واسعة بعيدة . التاج (ن د ح) .

(٥) بعده فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « به » .

(٦) البيت فى أمالى القالى ٢ / ٧٤ ، والأغانى ١ / ١١٧ .

(٧) فى الأصل : « قاتله » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قاتله » .

(٨) فى م : « باسم » .

وأما قوله: ﴿لَمْ يَلِكْ لَكُمْ مِنْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ . ولم يقل: ملك السماوات . فإنه عنى بذلك مُلْكَ السلطانِ والمملكةِ دونَ المِلِكِ ، والعربُ إذا أرادت الخبرَ عن المملكةِ التى هى مملكةُ سلطانٍ ، قالت : ملكَ اللهُ الخلقَ مُلْكًا . وإذا أرادت الخبرَ عن المِلِكِ قالت : ملكَ فلانٌ هذا الشيءَ ، فهو يملكُه مِلْكًا ومَلَكَةً ومُلْكًا .

فتأويلُ الآيةِ إذن : ألم تعلمَ يا محمدُ أن لى مُلْكَ السماواتِ والأرضِ وسلطانَهما دونَ غيرِى ، أحكُمُ فيهما وفيما فيهما ما أشاء^(١) ، وأمرُ فيهما وفيما فيهما بما أشاء ، وأنهى عمَّا أشاء ، وأنسخَ وأبدلَ وأغيَّرَ من أحكامى التى أحكُمُ بها فى عبادى ما أشاء إذا أشاء ، وأقرُّ منها ما أشاء .

وهذا الخبرُ وإن كان من الله عزَّ وجلَّ خطابًا / لنبِيِّه محمدٍ ﷺ على وجهِ الخبرِ ٤٨٣/١ عن عَظَمَتِهِ ، فإنه منه جل ثناؤه تكذيبٌ لليهودِ الذين أنكروا نسخَ أحكامِ التوراةِ ، وجحدوا نُبوَّةَ عيسى ومحمدٍ^(٢) صلى الله عليهما ، لمجيئهما بما جاء به من عندِ الله بتغييرِ ما غيَّرَ اللهُ من أحكامِ^(٣) التوراةِ ، فأخبرهم اللهُ أن له مُلْكُ السماواتِ والأرضِ وسلطانَهما ،^(٤) وأنَّ الخلقَ أهلُ مَمْلَكَتِهِ وطاعَتِهِ ، عليهم السمعُ له والطاعةُ لأمرِهِ ونهيهِ ، وأن له أقرهم بما شاء ، ونهيتهم عمَّا شاء ، وإقرارَ ما شاء ، ونسخَ ما شاء ، وإنساءَ ما شاء من أحكامِهِ وأمرِهِ ونهيهِ ، ثم قال [١٠/٤] لنبِيِّه ﷺ وللمؤمنين معه : انقادوا لأمرِى ، وانتهوا إلى طاعتي فيما أنسخَ وفيما أتزك^(٥) ، فلا

(١) بعده فى ت ٣: «إذا أشاء» .

(٢) فى م : «أنكروا محمدًا» .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «حكم» .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «فإن» .

(٥) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «أنزل» .

أَنْسَخُ مِنْ أَحْكَامِي وَلَا^(١) أَحْدُوْدِي وَفَرَائِضِي ، وَلَا يَهِيْدُنَّكُمْ^(٢) خِلَافَ مُخَالَفِ لَكُمْ فِي أَمْرِي وَنَهْيِي ، وَنَاسِخِي وَمَنْسُوخِي ، فَإِنَّهُ لَا قِيْمَ بِأَمْرِكُمْ^(٣) سِوَايَ ، وَلَا نَاصِرَ^(٤) لَكُمْ غَيْرِي ، وَأَنَا الْمَنْفَرْدُ بِوَلَايَتِكُمْ وَالدَّفَاعِ عَنْكُمْ ، وَالتَّوَحُّدُ بِنُصْرَتِكُمْ بَعْرَتِي وَسُلْطَانِي وَقُوَّتِي عَلَى مَنْ نَاوَأَكُمْ وَحَادَّكُمْ ، وَنَصَبَ حَزْبَ الْعِدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ ، حَتَّى أَعْلَى حُجَّتِكُمْ ،^(٥) وَأَجْعَلُهَا عَلَيْهِمْ^(٥) لَكُمْ .

و «الْوَلِيُّ»^(٦) فَعِيْلٌ ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَلَيْتُ أَمْرَ فُلَانٍ . إِذَا صِرْتَ قِيْمًا بِهِ ، فَأَنَا أَلِيهِ ، وَهُوَ^(٧) وَكَيْلُهُ وَقِيْمُهُ . وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ : فُلَانٌ وَلِيٌّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . يَعْنِي بِهِ الْقِيْمَ بِمَا عُوْهِدَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا «النَّصِيرُ» ، فَإِنَّهُ فَعِيْلٌ ، مِنْ قَوْلِكَ : نَصَرْتُكَ أَنْصِرُكَ ، فَأَنَا نَاصِرُكَ وَنَاصِرُكَ . وَهُوَ الْمُؤَيَّدُ وَالْمُقَوَّى .

وَأَمَّا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿مَنْ ذُوْنِ اللَّهِ﴾ فَإِنَّهُ : سِوَى اللَّهِ وَبَعْدَ اللَّهِ . وَمِنْهُ قَوْلُ أُمِّيَّةَ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ^(٨) :

يَا نَفْسُ مَا لَكَ ذُوْنَ اللَّهِ مِنْ وَاقِيٍّ وَمَا عَلَيَّ حَدَثَانِ الدَّهْرِ مِنْ بَاقِيٍّ يُرِيدُ : مَا لَكَ سِوَى اللَّهِ وَبَعْدَ اللَّهِ مِنْ يَقِيْكَ الْمَكَارَةِ .

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) في الأصل : «يهتدنتكم» ، وفي ت ١ : «يهديتكم» . وهاده الشيء يهيده : أفرغه . التاج (هـ ي د) .

(٣) في ت ١ ، ت ٣ : «يأمركم» .

(٤) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «يأمر» .

(٥ - ٥) في الأصل : «وأجعل الظفر عليكم» ، وفي ت ١ ، ت ٣ : «وأجعل عليهم» ، وفي ت ٢ : «وأجعله عليهم» .

(٦) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «معناه» .

(٧) في ت ١ : «فأنا» .

(٨) ديوانه ص ٢١ .

فمعنى الكلام إذن : وليس لكم أيها المؤمنون بعد الله من قيم بأمركم^(١) ، ولا نصير يؤيدكم ويقويكم ، فيعينكم على أعدائكم .
القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلِ
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية ؛ فقال بعضهم بما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رافع بن خزيمة وهب بن زيد لرسول الله ﷺ : ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجز لنا أنهارا نتبعك ونصدقك . فأنزل الله^(٢) في ذلك من قولهم^(٣) : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلِ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ الآية^(٤) .
[١٠٧/٤] وقال آخرون بما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلِ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ : وكان موسى سئلا فليل له : ﴿ أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةَ ﴾^(٥) .

/حدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشديدي : ٤٨٤/١
﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلِ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾ أن يُريهم الله

(١) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يأمركم » ، وغير منقوطة في الأصل .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٤٨/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٢/١ (١٠٧٤) من طريق سلمة به .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ عقب الأثر (١٠٧٧) معلقا .

جَهْرَةً، فَسَأَلَتِ الْعَرَبُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِاللَّهِ^(١) فَيَرَوْنَهُ جَهْرَةً^(٢).

وقال آخرون بما حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أن يُرِيَهُم الله جَهْرَةً، فسألت قريش محمدًا ﷺ أن يجعل لهم^(٣) الصفا ذهبًا، قال: «نعم،^(٤) وهو^(٥) لكم^(٥) كالمائدة لبتى^(٦) إسرائيل^(٦)». فأبوا ورجعوا^(٧).

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: سألت قريش محمدًا ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فقال: «نعم،^(٨) وهو^(٩) لكم كالمائدة لبتى إسرائيل إن كفرتم». فأبوا ورجعوا، فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ أن يُرِيَهُم الله جَهْرَةً. حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

وقال آخرون بما حدثني به المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر،

(١) في الأصل: «الله».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ (١٠٧٧) عن أبي زرعة، عن عمرو بن حماد به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/١ إلى ابن المنذر.

(٣) في م: «الله له».

(٤ - ٤) في الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: «هو».

(٥ - ٥) في م: «كالمائدة لبتى».

(٦) بعده في م: «إن كفرتم».

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١١، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ (١٠٧٥). وعزاه السيوطي في الدر المنثور

١٠٧/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٨ - ٨) في الأصل: «هو».

عن أبيه، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: قال رجلٌ: ^(١) «يا رسولَ الله!»، لو كانت كفاراتنا كفاراتِ بنى إسرائيل؟ فقال النبي ﷺ: «اللهم لا تبغيها، ^(٢) اللهم لا تبغيها»^(٣)، ما أعطاكم الله خيراً مما أعطى بنى إسرائيل؛ كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبةً على بابِه وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، ^(٤) وقد أعطاكم الله خيراً مما أعطى بنى إسرائيل، قال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. قال: وقال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفاراتٌ لما بينهنَّ». وقال: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ [١١/٤] حسنةٌ، وإن عملها كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَةٌ أَمْثَالِهَا، وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ». فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ ^(٥).

واختلف أهل العربية في معنى «أم» التي في قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾.

فقال بعضُ البصريين: هي بمعنى الاستفهام، وتأويلُ الكلام: أتريدون أن تسألوا رسولكم؟

وقال آخرُ ^(٦) منهم: هي بمعنى استفهامٍ مُسْتَقْبَلٍ مُنْقَطِعٍ مِنَ الْكَلَامِ، كأنك تميلُ بها إلى أوَّلِهِ، كقولِ العرب: إنها لإبلٍ - يا قوم - أم شاء، ولقد كان كذا وكذا أمٌ حدسٌ ^(٧) نفسى.

(١ - ١) في الأصل: «لرسول الله ﷺ».

(٢ - ٢) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣، وفي تفسير ابن أبي حاتم: «ثلاثاً».

(٣) في م: «فعل»، وفي ت ١، ت ٢، ت ٣: «وجد».

(٤ - ٤) في ت ١، ت ٢، ت ٣: «فقد»، وفي تفسير ابن أبي حاتم: «فما».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٣/١ (١٠٧٦) من طريق ابن أبي جعفر به. وهو مرسل.

وقوله: «الصلوات الخمس...». أخرجه مسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة.

وقوله: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا...». أخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس.

(٦) في م: «آخرون».

(٧) في الأصل: «حدثت».

قال : وليس قوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ على الشك ، ولكنه قاله ليُفَبِّحَ له صنيعهم . واستشهد لقوله ذلك بييت الأخطل^(١) :

كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِ غَلَسَ الظُّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالَا
/ وقال بعض نحويي الكوفيين^(٢) : إن شئت جعلت قوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾
استفهاماً مبتدأ^(٣) على كلامٍ قد سبقه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ نَكُنْ نَزِيلًا
الْكِتَابِ لَأرَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٤) أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَرَهُ ﴿ [السجدة : ١ - ٣] .
فجاءت « أم » وليس قبلها استفهام . فكان ذلك عنده دليلاً على أنها استفهامٌ مبتدأً
على كلامٍ قد سبقه .

٤٨٥/١

وقال قائل هذه المقالة : « أم » في المعنى تكون رداً^(٥) على الاستفهام على
جهتين : إحداهما ، أن تُفَرَّقَ^(٥) معنى « أَمْ » ، والأخرى ، أن يُسْتَفْهَمَ بها ، ويكون
على جهة^(٦) النَّسَقِ ، والذي يُنَوَى به الابتداء ، إلا أنه ابتداءٌ مُتَّصِلٌ بكلام ، فلو
ابتدأت كلاماً ليس قبله كلامٌ ثم استفهمت ، لم يكن إلا بالألف أو بـ « هل » .

قال : وإن شئت قلت في قوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ ﴾ : قبله استفهامٌ فَرُدُّ عليه ،
وهو في قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

والصوابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي - على ما جاءت به الآثار التي ذكرناها
عن أهل التأويل - أنه استفهامٌ مُبْتَدَأٌ بمعنى : أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم ؟
وإنما جاز أن يَسْتَفْهَمَ القوم بـ « أم » - وإن كانت « أم » أحد شروطها أن تكون نَسَقًا

(١) شرح ديوانه ص ٣٨٥ .

(٢) هو الفراء في معاني القرآن ١ / ٧١ .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) في الأصل : « تدل » .

(٥) « تعرف » .

(٦) في الأصل : « راجع » .

فى الاستفهام - لتقدم ما تقدمها من الكلام؛ لأنها تكون استفهاماً مبتدأً إذا تقدمها سابق من الكلام، ولم يُسمع من العرب استفهام بها ولماً يتقدمها كلامٌ. ^(١) ونظيره قوله جل ثناؤه: ﴿الْعَرَّ (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ أمر يقولون أفترنه ﴿. وقد [٤/١١١] تكون «أم» بمعنى «بل» إذا سبقها استفهام لا تصلح فيه «أى»، فيقولون: هل لك قتلنا حق، أم أنت رجلٌ معروف بالظلم؟ ^(٢) يراؤ به: بل أنت رجلٌ معروف بالظلم ^(٣). كما قال الشاعر ^(٤):

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَسْلَمَى تَغَوَّلْتُ أَمْ التَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَى حَبِيبُ
يعنى: بل كلُّ إلى حبيب.

وقد كان بعضهم يقول - مُنْكَرًا قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ «أم» فى قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ استفهامٌ مُسْتَقْبَلٌ مُنْقَطِعٌ مِنَ الْكَلَامِ، يَمِيلُ بِهَا إِلَى أَوَّلِهِ - : إن الأول خبرٌ، والثانى استفهامٌ، والاستفهام لا يكون فى الخبر، والخبر لا يكون فى الاستفهام، ولكن أدركه الشك - بزعمه - بعد مُضِيِّ الخبر، فاستفهم.

فإذ كان بمعنى ^(٥) «أم» ما وصفنا، فتأويل الكلام: أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم من الأشياءِ نظير ما سأل قوم موسى موسى ^(٦) من قبلكم، فتكفروا إن مُنِعْتُمُوهُ، بمسألتكم ^(٧) ما لا يجوز فى حكمة الله إعطاؤكموه، أو تهلكوا إن كان

(١ - ١) فى الأصل: «هو ونظيره»، وفى ت ١، ٢، ٣: «هو نظيره».

(٢ - ٢) سقط من: م، ت ١، ٢، ٣.

(٣) معانى القرآن للفرأ ٧٢ / ١، والصاحبى ص ١٦٨.

(٤ - ٤) فى النسخ: «تقولت أم القوم»، والتصويب من مصدرى التخرىج وما سياتى فى تفسير الآية ٦٦ من سورة النمل.

وتغولت المرأة: تلونت. اللسان (غ و ل).

(٥) فى م: «معنى».

(٦) سقط من: م، ت ١، ٢، ٣.

مَّمَّا يَجُوزُ فِي حِكْمَتِهِ^(٣) إِعْطَاؤُكُمْوه، فَأَعْطَاكُمْوه، ثُمَّ كَفَرْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّتِي سَأَلَتْ أَنْبِيَاءَهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مَسْأَلَتُهَا إِيَّاهُمْ، فَلَمَّا أُعْطِيَتْ كَفَرَتْ، فَعُوجِلَتْ بِالْعُقُوبَاتِ لِكُفْرِهَا بَعْدَ إِعْطَاءِ اللَّهِ إِيَّاهَا سُؤْلِهَا.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾.

يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ﴾: وَمَنْ يَشْتَبِدِلُ، ﴿الْكُفْرَ﴾، وَيَعْنِي بِالْكُفْرِ الْجُحُودَ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ، ﴿بِالْإِيمَانِ﴾، يَعْنِي بِالتَّصْدِيقِ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ.

وَقَدْ قِيلَ: عَنَى بِالْكُفْرِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الشَّدَّةَ، وَبِالْإِيمَانِ الرِّخَاءَ.

وَلَا أَعْرِفُ الشَّدَّةَ فِي مَعَانِي الْكُفْرِ، وَلَا الرِّخَاءَ فِي مَعْنَى الْإِيمَانِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَائِلٌ ذَلِكَ أَرَادَ - بِتَأْوِيلِهِ الْكُفْرَ بِمَعْنَى الشَّدَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَبِتَأْوِيلِهِ الْإِيمَانَ فِي مَعْنَى الرِّخَاءِ - مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْكَفَّارِ فِي الْآخِرَةِ / مِنَ الشَّدَائِدِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهَا مِنَ النِّعَمِ^(٣)، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا وَإِنْ كَانَ بَعِيدًا مِنَ الْمَفْهُومِ بظَاهِرِ الْخُطَابِ.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنِّي، قَالَ: ثنا إِسْحَاقُ، قَالَ: ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ،^(٤) عَنِ الرَّبِيعِ^(٤)، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: [١٢/٤] ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾. يَقُولُ: يَتَّبِدَلِ

(١) فِي م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «فِي مَسْأَلَتِكُمْ».

(٢) فِي ت ١، ت ٣: «حِكْمَهُ».

(٣) فِي م، ت ٢: «النِّعَمِ».

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

الشدَّة بالرِخاءِ^(١) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن أبي جعفرٍ ، عن الربيعِ ، عن أبي العاليةِ بمثله .

وفى قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِدْ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . دليلٌ واضحٌ على صحَّة^(٤) ما قلنا من أن هذه الآياتِ من قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ . خطابٌ من اللّهِ المؤمنين به من أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، وعتابٌ منه لهم على أمرِ سلفِ منهم ، ممَّا سُرَّ به اليهودُ ، وكرِهه رسولُ اللّهِ ﷺ لهم ، فكرِهه اللّهُ لهم ، فعاتبهم^(٤) على ذلك ، وأعلّمهم أن اليهودَ أهلُ غشٍّ لهم ، وحسدٍ وبغْيٍ ، وأنهم يتمنّون لهم المكارهَ ، ويتبعونهم الغوائلَ ، ونهاهم أن يتنصّحوهم ، وأخبرهم أن من ارتدَّ منهم عن دينه فاستبدل بإيمانه^(٥) باللّهِ وبرسوله^(٥) كُفْرًا ، فقد أخطأ قصدَ السبيلِ .

القولُ في تأويلِ قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

أمَّا قوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ﴾ . فإنه يعنى به : ذهب وجرَّ^(٦) . وأصلُ الضلالِ عن الشيءِ : الذهابُ عنه والجورُ^(٧) ، ثم يُستعملُ في الشيءِ الهالكِ والشيءِ الذي لا يُؤبَهُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٤/١ (١٠٧٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) بعده في الأصل ، م ، ت ٣ : « ابن » .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤) في الأصل : « فعاتبهم » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « باللّه » .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ : « حاد » .

(٧) فى م : « الحيد » .

له ، كقولهم للرجل الحامل الذي لا يذكر له ولا نباهةً : ضُلُّ بِنُ ضُلًّا ، وقُلُّ بِنُ قُلًّا .
وكقول الأخطي في الشيء الهالك^(١) :

كُنْتُ الْقَذَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ^(٢) مُزِيدٍ قَذَفَ الْآتِي^(٣) بِهِ فَضَلَّ ضَلَالًا
يعنى : هلك فذهب .

والذى عنى الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ : فقد ذهب
عن سواء السبيل وجاز عنه .

وأما تأويل قوله : ﴿ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . فإنه يعنى بالسواء القصد والمنهج .
وأصل السواء الوسط . ذكر عن عيسى بن عمر النحوى أنه قال : ما زلتُ أكتبُ حتى
انقطع سوائى . يعنى : وسطى . وقال حسان بن ثابت^(٤) :

يا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَنَسْلِهِ بَعْدَ الْمَغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ
يعنى بالسواء : الوسط . والعرب تقول^(٥) : فى سواء الليل^(٦) . يعنى : فى
مُشْتَوَى اللَّيْلِ^(٦) . وسواء الأرض مستواها عندهم .

وأما « السبيل » ، فإنها الطريق المسبول ، صُرف من مسبول إلى سبيل .

(١) شرح ديوانه ص ٣٩٢ .

(٢) فى م : « أكبر » .

(٣) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . اللسان (أ ت ي) .

(٤) البيت فى الأضداد ص ٤٢ ، ومجاز القرآن ١/١٥٧ . وسيأتى البيت فى تفسير الآية ٥٨ من سورة
الأنفال .

(٥) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « هو » .

(٦) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « السبيل » .

فتأويل الكلام إذن : وَمَنْ يَشْتَبِدْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ الْكَفَرَ ، فَيَرْتَدَّ عَنْ دِينِهِ ، فقد جار عن منهج الطريقِ ووسطه الواضح المسبول .

وهذا القولُ ظاهره الخبرُ عن زوالِ المُستبدلِ بالإيمانِ الكفرَ عن الطريقِ ، [٤/١٢٠ظ] والمعنىُ به الخبرُ عنه أنه قد تركَ دينَ الله الذي ارتضاه لعباده ، وجعله لهم طريقًا يَسْلُكُونَهُ إلى رضاه ، وسبيلًا^(١) يَزْكِبُونَهَا إلى محبتهِ والفوزِ بجَنَانِهِ . فجعلَ جلَّ ثناؤه الطريقَ - الذي إذا ركبَ مَحَجَّتَهُ السائرُ فيه ، ولزمَ وَسَطَهُ / المجتازُ فيه ، نجا وبلغَ حاجتهُ ، وأدركَ طَلِبَتَهُ - لدينه الذي دعا إليه عبادَه مَثَلًا ٤٨٧/١ لإدراكِهِمْ - بلزومِهِ وأتباعِهِ - إدراكَ^(٢) طَلِبَاتِهِمْ في آخِرَتِهِمْ ، كالذي يُدْرِكُ اللازمَ مَحَجَّةَ السبيلِ - بلزومِهِ إِيَّاهَا - طَلِبَتَهُ مِنَ النجاةِ منها ، والوصولِ إلى الموضعِ الذي أُمِّه وقصدَه . وجعلَ مَثَلَ الجائِرِ^(٣) عن دينِهِ ، والحائِدِ عن أتباعِ ما دعا^(٤) إليه من عبادِهِ^(٥) في خَيبَتِهِ^(٦) ما رجا أن يُدْرِكَه بعمَلِهِ في آخِرَتِهِ ، وبنالَ به في مَعَادِهِ وذَهابِهِ ، عَمَّا أُمِّلَ مِنْ ثوابِ عملِهِ ، ويُعَدِّه به مِنْ رَبِّهِ - مَثَلَ الجائِرِ^(٣) عن منهجِ الطريقِ ، وقصدِ السبيلِ ، الذي لا يزدادُ وُغُولًا في الوجهِ الذي سلكه ، إلاَّ ازدادَ مِنْ موضعِ حاجتِهِ بُعْدًا ، وعن المكانِ الذي أُمِّه وأرادَه نَأْيًا .

وهذه السبيلُ التي أَخَيَّرَ اللهُ عنها ، أنْ مَنْ يَتَّبِعُ الكفرَ بالإيمانِ فقد ضلَّ

(١) في ت ١ ، ٢ ، ت ٣ : « سبيلًا » .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إدراكِهِمْ » .

(٣) في م : « الحائِد » .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « دعاه » .

(٥) في م : « عبادتِهِ » .

(٦) في م : « حياتِهِ » .

سواءها ، هو^(١) الصراط المستقيم ، الذي أُمِرنا بمسألتِهِ الهداية^(٢) له بقوله : ﴿ أَهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

القول في تأويل قوله : ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنَّا
بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَقَارِئًا ﴾ .

قال أبو جعفر : وقد صرَّح هذا القول من قول الله جل ثناؤه ، بأن خطابه بجميع
هذه الآيات من قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ وإن صرف
في بعضه الكلام إلى خطاب النبي ﷺ ، إنما هو خطاب منه للمؤمنين^(٣) من
أصحابه^(٤) ، وعتاب منه لهم ، ونهي عن انتصاح اليهود ونظرائهم من أهل الشرك ،
وقبول آرائهم في شيء من أمور دينهم ، ودليل على أنهم كانوا استعملوا ، أو من
استعمل منهم ، في^(٥) خطاب ومسألة^(٦) رسول الله ﷺ الجفاء ، وما لم يكن له
استعماله معه ، تأسيًا في ذلك باليهود أو ببعضهم ، قال لهم ربهم ناهيًا لهم^(٧) عن
استعمال ذلك : لا تقولوا لنبِيِّكُمْ ﷺ كما تقول^(٨) اليهود : راعينا . تأسيًا منكم بهم ،
ولكن [١٣/٤] قولوا : انظرونا واسمعوا . فإن أذى رسول الله ﷺ كفرٌ بى وجحودٌ
لحقى الواجب لى^(٩) عليكم فى تعظيمه وتوقيره ، ولمن كفر بى عذاب أليم ، فإن اليهود
والمشركين ما يؤذون أن ينزل عليكم من خيرٍ من ربكم ، ولكن كثيرًا منهم ودوا أنهم

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « هى » .

(٢) فى م : « نفسه » .

(٣ - ٣) فى م : « وأصحابه » .

(٤ - ٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « خطابه ومسألته » .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « له » .

(٧) زيادة من : م .

يُرَدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا؛ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لَكُمْ وَلِنَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ،
مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُ نَبِيُّ إِلَيْهِمْ وَإِلَى خَلْقِي كَافَّةً.

وقد قيل: إن الله جل ثناؤه عني بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ﴾ كعب بن الأشرف.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن
الزُّهري في قوله: / ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: هو كعب بن
الأشرف^(١).

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان العمري^(٢)، عن معمر،
عن الزُّهري وقناة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال: كعب بن
الأشرف^(٣).

وقال بعضهم بما حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: حدثني ابن
إسحاق، وحدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن
إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني
سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان حبي بن أخطب، وأبو ياسر
ابن أخطب، من أشدَّ يهود للعرب حسدًا، إذ خصَّهم الله برسوله ﷺ، وكانا
جاهدين في ردِّ الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ الآية^(٤).

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٤/١ (١٠٨٢) عن الحسن بن يحيى به.

(٢) في م: «العمري». وينظر تهذيب الكمال ١٠٩/٢٥.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/١ إلى المصنف.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٨، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٤/١ (١٠٨١) من طريق سلمة.

وليس لقول القائل: عَنَى بقوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كعب بن الأشرف. معنَى مفهومٌ؛ لأن كعب بن الأشرف واحدٌ، وقد أخبر الله جل ثناؤه أن كثيرًا منهم يودون لو يزدون المؤمنين كفارًا بعد إيمانهم، والواحد لا يقال له: كثيرٌ. بمعنى الكثرة في العدد، إلا أن يكون قائل ذلك أراد توجيه^(١) الكثرة التي وصف الله بها من وصفه بها في هذه الآية، الكثرة في العزِّ ورفع المنزلة في قومه وعشيرته، كما يقال: فلان في الناس كثيرٌ. يراد به كثرة المنزلة والقدر. فإن كان أراد ذلك فقد أخطأ؛ لأن الله جل ثناؤه قد وصفهم بصفة الجماعة، فقال: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾. فذلك دليل على أنه عَنَى به^(٢) الكثرة في العدد. أو يكون ظن أنه من الكلام الذي يخرج مخرج الخبر عن الجماعة، والمقصود بالخبر عنه الواحد، نظير ما قلنا آنفاً في بيت جميل، فيكون ذلك أيضًا خطأ. وذلك أن الكلام إذا كان بذلك المعنى فلا بد من دلالة فيه تدل على أن ذلك معناه، ولا دلالة تدل في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أن المراد به واحد دون جماعة كثيرة، فيجوز صرف تأويل الآية إلى ذلك، وإحالة دليل ظاهرها^(٣) إلى غير الغالب في الاستعمال.

[١٣/٤] القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

يعنى جل ذكره بقوله: ﴿حَسَدًا﴾. أن كثيرًا من أهل الكتاب يودون للمؤمنين ما أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم يودونه لهم، من الردة عن إيمانهم إلى الكفر، حسدًا منهم وبغيًا عليهم. فالحسد إذن منصوب على غير النعت للكفار، ولكن على

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «بوجه».

(٢) سقط من: م.

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «ظاهرة».

وجه المصدر الذي يأتي خارجاً من معنى الكلام الذي يخالف لفظه لفظ المصدر، كقول القائل لغيره: تَمَنَيْتُ لك ما تَمَنَيْتُ من السوء حسداً مني لك. فيكون الحسدُ مصدرًا من معنى قوله: تَمَنَيْتُ^(١) لك ما تَمَنَيْتُ^(١) من السوء. لأن في قوله: تَمَنَيْتُ لك ذلك. معنى: حَسَدْتُكَ على ذلك. فعلى هذا نَصَبُ الحسدِ؛ لأنَّ في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنَّا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾. معنى^(٢): حَسَدَكم أهل الكتابِ على ما أعطاكم اللهُ من التوفيقِ، ووهب لكم من الرِّشَادِ لدينه والإيمانِ^(٣) به وبرسوله ﷺ^(٣)، وخصَّكم به من أن جعل رسوله إليكم رجلاً منكم، رَعُوفًا بكم رَحِيمًا، ولم يجعله منهم، فتكونوا لهم تبعًا. فكان قوله: ﴿حَسَدًا﴾. مصدرًا من ذلك المعنى.

وأما قوله: ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾. فإنه يَعْنِي بذلك^(٤): من قِبَلِ أَنفُسِهِمْ. كما يقول القائل: لى عندك كذا وكذا. بمعنى: لى قِبَلِكَ. وكما حَدَّثْتُ عن عمار، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ،^(٥) عن أبيه، عن الربيع^(٥) قوله: ﴿مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾: ^(٦) من قِبَلِ أَنفُسِهِمْ^(٦).

وإنما أَخْبَرَ اللهُ جل / ثناؤه عنهم المؤمنين أنهم وَدُّوا ذلك للمؤمنين من عندِ ٤٨٩/١ أَنفُسِهِمْ، إعلامًا منه لهم أنهم لم يُؤْمَرُوا بذلك في كتابهم، وأنهم يَأْتُونَ ما يَأْتُونَ من

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) فى م: «يعنى».

(٣ - ٣) فى م، ت، ١، وفى ت، ٢، ت، ٣: «برسوله».

(٤) فى ت، ١، ت، ٣: «به ذلك».

(٥ - ٥) سقط من: م، ت، ٢، وفى ت، ١، ت، ٣: «فى».

(٦ - ٦) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٠٥/١ (١٠٨٥) من طريق ابن أبي جعفر به.

ذلك على علمٍ منهم بنهي الله إياهم عنه .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ . أى : من بعد ما تبين لهؤلاء الكثير من أهل الكتاب - الذين يؤذون أنهم يؤذونكم كفارًا من بعد إيمانكم - الحق في أمر محمد ﷺ ، وما جاء به من عند ربّه ، والملة التي دعا إليها ، فأضاء لهم أن ذلك الحق الذي لا^(١) يمتزجون فيه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ : من بعد ما تبين لهم أن محمدًا رسول الله ، والإسلام دين الله^(٢) .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع^(٣) : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ . يقول : تبين لهم أن محمدًا رسول الله ﷺ ، يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل^(٤) .

وحدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله ، وزاد فيه : فكفروا به حسدًا وبغيًا ، إذ كان من غيرهم .

وحدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿مِنْ بَعْدِ [١٤/٤] مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ : فإن^(٥) الحق هو محمد ﷺ ، وتبين لهم أنه هو الرسول^(٦) .

(١) سقط من : ت ٣ .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) بعده في م : « عن أبي العالية » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٥/١ عقب الأثر (١٠٨٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) في م : « قال » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٥/١ عقب الأثر (١٠٨٧) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

وحدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا
بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ ﴾ . قال : قد تبيَّن لهم أنه رسول الله .

فدلَّ جلُّ ثناؤه بقيله ذلك أن كُفِرَ الذين قَصَّ قِصَّتَهُمْ في هذه الآية بالله
وبرسوله ، عنادٌ ، وعلى علم منهم ومعرفة بأنهم على الله مُفْتَرُونَ .

كما حدَّثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عماره ، عن
أبي رُؤي ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ ﴾ : يقول
الله تعالى ذكره : من بعد ما أضاء لهم الحقُّ لم يجهلوا منه شيئاً ، ولكنَّ الحسدَ
حملهم على الجحْدِ ، فعيرهم الله ولامهم ووبَّخهم أشدَّ الملامة^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جلُّ ثناؤه : ﴿ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ﴾ .

يعنى جلُّ ثناؤه بقوله : ﴿ فَأَعْفُوا ﴾ : فتجاوزوا عما كان منهم من إساءةٍ وخطأٍ
في رأي أشاروا به عليكم في دينكم ، إرادة صدِّكم عنه ، ومحاولة ارتدادكم بعد
إيمانكم ، وعما سلفَ منهم من قيلهم لنبِيِّكم ﷺ : ﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَدِّعْنَا لِيَأْتِيَ
بِأَلْسِنِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ ﴾ [النساء : ٤٦] . ﴿ وَأَصْفَحُوا ﴾ : عما كان منهم من جهلٍ
في ذلك ﴿ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ﴾ ، فيحدث لكم من أمره فيهم^(٢) ما يشاء ،
ويقضى فيهم بما^(٣) يريد . فقضى فيهم^(٤) بعد ذلك^(٥) تعالى ذكره ، وأتى بأمره ، فقال
لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين به : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا
يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٥/١ (١٠٨٦) من طريق أبي كريب به .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فيكم » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ما » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة: ٢٩] . فنسخ العفو جل ثناؤه عنهم والصفح ، بفرض قتالهم على المؤمنين ، حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة ، أو ^(١) يُؤَدُّوا الجِزْيَةَ عن يد صَغَارًا .

كما حدَّثني المثني ، قال : حدَّثنا أبو صالح ، قال : حدَّثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . نسخ ذلك قوله : ﴿ فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ^(٢) [التوبة: ٥] .

حدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ : فَأَتَى اللَّهُ بِأَمْرِهِ فَقَالَ : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فقرا ^(٣) حتى بلغ ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . أى : صَغَارًا ونقمة لهم ، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ^(٤) .

وحدَّثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ قال : اعفوا عن أهل الكتاب حتى يحدث الله أمرا ، فأحدث الله بعد فقال : [٤/١٤ظ] ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ ^(٥) .

حدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن

(١) فى الأصل : «و» .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٦/١ (١٠٨٩) من طريق أبى صالح به .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤) أخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص ١٣٦ من طريق همام عن قتادة نحوه .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٦/١ عقب الأثر (١٠٩٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

قتادة في قوله: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾ قال: نسختها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا يَأْتِي اللَّهَ بِشَيْءٍ مِّنْ دُونِهَا ۚ وَمَن يَتَّبِعِ اللَّهَ فَهُوَ سَابِقُ الْحَقِّ ۚ وَمَن يَتَّبِعِ الْبَشَرَ فَمَن يَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ فَهُوَ عَزِيزٌ﴾^(١).

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ﴾. قال: هذا منسوخ نسخته: ﴿فَلْيَلْزِمُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاحِبُونَ﴾^(٢).

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى على معنى القدير وأنه القوي^(٤). فمعنى الآية ههنا: إن الله على كل ما يشاء^(٥) ويريد^(٦) - بالذين وصفت لكم^(٧) أمرهم من أهل الكتاب وغيرهم - قدير؛ إن شاء الانتقام منهم بعنادهم ربهم، وإن شاء هدايتهم^(٨) لما هداكم^(٩) له من الإيمان، لا يتعذر عليه شيء أراده، ولا يمتنع^(١٠) عليه أمر شاء قضاءه؛ لأن له الخلق والأمر.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ لَا يَأْتِي اللَّهَ بِشَيْءٍ مِّنْ دُونِهَا ۚ وَمَن يَتَّبِعِ اللَّهَ فَهُوَ سَابِقُ الْحَقِّ ۚ وَمَن يَتَّبِعِ الْبَشَرَ فَمَن يَسْتَعِزَّ بِاللَّهِ فَهُوَ عَزِيزٌ﴾.

قال أبو جعفر: قد دللنا فيما مضى قبل^(١١) على معنى إقامة الصلاة، وأنها أداؤها

(١) تفسير عبد الرزاق ١/٥٥، ومن طريقه ابن الجوزي في ناسخه ص ١٣٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٠٦ عقب الأثر (١٠٩٠)، والنحاس في ناسخه ص ١٠٦ من طريق عمرو به.

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٤٠٣.

(٤) - (٤) زيادة من: الأصل.

(٥) في ت ٢: «لك».

(٦) في م: «هداهم».

(٧) بعده في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الله».

(٨) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «يتعذر».

(٩) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

بحدودها وفروضها، وعلى تأويل الصلاة، وما أصلها، وعلى معنى إيتاء الزكاة، وأنه إعطاؤها بطيب نفس مؤتيها، على ما فُرِضَتْ ووجِبَتْ، / وعلى معنى الزكاة، واختلاف المختلفين فيها، والشواهد الدالة على صحة القول الذي اختَرْنَا في ذلك بما أَعْنَى عن إعادته في هذا الموضع^(١).

وأما قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. فإنه يعنى جل ثناؤه بذلك: ومهما تعملوا من عملٍ صالحٍ في أيام حياتكم، فتقدّموه قبل وفاتكم ذخراً لأنفسكم في معادكم، تجدوا ثوابه عند ربكم يوم القيامة، فيجازيكم به. والخير: هو العمل الذي يرضاه الله.

وإنما قال: ﴿تَجِدُوهُ﴾. والمعنى: تجدوا ثوابه.

كما حدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿تَجِدُوهُ﴾ يعنى: تجدوا ثوابه عند الله^(٢).

قال أبو جعفر: لاستغناء سامع^(٣) ذلك بدليل ظاهره على معنى المراد منه، كما قال عمرو^(٤) بن لُجَأ^(٥):

[١٥/٤] وَسَبَّحَتِ الْمَدِينَةُ لَا تَلْفُهَا رَأَتْ قَمَرًا بِسُوقِهِمْ نَهَارًا

وإنما أراد: وسبح أهل المدينة.

وإنما أمرهم جل ثناؤه في هذا الموضع بما أمرهم به من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة

(١) ينظر ما تقدم في ٢٤٧/١، ٦١١ وما بعدهما.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٢) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٣) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «سامع».

(٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «عمرو».

(٥) تقدم تخريجه في ٢٨٧/١.

وتقديم الخيرات لأنفسهم؛ لِيَتَطَهَّرُوا بِذَلِكَ مِنَ الْخَطَا الَّذِي سَلَفَ مِنْهُمْ فِي اسْتِنصَاحِهِمُ الْيَهُودَ، وَرُكُونٍ مِنْ كَانَ رُكْنَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ، وَجَفَاءٍ مِنْ كَانَ جَفَاءً مِنْهُمْ فِي خَطَايِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿رَاعِنَا﴾. إِذْ كَانَتْ إِقَامَةُ الصَّلَوَاتِ كِفَارَةً لِلذَّنُوبِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ تَطْهِيرًا لِلنَّفُوسِ وَالْأَبْدَانِ مِنْ أَدْنَسِ الْآثَامِ، وَفِي تَقْدِيمِ الْخَيْرَاتِ إِدْرَاكُ الْفَوْزِ بِرِضْوَانِ اللَّهِ.

القول في تأويل قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٠﴾.

وهذا خبر من الله جل ثناؤه للذين خاطبهم بهذه الآيات من المؤمنين، أنهم مهما فعلوا من خير أو شر^(١)، سراً وعلانية^(٢)، فهو به بصير، لا يخفى عليه منه شيء، فيجزبهم بالإحسان جزاءه، وبالإساءة مثلها.

وهذا الكلام وإن كان خرج مخرج الخبر، فإن فيه وعداً ووعداً، وأمرًا وزجراً، وذلك أنه أعلم القوم أنه بصير بجميع أعمالهم، ليجدوا في طاعته؛ إذ كان ذلك مذخوراً لهم عنده حتى يُثيبهم عليه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. وليحذروا معصيته، إذ كان مُطَّلِعاً على رايكها، بعد تقدّمه إليه بالوعد عليها، وما أوعد عليه ربنا جل ثناؤه فمَنهَى عنه، وما وعد عليه فمأمور به.

أما قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾. فإنه مُبْصِرٌ، صُرف إلى بصير، كما صُرف مُبْدِعٌ إلى بديع، ومؤلّم إلى أليم.

القول في تأويل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «و».

(٢) في ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «أو».

يعنى جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَقَالُوا﴾: وقالت اليهود والنصارى، ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾.

فإن قال قائل: وكيف جمع اليهود والنصارى في هذا الخبر، مع اختلافِ مقالة الفريقين، واليهودُ تَدْفَعُ / النصارى عن أن يكون لها في ثواب الله نصيب، والنصارى تَدْفَعُ اليهودَ عن مثل ذلك؟

٤٩٢/١

قيل: إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهبَ إليه، وإنما عني به: وقالت اليهود: لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا من كان [١٥/٤] هودًا. وقالت النصارى: لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا النصارى. ولكنَّ معنى الكلام لما كان مفهومًا عند المخاطبين به معناه، جُمع الفريقان في الخبرِ عنهما، فقيل: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾.

^(١) كما حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن الشَّدي: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ﴾ ^(١) إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا الآية. قالت اليهود: لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا من كان يهوديًا. وقالت النصارى: لن يَدْخُلَ الجنةَ إلا من كان نصرانيًّا ^(٢).

وأما قوله: ﴿مَنْ كَانَ هُودًا﴾. فإن في اليهودِ قولين: أحدهما، أن يكون جمعَ هائيد، كما عُوطَّ جمعُ عائيط ^(٣)، وعُودَّ جمعُ عائيد ^(٤)، وحُولَّ جمعُ حائل ^(٥)، فيكون جمعًا للمذكرِ والمؤنثِ بلفظٍ واحدٍ، والهائِدُ: التائبُ الراجعُ إلى الحقِّ.

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٩٢/١ عقب الأثر (١٠٩٤) عن أبي زرعة، عن عمرو بن حماد به.

(٣) العوط: الناقة إذا لم تحمل سنين من غير عُقر. التاج (ع و ط).

(٤) العود: الحديثات التَّاج من الطباء والإبل والخيل ومن كل أُنثى. التاج (ع و ذ).

(٥) الحُول: كل حامل ينقطع عنها الحمل سنة أو سنوات حتى تحمل. التاج (ح و ل).

والآخِرُ، أن يكونَ مصدرًا أَدَى^(١) عن الجميع، كما يقال: رجلٌ صَوْمٌ، وقَوْمٌ صَوْمٌ، ورجلٌ فِطْرٌ، وقَوْمٌ فِطْرٌ، ونسوةٌ فِطْرٌ.

وقد قيل: إن قوله: ﴿إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾. إنما هو: إلا من كان يهوديًا. ولكنَّه حُذِفَت الياءُ الزائدةُ، ورجع إلى الفعلِ من اليهودية. وقيل: إنه في قراءة أُبَيِّ: (إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا)^(٢).

وقد بيَّنا فيما مضى معنى النصارى، ولم سُمِّيتْ بذلك وجمعت كذلك، بما أَعْنَى عن إعادته^(٣).

وأما قوله: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾. فإنه خبرٌ من الله تعالى ذكره عن قولِ الذين قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾. أنه أمانى منهم يَتَمَنُّونَهَا على الله، بغيرِ حقٍّ ولا حُجَّةٍ ولا برهانٍ، ولا يقينِ علمٍ بصحة ما يدَّعون، ولكن بادِّعاءِ الأباطيلِ وأمانىِ النفوسِ الكاذبةِ.

كما حدَّثنا بشرُّ بنُ مُعَاذٍ، قال: ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: أمانى يَتَمَنُّونَهَا على الله كاذبةٌ^(٤).

وحدَّثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيع: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾. قال: أمانى تَمَنُّوا على الله بغيرِ الحقِّ^(٥).

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١١١﴾.

(١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) معانى القرآن للفراء ٧٣/١، وفيه أنها قراءة ابن مسعود أيضًا.

(٣) ينظر ما تقدم فى ص ٣٢ - ٣٤.

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٥) معلقًا.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٥) من طريق ابن أبى جعفر به.

وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه لنبيه ﷺ بدعاء الذين قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ إلى أمرٍ عدلٍ بين جميع الفرق؛ مسلميها ويهوديها ونصاراها، وهو إقامة الحجّة على دَعْوَاهُمْ التي ادَّعَوْا من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى. يقول الله لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، قل للزاعمين أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى، دون غيرهم من سائر البشر: هَاتُوا حُجَّتَكُمْ^(١) على ما تزعمون من ذلك، فَنَسَلَمْ لَكُمْ [١٦/٤] دَعْوَاكُمْ، إن كنتم في دَعْوَاكُمْ - من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى - مُحِقِّين.

والبرهان: هو البيان والحجة والبيّنة.

كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾. يقول: هَاتُوا بَيِّنَتَكُمْ^(٢).

٤٩٣/١ / وحدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: هَاتُوا حُجَّتَكُمْ^(٣).

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾. قال: حُجَّتَكُمْ^(٤).

وحدثني المثني، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن

(١) في م: «برهانكم».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٧/١ (١٠٩٧) من طريق شيبان، عن قتادة بنحوه.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٦) عن أبي زرعة، عن عمرو بن

حماد به.

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٦) معلقًا.

الربيع: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ . أى: حُجَّتْكُمْ^(١) .

وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر دعاء اللقائلين: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ . إلى إحضار حجة على دَعْوَاهُمْ ما ادَّعَوْا من ذلك ، فإنه بمعنى تكذيب من الله لهم فى دَعْوَاهُمْ وقيلهم ؛ لأنهم لم يكونوا قادرين على إحضار برهان على دَعْوَاهُمْ تلك أبداً .

وقد أبان قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ . على أن الذى ذُكِرَ^(٢) من الكلام بمعنى التكذيب لليهود والنصارى فى دَعْوَاهُمْ ما ذكر الله عنهم . وأما تأويل قوله: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ فإنه: أَحْضِرُوا وَأْتُوا به .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ . يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ : ليس الأمر^(٣) كما قال الزاعمون : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ . ولكن مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ، فهو الذى يَدْخُلُهَا وَيُنْعَمُ فِيهَا .

كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : أَخْبَرَهُمْ^(٤) مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فقال : ﴿بَلَىٰ^(٥) مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ الآية . وقد بَيَّنَّا معنى « بلى » فيما مضى قبل^(٦) .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٧/١ عقب الأثر (١٠٩٦) من طريق ابن أبى جعفر .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ذكرنا » .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) بعده فى م : « أن » .

(٥ - ٥) فى م : « هو » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ١٧٩ .

وأما قوله: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾. فإنه يعنى بإسلام الوجه التذلل لطاعته والإذعان لأمره. وأصل الإسلام الاستسلام؛ لأنه من: استسلمت له^(١). وهو الخضوع لأمره. وإنما سُمي المسلم مسلماً؛ لخضوع جوارحه لطاعة ربه.

كما حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾. يقول: أَخْلَصَ لِلَّهِ^(٢).

وكما قال زيد بن عمرو بن نفيل^(٣):

«وَأَسْلَمْتُ^(٤) وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمِزْنَ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا

يعنى بذلك: استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الميزن وانقذت^(٥) له.

/وخصَّ الله جل ثناؤه بالخبرِ عن ابنِ أبي عميرٍ عنه بقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ بإسلام وجهه له دون سائر [١٦/٤] جوارحه؛ لأن أكرم أعضاء ابن آدم وجوارحه وجهه، وهو أعظمها عليه حرمةً وحققاً، فإذا خضع لشيء وجهه الذى هو أكرم أجزاء جسده عليه، فغيره من أجزاء جسده أخرى أن يكون^(٦) قد خضع^(٦) له. ولذلك تذكّر العربُ فى منطقتها الخبرَ عن الشيءِ فتضيفه إلى وجهه، وهى تعنى بذلك نفس الشيء وعيَّته، كقول الأعشى^(٧):

٤٩٤/١

(١) فى م: «لأمره».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٠٨/١ عقب الأثر (١٠٩٩) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٣١/١، والأغانى ١٢٨/٣.

(٤ - ٤) فى الأصل، ت ٢، والأغانى: «أسلمت».

(٥) فى م ت ١، ت ٢، ت ٣: «انقادت».

(٦ - ٦) فى م: «أخضع».

(٧) ديوانه ص ١٤٣.

أَوَّلُ^(١) الْحُكْمَ عَلَى وَجْهِهِ لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الْجَائِرِ
 يعني بقوله : على وجهه : على ما هو به من صحته وصوابه . وكما قال ذو الرمة^(٢) :
 فَطَاوَعْتُ هَمِّي وَأَنْجَلِي وَجْهَ بَازِلِ^(٣) مِنْ الْأَمْرِ لَمْ يَثْرُكْ خِلَاجًا^(٤) يُزُولُهَا^(٥)
 يريدُ : وانجلى البازل^(٦) من الأمرِ فتبين . وما أشبه ذلك ، إذ كان حُسنُ كلِّ
 شيءٍ وقبحه في وجهه ، فكان^(٧) وصفها من الشيء وجهه بما تصفه به ، إبانة عن عين
 الشيء ونفسه . فكذلك معنى قوله جل ثناؤه : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ . إنما
 يعني : بلى من أسلم لله بدنه ، فخضع له بالطاعة جسده ، وهو مُحسِنٌ في إسلامه له
 جسده ، فله أجره عند ربّه . فاكْتَفَى بذكر الوجه من ذكر جسده ، لدلالة الكلام
 على المعنى الذي أُريدَ به بذكر الوجه .

وأما قوله : ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ فإنه يعني به : في حالِ إحسانه . وتأويلُ
 الكلام : بلى من أخلص طاعته^(٨) وعبادته لله^(٩) محسنًا في فعله ذلك .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ فَكَلِمَةَ أَجْرٍ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴾ .

يعنى بقوله جل ثناؤه : ﴿ فَكَلِمَةَ أَجْرٍ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ : فللمُسْلِمِ وجهه لله
 محسنًا ، جزاؤه وثوابه على إسلامه وطاعته ربّه ، عند الله في معاده .

(١) في النسخ : « وأول » . والمثبت من الديوان .

(٢) ديوانه ٩٣٨/٢ .

(٣) في النسخ ، ونسخة من الديوان : « نازل » ، والمثبت من بقية نسخ الديوان ، وأمر بازل : مستحکم ،
 وخطب بازل : شديد . التاج (ب ز ل) .

(٤) الخلاج : الشك . اللسان (خ ل ج) .

(٥) في الأصل ، م ، ت : « نزولها » ، وفي ت ٢ : « يرونها » . والمثبت من الديوان .

(٦) في النسخ : « النازل » . والباء غير منقوطة في الأصل .

(٧) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وكان في » .

(٨ - ٩) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « لله وعبادته له » .

ويعنى بقوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: ^(١) «ولا خوف» على المسلمين وجوههم لله وهم محسنون، المخلصين لله الدين، فى الآخرة من عقابه وعذاب جحيمه، ومما قدموا عليه من أعمالهم.

ويعنى بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا، ولا أن يُمتنعوا ما قدموا عليه من نعيم ما أعد الله لأهل طاعته.

وإنما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وقد قال قبل: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. لأن ﴿مَنْ﴾ التى فى قوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ فى لفظ واحد ومعنى جمع ^(٢)، فالتوحيد فى قوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ للفظ، والجميع ^(٣) فى قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾. للمعنى.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَوَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾.

[١٧/٤] ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكُتَابِ تَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ذَلِكَ ^(٤) بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

/ ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٤٩٥/١

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، وحدثنا أبو كريبٍ، قال: ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ، قالاً جميعاً: ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ، قال: حدَّثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ، قال: حدَّثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ، أو عكرمةُ، عن ابنِ عباسٍ، قال: لما

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «جميع».

(٣) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «الجمع».

(٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَتَتْهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ ، فَتَنَزَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ خُرَيْمَةَ : مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ . وَكَفَرَ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَبِالْإِنْجِيلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى : مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ . وَجَحَدَ نَبُوَّةَ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتَّوْرَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ^(١) .

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ . قَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ^(٢) .

وَأَمَّا تَأْوِيلُ الْآيَةِ فَإِنَّهُ : وَقَالَتِ الْيَهُودُ : لَيْسَتِ النَّصَارَى فِي دِينِهَا عَلَى صَوَابٍ .
وَقَالَتِ النَّصَارَى : لَيْسَتِ الْيَهُودُ فِي دِينِهَا عَلَى صَوَابٍ .

وَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِقِيلِهِمْ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ ^(٤) ، إِعْلَامًا مِنْهُ لَهُمْ تَضْيِيعٌ ^(٥) كُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ حُكْمَ الْكِتَابِ الَّذِي يُظَاهِرُ الْإِقْرَارَ بِصِحَّتِهِ وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَجُحُودَهُمْ مَعَ ذَلِكَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ فُرُوضِهِ ؛ لِأَنَّ الْإِنْجِيلَ الَّذِي تَدِينُ بِصِحَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ النَّصَارَى ، يُحَقِّقُ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنْ نَبُوَّةِ مُوسَى ، وَمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهَا مِنَ الْفَرَائِضِ ، وَأَنَّ التَّوْرَةَ الَّتِي تَدِينُ بِصِحَّتِهَا وَحَقِيقَتِهَا الْيَهُودُ ، تُحَقِّقُ نَبُوَّةَ عِيسَى ، وَمَا

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٨/١ (١١٠٣) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « للمؤمنين » .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بتضييع » .

جاء به من عند الله من الأحكام والفرائض . ثم قال كل فريق منهم للفريق الآخر ما أخبر الله عنهم في قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ . مع تلاوة كل واحد من الفريقين كتابه الذي يشهد على كذبه في قبيله ذلك .

فأخبر جل ثناؤه أن كل فريق منهم قال ما قال من ذلك ، على علم منهم أنهم فيما قالوه مُبْطَلُونَ ، وأتوا ما أتوا من كفرهم بما كفروا به ، على معرفة منهم بأنهم فيه مُلْحَدُونَ .

فإن قال لنا قائل : أو كانت اليهود أو النصارى بعد أن بعث الله رسوله ﷺ على شيء ، فيكون الفريق القائل ذلك منهم للفريق الآخر مُبْطَلًا في قبيله ما قال من ذلك ؟ قيل : قد روينا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس قبل ، من أن إنكار كل فريق منهم إنما كان إنكاراً لنبوة النبي الذي كان ينتحل التصديق به وبما جاء به الفريق الآخر ، لا دفعاً منهم أن يكون الفريق الآخر - في [٤/١٧] الحال التي بعث الله فيها نبينا ﷺ - على شيء من دينه ، بسبب جحوده نبوة نبينا محمد ﷺ . وكيف يجوز أن يكون معنى ذلك إنكار كل فريق منهم أن يكون الفريق الآخر على شيء بعد ما بعث نبينا ﷺ ، وكل^(١) الفريقين كان جاحداً نبوة نبينا ﷺ في الحال التي أنزل الله فيها هذه الآية ؟/ ولكن معنى ذلك : وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء من دينها منذ دانت دينها . وقالت النصارى : ليست اليهود على شيء منذ دانت دينها . وذلك هو معنى الخبر الذي روينا عن ابن عباس أنفاً . فكذب الله الفريقين في قبيلهما ما قالا .

٤٩٦/١

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كلا » .

كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: «ألا وبلى!»^(١) قد كانت أوائل النصارى على شيء، ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا، ﴿وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: «ألا وبلى!» قد كانت أوائل اليهود على شيء^(٢)، ولكن القوم^(٣) افتروا وتفرقوا وابتدعوا^(٤).

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج^(٥): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾. قال: قال مجاهد: قد كانت أوائل اليهود والنصارى على شيء^(٥).

وأما قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾. فإنه يعنى كتاب الله التوراة والإنجيل، وهما شاهدان على فريقى اليهود والنصارى بالكفر، وخلافهم أمر الله الذى أمرهم به فيه.

كما حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال جميعاً: ثنا ابن إسحاق، قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثني سعيد بن جبير، أو عكرمة، عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾. أى: كلُّ يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به، أى: تكفر اليهود بعبسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم من الميثاق على لسان موسى بالتصديق بعبسى، وفى الإنجيل مما جاء

(١ - ١) فى م: «قال: بلى».

(٢ - ٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣ - ٣) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «ابتدعوا وتفرقوا».

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٠٨ إلى المصنف وعبد بن حميد، وينظر تفسير ابن كثير ١/٢٢٣.

(٤) فى ت ٢: «أبى نجيح».

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٢٣.

به عيسى تصديقُ موسى ، وما جاء به من التوراة من عندِ الله ، وكلُّ يكْفُرُ بما في يد صاحبه^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ .

اختلف أهل التأويل في الذين عَنَى اللهُ بقوله : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم بما حدَّثني به المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ . قال : وقالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم^(٢) .

حدَّثنا بشرٌ ،^(٣) قال : حدَّثنا [١٨/٤] يزيدُ ، قال : حدَّثنا^(٣) سعيدٌ ، عن قتادة : ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ قال : قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم^(٤) .

وقال آخرون بما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريج : قلت لعطاء : مَنْ هؤلاء الذين لا يعلمون ؟ قال : أمم كانت قبل اليهود والنصارى ، وقبل التوراة والإنجيل^(٥) .

وقال بعضهم : عَنَى بذلك مُشْرِكِي العرب ؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب ، فَنُسِبوا إلى الجهل ، ونُفِيَ عنهم من أجل ذلك العلم .

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٦) من طريق سلمة به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ عقب الأثر (١١٠٩) معلقا .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٨) من طريق حجاج به .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ، قَالَ: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: / فهم العرب، قالوا: ليس محمدٌ على شيء^(١). ٤٩٧/١

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أخبر تبارك وتعالى عن قوم وصفهم بالجهل، ونفى عنهم العلم بما كانت اليهود والنصارى به عالمين - أنهم قالوا بجهلهم نظير ما قالت اليهود والنصارى بعضها لبعض، مما أخبر الله عنهم أنهم قالوه في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾. وجائز أن يكونوا هم المشركين من العرب، وجائز أن يكونوا أمّة كانت قبل اليهود والنصارى، ولا أمّة هي^(٢) أولى أن يقال هي التي عُييت بذلك من الأخرى، إذ لم يكن في الآية دلالة على أي من أي، ولا خبير بذلك عن رسول الله ﷺ تثبت^(٣) حجته من جهة النقل المُستفصّل، ولا من جهة نقل الواحد العادل.

وإنما قصد الله جل ثناؤه بقوله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾. إلى^(٤) إعلام المؤمنين أن اليهود والنصارى قد أتوا - من قيل الباطل، وافتراء الكذب على الله، ومجحد نبوة الأنبياء والرسل، وهم أهل كتاب يعلمون أنهم فيما يقولون مُبطلون، وبمُجحدهم ما يجحدون من ملتهم خارجون، وعلى الله مُفترون - مثل الذي قاله أهل الجهل بالله وكُتبه ورسله الذين لم يبعث الله

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٩/١ (١١٠٧) عن أبي زرعة، عن عمرو بن حماد به.

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ٣.

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ٣: «ثبت».

(٤) سقط من: م.

إليهم^(١) رسولاً ، ولا أوحى إليهم كتاباً .

وهذه الآية تُنبئ عن^(٢) أن من أتى شيئاً من معاصي الله على علم منه بنهي الله عنها ، فمُصيئته في دينه أعظم من مصيبة من أتى ذلك جاهلاً به ؛ لأن الله تعالى ذكره عظم توبيخ اليهود والنصارى بما وُبِّخهم به - في قبليهم ما أُخبر عنهم بقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ - من أجل أنهم أهل كتاب ، قالوا ما قالوا من ذلك على علم منهم بأنهم فيه مُبْطَلون .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ [١٨/٤] يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : فالله يُقْضَى فِيْفَصِلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمُخْتَلِفِينَ الْقَائِلِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لستم على شيء من دينكم . يومَ قيام الخلق لربهم من قبورهم ، فَيَبْيُنُ^(٤) الْحَقُّ مِنْهُمِ الْمُبْطِلِ ، بِإِيْتَائِهِ الْحَقُّ مَا وَعَدَ أَهْلَ طَاعَتِهِ عَلَى أَعْمَالِهِمِ الصَّالِحَةِ ، وَمَجَازَاتِهِ الْمُبْطِلِ مِنْهُمْ بِمَا أَوْعَدَ أَهْلَ الْكُفْرِ بِهِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ ، فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ مِنْ أَدْيَانِهِمْ وَمِلَلِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا .

وأما « القيامة » ، فهي مصدرٌ من قولِ القائلِ : قَمْتُ قِيَامًا وَقِيَامَةً . كما يقالُ : عَدْتُ فَلَانًا عِيَادَةً . وَ: صُنْتُ هَذَا الْأَمْرَ صِيَانَةً . وَإِنَّمَا عَنَى بِالْقِيَامَةِ قِيَامَ الْخَلْقِ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّهِمْ . فَمَعْنَى ﴿ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ : يَوْمَ قِيَامِ الْخَلَائِقِ مِنْ قُبُورِهِمْ لِحَشْرِهِمْ .

(١) في م : لهم .

(٢) في ت ، ١ ، ٢ : « على » .

(٣) في م : « بيثابة » .

(٤) في متن الأصل : « فبين » ، وكتب مقابله : « فتبين » .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا
أَسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ .

قد دَلَّلْنَا فيما مضى قبل على أن تأويل الظلم وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غير موضِعِهِ ^(١) .

فتأويل قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ : وأى امرئ أشدُّ تعدياً وجراًةً على الله وخلاقاً

لأمره ، من امرئ منَعَ مساجدَ الله أن يُعبَدَ اللهُ فيها ؟

٤٩٨/١ / والمساجدُ جمعُ مسجدٍ ، وهو كلُّ موضعٍ عُبدَ اللهُ فيه . وقد بيَّنا معنى
السجودِ فيما مضى ^(٢) . فمعنى المسجدِ : الموضعُ الذي يُسجدُ اللهُ فيه . كما يقالُ
للموضعِ الذي يُجلَسُ فيه : المجلِسُ . وللموضعِ الذي يُنزَلُ فيه : المنزلُ . ثم يُجمعُ
منازلَ ومجالسَ ، نَظيرَ ^(٣) جمعِ مسجدٍ ؛ مساجدٍ ^(٤) . وقد حكي سماعاً من بعضِ
العربِ : مَسْجِدٌ ^(٥) . في واحدِ المساجدِ ، وذلك كالحطأ من قائله .

وأما قوله: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ . فإن فيه وجهين من التأويلِ : أحدهما ،

أن يكونَ معناه : وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ مساجدَ اللهِ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ . فتكونَ
﴿أَنْ﴾ حينئذٍ نصباً في ^(٥) قولِ بعضِ أهلِ العربيةِ بِقَدِّ الحافِضِ ، وتعلُّقِ الفعلِ
بها ^(٦) . وفي قولِ بعضهم حَقْفُضُهَا بمعنى « مِنْ » وإن لم تكن « مِنْ » ظاهرةً ، إذ كان
في الكلامِ عليها دلالةٌ ^(٦) .

والوجهُ الآخرُ ، أن يكونَ معناه : وَمَنْ أَظْلَمُ مَنْ مَنَعَ أَنْ يُذَكَّرَ اسْمُ اللهِ فِي

(١) ينظر ما تقدم في ٥٥٩/١ ، ٥٦٠ .

(٢) ينظر ما تقدم في ٧١٥/١ .

(٣ - ٣) في م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : «مسجد ومساجد» .

(٤) في م : «مساجد» .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : «من» .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ .

مساجده . فتكون ﴿ أَنْ ﴾ حينئذ في موضع نصبٍ تكريماً على موضع [١٩/٤] « المساجد » ورداً عليه .

وأما قوله : ﴿ وَسَعَى فِي خَرَابِهِنَّ ﴾ . فإن معناه : ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه ، ومن سعى في خراب مساجد الله . ﴿ وَسَعَى ﴾ إذن عطفٌ على ﴿ مَنَع ﴾ .

فإن قال لنا قائل : ومن الذين عنى الله بقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ ؟ وأى المساجد هي ؟
 قيل : إن أهل التأويل في ذلك مُختلفون ؛ فقال بعضهم : الذين منعوا مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه هم النصارى ، والمسجدُ بيتُ المقدسِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباسٍ قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾ : فإنهم النصارى ^(١) .

وحدَّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قولِ الله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ : النصارى ، كانوا يَطْرَحُونَ في بيتِ المقدسِ الأذى ، ويمنعون الناس أن يُصلُّوا فيه ^(٢) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٠/١ (١١١) عن محمد بن سعد به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٢ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٠/١ (١١٢) . وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ١٠٨/١ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثني المُثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

وقال آخرون : بل هو بُحْتَنَصَّرَ وجنَّده ، ومن أعانهم من النصارى ، والمسجدُ مسجدُ بيتِ المقدسِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدثنا سعيدٌ ، عن قتادةٍ قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ الآية : أولئك أعداءُ اللَّهِ النصارى ، حملهم بُغْضُ اليهودِ على أن أعانوا بُحْتَنَصَّرَ البابليَّ المجوسيّ على تخريبِ بيتِ المقدسِ ^(١) .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقٍ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةٍ في قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ قال : هو بُحْتَنَصَّرَ وأصحابه ، خرَّب بيتَ المقدسِ ، وأعانه على ذلك النصارى ^(٢) .

وحدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ / اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ : فإنَّ الرومَ كانوا ظاهروا بُحْتَنَصَّرَ على خرابِ بيتِ المقدسِ حتى خرَّبه ، وأمر به أن تُطْرَحَ فيه الجيفُ ، وإنما أعانه الرومُ على خرابه من أجل أن بنى إسرائيلَ قتلوا يحيى بنَ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٨/١ إلى عبد بن حميد ، وينظر تفسير ابن كثير ٢٢٤/١ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٦/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٠/١ (١١١٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قال » .

زَكَرِيَّا^(١) .

وقال آخرون: بل عَنَى اللهُ عز وجل بهذه الآية مُشْرِكِي قريش، إذ منعوا رسولَ اللهِ ﷺ من المسجد الحرام .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ [١٩/٤ظ]

حدَّثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ . قال : هؤلاء المشركون حين حالوا بين رسولِ اللهِ ﷺ يومَ الحُدَيْبِيَّةِ وبينَ أنْ يَدْخُلَ مكةَ ، حتى نحرَ هديَه بذي طُوًى وهاذَنهم ، وقال لهم : « ما كان أحدٌ يُرَدُّ عن هذا البيتِ ، وقد كان الرجلُ يُلْقَى قاتلَ أبيه أو أخيه فيه فما يصدُّه ! » فقالوا : لا يَدْخُلُ علينا من قتلِ آباءنا يومَ بدرٍ وفينا باقي . وفي قوله : ﴿ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ قال^(٢) : إذا قَطَعُوا مَنْ يَعْمُرُهَا بِذِكْرِه ، ويأتونها للحجِّ والعمرة^(٣) .

وأولى التاويلات التي ذكرناها بتأويل الآية قول من قال : عَنَى اللهُ عز وجل بقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ النصارى ، وذلك أنهم هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس ، وأعانوا بُخْتَنَصْرَ على ذلك ، ومنعوا مؤمنى بنى إسرائيل من الصلاة فيه بعد مُنْصَرَفِ بختنصر عنهم إلى بلاده .

والدليل على صحة ما قلنا في ذلك ، قيامُ الحجَّةِ بأن لا قول في معنى هذه الآية إلا أحدُ الأقوال الثلاثة التي ذكرناها ، وأن لا مسجدَ عَنَى اللهُ عز وجل بقوله : ﴿ فِي

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١١/١ (١١١٦) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قالوا » .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٢٤/١ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٠٨/١ إلى المصنف .

خَرَابِهَا ﴿ إِلَّا أَحَدُ الْمَسْجِدَيْنِ ، إِمَّا مَسْجِدُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَإِمَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ . وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، وَكَانَ مَعْلُومًا أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لَمْ يَشْعُرُوا قَطُّ فِي تَخْرِيْبِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ مَنَعُوا فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، صَحَّ وَثُبِتَ أَنَّ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالسَّعْيِ فِي خَرَابِ مَسَاجِدِهِ ، غَيْرُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِعِمَارَتِهَا ، إِذْ كَانَ مُشْرِكُو^(١) قُرَيْشٍ هُمْ^(٢) بَنُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَبِعِمَارَتِهِ كَانَ افْتِخَاؤُهُمْ ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَفْعَالِهِمْ فِيهِ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ . وَأُخْرَى أَنَّ الْآيَةَ الَّتِي قَبْلَ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ . مَضَتْ بِالْخَبْرِ عَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَذَمَّ أَفْعَالِهِمْ ، وَالَّتِي بَعْدَهَا عَقَّبَتْ^(٣) بِذَمِّ النَّصَارَى وَالْخَبْرِ عَنِ افْتِرَائِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ ، وَلَمْ يَجْرِ لِقُرَيْشٍ وَلَا لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ ذِكْرٌ ، وَلَا لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَبْلَهَا ، فَيُوجَّهُ الْخَبْرُ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ . إِلَيْهِمْ وَالِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِالْآيَةِ أَنْ يُوجَّهَ تَأْوِيلُهَا إِلَيْهِ ، هُوَ مَا كَانَ نَظِيرَ قِصَّةِ الْآيَةِ قَبْلَهَا وَالْآيَةِ بَعْدَهَا ، إِذْ كَانَ خَبْرُهَا لَخَبْرِهِمَا نَظِيرًا وَشَكْلًا ، إِلَّا أَنَّ تَقْوَمَ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَإِنْ اتَّفَقَتْ قِصَصُهَا فَاسْتَبْهَت .

/فإن ظنَّ ظانٌّ أن ما قلنا في ذلك ليس كذلك - إذ كان المسلمون لم ٥٠٠/١
يُلْزَمُهُمْ قَطُّ فَرَضُ الصَّلَاةِ فِي^(٤) «مَسْجِدِ بَيْتِ» الْمُقَدَّسِ فَمُنِعُوا مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ،

(١) في م : «مشرِك» .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) في م : «نَهت» .

(٤ - ٤) في م : «المسجد» .

فيجوز^(١) توجيئه قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ . إلى أنه معني به مسجد بيت المقدس - فقد أخطأ فيما ظن من ذلك . وذلك أن الله تعالى ذكَّره إنما ظلم^(٢) مَنْ مَنَعَ مَنْ كَانَ فَرَضَهُ الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ مُؤْمِنِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَإِيَاهُمْ قَصَدَ بِالْخَبِيرِ عَنْهُمْ بِالظُّلْمِ ، وَالسَّعْيِ فِي خِرَابِ الْمَسْجِدِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ دَلَّ بَعْمُومِ قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ أَنْ كُلَّ مَانِعٍ مَصْلِيًّا فِي مَسْجِدِ اللَّهِ ، فَرَضًا كَانَتْ صَلَاتُهُ فِيهِ أَوْ تَطَوُّعًا ، وَكُلَّ سَاعٍ فِي خِرَابِهِ^(٣) ، فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ .

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مَنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ، أَنَّهُ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ دُخُولَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي سَعَوْا فِي تَخْرِيبِهَا ، وَمَتَعُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا مَا دَامُوا عَلَى مُنَاصَبَةِ الْحَرْبِ ، إِلَّا عَلَى خَوْفٍ وَوَجَلٍ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى دُخُولِهَا .

كالذي حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ : وَهُمْ الْيَوْمَ كَذَلِكَ ، لَا يُوجَدُ نَصْرَانِيٌّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا نَهَكَ ضَرْبًا ، وَأُبْلِغَ إِلَيْهِ فِي الْعُقُوبَةِ .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : قال الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ . وهم

(١) في م : « فيلجئون » .

(٢) في م : « ذكر ظلم » .

(٣) في م : « إخرابه » .

النَّصَارَى ، فلا يَدْخُلُونَ المسجدَ^(١) إلا مُسَارِقَةً ، إن قُدِرَ عليهم عُوقِبُوا^(٢) .

وحدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشَّدِيِّ : ﴿ أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ : فليس فى الأرضِ رومى يَدْخُلُهُ اليومَ إلا وهو خائفٌ أن تُضْرَبَ عُنُقُهُ ، أو قد أُخِيفَ بأداءِ الجزيةِ فهو يُؤدِّيها^(٣) .

وحدثنى يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قوله : ﴿ أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ . قال : نادى رسولُ اللهِ ﷺ : « أَلَا^(٤) يُحْجَّ بعدَ العامِ مُشْرِكٌ ، ولا يَطُوفُ بالبَيْتِ عُزَيَانٌ » . قال : فجعلَ المُشْرِكُونَ يقولون : اللهم إنا مُنِعْنَا أن نُبْرِكَ^(٥) .

وإنما قيلَ : ﴿ أَوْلَيْتِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾ فأُخْرِجَ على وجهِ الخبرِ عن الجميعِ وهو خبرٌ عَمَّنْ مَنَعَ مساجدَ اللهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُهُ ؛ لأنَّ « مَنْ » فى مَعْنَى الجمعِ وإن كان لفظُهُ واحدًا .

القولُ فى تأويلِ قوله جَلَّ ثناؤُهُ : ﴿ لَهُمْ فى الدُّنْيَا [٢٠/٤] خِزْيٌ وَلَهُمْ فى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

أما قوله : ﴿ لَهُمْ ﴾ . فإنه يَعْنى : للذين أَخْبَرَ عنهم أنهم مَنَعُوا مساجدَ اللهِ أن يُذْكَرَ فيها اسمُهُ .

(١) بعده فى الأصل : « الحرام » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١١/١ (١١١٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١١/١ (١١١٦) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لا » .

(٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « نزل » .

وقوله : « ألا يحج بعد العام مشرك... » . متفق عليه من حديث أبى هريرة ، أن أبابكر بعثه ... يؤذن بمنى : ألا يحج ... وينظر فتح البارى لابن رجب ٢/ ٤٠١ ، ٤٠٢ ، وسيأتى من طرق فى أول سورة التوبة .

وأما قوله: ﴿ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ ﴾ . فإنه يعنى بالحزب الشر والعار والذلة ؛ إما القتل والسببى ، وإما الذلة والصغار بأداء الجزية .

٥٠١/١ / كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ ﴾ . قال : يُعْطُونَ الجزية عن يد وهم صاغرون^(١) .

وحدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى قوله : ﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ ﴾ : أما خزيبهم فى الدنيا ، فإنهم إذا قام المهدي وفُتِحَت القسطنطينية قتلهم ، فذلك الحزب^(٢) .

^(٣) وأما قوله : ﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ ﴾ . فإن الآخرة صفة للدار . وقد بيئنا فيما مضى قبل لِمَ قيل لها : آخرة^(٣) .

وأما العذاب العظيم ، فإنه عذاب جهنم الذى لا يُخَفَّفُ عن أهله ، ولا يُقْضَى عليهم فيه^(٤) فيموتوا .

وتأويل الآية : لهم فى الدنيا الذلة والهوان ، والقتل والسببى ، على منعهم مساجد الله أن يُذَكَرَ فيها اسمه ، وسعيهم فى خرابها ، ولهم على معصيتهم وكفرهم برّبهم ، وسعيهم فى الأرض فسادا ، عذاب جهنم ، وهو العذاب العظيم . القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ .

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١١/١ (١١١٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢١١/١ (١١١٨) من طريق عمرو به .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ . وينظر ما تقدم فى ٢٥١/١ .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فيها » .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾: لله ملكهما وتديرهما، كما يقال: لفلان هذه الدار. يعنى أنها له ملكا، فكذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾. يعنى أنهما له ملكا وخلقا.

والمشرق: موضع شروق الشمس، وهو موضع طلوعها^(١) منه. وكذلك المغرب: الموضع الذى تغرب فيه^(٢)، كما يقال لموضع طلوعها منه: مَطْلِعٌ. بكسر اللام، كما بينا فى معنى المسجد أنفا.

فإن قال قائل: أو ما لله إلا مشرق واحد ومغرب واحد، حتى قيل: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾؟

قيل: إن معنى ذلك غير الذى ذهبت إليه، وإنما معنى ذلك: ولله المشرق الذى تشرق منه الشمس كل يوم، والمغرب الذى تغرب فيه كل يوم. فتأويله إذ كان ذلك معناه: ولله ما بين قُطْرِي المشرق وما بين قُطْرِي المغرب. إذ كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذى بعده، وكذلك غروبها كل يوم. فإن قال قائل: أو ليس - وإن كان تأويل ذلك ما [٢١/٤] ذكرت - لله كل ما دونه، والخلق خلقه؟ قيل: بلى.

فإن قال: فكيف خصّ المشارق والمغرب بالخبر عنها أنها له فى هذا الموضع دون سائر الأشياء غيرها؟

قيل: قد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله خصّ الله ذلك بما خصّه به فى هذا الموضع، ونحن مبيّنو الذى هو أولى بتأويل الآية بعد ذكرنا أقوالهم فى ذلك؛ فقال بعضهم: خصّ الله ذلك بالخبر عنه^(٣) من أجل أن اليهود كانت توجّه فى صلاتها وجوهها قبل بيت المقدس، وكان رسول الله ﷺ

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(تفسير الطبرى ٢/٢٩)

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

^(١) وأصحابه يفعلون^(١) ذلك مُدَّةً ، ثم حوّلوا إلى الكعبة ، فاستنكرت اليهود ذلك من فعل النبي ﷺ فقالوا : ما ولأهم عن قبليتهم التي كانوا عليها . فقال الله تبارك وتعالى لهم : المشارق والمغرب كلها لي ، أضرف وجوه عبادي كيف أشاء منها ، فأينما^(٢) تولّوا فشمّ وجهه الله .

/ ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٥٠٢/١

حدّثني المشني ، قال : حدّثنا أبو صالح ، قال : حدّثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : كان أول ما نسخ الله من القرآن القبلة ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثر أهلها اليهود ، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً ، فكان رسول الله ﷺ يُحِبُّ قِبْلَةَ إِبْرَاهِيمَ ، فكان يَدْعُو وَيُنْظِرُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة : ١٤٤] . فازتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَدْنَهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَلَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ [البقرة : ١٤٢] . وقال : ﴿ فَأَيْنَمَا^(٣) تَوَلَّوْا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾^(٤) .

وحدّثني موسى ، قال : حدّثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي بنحوه^(٥) .

(١ - ١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يفعل » .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فحيما » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أينما » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٨/١ ، ٢٥٣ (١٣٢٩ ، ١٣٥٥) ، والنحاس في ناسخه ص ٧١ ، والبيهقي ١٢/٢ ، ١٣ من طريق أبي صالح به . وأخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ١٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٢/١ (١١٢٣) ، والبيهقي ١٢/٢ ، وابن الجوزي في ناسخه ص ١٤٤ من طريق عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، نحوه . وعطاء لم يسمع من ابن عباس ، كما تقدم في ص ٨٤ . وسيأتي في ص ٦١٦ - مختصراً - ، ٦٢٢ ، ٦٥٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٢/١ عقب الأثر (١١٢٣) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وينظر =

وقال آخرون : بل أنزل الله هذه الآية قبل أن يفرض على محمد نبيه ﷺ وعلى المؤمنين به ، التوجه شطر المسجد الحرام ، وإنما أنزلها عليه معلماً نبيّه بذلك وأصحابه أن لهم التوجه بوجوههم للصلاة حيث شاءوا من نواحي المشرق والمغرب ؛ لأنهم لا يوجهون وجوههم وجهاً من ذلك وناحية ، إلا كان جلّ ثناؤه في ذلك الوجه وتلك الناحية ؛ لأن له المشرق والمغرب ، وأنه لا يخلو منه مكان ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَا آدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] . قالوا : ثم نسخ ذلك بالفرض الذي فرض عليهم في التوجه شطر المسجد الحرام ^(١) .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَسَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ : ثم نسخ ذلك بعد ذلك ، فقال الله : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ^(٢) .

^(٣) وحدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَسَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . قال : هي القبلة ، [٤ / ٢١] ثم نسختها القبلة إلى المسجد الحرام .

= الدر المنثور ١/١٠٨ ، ١٠٩ .

(١) قال ابن كثير في تفسيره ٢٢٧/١ تعليقا على قول المصنف هذا : هكذا قال ، وفي قوله : « وأنه لا يخلو منه مكان » . إن أراد علمه تعالى فصحيح ، فإن علمه تعالى محيط بجميع المعلومات ، وأما ذاته تعالى ، فلا تكون محصورة في شيء من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وهذا ما سيذكره المصنف في تفسير الآية من سورة المجادلة .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٩٥٨) من طريق يزيد به ، وأخرجه ابن الجوزى في ناسخه ص ١٤٥ من طريق سعيد به نحوه . وأخرجه ابن الجوزى ص ١٤٦ من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطى في الدر المنثور ١/١٠٩ إلى عبد بن حميد .

(٣ - ٣) في م : « حدثت عن الحسن » .

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحِجَاجُ بْنُ الْمِيهَالِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هَمَامٌ بْنُ^(١) يحيى ، قَالَ : سَمِعْتُ قَتَادَةَ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : كَانُوا يُصَلُّونَ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ، وَبَعْدَ مَا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ وُجِّهَ بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَنَسَخَهَا اللَّهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى : ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ إِلَى : ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ . قَالَ : فَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَا كَانَ قَبْلَهَا مِنْ أَمْرِ الْقِبْلَةِ^(٢) .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُهُ - يَعْنِي^(٣) ابْنَ زَيْدٍ - يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « هَؤُلَاءِ قَوْمٌ يَهُودٌ يَسْتَقْبِلُونَ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ -^(٤) لَيْسَتْ الْمَقْدِسُ^(٥) - لَوْ أَنَا اسْتَقْبَلْنَاهُ . فَاسْتَقْبَلَهُ / النَّبِيُّ ﷺ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، فَلَبَّغَهُ أَنْ يَهُودَ تَقُولُ : وَاللَّهِ مَا دَرَى مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قِبْلَتِهِمْ حَتَّى هَدَيْنَاهُمْ . فَكَرِهَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَرَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الْآيَةَ^(٥) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِذْ تَأَمَّنَ مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ التَّطَوُّعَ حَيْثُ تَوَجَّهَ وَجْهَهُ مِنْ شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ ، فِي مَسِيرِهِ فِي سَفَرِهِ ، وَفِي حَالِ الْمُسَافِرَةِ وَشِدَّةِ الْخَوْفِ وَالتَّقَاةِ الرَّحُوفِ - الْفَرَاغِ ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ حَيْثُ وَجَّهَ وَجْهَهُ فَهُوَ هُنَالِكَ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ .

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قَالَ تَنَا » .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي نَاسِخِهِ ص ١٤٥ مِنْ طَرِيقِ هَمَامٍ بِهِ نَحْوَهُ .

(٣ - ٣) فِي م : « زَيْدًا » ، وَفِي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « زَيْدٍ » .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ فِي نَاسِخِهِ ص ٧٦ ، ٧٧ مَعْلَقًا .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي حَيْثُ تَوَجَّهْتُ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، وَيَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، وَيَتَأَوَّلُ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ فَضِيلٍ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي سَلِيمَانَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا ^(٢) نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ : أَنَّ تُصَلِّيَ أَيْنَمَا ^(٣) تَوَجَّهْتُ بِكَ رَاحِلَتِكَ فِي السَّفَرِ تَطَوُّعًا ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَجَعَ مِنْ مَكَّةَ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ تَطَوُّعًا ، يَوْمِيًّا بِرَأْسِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي قَوْمٍ عَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْقِبْلَةُ فَلَمْ يَعْرِفُوا شَطْرَهَا ، فَصَلَّوْا عَلَى أُنْحَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ : لِي الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ ، فَأَيْنَ ^(٥) وَلَيْسَ وَجْهَكُمْ فَهَذَا وَجْهِي ، وَهُوَ قِبَلْتُكُمْ . يُعَلِّمُهُمْ ^(٦) بِذَلِكَ أَنَّ صَلَاتَهُمْ مَاضِيَةٌ .

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٨/٩ (٥٠٠١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ بِهِ . وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣٣٧/٨ (٤٧١٤) ، وَمُسْلِمٌ (٣٣٧/٧٠٠) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩٥٨) ، وَالمُرُوزِيُّ فِي السَّنَةِ (٣٧٧) ، وَالنَّسَائِيُّ (٤٩٠) ، وَابْنُ خَزِيمَةَ (١٢٦٧) ، وَالنَّحَّاسُ فِي نَاسِخِهِ ص ٧٨ ، وَالحَاكِمُ ٢/٢٦٦ ، وَالبَيْهَقِيُّ ٤/٢ ، وَالوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٢٥ ، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي نَاسِخِهِ ص ١٤١ ، مِنْ طَرَقَ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بِهِ .

(٢) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إِنَّمَا » .

(٣) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حَيْثَمَا » .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ (١٢٦٩) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢١٢/١ (١١٢١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ فَضِيلٍ بِهِ .

(٥) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فَإِنْ » .

(٦) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مَعْلَمُهُمْ » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى، قال : حدثنا أبو الربيع السَّمَانُ، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء مظلمة، فنزلنا منزلاً، فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يُصَلِّي فيه، فلما أن أصبحنا إذا نحن قد صلينا على غير القبلة، فقلنا : يا رسول الله، لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة . فأنزل الله : ﴿ وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعُ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

وحدثني المثنى، قال : حدثنا الحجاج، قال : حدثنا حماد، قال^(٢) أخبرنا حماد، قال^(٣) : قلت للثعبي : إني كنت استيقظت - أو قال : أيقظت^(٤) . شك أبو جعفر - فكان في السماء سحاب، فصليت لغير القبلة، قال : مضت صلاتك، يقول الله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾^(٥) .

[٢٢/٤] حدثنا سفيان بن وكيع، قال : حدثنا أبي، عن أشعث السَّمَانِ، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه، قال : كنا مع النبي ﷺ في ليلة مظلمة في سفر، فلم ندر أين القبلة، / فصلينا؛ وصلّى كل رجل^(٥) منا على حiale، ثم أصبحنا فذكرنا ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَتَمَّ

٥٠٤/١

(١) حديث ضعيف . أخرجه الطيالسي (١٢٤١)، وعبد بن حميد (٣١٦)، وابن ماجه (١٠٢٠)، والبخاري (٣٨١٢)، والعمري (٣١/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢١١/١ (١١٢٠)، والطبراني في الأوسط (٤٦٠)، والدارقطني ٢٧٢/١، والبيهقي ١١/٢، وأبو نعيم في الحلية ١٧٩/١، وابن الجوزي في ناسخه ص ١٣٨، ١٣٩ من طريق أبي الربيع السمان به، وأبو الربيع وعاصم ضعيفان . وقال العمري : حديث عامر بن ربيعة ليس يروى من وجه يثبت منه . وينظر تفسير ابن كثير ١/٢٢٨، ٢٢٩ .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وهو حماد بن سلمة ، عن حماد بن أبي سليمان .
(٣) في م : « أوقظت » .

(٤) ذكره النحاس في ناسخه ص ٧٧ معلقا .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « واحد » .

وَجَّهُ اللَّهُ ﴿١﴾ .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية في سبب النجاشي ؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ تنازعوا في أمره ؛ من أجل أنه مات قبل أن يُصَلَّى^(٢) القبلة ، فقال لهم الله : المشارق والمغرب كلها لي ، فمن وجهه وجهه نحو شيء منها يريدني به ، ويتنغي به طاعتي ، وجدني هنالك . يعنى بذلك أن النجاشي وإن لم يكن صَلَّى^(٢) القبلة ، فإنه كان يُوجَّهُ إلى بعض وجوه المشارق أو المغرب وجهه ، ويتنغي بذلك رضا الله في صلاته .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

وحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا معاذ بن هشام^(٣) ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة أن النبي ﷺ قال : « إن أحاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه » . قالوا : أتصلي على رجل ليس بمسلم ! قال : فنزلت : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٩٩] . قال قتادة : فقالوا : وإنه كان لا يصلي^(٢) القبلة . فأنزل الله : ﴿ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجَّهُ اللَّهُ ﴾^(٤) .

والصواب من القول في ذلك^(٥) أن يقال : إن الله تعالى ذكره إنما خصَّ الخير عن المشرق والمغرب في هذه الآية بأنهما له ملكا - وإن كان لا شيء إلا وهو له

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥ ، ٢٩٥٧) ، والدارقطني ١/ ٢٧٢ ، والواحدى في أسباب النزول ص ٢٥ من طريق وكيع به .

(٢) بعده في م : « إلى » .

(٣ - ٣) في م : « هشام بن معاذ » ، وينظر تهذيب الكمال ٣٠ / ٢١٥ .

(٤) سيأتي تخريجه في سورة آل عمران .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

مِلْكٌ - إعلامًا منه لعباده المؤمنين أن له مِلْكَهُما ومِلْكٌ ما بينهما مِنَ الخلائقِ ، وأن على جميعهم - إذ كان له مِلْكُهُم - طاعته فيما أمرهم ونهاهم ، وفيما فرض عليهم مِنَ الفرائضِ ، والتوجيه^(١) نحوَ الوجهِ الذي وُجِّهوا إليه ، إذ كان مِنَ حكمِ الممالكِ طاعةُ مالِكِهِم ، فأخْرَجَ الخَبْرَ عن المشرقِ والمغربِ ، والمرادُ به ما^(٢) بينهما مِنَ الخلقِ ، على النحوِ الذي قد بَيَّنَّتْ مِنَ الاكْتفاءِ بالخبرِ عن سببِ الشئِ مِنْ ذِكْرِهِ والخبرِ عنه ، كما قيل : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ . وما أَشْبَهَ ذلكَ^(٣) .

فَمَعْنَى الآيَةِ إِذَنْ : وَلِلَّهِ مِلْكُ الْخَلْقِ الَّذِي بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ،^(٤) يَسْتَعْبِدُهُمْ بِمَا يَشَاءُ^(٥) ، وَيَخُكِّمُ فِيهِمْ مَا يُرِيدُ ، عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ ، فَوَلُّوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ وَجُوهَكُمْ نَحْوَ وَجْهِهِ ، فَإِنَّكُمْ أَيْمًا تُؤَلُّوا^(٦) وَجُوهَكُمْ فَهَنَالِكِ وَجْهِهِ .

فَأَمَّا الْقَوْلُ فِي : هَلْ هَذِهِ الْآيَةُ نَاسِخَةٌ أَمْ مَنْسُوخَةٌ ؟ أَمْ لَا هِيَ نَاسِخَةٌ وَلَا مَنْسُوخَةٌ ؟ فَإِنَّ الصَّوَابَ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهَا آيَةٌ جَاءَتْ مَجِيءَ الْعُمُومِ ، وَالْمَرَادُ مِنْهَا الْخَاصُّ ، وَذَلِكَ أَنْ قَوْلَهُ : ﴿ فَأَيَّمَا تُؤَلُّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . مُخْتَمِلٌ : فَأَيَّمَا تُؤَلُّوا فِي حَالِ سَيْرِكُمْ فِي أَسْفَارِكُمْ فِي صَلَاتِكُمُ التَّطَوُّعِ ، وَفِي حَالِ مَسَافِقَتِكُمْ^(٧) عَدْوَكُمْ فِي تَطَوُّعِكُمْ وَمَكْتُوبَتِكُمْ - فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ . كَمَا قَالَ ابْنُ عَمْرٍو وَالنَّخَعِيُّ وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ مِمَّنْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ عَنْهُ آتِفًا .

وَمُخْتَمِلٌ : فَأَيَّمَا تُؤَلُّوا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ فَتَكُونُوا بِهَا - فَتَمَّ قِبْلَةُ اللَّهِ الَّتِي تُوجِّهُونَ

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التوجه » .

(٢) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ : « من » .

(٣) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤ - ٤) فِي م : « يتعبدهم بما شاء » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « تولون » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « مسابقتكم » .

وُجُوهَكُمْ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّ الْكَعْبَةَ مُمَكِّنٌ لَكُمْ التَّوَجُّهَ إِلَيْهَا مِنْهَا .

كما حَدَّثَنَا^(١) أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ، عَنْ أَبِي سَيْنَانَ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، وَالنَّضْرِ بْنِ عَزْبِيِّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ / فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . قَالَ : قِبْلَةُ اللَّهِ ، [٤/٢٢ظ] فَأَيْنَمَا كُنْتُمْ مِنْ شَرْقٍ أَوْ غَرْبٍ فَاسْتَقْبِلُوهَا^(٢) .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ^(٣) بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَلَكُمْ قِبْلَةٌ تَسْتَقْبِلُونَهَا . قَالَ : لِلْكَعْبَةِ^(٤) .

وَمُحْتَمِلٌ : فَأَيْنَمَا تُولَّوْا وَجُوهَكُمْ فِي دُعَائِكُمْ لِي ، فَهِنَالِكَ وَجْهِي ، أَسْتَجِبْ لَكُمْ دَعَاءَكُمْ .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ مُجَاهِدٌ : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] . قَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟ فَنَزَلَتْ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾^(٥) .

فَإِذَا كَانَ قَوْلُهُ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ . مُحْتَمِلًا مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْأَوْجِهِ ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يُزْعَمَ أَنَّهَا نَاسِخَةٌ وَلَا مَنْسُوخَةٌ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا ؛ لِأَنَّ

(١) فِي م : « قَالَ » .

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ ١٨٩/٥ (٢٩٥٨) عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ ، عَنْ وَكَيْعٍ ، عَنْ النَّضْرِ ، عَنْ مُجَاهِدٍ . وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ ١٣/٢ مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنْ النَّضْرِ بِهِ .

وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٠٩/١ إِلَى ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٣) بَعْدَهُ فِي م : « عَنْ » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ٦٣/٢ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢١٢/١ (١١٢٢) مِنْ طَرِيقِ حُجَّاجٍ بِهِ .

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٣٠/١ عَنْ الْمَصْنُفِ . وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٠٩/١ إِلَى الْمَصْنُفِ ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ .

الناسخ لا يكون إلا المنسوخ^(١) ، ولم تُقَمْ حُجَّةٌ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا بِأَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ فَأَيِّنَّمَا تَوَلَّوْا فَسَمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ ﴾ . مَعْنَى بِهِ : فَأَيِّنَّمَا تَوَلَّوْا وَجْهَهُمْ فِي صَلَاتِكُمْ فَسَمَّ قِبَلِكُمْ . وَلَا أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، أَمْرًا مِنَ اللَّهِ لَهُمْ بِهَا أَنْ يَتَوَجَّهُوا نَحْوَ الْكَعْبَةِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : هِيَ نَاسِخَةٌ الصَّلَاةِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . إِذْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَأُئِمَّةِ التَّابِعِينَ مَنْ يُنْكِرُ^(٢) أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى ، وَلَا خَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَابِتٌ بِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ ، وَكَانَ الْاِخْتِلَافُ فِي أَمْرِهَا مَوْجُودًا عَلَى مَا وَصَفْتُ . وَلَا هِيَ - إِذْ لَمْ تَكُنْ نَاسِخَةً لِمَا وَصَفْنَا - قَامَتْ حُجَّتُهَا بِأَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ ، إِذْ كَانَتْ مُحْتَمِلَةً مَا وَصَفْنَا مِنْ أَنْ تَكُونَ جَاءَتْ بِعُمُومٍ^(٣) وَمَعْنَاهَا فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ - إِنْ كَانَ عُنِيَ بِهَا التَّوَجُّهُ فِي الصَّلَاةِ - وَفِي كُلِّ حَالٍ - إِنْ كَانَ عُنِيَ بِهَا الدُّعَاءُ - وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِي كِتَابِنَا « كِتَابِ الْبَيَانِ عَنِ أَصُولِ الْأَحْكَامِ » ، عَلَى أَنَّ النَّاسِخَ فِي آيِ الْقُرْآنِ وَأَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِلَّا مَا نَفَى حُكْمًا ثَابِتًا ، قَدْ لَزِمَ الْعِبَادَةَ فَرَضُهُ ، غَيْرَ مُحْتَمِلٍ ظَاهِرُهُ^(٤) وَبَاطِنُهُ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَأَمَّا مَا اخْتَمَلَ غَيْرَ ذَلِكَ - مِنْ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْاِسْتِثْنَاءِ ، أَوْ الْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ ، أَوْ الْمُجْمَلِ وَالْمُفَسَّرِ - فَمِنْ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ بِمَعْرِزِلٍ ، بِمَا عُنِيَ عَنِ تَكَرُّرِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . وَأَلَّا مَنْسُوخَ إِلَّا الْمُنْفَعِيُّ الَّذِي قَدْ كَانَ ثَبَّتَ حُكْمَهُ وَفَرَضَهُ . وَلَمْ يَصِحَّ وَاحِدٌ مِنْ هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ لِقَوْلِهِ : ﴿ فَأَيِّنَّمَا تَوَلَّوْا فَسَمَّ وَجْهَهُ اللَّهُ ﴾ . بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا ، فَيُقَالُ فِيهِ : هُوَ نَاسِخٌ أَوْ مَنْسُوخٌ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ فَأَيِّنَّمَا ﴾ . فَإِنْ مَعْنَاهُ : فَحَيْثَمَا .

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بِمَنْسُوخٍ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « يُمْكِنُ » .

(٣) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أَوْ » .

(٤) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لظَاهِرِهِ » .

وأما قوله: ﴿تَوَلَّوْا﴾ . فإن الذى هو أولى بتأويله أن يكون: تُوَلُّون نحوَه وإليه . كما يقول القائل: وَلَيْتَ وَجْهِي نَحْوَ كَذَا، وَوَلَيْتُهُ إِلَيْهِ . بمعنى: قابلته وواجهته .

وإنما قلنا: ذلك أولى بتأويل الآية؛ لإجماع الحجة على أن ذلك تأويلها، وشذوذ من تأويلها بأنها بمعنى: تُوَلُّون [٤/٢٣] عنه فتستدبرونه، 'ففى الذى' (١) تتوجهون إليه وجهه الله . بمعنى: قبلة الله .

'وقوله: ﴿تَوَلَّوْا﴾ . مجزوم بحرف الجزاء، وهو قوله: ﴿فَأْتِنَا﴾ (٢) .
وأما قوله: ﴿فَتَمَّ﴾ . فإنه بمعنى: هنالك .

٥٠٦/١ /واختلف فى تأويل قوله: ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ ؛ فقال بعضهم: تأويل ذلك: فَتَمَّ
قبلة الله . يعنى بذلك: وجهه الذى وجههم إليه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن النضر بن عزيب، عن مجاهد:
﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ . قال: قبلة الله (٣) .

حدَّثنا القاسم، قال: حدَّثنا الحسين، قال: حدَّثنى الحجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرنى إبراهيم، عن مجاهد، قال: حيثما كنتم فلکم قبلة تستقبلونها .

وقال آخرون: معنى قول الله: ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ : فَتَمَّ اللهُ .

(١ - ١) فى م، ت ١: «الذى»، وفى ت ٢، ت ٣: «فى الذى» .

(٢ - ٢) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣ .

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٤٥٧ .

وقال آخرون: معنى قوله: ﴿ فَثَمَّ وَجَّهُ اللَّهُ ﴾: فثم تُدْرِكُ كون بالتوجه إليه رضا الله الذي له الوجه الكريم.

وقالوا^(١): عَنَى بالوجه: ذو^(٢) الوجه. وقال قائلو هذه المقالة: وجه الله له صفة. فإن قال قائل: وما هذه الآية من التي قبلها؟

قيل: هي لها مواصلة، وإنما معنى ذلك: ومن أظلم من النصارى الذين منعوا عباد الله مساجده أن يُذكر فيها اسمه، وسعوا في خرابها، ولله المشرق والمغرب، فأينما وجهتم وجوهكم فاذكروه، فإن وجهه هنالك، يسعكم فضله وأرضه وبلاؤه، ويعلم ما تعملون، ولا يمنعكم تخريب من خرب^(٣) مساجد الله بيت المقدس^(٤)، ومنعهم من منعوا من ذكر الله فيه - أن تذكروا الله حيث كنتم من أرض الله، تبتغون به وجهه.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

يعنى بقوله: ﴿ وَاسِعٌ ﴾: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير. وأما قوله: ﴿ عَلِيمٌ ﴾: فإنه يعنى أنه عليم بأعمالهم^(٤)، لا يغيب عنه منها شىء، ولا يعزب عنه^(٥) علمه، بل هو بجميعها عليهم.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

(١) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «وقال آخرون».

(٢) فى م: «ذا».

(٣ - ٣) فى م: «مسجد بيت المقدس».

(٤) فى م: «بأعمالهم».

(٥) فى م، ت ١، ت ٢: «عن».

يعنى بقوله: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ . الذين مَنَعُوا مساجدَ اللَّهِ أن يُذَكَّرَ فيها اسمُه . و ﴿ قَالُوا ﴾ معطوفٌ على قوله : ﴿ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ .

وتأويلُ الآية : وَمَن أَظْلَمُ مَن مَنَعَ مساجدَ اللَّهِ أن يُذَكَّرَ فيها اسمُه وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ، وقالوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . وهم النَّصَارَى الذين زَعَمُوا أن عيسى ابنُ اللَّهِ ، فقال جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُكَدِّبًا قِيلَهُمْ ما قالوا مِن ذلك ، ومُتَنَفِّيًا مَّا نَحَلُّوه ، [٤/٢٣ظ] وأضافوا إليه بِكَذِبِهِمْ وَفِرْيَتِهِمْ - : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ . يعنى بذلك جَلَّ ثَنَاؤُهُ : تنزيهاً لِلَّهِ ، وَتَبَرِّيًّا ^(١) مِن أن يَكُونَ له وَلَدٌ ، وعلوًا وارتفاعًا عن ذلك .

وقد دَلَّلْنَا فيما مضى على معنى قولِ القائلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ . بما أَغْنَى عن إِعادَتِهِ / ٥٠٧/١ في هذا الموضع ^(٢) .

ثم أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أن له ما فى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مِلْكًا وَخَلْقًا . ومعنى ذلك : وكيف يَكُونُ المَسِيحُ لِلَّهِ وَلَدًا ، وهو لا يَخْلُو مِن ^(٣) أن يَكُونَ فى بعضِ هذه الأماكِنِ ؛ إما فى السَّمَاوَاتِ ، وإما فى الأَرْضِ ، ولِلَّهِ مِلْكٌ ما فيهما ، ولو كان المَسِيحُ ابْنًا كما زَعَمْتُمْ ، لم يَكُنْ كسائرِ ما فى السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ مِن خَلْقِهِ وَعبيدِهِ ، فى ظهورِ آثارِ ^(٤) الصَّنْعَةِ فيه .

القولُ فى تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ كُلُّ لَهٍ قَنِينُونَ ﴾ .

اختلف أهلُ التَّأويلِ فى قوله : ﴿ كُلُّ لَهٍ قَنِينُونَ ﴾ ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك : ^(٥) «كلُّ له مُطِيعون» .

(١) فى م : « تبريها » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «إما» .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : «آيات» .

(٥) (٥ - ٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَلِّ لَمْ قَلْبِنُونَ ﴾ : مُطِيعُونَ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ كَلِّ لَمْ قَلْبِنُونَ ﴾ . قَالَ : مُطِيعُونَ . وَقَالَ : طَاعَةُ الْكَافِرِ فِي سَجُودِ ظِلِّهِ ^(٢) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبَلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ بِمِثْلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ زَادَ : يَسْجُدُ ظِلُّهُ وَهُوَ كَارَةٌ ^(٣) .

وَحَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ السُّدِّيِّ : ﴿ كَلِّ لَمْ قَلْبِنُونَ ﴾ . يَقُولُ : كَلٌّ لَهُ مُطِيعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ ، عَنْ عِكْرَمَةَ : ﴿ كَلِّ لَمْ قَلْبِنُونَ ﴾ . قَالَ : الطَّاعَةُ .

وَحَدَّثْتُ عَنِ الْمُنْجَابِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ قَلْبِنُونَ ﴾ : مُطِيعُونَ ^(٥) .

وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَى ذَلِكَ : كَلٌّ لَهُ مُقِرُّونَ بِالْعُبُودَةِ ^(٦) .

(١) ينظر ما سيأتى فى ٤/٣٧٩ - ٣٨٣ ، وتفسير الآية ٢٦ من سورة الروم ، والدر المنثور ١/١١٠ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٢ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٣ (١١٢٩) عن أبيه ، عن أبى حذيفة به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٢٣١ عن السدى .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١١٠ إلى المصنف وابن المنذر .

(٦) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بالعبودية » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ ،
عَنْ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ ، عَنْ عِكْرَمَةَ قَوْلَهُ : ﴿ كَلُّ لَمْ قَدِنُونَ ﴾ . قَالَ : كَلٌّ لَهُ مُقَرَّرٌ
بِالْعُبُودَةِ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ الْمُتَنِّي ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي
جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿ كَلُّ لَمْ قَدِنُونَ ﴾ . يَقُولُ : كَلٌّ لَهُ قَائِمٌ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ^(٢) .

وَاللْقنُوتِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعَانٍ : أَحَدُهَا ، الطَّاعَةُ . وَالْآخَرُ ، الْقِيَامُ .
وَالثَّالِثُ ، الْكُفُّ عَنِ الْكَلَامِ وَالْإِمْسَاكُ عَنْهُ .

وَأَوْلَى مَعَانِي الْقنُوتِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَلُّ لَمْ قَدِنُونَ ﴾ : الطَّاعَةُ وَالْإِقْرَارُ لِلَّهِ
بِالْعُبُودَةِ ، بِشَهَادَةِ أَجْسَامِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنْ آثَارِ الصَّنِيعَةِ ، [٢٤/٤] وَالِدَلَالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ
اللَّهِ ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ بَارِئُهَا وَخَالِقُهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْذَبَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ لِلَّهِ
وَلَدًا بِقَوْلِهِ : ﴿ بَلْ لَمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . مِلْكًا / وَخَلْقًا . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ جَمِيعِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّهَا مُقَرَّرَةٌ بِدَلَالَتِهَا عَلَى رَبِّهَا وَخَالِقِهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
بَارِئُهَا وَصَانِعُهَا - وَإِنْ جَحَدَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ بِالسُّنَنِهِمْ ^(٣) - مُدْعِنَةٌ لَهُ بِالطَّاعَةِ ،
بِشَهَادَتِهَا لَهُ بِآثَارِ الصَّنِيعَةِ الَّتِي فِيهَا بِذَلِكَ ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ أَحَدَهُمْ ، فَأَنَّى يَكُونُ لِلَّهِ وَلَدًا
وَهَذِهِ صِفَتُهُ !

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بِالْعُبُودِيَةِ » . وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢١٤/١ (١١٣٢) مِنْ
طَرِيقِ الْحُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ بِهِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢١٤/١ (١١٣٣) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٣) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فَالسُّنَنِهِمْ » .

وقد زعم بعض من قصرت معرفته عن توجيه هذا الكلام وجهته ، أن قوله : ﴿ كَلُّ لَّهُ قَدِنُونَ ﴾ . خاصة لأهل الطاعة وليست بعامة . وغير جائر ادعاء خصوص في آية عام ظاهرها ، إلا بحجة يجب التسليم لها ؛ لما قد بينا في كتابنا « كتاب البيان عن أصول الأحكام » .

وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن أن المسيح - الذي زعمت النصارى أنه ابن الله - مُكذَّبهم هو والسموات والأرض وما فيهما ، إما باللسان ، وإما بالدلالة ، وذلك أنه جل ثناؤه أخبر عن جميعهم بطاعتهم إياه ، وإقرارهم له بالعبودية ، عقيب قوله : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ . فدل ذلك على صحة ما قلنا .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ : مُبدِعُها . وإنما هو مُفْعِلٌ ، فَضْرَفٌ إلى فِعْلٍ ، كما ضَرَفَ المَوْلَمُ إلى الأليم ، والمسمعُ إلى السميع . ومعنى المُبدِعِ : المُنشِئُ والمُحدِثُ ما لم يَسْبِقْهُ إلى إنشائه مثله وإحداثه أحدٌ . ولذلك سُمِّيَ المُبتدِعُ في الدين مُبتدِعًا ؛ لإحداثه فيه ما لم يَسْبِقْهُ إليه غيره . وكذلك كلُّ مُحدثٍ فعلاً أو قولاً لم يَتَقَدِّمِ فيه مُتَقَدِّمٌ ، فإن العرب تسميه مُبتدِعًا ، من ذلك قولُ أعشى بنى ثعلبة في مدح هُوذة بنِ عليِّ الحنَفِيِّ^(١) :

يُرْعَى إلى قولِ ساداتِ الرجالِ إذا أبَدُوا له الحَزْمَ أو ما شاءه ائْتَدَعَا
أى : يُحدِثُ ما شاء .

وقولُ رُوْبَةَ بنِ العجاجِ^(٢) :

(١) تقدم تخريجه في ص ٣٨٠ .

(٢) ديوان رُوْبَةَ (مجموعة أشعار العرب) ص ٨٧ .

فَأَيُّهَا الْعَاشِي الْقِذَافُ^(١) الْأَتْبَعَا^(٢)

إِنْ كُنْتَ لِلَّهِ التَّقِيَّ الْأَطْوَعَا

فَلَيْسَ وَجْهُ الْحَقِّ أَنْ تَبْدَعَا

يعنى : أن تُحَدِّثَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ .

فمعنى الكلام : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَهُوَ مَالِكٌ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، تَشْهَدُ لَهُ جَمِيعُهَا بِدَلَالَتِهَا عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ، وَتُقَرُّ لَهُ بِالطَّاعَةِ ، وَهُوَ بَارئُهَا وَخَالِقُهَا ، وَمُوجِدُهَا مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ، وَلَا مِثَالٍ اخْتَدَاهَا عَلَيْهِ ! .

وهذا إعلامٌ مِنَ اللَّهِ عِبَادَهُ أَنَّ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَضَافُوا إِلَى اللَّهِ بُنُوَّتَهُ ، [٤/٢٤ظ] وَإِخْبَارٌ مِنْهُمْ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ، وَعَلَى غَيْرِ مِثَالٍ ، هُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الْمَسِيحَ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ بِقُدْرَتِهِ .
وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . يَقُولُ : ابْتَدَعَ خَلْقَهَا ، وَلَمْ يَشْرِكْهُ فِي خَلْقِهَا أَحَدٌ^(٣) .

/ وَحَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنْ الشَّدِيدِ : ﴿ بَدِيعُ

(١) القذاف : سرعة السير . التاج (ق ذ ف) .

(٢) فِي الدِّيَوَانِ : « الْأَتْبَعَا » . وَالْأَتْبَعُ : الْمُتَتَابِعُ : أَيْ الْمُتَسَارِعُ فِي الْحَمَقِ . التَّاجِ (ت ي ع) .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢١٤/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١١٣٥) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ . وَعَزَاهُ

السِّيَوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١١٠/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ . وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٢١٤/١

(١١٣٥) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ . (تفسير الطبري ٣٠/٢)

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ . يَقُولُ : ابْتَدَعَهَا فَخَلَقَهَا ، وَلَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا شَيْئًا يَمْتَثِلُ^(١) بِهِ^(٢) .
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾^(٣) .

يعنى بقوله جلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ : وَإِذَا أَحْكَمَ أَمْرًا وَحَتَمَهُ . وَأَصْلُ
كُلِّ قَضَاءٍ : الإِحْكَامُ وَالْفِرَاقُ مِنْهُ . وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْحَاكِمِ بَيْنَ النَّاسِ : الْقَاضِي
بَيْنَهُمْ . لِفَضْلِهِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْخِصْمِ ، وَقَطْعِهِ الْحُكْمَ بَيْنَهُمْ وَفِرَاقِهِ . وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَيْتِ :
قَدْ قَضَى . يُرَادُ بِهِ : فَرَّغَ مِنَ الدُّنْيَا وَفَصَلَ مِنْهَا . وَمِنْهُ قِيلَ : مَا يَنْقُضِي عَجَبِي مِنْ
فُلَانٍ . يُرَادُ : مَا يَنْقَطِعُ . وَمِنْهُ قِيلَ : تَقَضَى النَّهَارُ . إِذَا انْصَرَمَ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ : ﴿وَقَضَىٰ
رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] . أَيْ : فَصَلَ الْحُكْمَ فِيهِ بَيْنَ عِبَادِهِ بِأَمْرِهِ
إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾
[الإسراء: ٤] . أَيْ : أَعْلَمْنَاهُمْ بِذَلِكَ وَأَخْبَرْنَاهُمْ بِهِ ، فَفَرَّغْنَا إِلَيْهِمْ مِنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي
دُؤَيْبٍ^(٣) :

وعليهما مسرودتان^(٤) قضاهما داوود أو صنع^(٥) السوايغ تبتغ
ويزوي :

* وتعاورا مسرودتين قضاهما *

ويعنى بقوله : قضاهما : أحكمهما . ومنه قول الآخر في مدح عمر بن

(١) في م : «فتمثل» ، وفي ت ١ ، ت ٣ : «فتمثل» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٤/١ (١١٣٦) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) ديوان الهذليين ١٩/١ .

(٤) مسرودتان : درعان . اللسان (س ر د) .

(٥) الصنع : الحاذق بالعمل . التاج (ص ن ع) .

الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(١) :

قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِقَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تَفْتَقِ
وَيُزَوِّى : بَوَائِقَ^(٢) .

وأما قوله : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . فإنه يعنى بذلك : وإذا أحكم أمرًا فحتمه فإنما يقول له : كُنْ . فيكون ذلك الأمر على ما أمره الله أن يكون وأرادَه .

فإن قال لنا قائلٌ : وما معنى قوله : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ؟ وفى أىِّ حالٍ يقول للأمر الذى يَقْضِيهِ : كُنْ . أفى حالٍ عديمه - وتلك حالٌ لا يجوزُ أمره ، إذ كان مُحالًا أن يُؤْمَرَ إلا مأمورٌ ، فإذا لم يكن المأمورُ ، استحال الأمرُ ، كما محالُّ الأمر من غيرِ أمرٍ ، فكذلك محالُّ الأمر من أمرٍ إلا المأمور - أم يقول ذلك له فى حالٍ وجوده ، وتلك حالٌ لا يجوزُ أمره فيها بالحدوث ؛ لأنه حادثٌ موجودٌ ، ولا [٢٥/٤] يُقال للموجود : كُنْ موجودًا . إلا بغيرِ مَعْنَى الأمرِ بحدوثِ عَيْنِهِ ؟ .

قيل : قد تنازع المتأولون معنى ذلك ، ونحن مُخْبِرُونَ بما قالوا فيه ، والعللُ التى بها اعتلَّ كلُّ قائلٍ^(٣) منهم لقوله فى ذلك ؛ فقال بعضهم : ذلك خبرٌ من الله عن أمره المحتوم - على وجه القضاء لمن قضى عليه قضاءً من خلقه الموجودين - أنه إذا أمره بأمرٍ نفذ فيه قضاؤه ، ومضى فيه أمره . نَظِيرُ أمرِهِ مَنْ أمر من بنى إسرائيل بأن يكونوا قِرْدَةً خاسئين ، وهم موجودون فى حالٍ أمرِهِ إِيَّاهم بذلك ، وحتم قضائه عليهم بما

(١) طبقات فحول الشعراء ١/ ١٣٣ ، وتأويل مشكل القرآن ص ٣٤٣ ، وزهر الآداب ٢/ ٩٦٨ ، وقد نسب البيت إلى الشماخ ، وإلى أخيه جزء ، ونسبه أيضًا إلى الجن .

(٢) البوائق : جمع بائجة ، وهى الداھية . التاج (ب و ج) .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فريق » .

قَضَى فِيهِمْ ، وَكَالَّذِي خَسَفَ بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ وَقَضَائِهِ ،
فِي مَنْ كَانَ موجودًا مِنْ خَلْقِهِ فِي حَالِ أَمْرِهِ الْمُحْتَمِ عَلَيْهِ . فَوَجَّهَ قَائِلُو هَذَا الْقَوْلِ قَوْلَهُ :
﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . إِلَى الْخُصُوصِ دُونَ الْعُمُومِ .

٥١٠/١

أَوْ قَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْآيَةُ عَامٌّ ظَاهِرُهَا ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُحِيلَهَا إِلَى بَاطِنٍ
بِغَيْرِ حُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا . وَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَالَمٌ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ
قَبْلَ كَوْنِهِ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، كَانَتِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي لَمْ تُكُنْ - وَهِيَ
كَائِنَةٌ ، لَعَلِمَهُ بِهَا قَبْلَ كَوْنِهَا - نَظَائِرُ الَّتِي هِيَ موجودَةٌ ، فَجَازَ أَنْ يَقُولَ لَهَا :
كُونِي . وَيَأْمُرُهَا بِالْخُرُوجِ مِنْ حَالِ الْعَدَمِ إِلَى حَالِ الْوُجُودِ ؛ لِتَصَوُّرِ جَمِيعِهَا لَهُ ،
وَلَعَلِمَهُ بِهَا فِي حَالِ الْعَدَمِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهَا ظَاهِرَ عُمُومٍ ، فَتَأْوِيلُهَا الْخُصُوصُ ؛ لِأَنَّ
الْأَمْرَ غَيْرُ جَائِزٍ إِلَّا لِلْأُمُورِ عَلَى مَا وَصَفْتُ قَبْلُ . قَالُوا : وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَالْآيَةُ
تَأْوِيلُهَا : وَإِذَا قَضَى أَمْرًا ؛ مِنْ إِحْيَاءِ مَيِّتٍ ، أَوْ إِمَاتَةِ حَيٍّ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ ، فَإِنَّمَا يَقُولُ
لِلْحَيِّ : كُنْ ^(١) مَيِّتًا . وَلِلْمَيِّتِ : كُنْ حَيًّا . وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَبِيرٌ عَنْ جَمِيعِ مَا يُنْشِئُهُ وَيُكَوِّنُهُ ، أَنَّهُ
إِذَا قَضَاهُ وَخَلَقَهُ وَأَنْشَأَهُ كَانَ وَوُجِدَ . وَلَا قَوْلَ هُنَالِكَ عِنْدَ قَائِلِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِلَّا وَجُودُ
الْمَخْلُوقِ ، وَحُدُوثُ الْمَقْضَى . وَقَالُوا : إِنَّمَا قَوْلُ اللَّهِ : ﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . نَظِيرُ قَوْلِ الْقَائِلِ : قَالَ فَلَانٌ بِرَأْسِهِ ، وَقَالَ بِيَدِهِ . إِذَا حَرَّكَ رَأْسَهُ وَأَوْمَأَ
بِيَدِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَكَمَا قَالَ أَبُو النَّجْمِ ^(٢) :

(١) فِي الْأَصْلِ : « كَان » .

(٢) اللِّسَان (ح ن ق) .

قد^(١) قالت الأنساع للبطن الحقي^(٢)

قدماً فأضت كالفنيق المحيقي^(٣)

ولا قول هنالك ، وإنما عني أن الظهر قد لحق بالبطن . وكما قال عمرو بن حممة
الدؤسي^(٤) :

فأضبت^(٥) مثل الشير طارت فرائحه^(٥) إذا رام تطياراً يُقال له قع

ولا قول هنالك ، وإنما معناه : إذا رام طياراً وقع . وكما قال الآخر^(٦) :

[٢٥/٤ظ] أمثلاً الحوض وقال قطنى

مهلاً^(٧) رويداً قد ملأت بطنى

وأولى الأقوال بالصواب في قوله : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . أن يُقال : هو عامٌّ في كلِّ ما قضاه الله ودبره^(٨) ؛ لأن ظاهر ذلك ظاهرٌ عموم ، وغير جائز إحالة الظاهر إلى الباطن من التأويل بغير برهان ؛ لما قد بيننا في كتابنا « كتاب البيان عن أصول الأحكام » . وإذا كان ذلك كذلك ، فأمر الله تعالى

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

(٢) الأنساع : جمع نسع ، وهو سير مضفور تشد به الرحال ، ولحق البطن لحوقاً : ضمير . اللسان (ن س ع ، ل ح ق) .

(٣) أضت : رجعت . والفنيق : هو الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم . والمحيقي : الضامر . اللسان (أ ي ض ، ف ن ق ، ح ن ق) .

(٤) معجم الشعراء ص ١٧ .

(٥ - ٥) في معجم الشعراء : « بين الفخ في العش ثاوبا » .

(٦) أمالي ابن الشجري ١/٣١٣ ، ومجالس ثعلب ص ١٨٩ .

(٧) في الأصل ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « سيلاً » .

(٨) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « برأه » .

ذكره للشئ إذا أراد تكوينه موجودًا بقوله: ﴿كُنْ﴾. في حال إرادته جل ثناؤه إياه مُكُونًا^(١)، لا يتقدم وجود^(٢) الذي أراد إيجادَه وتكوينه، إرادته إياه، ولا أمره بالكون والوجود - ولا يتأخر عنه، فغير جائز أن يكون الشئ مأمورًا بالوجود مرادًا كذلك إلا وهو موجود، ولا أن يكون موجودًا إلا وهو مأمور بالوجود مرادًا كذلك. ونظير قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. قوله: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]. بأن خروج القوم من قبورهم لا يتقدم دعاء الله إياهم ولا يتأخر عنه.

ويُسأل من زعم أن قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ خاص في التأويل - / اعتيلاً بأن أمر غير الموجود غير جائز - عن دعوة أهل القبور، أقبَلْ خُروجهم من قبورهم أم بعده^(٣)، أم هي في خاص من الخلق؟ فلن يقول في ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله.

وأما^(٤) الذين زعموا أن معنى قوله جل ثناؤه: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. نظير قول القائل: قال فلان برأسه أو بيده. إذا حرَّكه أو أوَّماً. ونظير قول الشاعر^(٥) مُخبراً عن ناقته:

(١) في ت ١، ت ٢: «تكويناً».

(٢) في م: «وجوده».

(٣) في الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بعدها».

(٤) في م: «يسأل».

(٥ - ٥) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

والبيت للمثقب العبدى، وهو في ديوانه ص ١٩٥.

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ^(١) لَهَا وَضِيئِي^(٢) أَهَذَا دِيئُهُ أَبَدًا وَدِيئِي^(٣)
وما أشبه ذلك ، فإنهم لا صواب للغة أصابوا ، ولا كتاب الله وما دلت على
صحته الأدلة أتبعوا ، فيقال لقائل ذلك : إن الله تعالى ذكره أخبر عن نفسه أنه إذا
قضى أمراً قال له : كُنْ . أفثكروا أن يكون قائلًا ذلك ؟ فإن أنكروه كذبوا بالقرآن ،
وخرجوا من الملة .

وإن قالوا : بل نُقِرُّ به ، ولكننا نَزَعُمُ أن ذلك نظير قول القائل : قال الحائضُ
فمال . ولا قول هنالك ، وإنما ذلك خبرٌ عن مَيْلِ الحائضِ .
قيل لهم : أفثجيزون للمُخْبِرِ عن الحائضِ بالمَيْلِ أن يقول : إنما قول الحائضِ إذا أراد
أن يميلَ أن يقولَ هكذا فيميلُ ؟

فإن أجازوا ذلك ، خرجوا من معروفِ كلامِ العربِ ، وخالفوا منطقتها وما
يُعرفُ في لسانها .

وإن قالوا : ذلك غيرُ جائزٍ . قيل لهم : إن الله تعالى ذكره أخبر^(٤) عن نفسه أن
قوله للشئ إذا أراد أن يقولَ له : كُنْ . فيكونُ . [٢٦/٤] فأعلم عباده قوله الذي
يكونُ به الشئ ، ووصفه ووكدّه . وذلك عندكم غيرُ جائزٍ في العبارة عما لا كلامَ
له ولا بيانَ ، في مثلِ قولِ القائلِ : قال الحائضُ فمال . فكيف لم تعلموا بذلك فزق ما
بين قولِ الله : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ . وقولِ القائلِ : قال
الحائضُ فمال ؟ وللبين عن فسادِ هذه المقالةِ موضعٌ غيرُ هذا ، نأتى فيه على القول بما

(١) درأت وضيئ البعير : إذا بسطته على الأرض ثم أبركته عليه لتشده به . التاج (در أ) .

(٢) الوضيئ : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر . اللسان (و ض ن) .

(٣) الدين : العادة . اللسان (د ي ن) .

(٤) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أخبرهم » .

فيه الكفاية إن شاء الله .

وإذ كان الأمر في قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ . هو ما وصفنا، من أن حال أمره الشيء بالوجود حال وجود الأمور بالوجود، فبيّن^(١) بذلك أن الذي هو أولى بقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ .^(٢) «أن يكون رفعا» على العطف على قوله: ﴿يَقُولُ﴾ . لأن القول والكون حالهما واحدة . وهو نظير قول القائل: تاب فلان فاهتدى، واهتدى فلان فتاب . لأنه لا يكون تائبا إلا وهو مهتدي، ولا مهتديا إلا وهو تائب . فكذلك لا يكون أن يكون الله أمرا شيئا بالوجود إلا وهو موجود، ولا موجودا إلا وهو أمره بالوجود .

ولذلك استجاز من استجاز نصب (فيكون) من قرأ: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)^(٣) [النحل: ٤٠] . بالمعنى الذي وصفنا على معنى: أن نقول فيكون .

وأما رفع من رفع ذلك، فإنه رأى أن الخبر قد تم عند قوله: ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ . إذ كان معلوما أن الله إذا حتم قضاءه على شيء، كان المحتوم عليه موجودا، ثم ابتدأ بقوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ . كما قال جل ثناؤه: ﴿لِنُسَبِّحَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥] . وكما قال ابن أحمر^(٤):

يُعَالِجُ عَاقِرًا أَعْيَتْ عَلَيْهِ لِيُلْقِيَهَا فَيُنْتِجُهَا حُورًا^(٥)

(١) في م، ت، ١، ٢، ٣: «فتبين» .

(٢ - ٣) في م، ت، ١، ٢، ٣: «رفع» .

(٣) النصب والرفع قراءتان سيأتى تخريجهما في موضعه من التفسير .

(٤) المعاني الكبير ٨٤٦/٢، والكتاب ٥٤/٣ .

(٥) الحور: ولد الناقة ساعة تضعه أمه خاصة . التاج (ح و ر) .

يُرِيدُ : فإذا هو يَنْتِجُهَا حَوَارَا .

/فمعنى الآية : وقالوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . سبحانه أن يكونَ له ولدٌ ، بل هو مالكُ السماواتِ والأرضِ وما فيهما ، كلُّ ذلك له مُقَرَّرٌ بالعبوديَّةِ ، بدلالته على وُحْدانيته . فأنَّى يكونُ له ولدٌ ، وهو ابتَدَعَ السماواتِ والأرضِ من غيرِ أصلٍ ، كما الذى ابتَدَعَ المسيحَ من غيرِ والدٍ بقدرته وسلطانه ، الذى لا يَتَعَدَّرُ عليه به شىءٌ أرادَه ، بل إنما يقولُ له إذا قضاه فأراد تكوينه : كُنْ . فيكونُ موجودًا كما أرادَه وشاءَه ، فكذلك كان ابتداعه المسيحَ وإنشأؤه ، إذ أرادَ خَلْقَه من غيرِ والدٍ .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ .

[٢٦/٤] اختلف أهل التأويل فى من عنى الله بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم : عنى الله بذلك النَّصَارَى .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ . قال : النَّصَارَى تَقُولُهُ ^(١) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شَيْبَلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثله ، وزاد فيه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : النَّصَارَى .

وقال آخرون : بل عنى الله بذلك اليهودَ الذين كانوا فى زمانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢١٥ (١١٤٢) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، قَالَا جَمِيعًا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، أَوْ عِكْرَمَةُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَافِعُ بْنُ خُرَيْمَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : إِنْ كُنْتُ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ ، فَقُلْ لِلَّهِ فَلْيُكَلِّمْنَا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ ^(١) : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ . الْآيَةُ كُلُّهَا ^(٢) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ عَنَى اللَّهُ بِذَلِكَ مُشْرِكِي الْعَرَبِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ : وَهُمْ كَفَّارُ الْعَرَبِ ^(٣) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيِّ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ . قَالَ : هُمْ كَفَّارُ الْعَرَبِ ^(٤) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « قَوْلُهُمْ » .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ١/٥٤٩ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١/٢١٥ (١١٤٠) مِنْ طَرِيقِ سَلْمَةَ بِهِ . وَيَنْظُرُ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ١/٢٣٢ .

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١/٢١٥ عَقِبَ الْأَثَرِ (١١٤١) مَعْلَقًا .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١/٢١٥ عَقِبَ الْأَثَرِ (١١٤١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

ا/وحدثنى موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن الشدّي : ٥١٣/١
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ : أما الذين لا يعلمون فهم العرب ^(١) .

وأولى هذه الأقوال بالصحة والصواب قول القائل : إن الله تعالى ذكره عنى بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . النَّصَارَى دون غيرهم ؛ لأن ذلك فى سياق خبر الله عنهم ، وعن افتراءهم عليه ، وادّعاءهم له ولدًا ، فقال جل ثناؤه مخبرًا عنهم فيما أخبر عنهم من ضلالتهم ، أنهم مع افتراءهم على الله الكذب بقولهم : ﴿ أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ . تَمَنَّوْا عَلَى اللَّهِ الْبَاطِيلَ ، فقالوا جهلاً منهم بالله ، وبمنزلة عنده ، وهم بالله مشركون : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا [٢٧/٤] اللَّهُ ﴾ كما يكلم رسله وأنبياءه ، ﴿ أَوْ تَأْتِينَا آيَةً ﴾ كما أتتهم . ولا ينبغي لله أن يكلم إلا أولياءه ، ولا يؤتى آية معجزة على دَعْوَى مُدَّعٍ إِلَّا مَنْ كَانَ مُحِقًّا فِي دَعْوَاهُ ، وداعيًا إلى دينه ^(٢) وتوحيده . فأما من كان كاذبًا فى دعواه ، وداعيًا إلى الفرية عليه ، وادّعاء البنين والبنات له ، فغير جائز أن يكلمه جل ثناؤه ، أو يؤتیه آية معجزة تكون مؤيدة كذبه وفريته عليه .

فأما ^(٣) الزاعم أن الله عنى بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . العرب ، فإنه قائل قولًا لا خبر بصحته ، ولا برهان على حقيقته فى ظاهر الكتاب . والقول إذا صار إلى ذلك ، كان واضحًا خطؤه ؛ لأنه ادّعى ما لا برهان على صحته . وادّعاء مثل ذلك لن يتعدّر على أحد .

وأما معنى قوله : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ . فإنه بمعنى : هَلَّا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ . كما

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣٣/١ عن السدى .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

(٣) فى م : « وقال » ، وفى ت ٢ : « قول » .

قال الأشهبُ بنُ زُمَيْلَةَ^(١) :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ^(٢) أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ^(٣) بَنِي ضَوْطَرَى^(٤) لَوْلَا الْكَمِيُّ الْمُقْتَعَا
يعنى : هَلَّا تَعْدُونَ الْكَمِيَّ الْمُقْتَعَا .

وكما حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ،
عن قتادة في قوله : ﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ . قال : فَهَلَّا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ^(٥) .

وَأَمَّا « الْآيَةُ » ، فقد^(٦) بَيَّنْتُ فيما مضى قبلُ^(٦) أنها العلامةُ . وإنما أَخْبَرَ اللَّهُ عنهم
أنهم قالوا : هَلَّا تَأْتِينَا آيَةٌ عَلَى مَا نُرِيدُ وَنَسْأَلُ ، كما أَتَتْ الْأَنْبِيَاءَ وَالرَّسُلَ ، فقال اللَّهُ
جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ .

القولُ في تَأْوِيلِ قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ
قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ .

اختلف أهلُ التَأْوِيلِ في من عَنَى اللَّهُ بقوله : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ؛ فقال بعضهم في ذلك بما حدثني
محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابنِ أبي
نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ : هم

(١) البيت لجرير وليس للأشهب ، ولعل المصنف قد تابع أبا عبيدة في مجاز القرآن ١/٣٤ ، ولكن أبا عبيدة
نسبه في النقائض ٢/٨٣٣ إلى جرير ، وهو في ديوانه ٢/٩٠٧ .

(٢) النيب : جمع ناب ، والناب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم . التاج (ن ي ب) .

(٣) في الديوان والنقائض : « سعيكم » .

(٤) بنو ضوطرى : يقال للقوم إذا كانوا لا يُعْتَنُونَ عَنَاءَ : بنو ضوطرى . اللسان (ض ط ر) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢١٥ (١١٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٦ - ٦) في م : « ثبت فيما قبل معنى الآية » . وينظر ما تقدم في ١/١٠٤ .

اليهود^(١) .

وحدثني المنثى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الذين من قبلهم اليهود .

وقال آخرون : هم اليهود والنصارى ؛ لأن الذين لا يعلمون هم العرب^(٢) . ٥١٤/١

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ﴿ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . يعني : اليهود والنصارى وغيرهم^(٣) .

وحدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : قالوا - يعني العرب - كما قالت اليهود والنصارى من قبلهم^(٤) .

وحدثني المنثى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ . يعني : اليهود والنصارى^(٥) .

قال أبو جعفر : قد دللنا على أن الذين عني الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ﴾ . هم النصارى ، فالذين قالت النصارى^(٦) مثل

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢ .

(٢) في م : « اليهود » .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٦/١ عقب الأثر (١١٤٤) معلقا .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٦/١ عقب الأثر (١١٤٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٦/١ عقب الأثر (١١٤٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٦) سقط من : م .

قولهم هم اليهود؛ (١) لأن اليهود (١) سألت موسى عليه السلام أن يُريهم ربهم جهرةً، وأن يُسمِعهم كلامَ ربهم - كما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا (٢) - وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسألته تحكُّمًا منهم على ربهم، وكذلك تَمَنَّتْ النصارى على ربها تحكُّمًا منها عليه، أن يُسمِعهم كلامه، ويُريهم ما أرادوا من الآيات، فأخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم قالوا من القول في ذلك مثل الذي قالته اليهود، وتَمَنَّتْ على ربها مثل أمانيتها، وأن قولهم الذي قالوه من ذلك إنما يُشابه قول اليهود، من أجل تشابه قلوبهم في الضلالة والكفر بالله. فهم وإن اختلفت مذاهبهم في كذبهم على الله، وافتراءهم عليه، فقلوبهم متشابهة في الكفر بربهم والفرية عليه، وتحكُّمهم على أنبياء الله ورسوله عليهم السلام. وبمثل ما قلنا في ذلك قال مجاهد.

حدثني المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شيبان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: قلوب النصارى واليهود.
وقال غيره: معنى ذلك: تشابهت قلوب كفار العرب واليهود والنصارى وغيرهم.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾. يعني العرب واليهود والنصارى وغيرهم.
وحدثني المثنى، حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع مثله.

(١ - ١) في م: «و».

(٢) ينظر ما تقدم في ٦٨٧/١ وما بعدها.

وغيرُ جائزٍ في قوله : ﴿ تَشَبَهَتْ ﴾ . التثقيب ؛ لأن التاء في أولها زائدة ، أُدخِلت لقوله : « تفاعل » . فإن نُقلت صارت تاءين ، ولا يجوزُ إدخالُ تاءين زائدتين علامةً لمعنى واحدٍ ، وإنما يجوزُ ذلك في الاستقبالِ ، لاختلافِ معنى دُخولهما ؛ لأن إحداهما تُدخِلُ عَلَمًا للاستقبالِ ، والأخرى منهما التي في « تفاعل » ، ثم تُدغمُ إحداهما في الأخرى فتثقلُ ، فيقالُ : تَشَابَهُ بعدَ اليومِ قلوبُنا .

فمعنى الآية : وقالت النصرارى الجهالُ باللهِ وبِعظمتِهِ : هَلَّا يُكَلِّمُنَا اللهُ رَبُّنَا ، كما كَلَّمَ أنبياءَهُ ورسَلَهُ ، أو تَجِيئُنَا علامةً مِنْ / اللهُ نَعْرِفُ بها صدقَ ما نحن عليه ، ٥١٥/١ على ما نَسَأَلُ ونُرِيدُ . قال اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : فكما قال هؤلاء الجهلةُ مِنَ النصرارى وتمنَّوا على ربِّهم ، قال مَنْ قَبَلَهُمْ مِنَ اليهودِ ، فسألوا ربَّهم أن يُريَهُم نفسَهُ جَهْرَةً ، ويُؤَيِّبَهُم آيةً ، واحتكَموا عليه وعلى رسَلِهِ ، وتمنَّوا الأمانِيَّ ، فاشتَبَهَتْ [٢٨/٤] قلوبُ اليهودِ والنصارى في تمردِهِم على اللهُ ، وقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِم بعظمتِهِ ، وجُزَأَتِهِم على أنبيائِهِ ورسَلِهِ ، كما اشتَبَهَتْ أقوالُهُم التي قالوها .

القولُ في تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

يعنى بقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ : قد بيَّنَّا العلاماتِ التي مِنْ أَجْلِهَا غَضِبَ اللهُ على اليهودِ ، وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ ، وأعدَّ لَهُم العذابَ المَهِينَ في معادِهِم ، والتي مِنْ أَجْلِهَا أَخزَى اللهُ النصرارى في الدنيا ، وأعدَّ لَهُم الحزىَ والعذابَ الأليمَ في الآخرةِ ، والتي مِنْ أَجْلِهَا جعلَ سُكَّانَ الجِنَانِ الذين أسَلَمُوا وجوهَهُم لله وهم محسنون - في هذه السورة وغيرِها ، فأَعْلِمُوا الأسبابَ التي مِنْ أَجْلِهَا استحقَّ كُلُّ فريقٍ منهم مِنَ اللهُ ما فعلَ به مِنْ ذلك . وخصَّ اللهُ بذلك القومَ الذين يُوقِنون ؛ لأنهم هم أهلُ التَثَبُّتِ في الأمورِ ، والطالبون معرفةَ حقائقِ الأشياءِ على يقينٍ وصحةٍ . فأخبرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أنه يَبَيِّنُ لِمَنْ كانت هذه الصفةُ

صفته ما يبين من ذلك؛ ليزول شكه، ويعلم حقيقة الأمر، إذ كان ذلك خبراً من الله جل ثناؤه، وخبر الله الخبير الذي لا يُعذرُ سامعُه بالشك فيه. وقد يَحْتَمِلُ غيرُه من الأخبار ما يَحْتَمِلُ من الأسبابِ العارضةِ فيه، من السُّهُوِ والغَلَطِ والكذبِ، وذلك مَنْفَى عن خبرِ الله.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾.

ومعنى قوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾: إنا أرسلناك يا محمد بالإسلام الذي لا أقبل من أحدٍ غيره من الأديان، وهو الحق، مُبَشِّرًا مَنْ اتَّبَعَكَ فَأَطَاعَكَ، وَقَبِلَ مِنْكَ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا، وَالظَّفَرِ بِالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِيهَا، وَمُنْذِرًا مَنْ عَصَاكَ فَخَالَفَكَ، وَرَدَّ عَلَيْكَ مَا دَعَوْتَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، بِالْحِزْيِ فِي الدُّنْيَا، وَالذُّلِّ فِيهَا، وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ فِي الْآخِرَةِ.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾.

قال أبو جعفر: قرأت عامة القراء: ﴿ وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾. [٢٨/٤] يَضْمُ النَّاءِ مِنْ ﴿ تَسْأَلْ ﴾ وَرَفَعَ اللَّامَ مِنْهَا عَلَى الْخَبْرِ، بِمَعْنَى: يَا مُحَمَّدُ، إنا أرسلناك بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلِّغْ^(١) مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَالْإِنْدَاءُ، وَلَسْتَ مَسْئُولًا عَمَّنْ كَفَرَ بِمَا أَتَيْتَهُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ.

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: (ولا تسأل). جزماً بمعنى النهي، مفتوح الناء من (تسأل)، وبجزم اللام منها^(٢). ومعنى ذلك على قراءة هؤلاء: إنا أرسلناك بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا؛ لَتُبَلِّغَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ، لَا لِتَسْأَلَ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، فَلَا تَسْأَلَ عَنْ حَالِهِمْ.

(١) في م، ت، ١، ت ٢، ت ٣: «فبلغت».

(٢) وهذه قراءة نافع، وقرأ الباقون كالوجه الأول. حجة القراءات ص ١١١.

وتأول الذين قرءوا هذه القراءة ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن موسى بن عبيدة^(١) ، عن / محمد بن كعب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليت شِعْرِي ما فعل أبواي » . فنزلت : (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)^(٢) .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ليت شِعْرِي ما فعل أبواي ، ليت شِعْرِي ما فعل أبواي »^(٣) . فنزلت : (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) . فما ذكرهما حتى توفاه الله^(٤) .

وحدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني داود بن أبي عاصم ، أن النبي ﷺ قال ذات يوم : « ليت شِعْرِي أين أبواي » . فنزلت : (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)^(٥) .

والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع^(٦) ، على الخبر ؛ لأن الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى ، وذكر ضلالتهم وكفرهم

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عبدة » . وينظر تهذيب الكمال ٢٩ / ١٠٤ .

(٢) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ١ / ١١١ - ومن طريقه ابن الأعرابي في معجمه (٧٥١) ؛ بالزيادة الآتية في الأثر بعده .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ١ / ١١١ إلى ابن عيينة وعبد بن حميد وابن المنذر ، وقال : هذا مرسل ضعيف الإسناد ... لا يقوم به حجة . وينظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٣٤ .

(٣) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ثلاثا » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١ / ٥٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١ / ٢١٧ (١١٥١) من طريق الثوري به .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عن » . وينظر تهذيب الكمال ٨ / ٤٠٧ .

(٦) إسناده مرسل . ذكره ابن كثير في تفسيره ١ / ٢٣٤ عن المصنف ، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١ / ١١١

إلى المصنف ، وقال : معضل الإسناد ، ضعيف ، لا يقوم به حجة .

(٧) القراءتان متواترتان ، لا مدخل لترجيح إحداهما على الأخرى .

باللَّهِ ، وَجُرْأَتُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ^(١) ، ثم قال لنبيِّهِ ﷺ : إنا أرسلناك يا محمدُ بشيراً مَنْ آمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ ، مَنْ قَصَصْتُ عَلَيْكَ أَنْبَاءَهُ وَمَنْ لَمْ أَقْضِصْ عَلَيْكَ أَنْبَاءَهُ ، وَنَذِيرًا مَنْ كَفَرَ بِكَ وَخَالَفَكَ . فَبَلَغَ رسالتي ، فليس عليك مِنْ أَعْمَالٍ مَنْ كَفَرَ بِكَ - بَعْدَ إبلاغِكَ إياه رسالتي - تَبِعَةٌ ، وَلَا أَنْتَ مَسْئُولٌ عَمَّا عَمِلَ^(٢) بَعْدَ ذَلِكَ . وَلَمْ يَجْرِمَسْأَلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ذِكْرٌ فَيَكُونُ لِقَوْلِهِ : (وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) . وَجَهٌ يُوجَّهُ إِلَيْهِ . وَإِنَّمَا الْكَلَامُ مُوجَّهٌ مَعْنَاهُ إِلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ الْمَفْهُومُ ، حَتَّى تَأْتِيَ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ عَلَى أَنْ الْمُرَادُ بِهِ غَيْرُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُهُ ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ مُسَلِّمًا لِلْحُجَّةِ الثَّابِتَةِ بِذَلِكَ . وَلَا خَيْرَ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى أَنْ النَّبِيُّ ﷺ نُهِىَ عَنْ أَنْ يَسْأَلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ، وَلَا دَلَالَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ . فَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ الْخَبَرَ عَمَّا^(٣) مَضَى ذِكْرَهُ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ ، وَعَمَّنْ ذَكَرَهُ بَعْدَهَا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ ، دُونَ النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ عَنْهُمْ .

فَإِنْ ظَنَّ [٤/٢٩] ظَانَ أَنَّ الْخَبَرَ الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ صَحِيحٌ ، فَإِنْ فِي اسْتِحَالَةِ الشُّكِّ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ - فِي أَنْ أَهْلَ الشَّرْكِ مِنَ أَهْلِ الْجَحِيمِ ، وَأَنْ أَبُوهُ كَانَا مِنْهُمْ - مَا يَدْفَعُ صِحَّةَ مَا قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ ، إِنْ كَانَ الْخَبْرُ عَنْهُ صَحِيحًا . مَعَ أَنْ فِي ابْتِدَاءِ اللَّهِ الْخَبَرَ بَعْدَ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ . بِالْوَاوِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ . وَتَرِكَهُ وَضَلَّ ذَلِكَ بِأَوْلِهِ بِالْفَاءِ ، وَأَنْ يَقُولَ^(٤) : إنا أرسلناك بالحقِّ بشيراً ونذيراً فلا^(٥) تسأل عن أصحابِ الجحيم - أَوْضَحَ

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أَنْبِيَائِهِ » .

(٢) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فَعَلَ » .

(٣) فِي م : « عَلَى مَا » .

(٤) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يَكُونُ » .

(٥) فِي م : « وَلَا » .

الدلائل على أن الخبر بقروله: ﴿وَلَا تُسْتَلُّ﴾. أولى من النهي، والرفع أولى به من الجزم.

وقد ذكّر أنها في قراءة أبي: (وما تُسألُ). وفي قراءة ابن مسعود: (ولن تُسألُ). وكلتا هاتين القراءتين تشهد للرفع والخبر فيه بالصحة^(١)، دون النهي.

/ وقد كان بعض نحوئي البصرة يؤجّه قوله: ﴿وَلَا تُسْتَلُّ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾. إلى الحال، كأنه كان يرى أن معناه: إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً غير مسئول عن أصحاب الجحيم. وذلك إذا ضمّ التاء، وقرأه على معنى الخبر. وكان يُجيز على ذلك قراءته: (ولا تُسألُ). بفتح التاء وضمّ اللام على وجه الخبر أيضاً، بمعنى: إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً غير سائل عن أصحاب الجحيم.

وقد بيّنا الصواب عندنا في ذلك.

وهذان القولان اللذان ذكّرتهما عن البصري في ذلك تدفعهما^(٢) ما زوى عن ابن مسعود وأبي من القراءة؛ لأن إدخالهما ما أدخل في^(٣) ذلك من «ما»، و«لن»، يدل على انقطاع الكلام عن أوله وابتداء قوله: ﴿وَلَا تُسْتَلُّ﴾. وإذا كان ابتداء لم يكن حالاً.

وأما أصحاب الجحيم،^(٤) فإنهم أهل الجحيم، والجحيم هي النار بعينها إذا شبّ وقودها، ومنه قول أمية بن أبي الصلت^(٥):

(١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣، وقراءة أبي وابن مسعود شاذة. ينظر البحر المحيط ١/٣٦٧.

(٢) في م: «يرفعهما».

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «من».

(٤ - ٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فالجحيم».

(٥) ديوانه ص ٥١.

إِذَا سَبَّتْ جَهَنَّمَ ثُمَّ دَارَتْ^(١) وَأَعْرَضَ عَنْ قَوَائِمِهَا الْجَحِيمِ
الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ
مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ .

يعنى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ :
وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً ، فدَع طلب ما يُرضيهم
ويوافقهم ، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق ، فإن
الذى تدعوهم إليه من ذلك لهو السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة والدين
القيم ، ولا سبيل لك إلى إرضائهم باتباع ملتهم ؛ لأن اليهودية ضد النصرانية ،
والنصرانية ضد اليهودية ، ولا تجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد ، في حال
واحدة ، [٢٩/٤] واليهود والنصارى لا تجتمع على الرضا بك ، إلا أن تكون يهودياً
نصرانياً ، وذلك مما لا يكون منك أبداً ؛ لأنك شخص واحد ، ولن يجتمع فيك
دينان متضادان في حال واحدة ، وإذا لم يكن لك إلى اجتماعهما فيك في وقت
واحد سبيل ، لم يكن إلى إرضاء الفريقين سبيل ، وإذا لم يكن لك إلى ذلك سبيل ،
فالزم هدى الله الذى لجميع^(٢) الخلق إلى الألفة عليه سبيل .

وأما « الملة » ، فإنها الدين ، وجمعها الملل .

ثم قال جَلَّ ثَنَاؤُهُ لنبىه محمد ﷺ : ﴿قُلْ﴾ يا محمد - لهؤلاء النصارى
واليهود الذين قالوا : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ - :
﴿إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ . يعنى أن بيان الله هو البيان المقيع ، والقضاء

(١) فى الأصل : « زارت » . وفى رواية للديوان : « فارت » .

(٢) فى م : « لجمع » ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « يجتمع » ، وفى ت ٢ : « يجمع » .

الفاصلُ بيننا ، فَهَلُمُّوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَبَيَانِهِ الَّذِي يَكُنْ فِيهِ لِعِبَادِهِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ - وَهُوَ التَّوْرَةُ الَّتِي تُقْرَأُ جَمِيعًا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ - يَتَّضِعُ لَكُمْ فِيهَا الْحَقُّ مِنَّا مِنَ الْمُبْطَلِ ، وَأَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَيْنَا أَهْلُ النَّارِ ، وَأَيْنَا عَلَى الصَّوَابِ وَأَيْنَا عَلَى الْخَطَأِ .

وَأَمَّا أَمْرُ اللَّهِ نَبِيِّهِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى هُدَى اللَّهِ وَبَيَانِهِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ تَكْذِيبَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِيمَا قَالُوا مِنْ أَنَّ الْجَنَّةَ لَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا / أَوْ نَصَارَى ، وَبَيَانَ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، « وَأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ » ، وَأَنَّ الْمُكَذَّبَ بِهِ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ دُونَ الْمَصْدُقِ بِهِ .
القولُ في تأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٢٠) .

يعنى جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِذَلِكَ^(٢) : وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ يَا مُحَمَّدُ هَوَى هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، فِيمَا يُرْضِيهِمْ عَنْكَ مِنْ تَهَوُّدٍ وَتَنْصِيرٍ ، فَصَبْرَتَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى رِضَاهُمْ ، وَوَأَقَفْتَ فِيهِ مَحَبَّتَهُمْ ، مِنْ بَعْدِ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ، بِضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ ، وَمِنْ بَعْدِ الَّذِي اقْتَصَصْتُ عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، ﴿ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ . يعنى بِذَلِكَ : لَيْسَ لَكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ وَلِيٍّ يَلِيَّ أَمْرِكَ ، وَقِيمٌ يَقُومُ بِهِ ، ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يَنْصُرُوكَ مِنَ اللَّهِ ، فَيَدْفَعُ عَنْكَ مَا يَنْزِلُ بِكَ مِنْهُ مِنْ عَقُوبَةٍ ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ أَحَلَّ بِكَ ذَلِكَ رَبُّكَ .

وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى « الْوَلِيِّ » وَ« النَّصِيرِ » فِيمَا مَضَى قَبْلُ^(٣) .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى دَعَتْهُ إِلَى أُدْيَانِهَا ، وَقَالَ كُلُّ حَزْبٍ مِنْهُمْ : إِنَّ الْهُدَى هُوَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ،

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) في م : « بقوله » .

(٣) ينظر ما تقدم ص ٤٠٨ .

دُونَ مَا عَلَيْهِ غَيْرُنَا مِنْ سَائِرِ الْمَلَلِ . فَوَعَّظَهُ اللَّهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ ، وَعَلَّمَهُ الْحِجَةَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَهُمْ فِيمَا ادَّعَى كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ .

[٣٠/٤] اختلف أهل التأويل في الذين عناهم الله جل ثناؤه بقوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾؛ فقال بعضهم: هم المؤمنون برسول الله وبما جاء به من أصحابه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة قوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ ﴾: هؤلاء أصحاب نبي الله ﷺ، آمنوا بكتاب الله وصدقوا به^(١) .

وقال آخرون: بل عنى الله بذلك علماء بنى إسرائيل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، فأقرؤوا بحكم التوراة، فعملوا بما أمرهم الله فيها من اتباع محمد ﷺ، والإيمان به، والتصديق بما جاء به من عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾^(٢) . قال: من آمن برسول الله من بنى إسرائيل وبالتوراة . وقرأ^(٣): ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ قال:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ (١١٦١) من طريق شبليان، عن قتادة بنحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد عن قتادة بنحوه، وفيه زيادة .

(٢ - ٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

من كفر بالنبى ﷺ من يهود، فأولئك هم الخاسرون^(١).

وهذا القول أولى بالصواب من القول الذى قاله قتادة؛ لأن الآيات قبلها مضت بأخبار أهل الكتابين، وتبديل من بدل منهم كتاب الله، وتأويلهم / إياه على غير تأويله، وأدعائهم على الله الأباطيل، ولم يجز لأصحاب محمد ﷺ فى الآية التى قبلها ذكر، فيكون قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾. موجهاً إلى الخبر عنهم، ولا لهم بعدها ذكر فى الآية التى تتلوها، فيكون موجهاً ذلك إلى أنه خبر مبتدأ عن قَصَصِ أصحاب رسول الله ﷺ بعد انقضاء قَصَصِ غيرهم، ولا جاء بأن ذلك خبر عنهم أثر يجب التسليم له.

فإذ كان ذلك كذلك، فالذى هو أولى بمعنى الآية أن يكون موجهاً إلى أنه خبر عن قَصَصِ الله نبأه^(٢) فى الآية قبلها والآية بعدها، وهم أهل الكتابين؛ التوراة والإنجيل. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: الذين آتيناهم الكتاب الذى قد عرفته يا محمد، وهو التوراة، فقرءوه واتبعوا ما فيه، فصدقوك وآمنوا بك، وبما جئت به من عندى، فأولئك يتلونه حق تلاوته. وإنما أدخلت الألف واللام فى ﴿الْكِتَابَ﴾ لأنه معرفة، قد كان النبى ﷺ وأصحابه عرفوا أى الكتاب عنى به.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾.

اختلف أهل التأويل فى تأويل قول الله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾؛ فقال بعضهم: معنى ذلك: يتبعونه حق اتباعه.

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا محمد بن المنثرى، قال: حدَّثنا ابن أبى عدي وعبد الأعلى، [٣٠/٤ط]

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٣٥/١.

(٢) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «جل ثناؤه».

وحدَّثنا عمرو بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي عديّ ، جميعاً عن داودَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قال : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ ^(١) .

وحدَّثني ابنُ ^(٢) المُثنَّى ، قال : حدَّثنا عبدُ الوهَّاب ، قال : حدَّثنا داودُ ، عن عكرمةَ بمثله ^(٣) .

وحدَّثنا عمرو بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريع ، قال : حدَّثنا داودُ بنُ أبي هنيئ ، عن عكرمةَ مثله ^(٤) .

وحدَّثني الحسينُ بنُ عمرو العنقريّ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن أسباط ، عن الشدّيّ ، عن أبي مالك ، عن ابنِ عباسٍ في قولِ اللهِ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قال : يُحِلُّونَ حلاله ، ويُحَرِّمُونَ حرامه ، ولا يُحَرِّفُونَهُ ^(٥) .

وحدَّثنا موسى ، قال : حدَّثنا عمرو ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن الشدّيّ ، قال : قال أبو مالك : إن ابنَ عباسٍ قال في : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . فذكر مثله ، إلا أنه قال : ولا يُحَرِّفُونَهُ عن مواضعه ^(٦) .

وحدَّثنا عمرو بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا المؤمِّل ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، قال : حدَّثنا

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ (١١٥٩) ، وابن المقرئ في معجمه (١٠٥) من طريق داود به . وزاد ابن أبي حاتم : ثم قرأ : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ يقول : اتبعها . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١١/١ إلى ابن المنذر والهروي في فضائله .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ . وينظر تهذيب الكمال ٢٦ / ٣٥٩ .

(٣) ينظر ما سيأتي في ص ٤٩٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ (١١٥٧) من طريق عمرو بن محمد العنقري به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١١/١ إلى ابن المنذر .

(٥) أخرجه الحاكم ٢٦٦/٢ من طريق عمرو بن حماد به . وقال : صحيح الإسناد .

زُيِّدٌ^(١)، عن مُرَّةَ، عن عبدِ اللَّهِ في قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾. قال: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ^(٢).

وَحَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ، قال: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عن أبيه، عن الرِّبِيعِ، عن أبي العالِيَةِ، قال: قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ: والذي نفسى بيده، إن حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَنْ يُحِلَّ حِلَّهَ، وَيُحَرِّمَ حَرَامَهُ، وَيُقْرَأَ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَلَا يُحَرِّفُ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يَتَأَوَّلُ مِنْهُ شَيْئًا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ^(٣).

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ، قال: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عن قتادةٍ ومنصورِ بنِ / الْمُعْتَمِرِ، عن ابنِ مسعودٍ في قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: أَنْ يُحِلَّ حِلَّهَ، وَيُحَرِّمَ حَرَامَهُ، وَلَا يُحَرِّفُ^(٤) عَنْ مَوَاضِعِهِ^(٥).

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قال: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ^(٦).

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، قال: حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَّامِ، عن الْحَبَّاجِ، عن عطاءٍ مثله^(٧).

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قال: حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ، قال: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، عن

(١) في م: «يزيد»، وفي ت ١، ت ٢، ت ٣: «زيد». وينظر تهذيب الكمال ٢٨٩/٩.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٣٦/١ عن سفيان.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٣٥/١ عن أبي العالِيَةِ.

(٤) في م: «يحرّفه».

(٥) تفسير عبد الرزاق ٥٦/١، ٥٧. وفتاوة ومنصور لم يدركا ابن مسعود.

(٦) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٦١.

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٨/١ عقب الأثر (١١٥٩) معلقا.

منصور، عن أبي رزين في قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ . قال: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ^(١) .

وحدَّثنا عمرو بن علي، قال: حدَّثنا المؤمِّل، قال: حدَّثنا سفيان، وحدَّثنا المثنى، قال: حدَّثنا أبو نعيم، قال: حدَّثنا سفيان، وحدَّثني نصر بن عبد الرحمن الأودى^(٢)، قال: حدَّثنا يحيى بن إبراهيم، عن سفيان، قالوا جميعاً: عن منصور، عن أبي رزين مثله .

وحدَّثنا ابن حميد، قال: حدَّثنا جرير، عن مغيرة، عن مجاهد: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ . قال: عملاً به .

وحدَّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدَّثنا هُشَيْمٌ، قال: أخبرنا عبد الملك، عن قيس بن سعيد،^(٣) عن مجاهد^(٣): ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ . قال: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ، ألم تر إلى قوله: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ [الشمس: ٢]؟ يعني الشمس إذا أتبعها^(٤) القمر^(٥) .

وحدَّثني المثنى، قال: حدَّثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء وقيس، عن مجاهد في قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ . قال: يعملون به حقَّ عمله .

حدَّثني المثنى، [٣١/٤] قال: حدَّثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هُشَيْمٌ، عن

(١) تفسير الثوري ص ٤٨ .

(٢) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الأزدى» .

(٣) (٣ - ٣) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣ .

(٤) في م: «تبعها» .

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٦٢ عن هشيم به .

عبد الملك ، عن قيس بن سعيد ، عن مجاهد ، قال : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أبو حذيفة ، قال : حَدَّثَنَا شَيْبُلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ : يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ ^(١) .

وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَوْلَى ابْنِ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَيُّوبَ ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قَالَ : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ .

وَحَدَّثَنِي عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو قُتَيْبَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ ^(٢) أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قَالَ : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ .

وَحَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى الْقَطَّانُ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، عَنْ عَطَاءٍ قَوْلَهُ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قَالَ : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ ، يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ ^(٣) .

وَحَدَّثَنَا سَفِيَانُ بْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ الْمُبَارِكِ ، عَنْ الْحَسَنِ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قَالَ : يَعْمَلُونَ بِمَحْكَمِهِ ، وَيُؤْمِنُونَ بِمِثَابِهِ ، وَيَكُونُونَ مَا

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢١١ - تفسير) من طريق خصيف عن مجاهد .

(٢) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أُنِي » . وينظر تهذيب الكمال ٤٥٧/٣ .

(٣) تقدم من وجه آخر عن عطاء في ص ٤٨٩ .

أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ عَالِمِهِ ^(١) .

وَحَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ ٥٢١/١ قَتَادَةَ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . / قَالَ : أَحَلُّوا حَلَالَهُ ، وَحَرَّمُوا حَرَامَهُ ، وَعَمِلُوا بِمَا فِيهِ . ذُكِرَ ^(٢) لَنَا أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ : إِنْ حَقَّ تِلَاوَتُهُ أَنْ يُحَلَّ حَلَالُهُ ، وَيُحَرَّمَ حَرَامُهُ ، وَأَنْ يُقْرَأَ ^(٣) كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ ، وَلَا يُحَرَّفَ ^(٤) عَنْ مَوَاضِعِهِ ^(٥) .

حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ عَطِيَّةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قَالَ : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ ^(٦) ، يَجْلُونَ حَلَالَهُ ، وَيَحَرِّمُونَ حَرَامَهُ ، وَيَقْرَءُونَهُ كَمَا أَنْزَلَ .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هَشِيمٌ ، عَنْ دَاوُدَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . قَالَ : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا ﴾ [الشمس : ٢] . قَالَ : إِذَا اتَّبَعَهَا ^(٧) .

وَقَالَ آخَرُونَ : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ : يَقْرَءُونَهُ حَقَّ قِرَاءَتِهِ .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ أَنَّهُ بِمَعْنَى : يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ . مِنْ قَوْلِ

(١) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ١/١١١ - ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢١٨ (١١٥٨) .

(٢) في ت ٢ : « قيل » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يقرأه » .

(٤) في م : « يحرفه » .

(٥) ينظر ما تقدم في ص ٤٨٦ ، ٤٨٩ .

(٦) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال اتباعه » .

(٧) في م ، ت ١ ، ت ٣ : « تبعها » ، وفي ت ٢ : « تبعها » .

والأثر أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٦١ عن هشيم به . وأخرجه في غريب الحديث ٤/١٧٣ عن

عباد بن العوام عن داود به . وينظر ما تقدم في ص ٤٨٨ .

القائل: ما زلتُ أتلو أثره. إذا اتَّبَع أثره؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من أهلِ التَّأويلِ على أن ذلك تأويلُه. وإذا كان ذلك تأويلَه، فمعنى الكلام: الذين آتيناهم الكتابَ يا محمدُ، من أهلِ التوراةِ الذين آمنوا بك، وبما جئتهم به من الحقِّ من عندي - يَتَّبِعُونَ كتابي الذي أنزلتُ على رسولي موسى صلواتُ اللهِ عليه، فيؤمنون به، ويقرُّون بما فيه من نعتِكَ وصفتِكَ، وأنتَ رسولي، فَرَضَ عليهم طاعتِي في الإيمانِ بك، والتصديقِ بما جئتهم به من عندي، ويعملون بما أحللتُ لهم، ويتجنَّبون^(١) ما حرَّمتُ عليهم فيه، ولا يُحرِّفونه عن مواضعه، ولا يُبدِّلونه، ولا يُغيِّرونه عمَّا^(٢) أنزلتُه عليهم، بتأويلٍ ولا غيره.

وقوله: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾. مبالغةٌ في صفةِ اتِّباعِهِم الكتابَ، ولزومِهِم العملَ به، كما يقالُ: إن فلانًا لعالمٌ حقُّ عالمٍ. وكما يقالُ: إن فلانًا لفاضلٌ كلُّ فاضلٍ. وقد اختلف أهلُ العربيةِ في إضافةِ «حقَّ» إلى المعرفةِ؛ [٣١/٤] فقال بعضُ نحويي الكوفةِ: غيرُ جائزةٍ إضافتهُ إلى معرفةٍ؛ لأنه بمعنى «أى»، وبمعنى قولك: أفضلُ رجلٍ. قال^(٣): و«أفعلُ» لا يُضافُ إلى واحدٍ معرفةً؛ لأنه مُبَعَّضٌ، ولا يكونُ الواحدُ^(٤) المعرفةُ مُبَعَّضًا^(٥). فأحالوا أن يقالَ: مررتُ بالرجلِ حقَّ الرجلِ، ومررتُ بالرجلِ جدَّ الرجلِ. كما أحالوا: مررتُ بالرجلِ أى الرجلِ. وأجازوا ذلك في: كلِّ الرجلِ، وعينِ الرجلِ، ونفسِ الرجلِ. وقالوا: إنما أجزنا ذلك لأن هذه

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يجتنبون».

(٢) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «كما».

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فلان».

(٤ - ٥) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «المبعض معرفة».

(٥) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «غير».

الحروف كانت في الأصلِ توكيداً ، فلمَّا صِرْنَ مُدَوِّحًا تُرْكِنُ^(١) على أصولهنَّ في المعرفة .

وزعموا أن قوله : ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . إنما جازت إضافته إلى « التلاوة » وهي مضافةٌ إلى معرفة ، لأن العربَ تعتدُّ بالهاءِ إذا عادت^(٢) بالنكرة نكرةً^(٣) ، فيقولون : مررتُ برجلٍ واحدٍ أمه ، ونسيجٍ وحديه ، وسيِّدٍ قومه . قالوا : فكذلك قوله : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ . إنما جازت إضافة « حق » إلى « التلاوة » وهي مضافةٌ إلى الهاءِ ؛ لاعتدادِ العربِ بالهاءِ التي في نظائرها في عِدَادِ النكراتِ . قالوا : ولو كان تأويلُ^(٤) ذلك : حقَّ التلاوة . لوجب أن يكونَ جائزاً : مررتُ بالرجلِ حقَّ الرجلِ . فعلى هذا القولِ تأويلُ الكلامِ : الذين آتيناهم الكتابَ يتلونه حقَّ تلاوة .

/ وقال بعضُ نحوييِّ البصرة : جائزةٌ إضافة « حق » إلى النكراتِ مع النكراتِ ، ومع المعارفِ إلى المعارفِ ، وإنما ذلك نظيرُ قولِ القائلِ : مررتُ بالرجلِ غلامِ الرجلِ ، وبرجلِ غلامِ رجلٍ . فتأويلُ الآيةِ على قولِ هؤلاء : الذين آتيناهم الكتابَ يتلونه حقَّ التلاوة^(٤) .

٥٢٢/١

وأولى ذلك بالصوابِ عندنا القولُ الأولُ ؛ لأن معنى قوله : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ : أيُّ تلاوة ، بمعنى مَدْحِ التلاوة التي تلوها وتفضيلها ، و « أي » غيرُ جائزةٍ إضافتها إلى واحدٍ معرفةٍ عندَ جميعهم ، فكذلك « حق » غيرُ جائزةٍ إضافتها إلى واحدٍ معرفةٍ ، وإنما أُضيفَ في قوله : ﴿ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ إلى ما فيه الهاءُ ؛ لما وصفتُ مِنَ العلةِ التي

(١) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مدوحا » .

(٢ - ٢) في م : « إلى نكرة بالنكرة » .

(٣) سقط من : م .

(٤) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « تلاوته » .

تقدّم بيانها .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ : هؤلاء الذين أخبر عنهم أنهم يتلون ما آتاهم من الكتاب حق تلاوته .

وأما قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ . فإنه يعنى : يُصدّقون به . والهاء التى فى قوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ عائدة على الهاء التى فى ﴿تِلَاوَتِهِ﴾ . وهما جميعاً من ذكر الكتاب الذى قال الله : ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ . فأخبر الله جل ثناؤه أن المؤمن بالتوراة هو المتبّع ما فيها من حلالها وحرامها ، والعامل بما فيها من فرائض الله التى فرضها فيها على أهلها ، وأن أهلها الذين هم أهلها من كان ذلك صفته دون من كان مُحَرِّفًا لها ، مُبَدِّلًا تأويلها ، مُغَيِّرًا سُنَنها ، تاركًا ما فرض الله فيها عليه .

وإنما وصف جل ثناؤه من وصف بما وصف به من مُتَّبِعِ التوراة ، فأثنى عليهم بما أثنى به عليهم ؛ لأن فى اتباعها اتباع محمد نبي الله ﷺ وتصديقته ؛ لأن التوراة تأمر أهلها بذلك ، وتُخَيِّرهم عن الله تعالى ذكره بنبوته وفرض طاعته على جميع خلق الله [٣٢/٤] من بنى آدم ، وأن فى التكذيب بمحمد ﷺ التكذيب بها^(١) ، فأخبر جل ثناؤه أن مُتَّبِعِ التوراة هم المؤمنون بمحمد ﷺ ، وهم العاملون بما فيها .

كما حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ . قال : من آمن برسول الله ﷺ من بنى إسرائيل وبالتوراة ، وأن الكافر بمحمد ﷺ هو الكافر بها الخاسر ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾

(١) فى م : « لها » .

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ- فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ ﴿١٢١﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ- ﴾ : وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْكِتَابِ الَّذِى أَخْبَرَ أَنَّهُ
يَتْلُوهُ مَنْ آتَاهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ .

ويعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿ يَكْفُرْ ﴾ : يَجْحَدُ مَا فِيهِ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ وَثُبُوتِ
مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَصَدِيقِهِ ، وَيُؤَدِّلُهُ فَيُحَرِّفُ تَأْوِيلَهُ ، أَوْلَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا عِلْمَهُمْ
وَعَمَلَهُمْ ، فَبَخَسُوا أَنْفُسَهُمْ حُظُوظَهَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِهَا سَخَطَ اللَّهِ
وِغْضَبَهُ .

وقال ابن زيد فى ذلك ^(١) بما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال :

ابن زيد : ﴿ وَمَنْ / يَكْفُرْ بِهِ- فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾ . قال : مَنْ كَفَرَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ
يهودَ ، فأولئك هم الخاسرون . ٥٢٣/١

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ يَنْبِئُ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٢٢﴾ .

وهذه الآية عِظَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي مَهَاجِرِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَتَذَكِيرٌ مِنْهُ لَهُمْ بِمَا سَلَفَ مِنْ أَيَادِيهِ إِلَيْهِمْ فِي صُنْعِهِ بِأَوَائِلِهِمْ ،
اسْتِعْطَافًا مِنْهُ لَهُمْ عَلَى دِينِهِ ، وَتَصَدِيقِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَقَالَ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ،
أَذْكَرُوا أَيَادِيَّ لَدَيْكُمْ ، وَصَنَائِعِي عِنْدَكُمْ ، وَاسْتِنْقَازِي إِثَّاكُمْ مِنْ أَيْدِي عَدُوِّكُمْ
فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، وَإِنزَالِي عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى فِي تَيْهِكُمْ ، وَتَمْكِينِي لَكُمْ فِي الْبِلَادِ ،
بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ مُذَلَّلِينَ مَقْهُورِينَ ، وَاخْتِصَاصِي الرُّشْلَ مِنْكُمْ ، وَتَفْضِيلِي إِثَّاكُمْ عَلَى

عَالَمٍ مِّنْ كُنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ ، أَيَّامَ أَنْتُمْ فِي طَاعَتِي ^(١) تَبْتَغُونَ مَرْضَاتِي ، فَرَاغِعُوا طَاعَتِي ^(١) ، بِاتِّبَاعِ رَسُولِي إِلَيْكُمْ ، وَتَصَدِيقِهِ وَتَصَدِيقِي مَا جَاءَكُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِي ، وَدَعُّوا التَّمَادِي فِي الضَّلَالِ وَالْغَيِّ .

وقد ذكرنا فيما مضى النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل ، والمعاني [٣٢/٤] التي ذكرهم الله جل ثناؤه من آلائه عندهم ، والعالم الذي فضلوا عليه فيما مضى قبل ، بالروايات والشواهد ، فكرهنا تطويل الكتاب بإعادته ؛ إذ كان المعنى في ذلك في هذا الموضع وهنالك واحداً ^(٢) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ^(٣) .

وهذه الآية ترهيب من الله جل ثناؤه للذين سلفت عظمته إياهم بما وعظهم به في الآية قبلها ، يقول الله لهم : وأتقوا يا معشر بني إسرائيل المبدلين كتابي وتنزيلي ، المخرفين تأويله عن وجهه ، المكذبين برسولي محمد ﷺ - عذاب يوم لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً ، ولا تغنى عنها غناء ؛ أن تهلكوا على ما أنتم عليه من كفركم ، وتكذيبكم رسولي ، فتموتوا عليه ، فإنه يوم لا يقبل من نفس فيما لزمها فدية ، ولا يشفع فيما وجب عليها من حق لها شافع ، ولا هم ينصرون ناصر من الله إذا انتقم منها بمعصيتها إياه .

وقد مضى البيان عن كل معاني هذه الآية في نظيرتها قبل ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ^(٣) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) ينظر ما تقدم في ١/٥٩٤ - ٥٩٦ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ .

(٣) ينظر ما تقدم في ١/٦٣١ وما بعدها .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ أَسْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَيْثُ بُكْمَتِ ﴾ .

[٥٢٤/١] / يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِذْ أَسْتَلَىٰ ﴾ : وإذا اختبر . يقال منه : ابتليت فلاناً ابتليته ابتلاءً . ومنه قول الله عز وجل : ﴿ وَأَبْلُوا أَلْيَمَنَى ﴾ [النساء : ٦] . يعني به : اختبروهم . وكان اختبارُ الله تعالى ذكره إبراهيم اختباراً بفرائض فرضها عليه ، وأمر أمره به ، وذلك هو الكلمات التي أوحاهنَّ إليه فكلفه العملَ بهنَّ ، امتحاناً منه له واختباراً . ثم اختلف أهل التأويل في صفة الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم خليله ، صلواتُ الله عليه ؛ فقال بعضهم : هي شرائع الإسلام ، وهي ثلاثون سهماً .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : حدثني عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذْ [٣٣/٤] أَسْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَيْثُ بُكْمَتِ ﴾ . قال : قال ابن عباس : لم يُبتَلْ أحدٌ بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ؛ ابتلاه الله بكلمات فأتهمنَّ ، قال : فكتب الله له البراءة ، فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم : ٣٧] . قال : عشرٌ منها في « الأحزاب » ، وعشرٌ منها في « براءة » ، وعشرٌ منها في « المؤمنين » ، و « سأل سائل » . وقال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهماً^(١) .

وحدثني إسحاق بن شاهين الواسطي ، قال : ثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتلى أحدٌ بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم ، ابتلى بالإسلام فأتهمه ، فكتب الله له البراءة ، فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ . فذكر

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٧٩ ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١١/ ٥٢٢ ، وابن عساكر في تاريخه ٦/ ١٩٤ من طريق عبد الأعلى به . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٢٠ (١١٦٦) ، والحاكم ٢/ ٤٧٠ ، ٥٥٢ من طريق داود به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١١١ إلى ابن مردويه .

عشرًا في « براءة » ، فقال : ﴿ أَلَتَّيْبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] . وعشرًا في « الأحزاب » : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] ، وعشرًا في سورة « المؤمنين » ، إلى قوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ ^(١) يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ١ - ٩] ، وعشرًا في « سأل سائل » : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ^(٢) [المعارج : ٢٢ - ٣٤] .

وحدثنا عبد^(٣) الله بن أحمد بن شيبويه ^(٤) ، قال : ثنا علي بن الحسن ، قال : ثنا خارجة بن مضعب ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الإسلام ثلاثون سهمًا ، وما ابتلى الله بهذا الدين أحدًا فأقامه إلا إبراهيم ، قال الله : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ . فكتب الله له براءة من النار ^(٥) .

وقال آخرون : هي خصال عشر من سنن الإسلام .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ . قال : ابتلاه الله بالطهارة ؛ خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ، في الرأس قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفزق الرأس ، وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والحيتان ، وتنف الإبط ، وغسل أثر الغائط والبول بالماء ^(٦) .

(١) في الأصل ، ت ١ : « صلاتهم » . وهما قراءتان ، وسنذكر تخريجهما في موضعه من التفسير .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٧٩/١ .

(٣) في م : « عبيد » . وينظر تاريخ بغداد ٣٧١/٩ ، والثقات لابن حبان ٣٦٦/٨ .

(٤) في م : « شبرمة » . وينظر المصدر السابق .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٠/١ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٧/١ ، ومن طريقه الحاكم ٢٦٦/٢ - وسقط منه أول الإسناد - والبيهقي ١/١٤٩ =

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الحَكَمِ بنِ أبانٍ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، عن ابنِ عباسٍ بمثله ، ولم يذكُرْ أثرَ البولِ^(١) .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا سليمانُ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادةُ ٥٢٥/١ في قوله : ﴿ وَإِذْ أَبْتَأْ / إِذْ يَهْمَرُ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ ﴾ قال : ابتلاه ؛ أمره^(٢) بالْحِثَّانِ ، وحلَّقِ العانةَ ، وغسَلَ القُبْلَ والدُّبْرَ ، والسواكَ ، وقصَّ الشاربَ ، وتقليمِ الأظفارِ ، ونثفِ الإبطِ . قال أبو هلالٍ : ونسيْتُ حَصْلَةَ^(٣) .

وحدَّثتُ عن عَمَّارِ بنِ الحَسَنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن مَطَرٍ ، عن أبي الجَلْدِ ، قال : ائْتَلَى إبراهيمُ بعشرةِ أشياءَ ، هنَّ في الإنسانِ سُنَّةٌ ؛ الاستنشاقُ ، وقصُّ الشاربِ ، والسواكُ ، ونثفُ الإبطِ ، وتقليمُ الأظفارِ ، وغسلُ البراجِمِ^(٤) ، والحِثَّانِ ، وحلَّقِ العانةَ ، وغسَلَ الدُّبْرَ والفرجَ^(٥) .

[٤/٣٣ظ] وقال بعضهم : بل الكلماتُ التي ائْتَلَى بهنَّ عشرٌ خِلالِ ، بعضهنَّ في تطهيرِ الجسدِ ، وبعضهنَّ في مناسكِ الحجِّ .

= وأخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨٠ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢١٩ (١١٦٥) عن الحسن بن يحيى به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١١١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٥٧ ، وأخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨٠ .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨٠ .

(٤) البراجم : العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ ، الواحدة بُرْجُمة . النهاية ١/ ١١٣ .

(٥) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٢٨٠ ، ٢٨١ : حدَّثني عبدان المروزي ، ثنا عمار بن الحسن به .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُتَنِّي ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَرْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ لَهْيَعَةَ ،
 عَنْ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، عَنْ حَنْشٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ
 فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . قَالَ : سَتَّةٌ فِي الْإِنْسَانِ ، وَأَرْبَعَةٌ فِي الْمَشَاعِرِ ؛ فَالْتِي فِي الْإِنْسَانِ ؛ حَلْقُ الْعَانَةِ ،
 وَالْحَتَانُ ، وَنَتْفُ الْإِبْطِينِ ^(١) ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ ، وَقَصُّ الشَّارِبِ ، وَالْعُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،
 وَأَرْبَعَةٌ فِي الْمَشَاعِرِ ؛ الطَّوَافُ ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ ، وَالْإِفَاضَةُ ^(٢) .
 وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ ذَلِكَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، وَ ^(٣) مَنَاسِكُ الْحَجِّ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي خَالِدٍ ،
 عَنْ أَبِي صَالِحٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فَمَنْهَنَ : ﴿ إِنِّي
 جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، وَأَيَاتُ النَّسِكِ ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي أَبُو السَّائِبِ ، قَالَ : ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ أَبِي
 خَالِدٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ مَوْلَى أُمِّ هَانِئٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ .
 قَالَ : مَنْهَنَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، وَمَنْهَنَ آيَاتُ النَّسِكِ ، وَ : ﴿ إِذِ يَرْفَعُ
 إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ^(٤) .

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي

(١) فِي م ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الْإِبْطُ » .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٢٨١/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٢٠/١ (١١٦٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ
 لَهْيَعَةَ بِهِ . وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١١١/١ إِلَى ابْنِ الْمُنْذِرِ .

(٣) فِي م : « فِي » .

(٤) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٢٨١/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ ١٩٤/٦ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِدْرِيسَ بِهِ .

نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قوله : ﴿ وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ . قال : قال
 اللَّهُ لإبراهيمَ : إني مُبْتَلِيكَ بأمرٍ ، فما هو ؟ قال : تَجْعَلُنِي للناسِ إمامًا ؟ قال : نعم .
 قال : وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ؟ قال : لا يَنَالُ عهدى الظالمين . قال : تَجْعَلُ البيتَ مَثابَةً للناسِ ؟
 قال : نعم . وأُمَّتًا ؟ قال : نعم . وَتَجْعَلُنَا مُسْلِمِينَ لك وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لك ؟
 قال : نعم . وَثَرِينَا مَناسِكِنَا وَتَثُوبٌ عَلَيْنَا ؟ قال : نعم . قال : وَتَجْعَلُ هذا البلدَ أَمِينًا ؟
 قال : نعم . قال : تَزُوقُ أَهْلَهُ مِنَ الثمراتِ مَنْ آمَنَ ^(١) ؟ قال : نعم ^(٢) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن
 مجاهدٍ نحوه .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابنِ أبى نجيح ، أخبره
 به عن عكرمة ، قال : فعرضته على مجاهدٍ فلم يُنكره ^(٣) .

/ وحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثنى حجاج ، عن ابنِ
 جريج ، عن مجاهدٍ بنحوه . قال ابنُ جريج : فاجتمع على هذا القولِ مجاهدٌ
 وعكرمةُ جميعاً ^(٤) .

٥٢٦/١

وحدثنا سفيان ، قال : حدثنى أبى ، عن سفيان ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن
 مجاهدٍ : ﴿ وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ قال : أثبتنى بالآياتِ التى بعدها :
 ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عهدى الظالمينَ ﴾ ^(٥) .

(١) بعده فى م : « منهم » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٢ ، وهو فى تفسير مجاهد ص ٢١٣ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى
 تفسيره ١/ ٢٢١ (١١٧١) .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٢ .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٢ .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٨٢ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١١/ ٥٢١ عن وكيع به .

وَحَدَّثَنَا عَنْ عَمَّارٍ، قَالَ: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾: فالكلماتُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾. وقوله: ﴿وَإِذْ نَحْنُ بِمَقَامِكِ إِِبْرَاهِيمَ مُمْسِكِينَ﴾. وقوله: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ الآية. وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ الآية. قال: فذلك كله^(١) من الكلمات التي اثبتلي بهنَّ إبراهيم^(٢).

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾: فَمِنْهُنَّ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وَمِنْهُنَّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾، وَمِنْهُنَّ الْآيَاتُ فِي شَأْنِ الْمَنَسَكِ، وَالْمَقَامُ الَّذِي جُعِلَ لِإِبْرَاهِيمَ، وَالرُّزْقُ الَّذِي رُزِقَ سَاكِنُو الْبَيْتِ، وَمُحَمَّدٌ بُعِثَ^(٣) فِي ذُرِّيَّتِهِمَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(٤).

وقال آخرون: بل ذلك مناسكُ الحجِّ خاصَّةً.

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ، قَالَ: ثنا عَمْرُو بْنُ نُبَهَانَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾. قَالَ: مَنَاسِكُ الْحَجِّ^(٤).
وَحَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ

(١) في م: «كلمة».

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٣/١.

(٣) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٣/١، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٩٥/٦ من طريق شيبان، عن قتادة به نحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٢/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والحاكم.

ابن عباسٍ يقولُ في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ . قال: هي المناسك^(١) .
 وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال: أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال: أخبرنا معمرٌ ، عن
 قتادةَ ، قال: قال ابنُ عباسٍ: ابتلاه بالمناسك^(٢) .

وحدَّثتُ عن عَمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، قال: بلغنا عن
 ابنِ عباسٍ أنه قال: إن الكلماتِ التي ابْتُلِيَ بها إبراهيمُ ، المناسكُ^(٣) .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال: ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال: ثنا شريكٌ ، عن
 أبي إسحاقَ ، عن التَّمِيمِيِّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ .
 قال: مناسكُ الحجِّ^(١) .

حدَّثني المثنى ، قال: ثنا الحِمَّانِيُّ^(٤) ، قال: ثنا شريكٌ ، عن أبي إسحاقَ ، عن
 التَّمِيمِيِّ ، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ . قال: منهمنَّ
 مناسكُ الحجِّ^(١) .

وقال آخرون: هي أمورٌ ، منهمنَّ الحِيتَانُ .

/ ذكُرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

٥٢٧/١

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال: ثنا سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ ، عن يونسَ بنِ أبي إسحاقَ ، عن

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٤/١ .

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٤/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢١/١ (١١٦٩) عن الحسن بن يحيى
 به . وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٩٣/٦ من طريق محمد بن حماد الطهراني عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٨٤/١ .

(٤) في حاشية الأصل: «الحماني كذا وقع في الأم، وهو.. المثنى وعصره إلا أن طاهر... عنه على معنى...
 والله أعلم». وينظر ترجمة الحماني في تهذيب الكمال ٤١٩/٣١ .

الشَّعْبِيِّ: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ . قال : منهن الختان^(١) .

وحدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضح ، قال : ثنا يونس بنُ أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبيَّ يقولُ . فذكر مثله^(٢) .

حدثنا أحمدُ بنُ إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا يونس بنُ أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبيَّ - وسأله أبو إسحاق عن قولِ اللهِ : ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ - قال : منهن الختانُ يا أبا إسحاق^(٣) .

وقال آخرون : بل ذلك الخلالُ السُّتُّ ؛ الكوكبُ ، والقمرُ ، والشمسُ ، والنارُ ، والهجرةُ ، والختانُ ، التي اثبتلى بهنَّ فصبرَ عليهنَّ .

ذكرُ من قال ذلك

حدثني يعقوبُ بنُ إبراهيم ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، عن أبي رجاءٍ ، قال : قلتُ للحسنِ : ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ ؟ قال : ابتلاه بالكوكبِ^(٤) فرضى عنه ، وابتلاه بالقمرِ فرضى عنه ، وابتلاه بالشمسِ فرضى عنه ، وابتلاه بالنارِ فرضى عنه ، وابتلاه بالهجرةِ ، وابتلاه بالختانِ^(٥) .

[٣٤/٤] وحدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : إى واللهِ ، لا ابتلاه^(٥) بأمرٍ فصبرَ عليه ، ابتلاه بالكوكبِ^(٦) ، والشمسِ ، والقمرِ ، فأحسنَ فى ذلك ، وعرف أن ربَّه دائمٌ لا يزولُ ،

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ ، وأخرجه ابنُ شيبَةَ ٥٢١/١١ عن وكيع عن يونس به .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٤/١ .

(٣) فى الأصل : « بالكواكب » .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٨٥/١ ، وابنِ عساکر فى تاريخه ١٩٣/٦ من طريق يعقوب به . وأخرجه ابن

أبى حاتم فى تفسيره ٢٢١/١ (١١٧٠) من طريق ابنِ عليه به .

(٥) فى م : « ابتلاه » .

فَوَجَّهَ وَجْهَهُ لِلذَّيِّ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ ابْتَلَاهُ
بِالْهَجْرَةِ ، فَخَرَجَ مِنْ بِلَادِهِ وَقَوْمِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ مَهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ ، ثُمَّ ابْتَلَاهُ بِالنَّارِ قَبْلَ
الْهَجْرَةِ ، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ، وَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِذَبْحِ ابْنِهِ وَبِالْحَتَّانِ ، فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ^(١) .

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَمَّنْ
سَمِعَ الْحَسَنَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ . قَالَ : ابْتَلَاهُ بِذَبْحِ
وَلَدِهِ ، وَبِالنَّارِ ، وَبِالْكُوكَبِ ، وَبِالشَّمْسِ ، وَبِالقَمَرِ ^(٢) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا سَلْمُ بْنُ قُتَيْبَةَ ، قَالَ : ثنا أَبُو هَلَالٍ ، عَنِ الْحَسَنِ :
﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ . قَالَ : ابْتَلَاهُ بِالْكُوكَبِ ، وَبِالشَّمْسِ ، وَبِالقَمَرِ ،
فَوَجَّهَ صَابِرًا ^(٣) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنِي بِهِ مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ :
ثَنَا أَسْبَاطُ ، عَنِ السُّدِّيِّ : الْكَلِمَاتُ الَّتِي ابْتَلَىٰ بِهِنَّ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ : ﴿ رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنْكَ إِنَّا
أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴿ إِلَى :
﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ ^(٤) .

وَالصَّوَابُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا أَنْ يُقَالَ : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّهُ
اخْتَبَرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ بِكَلِمَاتٍ أَوْحَاهُنَّ إِلَيْهِ ، وَأَمْرَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، ^(٥) فَعَمِلَ بِهِنَّ ^(٥)

(١) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٢٨٥/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ ١٩٥/٦ مِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ ، عَنِ قَتَادَةَ بِهِ .
(٢) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٢٨٥/١ ، وَهُوَ تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَاقِ ٥٧/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ
دِمَشْقَ ١٩٣/٦ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمَادِ الطَّهْرَانِيِّ عَنِ عَبْدِ الرَّزَاقِ بِهِ .
(٣) أَخْرَجَهُ الْمُصَنِّفُ فِي تَارِيخِهِ ٢٨٥/١ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ ١٩٣/٦ ، ١٩٤ مِنْ طَرِيقِ أَبِي
هَلَالٍ بِهِ نَحْوَهُ مَطْوُولًا .
(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٤٠/١ عَنِ السُّدِّيِّ .
(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

وَأَتَمَّهُنَّ ، كما أخبرَ اللهُ جل ثناؤه عنه أنه فعل . وجائزٌ أن / تكونَ تلكَ الكلماتُ ٥٢٨/١ جميعاً ما ذكره من ذكرنا قوله في تأويلِ الكلماتِ ، وجائزٌ أن تكونَ بعضُهُ ؛ لأن إبراهيمَ صلواتُ اللهُ عليه قد كان أمثَحَنَ فيما بلغنا بكلِّ ذلك ، فعَمِلَ به ، وقام فيه بطاعةِ اللهِ وأمره الواجبِ عليه فيه .

وإذ كان ذلك كذلك ، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ أن يقولَ : عَنِ اللهُ بالكلماتِ اللواتي ابتلى بهنَّ إبراهيمَ شيئاً من ذلك بعينه دونَ شيءٍ ، ولا عني به كلُّ ذلك . إلاَّ بحُجَّةٍ يَجِبُ التسليمُ لها ، من خبرٍ عن الرسولِ ﷺ ، أو إجماعٍ من الحُجَّةِ ، ولم يصحَّ بشيءٍ^(١) من ذلك خبرٌ عن الرسولِ بنقلِ الواحدِ ، ولا بنقلِ الجماعةِ التي يَجِبُ التسليمُ لما نَقَلْتَهُ . غيرَ أنه قد رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ في نظيرِ معنى ذلك خبران لو ثبتا أو أحدهما ، كان القولُ به في تأويلِ ذلك هو الصوابُ :

أحدهما ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا رِشْدِينُ^(٢) بنُ سعيدٍ ، قال : حدَّثني زَبَّانُ^(٣) بنُ فائِدٍ ، عن سهلِ بنِ مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ ، عن أبيه ، قال : كان النبيُّ ﷺ يقولُ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ لِمَ سَمَى اللهُ [٣٥/٤] إبراهيمَ خَلِيلَهُ ، الذي وَفَى ؛ لَأَنَّهُ كان يَقُولُ كُلَّمَا أَصْبَحَ وَكُلَّمَا أَمْسَى : ﴿ فَسَبَّحَنَ اللهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] حتى يَخْتِمَ الآيةَ . »

والآخرُ ما حدَّثنا به أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عَطِيَّةَ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن القاسمِ ، عن أبي أُمَامَةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ :

(١) في م : « فيه شيء » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « شيء » .

(٢) في م : « راشد » ، وفي ت ٢ : « رشيد » ، وفي ت ١ ، ت ٣ : « رشد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨٢/٩ .

(٣) في الأصل ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « ريان » ، وفي ت ١ : « زيلا » . وينظر تهذيب الكمال ٢٨١/٩ .

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم: ٣٧] . قال : « تَذُرُونَ مَا وَفَى ؟ » قالوا : اللّهُ ورسوله أعلم . قال : « وَفَى عَمَلَ يَوْمِهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فِي النَّهَارِ » .

فلو كان خبر سهل بن معاذ عن أبيه صحيحاً سنّده ، كان يبيّن أن الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم ، فقام بهنّ ، هي قوله كلّما أصبح وأمسى : ﴿ فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ حِينَ نَسُوبُكَ وَحِينَ نُنْصِبُحُونَ ﴾ (٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ . أو كان خبر أبي أمامة غُذولاً نقلته ، كان معلوماً أن الكلمات التي أُوجِبْنَ إلى إبراهيم فابتلى بالعمل بهنّ ، أن يُصَلِّيَ كُلَّ يَوْمٍ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ ، غير أنهما خبران في أسانيدهما نظراً .

فالصواب من القول في معنى الكلمات التي أخبر اللّهُ أنه ابتلى بهنّ إبراهيم ، ما يبيّن أنفاً .

ولو قال قائل في ذلك : إن الذي قاله مجاهد وأبو صالح والريّغ بن أنس ، أوّلَى بالصواب من القول الذي قاله غيرهم . كان مذهبا ؛ لأن قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقوله : ﴿ وَعَعِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ ، وسائر الآيات التي هي نظيرة ذلك - كالبيان عن الكلمات التي ذكر اللّهُ أنه ابتلى بهنّ إبراهيم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ .

ويعنى جلّ ثناؤه بقوله : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ : فأتمّ إبراهيم الكلمات . وإتمامه إيّاهنّ إكمالُه إيّاهنّ بالقيام لله بما أوجب عليه فيهنّ ، وهو الوفاء الذي قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ . يعني بذلك : وفّى بما عهد إليه بالكلمات فأمره به ،

من فرائضه وميخنه فيها .

/ كما حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن ٥٢٩/١
عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فَاتَّمَهَنَّ ﴾ . أى : فأدَّاهنَّ ^(١) .

وحدثني بشر بن معايد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة :
﴿ فَاتَّمَهَنَّ ﴾ . أى : عمِلَ بهنَّ فاتمهنَّ ^(٢) .

وحدثت عن عمارة ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع :
﴿ فَاتَّمَهَنَّ ﴾ . أى : عمِلَ بهنَّ وأتمهنَّ ^(٣) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ : فقال الله : يا إبراهيم ،
إني مصيورك للناس إماماً يؤتَمُّ به ويُقتدى به .

كما حدثت عن عمارة ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ليؤمَّ به ويُقتدى به ^(٤) .

يقال منه : أتمت القوم فانا أؤمهم أمّا وإمامة . إذا كنت إمامهم .

وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ : إني مصيورك

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٩٤/٦ من طريق عبد الأعلى به .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١٩٥/٦ من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٢/١ عقب الأثر (١١٧٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٢/١ عقب الأثر (١١٧٤) من طريق ابن أبي جعفر به .

تُؤْمِنُ مِنْ بَعْدِكَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِي وَبِرُسُلِي ، فَتَقَدِّمُهُمْ أَنْتَ ، وَيَتَّبِعُونَ هَدْيِكَ ، وَيَسْتَشْتُونَ بِسُنَّتِكَ الَّتِي تَعْمَلُ بِهَا ، بِأَمْرِي إِيَّاكَ وَوَحْيِي إِلَيْكَ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : قال إبراهيم - لَمَّا رَفَعَ اللَّهُ مَنْزِلَتَهُ وَكَرَّمَهُ ، وَأَعْلَمَهُ مَا هُوَ صَانِعٌ بِهِ ، مِنْ تَصْيِيرِهِ إِمَامًا فِي الْخَيْرَاتِ لِمَنْ فِي عَصْرِهِ ، وَلَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَسَائِرِ النَّاسِ غَيْرِهِمْ ، يُهْتَدَى بِهِدْيِهِ وَيُقْتَدَى بِأَفْعَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ - : يَا رَبِّ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِي فَاجْعَلْ أُمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ ، كَالَّذِي جَعَلْتَنِي إِمَامًا يُؤْتَمُّ بِي وَيُقْتَدَى بِي . مَسْأَلَةٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِ سَأَلَهُ إِيَّاهَا .

كما حدثت عن عمّار ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : قال إبراهيم : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ . يقول : واجعل من ذُرِّيَّتِي مَنْ يُؤْتَمُّ وَيُقْتَدَى بِهِ ^(١) .

وقد زعم بعض الناس أن قول إبراهيم : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ مسألة منه ربه لعقبه أن يكونوا على عهده ودينه ، كما قال : ﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] . فأخبر الله جل ثناؤه أن في عقبه الظالم المخالف له في دينه ، بقوله : ﴿ لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ .

والظاهر من التنزيل يدل على غير الذي قاله صاحب هذه المقالة ؛ لأن قول إبراهيم صلوات الله عليه : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ . في إثر قول الله له جل ثناؤه : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ . فمعلوم أن الذي سأل إبراهيم لذُرِّيَّتِهِ لو كان غير الذي أخبره ربه أنه أعطاه إياه ، لكان مبيهاً ، ولكن المسألة لما كانت مما قد جرى ذكره ، اكتفى بالذكر الذي قد مضى من تكريره وإعادته ، فقال : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ . بمعنى : ومن

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١١٨ إلى المصنف .

ذُرِّيَّتِي فَاجْعَلْ مِثْلَ الَّذِي جَعَلْتَنِي بِهِ مِنَ الْإِمَامَةِ لِلنَّاسِ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١٢٤) .

/ وهذا خبرٌ من الله جلَّ ثناؤه عن أن الظالم لا يكونُ إمامًا يفتدي به أهلُ الخير . ٥٣٠/١
وهو من الله جلَّ ثناؤه جوابٌ لإبراهيمَ^(١) في مسألتِه إياه أن يجعلَ من ذُرِّيَّتِه أئمةً
مثله . فأخبره أنه فاعلٌ ذلك إلا بمن [٣٦/٤] كان من أهلِ الظلمِ منهم ، فإنه غيرُ
مُصَيَّرِه كذلك ، ولا جاعله في محلِّ أوليائه عنده بالتَّكْرَمَةِ بالإمامَةِ ؛ لأنَّ الإمامَةَ إنما
هي لأوليائه وأهلِ طاعته ، دون أعدائه والكافرين به .

واختلف أهلُ التأويلِ في العهدِ الذي حَرَمَ اللهُ تعالى ذكره الظالمين أن ينالوه ؛
فقال بعضهم : ذلك العهدُ هو التَّبَوُّةُ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدِّيِّ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ
عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ . يقولُ : عهدي : نبوتِي^(٢) .

فمعنى تأويلِ^(٣) هذا القولِ في تأويله^(٤) الآيةَ : لا ينالُ التَّبَوُّةُ أهلُ الظلمِ والشركِ .
وقال آخرون : معنى العهدِ عهدُ الإمامَةِ .

فتأويلُ الآيةِ على قولهم : لا أجعلُ من كان من ذُرِّيَّتِكَ^(٥) إبراهيمَ^(٥) ظالماً ،

(١) في م : « لما توهم » ، وفي ت ١ : « لا يوهم » ، وفي ت ٢ : « لا يتوهم » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٣/١ (١١٨٢) ، من طريق عمرو به .

(٣) في م : « قائل » .

(٤) في م : « تأويل » .

(٥ - ٥) في م : « بأسرهم » .

إمامًا لعبادي يُقْتَدَى به .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، قَالَ: ثنا عَيْسَى، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ: ﴿قَالَ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ . قَالَ: لَا يَكُونُ إِمَامًا ظَالِمًا^(١) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو حَازِمَةَ، قَالَ: ثنا سُبُلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، قَالَ: ﴿قَالَ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ . قَالَ: لَا يَكُونُ^(٢) لِي إِمَامًا ظَالِمًا^(٣) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى، قَالَ: ثنا أَبُو حَازِمَةَ، قَالَ: ثنا سُبُلٌ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ بِمِثْلِهِ .

وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: ثنا أَبُو عَامِرٍ^(٤)، قَالَ: ثنا سَفِيَانٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ . قَالَ: لَا يَكُونُ إِمَامًا ظَالِمًا^(٥) يُقْتَدَى بِهِ^(٥) .

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْأَهْوَازِيُّ، قَالَ: ثنا أَبُو أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيُّ، قَالَ: ثنا سَفِيَانٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

وَحَدَّثَنَا مُشَرَّفُ^(٦) بْنُ أَبِي الْخَطَّابِ^(٧)، قَالَ: ثنا وَكَيْعٌ، عَنْ سَفِيَانٍ، عَنْ خُصَيْفٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ . قَالَ: لَا أَجْعَلُ إِمَامًا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١١٨ إلى المصنف وعبد بن حميد ووكيع .

(٢-٢) في م: «إمام ظالما» .

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «عاصم» . وينظر تهذيب الكمال ١٨/٣٦٤ .

(٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «إمام» .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/٢٤١ عن سفيان به . وينظر تفسير سفيان ص ٤٨، وتفسير ابن أبي حاتم ١/٢٢٣ (١١٧٩) .

(٦) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «مسروق» . وينظر تاريخ بغداد ١٣/٢٢٤ .

(٧) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «الخطاب» .

ظالماً يُفْتَدَى بِهِ .

وحدَّثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا مسلم بن خالد الزنجي ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ قال : لا أجعلُ إمامًا ظالماً يُفْتَدَى بِهِ ^(١) .

وحدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ . قال : لا يكونُ إمامًا ظالمًا .

قال ابن جريج : وأما عطاء فإنه قال : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ فأبى أن يجعل من ذريته ظالماً إمامًا . قلت لعطاء : ما عهده ؟ قال : أمره ^(٢) .

/ وقال آخرون : معنى ذلك أنه لا عهد عليك لظالم أن تطيعه في ظلمه . ٥٣١/١

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدَّثني محمد بن سعيد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ . يعني : لا عهد لظالم عليك في [٣٦/٤ ظ] ظلمه أن تطيعه فيه ^(٣) .

وحدَّثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، عن إسرائيل ، عن مسلم الأعور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ . قال : ليس للظالمين عهدٌ ، وإن عاهدته فانقضه .

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢١٣ - تفسير) من طريق مسلم بن خالد الزنجي به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٣/١ (١١٧٨) من طريق حجاج عن ابن جريج عن عطاء ، وكذا

ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤١/١ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٢٤١/١ .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدثني حجاجُ ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ليس لظالمٍ عهدٌ^(١) .

وقال آخرون : معنى العهدِ في هذا الموضعِ الأمانُ .

فتأويلُ الكلامِ على معنى قولهم : قال اللهُ : لا ينالُ أمانى أعدائى وأهلَ الظلمِ لعبادى . أى : لا أوْمُئُهم مِن عذابى فى الآخرةِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ : ذلكم يومُ القيامةِ عندَ اللهِ ، لا ينالُ عهدهِ ظالمٌ ، فأما فى الدنيا فقد نالوا عهدَ اللهِ ، فوارثوا به المسلمون وعادُوهم^(٢) وناكحُوهم به ، فلما كان يومُ القيامةِ قصرَ اللهُ عهدهِ وكرامتهِ على أوليائه^(٣) .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قوله : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ . قال : لا ينالُ عهدَ اللهِ فى الآخرةِ الظالمون^(٤) ، فأما فى الدنيا ، فقد ناله الظالمُ^(٥) فأمين به^(٥) ، وأكل به وعاش^(٦) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ^(٥) بنُ عبدِ اللهِ^(٥) ، عن

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٤/١ (١١٨٦) من طريق سفيان به بلفظ : ليس لظالم عليك عهد فى معصية الله أن تطيعه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١٨/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى الأصل : « غازوهم به » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩٥/٦ من طريق شيبان ، عن قتادة نحوه .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم : « الظالمين » .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٤/١ (١١٨٧) عن الحسن بن يحيى به .

إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون، فأما في الدنيا، فقد ناله الظالم فأمن به، وأكل وأبصر وعاش^(١).

وقال آخرون: بل العهد الذي ذكره الله في هذا الموضع دين الله.

ذكر من قال ذلك

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع، قال: قال الله لإبراهيم: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. قال: فعهد الله الذي عهد إلى عباده دينه. يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصفوات: ١١٣]. يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق^(٢).

وحدثني محمد^(٣) بن جعفر، قال: أخبرنا يزيد، قال: أخبرنا جويبر، عن الضحاك في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. قال: لا ينال طاعتي^(٤) عدو لي يعصيني، ولا أنحلها إلا وليا لي يطيعني^(٥).

/وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر خبر عن أنه لا ينال من ولد إبراهيم صلوات الله عليه عهد الله - الذي هو النبوة والإمامة لأهل الخير، بمعنى الاقتداء به في الدنيا، والعهد الذي بالوفاء^(٦) به لله^(٦) ينجو في الآخرة من وقي لله به في الدنيا - من كان

٥٣٢/١

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٢/١ عن إبراهيم.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٣/١ عقب الأثر (١١٨٠) معلقا، وينظر تفسير ابن كثير ٢٤٢/١.

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يحيى».

(٤) في م، ت، ٢، ت، ٣: «عهدي»، وفي ت، ١: «عهد».

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٣/١، ٢٢٤، (١١٨٢، ١١٨٥) من طريق جويبر به.

(٦- ٦) في م، ت، ٢: «به»، وفي ت، ١، ت، ٣: «لله».

منهم ظالماً مُعْتَدِيًا^(١)، جائراً عن قصدِ سبيلِ الحقِّ، فهو إعلامٌ من اللّهِ تعالى ذكره لإبراهيمَ أنّ من ولده من يُشْرِكُ به، ويَزُولُ^(٢) عن قصدِ السبيلِ، وَيَظْلِمُ نفسه وعبادَه.

كالذي حدثني إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ حبيبِ بنِ الشهيد، قال: ثنا عتابُ بنُ بشرٍ، عن خُصَيْفٍ، عن مجاهدٍ في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. قال: إنه سيكونُ في ذرّيّتك ظالمون^(٣).

وأما نَصْبُ ﴿الظَّالِمِينَ﴾، فلأنَّ العهدَ هو الذي لا يَنَالُ الظالمينَ. وقد ذُكر أنه في قراءة ابنِ مسعودٍ: (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظالمون)^(٤). بمعنى أن الظالمين هم الذين لا يَنالون عهدَ اللّهِ.

وإنما جاز الرفعُ في ﴿الظَّالِمِينَ﴾ والنصبُ، وكذلك في «العهدِ»؛ لأنَّ كلَّ ما نال المرءَ فقد ناله المرءُ. كما يقال: نالني خيرٌ فلانٍ، ونلتُ خيرَه. فيُوجِّهُ الفعلُ مرّةً إلى الخيرِ، ومرّةً إلى نفسه.

وقد بيّنا معنى الظلمِ فيما مضى فكَرِهْنَا إعادته^(٥).

القول في تأويلِ قوله جَلُّ ثَنَاهُ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آبِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾.

أما قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آبِيَّتَ﴾. فإنه عَطْفٌ بـ ﴿إِذْ﴾ على قوله: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبرهَمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾. وقوله: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ إِبرهَمَ﴾. معطوفٌ على قوله: ﴿يَبْتِغِي﴾.

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «متعدياً».

(٢) في م: «يجور».

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢١٢ - تفسير) من طريق عتاب بن بشر به.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ١٠٨/٢.

(٥) ينظر ما تقدم في ٥٥٩/١.

إِسْرَهُ يَلْ أذْكَرُوا نَعَمْتِي ﴿١﴾ . واذكروا إذ ابتلى إبراهيم ربه ، وإذ جعلنا البيت مثابة .

والبيت الذي جعله الله مثابة للناس هو البيت الحرام .

وأما المثابة ، فإن أهل العربية مختلفون في معناها ، والسبب الذي من أجله أُثِّتْ ؛ فقال بعض نحويي البصرة : أُحِقَّتِ الهاءُ في المثابة لما كَثُرَ مَنْ يَثُوبُ إليه ، كما يقال : سَيَّارَةٌ . لمن يُكثِرُ ذلك ، ونَسَابَةٌ .

وقال بعض نحويي الكوفة : بل المثابُ والمثابةُ بمعنى واحد ، نظيرُ المقامِ والمقامَةِ . والمقامُ ذُكِرَ - على قوله - لأنه أُريدَ به الموضعُ الذي يُقامُ فيه ، وأُثِّتِ المقامَةُ لأنه أُريدَ بها البقعةُ . وأنكرَ هؤلاء أن تكونَ المثابةُ للسيارة^(١) والنسابةُ نظيرة^(٢) . وقالوا : إنما أُدخلتِ الهاءُ في السيارةِ والنسابةِ تشبيهاً لها بالداهية^(٣) .

والمثابةُ مَفْعَلَةٌ من : ثاب القومُ إلى الموضعِ ، إذ ارجعوا إليه ، فهم يَثُوبون إليه مثابًا ومثابةً وثوابًا .

فمعنى قوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ : وإذ جعلنا البيتَ مرجعًا للناسِ ومعادًا ، يأتونه كلَّ عام ، وَيَرْجِعُونَ إليه فلا يَقْضُونَ منه وَطْرًا . ومن المثابِ قولُ وَرَقَةَ ابنِ نوفلٍ في صفةِ الحَرَمِ^(٤) :

مَثَابٌ لِأَفْتَاءِ الْقِبَائِلِ كُلِّهَا تَحُبُّ إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ الطَّلَامِخُ
ومنه قيل : ثاب إليه عقله ، إذ ارجع إليه بعد عُزُوبِهِ عنه . وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

(١) في م : « كالسيارة » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) في م : « بالداعية » .

(٤) ينظر تخريج البيت في البداية والنهاية ٤٧٣/٣ .

/ ذكر من قال ذلك

٥٣٣/١

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾. قال: لا يَقْضُونَ منه وَطْرًا^(١).

وحدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، [٣٧/٤] عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله^(٢).

وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾. قال: يثوبون إليه، لا يَقْضُونَ منه وَطْرًا.

وحدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾. قال: أما المθάبة، فهو الذي يثوبون إليه كل سنة، لا يدعه الإنسان إذا أتاه مرة أن يعود إليه.

وحدثني محمد بن سعيد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آيَاتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ يقول: لا يَقْضُونَ منه وَطْرًا، يأتونه، ثم يرجعون إلى أهلهم، ثم يعودون إليه^(٣).

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٤، ومن طريقه البيهقي ١٧٦/٥، وفي الشعب (٣٩٩٥)، وأخرجه البيهقي أيضا في سننه من طريق مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجيح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٨/١ إلى ابن عيينة وعبد بن حميد. وستأتي بقيته في ص ٥٢١.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٢/١ عن العوفي به. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ (١١٩١) من طريق مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس نحوه.

وحدثني عبدُ الكريمِ بنُ أبي عُميرٍ ، قال : حدثني الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : قال أبو عمرو : حدثني عبدةُ بنُ أبي لُبابةٍ في قوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ بَيْتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال لا يُنْصَرِفُ عنه مُنْصَرِفٌ وهو يرى أنه قد قَضَى منه وَطْرًا^(١) .

وحدثني يعقوبُ بنُ إبراهيمٍ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ في قوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ بَيْتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يثوبون إليه من كلِّ مكانٍ ، ولا يَقْضُونَ منه وَطْرًا^(٢) .

وحدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ مثله .
وحدثني محمدُ بنُ عُمارةِ الأَسَدِيِّ ، قال : ثنا سهلُ بنُ عامرٍ ، قال : ثنا مالكُ بنُ مِعْوَلٍ ، عن عطيةٍ في قوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ بَيْتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : لا يَقْضُونَ منه وَطْرًا^(٣) .

وحدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي الهذيلِ ، قال : سمعتُ سعيدَ بنَ جبيرةٍ يقولُ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آلَ بَيْتٍ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يَحْجُجُونَ وَيُثْبَوْنَ^(٤) .

وحدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن أبي الهذيلِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرةٍ في قوله : ﴿ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ قال : يَحْجُجُونَ وَيُثْبَوْنَ^(٥) .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٢/١ عن المصنف ، وعبد الكريم بن أبي عمير ذكره الذهبي في الميزان ٣/٦٤٤ ، والمعنى ١/٥٦٩ ، وينظر لسان الميزان ٤/٥٠ ، ٥١ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٢٥ عقب الأثر (١١٩١) معلقا . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/١١٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٢٥ عقب الأثر (١١٩١) معلقا .

(٤) تفسير سفيان ص ٤٨ نحوه .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

١) وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبي الهذيل ، عن سعيد بن جبيرة قوله : ﴿ مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يحجون^(١) ، ثم يحجون ، ولا يقضون منه وطراً^(٢) .

وحدثني المثنى ، قال : ثنا ابن دكين^(٣) ، قال : ثنا مسعر ، عن غالب ، عن سعيد ابن جبيرة : ﴿ مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يثوبون إليه .

وحدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آبِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : مجمعا^(٤) .

/ وحدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ ﴾ . يقول : يثوبون إليه^(٥) .

وحدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ مَثَابَةٌ لِّلنَّاسِ ﴾ . يقول : يثوبون إليه^(٦) .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا آبِيَّتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ﴾ . قال : يثوبون إليه من البلدان كلها ويأتونه^(٧) .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٩/١ .

(٣) في م : « بكير » .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٢) معلقا .

(٥) سقط من : الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الإتيان ٧/٢ - عن أبيه ، عن عبد الله بن صالح به ، بلفظ : يثوبون إليه ثم يرجعون .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٢/١ عن المصنف .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَأَمْنَا ﴾ .

والأمنُ مصدرٌ ؛ من قولِ القائلِ : أَمِنَ يَأْمُنُ أَمْنًا . وإنما سَمَّاهُ اللهُ أَمْنًا ؛ لأنه كان في الجاهلية مَعَاذًا لمن استعاذَ به ، وكان الرجلُ منهم لو لَقِيَ به قاتلَ أبيه أو أخيه لم يَهْجُه ولم يَعْرِضْ له حتى [٣٨/٤] يَخْرُجَ منه ، وكان كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَكَمًا عَامِنًا وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ وَأَمْنَا ﴾ . قال : مَنْ أَمَّ إِلَيْهِ فَهُوَ آمِنٌ ، كان الرجلُ يَلْقَى قاتلَ أبيه أو أخيه فلا يَعْرِضُ له ^(١) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما ﴿ أَمْنَا ﴾ فَمَنْ دَخَلَهُ كان آمناً ^(٢) .

^(٣) حدثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللهِ : ﴿ وَأَمْنَا ﴾ ^(٤) . قال : تحريمُه ^(٥) ، لا يخافُ فيه مَنْ دَخَلَهُ ^(٥) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ وَأَمْنَا ﴾ . يقولُ : أَمْنَا مِنَ الْعَدُوِّ أَنْ يَحْمِلَ فِيهِ السَّلَاحَ ، وَقَدْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٣/١ عن ابن زيد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) في الأصل : « عزيمة » .

(٥) تقدم أوله في ص ٥١٨ .

يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ وَهُمْ آمَنُونَ لَا يُشَبِّهُونَ^(١) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ الْمِنْجَابِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا بَشْرٌ ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ ، عَنْ الضَّحَّاكِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَأَمَّا ﴾ . قَالَ : أَمَّا لِلنَّاسِ^(٢) .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثنا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ قَوْلَهُ : ﴿ وَأَمَّا ﴾ . قَالَ : تَحْرِيْمُهُ ، لَا يَخَافُ فِيهِ مَنْ دَخَلَهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

اختلف القَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ ؛ فَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . بِكسْرِ الْخَاءِ عَلَى وَجْهِ الْأَمْرِ بِاتِّخَاذِهِ مُصَلًّى ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ عَامَةٌ قَرَأَهُ الْمِصْرِيُّنَ ؛ الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ ، وَقِرَاءَةٌ عَامَةٌ قَرَأَهَا أَهْلُ مَكَّةَ ، وَبَعْضُ قَرَأَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ^(٣) .

^(٤) وَذَهَبَ الَّذِينَ قَرَعُوا ذَلِكَ إِلَى « الْخَبْرِ الَّذِي حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَا : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ اتَّخَذْتَ الْمَقَامَ مُصَلًّى ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾^(٥) .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ عقب الأثر (١١٩٤) من طريق ابن أبي جعفر به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٨/١ إلى المصنف عن أبي العالية .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٥/١ (١١٩٣) عن أبي زرعة ، عن منجاب به .

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحزمة والكسائي ، وقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء ، وسيأتي ، ينظر حجة القراءات ص ١١٣ .

(٤ - ٤) في م : « وَذَهَبَ إِلَيْهِ الَّذِينَ قَرَعُوهُ كَذَلِكَ مِنْ » ، وَفِي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وَذَهَبَ إِلَيْهِ الَّذِينَ قَرَعُوهُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ » .

(٥) أخرجه أحمد ٢٣/١ (١٥٧) ، والبخاري (٤٠٢) ، والترمذي (٢٩٦٠) ، والنسائي في الكبرى

(١٠٩٩٨) ، وابن ماجه (١٠٠٩) من طريق هشيم به .

وحدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علقمة، جميعًا عن حميد، عن أنس، عن عمر، عن النبي ﷺ مثله^(١).

/ وحدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا حميد، عن أنس، ٥٣٥/١ قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله. فذكر مثله.

قالوا: وإنما أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية أمرًا منه نبيه ﷺ باتخاذ مقام إبراهيم مُصَلًى، فغير جائزة قراءتها وهي أمر، على وجه الخبر.

وقد زعم بعض نحوئي البصرة أن قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى﴾. جزم^(٢) معطوف على قوله: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي﴾ واتخذوا مصلى من مقام إبراهيم. فكان الأمر بهذه الآية، وبتخاذ المصلى من مقام إبراهيم - على قول هذا القائل - لليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

^(٣) وقال^(٣) الربيع بن أنس بما حدثت به عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه،^(٤) عن الربيع بن أنس، قال: من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم قوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى﴾. يأمرهم أن يتخذوا من مقام

= وأخرجه الترمذى (٢٩٥٩) من طريق حماد بن سلمة، عن حميد به. وينظر مسند الطيالسي (٤١).

(١) أخرجه أحمد ١/٢٤ (١٦٠)، وفي فضائل الصحابة (٤٣٤) من طريق ابن أبي عدي به.

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣-٣) في م: «كما حدثنا»، وفي ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «حدثنا».

(٤-٤) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

إبراهيمَ مُصَلِّي ، فهم يُصَلُّونَ خَلْفَ الْمَقَامِ .

فتأويلُ قائلِ هذا القولِ : وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلماتٍ فأتَمَّهُنَّ ، قال : إني جاعِلُكَ للناسِ إمامًا . قال : اتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّي .

والخبرُ الذي ذَكَرناه عن عمرَ بنِ الخطابِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلُ ، يَدُلُّ على خلافِ الذي قاله هؤلاء ، وأنه أمرٌ من اللَّهِ تعالى ذَكَرَهُ بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، والمؤمنين به ، وجميعِ الخلقِ المكَلَّفِين .

وقرأه بعضُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والشامِ : (وَاتَّخِذُوا) . بفتحِ الخاءِ ، على وجهِ الخبرِ . ثم اختلفَ في الذي عُطِفَ عليه بقوله : (وَاتَّخِذُوا) . إذا قُرئَ كذلك على وجهِ الخبرِ ، فقال بعضُ نحوِيِّ البصرةِ : تأويلُهُ إذا قُرئَ كذلك : وإذ جعلنا البيتَ مَثَابَةً للناسِ وأُمَّتًا ، « وَإِذِ اتَّخِذُوا » من مقامِ إبراهيمَ مُصَلِّي .

وقال بعضُ نحوِيِّ الكوفةِ : بل ذلك معطوفٌ على قوله : ﴿ جَعَلْنَا ﴾ . فكأن معنى الكلامِ على قوله : وإذ جعلنا البيتَ مَثَابَةً للناسِ ، وَاتَّخِذُوهُ مُصَلِّي .

والصوابُ من القولِ والقراءةِ في ذلك عندنا : ﴿ وَاتَّخِذُوا ﴾ . بكسرِ الخاءِ ^(١) ، على تأويلِ الأمرِ باتخاذِ مقامِ إبراهيمَ مُصَلِّي ، للخبرِ الثابتِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الذي ذَكَرناه آنفًا ، وأن عمرو بنَ عليٍّ حدثنا ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ محمدٍ ، قال : حدثني أبي ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قرأ : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّي ﴾ ^(٢) .

(١ - ١) في م : « وإذ واتخذوا » .

(٢) القراءةان صواب لأنهما متواترتان .

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٥/٢٢ (١٤٤٤٠) ، وأبو داود (١٩٠٧ ، ١٩٠٩) ، وابن خزيمة (٢٧٥٤) من طريق يحيى بن سعيد به مطولاً ، وهو جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ في صحيح مسلم (١٢١٨) ، وينظر مسند الطيالسي (١٧٧٣) .

ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ .
وفي مقام إبراهيم ؛ فقال بعضهم : مقام إبراهيم هو الحج كله .

٥٣٦/١

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن
عطاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ . قال : الحج كله مقام إبراهيم ^(١) .
وحدثني المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبي
نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ . قال : الحج كله .
وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ،
قال : الحج كله مقام إبراهيم .
وقال آخرون : مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجماز .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي
نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح : ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ . قال : لأنني
قد جعلته إماما ، فمقامه عرفة والمزدلفة والجماز ^(٢) .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : [٣٩/٤] أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمّر ^(٣) ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٩/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٦/١ (١١٩٧) من طريق حجاج ، عن
ابن جريج به مطولا .

(٢) تفسير مجاهد ٢١٤/١ .

(٣) بعده في م : « عن قتادة » .

﴿ مُصَلَّى ﴾ . قال : مقامه جَمْعٌ ^(١) وعِرفَةٌ ومِنَى . لا أعلمه إلا وقد ذَكَرَ مكة ^(٢) .

وحدثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا أبو عاصِمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نَجِيحٍ ، عن عطائٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى ﴾ . قال : مقامه عِرفَةٌ .

وحدثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، قال : ثنا داوُدُ ، عن الشعبيِّ ، قال : نزلتْ عليه وهو واقفٌ بعِرفةَ مقامِ إبراهيمَ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ^(٣) الآية [المائدة : ٣] .

وحدثنا عمرو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا داوُدُ بنُ أبي هَندٍ ، عن الشعبيِّ مثله .

وقال آخرون : مقامُ إبراهيمَ الحرمُ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثْتُ عن حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى ﴾ . قال : الحرمُ كُلُّهُ مقامُ إبراهيمَ ^(٤) .

وقال آخرون : بل مقامُ إبراهيمَ هو الحَجَرُ الذي قام عليه إبراهيمُ حين ارتفع بناؤه ، وضَعُفَ عن رَفْعِ الحِجَارَةِ .

(١) جمع : المزدلفة . اللسان (ج م ع) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ .

(٣) سيأتي هذا الأثر في سورة المائدة من طريق عبد الأعلى ، وابن عليّ ، وليس فيه : عِرفة مقام إبراهيم .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٦/١ عقب الأثر (١١٩٨) معلقا .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن^(١) سنان القزاز ، قال : ثنا عبيد الله بن عبد المجيد أبو علي الحنفى ، قال : ثنا إبراهيم بن نافع ، قال : سمعت كثير بن كثير يحدث عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : جعل إبراهيم يتيه ، وإسماعيل يُناولُه الحجارَةَ ، ويقولان^(٢) : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارَةَ ، قام على حجرٍ ، فهو مقام إبراهيم^(٣) .

وقال آخرون : بل مقام إبراهيم ، هو مقامه الذى هو فى المسجد الحرام .

/ ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

٥٣٧/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَأَخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ : إنما أمروا أن يصلُّوا عنده ولم يؤمروا بمسجده ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما^(٤) تكلفتُه الأمم قبلها ، ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه^(٥) ، فما زالت هذه الأمة يمسخونه حتى اخلولق^(٦) وأمحي^(٧) .

(١) سقط من : م ، ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) فى الأصل : « يقولون » .

(٣) أخرجه البخارى (٣٣٦٥) من طريق إبراهيم بن نافع به مطولاً ، وليس فيه : فهو مقام إبراهيم . وكذلك أخرجه البخارى (٣٣٦٤) من طريق معمر ، عن أيوب وكثير بن كثير ، عن سعيد به مطولاً ، وهذه العبارة عند الأزرقي فى أخبار مكة ١/٢٧٣ ، ٢٧٤ من طريق مسلم بن خالد عن ابن جريج عن كثير به .

(٤) فى م ، ١ ، ٢ ، ٣ : « ما » .

(٥) بعده فى الأصل ، ١ ، ٢ ، ٣ : « فيها » ، وفى تفسير ابن كثير ١/٢٤٦ « فيه » . والمثبت موافق لما فى أخبار مكة والدر المنثور .

(٦) خلق الشيء خلقاً واخلولق : املاش ولان واستوى . اللسان (خ ل ق) .

(٧) فى الأصل : « امحى » .

والأثر أخرجه الأزرقي فى أخبار مكة ١/٢٧٢ من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١١٩ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

وَحَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارٍ، قَالَ: ثنا ابنُ أبي جعفرٍ، عن أبيه، عن الربيعِ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: ^(١) «يَأْمُرُهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى»، فهم يُصَلُّونَ خَلْفَ الْمَقَامِ.

وَحَدَّثَنِي مُوسَى ^(٢)، قَالَ: ثنا عمرو، قَالَ: ثنا أسباط، عن السديِّ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾: وهو الصلاةُ عندَ مقامِهِ فِي الْحَجِّ. والمقامُ هو الْحَجَرُ الَّذِي كَانَتْ زَوْجَةُ إِسْمَاعِيلَ وَضَعَتْ ^(٣) تَحْتَ قَدَمِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ غَسَلَتْ رَأْسَهُ، فَوَضَعَ إِبْرَاهِيمُ رِجْلَهُ عَلَيْهِ وَهُوَ رَاكِبٌ، فغَسَلَتْ شِقَّهُ، ثُمَّ رَفَعَتْهُ ^(٤) مِنْ تَحْتِهِ وَقَدْ غَابَتْ رِجْلُهُ فِي الْحَجَرِ، فَوَضَعَتْهُ تَحْتَ الشُّقِّ الْآخَرِ فغَسَلَتْهُ، فغَابَتْ رِجْلُهُ أَيْضًا فِيهِ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ مِنْ شَعَائِرِهِ، فَقَالَ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ^(٥).

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ عندنا ما قاله القائلون: إِنَّ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الْمَقَامُ الْمَعْرُوفُ بِهَذَا الْاسْمِ، الَّذِي هُوَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ لِمَا رَوَيْنَا أَنفَاءً عَنْ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ، وَلِمَا حَدَّثَنَا بِهِ يَوْسُفُ بْنُ سَلِيمَانَ، قَالَ: ثنا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: ثنا جَعْفَرُ ابْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اسْتَلَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّكْنَ، [٣٩/٤ ظ] فَرَمَلَ ثَلَاثًا، وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ ^(٦) إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ فَقَرَأَ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ^(٧).

(١ - ١) سقط من: م .

(٢) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يونس» .

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «وضعت» .

(٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «دفعته» .

(٥) أخرج ابن أبي حاتم أوله في تفسيره ٢٢٧/١ (١٢٠٢) من طريق عمرو به .

(٦) في الأصل: «نفذ» بالبدال المهملة .

(٧) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤) من طريق حاتم بن إسماعيل به،

وهو جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ، وينظر ص ٥٢٤ .

فهذان الخبران يُثَبِّتان أَنَّ اللَّهَ تعالى ذِكْرُهُ إنما عَنَى بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ الذى أَمَرنا^(١) باتخاذِهِ مَصَلًى مِنْهُ^(٢)، هو الذى وَصَفْنَا، ولو لم يكنْ على صِحِّحَةٍ ما اخْتَرْنَا فى تَأْوِيلِ ذلك خَبْرٌ عن رَسولِ اللَّهِ ﷺ، لكان الواجبُ من القولِ فيه ما قلنا؛ وذلك أَنَّ الكلامَ مَحْمولٌ معناه على ظاهِرِهِ المعروفِ دونَ باطنِهِ المجهولِ، حتى يَأْتى ما يدلُّ على خِلافِ ذلك مما يَجِبُ التَّسْلِيمُ له. ولا شكَّ أَنَّ المعروفَ فى الناسِ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، هو^(٣) ما وَصَفْتُ دونَ جَمِيعِ الحَرَمِ، ودونَ مَوَاقِفِ الحَجِّ كُلِّها.

وأما^(٤) المَصَلًى الذى قالَ اللَّهُ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى﴾. فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مُخْتَلِفُونَ فى معناه؛ فقالَ بَعْضُهُمْ: هو المَدْعَى.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا سفيان بن عُيينة، عن ابنِ أبى نَجِيح، عن مجاهد: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى﴾. قال: مَصَلًى إِبْرَاهِيمَ مُدْعَى^(٤).
وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل اتَّخِذُوا مَصَلًى تَصَلُّونَ عنده.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قال: ثنا يزيدُ بْنُ زُرَّيْعٍ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادة، قال: أمروا أن يُصَلُّوا عنده^(٥).

(١) بعده فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «اللَّهُ».

(٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٣-٣) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢١٤- تفسير) عن سفيان به، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٧/١.

(١٢٠١) من طريق زكريا بن إسحاق، عن ابن أبى نجيح به.

(٥) تقدم تخريجه بتمامه فى ص ٥٢٧.

٥٣٨/١ / وحدثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدّي ، قال : هو الصلاة عنده ^(١) .

فكانّ الذين قالوا : تأويلُ المصلّي ههنا المُدعى . وجَّهوا المصلّي إلى أنه مُفعل ، من قولِ القائلِ : صليتُ . بمعنى : دعوتُ . وقائلو هذه المقالة هم الذين قالوا : إن مقام إبراهيم هو الحجُّ كله .

فكانّ معناهم في تأويلِ هذه الآية : واتَّخذوا عرفةَ والمزدلفةَ والمشعرَ والجمراتِ ^(٢) وسائرَ أماكنِ الحجِّ التي كان إبراهيمُ يقومُ بها ، مُدعىً ^(٣) تدعونني ^(٤) عندها ، وتأتُّمون ^(٥) بإبراهيمَ خليلي صلواتُ الله عليه فيها ، فإني قد جعلته لمن بعده - من أوليائي وأهلِ طاعتي - إمامًا يقتدون به وبآثاره ، فاقْتدوا به .

وأما تأويلُ القائلين القولَ الآخرَ ، فإنه : اتَّخذوا أيها الناسُ من مقامِ إبراهيمَ مُصلىً تُصلُّون عنده ، عِبادةً منكم لى ، وتُكرِّمهُ منى لإبراهيمَ .

وهذا القولُ هو أولى بالصوابِ عندنا ؛ لما ذكرنا من الخبرِ عن عمرَ بنِ الخطَّابِ وجابرِ بنِ عبدِ الله ، عن رسولِ الله ﷺ .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ .

[٤٠/٤] و[٤٠/٤] يعني جلَّ ثناؤه بقوله : ﴿ وَعَهْدَنَا ﴾ : وأمرنا .

(١) تقدم تخريجه بتمامه في ص ٥٢٨ .

(٢) في م : « الجمار » .

(٣) في م : « مداعى » .

(٤) في الأصل : « يدعونني » .

(٥) في الأصل : « يأتُّمون » .

كما حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما عهدُهُ؟ قال: أمرُهُ^(١).

وحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. قال: أمرناه^(٢).

فمعنى الآية: وأمرنا إبراهيم وإسماعيل بتطهير بيتي للطائفتين. و«التطهير» الذي أمرهما الله به في البيت هو تطهيره من الأصنام، وعبادة الأوثان فيه، ومن الشرك بالله.

فإن قال قائل: وما معنى قوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾؟ وهل كان أيام إبراهيم - قبل بناءه البيت - بيت يطهر من الشرك وعبادة الأوثان في الحرم، فيجوز أن يكونا أمرا بتطهيره؟

قيل: لذلك وجهان من التأويل، قد^(٣) قال بكل^(٣) واحد من الوجهين من أهل التأويل جماعة؛ أحدهما: أن يكون معناه: وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن ائبنا بيتي مطهرا من الشرك والرب، كما قال جل ثناؤه: ﴿أَفَمَنَ اسْتَسَبَّ بِمُكِّنِهِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِن اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ اسْتَسَبَّ بِمُكِّنِهِ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]. فكذلك قوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهَّرَا بَيْتِي﴾. أى: ائبنا بيتي على طهر من الشرك بى والرب.

كما حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط،

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٧/١، عن ابن جريج به، وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٢١/١ إلى المصنف.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٨/١.

(٣) (٣ - ٣) في م، ت ١، ت ٣: «كان لكل».

عن الشَّدْيِ : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ . يقول : ائبنا بيتي للطائفين ^(١) .

فهذا أحدُ وجهَيْهِ .

والوجهُ الآخرُ منهما : أن يكونا أمرا بأن يُطَهَّرَا مكانَ البيتِ قبلَ بنائِهِ ^(٢) والبيتُ بعدَ بنائِهِ ^(٣) ، مما كان أهلُ الشركِ باللهِ يَجْعَلُونَهُ فِيهِ ، على عهدِ نوحٍ ومَن قبلَهُ مِنَ الأوثانِ ؛ ليكونَ ذلكَ سُنَّةً لِمَن بعدهما ، إذ كان اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ قد جعلَ إبراهيمَ إمامًا يُقْتَدَى بِهِ ^(٤) بعده .

٥٣٩/١ / كما حدَّثني يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ . قال : مِنَ الأصْنَامِ التي يَعْْبُدُونَ ، التي كانَ المشركونَ يُعْظَمُونَهَا ^(٤) .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ : معنَى قَوْلِهِ : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ أَي : طَهَّرَاهُ مِنَ الشُّرْكِ وَالرِّيبِ ^(٥)

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأَوهَازِيُّ ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ^(٦) ، عن عطاءٍ ، عن عُبيدِ بنِ عُمَيْرٍ : ﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾

(١) سقط من م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٧/١ (١٢٠٤) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) في م : « بنيانه » .

(٣) بعده في م : « من » .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٤٨/١ .

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦) في م : « أبي ليحج » .

قال : من الآفات^(١) والرَّيْبِ^(٢) .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، عن عُبيدِ بنِ عُمَيْرٍ مثله^(٣) .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : من الشركِ^(٤) .

وحدَّثنا أحمدُ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا^(٥) إسرائيلُ ، عن أبي حصينٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ . قال : من الأوثانِ^(٦) .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ [٤/٤٠٤] ، قال : أخبرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ . قال : من الشركِ وعبادةِ الأوثانِ^(٧) .

حدَّثنا بشرُ بنُ مُعَاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدُ ، عن قتادةَ بمثله ، وزاد فيه : وقولِ الزُّورِ^(٨) .

القولُ في تأويلِ قوله جلُّ ثناؤه : ﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾ .

اختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى « الطائِفينِ » في هذا الموضعِ ؛ فقال بعضهم : هم

(١) في م : « الأوثان » .

(٢) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١٩٩/١ من طريق عثمان بن ساج ، عن ابن جريج به .

(٣) تفسير سفيان ص ٢١٠ .

(٤) بعده في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبو » . وينظر تهذيب الكمال ٥١٥/٢ .

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره ١١٤/٢ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ ، ٣٦/٢ .

(٧) عزاه السيوطى في الدر المنثور ١٢١/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

الغرباء الذين يَتَّبِعُونَ^(١) البيت الحرام من غربة .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا أبو حصين ، عن سعيد ابن جبير في قوله : ﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾^(٢) قال : مَنْ أَتَاهُ مِنْ غَرَبَةٍ^(٣) .

وقال آخرون : بل الطائفون هم الذين يَطُوفُونَ بِهِ ، غَرَبًا كَانَ^(٤) أَوْ مِنْ أَهْلِهِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمد بن العلاء ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكر الهذلي ، عن عطاء : ﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾^(٥) . قال : إِذَا كَانَ طَائِفًا بِالْبَيْتِ ، فَهُوَ مِنَ الطَّائِفِينَ^(٦) .

وأولى التأويلين بالآية ما قاله عطاء ؛ لأن الطائف هو الذى يَطُوفُ بِالشَّيْءِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَالطَّائِرُ مِنْ غَرَبَةٍ لَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ طَائِفٍ بِالْبَيْتِ إِنْ لَمْ يَطُفْ بِهِ .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾^(٧) .

يعنى تعالى ذكروه بقوله : ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ : والمقيمين به . والعاكف على الشئ : المقيم عليه ، كما قال نابغة بنى دؤبان^(٨) :

عُكُوفًا لَدَىٰ أُبْيَاتِهِمْ يَشْمِدُونَهُمْ^(٩) رَمَى اللَّهُ فِي تِلْكَ الْأَكْفِ الْكُوانِعِ^(١٠)

(١) فى م : « يأتون » . ويتأبون : يأتون مرة بعد مرة . اللسان (ن و ب) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ (١٢١١) من طريق أبى بكر بن عياش به .

(٣ - ٣) فى م ، ت ١ : « غرباء كانوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٢٨/١ (١٢٠٩) من طريق أبى بكر الهذلى به نحوه .

(٥) ديوانه ص ١٨٩ ، وفيه : « قعودا » مكان « عكوف » .

(٦) يشمدونهم : يطلبون معروفهم فى إلحاح . اللسان (ث م د)

(٧) الكوانع : الذليلة . اللسان (ك ن ع) .

وإنما قيل للمُعْتَكِفِ : مُعْتَكِفٌ . من أجل مُقَامِهِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى .

/ ثم اختلف أهل التأويل في مَنْ عَنَى اللَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ ؛ فقال ٥٤٠/١ بعضهم : عَنَى بِهِ الْجَالِسَ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ طَوَافٍ وَلَا صَلَاةٍ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي بكرٍ الهذلي ، عن عطية ، قال : إذا كان طائفاً بالبيت ، فهو من الطائفين ، وإذا كان جالساً ، فهو من العاكفين ^(١) .
وقال بعضهم : العاكفون : هم المُعْتَكِفُونَ الْمُجَاوِرُونَ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أحمدُ بنُ إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا شريك ، عن جابر ، عن مُجَاهِدٍ [٤/٤١٤] وعكرمة : ﴿ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ . قال : العاكفون ^(٢) المُجَاوِرُونَ .

وقال بعضهم : العاكفون هم أهل البلد الحرام .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكرٍ بنُ عياش ، قال : ثنا أبو حصين ، عن سعيدِ ابنِ جبيرة في قوله : ﴿ وَالْعَاكِفِينَ ﴾ قال : أهل البلد ^(٣) .

(١) الشطر الأول تقدم في ص ٥٣٤ ، والشطر الثاني ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٢) معلقاً .

(٢) سقط من : م .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٣) معلقاً .

وحدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: العاكفون أهلُه^(١).

وقال آخرون: العاكفون هم المصلون.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس في قوله: ﴿طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ قال: العاكفون المصلون.

وأولى هذه التأويلات بالصواب ما قاله عطاء، وهو أن العاكف في هذا الموضع المقيم في البيت مجاوراً فيه بغير طواف ولا صلاة؛ لأن صفة العكوف ما وصفنا من الإقامة بالمكان؛ والمقيم بالمكان قد يكون مقيماً به وهو جالس ومصلٍ وطائف ونائم^(٢)، وعلى غير ذلك من الأحوال، فلما كان جل ثناؤه قد ذكر في قوله: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ المصلين والطائفين، علم بذلك أن الحال التي عني جل ثناؤه من العاكف غير حال المصلّي والطائف، وأن الذي عني من أحواله هو العكوف بالبيت على سبيل الجوار فيه، وإن لم يكن مُصلِّياً فيه ولا راکعاً ولا ساجداً.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَالرُّكَّعِ﴾ جماعة القوم الراكعين فيه له،

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٨/١ عقب الأثر (١٢١٣) معلقاً.

(٢) في م: « قائم ».

(٣) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: « التي ».

واحدُهم « رَاكِعٌ » . وكذلك ﴿ السُّجُودِ ﴾ هم جماعةُ القومِ الساجدين فيه له ،
واحدُهم « ساجِدٌ » ، كما يُقالُ : رجلٌ قاعِدٌ ، ورجالٌ قُعودٌ ، ورجلٌ جالسٌ ،
ورجالٌ مُجلوسٌ . وكذلك : رجلٌ ساجِدٌ ، ورجالٌ سجدوا .
وقيل ^(١) : غُني بـ ﴿ الرُّكْعِ السُّجُودِ ﴾ : المصلون .

٥٤١/١

/ ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا وكيعٌ ، عن أبي بكرٍ الهذليِّ ، عن عطاءٍ :
﴿ وَالرُّكْعِ السُّجُودِ ﴾ قال : إذا كان يُصَلِّي فهو مِنَ الرُّكْعِ السُّجُودِ ^(٢) .
[٤١/٤ظ] حدَّثنا بشرٌ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ :
﴿ وَالرُّكْعِ السُّجُودِ ﴾ ، أهلُ الصلاةِ ^(٣) .
وقد أتينا فيما مضى على بيانِ معنى « الركوع » و« السجود » ، فأغتنى ذلك عن
إعادته ^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ .
يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ : واذكروا
إذ قال إبراهيمُ : ربِّ اجْعَلْ هذا البلدَ بلدًا آمنًا . يعنى بقوله : ﴿ آمِنًا ﴾ : آمنًا من
الجبابرة وغيرهم ، أن يُسلطوا عليه ، ومن عقوبةِ اللهِ أن تناله ، كما تنالُ سائرَ البلدانِ ،
من خسفٍ واثتفكٍ ^(٤) وغرقٍ ، وغير ذلك من سخطِ اللهِ ومثلاته التي تُصيبُ سائرَ

(١) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « بل » .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٩/١ عقب الأثر (١٢١٦) معلقا .

(٣) ينظر ما تقدم في ٦١٣/١ ، ٧١٥ .

(٤) في م : « انتقال » . والاثتفك : الانقلاب ، يقال منه : اثتفكت بهم الأرض ، أى انقلبت . ينظر
اللسان (أ ف ك) .

البلادِ غيره .

كما حَدَّثَنَا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِرَ لنا أن الحَرَمَ حُرْمٌ ^(١) بحِياله إلى العرشِ ^(١) . وَذُكِرَ لنا أن البيتَ هَبَطَ مع آدمَ حينَ هَبَطَ ، قال اللهُ له : أَهْبِطْ معك بيتي يُطَافُ حولَه كما يُطَافُ حولَ عَوْشِي . فطَافَ حولَه آدمُ وَمَن كان بعَدَه مِنَ المؤمنين ، حتى إذا كان زَمَنُ الطُوفانِ - حينَ أغْرَقَ اللهُ قومَ نوحٍ - رَفَعَه وطَهَّرَه فلم تُصَبِّه عُقوبَةُ أهْلِ الأرضِ ، فَتَبَّعَ منه إبراهيمُ أثرًا ، فبناه على أساسٍ قديمٍ كان قبلَه ^(٢) .

فإن قال لنا قائلٌ : أو ما كان الحَرَمُ آمِنًا إلا بعدَ ما سألَ إبراهيمُ رَبَّه له الأمانَ ؟ قيل : قد اِخْتَلَفَ في ذلك ؛ فقال بعضهم : لم يَزَلِ الحَرَمُ آمِنًا مِنَ عقوبَةِ اللهِ وعقوبةِ جبابرةِ خلقِه ، منذُ خُلِقَتِ السماواتُ والأرضُ .

واعْتَلُّوا في ذلك بما حَدَّثَنَا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، قال : حَدَّثَنِي سعيدُ بنُ أبي سعيدٍ المَقْبُرِيُّ ، قال : سمعتُ أبا شُريحٍ الخَزاعِيَّ يقولُ : إن رسولَ اللهِ ﷺ لما افتتَحَ مكةَ قَتَلت خَزاعَةَ رجلاً مِن هُدَيلٍ ، فقام رسولُ اللهِ ﷺ خطيبًا فقال : « يا أَيُّها الناسُ ، إن اللهَ حَرَّمَ مكةَ يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ ، فهي حرامٌ بحرامٍ ^(٣) اللهُ إلى يومِ القِيامةِ ، لا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أن يَسْفِكَ فيها ^(٤) دَمًا ، أو يَعْضِدَ بها شَجَرًا ^(٥) ، وإنها لا تَحِلُّ لأحدٍ بعدي ،

(١ - ١) في حاشية الأصل : « في الأم : بحياله العرش » .

(٢) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١/٣٥٥ من طريق يزيد به إلى قوله : « العرش » .

(٣) في م ، ت ، ٢ : « بحرمة » .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بها » .

(٥) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ألا » .

لا^(١) تَحِلُّ لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةُ غَضِبًا^(٢) عَلَى أَهْلِهَا ، أَلَا فَهِيَ قَدْ رَجَعَتْ عَلَى حَالِهَا بِالْأَمْسِ ، / أَلَا لِيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَمَنْ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَتَلَ بِهَا ، ٥٤٢/١ فقولوا : إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَلَّهَا لِرَسُولِهِ وَلَمْ يُحِلَّهَا لَكَ^(٣) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ وَكَيْعٍ ، قَالَا : ثنا جَرِيرٌ ، جَمِيعًا عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زَيْدٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ [٤٢/٤] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَلَكَةٍ حِينَ افْتَسَحَهَا : « هَذِهِ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ الشَّمْسَ^(٤) وَالْقَمَرَ^(٥) وَوَضَعَ هَذَيْنِ الْأَخْشَبَيْنِ ، لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي ، أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ »^(٥) .

قالوا : فمكة لم تزل منذ خُلِقَتْ حَرَمًا آمِنًا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَعِقَابِ الْجَبَابِرَةِ .

قالوا : وقد أَخْبَرَتْ عَنْ صِحَّةِ مَا قُلْنَا مِنْ ذَلِكَ الرَّوَايَةُ الثَّابِتَةُ^(٦) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا .

قالوا : ولم يسأل إبراهيم ربه أن يؤمنه من عقوبته وعقوبة الجبابرة ، ولكنه سأله أن يؤمن أهلَه من الجدوبِ والقحوطِ ، وأن يرزق ساكنيه^(٧) من الثمراتِ ، كما أخبر ربه عنه أنه سأله بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ رَبِّهِ عَنهُ أَنَّهُ سَأَلَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لم » .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عصى » .

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل ٨٣/٥ من طريق يونس بن بكير به ، وأخرجه أحمد ٣٠٠/٤ (١٦٣٧٧) ، والطحاوي ٢٦٠/٢ ، والطبراني في الكبير ١٨٥/٢٢ (٤٨٥) من طرق عن ابن إسحاق به بنحوه ، كما أخرجه البخاري (١٠٤) ، (١٨٣٢) ، (٤٢٩٥) ، ومسلم (١٦٥٤) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري به بنحوه .

(٤ - ٥) سقط من : الأصل ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ٤٩٦/١٤ ، ٤٩٧ ، والدارقطني ٢٣٥/٤ من طريق يزيد به .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الثانية » .

(٧) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ساكنه » .

الْتَمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١﴾ .

قالوا : وإنما سأل ربّه ذلك ؛ لأنه أَسْكَنَ فيه ذُرِّيَّتَهُ ، وهو غيرُ ذِي زَرْعٍ ولا ضَرْعٍ ، فاستعاذ برّبّه من أن يُهْلِكَهم بها جوعاً وعطشاً ، فسأله أن يُؤمّنهم مما حذر عليهم منه .

قالوا : وكيف يجوزُ أن يكونَ إبراهيمُ صلواتُ اللهِ عليه سألَ ربّه تحريمَ الحرمِ ، وأن يؤمّنهُ من عقوبته وعقوبة جبابرة خلقه ، وهو القائلُ حينَ حلّه ونزله بأهله وولده : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] .

قالوا : فلو كان إبراهيمُ هو الذي حرّم الحرمَ أو سألَ ربّه تحريمه لما قال : ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ، عندَ نزوله به ، ولكنه حرّم قبله وحرّم بعده .

وقال آخرون : كان الحرمُ حلالاً قبلَ دعوة إبراهيمَ كسائرِ البلادِ غيره ، وإنما صار حراماً^(١) بتحريمِ إبراهيمَ إياه ، كما كانت مدينةُ رسولِ اللهِ ﷺ حلالاً قبلَ تحريمِ رسولِ اللهِ ﷺ إياها ،^(٢) فصارت حراماً بتحريمِ رسولِ اللهِ ﷺ إياها^(٣) .

قالوا : والدليلُ على صحّة ما قلنا في ذلك ما حدّثنا به ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إن إبراهيمَ حرّم بيتَ اللهِ وأمنه ، وإنّي حرّمت المدينةَ ما بينَ لابتيها^(٤) ، فلا يصادُ صبيدُها ، ولا تُقَطَّعُ عِضابُها^(٥) » .

(١) في الأصل : « حرماً » .

(٢ - ٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) اللابنان : ثنية لابة ، وهي الحوة ، وهي الأرض ذات الحجارة السود التي قد ألبستها لكثرتها .
النهاية ٢٧٤/٤ .

(٤) العِضاب : أعظم الشجر ، وقيل : ما عظم من شجر الشوك . اللسان (ع ض هـ) .

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٢٨٤) عن ابن بشار به ، وأخرجه مسلم (١٣٦٢) من طريق سفيان به .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ^(١) حدثنا ابنُ إدريسَ ، وحدثنا أبو كريب ، قال ^(٢) ثنا عبدُ الرحيمِ الرازِيُّ ، ^(٣) قالاً جميعاً : سمِعنا ^(٤) أشعثَ ، عن نافعٍ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَ اللَّهِ وَخَلِيلَهُ ، وَإِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا ؛ عِضَاهَا وَصَيْدَهَا ، وَلَا يُحْمَلُ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ ، وَلَا يُقَطَّعُ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لَعَلْفٍ بَعِيرٍ » ^(٥) .

/ وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا بكرُ بنُ مُضَرٍّ ، عن ابنِ الهاديِّ ، ٥٤٣/١ ، عن أبي بكرِ بنِ محمدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو بنِ عثمانَ ، عن رافعِ بنِ خديجٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ ، وَإِنِّي أُحَرِّمُ ^(٤) مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا » ^(٥) .

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعاب ذكرها [٤٢/٤] ظ الكتاب .

قالوا : وقد أخبر الله تعالى ذكره في كتابه أن إبراهيم قال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ ولم يخبر عنه أنه سأله أن يجعله أمناً من بعض الأشياء دون بعض ، فليس لأحد أن يدعى أن الذي سأله من ذلك الأمان له من بعض الأشياء دون بعض إلا بحجةٍ يجِبُ التسليمُ لها .

قالوا : وأما خبرُ أبي شريحٍ وابنِ عباسٍ فخيران لا تثبتُ بمثلهما في الدينِ حجةٌ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢ - ٢) في م : « سمعت » ، وفي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قالوا سمعنا » .

(٣) عزاه المتقى الهندي في كنز العمال (٣٨١٥٦) إلى المصنف عن نافع به ، وأخرجه مسلم (١٣٧٣) ، والترمذى (٣٤٥٤) من طريق سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بنحوه .

(٤) بعده في م : « المدينة » .

(٥) أخرجه أحمد ٥٠٩/٢٨ (١٧٢٧٣) ، ومسلم (١٣٦١) والبيهقي ١٩٧/٥ ، ١٩٨ من طريق قتيبة به ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٤٣٢٦) من طريقين عن بكر به ، وأخرجه أحمد ٥٠٧/٢٨ ، ٥٠٨ (١٧٢٧١) ، والطحاوي ١٩٣/٤ ، والطبراني (٤٣٢٥ ، ٤٣٢٧ ، ٤٣٢٨) من طرق عن يزيد به .

لما في أسانيدِهِما مِنَ الأسبابِ التي «يَجِبُ التَّثَبُّتُ»^(١) فيها مِنْ أَجْلِها .

والصوابُ مِنَ القولِ في ذلكِ عندنا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ مَكَّةَ حَرَمًا حِينَ خَلَقَها وَأَنْشَأَها ، كما أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ حَرَمَها يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِغَيْرِ تَحْرِيمٍ مِنْها لَهَا عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنَ أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَكِنْ مَبْنَعُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَنْ أَرادَها بسوءٍ ، وَبَدَفِعَهُ عَنْها مِنَ الْآفَاتِ وَالْعُقُوبَاتِ وَعَنْ سَاكِنِيها ، ما أَحَلَّ بِغَيْرِها وَغَيْرِ ساكِنِيها مِنَ التُّقْمَاتِ ، فلم يَزَلْ ذلكِ أَمْرَها حَتَّى بَوَّأَها اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ ، وَأَسَكَنَ بِها أَهْلَهُ هاجِرَ وَوَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ ، فَسَأَلَ حِينَئِذٍ إِبْرَاهِيمُ رَبَّهُ إِجْبابَ^(٢) فَرَضِ تَحْرِيمِها عَلَى عِبادِهِ عَلَى لِسَانِهِ ؛ لِيَكُونَ ذلكِ سَنَةً لِمَنْ بَعَدَهُ مِنَ خَلْقِهِ يَسْتَشْتُونَ بِهِ^(٣) فِيها ، إِذْ كانَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَدْ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جاعِلُهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ ، فَأَجابَهُ رَبُّهُ إِلَى ما سَأَلَهُ ، وَالزَّمَ عِبادَهُ حِينَئِذٍ فَرَضِ تَحْرِيمِهِ عَلَى لِسَانِهِ .

فصارَتِ مَكَّةُ بَعْدَ أَنْ كانَتِ مَمْنوعَةً بِمَنْعِ اللَّهِ إِيّاها بِغَيْرِ إِجْبابِ اللَّهِ فَرَضَ الامْتِناعِ مِنْها عَلَى عِبادِهِ ، وَمَحْرَمَةً بَدَفِعِ اللَّهُ عَنْها بِغَيْرِ تَحْرِيمِهِ إِيّاها عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنَ رُسُلِهِ - فَرَضًا تَحْرِيمِها عَلَى خَلْقِهِ عَلَى لِسَانِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَواجِبًا عَلَى عِبادِهِ الامْتِناعِ مِنَ اسْتِحْلالِها ، واسْتِحْلالِ صَيْدِها وَعَضائِها ، بِإِجْبابِهِ الامْتِناعِ مِنَ ذلكِ ؛ بِبِلاغِ إِبْرَاهِيمَ رِسالَةَ اللَّهِ إِلَيْهِ بِذلكِ إِلَيْهِمْ^(٤) ، فَلذلكِ أُضِيفَ تَحْرِيمُها إِلَى إِبْرَاهِيمَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ^(٥) حَرَّمَ مَكَّةَ » ؛ لِأَنَّ فَرَضَ تَحْرِيمِها الَّذِي أَلْزَمَ اللَّهُ عِبادَهُ عَلَى وَجهِ العِبادَةِ لَهُ بِهِ - دُونَ التَّحْرِيمِ

(١ - ١) في م : « لا يجب التسليم » .

(٢) في م ، ت ٣ : « إيجاد » .

(٣) في م : « بها » .

(٤) في م : « إليه » .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

الذى لم يَزَلِ^(١) اللهُ منفردًا^(١) لها به على وجه الكِلَافَةِ والحَفِظِ لها قبل ذلك - كان عن مسألة إبراهيم ربّه إيجابَ فرضِ ذلك على لسانه ، لزم العبادَ فرضُه دونَ غيره . فقد تبينَ إذن بما قلنا صحّةُ معنى الخبرين ؛ أعنى خبرِ أبى شريحِ وابنِ عباسِ ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ » . وخبرِ جابرِ وأبى هريرةَ ورافِعِ بنِ خَدِيجِ وغيرِهِم ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ » . وَأَنْ لَيْسَ أَحَدُهُمَا دَافِعًا صَحَّةَ مَعْنَى الْآخِرِ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ الْجُهَالِ .

وغيرُ جائزٍ فى أخبارِ رسولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهَا دَافِعًا بَعْضًا إِذَا ثَبِتَ صَحَّتُهَا ، وَقَدْ جَاءَ الْخَبْرَانِ اللَّذَانِ زُويَا فى ذَلِكَ عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ مَجِيئًا ظَاهِرًا مُسْتَفِيضًا يَقْطَعُ عَذَرَ مَنْ بَلَغَهُ .

/ وَأَمَّا^(٢) قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم ٣٧] . فَإِنَّهُ [٤/٤٣] إِنْ يَكُنْ قَالَ ذَلِكَ^(٢) قَبْلَ إِجْبَابِ اللهِ فَرَضَ تَحْرِيمَهُ عَلَى لِسَانِهِ عَلَى خَلْقِهِ ، فَإِنَّمَا عَنِ بِذَلِكَ تَحْرِيمِ اللهِ إِيَّاهُ الَّذِى حَرَّمَهُ بِحِيَاطَتِهِ إِيَّاهُ وَكِلَافَتِهِ^(٣) ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمِهِ إِيَّاهُ عَلَى خَلْقِهِ عَلَى وَجْهِ التَّعْبُدِ لَهُمْ بِذَلِكَ ، وَإِنْ يَكُنْ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ تَحْرِيمِ اللهِ إِيَّاهُ عَلَى لِسَانِهِ عَلَى خَلْقِهِ عَلَى وَجْهِ التَّعْبُدِ ، فَلَا مَسْأَلَةَ لِأَحَدٍ عَلَيْنَا فى ذَلِكَ .

القولُ فى تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

وهذه مسألةٌ من إبراهيم ربّه أن يَزُوقَ مؤمنى أهلِ مَكَّةَ مِنَ الثَّمَرَاتِ دُونَ

(١ - ١) فى م ، ت ، ١ : « متعبدا لها » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) فى م ، ت ، ١ : « كلالته » .

كافريهم ، وخصَّ بمسألة ذلك للمؤمنين دون الكافرين ، لما أعلمه الله - عند مسألتِهِ إياه أن يجعلَ من ذرِّيته أئمةً يُقتدى بهم - أن منهم الكافر الذي لا ينالُ عهدَهُ ، والظالم الذي لا يُدركُ ولايته ، فلما^(١) علم أن من ذرِّيته الظالم والكافر ، خصَّ بمسألتِهِ ربَّهُ أن يوزُقَ من الثمراتِ من سكانِ مكة المؤمنَ منهم دون الكافر ، وقال اللهُ له : قد أجبْت دعاءك ، وسأزُوقُ مع مؤمنى أهلِ هذا البلدِ كفارهم ، فأمتعه به قليلاً .

فأما « مَنْ » في قوله : ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ فإنه نصبٌ على الترجمة والبيان عن « الأهلِ » ، كما قال جلُّ ثناؤه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢١٧] . بمعنى : يسألونك عن قتالٍ في الشهرِ الحرامِ . وكما قال تعالى ذكره : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] . بمعنى : ولله حِجُّ البيتِ على من استطاع إليه سبيلاً .

وإنما سأل إبراهيمُ ربَّهُ ما سأل من ذلك ؛ لأنه حلٌّ بوادٍ غيرِ ذى زرع ولا ماءٍ ولا أهلٍ ، فسأل أن يوزُقَ أهله ثمرًا ، وأن يجعلَ أفئدةً من^(٢) الناسِ تهوى إليهم . فذكر أن إبراهيمَ لما سأل ذلك ربَّهُ ، نقل اللهُ الطائفَ من^(٣) فلسطينَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحجاج ، قال : ثنا هشامٌ ، قال : قرأتُ على محمدِ بنِ مسلمِ الطائفيِّ أن إبراهيمَ لما دعا للحرمِ : ﴿ وَأَزُوقُ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ : نقل اللهُ الطائفَ من^(٣) فلسطينَ^(٤) .

القولُ فى تأويلِ قوله جلُّ ثناؤه : ﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى قائلِ هذا القولِ ، وفى وجهِ قراءتِهِ ؛ فقال بعضهم : قائلُ

(١) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أن » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) زيادة من مصدر التخريج .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٠/١ (١٢٢٢) من طريق هشام به .

[٤/٤٣ظ] هذا القول ربنا تعالى ذكره . وتأويله على قولهم : قال الله : ومن كفر بي فأمّته برزقي من الثمرات قليلاً في الدنيا إلى أن يأتيه أجله . وقرأ قائلو هذه المقالة ذلك : ﴿ فَأَمَّتْهُ ﴾ بتشديد التاء ورفع العين^(١) .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدّثني أبو العالية ، عن أبي بن كعب في قوله : ﴿ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ ﴾ . قال : هو قولُ الربِّ تبارك وتعالى^(٢) .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاق : لما قال إبراهيمُ : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ وعزل^(٣) الدعوة عن أبي الله أن يجعل له الولاية ؛ انقطاعاً إلى الله ومحبه^(٤) ، وفراقاً لمن خالف أمره ، وإن كانوا من ذريته حين عرف أنه كائن^(٥) / منهم ظالم لا ينال عهده ، ٥٤٥/١ بخبره عن ذلك حين أخبره ، فقال الله : ومن كفر ، فإني أرزُق البرَّ والفاجر فأمّته قليلاً^(٦) .

وقال آخرون : بل قال ذلك إبراهيم خليل الرحمن على وجه المسألة منه ربّه أن يوزُق الكافر أيضاً من الثمرات بالبلد الحرام ، مثل الذي يوزُق به المؤمن ، ويؤمّته بذلك قليلاً^(٧) في حياته حتى تحترمه مبيّته . وقرأ قائلو ذلك : (وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا^(٧)) ثم

(١) هي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وأبي عمرو وحزمة والكسائي ، وقرأ ابن عامر : (فأمّته) . خفيفة من : أمّتت . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧٠ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٠/١ (١٢٢٤) من طريق أبي جعفر به .

(٣) في م : « عدل » .

(٤) في م ، ت ، ١ : « محبة » .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : « كان » .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٥٣/١ عن ابن إسحاق .

(٧ - ٧) سقط من : م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ .

اضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ . بتخفيفِ التاءِ وجزمِ العينِ ، وفتحِ الراءِ من (اضْطَرَّهُ) ،
ووصلِ^(١) (ثم اضْطَرَّهُ) بغيرِ قطعِ ألفِها^(٢) ، على وجهِ الدعاءِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ رَبِّهِمْ لَهُمْ الْمَسْأَلَةُ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ،
قَالَ : قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : ذَلِكَ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ يَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ (مَنْ كَفَرَ
فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا)^(٣) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ،^(٤) عَنْ أَبِيهِ ،
عَنْ لَيْثٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : (وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعَهُ قَلِيلًا) . يَقُولُ : وَمَنْ كَفَرَ فَارْزُقْهُ أَيْضًا (ثُمَّ
اضْطَرَّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ)^(٥) .

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا وَالتَّأْوِيلُ مَا قَالَهُ أَبِي بَنُ كَعْبٍ^(٦) وَقَرَأَ بِهِ ؛
لِقِيَامِ الْحُجَّةِ بِالنَّقْلِ الْمُسْتَفِيضِ وَرِاثَةِ^(٧) بَتَّصْوِيبِ ذَلِكَ ، وَشُدُودِ مَا خَالَفَهُ مِنَ الْقِرَاءَةِ ،
وغيرِ جَائِزِ الْإِعْتِرَاضِ بِمَنْ كَانَ جَائِزًا عَلَيْهِ فِي نَقْلِهِ الْخَطَأُ وَالسَّهْوُ عَلَى مَنْ كَانَ ذَلِكَ
غَيْرَ جَائِزٍ عَلَيْهِ فِي نَقْلِهِ .

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ : قَالَ اللَّهُ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ أَجَبْتُ دَعْوَتَكَ
وَرَزَقْتُ مُؤْمِنِي أَهْلَ هَذَا الْبَلَدِ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَكَفَّارَهُمْ مَتَاعًا لَهُمْ إِلَى بَلُوغِ آجَالِهِمْ ، ثُمَّ

(١) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فَصَل » .

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ . الْبَحْرُ الْحَيْطُ ١ / ٣٨٤ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١ / ٢٣٠ (١٢٢٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ٢ .

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١ / ٢٥٣ عَنْ مُجَاهِدٍ .

(٦ - ٦) فِي م : « وَقَرَأَتْهُ » .

(٧) فِي م ، ت ١ : « دَرَايَةٌ » .

أضطرُّ كفارهم بعد ذلك [٤/٤٤] إلى عذاب النار .

وأما قوله : ﴿ فَأَمْتَعُهُ قَلِيلًا ﴾ فإنه يعنى : فأجعل ما أزرُّهُ من ذلك فى حياته متاعًا يمتنع به إلى وقت مماته .

وإنما قلنا : إن ذلك كذلك ؛ لأن الله جل ثناؤه إنما قال ذلك لإبراهيم جوابًا لمسألتيه ما سأل من رزق الثمرات لمؤمنى أهل مكة ، فكان معلومًا بذلك أن الجواب إنما هو فيما سأله إبراهيم لا فى غيره . وبالذى قلنا فى ذلك قاله مجاهدٌ ، وقد ذكرنا الروايةً بذلك عنه .

وقال بعضهم : تأويله : فأمتعه بالبقاء فى الدنيا .

وقال غيره : فأمتعه قليلًا فى كفره ما أقام بمكة ، حتى أبعث محمدًا ﷺ فيقتله إن أقام على كفره أو يُجلبيه عنها . وذلك وإن كان وجهًا يَحْتَمِلُهُ الكلام ، فإن دليل ظاهر الكلام على خلافه ؛ لما وصفنا .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ : ثم أذفعه إلى النار^(١) وأسوقه إليها ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا ﴾ [الطور : ١٣] . ومعنى الاضطرار الإكراه . يقال : اضطرت فلانًا إلى هذا الأمر ، إذا ألجأته إليه وحملتته عليه . فكذلك معنى قوله : ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ : أذفعه إليه وأسوقه سحبًا وجرًا على وجهه .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيَسَّ الْمَصِيدُ ﴾ .

(١) بعده فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عذاب » .

٥٤٦/١ / قد دَلَّلنا على أَنَّ « بئس » أصله « بئس » من « البؤس » ، سُكِّنَ ثانيه وتُقِلت حركة ثانيه إلى أوله ، كما قيل للكَيْدِ : كَيْدٌ . وما أشبه ذلك .

فمعنى الكلام : وساء المصيرُ عذابُ النارِ ، بعدَ الذى كانوا فيه من متاعِ الدنيا الذى مَتَّعْتَهُمْ فيها .

وأما « المصيرُ » فإنه « مَفْعَلٌ » من قولِ القائلِ : صِرْتُ مَصِيرًا صِلْحًا^(١) . وهو الموضعُ الذى يَصِيرُ إليه^(٢) من جهنم . فتأويلُ الكلامِ : وبئس المكانُ الذى يصيرُ إليه الكافرُ بالله^(٣) عذابُ النارِ .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ .

[٤/٤٤ظ] يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ : واذكروا إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ، و « القواعد » جمع قاعدة ، يقال للواحدة من قواعد البيت : قاعدة . وللواحدة من قواعد النساء - وهن^(٤) عجائزهن - قاعدة . فتلقى^(٥) هاء التانيث ؛ لأنها « فاعلٌ » من قول القائل : قد قعدت عن الحيض . ولا حظ فيه للذكور ، كما يقال : امرأة طاهر وطامت ؛ لأنه لا حظ في ذلك للذكور ، ولو عني به القعود الذى هو خلاف القيام ل قيل : قاعدة . ولم يجز حينئذ إسقاط هاء التانيث . وقواعد البيت : أساسه^(٦) .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « صالحا » ، وكلاهما بمعنى .

(٢) - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) بعده فى م : « من » .

(٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) فى م : « فتلقى » وهما بمعنى .

(٦) الأساس : جمع ، واحده الإس مثله ، والإس أصل البناء كالأساس والأمنس . التاج (أ س س) .

ثم اختلف أهل التأويل في « القواعد » التي رفعها إبراهيم وإسماعيل من البيت ،
أهما أحداثاً ذلك ، أم هي قواعدٌ كانت له قبلهما ؟ فقال قومٌ : هي قواعدٌ بيتٌ كان
بناه آدمُ أبو البشرِ بأمرِ اللهِ إياه بذلك ، ثم درَس مكانه وتَعَفَّى أثره بعده حتى بَوَّأه اللهُ
إبراهيمَ عليه السلامُ فبناه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ جَرِيحٍ ، عن
عطاءٍ ، قال : قال آدمُ : أَيْ^(١) رَبِّ ، إِنِّي لَا أَسْمَعُ أَصْوَاتَ الْمَلَائِكَةِ . قال :
خَطَيْتُكَ^(٢) ، وَلَكِنْ اهْبِطْ إِلَى الْأَرْضِ فابنِ لِي بَيْتًا ، ثُمَّ احْفَظْ بِهِ كَمَا رَأَيْتَ الْمَلَائِكَةَ
تَحْفُفُ بَيْتِي الَّذِي فِي السَّمَاءِ . فَيَزْعُمُ^(٣) النَّاسُ أَنَّهُ بَنَاهُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ ؛ مِنْ جِرَاءِ ،
وَطُورِ زَيْتَا^(٤) ، وَطُورِ سَيْنَاءَ ، وَ^(٥) لُبْنَانَ ، وَالْجُودِيَّ ، وَكَانَ رُبُضُهُ^(٦) مِنْ جِرَاءِ ، فَكَانَ
هَذَا بِنَاءَ آدَمَ حَتَّى بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ بَعْدُ^(٧) .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن
أيوبَ ، عن سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ

(١) في م : « يا » .

(٢) في م : « بخطيتك » .

(٣) في الأصل : « فزعم » .

(٤) طور زيتا : علم مرتجل لجلل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر ولذلك
سمى طور زيتا ، وجبل زيتا : مطل على مسجد بيت المقدس شرقي وادي سلوان . معجم البلدان ٥٨٨/٣ .

(٥) بعده في م : « جبل » .

(٦) الرُّبُضُ : أساس البناء . وقيل : وسط الشيء . التاج (ر ب ض) .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٩٢) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٢٧ ، ١٣١ إلى ابن المنذر
والبيهقي . وينظر أخبار مكة للأزرقي ٧/١ ، ونقله ابن كثير في تفسيره ٢٥٩/١ عن عبد الرزاق ، وقال : وهذا
صحيح إلى عطاء ، ولكن في بعضه نكارة ، والله أعلم .

أَبَيَّتِ ﴿١﴾ . قال : القواعدُ التي كانت قواعدَ البيتِ قبلَ ذلك ^(١) .

وقال آخرون : بل هي قواعدُ بيتِ كانَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَهْبَطَهُ لآدَمَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، يَطُوفُ بِهِ كَمَا كَانَ ^(٢) يَطُوفُ بِعَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ أَيَّامَ الطُّوفَانِ ، فَرَفَعَ إِبْرَاهِيمَ قِوَاعِدَ ذَلِكَ الْبَيْتِ .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَهَّابِ ، قَالَ : ثنا أَيُّوبُ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ / عَمْرٍو ^(٣) ، قَالَ : لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ قَالَ : إِنِّي مُهَيِّطٌ مَعَكَ - أَوْ مَنْزِلٌ مَعَكَ - بَيْنَا يُطَافُ ^(٤) حَوْلَهُ ، كَمَا يُطَافُ حَوْلَ عَرْشِي ، وَيُصَلِّيُ عِنْدَهُ ، كَمَا يُصَلِّيُ عِنْدَ عَرْشِي . فَلَمَّا كَانَ زَمَنُ الطُّوفَانِ رَفَعَ ، فَكَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ يَحُجُّونَهُ وَلَا يَعْلَمُونَ مَكَانَهُ ، حَتَّى بَوَّأَهُ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَأَعْلَمَهُ مَكَانَهُ ، فَبَنَاهُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبِلٍ : مِنْ حِرَاءِ ، وَثَبِيرِ ، وَلُبْنَانِ ، وَجَبَلِ الطُّورِ ، وَجَبَلِ الْحَمْرِ ^(٥) .

(١) تفسير عبد الرزاق ٥٨/١ ، ٥٩ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣١/١ (١٢٣٢) من طريق محمد ابن ثور ، عن معمر به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٢٦/١ ، ١٢٧ إلى ابن المنذر ، وصحح الحافظ إسناده في الفتح ٨/١٧٠ .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) في ت ١ ، ٢ ، ٣ : « عمر » .

(٤) في ت ١ ، ٢ ، ٣ : « فطف » .

(٥) في ت ١ ، ٢ ، ٣ : « الحمر » . وبعده في حاشية الأصل : « جبل بالشام » . وبعده في الدر المنثور : « وهو جبل بيت المقدس » . وجبل الحمر يراد به جبل بيت المقدس ، سمي بذلك لكثرة كرومه . معجم البلدان ٢١/٢ .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو . ينظر مجمع الزوائد ٢٨٨/٣ ، والدر المنثور ١٢٧/١ . وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٩٣) عن معمر ، عن أيوب قال : بنيت الكعبة من خمسة أجبل . فذكر نحو أثر عطاء السابق . وينظر البداية والنهاية ٤٧٧/٣ .

وحدَّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا إسماعيل ابنُ عليَّة، قال: ثنا أيوب، عن أبي قلابة، قال: لما أهبط آدم. ثم ذكر نحوه^(١).

حدَّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبدُ الرزاق، قال: أخبرنا هشام بن حسان، عن سَوارٍ^(٢) حَتَّينِ عطاء، عن^(٣) عطاء بن أبي رباح، قال: [٤٥/٤] لما أهبط الله آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء، يَسْمَعُ كلامَ أهلِ السماءِ ودعاءهم، يَأْنَسُ إليهم، فهَابَتِ^(٤) الملائكةُ حتى شَكَتْ إلى الله في دعائها وفي صلاتها، فحَفَظَهُ اللهُ^(٥) إلى الأرض، فلما فَقَدَ ما كان يَسْمَعُ منهم، استوحش حتى شكا ذلك إلى الله في دعائه وفي صلاته، فوجَّه إلى مكة، فكان موضعُ قدمه قريةً وخطَّوه مفازةً، حتى انتهى إلى مكة، وأنزل اللهُ ياقوتةً من ياقوتِ الجنة، فكانت على موضعِ البيتِ الآن، فلم يَزَلْ يُطَوِّفُ به حتى أنزل اللهُ الطوفانَ، فَرَفَعَتْ تلكِ الياقوتةُ، حتى بعث اللهُ إبراهيمَ فبناه، فذلك قولُ اللهِ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ﴾^(٥) [الحج: ٢٦].

وحدَّثنا الحسن، قال: أخبرنا عبدُ الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: وضَع اللهُ البيتَ مع آدم^(٦)؛ أهبط اللهُ آدمَ إلى الأرض، وكان مَهْبِطُهُ بأرضِ الهند، وكان رأسه في السماءِ ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكةُ تَهَابُهُ، فنُقِصَ إلى

(١) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣٠/١ من طريق أيوب به .

(٢) (٢ - ٢) فى م ، ت ١ ، ت ٣ : « عن » ، وفى ت ٢ : « حتن » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فهابته » .

(٤) سقط من : م .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١٢٣/١ . وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٠) ، وابن عساكر فى تاريخه ٤٢١/٧ من طريق هشام بن حسان به ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٧/١ ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٢١) من طريق طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، وطلحة متروك .

(٦) بعده فى م : « حين » .

ستين ذراعاً، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسييحهم، فشكا ذلك إلى الله تعالى، فقال الله: يا آدم، إنى قد أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلى عنده كما يصلى عند عرشي. فانطلق إليه آدم، فخرج ومُدَّ له في خطوه، فكان ^(١) بين كل خطوتين مفازة، فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك، فأتى آدم البيت فطاف به ومن بعده من الأنبياء ^(٢).

وحدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أبان أن البيت أهبط ياقوته واحدة، أو دُرَّة واحدة، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقى أساسه، فبؤاه الله لإبراهيم، فبناه بعد ذلك ^(٣).

وقال آخرون: بل كان موضع البيت ربوة حمراء كهيئة القبّة، وذلك أن الله لما أراد خلق الأرض علا الماء زبدة حمراء أو بيضاء، وذلك في موضع البيت الحرام، ثم دحا الله الأرض من تحتها، فلم يزل ذلك كذلك حتى بؤاه الله إبراهيم، فبناه على أساسه. وقالوا: أساسه على أركان أربعة في الأرض السابعة.

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال جريز بن حازم: حدثني حميد بن قيس، عن مجاهد، قال: كان موضع البيت على الماء قبل

(١ - ١) في الأصل، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «كل خطوة بين»، وفي التاريخ والمصنف: «بين كل خطوة».

والمثبت موافق لما سيأتى في تفسير الآية (٢٦) من سورة الحج، وكذلك هو في الدر المنثور.

(٢) أخرجه المصنف في تاريخه ١/١٢٣. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٩٦)، وهو في تفسيره ٢/

٣٤، وأخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١/١٢ من طريق معمر به نحوه، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٤/

٣٥٣ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٩٦)، وأخرجه الأزرقى في أخبار مكة ١/١٠ من طريق معمر به.

أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، مِثْلَ الزَّبَدَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَمِنْ تَحْتِهِ دُحِيتُ الْأَرْضِ ^(١) .

/وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ ، ٥٤٨/١
 قَالَ : قَالَ عَطَاءٌ وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ : بَعَثَ اللَّهُ رِيَاحًا فَصَفَقَتِ الْمَاءَ ، فَأُبْرَزَتْ فِي مَوْضِعِ
 الْبَيْتِ عَنْ حَشْفَةٍ ^(٢) كَأَنَّهَا الْقَبْهَةُ ، فَهَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا ، فَلِذَلِكَ هِيَ أُمُّ الْقَرَى . قَالَ ابْنُ
 جُرَيْجٍ : قَالَ عَطَاءٌ : ثُمَّ وَتَدَهَا بِالْجِبَالِ كَى لَا تَكْفَأُ ؛ تَمِيدٌ ^(٣) ، [٥/٤٤ظ] فَكَانَ أَوَّلَ جَبَلٍ
 أَبُو قَتَيْبٍ ^(٤) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن حفصِ بنِ حميدٍ ، عن
 عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قَالَ : وَضِعَ الْبَيْتُ عَلَى أَرْكَانِ الْمَاءِ ، عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ ، قَبْلَ
 أَنْ تُخْلَقَ الدُّنْيَا بِالْفَلْقَى عَامٍ ، ثُمَّ دُحِيتِ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِ الْبَيْتِ ^(٥) .

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : ثنا يعقوبُ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن عطاءِ بنِ أبي
 رباحٍ ، قَالَ : وَجَدُوا بِمَكَّةَ حَجْرًا مَكْتُوبًا فِيهِ ^(٦) : إِنِّي أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ ، بَنَيْتُهُ يَوْمَ

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٠٩٧) من طريق حميد به بمعناه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٢٨ إلى عبد بن حميد بآخره .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حشفة » . وفي مصنف عبد الرزاق : « حشفة » ، وبالحاء والخاء روايتان ، وتروى بالعين أيضا بدل الفاء .

والحشفة : صخرة رخوة حولها سهل من الأرض . التاج (ح ش ف) .

والحشفة واحدة الحشف : وهي حجارة تنبت في الأرض نباتا . ذكره ابن الأثير في النهاية ٣٥/٢ عن الخطابي .

(٣) في م : « بميد » .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٠٨٩) ، وأخرجه الأزرق في أخبار مكة ٤/١ من طريق آخر عن عطاء ، عن ابن عباس ، نحوه .

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٠١) من طريق يعقوب القمي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٢٨ إلى عبد بن حميد .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عليه » .

صُعُتْ^(١) الشمس والقمر، وحَفَقْتَهُ بسبعة أملاك حنفاء^(٢) .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدَّثني عبدُ اللَّهِ بنُ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ وغيره من أهلِ العلمِ ، أن اللّهَ لما بَوَّأ لإبراهيمَ مكانَ البيتِ ، خرَّجَ إليه من الشامِ ، وخرَّجَ معه يسماعيلَ وبأُمِّه هاجرَ ، وإسماعيلُ طفلٌ صغيرٌ يرضعُ ، وحملوا - فيما حدَّثني - على البُرَاقِ ، ومعه جبريلُ يَدُلُّهُ على مَوْضِعِ^(٣) البيتِ ومَعالمِ الحرمِ ، فخرَّجَ وخرَّجَ معه جبريلُ - يقال : كان لا يميِّزُ بقريّةٍ إلا قال : أبهذه أمرتُ يا جبريلُ ؟ فيقولُ جبريلُ : امضيه - حتى قَدِمَ به مكةَ ، وهى إذ ذاك عِضَاهُ سَلَمٍ وسَمِيرٍ^(٤) ، وبها^(٥) أناسٌ يقالُ لهم : العماليقُ خارجَ مكةَ وما حولها ، والبيتُ يومئذٍ ربوةٌ حمراءُ مدرةٌ . فقال إبراهيمُ لجبريلَ : أهلنا أمرتُ أن أضعَّهما ؟ قال : نعم . فعمدَ بهما^(٦) إلى موضعِ الحجرِ فأنزلهما فيه ، وأمر هاجرَ أمَّ إسماعيلَ أن تتخذَ فيه عريشًا ، فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(٧) [إبراهيم : ٣٧] .

قال ابنُ حميدٍ : قال سلمةُ : قال ابنُ إسحاقَ : ويَزْعُمون - واللّه أعلمُ - أن ملكًا من الملائكةِ أتى هاجرَ أمَّ إسماعيلَ - حينَ أنزلهما إبراهيمُ مكةَ قبلَ

(١) فى م : « صنعت » .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « حفا » .

(٣) فى الأصل : « مواضع » . وينظر مصدر التخريج .

(٤) السَلَمُ شجر من العضاة وورقها القرظ الذى يديغ به الأديم ، والسَمِيرُ ضرب من العضاة ، وقيل من الشجر صغار الورق قصار الشوك وله بَرَمَةٌ صفراء يأكلها الناس . اللسان (س ل م ، س م ر) .

(٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يروها » .

(٦) فى الأصل : « بها » .

(٧) أخرجه الأزرقي فى أخبار مكة ١ / ٢١ ، ٢٢ من طريق محمد بن إسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وحده ، وينظر تفسير ابن كثير ١ / ٢٦٠ .

أَنْ يَزُفَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ - فَأَشَارَ لَهَا^(١) إِلَى الْبَيْتِ ،
وهو^(٢) زُبُورَةٌ حَمْرَاءُ مَدْرَةٌ ، فَقَالَ لَهَا^(٣) : هَذَا أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ^(٤) ، وَهُوَ بَيْتُ اللَّهِ
الْعَتِيقُ ، وَاعْلَمِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ هُمَا يَزُفَعَانِهِ^(٥) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ
حَسَانَ ، قال : أَخْبَرَنِي حُمَيْدٌ ، عن مجاهدٍ ، قال : خَلَقَ اللَّهُ مَوْضِعَ هَذَا الْبَيْتِ قَبْلَ
أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ بِالْفَى سَنَةٍ ، وَأَرْكَانُهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ^(٦) .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ ،
قال : أَخْبَرَنِي بِشْرُ بْنُ عَاصِمٍ ، عن ابنِ المسيَّبِ ، قال : حَدَّثَنَا كَعْبٌ أَنَّ الْبَيْتَ كَانَ
عُثَاءً عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْأَرْضَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَمِنْهُ دُجِيتِ الْأَرْضُ . قال :
وحدَّثنا^(٧) عليُّ بنُ أبي طالبٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَقْبَلَ مِنْ إِرْمِينَةَ وَمَعَهُ / السَّكِينَةُ تَدُلُّهُ ،^(٨) حَتَّى
تَبَوَّأَ^(٩) الْبَيْتَ ، كَمَا تَبَوَّأَ الْعَنْكَبُوتُ بَيْتَهَا . قال : فَرَفَعَتْ عَنْ أَحْجَارٍ يُطِيقُهُ - أَوْ لَا
يُطِيقُهُ - ثَلَاثُونَ رَجُلًا . قال : قلت : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : ﴿ وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمَ
الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ قال : كَانَ ذَلِكَ بَعْدُ^(٩) .

(١) فى النسخ : « لهما » . والمثبت من أخبار مكة .

(٢) فى الأصل : « هى » . والمثبت من أخبار مكة .

(٣) فى النسخ : « لهما » .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ٢ ، ٣ : « فى الأرض » . وينظر مصدر التخريج .

(٥) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٢٣/١ من طريق ابن إسحاق به بنحوه .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٧) ، وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣/١ ، ٤ من طريقين عن
هشام به . وليس فى الموضع الثانى ذكر حميد .

(٧) بعده فى م : « عن » .

(٨ - ٨) فى م ، ت ، ١ ، ٢ : « علة تبوى » .

(٩) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٨) .

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله جل ثناؤه [٤/٤٦] أخبر عن إبراهيم خليله أنه وابنه إسماعيل رَفَعَا القواعدَ مِنَ البيتِ الحرامِ . وجائز أن يكون ذلك قواعدَ بيتِ كان أهبطه مع آدم ، فجعله مكانَ البيتِ الحرامِ الذي بمكة . وجائز أن يكون ذلك كان القُبَّة التي ذكرها عطاءُ مما أنشأه اللهُ مِنَ زَبَدِ المَاءِ . وجائز أن يكون كان ياقوتةً أو درةً أهبطتا مِنَ السماءِ . وجائز أن يكون كان آدم بناه ثم تهَدَّم حتى رَفَعَ قواعده إبراهيم وإسماعيل . ولا علم عندنا بأي ذلك كان من أي ؛ لأن حقيقة ذلك لا تُدرَك إلا بخبرٍ عن اللهِ أو ^(١) عن رسوله ﷺ بالنقلِ المُستفيضِ . ولا خبرٌ بذلك تقومُ به الحجَّةُ ، فيجِبُ التسليمُ لها ، ولا هو - إذ لم يَكُنْ به خبرٌ على ما وصفنا - مما ^(٢) يُدرَكُ علمُه بالاستدلالِ والمقاييسِ ، فيمَثَلُ بغيره ، ويُستنبطُ علمُه من جهة الاجتهادِ . فلا قولٌ في ذلك هو أولى بالصوابِ مما قلنا والله تعالى أعلم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ .

يعنى تعالى ذكَّره بذلك وإذ يَرَفَعُ إبراهيم القواعدَ مِنَ البيتِ وإسماعيل . يقولان : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا . وذكَّرَ أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود ^(٣) ، وهو قول جماعةٍ من أهلِ التأويلِ .

ذَكَّرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

= وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٢/١ (١٢٣٥، ١٢٣٦)، والأزرقي في أخبار مكة ٣/١، ٢٩ من طريق ابن عيينة به . وأخرجه الحاكم ٢/٢٦٧ من طريق بشر بن عاصم به ، بأثر على وحده . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/١٢٦ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن علي وحده .

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « و » .

(٢ - ٢) في م : « يدل عليه » .

(٣) المصاحف ص ٥٧ .

السدّي ، قال : بنيا وهما يدعون الكلمات التي ابثلى بها إبراهيم ربه ، قال : ﴿ رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴿ - ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (١) .

وحدّثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدّثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني ابن كثير ، قال : ثنا سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ قال : قاما^(٢) يرفعان القواعد من البيت ، ويقولان : ﴿ رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ قال : وإسماعيل يحمل الحجارة على رقبته ، والشيخ يتي^(٣) .

فتأويل الآية على هذا القول : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل قائلين : ربنا تقبل منا .

وقال آخرون : بل قائل ذلك كان إسماعيل .

فتأويل الآية على هذا القول : وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإذ يقول إسماعيل : ربنا تقبل منا . فيصير حينئذ ﴿ إِسْمَاعِيلُ ﴾ مرفوعاً بالجملة التي بعده ، و « يقول » حينئذ خبر له دون إبراهيم .

/ ثم اختلف أهل التأويل في الذي رفع القواعد ، بعد إجماعهم على أن إبراهيم ٥٥٠/١ كان ممن رفعها ؛ فقال بعضهم : رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً .

[٤/٤٦ ظ] ذكر من قال ذلك

حدّثني موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٢/١ (١٢٣٧) من طريق عمرو به .

(٢) في م : « هما » .

(٣) أخرجه الأزرقى في أخبار مكة ٢٥/١ ، ٢٦ من طريق ابن جريج به مطولاً .

السدي: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَيْكَ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ . قال: فانطلق إبراهيم حتى أتى مكة، فقام هو وإسماعيل وأخذوا المعاول لا يذريان أين البيت، فبعث الله ريحا يقال لها: ريح الخجوج^(١)، لها جناحان ورأس، في صورة حيّة، فكنست لهما ما حول الكعبة^(٢) عن أساس البيت الأول، وأتبعها بالمعاول يخفيران حتى وضعا الأساس، فذلك حين يقول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦]. فلما بنيا القواعد فبلغا مكان الركن، قال إبراهيم لإسماعيل: يا بني، اطلب لي حجرا حسنا أضغه ههنا. قال: يا أبت إنى كسلان لأغيب^(٣). قال: على ذلك. فانطلق يطلب حجرا، فجاءه بحجر فلم يرضه، فقال: اثنتى بحجر أحسن من هذا. فانطلق يطلب له حجرا، وجاءه جبريل بالحجر الأسود من الهند، وكان أبيض، يا قوتة بيضاء مثل الثغامة^(٤)، وكان آدم هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس، فجاءه إسماعيل بحجر فوجده عند الركن، فقال: يا أبت، من جاءك بهذا؟ فقال: «جاء به»^(٥) من هو أنشط منك. فبئاه^(٦).

وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عمر^(٧) بن عبد الله بن عروة^(٨)، عن عبيد بن عمير الليثي، قال: بلغني أن إبراهيم

(١) ريح خجوج: شديدة المرور في غير استواء. النهاية ١١/٢.

(٢) بعده في م: «و».

(٣) لَعَب يَلْعَب لَعْبًا: أعيا أشد الإعياء. اللسان (ل غ ب).

(٤) الثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب، وقيل: هي شجرة تبيض كأنها الثلج. النهاية ٢١٤/١.

(٥ - ٥) سقط من: م.

(٦) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٥٢/١ مختصرا، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٢/١ (١٢٣٧) من طريق عمرو به. وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥٣/٢ من طريق أسباط به نحوه.

(٧) في الأصل، م، ت ١، ت ٣: «عمرو».

(٨) في النسخ: «عتبة»، والمثبت من تاريخ المصنف ٢٦١/١. وينظر تهذيب الكمال ٤١٣/٢١.

(٩) في ت ٢، ت ٣: «بن».

وإسماعيلَ هما رفعا قواعدَ البيتِ^(١) .

وقال آخرون : بل رفَع قواعدَ البيتِ إبراهيمُ ، وكان إسماعيلُ يُناوله الحجارةَ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا أحمدُ بنُ ثابتِ الرازِئِي ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن أيوبَ وكثيرِ بنِ كثيرِ بنِ المطلبِ بنِ أبي وداعةَ - يزيدُ أحدهما على الآخرِ - عن سعيدِ بنِ جبيرِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جاء إبراهيمُ وإسماعيلُ يَبْرِي نَبْلاً قَريبًا من زمزمَ ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنعُ الوالدُ بالولدِ ، والولدُ بالوالدِ ، ثم قال : يا إسماعيلُ ، إن اللهَ أمرني بأمرٍ . قال : فاصنعَ ما أمركَ ربُّك . قال : وتُعِينُنِي ؟ قال : وأُعِينُكَ . قال : فإن اللهَ أمرني أن أبنيَ هلهنا بيتًا . وأشار إلى الكعبةِ مُرتفعةً على ما حولها . قال : فعندَ ذلك رفعا القواعدَ من البيتِ . قال : فجعلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يَتِينِي ، حتى إذا ارتفعَ البناءُ جاء بهذا الحجرِ فوضعه له ، فقام عليه وهو يَبْرِي ، وإسماعيلُ يُناوله الحجارةَ وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ حتى دَوَّرَ حَوْلَ البيتِ^(٢) .

حدَّثنا ابنُ سنانٍ^(٣) القَرَازِيُّ ، قال : ثنا عبيدُ^(٤) اللهُ بنُ عبدِ المجيدِ أبو عليٍّ الحَنَفِيُّ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ نافعٍ ، قال : سمعتُ كثيرَ بنَ كثيرٍ يُحدِّثُ عن سعيدِ بنِ جبيرِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاء - يعني إبراهيمَ - فوجدَ إسماعيلَ يُصلِحُ نَبْلاً له^(٥) من ورائِ زمزمَ ،

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٦١/١ ، مطولاً .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩١٠٧) ، ومن طريقه البخاري (٣٣٦٤) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٣٢ (١٢٣٤) ، والبيهقي في الدلائل ٤٦/٢ ، ٥٢ . وأخرجه الأزرق في أخبار مكة ١/ ٢٥ ، ٢٦ من طريق معمر به . وينظر أخبار مكة ٢٢/١ ، والدر المنثور ١٢٥/١ .

(٣) في م : « بشار » . وينظر تهذيب الكمال ٣٢٣/٢٥ .

(٤) في ت ١ ، ت ٣ : « عبد » .

(٥) سقط من : م .

فقال إبراهيم: يا إسماعيل، إن ربك قد أمرني أن أبنى له بيتاً. فقال له إسماعيل: فأطع ربك فيما أمرك به. فقال له إبراهيم: قد أمرك أن تُعِينَنِي عليه. قال: إذن أفعل. قال: فقام / معه ، فجعل إبراهيم يَبْنِيهِ وإسماعيلُ يُنَاوِلُهُ الحجارة ، ويقولان : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فلما ازْتَفَعَ البنيانُ ، وَضَعَفَ الشَّيْخُ عن رفع الحجارة ، قام على حجرٍ فهو مَقَامُ إبراهيم ، فجعل يُنَاوِلُهُ ويقولان : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(١) .

٥٥١/١

وقال آخرون : بل الذي رَفَعَ قواعدَ البيتِ إبراهيمُ وحده ، وإسماعيلُ يومئذٍ طفلٌ صغيرٌ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ [٤٧/٤] ومحمدُ بنُ المثنى ، قالا : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بنِ مُضَرَّبٍ ^(١) ، عن عليٍّ ، قال : لما أمرَ إبراهيمُ ببناءِ البيتِ ، خرَّجَ معه إسماعيلُ وهاجرُ ، قال : فلما قَدِمَ مكةَ رأى على رأسِهِ في موضعِ البيتِ مثلَ العَمَامَةِ فيه مثلُ الرأسِ فكَلَّمَهُ ، فقال : يا إبراهيمُ ، ابنِ على ظلي - أو على قَدْرِي - ولا تزدُ ولا تَنْقُصُ . فلما بَنَى خرَّجَ ^(٢) وخَلَّفَ إسماعيلَ وهاجرَ ، فقالت

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٥٩/١ ، ٢٦٠ عن محمد بن سنان به . وأخرجه الحاكم ٥٥١/٢ ، ٥٥٢ من طريق محمد بن سنان به ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وينظر تفسير ابن كثير ٢٥٦/١ . وأخرجه البخاري (٣٣٦٥) ، والنسائي في الكبرى (٨٣٨٠) ، وابن أبي حاتم ٢٣٢/١ (١٢٣٣) من طريق إبراهيم بن نافع به . وأخرجه الأزرقى في أخبار مكة ٢٥/١ ، ٢٦ ، وابن مردويه - كما في التفسير لابن كثير ٢٥٦/١ - من طريق كثير بن كثير به .

(٢) في م : « مصرف » . وينظر تهذيب الكمال ٣١٧/٥ .

(٣) سقط من : م .

هاجر: يا إبراهيم إلى من تكلمنا؟ قال: إلى الله. قالت: انطلق فإنه لا يضئنا. قال: فغطش إسماعيل عطشًا شديدًا، قال: فصعدت هاجر الصفا فنظرت فلم تر شيئًا، ثم أتت المروة فنظرت فلم تر شيئًا، ثم رجعت إلى الصفا فنظرت فلم تر شيئًا، حتى فعلت ذلك سبع مرار، فقالت: يا إسماعيل مت حيث لا أراك. فأتته وهو يقفحص برجله من العطش، فناداها جبريل، فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا هاجر أم ولد إبراهيم. قال: إلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله. قال: وكلكما إلى كافي. قال: ففحص الغلام^(١) الأرض بأصبعه، فنبعت زمزم، فجعلت تحبس الماء، فقال: دعيه، فإنها زواء^(٢).

حدثنا^(٣) هناذ بن السري^(٣)، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن خالد بن عرعة، أن رجلاً قام إلى علي فقال: ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فقال: لا، ولكنه أول بيت وضع فيه^(٤) البركة، مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنًا، وإن شئت أنبأتك كيف بُني، إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتًا في الأرض. قال: فضاق إبراهيم بذلك ذرعًا، فأرسل الله السكينة - وهي ريح خجوج، ولها رأسان - فأتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة، فقطوت على موضع البيت

(١) زيادة من تاريخ المصنف .

(٢) الماء الرواء : العذب . اللسان (روى) .

والأثر أخرجه المصنف في تاريخه ٢٥٢/١ . وأخرجه الحاكم ٥٥١/٢ من طريق مؤمل به . وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه الأزرقي في أخبار مكة ٢٧/١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣١/١ (١٢٢٩) من طريق أبي إسحاق به ، بأوله . ونقله ابن كثير ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ عن المصنف ، وقال : ففي هذا السياق أنه بنى البيت قبل أن يفارقهما ، وقد يحتمل - إن كان محفوظًا - أن يكون أولًا وضع له حوطا وتحجيرًا ، لا أنه بناه إلى أعلاه ، حتى كبر إسماعيل فبناها معًا كما قال الله تعالى .

(٣ - ٣) في م : « عباد » .

(٤) في الأصل ، م : « في » . والمثبت من مصادر التخريج .

كَتَطَوَّى الْحَجَفَةَ^(١) ، وأمر إبراهيم أن يبنى حيث تستقر السكينة . فبنى إبراهيم وبقى حجراً ، فذهب الغلام يبنى^(٢) شيئاً ، فقال إبراهيم : لا ، أبغني حجراً كما أمرت . قال : فأنطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فاتاه به^(٣) فوجده قد ركب الحجر الأسود في مكانه ، فقال : يا أبت ، من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكلم على بنائك ، جاء به جبريل من السماء . فأتماه^(٤) .

وحدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة^(٥) ، عن سماك ، قال : سمعت خالد بن عرعة يحدث عن علي بنحوه .

وحدثنا المثني ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة وحماد بن سلمة وأبو الأحوص ، كلهم عن سماك ، عن خالد بن عرعة ، عن علي بنحوه^(٦) .

فمن قال : رفع القواعد إبراهيم وإسماعيل . أو قال : رفعها إبراهيم وكان إسماعيل يناوله الحجارة . فالصواب في قوله أن يكون المضمرة من القول لإبراهيم وإسماعيل ، ويكون الكلام حينئذٍ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان : [٤٧/٤ظ] ربنا تقبل منا .

(١) الحجفة : الترس . النهاية ٣٤٥/١ .

(٢) في م : « يبنى » .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه المصنف في تاريخه ٢٥١/١ .

وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥٦/٢ من طريق أبي الأحوص به .

وأخرجه الحاكم ٢/٢٩٢ ، والبيهقي في الدلائل ٥٥/٢ من طريق سماك به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/١٢٦ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والدارقطني بن أبي أسامة . والحديث

إسناده ضعيف لجهالة خالد بن عرعة .

(٥) في م : « سعيد » .

(٦) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (٣٩٢٣) - والأزرقي في أخبار مكة ٢٨/١

من طريق حماد به .

٥٥٢/١ /وقد كان يَحْتَمِلُ على هذا التأويلِ أن يكونَ المضمَرُ مِنَ القولِ لإسماعيلَ خاصةً دونَ إبراهيمَ ، ولإبراهيمَ خاصةً دونَ إسماعيلَ ، لولا ما عليه عامةُ أهلِ التأويلِ من أن المضمَرُ مِنَ القولِ ^(١) فى ذلك ^(١) لإبراهيمَ وإسماعيلَ جميعًا .

وأما على التأويلِ الذى رُوِيَ عن عليٍّ - أن إبراهيمَ هو الذى رَفَعَ القواعدَ دونَ إسماعيلَ - فلا يجوزُ أن يكونَ المضمَرُ مِنَ القولِ عندَ ذلكَ إلا لإسماعيلَ خاصةً .

والصوابُ مِنَ القولِ عندنا فى ذلكَ أن المضمَرُ مِنَ القولِ لإبراهيمَ وإسماعيلَ ، وأن قواعدَ البيتِ رَفَعَهَا إبراهيمُ وإسماعيلُ جميعًا ؛ وذلكَ أن إبراهيمَ وإسماعيلَ إن كانا هما بنياها ^(٢) ورفعاها ، فهو ما قلنا . وإن كان إبراهيمُ تَفَرَّدَ بينائِها ، وكان إسماعيلُ يُناوِلُهُ أحجارَها ^(٣) ، فهما أيضًا رَفَعَاها ، لأن رَفَعَهَا كان بهما ؛ من أحدهما البناءُ ، ومن الآخرِ نقلُ الحجارةِ إليها ومعونَةُ وَضْعِ الأحجارِ مواضعَها . ولا تَمْتَنِعُ العربُ من إضافة ^(٤) البناءِ إلى مَنْ كان بسببِهِ البناءُ وَمَعُونَتِهِ . وإنما قلنا ما قلنا من ذلكَ لإجماعِ جميعِ أهلِ التأويلِ على أن إسماعيلَ معنَى بالخبرِ الذى أَخْبَرَ اللّهُ عنه وعن أبيه أنهما كانا يقولانه ، وذلكَ قولُهما : ﴿ رَبَّنَا نَقْبَلُ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ . فمعلومٌ أن إسماعيلَ لم يَكُنْ ليقولَ ذلكَ إلا وهو إما رجلٌ كاملٌ ، وإما غلامٌ قد فهِمَ مواضعَ الضَّرِّ مِنَ النِّفَعِ ، ولزِمَتَهُ فرائضُ اللّهِ وأحكامُهُ . وإذا كان ^(٥) ذلكَ أمره ^(٥) فى حالِ بناءِ أبيه ما أمره اللّهُ ببنائِهِ ورفِعه قواعدَ بيتِ اللّهِ ^(٥) -

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « بنياهما » .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « نسبة » .

(٥) بعده فى م : « كذلك » .

فمعلوم أنه لم يكن تاركاً معونة أبيه ، إما على البناء ، وإما على نقلِ الحجارة . وأى ذلك كان منه ، فقد دَخَلَ في معنى مَنْ رَفَعَ قواعدَ البيتِ ، وثبت أن القولَ المضمَرَّ خبرٌ عنه وعن والده إبراهيم صلواتُ اللهِ عليهما . فتأويلُ الكلامِ : وإذ يَرَفَعُ إبراهيمُ القواعدَ مِنَ البيتِ ، يقولان : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا عملنا ، وطاعتنا إياك وعبادتنا لك ، في انتهائنا إلى أمرِكَ الذي أمرتنا به في بناءِ بيتِكَ الذي أمرتنا ببنائه ، إنك أنت السميعُ العليمُ .

وفي إخبارِ اللهِ جلَّ ثناؤه أنهما رفعا القواعدَ مِنَ البيتِ وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ دليلٌ واضحٌ على أن بناءهما ذلك لم يكن بناءً مَسْكِنٍ يَسْكُنانه ولا منزلٍ يَنْزِلانه ، بل هو دليلٌ على أنهما بنياه ورفعا قواعدَه لكلِّ مَنْ أراد أن يَعْبُدَ اللهُ ، تَقَرُّبًا منهما إلى اللهِ بذلك ، ولذلك قالوا : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ ولو كانا بنياه مسكنًا لأنفسهما لم يكن لقولهما : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ وَجْهٌ مفهومٌ ؛ لأنه ^(١) « كان يكون » - لو كان الأمرُ كذلك - ^(٢) « سألًا ربَّهما » أن يَتَقَبَّلَ منهما ما لا قُرْبَةَ فيه إليه . وليس ^(٣) « من صفتيهما » مسألةُ اللهِ قبولَ ما لا قُرْبَةَ إليه فيه .

[٤٨/٤] القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وتأويلُ قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ : إنك أنت السميعُ دعاءنا ومَسْأَلتنا إياك قبولَ ما سألناك قبولَه منا من ^(٤) « طاعتنا لك » في بناءِ بيتِكَ الذي أمرتنا ببنائه ، العليمُ بما في ضمائرِ نفوسنا من الإذعانِ لك بالطاعةِ والمصيرِ إلى ما فيه لك

(١ - ١) في م : « كانا يكونان » .

(٢ - ٢) في م : « سائلين » .

(٣ - ٣) في م : « موضعهما » .

(٤ - ٤) في م : « طاعتك » .

الرضا والمحبة، وما تُبْدَى وما^(١) تُخْفَى مِنْ أَعْمَالِنَا .

كما حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حِجَابُ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : أَخْبَرَنِي ابْنُ^(٢) كَثِيرٍ ، قال : ثنا سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : ﴿ نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يقول : تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ^(٣) .

/القولُ في تأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَنَاهُ : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ .

وهذا أيضًا خبرٌ من اللَّهِ تعالى ذكره عن إبراهيم وإسماعيلَ ، أنهما كانا يرفعان القواعدَ مِنَ الْبَيْتِ وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ﴾ . يعينان بذلك : واجْعَلْنَا مُسْتَسْلِمِينَ لِأَمْرِكَ ، خاضعينَ لطاغيتِكَ ، لا نُشْرِكُ مَعَكَ فِي الطَّاعَةِ أَحَدًا سِوَاكَ ، ولا في العبادةِ غيرِكَ .

وقد دَلَّلْنَا فيما مضى على أن معنى «الإسلام» الخُضُوعُ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ^(٤) .

وأما قولُهُ : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ فإنهما خصَّما بذلك بعضَ الذُرِّيَّةِ ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى ذكره قد كان أعلمَ إبراهيمَ خليله قبلَ مسألته هذه أن مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ لا يَنَالُ عَهْدَهُ ، لظلمِهِ وفجوره ، فَخَصَّما بالدعوةِ بعضَ ذُرِّيَّتِهِما . وقد قيل : إنهما عَنِيَا بِذَلِكَ الْعَرَبَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قال : ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَادٍ ، قال : ثنا أَسْبَاطُ ، عن

(١) زيادة من : ت ٣ .

(٢) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : «أبو» .

(٣) ينظر ما تقدم في ص ٥٥٧ .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

السُّدِّيُّ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾: يعينان العرب^(١).

وهذا قولٌ يَدُلُّ ظاهرُ الكتابِ على خلافه؛ لأن ظاهره يَدُلُّ على أنهما دَعَوَا اللّٰهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا أَهْلَ طَاعَتِهِ وولايتهِ والمُسْتَجِيبِينَ لِأَمْرِهِ، وقد كان في وليدِ إبراهيمِ العربُ وغيرُ العربِ، والمستجيبُ لِأَمْرِ اللّٰهِ والخاضعُ له بالطاعةِ مِنَ الفريقيين، فلا وجهَ لِقَوْلِ مَنْ قال: عَنَى إبراهيمُ بدعايتهِ ذلكَ فريقًا مِنَ وليدهِ بأعيانِهِم دونَ غيرِهِم، إِلَّا التَّحَكُّمَ الَّذِي لا يَعْجِزُ عَنْهُ أَحَدٌ.

[٤/٤٨ظ] وأما «الأُمَّةُ» في هذا الموضع، فإنه يَعْنِي بها الجماعةُ مِنَ النَّاسِ، مِنْ قَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

القولُ في تأويلِ قولِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾.

اِخْتَلَفَتِ الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ؛ فَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. بِمَعْنَى رُؤْيِيَةِ الْعَيْنِ، أَى: أَظْهَرَهَا لِأَعْيُنِنَا حَتَّى نَرَاهَا. وَذَلِكَ قِرَاءَةٌ عَامَّةٌ قِرَاءَةٌ^(٢) الْحِجَازِ وَالْكُوفَةِ. وَكَانَ بَعْضٌ مَنْ يُوجِّهُ تَأْوِيلَ ذَلِكَ إِلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يُسَكِّنُ الرِّاءَ مِنْ (أَرِنَا)^(٣)، غَيْرَ أَنَّهُ يُثَبِّتُهَا كَسْرَةً^(٤).

وَإِخْتَلَفَ قَائِلُو هَذِهِ الْمَقَالَةِ وَقَرَأُوا هَذِهِ الْقِرَاءَةَ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿مَنَاسِكَنَا﴾؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ مَنَاسِكُ الْحَجِّ وَمَعَالِمُهُ.

(١) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٤/١ (١٢٤٦) من طريق عمرو به.

(٢) في م: «أهل».

(٣) تسكين الراء قراءة ابن كثير المكي، والسوسى عن أبى عمرو، ويعقوب الحضرمى، وهو من العشرة. والاختلاس قراءة الدورى عن أبى عمرو، والباقون بكسر الراء. ينظر النشر ٢/٢٢٢، وإتحاف فضلاء البشر ص ٩٠.

(٤) المراد بالإشمام هنا: الاختلاس، أى: إخفاء الحركة، وهو الإتيان بثلاثى الحرف بحيث يكون المنطوق به من الحركة أكثر من المحذوف منها. ينظر الوافى فى شرح الشاطبية ص ٢٠٣.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدُ، عن قتادةَ قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾: فأراهما اللهُ مناسِكَهُما بالطوافِ بالبيتِ، والسعيِ بينَ الصفاِ والمروةِ، والإفاضةِ من عَرَفاتٍ، والإفاضةِ من جَمْعٍ، ورُميَ الجمارِ، حتى أكمل اللهُ الدينَ - أو: دينَه^(١).

حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أخبرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قتادةَ في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قال: أرنا نُسَكِنَا وَحِجَّنَا^(٢).

/ حَدَّثَنَا موسى، قال: حَدَّثَنَا عمرو، قال: ثنا أسباطُ، عن السُّدِّيِّ، قال: لما فرغ إبراهيمُ وإسماعيلُ من بنيانِ البيتِ أمره اللهُ أن يُناديَ، فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]. فنَادَى بَيْنَ أَخْشَبِي مَكَةَ^(٣): يا أيُّها الناسُ، إن اللهَ يأمُرُكم أن تُحْجُوا بيتهُ. قال: فوقرت في قلبِ كلِّ مؤمنٍ، فأجابَه كلُّ شيءٍ^(٤) سمعَه من جبلٍ أو شجرٍ أو دابةٍ: لبيكُ لبيكُ. فأجابوه بالتلبيةِ: لبيكُ اللهم لبيكُ. وأتاه من أتاه، فأمره اللهُ أن يَخْرُجَ إلى عَرَفاتٍ ونَعْتها فخرَجَ، فلَمَّا بَلَغَ الشجرةَ عندَ العَقَبَةِ اسْتَقْبَلَهُ الشيطانُ فردَّه^(٥)، فرمَاه بسبعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، فطار فوقَ على الجمرَةِ الثانيةِ أيضًا، فصدَّه فرمَاه وكَبَّرَ، فطار فوقَ على الجمرَةِ الثالثةِ، فرمَاه وكَبَّرَ، فلَمَّا رأى أَنه

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٩/١ إلى عبد بن حميد.

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٥٩.

(٣) الأخشب من الجبال الغليظ، والأخشبان: جبلان يضافان تارة إلى مكة، وتارة إلى منى، وهما واحد، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان، ويقال: أحدهما أبو قبيس، والآخر الجبل الأحمر المشرف هنالك. معجم

البلدان ١/١٥٩، ١٦٣.

(٤) في م: «من».

(٥) سقط من: م.

لا يُطِيقُهُ ، ولم يَدْرِ إبراهيمُ أين يذهبُ ، فانطلقَ حتى أتى ذا المجازِ ، فلمَّا نظرَ إليه فلم يَعْرِفْهُ جاز ، فسمَّى ذا المجازِ ، ثم انطلقَ حتى وَقَعَ بعرفاتٍ ، فلمَّا نظرَ إليها عرفَ النعتَ ، قال : قد عَرَفْتُ . فسمَّى عرفاتٍ ، فوقفَ إبراهيمُ بعرفاتٍ ، حتى إذا أمسى ازدَلَفَ إلى جَمْعٍ ، فسمَّيتِ المزدَلِفَةَ ، فوقفَ بجمعٍ ، ثم أقبلَ حتى أتى الشيطانُ حيثُ لقيه أوَّلَ مرَّةٍ ، فرمَاهُ بسبعِ حصياتٍ سبعِ مرَّاتٍ ، ثم أقامَ يَمْنَى حتى فرَغَ مِنَ الحجِّ وأمرِهِ ، وذلكَ قوله : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾^(١) .

وقال آخرون - [٤٩/٤] مَن قرأ هذه القراءة - : المناسكُ : المذابحُ . فكان تأويلُ هذه الآية على قولٍ مَن قال ذلك : وأرنا كيف نُنسكُ لك ياربُّنا نساءكنا فنذُبُحُها لك .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ قال : ذَبَحْنَا .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا الثوريُّ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ، قال : مذابحنا^(٢) .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله^(٣) .

وحدَّثنا المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبَّالٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٢٢٨/١ بنحوه .

(٢) تفسير الثوري ٤٩/١ ، وتفسير عبد الرزاق ٥٩/١ ، ولفظ تفسير الثوري : « ذبائحنا » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٤ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٥/١ (١٢٥١) من طريق سفيان ، عن ابن أبي نَجِيحٍ به .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسين ، قال : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال لي ^(١) عطاءٌ : سمعتُ عُبيدَ بنَ عُمييرٍ يقولُ : ﴿ وَأَرْنَا مَنْسِكَنَا ﴾ . قال : مذابحنا . وقرأ ذلك آخرون : (وَأَرْنَا مَنْسِكَنَا) . بتسكينِ الرَّاءِ ، وزعموا أن معنى ذلك : وَعَلَّمْنَا وَدَلَّنَا عليها . لا أن معناها : أرناها بأبصارنا . وزعموا أن ذلك نظيرُ قولِ حُطَّائِطِ بنِ يَعْفَرِ أخى الأسودِ بنِ يَعْفَرَ ^(٢) :
 أَرَيْنِي جَوَادًا مَاتَ هَزَلًا لِأَنَّنِي ^(٣) أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدًا
 يعنى بقوله : أرينى : دُلِّينى عليه وعَرَّفِينى مكانه . ولم يعنِ به رؤية العين . وهذه قراءةٌ رُوِيَتْ عن بعضِ المُتقدِّمين .

/ ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ /

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : ثنا الحسين ، قال : حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال عطاءٌ : (أَرْنَا مَنْسِكَنَا) : أخرجها لنا ، عَلَّمْنَاها ^(٤) .
 حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ المُسَيَّبِ ، قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ : لما فرغ إبراهيمُ من بناءِ البيتِ ، قال : قد ^(٥) فعلتُ أئى ربِّ ، فَأَرْنَا مَنْسِكَنَا - أَبْرَزْها لنا ، عَلَّمْنَاها - فبعثَ اللهُ جبريلَ عليه السلامُ فحجَّ به ^(٦) .

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) البيت مختلف فى نسبه : فهو لحطائط بن يعفر فى الحماسة ٣٥٨/٢ ، ومجاز القرآن ٥٥/١ ، والشعر والشعراء ١/٢٤٨ ، ٢٥٦ ، وسقط اللآكى ٧١٤/٢ ، ولحاتم الطائى فى ديوانه ص ٤٠ ، ولمعن بن أوس فى ديوانه ٤٩ ، وللدريد بن الصمة أو حطائط أو حاتم أو معن فى اللسان (أن ن) ، وسيأتى ٤٨٨/٩ منسوبا لدريد .

(٣) فى ت ، ١ ، ت ، ٢ : « أننى » ، وفى الشعر والشعراء وسقط اللآكى : « لعننى » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٣٤/١ (١٢٤٩) من طريق حجاج به .

(٥) سقط من : م .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٠٩٩) مطولا .

والقول 'عندي في ذلك أن تأويل (أرنا) بكسر الراء وتسكينها^(١) واحد؛ فمن كسر الراء جعل علامة الجزم سقوط الياء التي في قول القائل: 'أريته، أريه^(٢). وأقرّ الراء مكسورًا كما كانت قبل الجزم. ومن سكن الراء من (أرنا) توهم أن إعراب الحرف في الراء فسكنها للجزم^(٣)، كما فعلوا ذلك في «لم يكن» «ولم يك»، وسواء كان ذلك من رؤية العين، أو من رؤية القلب، ولا معنى لفرق من فرق بين رؤية العين في ذلك وبين رؤية القلب.

وأما «المناسك» فإنها جمع منسك، [٤/٩٤ظ] وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه، ويُتقرب إليه فيه بما يُرضيه من عمل صالح؛ إما بذبح ذبيحة له، وإما بصلاة أو طواف أو سعي، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، ولذلك قيل لمشاعر الحج: مناسكها؛ لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس، ويترددون إليها.

وأصل «المنسك» في كلام العرب: الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه، يقال: إن لفلان منسكًا. وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو لشر، ولذلك سُميت المناسك مناسك؛ لأنها تُعتاد ويُتردد إليها بالحج والعمرة، وبالأعمال^(٤) التي يُتقرب بها إلى الله.

وقد قيل: إن معنى النسك: عبادة الله، وإن الناسك إنما سُمي ناسكًا بعبادته ربه. فتأول قائلو هذه المقالة قوله: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾: وعلمنا عبادتك كيف نعبدك، وأين نعبدك، وما يُرضيك عنا فنفعله. وهذا القول وإن كان مذهبًا يحتمله الكلام، فإن الغالب على معنى المناسك ما وصفنا قبل من أنها مناسك الحج التي

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) في م: «أريته».

(٣) في م: «في الجزم».

(٤) في الأصل: «للأعمال».

ذكرنا معناها ، وخرج هذا الكلام من قول إبراهيم وإسماعيل على وجه المسألة منهما ربهما لأنفسيهما ، وإنما ذلك منهما مسألة ربهما لأنفسيهما وذُرِّيَّتَهُمَا المسلمين ، فلما ضمًا ذُرِّيَّتَهُمَا المسلمين إلى أنفسيهما صارا كالمُخْبِرِينَ عن أنفسيهما بذلك . وإنما قلنا : إن ذلك كذلك ؛ لتقدم الدعاءِ منهما للمسلمين من ذُرِّيَّتَهُمَا قبلُ في أوَّلِ الآية ، وتأخره بعدُ في الآية الأخرى .

فأما الذى فى أوَّلِ الآية فقولُهُمَا : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ ﴾ . ثم جَمَعَا أَنفُسَهُمَا وَالْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا فى مَسْأَلَتِهِمَا رَبَّهُمَا أَنْ يُرِيَهُمْ مَنَاسِكَهُمْ فَقَالَا : ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ .

وأما الذى ^(١) فى الآية التى بعدها : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ . فجعلنا المسألة لذرِّيَّتِهِمَا خَاصَّةً .

وقد ذُكِرَ أَنَّهَا فى قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ : (وَأَرِهِمْ مَنَاسِكَهُمْ) ^(٢) . يعنى بذلك : وَأَرِ ذُرِّيَّتِنَا الْمُسْلِمَةَ مَنَاسِكَهُمْ .

القول فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

أما التوبة فأصلها الأوبة من مكروه إلى محبوب ، فتوبة العبد إلى ربه أوبته مما يكرهه الله منه بالندم عليه والإقلاع عنه ، والعزم على ترك العود فيه . وتوبة الرب على عبده عوذه عليه بالعفو له عن مجزئه والصفح له عن عقوبة ذنبه ، مغفرة منه له ، وتفضلاً عليه .

(١) فى م : « التى » .

(٢) ينظر البحر المحيط ١ / ٣٩٠ .

/ فإن قال لنا قائل : وهل كانت لهما ذنوبٌ فاحتاجا إلى مسألةِ ربِّهما التوبةَ ؟
 قيل : إنه لا أحدٌ من خلقِ الله إلا وله من العملِ فيما بينه وبين ربِّه ما يجبُ عليه
 الإنابةُ منه والتوبةُ ، فجائزٌ أن يكونَ ما كان من قبليهما^(١) ما قالاً من ذلك^(٢) ، [٥٠/٤] و
 إنما خصَّنا به الحال التي كانا عليها من رفعِ قواعدِ البيتِ ؛ لأن ذلك كان أحرزى
 الأماكنِ أن يستجيبَ الله فيها دعاءَهما ، وليجْعَلَا ما فعلا من ذلك سنَّةً يُقتدى بها
 بعدهما ، وتتخذُ الناسُ تلك البقعةَ بعدهما موضعَ تنصُّلٍ من الذُّنوبِ إلى الله . وجائزٌ
 أن يكونا عنياً بقولهما : ﴿ وَتُبَّ عَلَيْنَا ﴾ : وتُتَّبِ عَلَى الظَّالِمَةِ مِنْ أَوْلَادِنَا وَذُرِّيَّتِنَا ،
 الذين أعلَمْتَنَا أمرهم من ظلمهم وشركهم ، حتى يُنِيبُوا إلى طاعتِكَ . فيكونُ ظاهرُ
 الكلامِ على الدعاءِ لأنفسِهما ، والمعنى به ذُرِّيَّتُهُمَا ، كما يقالُ : أكرمني فلانٌ في
 ولدى وأهلى ، وبرزنى فلانٌ ، إذا برَّ ولده .

وأما قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ فإنه يعنى به : إنك أنت العائدُ على
 عبادِكَ بالفضلِ ، والمتفضِّلُ عليهم بالعفوِ والغفرانِ ، الرحيمُ بهم ، المستنقذُ من تشاءُ
 منهم برحمتِكَ من هلكته ، المنجى من تُريدُ نجاته منهم برأفتِكَ من سَخَطِكَ .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَهُمْ
 آيَاتِكَ ﴾ .

وهذه دعوةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ صلواتُ الله عليهما لنبينا محمدٍ ﷺ خاصةً ،
 وهى الدعوةُ التى كان نبينا ﷺ يقولُ : « أنا دعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى » .
 حدَّثنا بذلك ابنُ حمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقٍ ، عن ثورِ بنِ

(١) فى م : « قبلهما » .

(٢) بعده فى م : « و » .

يزيد ، عن خالد بن معدان الكلاعي ، أن نفرًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يارسول الله ، أخبرونا عن نفسك . قال : « نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشري عيسى عليه السلام »^(١) .

حدثني عمران بن بكار الكلاعي ، قال : ثنا أبو اليمان ، قال : ثنا أبو بكر بن^(٢) أبي مريم ، عن سعيد بن سويد ، عن العزباض بن سارية السلمی ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني عند^(٣) الله في أم الكتاب لحاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل^(٤) في طينته ، وسوف أنبئكم بتأويل ذلك^(٥) ؛ دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي^(٦) » .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني معاوية بن صالح ، وحدثني غبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : حدثني أبي ، قال : ثنا الليث بن سعيد ، عن معاوية بن صالح ، قال جميعًا : عن سعيد بن سويد ، عن

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١٦٥/٢ ، مطولا . وأخرجه ابن إسحاق في السيرة ص ٢٨ - ومن طريقه الحاكم ٦٠٠/٢ ، والبيهقي في الدلائل ٨٣/١ ، مطولا . وصححه الحاكم .

(٢ - ٢) في م : « أبو كريب عن » . وينظر تهذيب الكمال ١٠٩/٣٣ .

(٣) في ت ١ ، ت ٣ : « عبد » .

(٤) المنجدل : الملقى على الجدالة ، وهي الأرض . النهاية ٢٤٨/١ .

(٥) بعده في م : « أنا » .

(٦) أخرجه أحمد ٣٩٥/٢٨ (١٧١٦٣) ، والحاكم ٦٠٠/٢ ، والبيهقي في الدلائل ٨٣/١ من طريق أبي اليمان به . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٤٠٩) ، والبخاري (٢٣٦٥ - كشف) ، والطبراني في الكبير ١٨/٢٥٣ (٦٣١) ، وابن بشران في الأمالي (٤٠) من طريق أبي بكر به . وصححه الحاكم ، وتعقبه الذهبي بضعف أبي بكر . وقد خولف فيه .

وقال البيهقي : قصر أبو بكر بن أبي مريم بإسناده فلم يذكر فيه عبد الأعلى بن هلال ، وقصر بمتنه فجعل الرؤيا بخروج النور منها وحده ، وكذلك قال خالد بن معدان عن أصحاب النبي ﷺ .

عبد الله^(١) بن هلال السلمى، عن عزباض بن سارية السلمى، عن النبي ﷺ بنحوه^(٢).
 وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: حدثني معاوية، عن سعيد بن
 شبيب، عن عبد الأعلى بن هلال السلمى، عن عزباض بن سارية أنه قال: سمعت
 رسول الله ﷺ يقول. فذكر نحوه^(٣).

[٥٠/٤] وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال جماعة^(٤) أهل التأويل.

٥٥٧/١

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿رَبَّنَا
 وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: ففعل الله ذلك، فبعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفون
 وجهه ونسبه، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، ويَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ^(٥).

(١) قوله: «عبد الله». هكذا قال ابن مهدي عند أحمد. والصواب: عبد الأعلى. كما قال عبد الله بن
 أحمد ٣٨٦/٢٨ (١٧١٥٤). وكذلك هو فى المصادر.

(٢) أخرجه المصنف فى تفسير الآية ٦ من سورة الصف، عن يونس به. وفيه: عبد الأعلى بن هلال. على
 الصواب. وفيه زيادة بعد قوله: «ورؤيا أمي».

وأخرجه ابن حبان (٦٤٠٤)، وأبو نعيم فى الدلائل (٩)، والبغوى فى تفسيره ١/١٥١، من طريق ابن
 وهب به. وأخرجه ابن سعد ١/١٤٨، ١٤٩، وأحمد ٣٨٢/٢٨ (١٧١٥١)، والطبرانى فى الكبير ١٨/
 ٢٥٢ (٦٣٠) من طريق الليث به، بالزيادة. وأخرجه أحمد ٣٧٩/٢٨ (١٧١٥٠) - ومن طريقه أبو نعيم فى
 الدلائل (١٠) - من طريق معاوية به.

(٣) أخرجه الفسوى فى تاريخه ٢/٣٤٥، وابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٣٦ (١٢٥٤)، والطبرانى فى
 الكبير ١٨/٢٥٢ (٦٢٩)، والآجرى فى الشريعة (٩٤٨)، والبيهقى فى الدلائل ١/٨٠، ٢/١٣٠ من طريق
 أبى صالح به. وينظر تعجيل المنفعة ١/٥٨٣، ٥٨٤، ولسان الميزان ٣/٣٣، ومسند الطيالسى (١٢٣٦)،
 والصحيحة (١٩٢٥)، والضعيفة (٢٠٨٥).

(٤) بعده فى م: «من».

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم ١/٢٣٦ (١٢٥٧) من طريق يزيد به. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٣٩ إلى
 عبد بن حميد.

وحدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشدِّي : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : وهو محمد ﷺ ^(١) .

وحدَّثت عن عمار ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ : هو محمد ﷺ ، فقيل له : قد ^(٢) استجبتُ لك ، وهو في آخرِ الزمانِ ^(٣) .

ويعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِكَ ﴾ : يقرأ عليهم كتابك الذى تُوجِّه إليه .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ .

ويعنى بالكتابِ القرآن . وقد بينتُ فيما مضى لم سُمى القرآن كتابًا ، وما تأويله ^(٤) . وهو قولُ جماعةٍ ^(٥) أهلِ التأويلِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ : ^(٦) قال : الكتابُ ^(٦) القرآنُ .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى معنى « الحكمة » التى ذكرها الله فى هذا الموضع ؛

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٣٦/١ (١٢٥٦) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

(٢ - ٢) فى م : « استجيب ذلك » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف وابن أبي حاتم عن أبي العالية ، وهو عند ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٣٦/١ (١٢٥٥) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٢٢٨/١ - ٢٣١ .

(٥) بعد فى م : « من » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

فقال بعضهم : هي السنَّة .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ وَالْحِكْمَةُ ﴾ .
أى : السنَّة^(١) .

وقال بعضهم : الحكمة هي المعرفة بالدين والفقهُ فيه .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِمَالِكٍ : مَا الْحِكْمَةُ ؟ قَالَ :
المعرفة بالدين ، والفقهُ فيه ، والاتباعُ له^(٢) .

وَحَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ :
﴿ وَالْحِكْمَةُ ﴾ قَالَ : الْحِكْمَةُ : الدِّينُ^(٣) الَّتِي لَا يَعْرِفُونَهَا^(٤) إِلَّا بِهِ ﷺ ، يُعَلِّمُهُمْ
إِيَّاهَا . قَالَ : وَالْحِكْمَةُ : الْعَقْلُ فِي الدِّينِ . وَقَرَأَ : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] . وَقَالَ لِعِيسَى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] . قَالَ : وَقَرَأَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي
ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٥] . قَالَ : لَمْ يَنْتَفِعْ بِالآيَاتِ حِينَ^(٤) لَمْ

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٧/١ عقب الأثر (١٢٦٢) معلقاً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/

١٣٩ إلى المصنف وعبد بن حميد ، مطولاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٢/٢ (٢٨٢٩) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٧٠) من طريق
ابن وهب به نحوه مطولاً .

(٣ - ٣) في م : « الذي لا يعرفونه » .

(٤) في م : « حيث » .

تَكُنْ مَعَهَا حِكْمَةٌ . قال : والحكمةُ شَيْءٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ يُتَوَرَّهُ ^(١) له به ^(٢) .

والصوابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي « الْحِكْمَةِ » أَنَّهَا الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الَّتِي لَا يُدْرِكُ عِلْمُهَا إِلَّا بَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْمَعْرِفَةَ بِهَا ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ نَظَائِرِهِ ، وَهُوَ عِنْدِي مَأْخُوذٌ [٥١/٤] مِنْ « الْحُكْمِ » الَّذِي بِمَعْنَى الْفَصْلِ / بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، بِمَنْزِلَةِ « الْجَلِيسَةِ » ٥٥٨/١ وَالْقَعْدَةِ « مِنَ الْجُلُوسِ وَالْقَعُودِ ، يُقَالُ مِنْهُ : إِنْ فَلَانًا لِحَكِيمٍ بَيَّنُّ الْحِكْمَةَ . يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لِيَبَيِّنُ الْإِصَابَةَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَتَأْوِيلُ الْآيَةِ : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمْ كِتَابَكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَيْهِمْ ، وَفَصَلَ قَضَائِكَ ، وَأَحْكَامَكَ الَّتِي تُعَلِّمُهُمْ بِهَا .

القولُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَل تَنَاوَهُ : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ .

قَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى قَبْلُ عَلَى أَنَّ مَعْنَى التَّرْكِيبِ التَّنْطِهِيرُ ، وَأَنَّ مَعْنَى الزَّكَاةِ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ ^(٣) . فَمَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ : وَيُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيُنَمِّيهِمْ وَيُكثِّرُهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ .

كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : ثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مَعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ . قَالَ : يَعْنِي بِالزَّكَاةِ طَاعَةَ اللَّهِ وَالْإِخْلَاصَ ^(٤) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حَجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ :

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يَنْوَرُ » .

(٢) يَنْظُرُ تَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٥٣٤/٢ (٢٨٣٨) ، وَمَا سَيَأْتِي فِي تَفْسِيرِ ، الْآيَةِ (٢٦٩) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ .

(٣) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ٦١١/١ ، ٦١٢ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٣٧/١ (١٢٦٥) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بِهِ .

قوله: ﴿ وَيُرَكِّبُهُمْ ﴾ قال: يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ وَيُخَلِّصُهُمْ مِنْهُ ^(١).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.

يعنى تعالى ذكره بذلك: إنك ياربُّ أنت العزيزُ. يعنى: القويُّ الذى لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ، فافعلُ بنا وبذُرِّيَّتِنَا ما سألناهُ وطلبتناهُ منك. والحكيمُ الذى لا يَدْخُلُ تَدْبِيرَهُ خَلَلٌ وَلَا زَلٌّ، فَأَعْطِنَا ما يَنْفَعُنَا وَيَنْفَعُ ذُرِّيَّتِنَا، وَلَا يَنْقُصُكَ وَلَا يَنْقُصُ خِزَائِنَكَ.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾.

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴾: وأى الناس يَرْهَدُ فى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَيَتْرُكُهَا رَغْبَةً عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا. وإنما عَنِ اللَّهِ بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لِاخْتِيَارِهِمْ ما اخْتارُوا مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ، كما قال تعالى ذكره: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ [آل عمران: ٦٧] فقال تعالى ذكره لهم: وَمَنْ يَرْهَدُ فى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ.

كما حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قال: ثنا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، قال: ثنا سَعِيدٌ، عن قتادة قوله: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾: رَغِبَ عَنْ مِلَّتِهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَاتَّخَذُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ بَدْعَةً لَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ، وَتَرَكُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، يعنى الْإِسْلَامَ حَنِيفًا، [٥١/٤] ط] كَذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ^(٢).

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٨/١ عقب الأثر (١٢٧٠) معلقًا، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣٩/١

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَّارِ بْنِ الْحَسَنِ ، قَالَ : ثنا ابنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن / مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ قال : رَغِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَابْتَدَعُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ ، وَتَرَكَوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْإِسْلَامَ ^(١) .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جل ثناؤُهُ : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ : إِلَّا مَن سَفِهَتْ نَفْسَهُ . وقد بَيَّنَّا فيما مضى أن معنى السَّفِهَةِ الجَهْلُ ^(٢) . فمعنى الكلام : وما يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةِ إِلَّا سَفِيهٌ جَاهِلٌ بِمَوْضِعِ حَظِّ نَفْسِهِ فِيمَا يَنْفَعُهَا وَيَضُرُّهَا فِي مَعَادِهَا .

كما حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ قَالَ : إِلَّا مَن أَخْطَأَ حَظَّهُ ^(٣) .

وإنما نَصَبَ « النَّفْسَ » عَلَى مَعْنَى الْمَفْسَرِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ « السَّفَةَ » فِي الْأَصْلِ لِلنَّفْسِ ، فَلَمَّا نُقِلَ إِلَى « مَنْ » نُصِبَتْ « النَّفْسُ » بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ ^(٤) ، كَمَا يَقَالُ : هُوَ أَوْسَعُكُمْ دَارًا . فَتَدْخُلُ الدَّارُ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَنَّ السَّعَةَ فِيهَا لَا فِي الرَّجْلِ ، فَكَذَلِكَ النَّفْسُ ، أُدْخِلَتْ لِأَنَّ السَّفَةَ لِلنَّفْسِ لِأَنَّ « مَنْ » ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَقَالَ : نَفْسَهُ ^(٥) سَفِهَ أَحْوَكُ . وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يُفَسَّرَ بِالنَّفْسِ وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ ؛ لِأَنَّهَا فِي تَأْوِيلِ نَكْرَةٍ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٨/١ (١٢٧٠) من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية من قوله .

(٢) ينظر ما تقدم في ٣٠٢/١ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف .

(٤) يريد بالتفسير هنا التمييز . مصطلحات النحو الكوفي ص ٢٩ .

(٥) سقط من : م .

وقد قال بعض نحويي البصرة: إن قوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جرت مجزى «سفه» إذا كان الفعل غير مُتَعَدٍّ، وإنما عدَّاه إلى «نفسه» و«رأيه» وأشباه ذلك مما هو في المعنى نحو «سفه»، إذا هو لم يَتَعَدَّ، فأما «غبن» و«خيسر» فقد يَتَعَدَّى إلى غيره، يقال: غبن خمسين وخيسر خمسين.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ : ولقد اصطفتنا إبراهيم . والهاء التي في قوله: ﴿أَصْطَفَيْنَهُ﴾ من ذكر إبراهيم . والاصطفاء الافتعال ، من الصفوة ، وكذلك «اصطفينا» : افتعلنا ، منه ، صُيِّرَتْ تَأْوِها طَاءً لِقَرَبٍ مَخْرَجِها مِنْ مَخْرَجِ الصَّادِ .

ويعنى بقوله: ﴿أَصْطَفَيْنَهُ﴾ : اختزناه ، واجتبيناه للحلَّة ، ولنُصَيِّرَه في الدنيا لمن بعده إماماً . وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن أن من خالف إبراهيم فيما سنَّ لمن بعده فهو لله مخالفٌ ، وإعلامٌ منه خلقه أن من خالف ما جاء به محمدٌ ﷺ ، فهو لإبراهيم مخالفٌ ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه [٥٢/٤] اصطفاه لحلَّته ، وجعله للناس إماماً ، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة ، ففي ذلك أوضح البيان من الله تعالى ذكره عن أن من خالفه فهو لله عدوٌّ ، لمخالفته الإمام الذي نصبه لعباده .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ : وإن إبراهيم في الدار الآخرة لمن الصالحين ، والصالح من بنى آدم هو المؤدَّى حقوق الله عليه . فأخبر تعالى ذكره عن إبراهيم خليله أنه في الدنيا له صفيٌّ ، وفي الآخرة وليٌّ ، وأنه واردٌ موارد أوليائه المؤمنين بعهدِهِ .

/ القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمٌ ﴾ : إذ قال لإبراهيم^(١) ربُّه :
أَخْلِصْ لِي الْعِبَادَةَ ، وَأَخْضِعْ لِي بِالطَّاعَةِ .

وقد دللنا فيما مضى على معنى « الإسلام » فى كلام العرب ، فأغنى ذلك عن إعادته^(٢) .

وأما معنى قوله : ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فإنه يعنى تعالى ذكره : قال
إبراهيمُ مُجيباً لربِّه : خَضَعْتُ بِالطَّاعَةِ ، وَأَخْلَصْتُ الْعِبَادَةَ لِمَالِكِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ
وَمُدَبِّرِهَا دُونَ غَيْرِهِ .

فإن قال قائل : قد عِلِمْتُ أَنَّ « إِذْ » وَوَقْتُ ، فَمَا الَّذِي وَوَقَّتْ بِهِ ، وَمَا الَّذِي
جَلَبَهُ^(٣) ؟ . قيل : هو صلة لقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ . وتأويل الكلام^(٤) :
ولقد اصْطَفَيْنَاهُ فى الدنيا حين قال ربُّه : أسلم . قال : أسلمتُ لربِّ العالمين . وإنما
معنى الكلام^(٤) : ولقد اصْطَفَيْنَاهُ فى الدنيا حين قلنا له : أسلم . قال : أسلمتُ لربِّ
العالمين . فأظهر اسمَ الله تعالى ذكره فى قوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمٌ ﴾ على وجه الخبر
عن غائب ، وقد جرى ذكره قبل على وجه الخبر عن نفسه ، كما قال حُفَافُ ابْنُ نُذْبَةَ^(٥) :

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمْحُ يَأْطِرُ مَثْنُهُ تَأْمَلُ حُفَافًا إِنِّي أَنَا ذَالِكَا
فإن قال لنا قائل : وهل دعا الله جل ثناؤه إبراهيم إلى الإسلام . قيل له^(٦) :

(١) فى م : « له » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « صلته » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) تقدم تخريجه فى ٢٣٠/١ .

(٦) زيادة من : م .

نعم ، قد دعاه إليه .

فإن قال : وفي أي حال دعاه إليه ؟ قيل : حين قال : ﴿ يَنْقُورِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ [الأنعام: ٧٨، ٧٩] . وذلك هو الوقت الذي قال له ربُّه : أسلم .
من بعد ما امتحنه بالكوكب^(١) والقمر والشمس .

[٤/٥٢ ظ] القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا ﴾ : ووصى بهذه الكلمة ، أعنى بالكلمة قوله : ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) وهى " الإسلام الذى أمر به نبيه ﷺ ، وهى إخلاص العبادَةِ والتوحيد لله ، وخضوع القلب والجوارح له .

ويعنى بقوله : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ ﴾ : عهد إليهم بذلك وأمرهم به .
وأما قوله : ﴿ وَيَعْقُوبَ ﴾ فإنه يعنى : ووصى بذلك أيضًا يعقوبَ بنيه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ﴾ يقول : ووصى بها يعقوبَ بنيه بعد إبراهيم^(٣) .
وحدثنى محمد بن سعيد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال :
حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ ﴾ : وصاهم بالإسلام ، ووصى يعقوبَ بمثل ذلك^(٤) .

(١) فى م : « بالكواكب » .

(٢ - ٢) فى م : « وهو » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٩/١ عقب الأثر (١٢٧٦) معلقًا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٩/١ (١٢٧٥ ، ١٢٧٦) عن محمد بن سعد به .

/ وقال بعضهم: قوله ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ خبرٌ مُتَقَضٍ. وقوله: ٥٦١/١ ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ خبرٌ مُبْتَدَأٌ، كأنه^(١) قال: ووَصَّى بها إبراهيمُ بَنِيه بأن يقولوا: أسلفنا لربِّ العالمين. ووَصَّى يعقوبُ بَنِيه أن: يا بني إن الله اصْطَفَى لكم الدينَ فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون.

ولا معنى لقولٍ مَنْ قال ذلك؛ لأنَّ الذي أَوْصَى به يعقوبُ بَنِيه نظيرُ الذي أَوْصَى به إبراهيمُ بَنِيه مِنَ الْحَثِّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ وَالْإِسْلَامِ.

فإن قال قائلٌ: فإن كان الأمرُ^(٢) على ما^(٢) وصفتُ من أن معناه: ووَصَّى بها إبراهيمُ بَنِيه ويعقوبُ أن يا بني. فما بالُ «أن» محذوفةٌ مِنَ الْكَلَامِ؟

قيل: لأن الوصيةَ قولٌ، فحُمِلت على معناها، وذلك أن ذلك لو جاء بلفظِ القولِ^(٣) لم تَحْسُنْ معه «أن»، وإنما كان يقالُ: وقال إبراهيمُ لبَنِيه ويعقوبُ: يا بَنِي. فلمَّا كانت الوصيةُ قولًا حُمِلت على معناها دونَ لفظِها، فحُذِفَتْ «أن» التي تَحْسُنْ معها، كما قال تعالى ذكره: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]. وكما قال الشاعرُ^(٤):

إِنِّي سَأُبْدِي لَكَ فِيمَا أُبْدِي

لِي شَجْنَانٍ شَجْنٌ^(٥) بَنَجْدٍ

وَشَجْنٌ لِي يِيْلَادِ السُّنْدِ

(١) في م: «فإنه».

(٢) (٢ - ٢) في ت ١، ت ٢، ت ٣: «كما».

(٣) في الأصل: «القرآن».

(٤) معاني القرآن ١/ ٨٠، ١٨٠، واللسان (ش ج ن) بغير نسبة.

(٥) الشجن: الحاجة أيما كانت. اللسان (ش ج ن).

فُحِذِفَتْ « أَنْ » إذْ كَانَ الْإِبْدَاءُ بِاللِّسَانِ فِي الْمَعْنَى قَوْلًا ، فَحَمَلَهُ عَلَى مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ .
 وَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ : إِنَّمَا حُذِفَتْ « أَنْ » مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ وَوَصَّيْنَا بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ
 وَيَعْقُوبَ ﴾ اِكْتِفَاءً بِاللُّدَائِ . يَعْنِي بِاللُّدَاءِ قَوْلُهُ : ﴿ يَبْنِي ﴾ وَزَعَمَ أَنَّ عَلَّتَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّ مِنْ
 شَأْنِ الْعَرَبِ الْاِكْتِفَاءَ بِالْأَدْوَاتِ مِنْ ^(١) « أَنْ » ، كَقَوْلِهِمْ : نَادَيْتُ هَلْ [٥٣/٤] قَمْتُ ؟
 وَنَادَيْتُ أَيْنَ زَيْدٌ ؟ . قَالَ : وَرَبَّمَا أَذْخَلُوهُمَا مَعَ الْأَدْوَاتِ فَقَالُوا : نَادَيْتُ أَنَّ هَلْ قَمْتُ ؟ .
 وَقَدْ قَرَأَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقُرَآةِ : (وَأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمَ) ^(٢) . بِمَعْنَى : عَهْدٌ .
 وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ : ﴿ وَوَصَّيْنَا ﴾ مُشَدَّدَةً ، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ عَهْدٌ إِلَيْهِمْ عَهْدًا بَعْدَ
 عَهْدٍ ، وَأَوْصَى وَصِيَّةً بَعْدَ وَصِيَّةٍ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾
 يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ ﴾ : إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَكُمْ
 هَذَا الدِّينَ الَّذِي ^(٣) عَهَدْنَا فِيهِ إِلَيْكُمْ ، وَاجْتَبَاهُ لَكُمْ . وَإِنَّمَا أَدْخَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي
 ﴿ الدِّينَ ﴾ ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ خُوطِبُوا مِنْ وَلَدِهِمَا وَبَيْنَهُمَا بِذَلِكَ كَانُوا قَدْ عَرَفُوهُ بِتَوْصِيَّتِهِمَا
 إِلَيْهِمْ بِهِ ، وَعَهْدِهِمَا إِلَيْهِمْ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ عَرَفَاهُمُوهُ : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ
 هَذَا الدِّينَ الَّذِي قَدْ عَهَدْنَا إِلَيْكُمْ فِيهِ ، فَاتَّقُوا ^(٤) أَنْ تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ عَلَيْهِ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .
 إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : أَوْ إِلَى بَنِي آدَمَ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فَيُنْهَى أَحَدُهُمْ أَنْ يَمُوتَ إِلَّا عَلَى
 حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ ؟

(١) فِي م ، ت ١ : « عَنْ » .

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٍ وَابْنِ عَامِرٍ ، وَبِالْقَابِضِ بَدُونِ هَمْزٍ وَتَشْدِيدِ الصَّادِ . السَّبْعَةُ لِابْنِ مَجَاهِدٍ ص ١٧١ .

(٣ - ٣) فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عَهْدٌ إِلَيْكُمْ فِيهِ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « اللَّهُ » .

قيل له: إن معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننت، وإنما معناه: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أى: فلا تُفارقن هذا الدين - وهو الإسلام - أيام حياتكم، وذلك أن أحدا لا يدرى متى تأتبه مَيتته، فلذلك قال لهم: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لأنكم لاتدرون متى تأتكم منايكم من ليل أو نهار، فلا تُفارقوا الإسلام فتأتيتكم منايكم وأنتم على غير الدين الذى اصطفاه لكم ربكم فتموتوا وربكم عليكم ساحط، فتَهَلِكُوا.

/ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ . ٥٦٢/١

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾: أكنتم شهداء^(١). ولكنه استفهم بـ «أم» إذ كان استفهاما مستأنفا على كلام قد سبقه، كما قيل: ﴿الْعَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ ۝ [٤/٥٣ظ] أَفْتَرَيْنَهُ ۝ [السجدة: ١-٣]. وكذلك تفعل العرب فى كل استفهام ابتدأته بعد كلام قد سبقه، تستفهم فيه بـ «أم».

والشهداء جمع شهيد، كما الشركاء جمع شريك، والخصماء جمع خصيم. وتأويل الكلام: أكنتم يا معشر اليهود والنصارى المكذبين بمحمد ﷺ، الجاحدين نبوته - حضور يعقوب وشهوذه إذ حضره الموت. أى: إنكم لم تحضروا ذلك، فلا تدعوا على أنبيائى ورؤسلى الأباطيل، وتتحلوهم اليهودية والنصرانية، فإنى ابتعثت خلى إبراهيم وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم بالحنيفية المسلمة، وبذلك وصوا بينهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم علمتم أنهم على غير ما تتحلونهم من الأديان والمِلل^(٢).

(١) سقط من: م.

(٢) بعده فى م: «من بعدهم».

وهذه الآيات نزلت تكذيباً من الله تعالى لليهود والنصارى فى دعواهم إبراهيم وولده و^(١) يعقوب أنهم كانوا على ملّتهم ، فقال لهم فى هذه الآية : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ فتعلموا ما قال لولده ، وقال له ولده ؟ ثم أعلمهم ما قال لهم وقالوا له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾ : يعنى أهل الكتاب^(٢) .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ . يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ ﴾ : إذ قال يعقوب لبنيه . و ﴿ إِذْ ﴾ هذه مُكْرَرَةٌ إِبْدَالًا مِنْ ﴿ إِذْ ﴾ الأولى ، بمعنى : أم كنتم شهداء يعقوب إذ قال يعقوب لبنيه حين حضور موته ؟ .

ويعنى بقوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ : أى شىء تعبدون من بعدى ؟ أى : من بعد وفاتى ؟ ﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ ﴾ يعنى به : قال بثوّه له : نعبدُ معبودك الذى تعبدّه ، ومعبود آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴿ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ أى : نُخْلِصُ لَهُ الْعِبَادَةَ ، وَنُوَحِّدُ لَهُ الرُّبُوبِيَّةَ ، فلا نشركُ به شيئاً ولا نتخذُ دونه ربّاً .

ويعنى بقوله : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ : ونحن له خاضعون بالعبودية والطاعة .

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٣٩/١ (١٢٧٨) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية من قوله .

وَيَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الْحَالِ ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا : نَعْبُدُ إِلَهَكَ مُسْلِمِينَ لَهُ بِطَاعَتِنَا وَعِبَادَتِنَا إِثَاءً . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا مُسْتَأْنَفًا ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى : نَعْبُدُ إِلَهَكَ بَعْدَكَ ، وَنَحْنُ لَهُ الْآنَ وَفِي كُلِّ حَالٍ مُسْلِمُونَ .

/ قال أبو جعفر : وأحسنُ هذين الوجهين في تأويل ذلك أن يكونَ بمعنى الحالِ ، وأن ٥٦٣/١ يكونَ بمعنى : نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ مُسْلِمِينَ لِعِبَادَتِهِ . وقيل : إنما قُدِّمَ ذِكْرُ إِسْمَاعِيلَ عَلَى إِسْحَاقَ ؛ لِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ كَانَ أَسَنَ مِنْ إِسْحَاقَ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني يونس بن [٤/٤٠٥] عبد الأعلى ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ قَالَ : يُقَالُ : بَدَأَ بِإِسْمَاعِيلَ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ^(١) .

وقرأ بعضُ القراءة^(٢) : (وَإِلَهَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ)^(٣) . ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانَ عَمًّا لِيَعْقُوبَ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَنْ تُرْجَمُ بِهِ عَنِ الْآبَاءِ وَدَاخِلًا فِي عِدَادِهِمْ . وَذَلِكَ مِنْ قَارِيئِهِ^(٤) كَذَلِكَ قِلَّةٌ عِلْمٌ مِنْهُ بِمَجَارِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَالْعَرَبُ لَا تَمْتَنِعُ مِنْ أَنْ تَجْعَلَ الْأَعْمَامَ بِمَعْنَى الْآبَاءِ ، وَالْأُخُوَالَ بِمَعْنَى الْأُمَّهَاتِ ، فَلِذَلِكَ دَخَلَ إِسْمَاعِيلُ فِي مَنْ تُرْجَمُ بِهِ عَنِ الْآبَاءِ .

و﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ تَرْجَمَةٌ عَنِ الْآبَاءِ فِي مَوْضِعِ جُرِّ ، وَلَكِنَّهُمْ نُصِبُوا بِأَنَّهُمْ^(٥) لَا يُجْزَوْنَ .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٣٩/١ إلى المصنف .

(٢) في م : « المتقدمين » .

(٣) هي قراءة ابن عباس والحسن وابن يعمر والجلحدرى وأبى رجاء . ينظر البحر المحيط ٤٠٢/١ .

(٤) في الأصل : « قراءته » .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « لأنهم » .

والصواب من القراءة عندنا في ذلك: ﴿وَاللَّهُ آبَابِكُ﴾ لإجماع القرأة على تصويب ذلك وشذوذ من خالفه من القرأة ممن قرأ خلاف ذلك .

ونُصِبَ قوله: ﴿إِلَهًا﴾ على الحال من قوله: ﴿إِلَهَكَ﴾ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٣) .

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم . يقول لليهود والنصارى: يا معشر اليهود والنصارى ، دَعُوا ذِكْرَ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والمسلمين من أولادهم بغير ما هم أهلُه ، ولا تَنَحُلُوهُمْ^(١) الكُفْرَ^(٢) واليهودية والنصرانية فتَضَيِّفُوها إليهم ، فإنهم أُمَّةٌ - ويعنى بالأُمَّة فى هذا الموضع الجماعة والقرن من الناس - ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ : قد^(٣) مضت لسبيلها .

وإنما يقال للذى قد مات فذهب : قد خلا . لتخليه من الدنيا ، وانفراجه مما^(٤) كان من الأنس بأهله وقُرْبَانَيْهِ فى دنياه ، وأصله من قولهم : خلا الرجلُ . إذا صار إلى المكان الذى لا أنيس له فيه وانفرد من الناس ، فاستعمل ذلك فى الذى يموت على ذلك الوجه .

ثم قال تعالى ذكره لليهود والنصارى : إن لمن نحلتُموه ضلالكم^(٥) وكفركم الذى أنتم عليه من أنبيائى ورسلى ما كسب^(٥) .

(١ - ١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « كفر » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بما » .

(٤) فى م ، ت ، ٣ : « بضلالكم » .

(٥) فى م : « كسب » .

والهاء والألف في قوله: ﴿لَهَا﴾ عائدةٌ إن شئت على ﴿تِلْكَ﴾، وإن شئت على ﴿أُمَّةٌ﴾.

ويعنى بقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أى: ما عملت من خير، ولكم يا معشر اليهود والنصارى مثل ذلك ما عملتم، ولا تُؤاخِذون أنتم أيها^(١) الناجِلوهم ما تنحلونهم^(٢) من المَلَلِ، فثَسألوا عَمَّا كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وولدهم يعملون فيكسبون من خير [٥٤/٤] وشراً؛ لأن لكل نفس ما كسبت، وعليها ما اكتسبت، فدَعُوا انتحالهم وانتحال مِلَلِهِمْ، فإن الدعاوى غيرُ مُغْنِيَتِكُمْ عندَ اللَّهِ شَيْئاً^(٣)، وإنما يُغْنِي عنكم عنده ما سَلَفَ لكم من صالحِ أَعْمَالِكُمْ إن كنتم عملتموها وقدَّمتموها أمامكم^(٤).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.

/ يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾: وقالت اليهود لحمدٍ ﷺ وأصحابه من المؤمنين: كونوا يهوداً تهتدوا. وقالت النصارى لهم: كونوا نصارى تهتدوا. ويعنى بقوله: ﴿تَهْتَدُوا﴾: أى: تُصِيبُوا طريقَ الحقِّ.

كما حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، وحدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، جميعاً عن ابن إسحاق، قال: حدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت، قال: حدثنى سعيد بن جبيرة، أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال عبد الله ابنِ ضُورِيا الأعورِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فأتبعنا يا محمد تهتد. وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ

(١ - ١) فى م، ت ١، ت ٣: «الناحلون مانحلتموهم»، وفى ت ٢: «الناحلون ما ينحلونهم».

(٢) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

نَصَرَئِي تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ .

فاحتجَّ اللهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أبلغَ حُجَّةٍ وأوجزها وأكملها، وعلمها محمداً نبيَّه ﷺ فقال: يا محمدُ، قل للقاتلين لك من اليهود والنصارى ولأصحابك: كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا - بل تعالوا فلتتبع مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ التي يُجْمَعُ^(٢) جميعنا على الشهادة لها بأنها دينُ اللهِ الذي ارتضاه واجتبه وأمر به، فإنَّ دينه كان الحنيفيةَ المسلمةَ، وندَّع سائر الملل التي نختلف فيها فينكرها بعضنا ويُقرُّ بها بعضنا، فإن ذلك على اختلافه لا سبيلَ لنا إلى^(٣) الاجتماعِ عليه، كما لنا السبيلُ إلى الاجتماعِ على مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ .

وفي نَصْبِ قوله: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أوجهٌ ثلاثة:

أحدها: أن يُوجَّهَ معنى قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا﴾ إلى معنى: وقالوا: اتَّبِعُوا اليهوديةَ والنصرانيةَ. لأنهم إذ قالوا: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارًا﴾ إلى اليهودية والنصرانية دَعَوْهم، ثم يُعْطَفُ على ذلك المعنى بالملة، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: قل يا محمدُ: لا تتبَّع اليهوديةَ والنصرانيةَ، ولا تتخذها مِلَّةً، بل تتبَّع مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا. ثم يُحَدَفُ «تتبع» الثانية، ويُعْطَفُ بالملة على إعرابِ «اليهودية» و«النصرانية». والآخر: أن يكونَ نَصْبُهُ بفعلٍ مُضْمَرٍ بمعنى «تتبع».

والثالث: أن يكونَ أريدَ: بل نكونُ أصحابَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، أو أهلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ. ثم حذَفَ الأهلَ والأصحابَ، وأقيمتِ المِلَّةُ [٥٥/٤] مقامهم، إذ كانت مؤدويةً عن

(١) سيرة ابن هشام ٥٤٩/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩٠) من طريق يونس به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٠/١ إلى ابن المنذر. وينظر تفسير البغوي ١٥٥/١، وتفسير ابن كثير ٢٧١/١.

(٢) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «تجمع».

(٣) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «على».

معنى الكلام، كما قال الشاعر^(١):

حَسِبْتَ بُغَامَ راحلتى عَناقًا وما هي وَئِبَ غيرِكَ بالعَناقِ
يعنى صوتَ عَناقٍ . فتكونُ الملةُ حينئذٍ منصوبةً عطفًا فى الإعرابِ على اليهودِ
والنصارى . وقد يجوزُ أن يكونَ منصوبًا على وجهِ الإغراءِ باتباعِ ملةِ إبراهيمَ .

وقرأ بعضُ القرّاءِ ذلكَ رفعًا^(٢) ، فتأويلُه على قراءةٍ من قرأه رفعًا : بل الهدى ملةُ إبراهيمَ .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ بَلْ مَلَّةٌ إِذْ هَمَّ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٣٥) .

والملةُ الدينُ ، وأما الحنيفُ فإنه المستقيمُ من كلِّ شىءٍ . وقد قيل : إن الرجلَ
الذى تُقبلُ إحدى قدميه على الأخرى إنما قيل له : أَحْنَفُ . نظرًا له إلى السلامةِ ، كما
قيل للمهلكةِ من البلادِ : المَفَارَةُ . بمعنى الفوزِ بالنجاةِ فيها^(٣) والسلامةِ ، وكما قيل
للدبيعِ : السَّليْمُ . فتأويلُ له بالسلامةِ من الهلاكِ ، وما أشبه ذلك .

/ فمعنى الكلامِ إذن : قل يا محمدُ : بل نَتَّبِعُ ملةَ إبراهيمَ مستقيماً . فيكونُ
« الحنيفُ » حينئذٍ حالاً من « إبراهيمَ » .

وأما أهلُ التأويلِ ، فإنهم اختلفوا فى تأويلِ ذلك ، فقال بعضهم : الحنيفُ
الحاجُّ . وقال^(٤) : إنما سُمِّيَ دينُ إبراهيمَ الإسلامَ الحنيفيةً ؛ لأنه أوَّلُ إمامٍ لَزِمَ العبادَ
الذين كانوا فى عصرِهِ ، والذين جاءوا بعده إلى يومِ القيامةِ - اتباعُهُ فى مناسِكِ
الحجِّ ، والائتمامُ به فيه . قالوا : فكلُّ من حجَّ البيتَ فَتَسَكَ مَناسِكَ إبراهيمَ على
ملتهِ ، فهو حنيفٌ مسلمٌ على دينِ إبراهيمَ .

(١) تقدم فى ص ٢٦٥ .

(٢) هى قراءة ابن هرمز الأعرج وابن أبى عبة وابن جندب . ينظر مختصر ابن خالويه ص ١٧ ، والبحر المحيط ٤٠٦/١ .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « منها » .

(٤) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قيل » .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ، قال: ثنا القاسمُ بنُ الفضلِ، عن كثيرِ أبي سهلٍ، قال: سألتُ الحسنَ عن الحَنِيفِيَّةِ، قال: حجَّ البيتِ .

وحدثني محمدُ بنُ عُمارةَ^(١) الأَسَدِيُّ، قال: ثنا عبيدُ^(٢) اللّٰه بنُ موسى، قال: أخبرنا فضيلٌ، عن عطيةَ في قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ قال: الحَنِيفُ الحَاجِجُ^(٣) .

وحدثني الحسينُ بنُ عليِّ الصُّدَائِيُّ، قال: ثنا أبي، عن الفضيلِ، عن عطيةَ مثله .

وحدثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا حَكَّامُ بنُ سليمٍ^(٤)، عن عَبَسَةَ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ، عن مجاهدٍ، قال: الحَنِيفُ الحَاجِجُ .

وحدثني الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرنا ابنُ التَّيْمِيِّ، عن كثيرِ بنِ زيادٍ، قال: سألتُ الحسنَ عن الحَنِيفِيَّةِ، قال: هو حجُّ هذا البيتِ . قال ابنُ التَّيْمِيِّ: وأخبرني جُوَيْبِرٌ، عن الضحَّاكِ [٤/٥٥٥ظ] بنِ مُزَاجِمٍ مثله^(٥) .

وحدثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا ابنُ مَهْدِيٍّ، قال: ثنا سفيانُ، عن السديِّ، عن مجاهدٍ ﴿حُنَفَاءَ﴾ [الحج: ٣١] قال: حُجَّاجًا^(٦) .

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «عبادة» .

(٢) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «عبد» .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤١، عقب الأثر (١٢٩١) معلقا .

(٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «سالم» .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/٥٩ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٥٩ إلى عبد بن حميد وهو في تفسير سفيان ص ٢١٢ عن السدي من قول ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤١ عقب الأثر (١٢٩١) من طريق أسباط، عن السدي . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٠، ٤/٣٥٩ إلى ابن المنذر عن السدي .

وحدثني المثنى، قال: ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح، قال: حدثني معاويةُ بنُ صالح، عن عليِّ بنِ أبي طلحة، عن ابنِ عباسٍ قوله: ﴿حَنِيفًا﴾ قال: حاجًّا^(١).

حدثت عن وكيع، عن فضيل بنِ عَزْوَانَ، عن عبدِ اللهِ بنِ القاسم، قال: كان ناسٌ^(٢) من مُضَرَ يُحْجُونَ البيتَ في الجاهلية يُسَمُّونَ حُنَفَاءَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى ذكره ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾^(٣).

وقال آخرون: الحنيفُ المتَّبِعُ. كما وصفنا قبل من قول الذين قالوا: إن معناه الاستقامة.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بنُ بشر، قال: ثنا عبدُ الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابنِ أبي نجیح، عن مجاهد: ﴿حُنَفَاءَ﴾ قال: مُتَّبِعِينَ^(٤).

وقال آخرون: إنما سُمِّيَ دينُ إبراهيم الحنيفية؛ لأنه أولُ إمامٍ سنَّ للعبادِ الحِيتانَ، فاتَّبَعَهُ مَنْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ. قالوا: فكلُّ مَنْ اخْتَنَنَ عَلَى سَبِيلِ اخْتِنَانِ إِبْرَاهِيمَ، وهو^(٥) على ما كان عليه إبراهيم من الإسلام، فهو حنيفٌ على ملةِ إبراهيم.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩١) من طريق عبد الله بن صالح به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى ابن المنذر.

(٢) في م، ت، ١، ت ٢: «الناس».

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى ابن أبي حاتم.

(٤) تفسير سفيان ص ٢١٢، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤١/١ (١٢٩٢). وعزاه السيوطي في

الدر المنثور ٣٥٩/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥ - ٥) في م: «فهو».

/ وقال آخرون : قوله : ﴿ بَلْ مَلَّةٌ إِزْهَعَمَ حَنِيفًا ﴾ : بل ملّة إبراهيم مُخْلِصًا .
فالحَنِيفُ على قولهم ، المُخْلِصُ دينه لله وحده .

٥٦٦/١

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن
السدّي : ﴿ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء : ١٢٥] . يقول : مُخْلِصًا ^(١) .
وقال آخرون : بل الحَنِيفِيَّةُ الإسلام ، فكلُّ مَنْ اتَّخَمَ بِإِبْرَاهِيمَ فِي مِلَّتِهِ فَاسْتَقَامَ
عليها فهو حَنِيفٌ .

قال أبو جعفر : والحَنِيفُ عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم واتباعه على
مِلَّتِهِ ، وذلك أن الحَنِيفِيَّةَ لو كانت حجّ البيت ، لوجب أن يكون الذين كانوا يُحْجُّونَهُ
في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء ، وقد نفى الله جل ثناؤه أن يكون ذلك تحكفاً
بقوله : ﴿ وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] .
وكذلك القول في الختان ؛ لأن الحَنِيفِيَّةَ لو كانت هي الختان ، لوجب أن يكون
اليهود حنفاء ، وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا
نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾ [آل عمران : ٦٧] . فقد صحّ إذن أن الحَنِيفِيَّةَ
ليست الختان وحده ، ولا حجّ البيت وحده ، ولكنه هو ما وصفنا من الاستقامة
على ملّة إبراهيم واتباعه عليها والائتمام به فيها .

فإن قال قائل : أو ما كان من كان قبل إبراهيم عليه السلام من الأنبياء وأتباعهم
مستقيمين على ما أمروا به من طاعة الله استقامة إبراهيم وأتباعه ؟ قيل : بلى .

فإن قال قائل : فكيف أضيف الحَنِيفِيَّةَ إلى إبراهيم وأتباعه على مِلَّتِهِ خاصة دون

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٠٧٤/٤ (٦٠١١) من طريق أحمد بن المفضل به .

سائر الأنبياء قبله وأتباعهم ؟

قيل : إن كل من كان قبل إبراهيم من الأنبياء كان حقيقاً مُتبعاً طاعة الله ، ولكن الله تعالى ذكره لم يجعل أحداً منهم إماماً لمن بعده من عباده إلى قيام الساعة ، كالذى فعل من ذلك إبراهيم ، فجعله إماماً فيما بينه من مناسك الحج [٥٦/٤] والحيتان ، وغير ذلك من شرائع الإسلام - يُقتدى^(١) به أبداً إلى قيام الساعة ، وجعل ماسن من ذلك علماً مُميّزاً بين مؤمنى عباده وكفارهم ، والمطيع منهم له والعاصى ، فسُمى الخيف من الناس حقيقاً بأتباعه ملته واستقامته على هديه ومنهاجه ، وسُمى الضال عن ملته بسائر أسماء الملل ، فقيل : يهودى ونصرانى ومجوسى ، وغير ذلك من صنوف الملل .

وأما قوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . فإنه يقول : إنه لم يكن ممن يدين بعبادة الأوثان والأصنام ، ولا كان من اليهود ولا من النصارى ، بل كان حقيقاً مسلماً .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

/ يعنى بذلك جل ثناؤه : قولوا أيها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم : كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا - : ﴿ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ ﴾ . أى : صدقنا .

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الإيمان التصديق ، بما أغنى عن إعادته^(٢) .

﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾ يقول : وصدقنا أيضاً بالكتاب الذى أنزل الله إلى نبينا محمداً ﷺ . فأضاف الخطاب بالتنزيل إليهم ، إذ كانوا مُتبعيه ومأمورين منهيين به ، فكان وإن كان تنزيلاً إلى رسول الله ﷺ - بمعنى التنزيل إليهم للذى لهم فيه من

(١) فى م : « تبعدا » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٢٤٠ ، ٢٤١ .

المعاني التي وَصَفْتُ .

ويعنى بقوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُصَدِّقُ الْكَلِمَاتِ الْمُنَبَّاتِ وَالنَّبَاتِ الَّتِي اتَّخَذْتُمُ الْمَنَازِلَ أَنَّهَا رَبِّهَا لَأَنبَاءٌ مِّنْ رَبِّكَ مُبَشِّرَاتٌ لِّقَوْمٍ يُدْعُونَ ﴾ : وَصَدَّقْنَا أَيضًا وَأَمَّنَّا بِمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِلَى إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ . وَهَمَّ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ وَلَدِ يَعْقُوبَ .
وقوله : ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ يعنى : وَأَمَّنَّا أَيضًا بِالتَّوْرَةِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ مُوسَىٰ ، وَبِالْإِنْجِيلِ الَّذِي آتَاهُ عِيسَى ، وَالْكِتَابِ الَّتِي آتَى النَّبِيِّينَ كُلَّهُمْ ، وَأَقْرَبْنَا وَصَدَّقْنَا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حَقٌّ وَهُدًى وَنُورٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ أَنْبِيَائِهِ كَانُوا عَلَى حَقٍّ وَهُدًى يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى مِثَالِ وَاحِدٍ فِي الدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ .

﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ﴾ . يَقُولُ : لَا نُوْمُنُ بِبَعْضِ [٤/٥٦ هـ] الْأَنْبِيَاءِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ، وَنَتَّبِعُ مِنْ بَعْضٍ وَنَتَّوَلَّى بَعْضًا ، كَمَا تَبَرَّاتِ الْيَهُودُ مِنْ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَقْرَبَتْ بغيرِهِمَا ^(١) مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ^(٢) ، وَكَمَا تَبَرَّاتِ النَّصَارَى مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأَقْرَبَتْ بغيرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، بَلْ نَشْهَدُ لِجَمِيعِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا رُسُلَ اللَّهِ وَأَنْبِيَآءَهُ ، بُعِثُوا بِالْحَقِّ وَالْهُدَى .
وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ : وَنَحْنُ لِلَّهِ خَاضِعُونَ بِالطَّاعَةِ ، مُذْعِنُونَ لَهُ بِالْعِبَادَةِ . فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ لِلْيَهُودِ ، فَكَفَرُوا بِعِيسَى وَبِمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ .

كَمَا حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، أَوْ عِكْرَمَةُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ مِنْ يَهُودَ فِيهِمْ أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبٍ ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ ، وَعَازِرُ بْنُ خَالِدٍ ، وَزَيْدٌ ، وَإِزَارُ بْنُ أَبِي إِزَارٍ ، وَأَشْيَعُ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنَ الرُّسُلِ ، فَقَالَ : « أُوْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَى

(١) فى الأصل : « بغيره » .

(٢) فوقها إحالة فى الأصل ، وفى الحاشية كلام غير مقروء .

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أُوتيت موسى وعيسى، وما أُوتيت النبيون من ربهم، لا نُفَرِّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مُسْلِمُونَ». فلما ذكر عيسى جحدوا بُيُوتَهُ وقالوا: لا نُؤْمِنُ بعيسى، ولا نُؤْمِنُ بمن آمن به. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِشُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَتْسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

وحدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ، قال: ثنا سَلَمَةُ، قال: ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قال: حدثني مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله ﷺ. فذكر نحوه، / إلا أنه قال: ونافع بن أبي نافع. مكان ٥٦٨/١ رافع بن أبي رافع^(١).

وقال قتادة: أنزلت هذه الآية أمراً من الله تعالى ذكره للمؤمنين بتصديق رسوله كلهم.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا﴾. إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا ويصدقوا بأبيائه ورسوله كلهم^(٢)، ولا يفرقوا بين أحدٍ منهم^(٣).

وأما الأسباط الذين ذكرهم الله، فهم اثنا عشر رجلاً من ولد يعقوب بن

(١) سيرة ابن هشام ٥٦٧/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٣/١، ١١٦٤/٤، (١٢٩٩، ٦٥٥٩) من طريق سلمة به.

(٢) في الأصل: «كلها».

(٣) أخرجه آخره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٣/١ (١٣٠٥) من طريق يزيد به، وأخرج أوله (١٣٠٤) من طريق شيبان النحوي عن قتادة.

إسحاق بن إبراهيم ، ولد كل رجلٍ منهم أمةً من الناس ، فشمّوا أسباطًا .

كما حدثنا بشر بن معاوية ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال :
الأسباط : يوسف وإخوته بنو يعقوب ، ولد اثنتي عشر رجلاً ، فولد كل رجلٍ منهم
أمةً من الناس ، فشمّوا أسباطًا^(١) .

حدثني موسى ، قال : ثنا [٥٧/٤] عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : أما
الأسباط فهم بنو يعقوب ؛ يوسف ، وبنيامين ، وزبول ، ويهوذا ، وشمعون ، ولأوى ،
ودان ، وقهاث^(٢) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق^(٣) ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن
الربيع ، قال : الأسباط : يوسف وإخوته بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً ، فولد لكل رجلٍ
منهم أمةً من الناس ، فشمّوا الأسباط^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال :
نكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله ليا ابنة ليان بن تبول^(٥) بن
إلياس ، فولدت له زبول بن يعقوب ، وكان أكبر ولده ، وشمعون بن يعقوب ، ولأوى
ابن يعقوب ، ويهوذا بن يعقوب ، وربالون^(٦) بن يعقوب ، ويشجر بن يعقوب ، ودينه
بنت يعقوب ، ثم توفيت ليا بنت ليان ، فخلّف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٣/١ عقب الأثر (١٣٠٠) معلقاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٣/١ (١٣٠١) من طريق عمرو به .

(٣) في الأصل : « أسباط » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٣/١ عقب الأثر (١٣٠٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٥) في م : « تبول » ، وفي ت ٣ : « يوبيل » ، وفي تاريخ المصنف : « بتويل » .

(٦) في م : « ربالون » .

تبويل بن إلياس ، فولدت له يوسف بن يعقوب وبنيامين^(١) بن يعقوب^(١) ، وهو بالعربية شداد^(٢) ، ووُلد له من سُرِّيَّيْن له ، اسمُ إحداهما زلفه ، واسمُ الأخرى بلهه^(٣) ، أربعة نفر : دان بن يعقوب ، ونفثالي^(٤) بن يعقوب ، وجاد بن يعقوب ، وأشر^(٥) بن يعقوب ، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً ، نَشَرَ اللهُ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ سِبْطًا لَا يُحْصِي عَدَدَهُمْ وَلَا يَعْلَمُ أُنْسَابَهُمْ إِلَّا اللهُ ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا ﴾^(٦) [الأعراف : ١٦٠] .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ : فإن صدق اليهود والنصارى بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، وأقرؤا بذلك مثل ما صدقتم أنتم به أيها المؤمنون وأقررتهم ، فقد وفقوا ورشدوا ولزموا/ طريق ٥٦٩/١ الحق فاهتدوا^(٧) ، وهم حينئذ منكم وأنتم منهم لدخولهم^(٨) في ملتكم ، بإقرارهم بذلك . فدلَّ تعالى ذكره بهذه الآية على أنه لم يقبل من أحدٍ عملاً إلا بالإيمان بهذه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « أشد » .

(٣) فى م : « بلهية » .

(٤) فى الأصل : « نفثالى » .

(٥) فى م : « أشرب » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣١٧/١ .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « واهتدوا » .

(٨) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بدخولهم » .

المعاني التي «عدها قبلها» .

كما حدثنا المثني ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ ونحو هذا . قال : أخبر الله سبحانه أن الإيمان هو العروة الوثقى ، وأنه لا يقبل عملاً إلا به ، ولا يحرمُ الجنةَ إلا على من تركه ^(٢) .

وقد روى عن ابن عباس في ذلك قراءةٌ جاءت مصاحفُ المسلمين بخلافها ، وأجمعت قراءة القرآن على تركها .

وذلك ما حدثنا به محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي حمزة ، قال : قال ابن عباس : لا تقولوا : ﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا ﴾ - [٥٧/٤ظ] فإنه ليس لله مثل - ولكن قولوا : (فَإِنِ آمَنُوا بِالذِي آمَنْتُمْ بِهِ) . أو قال : (فَإِنِ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ) ^(٣) .

فكان ابن عباس في هذه الرواية - إن كانت صحيحة عنه - وجه تأويل قراءة من قرأ : ﴿ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ ﴾ : فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ اللَّهِ ، وبمثل ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل . وذلك إذا صُرف إلى هذا الوجه شريك - لا شك - بالله العظيم ؛ لأنه لا مثل لله تعالى ذكره فيؤمن أو يكفر به ، ولكن تأويل ذلك على غير المعنى الذي وُجّه إليه تأويله ، وإنما معناه ما وصفنا ، وهو : فَإِنِ صَدَّقُوا مِثْلَ تَصَدِّيقِكُمْ بِمَا صَدَّقْتُمْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ مَا عَدَدْنَا عَلَيْكُمْ مِنْ كُتُبِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ ، فقد اهتدوا . فالتشبيه إنما وقع

(١ - ١) في الأصل : «عدها فيها» .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٤/١ (١٣٠٧) من طريق أبي صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ٧٦ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٤/١ (١٣٠٦) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٠٣) من طريق شعبة به . وعنه ابن أبي داود «أبو حمزة» وأبو حمزة هو عمران بن

بين التصديقين والإقرارين اللذين هما إيمان هؤلاء وإيمان هؤلاء ، كقول القائل : مرَّ
 عمرُّو بأخيك مثل ما مرَّرتُ به . يعنى بذلك : مرَّ عمرُّو بأخيك مثل مرورى به .
 فالتمثيل^(١) إنما دخل تمثيلاً بين المرورين ، لا بين عمرو وبين المتكلم ، فكذلك قوله :
 ﴿ فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتم بِهِ ﴾ إنما وقع التمثيل بين الإيمائين لا بين المؤمن به .
 القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِن نَّوَلَّوْا فإِنَّمَا هُمْ فى شِقَاقِ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَإِن نَّوَلَّوْا ﴾ : وإن تولى هؤلاء الذين قالوا لمحمد
 ﷺ وأصحابه : كونوا هوداً أو نصارى . فأعرضوا ، ولم يؤمنوا مثل إيمانكم أيها
 المؤمنون بالله ، وبما جاءت به الأنبياء ، واثنعتت به الرسل ، وفرَّقوا بين رسل الله ،
 وبين الله ورسوله^(٢) ، فصدَّقوا ببعض وكفروا ببعض ، فاعلموا أيها المؤمنون أنهم إنما
 هم فى عصيان وفراق وحرب لله ولرسوله ولكم .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ،^(٣) قال : حدَّثنا سعيد^(٤) عن قتادة :
 ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فى شِقَاقِ ﴾ أى : فى فراق^(٥) .

وحدثنى المننى ، قال : ثنا إسحاق ، قال ثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع :
 ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فى شِقَاقِ ﴾ يعنى : فراق^(٥) .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : قال ابنُ زيد : ﴿ وَإِن نَّوَلَّوْا فإِنَّمَا

= أبى عطاء القصاب ، وأبو جمره نصر بن عمران كلاهما رويَا عن ابن عباس ، وروى عنهما شعبة .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « والتمثيل » .

(٢) فى م ، ت ، ١ : « ورسله » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٤/١ عقب الأثر (١٣١١) معلقاً .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٤/١ عقب الأثر (١٣١١) من طريق ابن أبى جعفر به .

هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴿١٣٧﴾ قال: الشُّقَاقُ المنازعةُ والمُحاربةُ، إذا شاقَّ فقد حاربَ، وإذا حاربَ فقد شاقَّ، وهما واحدٌ في كلامِ العربِ. وقرأ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ [النساء: ١١٥].

وأصلُ الشُّقَاقِ عندنا، واللَّهُ أعلمُ، مأخوذٌ من قولِ القائلِ: شقَّ عليَّ ^(١) هذا الأمرُ، إذا كَرَّتهُ ^(٢) وآذاه. ثم قيل: شاقَّ فلانٌ فلانًا. بمعنى: نال كلَّ واحدٍ منهما من صاحبه ما كَرَّتهُ / وآذاه [٥٨/٤] وأثقلته مَسَاءتُهُ، ومنه قولُ اللَّهِ تعالى ذكره ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ [النساء: ٣٥]. بمعنى: فِراقٍ بينهما.

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿نَسِيكَكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾.

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿نَسِيكَكُمْ اللَّهُ﴾: فسيُكَفِكُ اللَّهُ يا محمدُ هؤلاءِ الذين قالوا لك ولأصحابك: ﴿كونوا هُودًا أو نصارى تهتدوا﴾. من اليهودِ والنصارى، إن هم تَوَلَّوْا عن أن يُؤْمِنُوا مثلَ ^(٣) إيمانِ أصحابك باللَّهِ، وبما أنزل إليكَ، وما أنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ وسائرِ الأنبياءِ غيرهم، وفَرَّقُوا بين اللَّهِ ورسوله، إما بقتلِ بالسيفِ، وإما بجلاءٍ عن جوارك، وغير ذلك من العقوباتِ، فإنَّ اللَّهَ هو السَّمِيعُ لما يقولون لك بألسنتهم، ويَتَّبِعُونَ لك بأفواههم من الجهلِ والدعاءِ إلى الكفرِ والمِللِ الضالَّةِ، العليمُ بما يَنْظُرُونَ ^(٤) لك ولأصحابك من المؤمنين عليه ^(٥) في أنفسهم من الحسدِ والبغضاءِ، ففعلَ اللَّهُ بهم ذلك عاجلاً، وأنجزَ وَعَدَهُ، فكفاهم ^(٦) نبيَّهُ ﷺ بتسليطه إياه عليهم حتى قَتَلَ بعضهم، وأجلنى بعضًا، وأذلَّ بعضًا وأخزاه بالجزيةِ والصَّغارِ.

(١) في م، ت، ١، ت ٢، ت ٣: «عليه».

(٢) في م، ت، ١، ت ٢، ت ٣: «كرهه»، وكرَّته الأمرُ يكرُّه ساءه واشتد عليه وبلغ منه المشقة. اللسان (كرث).

(٣) في م، ت، ٢: «بمثل».

(٤) في م: «ينظرون»، وفي ت، ١، ت ٢، ت ٣: «ينظرون».

(٥) سقط من: م، ت، ١، ت ٢.

(٦) في م، ت، ٢: «فكفى».

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بالصِّبْغَةِ صبغة الإسلام ، وذلك أن النصارى إذا أرادت أن تُنصِّرَ أطفالهم جعلتهم فى ماءٍ لهم ترغُم أن ذلك لها تقديسٌ بمنزلة الخِتَانَةِ^(١) لأهل الإسلام ، وأنه صِبْغَةٌ لهم فى النصرانية ، فقال الله تعالى ذكره ، إذ قالوا النبيُّ محمدٌ ﷺ وأصحابه المؤمنين به : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ : قل لهم يا محمدٌ : أيها اليهودُ والنصارى ، بل اتَّبِعُوا ملةَ إبراهيمَ صِبْغَةَ اللَّهِ التى هى أحسنُ الصِّبْغِ ، فإنها هى الحنيفيةُ المسلمةُ ، ودَعُوا الشْرَكَ بِاللَّهِ والضلالَ عن مَحَجَّةِ هُداة .

وَنَصَبَ « الصِّبْغَةَ » مَنْ قَرَأَهَا نَصَبًا عَلَى الرَّدِّ عَلَى « المِلَّةِ » ، وكذلك رَفَعَ « الصِّبْغَةَ » مَنْ رَفَعَ « المِلَّةَ » عَلَى رَدِّهَا عَلَيْهَا . وقد يجوزُ رَفْعُهَا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ ، وذلك عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، بِمَعْنَى : هِيَ صِبْغَةُ اللَّهِ . وقد يجوزُ نَصْبُهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الرَّدِّ عَلَى « المِلَّةِ » ، ولكن عَلَى قَوْلِهِ : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ . إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ ، بِمَعْنَى : آمَنَّا هَذَا الْإِيمَانَ . فَيَكُونُ الْإِيمَانُ حِينَئِذٍ هُوَ صِبْغَةُ اللَّهِ .
وَبِمِثْلِ [٥٨/٤] الَّذِي قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ « الصِّبْغَةِ » قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدٌ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادة قوله : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ : إن اليهودَ تَصْبِغُ أبناءَها يهودَ ، والنصارى تَصْبِغُ أبناءَها نصارى ، وإن صبغةَ اللهِ الإسلامُ ، فلا صبغةَ أحسنُ من الإسلامِ ولا أظهُرُ ، وهو دينُ اللهِ الذى بعث به نوحًا والأنبياءَ بعده^(٢) .

(١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « غسل الجنابة » . وينظر معانى القرآن للفراء ١/٨٢ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال لي عطاء : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ : صَبَغْتَ الْيَهُودَ أَبْنَاءَهُمْ ، خَالَفُوا الْفِطْرَةَ .
واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ ؛ فقال بعضهم : دين الله .

/ ذكر من قال ذلك

٥٧١/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ قال : دين الله ^(١) .

وحدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية في قوله : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ قال : دين الله ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَغَةَ ﴾ : وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ دِينًا ^(٢) ؟ .

وحدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع مثله ^(٣) .

وحدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : ثنا أبو أحمد الزبير ، قال : ثنا سفیان ، عن رجل ، عن مجاهد مثله ^(٤) .

وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفیان ، عن مجاهد مثله .

وحدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن

(١) تفسير عبد الرزاق ٦٠/١ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣ ، ١٣١٥) من طريق أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣ ، ١٣١٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه عبد بن حميد - كما في الفتح ١٦١/٨ من طريق منصور ، عن مجاهد ، وهو في تفسير سفیان

مجاهد مثله .

وحدثنا أحمد بن إسحاق ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية قوله : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ قال : دين الله ^(١) .

وحدثنا موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَغَهُ ﴾ يقول : دين الله ، ومن أحسن من الله ديناً ^(٢) ؟ .

وحدثنى محمد بن سعيد ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنى عمى ، قال : حدثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ قال : دين الله ^(٣) .

وحدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ قال : دين الله .

وحدثنى ابن البرقي ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سألت ابن زيد عن قول الله : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ ^(٤) قال : دين الله .

وقال آخرون : ﴿ صَبَغَةَ اللَّهُ ﴾ : فطرة الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ،

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣) معلقاً .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٥/١ عقب الأثر (١٣١٣) ، (١٣١٥) من طريق عمرو بن

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤١ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٥/١ (١٣١٣)

من طريق الضحاك ، عن ابن عباس .

(٤ - ٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فذكر مثله » .

عن مجاهد في قول الله: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ قال: فطرة الله التي فطر الناس عليها^(١).
 وحدثني المشي، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا محمد بن حرب، قال: ثنا ابن
 لهيعة، عن جعفر بن ربيعة، عن مجاهد: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ [٥٩/٤] مِنْ اللَّهِ
 صِبْغَةَ﴾. قال: الصبغة الفطرة.

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن
 مجاهد، قال: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: الإسلام، فطرة الله التي فطر الناس عليها. قال ابن
 جريج: قال لي عبد الله بن كثير: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ قال: دين الله، ومن أحسن من
 الله ديناً؟ قال: هي فطرة الله.

قال أبو جعفر: ومن قال هذا القول فوجه الصبغة إلى الفطرة، فمعناه: بل نتبع
 فطرة الله وملته / التي خلق عليها خلقه، وذلك الدين القيم، من قول الله تعالى ذكره ٥٧٢/
 ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] بمعنى: خالق السماوات والأرض.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَتَحْنُ لِمُ عِبْدُونَ﴾.

وقوله تعالى ذكره: ﴿وَتَحْنُ لِمُ عِبْدُونَ﴾ أمر من الله تعالى ذكره نبيه ﷺ أن
 يقوله لليهود والنصارى الذين قالوا له ولمن تبعه من أصحابه: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ
 نَصَارَى﴾ فقال لنبيه محمد ﷺ: قل: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً صبغة الله، ونحن
 له عابدون -^(٢) ويعنى بالعابدين^(٣): الخاضعين لله المستكينين له - في اتباعنا ملة
 إبراهيم وديوثنا له بذلك، غير مستكبرين عليه^(٤) في اتباع أمره والإقرار برسالة^(٤)

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٤، وعزه الحافظ في الفتح ٨ / ١٦١، والسيوطي في الدر المنثور ١ / ١٤١ إلى عبد
 ابن حميد من طريق ابن أبي نجیح به.

(٢ - ٢) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «يعنى ملة».

(٣) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «رسالته».

رُسُلِهِ ، كما استكبرت اليهود والنصارى ، فكفروا بمحمد ﷺ استكباراً وبعياً وحسدًا .
 الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلِ ثَنَاؤُهُ : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّكُمْ
 وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ .

يعنى تعالى ذكره بقوله : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ : قل يا محمد لمعاشر اليهود
 والنصارى الذين قالوا لك ولأصحابك : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ .
 وزعموا أن دينهم خيرٌ من دينكم ، وكتابتهم خيرٌ من كتابكم ؛ لأنه كان قبل
 كتابكم ، وزعموا أنهم من أجل ذلك أولى بالله منكم - : أتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا
 وَرَبُّكُمْ ؟ بيده الخيرات ، وإليه الثواب والعقاب ، والجزاء على الأعمال ، الحسنات
 منها والسيئات ، فترغمون أنكم أولى بالله منا من أجل أن نبيكم قبل نبينا ،
 وكتابكم قبل كتابنا ، وربكم وربنا واحد ، وإنما ^(١) لكل فريق منا ما عمل
 واكتسب من [٥٩/٤] صالح الأعمال وسيبها ، وعليها ^(٢) يُجَازَى ، فيثاب أو
 يُعاقب ، لا على الأنسابِ وقدم الدين والكتاب .

ويعنى بقوله : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا ﴾ قل : أتخاصموننا وتجادلوننا ؟

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن
 أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ﴾ قل : أتخاصموننا ؟
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا ﴾ :
 أتخاصموننا ؟

حدثني محمد بن سعيد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « إن » .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس^(١) ﴿ أَتَحَاجُّونَنَا ﴾ : أُنْجَادِلُونَنَا ؟

فأما قوله : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ فإنه يعنى : ونحن لله مُخْلِصو العبادة والطاعة ، لا نُشْرِكُ به شيئاً ، ولا نَعْبُدُ غيره أحداً ، كما عبد أهل الأوثان معه الأوثان ، وأصحاب العجل معه العجل . وهذا من الله تعالى ذكره توبيخ لليهود واحتجاج لأهل الإيمان ، بقوله تعالى ذكره للمؤمنين من أصحاب محمد ﷺ : قولوا - أيها المؤمنون لليهود والنصارى الذين قالوا لكم : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ - : أُنْجَادِلُونَنَا^(٢) فى الله . وإنما^(٣) يعنى بقوله : ﴿ فى الله ﴾ : فى دين الله الذى أمرنا أن ندينه به ، وربنا وربكم واحد عدل لا يجوز ، وإنما يُجازى العباد على ما اكتسبوا ، فترغمون أنكم أولى بالله منا لقدم دينكم وكتابكم ونبىكم ، ونحن مُخْلِصون له العبادة / لم نُشْرِكُ به شيئاً ، وقد أشرتكم فى عبادتكم إياه ، فعبد بعضكم العجل ، وبعضكم المسيح ، فأتى تكونوا خيراً منا ، وأولى بالله منا ؟

٥٧٣/١

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ .

قال أبو جعفر : وفى قراءة ذلك وجهان ؛ أحدهما : ﴿ أَمْ نَقُولُونَ ﴾ بالتاء^(٤) ، فمن قرأه كذلك ، فتأويله : قل يا محمد - للقاتلين لك من اليهود والنصارى : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ - : أُنْجَادِلُونَنَا فى الله ؟ أم تقولون : إن إبراهيم ؟

(١ - ١) فى الأصل : « تحاجون : تجادلون » .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١ / ٤١ ، إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١ / ٢٤٥

(١٣١٦) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس بلفظ « أتخاصموننا » .

(٢) فى م ، ت ، ٢ ، ت ٣ : « أتجاجوننا » .

(٣) سقط من : م .

(٤) وهى قراءة حفص عن عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١١٥ .

فيكون ذلك معطوفاً على قوله ﴿ أُنْحَاجُونَنَا ﴾ .

والوجه الآخرُ منهما : (أم يقولون) بالياء^(١) . ومن قرأ ذلك كذلك وجَّه قوله : (أم يقولون) إلى أنه استفهامٌ مُستأنفٌ كقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ [يونس : ٣٨] . وكما يقال : إنها لإبلٌ أم شاءٌ ؟ وإنما جعله استفهاماً مستأنفاً لمجيءٍ خيرٍ مُستأنفٍ ، كما يقال : أتقومُ أم يقومُ أخوك ؟ فيصيرُ قوله : أم يقومُ أخوك ؟ خبراً مستأنفاً بجُملة^(٢) ليست من الأوَّلِ واستفهاماً مبتدأً ، ولو كان نَسَقاً على الاستفهامِ الأوَّلِ لكان خبراً عن الأوَّلِ ، فقيل : أتقومُ أم تقعدُ ؟

وقد زعم بعضُ أهلِ العربية أن ذلك إذا قرئ [٦٠/٤] كذلك بالياءِ ، فإن كان الذي بعد « أم » جملةً تامَّةً فهو عطفٌ على الاستفهامِ الأوَّلِ ؛ لأن معنى الكلام قيل : أى هذين الأمرين كائنٌ ، أهذا أم هذا ؟

والصوابُ من القراءةِ عندنا في ذلك : ﴿ أَمْ نَقُولُونَ ﴾ بالناءِ دون الياءِ^(٣) ، عطفاً على قوله : ﴿ قُلْ أُنْحَاجُونَنَا ﴾ بمعنى : أى هذين الأمرين تفعلون ؟ أتجادلوننا في دينِ الله ؟ فتزعمون أنكم أولىُّ منا ، وأهدىُّ منا سبيلاً ، وأمرنا وأمركم ما وصفتنا على ما قد بينناه آنفاً^(٤) ، أم تزعمون أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ومن سَمَّى اللهُ كانوا هوداً أو نصارى على ملَّتكم ؟ فيضِخُ^(٥) للناسِ بهُتُكم وكذبُكم ؛ لأن اليهوديةَ والنصرانيةَ حدثتْ بعدَ هؤلاء الذين سَمَّاهم اللهُ من أنبيائه . وغيرُ جائزةِ قراءةُ ذلك بالياءِ لشذوذها عن قراءةِ القرآءِ .

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو ، وأبي بكر عن عاصم . حجة القراءات ص ١١٥ .

(٢) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جملة » .

(٣) القراءتان كلتاهما صواب ؛ لأنهما متواترتان .

(٤) في م ت ٤ ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أيضاً » .

(٥) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يصح » .

وهذه الآية أيضًا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبِيِّهِ ﷺ على اليهود والنصارى الذين ذكروا الله قَصَصَهُمْ ، يقول الله لنبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى : أتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ، وتزعمون أن دينكم أفضل من ديننا ، وأنكم على هُدًى ونحن على ضلالةٍ بيِّهَانِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ فَتَدْعُونَنَا إِلَى دِينِكُمْ ؟ فَهَاتُوا بِرِهَانَكُمْ عَلَى ذَلِكَ فَتَتَّبِعَكُمْ عَلَيْهِ . أم تقولون : إن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هودًا أو نصارى على دينكم ؟ فَهَاتُوا عَلَى دَعْوَاكُمْ مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ بُرْهَانًا فَتُصَدِّقَكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ أُمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ لنبِيِّهِ ﷺ : قل لهم يا محمد إن ادَّعُوا أَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى : أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَدْيَانِ أَمْ اللَّهُ ؟ الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَبَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ .

٥٧٤/١

/ يعني جل ثناؤه بذلك : فإن زعمت يا محمد اليهود والنصارى الذين قالوا لك ولأصحابك : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾ ، أن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا هودًا أو نصارى ، فمن أظلم منهم ؟! يقول : وأى امرئ أظلم منهم وقد كتبوا شهادةً عندهم من الله بأن إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ كانوا مسلمين ، فكتموا ذلك ونحلَّوهم اليهوديةَ والنصرانيةَ .

واختلف أهل التاويل في تأويل ذلك ؛ فحدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا [٤/٦٠] عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَبَ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ قال : في قول يهود لإبراهيمَ وإسماعيلَ ومن ذكر معهما : إنهم كانوا يهودًا أو نصارى . فيقول الله : لا تكتموا مني شهادةً إن كانت عندكم فيهم . وقد علم أنهم كاذبون^(١) .

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٥ ، وعزه السيوطي أيضا في الدر المنثور ١٤١/١ إلى عبد بن حميد .

وحدثني المشي، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدُكَ مِنَ اللَّهِ﴾: في قول اليهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معهما: إنهم كانوا يهوداً أو نصارى. فقال الله لهم: لا تكتموا مني الشهادة فيهم إن كانت عندكم فيهم، وقد علم الله أنهم كانوا كاذبين.

وحدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: حدثني إسحاق، عن أبي الأشهب، عن الحسن أنه تلا هذه الآية: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدُكَ مِنَ اللَّهِ﴾ قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياءه برآء من اليهودية والنصرانية، كما أن عند القوم من الله شهادة أن دماءكم وأموالكم حرام بينكم، فبم استحلوها^(١)؟
وحدثت عن عمار بن الحسن، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدُكَ مِنَ اللَّهِ﴾: أهل الكتاب كتموا الإسلام، وهم يعلمون أنه دين الله، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، أنهم لم يكونوا يهود ولا نصارى، وكانت اليهودية والنصرانية بعد هؤلاء بزمان^(٢).

وإنما عني تعالى ذكره بذلك أن اليهود والنصارى إن ادعوا أن إبراهيم ومن سمي معه في هذه الآية كانوا هوداً أو نصارى، تبيين^(٣) لأهل الشرك الذين هم نصراؤهم كذبهم وادعأؤهم على أنبياء الله الباطل؛ لأن اليهودية والنصرانية حدثت

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤١ إلى المصنف، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤٦ (١٣٢٠) من طريق عباد بن منصور، عن الحسن بنحوه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤٦ عقب الأثر (١٣١٩) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٣) في م: «بين».

بعدهم ، وإن هم نَفَّوْا عنهم اليهودية والنصرانية ، قيل لهم : فَهَلُمُّوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ ، فَإِنَّا وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ جَمِيعًا بِأَنَّهَمْ كَانُوا عَلَى حَقٍّ ، وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ فِيمَا خَالَفَ الدِّينَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ .

وقال آخرون : بل عَنَى تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ اليهود في كتمانهم أمرَ محمدٍ ﷺ ونبوَّته ، وهم يَعْلَمُونَ ذَلِكَ وَيَجِدُونَهُ فِي كُتُبِهِمْ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ [٤/٦١] بَنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : ثنا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ : ﴿ أَمْرٌ لِقَوْلِ إِنْ إِزْهَعَهُ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى ﴾ : أولئك أهل الكتاب ، كَتَمُوا الإِسْلَامَ / وهم يَعْلَمُونَ أَنَّهُ دِينُ اللَّهِ ، وَاتَّخَذُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ ، وَكَتَمُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ^(١) .

٥٧٥/١

وَحَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ قَالَ : الشَّهَادَةُ ، النَّبِيُّ ﷺ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُمْ ، وَهُوَ الَّذِي كَتَمُوا ^(٢) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ^(٣) قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ ^(٣) ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ نَحْوَ حَدِيثِ بَشْرِ بْنِ مَعَاذٍ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ ^(٤) .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/٦٠ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ب ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤٦ عقب الأثر (١٣١٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ قال: هم يهود يسألون عن النبي ﷺ وعن صفته في كتاب الله عندهم، فيكتمون الصفة.

وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك؛ لأن قوله تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ في إثر قصة من سمى الله من أنبيائه، وأمام قصه^(١) لهم، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره. فإن قال قائل: وأية شهادة عند اليهود والنصارى من الله في أمر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؟

قيل: الشهادة التي عندهم من الله في أمرهم ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل، وأمرهم فيهما^(٢) بالاستئنان بسنتهم واتباع مآلتهم، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين، فتلك هي الشهادة التي عندهم من الله التي كتموها حين دعاهم نبي الله ﷺ إلى الإسلام، فقالوا له: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾. وقالوا له ولأصحابه: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تَهْتَدُوا﴾. فأنزل الله فيهم هذه الآيات بتكذيبهم^(٣) وكتمايهم الحق، وافترائهم على أنبياء الله الباطل والزور.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

يعنى تعالى ذكره بذلك: وقل لهؤلاء اليهود والنصارى الذين يحاجونك يا محمد: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من كتمايكم الحق فيما ألزَمكم في كتابه بيانه للناس، من أمر إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

(١) في م: «قصته».

(٢) في م، ت، ١، ت ٢: «فيها».

(٣) في م: «في تكذيبهم».

والأسباط و^(١)أمر الإسلام، وأنهم كانوا مسلمين، وأن الحنيفية المسلمة دين الله الذي على جميع الخلق الدثونة به دون اليهودية والنصرانية وغيرهما [٦١/٤] من الملل، ولا هو ساه عن عقابكم على فعلكم ذلك، بل هو مُخص عليكم حتى يُجازيكم به من الجزاء ما أنتم له أهل في عاجل الدنيا وأجل الآخرة. فجازاهم جل ذكره عاجلاً في الدنيا بقتل بعضهم^(٢) وتشريد بعضهم^(٣) وإجلاله عن وطنه وداره، وهو مُجازيهم في الآخرة العذاب المهيّن.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

/ كما حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يعنى: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط^(٣).

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس بمثله^(٣).

وقد بيّنا فيما مضى أن الأمة الجماعة^(٤).

فمعنى الآية إذن: قل يا محمد لهؤلاء الذين يُجادلونك في الله من اليهود والنصارى إن كنتموا ما عندهم من الشهادة في أمر إبراهيم ومن سمئنا معه، وأنهم

(١) في م: «في».

(٢) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤١/١ إلى المصنف.

(٤) ينظر ما تقدم في ٥٦٦.

كانوا مسلمين، وزَعَمُوا أَنَّهُمْ كانوا هودًا أو نصارى، فكذبوا: إِنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ أُمَّةٌ قد خَلَّتْ؛ أى: مضت لسبيلها، فصارت إلى ربِّها، وخَلَّتْ بأعمالِها، وإنما^(١) لها^(٢) عندَ اللهِ ما كانت^(٣) كَسَبَتْ من خيرٍ فى أيامِ حياتِها، وعليها ما اكتسبت من شرٍّ، لا ينفَعُها غيرُ صالحِ أعمالِها، ولا يضرُّها غيرُ سيِّئِها، فاعلموا أيها اليهودُ والنصارى ذلك، فإنَّكم إن كان هؤلاء - و^(٤) هم الذين بهم تفتخرون وترغمون أن بهم تزجون النجاة من عذابِ ربِّكم مع سيئاتكم، وعظيمِ خطيئاتكم - لا ينفَعُهم عندَ اللهِ غيرُ ما قدَّموا من صالحِ الأعمالِ، ولا يضرُّهم غيرُ سيِّئِها، فأنتم كذلك أحرى ألا ينفَعَكُم عندَ اللهِ غيرُ ما قدَّمتم من صالحِ الأعمالِ، ولا يضرُّكم غيرُ سيِّئِها، فاحذروا على أنفسِكُم وبادروا خروجهَا بالتوبةِ وبالإنابةِ إلى اللهِ مما أنتم عليه من الكفرِ والضلالةِ والفِرْيَةِ على اللهِ وعلى أنبيائه ورسوله، ودَعُوا الاتِّكَالَ على فضائلِ الآباءِ والأجدادِ، فإنما لكم ما كسبتم، وعليكم ما اكتسبتم، ولا تُسألون عما كان إبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ والأسباطُ يَعْمَلون من الأعمالِ؛ لأنَّ كلَّ نفسٍ قدِمَتْ على اللهِ يومَ القيامةِ فإنما تُسألُ عما كَسَبَتْ وأَسْلَفَتْ، دون ما أسلفَ غيرها.

[٤/٦٢] / القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ . ١/٢

يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾: سيقول الجُهالُ من الناسِ، وهم اليهودُ وأهلُ النفاقِ . وإنما سَمَّاهم اللهُ عز وجل سفهاءً؛ لأنهم سفهوا الحقَّ،

(١) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «آمالها» .

(٢) سقط من: ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

(٣) سقط من: م، ت، ١ .

(٤) سقط من: م .

فَتَجَاهَلْتُمْ أَحْبَابُ الْيَهُودِ ، وَتَعَاظَمْتُمْ جُحَالَهُمْ وَأَهْلُ الْغِبَاءِ مِنْهُمْ عَنْ (١) اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، إِذْ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَتَحَيَّرَ الْمُنَافِقُونَ فَتَبَلَّدُوا .

وبما قلنا في السفهاء أنهم هم اليهود وأهل النفاق قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ : هُمُ الْيَهُودُ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمِيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمْ ﴾ قَالَ : الْيَهُودُ تَقُولُهُ حِينَ تَرَكَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ (٢) .

وَحَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيْحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ .

وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ ، عَنْ إِسْرَائِيلَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قَالَ : الْيَهُودُ (٣) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ ، عَنْ زَهَيْرٍ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، عَنْ الْبَرَاءِ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ . قَالَ : الْيَهُودُ (٤) .

(١) فِي ت ١ ، ت ٣ : « عِنْدَ » .

(٢) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ ص ٢١٥ . وَأَخْرَجَهُ الثَّوْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ص ٥٠ عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ . وَيَنْظُرُ الْفَتْحَ ٨ / ١٧١ .

(٣) أَخْرَجَهُ وَكَيْعٌ - كَمَا فِي الدَّر الْمُنْتَوَّرِ ١ / ١٤٢ - وَأَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُقْرَيْ فِي مَعْجَمِهِ (٧١٧) مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ بِهِ . وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩٩) ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١ / ٢٤٧ (١٣٢٣) ، وَالْوَاهِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ ص ٢٨ مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ بِهِ . وَعَزَاهُ السُّيُوطِيُّ إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَأَبِي دَاوُدَ فِي نَاسِخِهِ وَابْنِ الْمُنْذِرِ .

(٤) سَيَأْتِي مَطُولًا فِي ص ٦٢٠ .

وحدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا الحِمَانيُّ ، قال : حدَّثنا شريكٌ ، عن أبي إسحاق ، عن البراءِ في قوله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ﴾ قال : أهل الكتاب^(١) .

/ وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالح ، عن ٢/٢ عليِّ ابنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباس ، قال : اليهود^(٢) .

وقال آخرون : السفهاءُ المنافقون .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّديِّ ، قال : نزلت : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ : في المنافقين^(٣) .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ مَا وَلَدْتُم عَنْ قِبَلَتِهِمْ أَلْفًا كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ مَا وَلَدْتُم ﴾ : أى شىءٍ صرفَهم عن قِبَلَتِهِمْ؟ وهو من قولِ القائلِ : ولانى فلانٌ دُبْرَهُ . إذا حوّل وجهه عنه واستدْبِرَهُ ، فكذلك قوله : ﴿ مَا وَلَدْتُم ﴾ : أى شىءٍ حوّل وجوههم؟

وأما قوله : ﴿ عَنْ قِبَلَتِهِمْ ﴾ فإن قبلة كلِّ شىءٍ ما قابل وجهه ، وإنما هى فِغْلَةٌ ، بمنزلةِ الجِلْسَةِ والقِعْدَةِ^(٤) وِصْفُورَةُ الشَّيْءِ^(٥) ، [٤/٦٢ ظ] من قولِ القائلِ : قابلتُ فلاناً ، إذا صرّْتْ قِبَالَتَهُ ، أقبالُهُ ، فهو لى قِبْلَةٌ ، وأنا له قِبْلَةٌ ، إذا قابل كلُّ واحدٍ منهما بوجهه وجه صاحبه .

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٠٠١) ، والبغوي في الجعديات (٢١٣٢) من طريق شريك به . وسيأتي مطولا في ص ٦٢٠ .

(٢) تقدم مطولا في ص ٤٥٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤٧ (١٣٢٤) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وسيأتي مطولا في ص ٦٤٠ .

(٤ - ٥) سقط من : م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

فتأويل الكلام إذن إذ كان ذلك ^(١) معناه : سيقول السفهاء من الناس لكم أيها المؤمنون بالله وبرسوله ^(٢) ، إذا حوّلتم وجوهكم عن قبلة اليهود التي كانت لكم قبلة ، قبل أمرى إياكم بتحويل وجوهكم عنها شطر المسجد الحرام : أى شىء حوّل وجوه هؤلاء فصرفها عن الموضع الذى كانوا يستقبلونه بوجوههم فى صلاتهم ؟

فأعلم الله جل ثناؤه نبيه ﷺ ما اليهود والمنافقون قائلون من القول عند تحويل الله ^(٣) قبلته وقبلة أصحابه ، عن الشام إلى المسجد الحرام ، وعلمه ما ينبغى أن يكون من رده عليهم من الجواب ، فقال له : إذا قالوا ذلك لك يا محمد ، فقل لهم : ﴿ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وكان سبب ذلك أن النبى ﷺ صلى نحو بيت المقدس مدةً سنذكر مبلّغها فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ثم أراد الله تعالى صرف قبلة نبيه ﷺ إلى المسجد الحرام ، فأخبره عما اليهود قائلوه من القول عند صرفه وجهه ووجوه أصحابه شطره ، وما الذى ينبغى أن يكون من مرده ^(٤) عليهم من الجواب .

ذكر المدة التى صلى ^(٥) رسول الله ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس ، وما كان سبب صلاته نحوه ، وما الذى دعا اليهود والمنافقين إلى قيل ما قالوا عند تحويل الله قبلة المؤمنين عن بيت المقدس إلى الكعبة

اختلف أهل العلم فى المدة التى صلى ^(٥) رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس بعد الهجرة ؛ فقال بعضهم بما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، وحدثنا ابن

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) فى م : « رسوله » ، وفى ت ، ١ ، ت ، ٣ : « برسوله » .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) فى م : « رده » .

(٥) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « صلاها » .

حميد ، قال : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَا جَمِيعًا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ مَوْلَى زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ ، أَوْ عِكْرَمَةُ - / شَكَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ - عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنِ الشَّامِ إِلَى ٣/٢ الكعبة - وَصُرِفَتْ فِي رَجَبٍ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةٍ^(١) عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ - أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ ، وَقَزْدَمُ بْنُ عَمْرٍو ، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ، وَنَافِعُ بْنُ أَبِي نَافِعٍ - هَكَذَا قَالَ ابْنُ حَمِيدٍ ، وَقَالَ أَبُو كُرَيْبٍ : وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ - وَالْحِجَابُ بْنُ عَمْرٍو ، حَلِيفُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، وَالرَّبِيعُ ابْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي^(٢) الْحَقِيقِ ، وَكِنَانَةُ^(٣) ابْنُ الرَّبِيعِ^(٤) بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، [٤/٦٣ و] فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا وَلَّاكَ عَنْ قِبَلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَأَنْتَ تَرْغُمُ أَنْكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ ، ارْجِعْ إِلَى قِبَلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا نَتَّبِعْكَ وَنُصَدِّقُكَ . وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ فَتْنَتَهُ عَنْ دِينِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾^(٥) .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : ثنا أبو بكر بن عيَّاش ، قال : قال البراء : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوَيْتِ الْمَقْدَسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا . قَالَ : وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يُصْرَفَ إِلَى الْكَعْبَةِ . قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ نَصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ ، فَمَرَّ بِنَا مَارٌّ ، فَقَالَ : أَلَا هَلْ عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ صُرِفَ إِلَى الْكَعْبَةِ ؟ قَالَ : وَقَدْ صَلَّيْنَا رَكَعَتَيْنِ إِلَى هَاهُنَا ، وَصَلَّيْنَا رَكَعَتَيْنِ إِلَى هَاهُنَا .

(١) في ت ١ ، ٢ ، ٣ : « تسعة » .

(٢) سقط من : ت ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣ - ٤) زيادة من : م . وهو كذلك في سيرة ابن هشام .

(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٥٠ ، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٢/٥٧٥ من طريق يونس بن بكير به . وأخرجه

ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤٧ ، ٢٤٨ (١٣٢٧) من طريق سلمة به .

قال أبو كريبٍ : فقيل له : فيه أبو إسحاق ؟ فسكت .

وحدثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن أبي بكرِ بنِ عياشٍ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ ، قال : صلينا بعدَ قدومِ النبيِّ ﷺ المدينةَ ستةَ^(١) عشرَ شهراً إلى بيتِ المقدسِ^(٢) .

وحدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيانَ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ بنِ عازبٍ ، قال : صليتُ مع النبيِّ ﷺ نحوَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ شهراً أو سبعةَ عشرَ شهراً - شكَّ سفيانٌ - ثم صُرفنا إلى الكعبةِ^(٣) .

وحدثني المثنى ، قال : حدثنا الثفيليُّ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، قال : ثنا زهيرٌ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن البراءِ أن رسولَ اللهِ ﷺ كان أولَ ما قدم المدينةَ نزلَ على أجداده أو أخواله من الأنصارِ ، وأنه صَلَّى قِبَلَ بيتِ المقدسِ ستةَ عشرَ^(٤) أو سبعةَ عشرَ^(٥) شهراً ، وكان يُعجبه أن تكونَ قبلته قِبَلَ البيتِ ، وأنه صَلَّى صلاةَ العَصْرِِ ومعه قومٌ ، فخرجَ رجلٌ ممن صَلَّى معه ، فمرَّ على أهلِ المسجدِ وهم ركوعٌ ، فقال : أشهدُ لقد صليتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مكةَ . فداروا كما هم قِبَلَ البيتِ ، وكان يُعجبه أن يحوَّلَ قِبَلَ البيتِ ، وكان اليهودُ قد^(٥) أعجبهم هذا^(٥) ؛ أن كان رسولُ اللهِ ﷺ

(١) في م : « سبعة » .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٠١٠) ، والدارقطني ٢٧٣/١ من طريق أبي بكر بن عياش به .

وأورد الحافظ في الفتح ٩٧/١ الخلاف في هذه المدة ، وقال : وشذت أقوال أخرى ؛ ففي ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق في هذا الحديث : « ثمانية عشر شهراً » . وأبو بكر سئ الحفظ ، وقد اضطرب فيه ، فعند ابن جرير من طريقه في رواية : « سبعة عشر » . وفي رواية : « ستة عشر » .

(٣) تفسير سفيان ص ٥٢ . وأخرجه النسائي (٤٨٧) عن ابن بشار به . وأخرجه أحمد ٥١١/٣٠ (١٨٥٣٩) ، والبخارى (٤٤٩٢) ، ومسلم (٥٢٥) ، وابن خزيمة (٤٢٨) من طريق يحيى به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٥) سقط من : م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

يصلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ ^(١) .

وَحَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ الْوَارِثِ ، قَالَ : ثنا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيْبِ ، قَالَ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ أَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ وُجِّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ قَبْلَ بَدْرِ بِشَهْرَيْنِ ^(٢) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الْكَاتِبِ ، قَالَ : / حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ : صُرِفَ ^(٣) نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ ٤/٢ الْمَقْدِسِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ عَشْرَةَ أَشْهُرٍ ، فَبَيْنَمَا هُوَ [٤/٦٣ ظ] قَائِمٌ يَصَلِّي الظُّهْرَ بِالْمَدِينَةِ ، وَقَدْ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، انْصَرَفَ بِوَجْهِهِ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ السَّفَهَاءُ : ﴿ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ ^(٤) .

وَقَالَ آخَرُونَ بِمَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا أَبُو دَاوُدَ ، قَالَ : ثنا الْمَسْعُودِيُّ ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَصَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا ^(٥) .

(١) أخرجه البيهقي في المعرفة (٦٥٨) من طريق النفيلى به . وأخرجه ابن سعد ١/٢٤٢، ٢٤٣ ، وأحمد ٣٠/٤٥٣، ٤٥٤ (١٨٤٩٦) ، والبخارى (٤٠، ٤٤٨٦) ، وابن منده في الإيمان (١٦٧) ، والبيهقي ٣/٢ من طريق زهير به . وينظر مسند الطيالسي (٧٥٥) .

(٢) أخرجه سفيان في تفسيره ص ٥١ ، ومالك في الموطأ ١/١٩٦ - ومن طريقه الشافعي في مسنده (١٩٠) ، والبيهقي في المعرفة (٦٥٦) ، وفي الدلائل ٢/٥٧٣ - عن يحيى بن سعيد به . وينظر علل الدارقطني ٤/٣٦٥ ، والتمهيد ٢٣/١٣٤ ، وفتح الباري لابن رجب ١/١٨٠ ، ١٨١ .

(٣) في م : « صلى » .

(٤) إسناده ضعيف ؛ عثمان بن سعد ضعيف . وأخرجه البزار (٤٢٠ - كشف) عن عمرو بن علي به . وأخرجه ابن خزيمة (٤٣٤) من طريق أبي عاصم به . وقال الهيثمي : حديث أنس بن مالك في الصحيح أن ذلك في صلاة الصبح . والذي في صحيح مسلم (٥٢٧) ليس فيه ذكر النبي ﷺ .

(٥) إسناده منقطع ؛ ابن أبي ليلى لم يدرك معاذًا . وأخرجه أبو داود (٥٠٧) عن ابن المثني به . والحديث في مسند الطيالسي (٥٦٧) ، وفيه : فصلى سبعة عشر شهرًا .

وحدَّثني أحمدُ بنُ المُقدِّمِ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ أبي ، قال : ثنا قتادةُ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أن الأنصارَ صلَّت القبلةَ الأولى قبلَ قدومِ النبي ﷺ بثلاثِ حجَجٍ ، وأن النبي ﷺ صلَّى القبلةَ الأولى بعدَ قدومه المدينةَ ستةَ (١) عشرَ شهرًا (٢) . أو كما قال . وكلا الحديثين يحدثُ قتادةُ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ .

ذَكَرُ السَّبَبِ الَّذِي كَانَ مِنْ أَجْلِهِ (٣) ﷺ يَصَلِّي نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْهِ التَّوَجُّهُ شَطْرَ الْكَعْبَةِ

اختلف أهل العلم في ذلك ؛ فقال بعضهم : كان ذلك باختيارٍ من النبي ﷺ ، (٤) من غير أن يكونَ اللهُ فرضَ ذلك عليه .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ أبو ثَمِيلَةَ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، (٥) عن عكرمةَ ، و (٦) عن يزيدِ النحويِّ ، عن عكرمةَ والحسينِ البصريِّ ، قالوا : أوَّلُ ما نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ الْقَبْلَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَسْتَقْبِلُ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَهِيَ قَبْلَةُ الْيَهُودِ ، فَاسْتَقْبَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، لِيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَّبِعُوهُ ، وَيَدْعُو بِذَلِكَ الْأُمِّيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦) .

(١) في الأصل : « ثلاثة » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٣ إلى المصنف .

(٣ - ٣) في م : « يصلي رسول الله ﷺ » .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٢ إلى المصنف عن عكرمة وحده . وعزاه أيضًا إلى أبي داود في ناسخه عن ابن عباس بلفظه .

وحدَّثني المثنى بن إبراهيم^(١) ، قال : حدَّثنا إسحاق^(٢) ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ ﴾ : يعنون بيت المقدس .

قال الربيع : قال أبو العالية : إن نبيَّ الله ﷺ أُخِيَّرَ بَيْنَ^(٣) أَنْ يُوجَّهَ وَجْهَهُ حَيْثُ شَاءَ ، فَاخْتَارَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، لَكِي يَتَأَلَّفَ أَهْلَ الْكِتَابِ ، فَكَانَتْ قِبْلَةً^(٤) سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَقْلُبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ ، ثُمَّ وَجَّهَهُ اللَّهُ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ^(٥) .
وقال آخرون : بل كان فعل ذلك من النبي ﷺ وأصحابه بفرض الله عليهم .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا [٤/٦٤ و] عبد الله بن صالح ، قال : حدَّثنا معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، / عن ابن عباس قال : لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وكان أكثر^(٥) أهلها اليهود ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرًا ، فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر إلى السماء ، فأُنزِلَ اللَّهُ : ﴿ قَدْ رَأَى قَلْبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ الآية . فازتاب من ذلك اليهود ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ أَنَّى كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ ؟ فَأُنزِلَ اللَّهُ : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾^(٦) .

حدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، قال : قال ابن

(١ - ١) سقط من : م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) سقط من : م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) في م : « قبلته » .

(٤) ينظر تفسير ابن أبي حاتم ٢٤٨/١ (١٣٢٧) .

(٥) سقط من : م .

(٦) تقدم تخريجه في ص ٤٥٠ .

جُريج : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ مَا صَلَّى إِلَى الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ صُرفَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَصَلَّتْ الْأَنْصَارُ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَلَاثَ حِجَجٍ ، وَصَلَّى بَعْدَ قُدُومِهِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ وَاوَاهُ اللَّهُ إِلَى الْكَعْبَةِ .

ذَكَرَ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قَالَ 'مَنْ قَالَ' :

﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمْ إِلَهِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾

اِخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ ؛ فَرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِيهِ قَوْلَانِ ؛ أَحَدُهُمَا ، مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، عَنِ عِكْرَمَةَ ، أَوْ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ ذَلِكَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالُوا لَهُ : ارْجِعْ إِلَى قِبَلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا تَتَّبِعُكَ وَنَصَدِّقُكَ . يُرِيدُونَ فَتْنَتَهُ عَنِ دِينِهِ ^(٢) .

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ : مَا ذَكَرْتُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْهُ الَّذِي مَضَى قَبْلُ ^(٣) .

حَدَّثَنَا بَشَرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، عَنِ سَعِيدٍ ، عَنِ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمْ إِلَهِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ قَالَ : صَلَّتْ الْأَنْصَارُ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَوْلِينَ قَبْلَ قُدُومِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ، وَصَلَّى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ مَهَاجِرًا نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، ثُمَّ وَجَّهَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ قَائِلُونَ مِنَ النَّاسِ : ﴿ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمْ إِلَهِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ ؟ لَقَدْ اسْتَأْنَقَ الرَّجُلُ إِلَى مَوْلِدِهِ . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تقدم مطولاً في ص ٦١٨ ، ٦١٩ .

(٣) تقدم في ص ٦٢٣ .

وَالْمَغْرِبِ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ .

^(١) وقال آخرون: بل قائلو^(٢) هذه المقالة المنافقون، وإنما قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام.

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرو ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن الشَّدي ، قال : لما وُجِّهَ النبي ﷺ قِبَلَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، اِخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا فَكَانُوا أَصْنَافًا ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : مَا بِالْهَمِّ كَانُوا عَلَى قِبَلَةٍ زَمَانًا ثُمَّ تَرَكَوْهَا وَتَوَجَّهُوا^(٣) غَيْرَهَا ؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْمُنَافِقِينَ : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُم مَّا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمْ ﴾ . الْآيَةُ كُلُّهَا^(٤) .

[٦٤/٤٦] الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿١٤٢﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : قل يا محمد - لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك : ما ولاكم عن قبليكم من بيت المقدس التي كنتم على التوجه إليها ، إلى التوجه شطر المسجد الحرام ؟ - : لله ملك المشرق والمغرب - يعنى بذلك : ملك ما بين قُطْرَى مَشْرِقِ الشَّمْسِ ، وَقُطْرَى مَغْرِبِهَا ، وما بينهما من العالم - يَهْدِي مَن يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ / فَيَسُدُّهُ وَيُوقِفُهُ إِلَى الطَّرِيقِ الْقَوِيمِ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ - ويعنى بذلك : إلى قِبَلَةِ ٦/٢ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا - وَيَخَذُلُ مِنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ فَيُضِلُّهُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ .

وإنما عنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ : قل يا محمد : إنَّ اللَّهَ هَدَانَا بِالتَّوَجُّهِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لِقِبَلَةِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَضَلَّكُمْ أَيُّهَا

(١) سيأتي بتمامه في ص ٦٣٩ ، ٦٤٠ .

(٢) (٢ - ٢) في م : « وقيل قائل » .

(٣) بعده في م : « إلى » .

(٤) سيأتي بتمامه في ص ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٦٨ .

اليهود والمنافقون وجماعة الشرك بالله ، فخذلكم عما هدانا له من ذلك .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ : كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وبما جاءكم به من عند الله ، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم ومليته ، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل ، كذلك خصصناكم أيضًا ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان ؛ بأن جعلناكم أمةً وسطًا . وقد بينا أن « الأمة » هي القرن من الناس ، والصنف منهم وغيرهم ^(١) .

وأما « الوسط » فإنه في كلام العرب الخيار ، يقال منه : فلانٌ واسِطٌ ^(٢) الحسب في قومه . أى : متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، وهو وسط في قومه وواسط . كما يقال : شاةٌ يابسة اللب ، وبيسة اللب . وكما قال جل ثناؤه : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ [طه : ٧٧] . وقال زهير بن أبي سلمى في « الوسط » ^(٣) :

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بُمُعْظَمِ
قال أبو جعفر : وأنا أرى أن « الوسط » في هذا الموضع هو [٦٥/٤] الوسط الذى بمعنى الجزء الذى هو بين الطرفين ، مثل وسط الدار ، ^(٤) محرّكة الوسط مثقلته ، غير جائز في سينه التخفيف . وأرى أن الله تبارك وتعالى إنما وصفهم بأنهم

(١) ينظر ما تقدم فى ٢٢٤/١ ، ٥٨٨/٢ .

(٢) فى م : « وسط » .

(٣) شرح ديوان زهير ص ٢٧ . والبيت فيه هكذا :

لحى حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت

وأنشده الجاحظ فى البيان والتبيين ٢٥٥/٣ غير منسوب هكذا :

هم وسط يرضى الإله بحكمهم إذا طرقت

(٤ - ٤) فى م : « محرك الوسط مثقله » ، وفى ت ٢ : « محرّكة الوسط مثقله » .

وَسَطٌ، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهلُ غلوٍّ فيه غلوُّ النصارى الذين غلّوا بالترهيب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهلُ تقصيرٍ فيه تقصيرَ اليهود الذين بدلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهلُ توسطٍ واعتدالٍ فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبُّ الأمور إلى الله أوسطها^(١).

/وأما التأويلُ فإنه جاء بأن الوسطَ العدلُ، وذلك هو معنى الخيار؛ لأن الخيارَ ٧/٢ من الناسِ عدولهم.

ذكر من قال: الوسطُ العدلُ

حدَّثني سلم^(٢) بنُ جنادةَ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قالا: ثنا حفصُ بنُ غياثٍ، عن الأعمشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: «عدلاً»^(٣).

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ومحمدُ بنُ بشارٍ، قالا: ثنا جعفرُ بنُ عونٍ، عن الأعمشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي سعيدٍ، عن النبي ﷺ مثله^(٤).

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ، قال: حدَّثنا مؤمِّلٌ، قال: حدَّثنا سفيانُ، عن الأعمشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي سعيدٍ الخدرى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

(١) في م، ١، ٢، ٣: «أوسطها».

(٢) في م: «سالم».

(٣) في م: «عدولا».

والحديث أخرجه الإسماعيلي - كما في الفتح ١٧٢/٨ - من طريق حفص بن غياث به، مختصرا. وأخرجه أحمد ١٧/١٢٢، ٣٧٢ (١١٠٦٨، ١١٢٧١)، والترمذي (٢٩٦١)، والنسائي في الكبرى (١١٠٠٦)، وأبو يعلى (١٢٠٧)، وابن حبان (٧٢١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٤٨، ٢٤٩ (١٣٣١)، والإسماعيلي، وأبو عمرو بن منده في فوائده (١) من طرق عن الأعمش به، مختصرا. وسيأتي مطولا في ص ٦٣٠.

(٤) سيأتي مطولا في ص ٦٣٠، ٦٣١.

وَسَطًا ﴿١﴾ قال : « عدلاً »^(١) .

وحدَّثني عليُّ بنُ عيسى ، قال : حدَّثنا سعيدُ بنُ سليمان ، عن حفصِ بنِ غياثٍ ،^(٢) عن الأعمش^(٣) ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : « عدلاً »^(٤) .

حدَّثنا أبو كريب ، قال : حدَّثنا ابنُ يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً .

وحدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهدٍ في قولِ اللهِ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً^(٥) .

وحدَّثني المثني ، قال : حدَّثنا أبو^(٥) حذيفة ، قال : حدَّثنا شبيل ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهدٍ مثله .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيد ، قال : حدَّثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً .

وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في قوله : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : غدولاً^(٦) .

وحدَّثني المثني ، قال : حدَّثنا إسحاق ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفر ، عن أبيه ،

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عدولا » .

والأثر في تفسير الثوري ص ٥٠ . وأخرجه الحاكم ٢/٢٦٨ بإسناد منقطع عن الأعمش به .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٤ إلى المصنف .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢١٥ ، بلفظ : عدولا . وستأتي بقيته في ص ٦٣٣ .

(٥) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/٦٠ ، ٦١ .

عن الربيع في قوله : ﴿ أُمَّةٌ وَسَطًا ﴾ قال : عدلاً .

وحدَّثني محمد بن سعيد ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثني عمي ، قال : حدَّثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . يقول : جعلكم أمة عدلاً^(١) .

وحدَّثني المثني ، قال : ثنا سويد بن نصير ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن رشدين^(٢) بن سعيد ، قال : أخبرني [٦٥/٤ ظ] ابن أنعم المعافري ، عن جبان بن أبي جبلة يُسنده^(٣) إلى رسول الله ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : « الوسط العدل »^(٤) .

/ وحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن ٨/٢ عطاء ومجاهد وعبد الله بن كثير : ﴿ أُمَّةٌ وَسَطًا ﴾ . قالوا : عدلاً . قال مجاهد : عدولاً .

وحدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . قال : هم وسط بين النبي ﷺ وبين الأمم .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .

والشهداء جمع شهيد .

فمعنى ذلك : وكذلك جعلناكم أمة^(٥) عدلاً لتكونوا^(٥) شهداءً لأنبيائي ورُسلي

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٤ إلى المصنف .

(٢) في م : « راشد » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رشد » .

(٣) في م ، ت ٢ ، ت ٣ : « بسنده » .

(٤) سيأتي مطولاً في ص ٦٣٥ ، ٦٣٦ .

(٥ - ٥) في م : « وسطا عدولا » .

على أئمتها بالبلاغ ، أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أئمتها ، ويكون رسولى محمد ﷺ شهيداً عليكم بإيمانكم به ، وبما جاءكم به من عندى .

^(١) وقيل : معنى « عَلَيْكُمْ » فى قوله : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ : لكم . كأن تأويله عندهم : ويكون الرسول شهيداً لكم .

وقال قائل هذه المقالة : هذا نظير قوله : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ ﴾ [المائدة : ٣] إنما هو : وما ذبح للنصب ^(١) .

حدثنى أبو السائب ، قال : حدثنا حفص ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يُدْعَى بَنُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَالُ لِقَوْمِهِ : هَلْ بَلَّغْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ . فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ » . فهو قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ^(٢) .

وحدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد ، عن النبى ﷺ بنحوه ، إلا أنه زاد فيه : ^(٣) « فَيُدْعَوْنَ فَتَشْهَدُونَ ^(٤) أنه قد بلغ » .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٢٢ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ٤٥٤ / ١١ ، وأحمد ٣٨٣ / ١٧ ، ١١٢ / ١٨ ، ١١٢٨٣ ، ١١٥٥٨ ، والبخارى (٣٣٣٩ ، ٤٤٨٧ ، ٧٣٤٩) ، وفى خلق أفعال العباد (١٥٨) ، وابن ماجه (٤٢٨٤) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٠٧) ، وابن أبى الدنيا فى الأحوال (١٩٦) ، وأبو يعلى (١١٧٣) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٤٩ / ١ ، ٢٥٠ ، (١٣٣٦ ، ١٣٣٢) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٦٤) من طرق عن الأعمش به ، مطولاً . وتقدم مختصراً فى ص ٦٢٧ .

(٣ - ٣) فى م : « فَيُدْعَوْنَ وَيَشْهَدُونَ » .

(٤) أخرجه الترمذى ١٩١ / ٥ (٢٩٦١) عن ابن بشار عن جعفر بن عون ، مطولاً . وتقدم فى ص ٦٢٧ عن

ابن بشار ، مختصراً .

وحدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : حدَّثنا مؤمِّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي سعيدٍ الخدرىِّ : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ بأن الرسلَ قد بلغوا ، ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ بما عملتم أو فعلتم ^(١) .

وحدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ فضيلٍ ، عن أبي مالكٍ الأشجعيِّ ، عن المغيرةِ ابنِ عُتَيْبَةَ ^(٢) بنِ النَّهَّاسِ ، أن مَكْتَبًا ^(٣) لهم حدَّثهم ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ ، أن النبيَّ ﷺ قال : « إِنِّي وَأُمَّتِي لَعَلَى كَوْمٍ ^(٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلَائِقِ ، مَا أَحَدٌ مِنَ الْأُمَّمِ إِلَّا وَدَّ أَنْه [٦٦/٤] مِنْهَا ^(٥) أَيُّهَا ^(٦) الْأُمَّةُ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَبَهُ قَوْمُهُ إِلَّا نَحْنُ شُهِدَاؤُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْه قَدْ بَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ وَنَصَحَ لَهُمْ . قال : ^(٧) وَالرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ ^(٨) » .
وحدَّثني عصامُ بنُ رَوَادٍ ^(٨) بنِ الْجَرَّاحِ الْعَسْقَلَانِيِّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال :

= وأخرجه عبد بن حميد (٩١١) - وعنه الترمذى ١٩٠/٥ (٢٩٦١) - والبيهقى فى الشعب (٢٦٤) من طريق جعفر به .

(١) تفسير سفيان ص ٥١ .

(٢) فى م : « عينه » . ينظر الجرح والتعديل ٢٢٧/٨ .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مكاتبنا » . والمكتب : المعلم . التاج (ك ت ب) .

(٤) الكوم : المواضع المشرفة ، واحدها كومة . النهاية ٢١١/٤ .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منها » .

(٦) هذه اللفظة تقال فى الاختصاص ، وتختص بالخبر عن نفسه ، كما فى حديث كعب بن مالك : فتخلفنا

أيتها الثلاثة . يريد تخلفهم عن غزوة تبوك وتأخر توبتهم . ينظر النهاية ٨٨/١ ، واللسان (أيا) .

(٧ - ٧) فى م : « ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

والحديث عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٤/١ إلى المصنف . وأخرجه ابن مردويه وابن أبى حاتم - كما فى

تفسير ابن كثير ٢٧٦/١ - من طريق عبد الواحد بن زياد ، عن أبى مالك الأشجعى به . وينظر المؤتلف للدارقطنى

٢١٣٢/٤ .

(٨) فى م : « وراذ » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « داود » . ينظر الجرح والتعديل ٢٦/٧ .

حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عبد الله بن أبي^(١) الفضل ، عن أبي هريرة ، قال : خَرَجْتُ مع النَّبِيِّ ﷺ في جِنَازَةٍ ، فلما صَلَّى على الميِّتِ قال النَّاسُ : نَعَمْ الرَّجُلُ . فقال النَّبِيُّ ﷺ : « وَجِبْتُ » . ثم خَرَجْتُ معه في جِنَازَةٍ أُخْرَى ، فلَمَّا صَلَّى على الميِّتِ قال النَّاسُ : بئسَ الرَّجُلُ . فقال النَّبِيُّ ﷺ : « وَجِبْتُ » . فقام إليه أبيُّ بنُ كعبٍ فقال : يا رسولَ اللهِ ، ما قولُكَ : وَجِبْتُ ؟ قال : « قولُ اللهِ : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ » .

٩/٢

/ وحَدَّثَنِي عليُّ بنُ سهيلِ الرَّمْلِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : حَدَّثَنِي أبو عمرو ، عن يحيى ، قال : حَدَّثَنِي عبدُ اللهِ بنُ أبي الفضلِ المدينيُّ ، قال : حَدَّثَنِي أبو هريرة ، قال : أتى رسولُ اللهِ ﷺ بِجِنَازَةٍ ، فقال النَّاسُ : نَعَمْ الرَّجُلُ . ثم ذَكَرَ نَحْوَ حديثِ عصامٍ ، عن أبيه^(٢) .

^(٣) حَدَّثَنَا العباسُ بنُ الوليدِ ، قال : حَدَّثَنِي أبي ، قال : حَدَّثَنِي الْأَوْزَاعِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي يحيى بنُ أبي كثيرٍ ، قال : حَدَّثَنِي عبدُ اللهِ ، قال : حَدَّثَنِي أبو هريرة ، عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوه^(٣) .

وحَدَّثَنَا أبو كُريبٍ ، قال : حَدَّثَنَا زيدُ بنُ حُبَابٍ ، قال : حَدَّثَنَا عكرمةُ بنُ عمارٍ ، قال : حَدَّثَنِي إِيَّاسُ بنُ سلمَةَ بنِ الأكوعِ ، عن أبيه ، قال : كنا مع النَّبِيِّ ﷺ فَمُرَّ

(١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٩/١ (١٣٣٤) من طريق الوليد به . وعبد الله بن أبي الفضل مجهول . وأخرجه أحمد ٥١٣/١٢ ، ٢٨٧/١٦ ، ٤٨٧ ، ٧٥٥٢ ، ١٠٤٧١ ، ١٠٨٣٦ ، وغيره عن أبي هريرة بمعناه دون ذكر أبي بن كعب ، وقال في آخره : « إنكم شهداء الله في الأرض » .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

بجنازة عليه فأثنى عليها ثناءً^(١) حسنٌ ، فقال : « وَجَبَتْ » . ومُرَّ عليه بجنازة أُخرى ، فأثنى عليها دونَ ذلك ، فقال : « وَجَبَتْ » . قالوا : يا رسولَ الله ، ما « وَجَبَتْ ؟ » قال : « الملائكةُ شُهداءُ الله في السماءِ ، وأنتم شُهداءُ الله في الأرضِ ، فما شَهِدْتُمْ عليه^(٢) من شيءٍ^(٣) وَجَبَتْ » . ثم قرأ : ﴿ وَقُلِ اَعْمَلُوا فِى سَبِيْرِ اللّٰهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ ﴾^(٤) الآية [التوبة : ١٠٥] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ : تكونوا شهداءَ لمحمدٍ ﷺ على الأممِ ؛ اليهودِ والنصارى والمجوسِ^(٥) .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبلى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، قال : يأتى النبىُّ ﷺ يومَ القيامةِ بإذنه^(٥) ليس معه أحدٌ ، فتشهُدُ له أمَةٌ محمدٍ ﷺ أن قد بلغهم .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفة ، قال : حدَّثنا شبلى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن أبيه ، أنه سمِعَ عُبيدَ بنَ عُمَيْرٍ^(٦) يقولُ . فذكر^(٧) مثله .

(١) فى م : « بثناء » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ١ ت ، ٢ ت ، ٣ ت .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ٣/٣٦٨ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦/١٨٧٧ (١٠٠٥٥) ، والطبرانى فى الكبير (٦٢٥٩ ، ٦٢٦٢) من طرق عن إياس بن سلمة به .

(٤) تقدم أوله فى ص ٦٢٧ .

(٥) فى ت ٢ : « بادية » ، وغير منقوطة فى ت ١ . وينظر الدر المنثور ١/١٤٦ .

(٦) كتب مقابله فى حاشية الأصل : « ربه لا صلى » . ولم نهتد إلى صوابها .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٥ . وعزه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٦ إلى عبد بن حميد .

وحدَّثنا القاسم ، قال : حدَّثنا الحسين ، قال : حدَّثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدَّثني ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، قال : يأتي النبي ﷺ يوم القيامة . فذكر مثله ، ولم يذكر عبيد بن عمير^(١) .

وحدَّثنا بشر بن معاذ ، قال : حدَّثنا يزيد ، قال : حدَّثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﴾ أى : أن رسلهم قد بلغت قومها عن ربها ، ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ على أنه قد بلغ رسالات ربّه [٤/٦٦ ط] إلى أمته .

وحدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﴾ : لتكون هذه الأمة شهداء على الناس أن الرسل قد بلغتهم ، ويكون الرسول على هذه الأمة شهيداً أن قد بلغ ما أرسل به^(٢) .

وحدَّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، أن قوم نوح يقولون يوم القيامة : لم يبلغنا نوح . فيدعى نوح فيسأل : هل بلغتهم ؟ فيقول : نعم ،^(٣) قد بلغتهم^(٣) . فيقال : من شهودك ؟ فيقول : أحمد وأمه . فتدعون فتسألون فتقولون : نعم قد بلغتهم . فيقول قوم نوح : كيف تشهدون^(٤) علينا ولم تُدرِ كوننا^(٥) ؟ قالوا : قد جاءنا^(٦) نبي الله فأخبرنا أنه قد بلغكم ، وأنزل عليه أنه قد بلغكم ، فصدّقناه . قال : فيصدق نوح^(٧) ويكذبونهم^(٧) . قال : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﴾ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً^(٨) .

(١) بعده فى م : « مثله » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٦٠/١ ، ٦١ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) فى الأصل : « يشهدون » .

(٥) فى الأصل : « يدركونا » .

(٦) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « جاء » .

(٧ - ٧) فى م : « ويكذبونهم » .

(٨) تفسير عبد الرزاق ٦١/١ .

/ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، أَنَّ الْأُمَّ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : وَاللَّهِ لَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ كُلِّهِمْ . لِمَا يَرَوْنَ اللَّهَ أَعْطَاهُمْ ^(١) .

وَحَدَّثَنِي الْمُتَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ ، عَنْ رِشْدِينَ ^(٢) بْنِ سَعِيدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي ابْنُ أَنْعَمِ الْمَعْفَرِيُّ ، عَنْ جِبَّانَ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ ، يُسَمِّيهِ ^(٣) إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى إِسْرَافِيلُ ، فَيَقُولُ لَهُ رَبُّهُ : مَا فَعَلْتَ فِي عَهْدِي ؟ هَلْ بَلَّغْتَ عَهْدِي ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ رَبِّ ، قَدْ بَلَّغْتُهُ جَبْرِيْلَ . فَيُدْعَى جَبْرِيْلُ فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ ^(٤) إِسْرَافِيْلَ عَهْدِي ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ رَبِّ ، قَدْ بَلَّغْنِي . فَيُخَلِّي عَنْ إِسْرَافِيْلَ ، وَيُقَالُ لَجَبْرِيْلَ : هَلْ بَلَّغْتَ عَهْدِي ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ قَدْ بَلَّغْتُ الرُّسُلَ . فَتُدْعَى الرُّسُلُ فَيُقَالُ لَهُمْ : هَلْ بَلَّغْتُمْ جَبْرِيْلَ عَهْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا . فَيُخَلِّي عَنْ جَبْرِيْلَ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلرُّسُلِ : مَا فَعَلْتُمْ بَعْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : بَلَّغْنَا أَمَّنَا . فَتُدْعَى الْأُمَّةُ فَيُقَالُ : هَلْ بَلَّغْتُمْ الرُّسُلَ عَهْدِي ؟ فَمِنْهُمْ الْمُكَذِّبُ ، وَمِنْهُمْ الْمُصَدِّقُ ، فَتَقُولُ الرُّسُلُ : إِنْ لَنَا عَلَيْهِمْ شُهَدَا يَشْهَدُونَ أَنْ قَدْ بَلَّغْنَا مَعَ شَهَادَتِكَ . فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أُمَّةٌ أَحْمَدَ . فَتُدْعَى أُمَّةٌ أَحْمَدَ . فَيَقُولُ : أَتَشْهَدُونَ أَنْ رُسُلِي هَؤُلَاءِ قَدْ بَلَّغُوا عَهْدِي إِلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا ، شَهِدْنَا أَنْ قَدْ بَلَّغُوا . فَتَقُولُ تِلْكَ الْأُمَّةُ : رَبَّنَا ^(٥) ، كَيْفَ يَشْهَدُ عَلَيْنَا مَنْ لَمْ يُدْرِكْنَا ؟ فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّبُّ : كَيْفَ تَشْهَدُونَ عَلَيَّ مَنْ لَمْ تُدْرِكُوا ؟

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « تَكُونُ » .

(٢) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٦١/١ .

(٣) فِي م : « رَاشِدٌ » ، وَفِي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « رَشِدٌ » .

(٤) فِي م : « بَسْنَدُهُ » .

(٥) فِي م : « بَلَّغْتَ » .

(٦) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

فيقولون : رَبَّنَا بَعَثْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ، وَأَنْزَلْتَ إِلَيْنَا عَهْدَكَ وَكِتَابَكَ ، وَقَصَصْتَ عَلَيْنَا أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا ، فَشَهِدْنَا بِمَا عَهِدْتَ إِلَيْنَا . فيقولُ الرَّبُّ : صَدَقُوا . فذلك قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ . والوسط العدلُ : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ . قال ابنُ أنعم : فبلغني أنه يشهدُ يومئذِ أُمَّةٌ محمدٍ إلا من كان في قلبه [٦٧/٤] حِنَّةٌ ^(١) على أخيه ^(٢) .

حدثنا المثني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا أبو زهير ، عن جُوَيْرٍ ، عن الضحاك في قوله : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ : يعنى بذلك الذين استقاموا على الهدى ، فهم الذين يكونون شهداء على الناس يوم القيامة ، لتكذيبهم رسلَ الله ، وكفرهم بآياتِ الله .

وحدثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : حدثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قوله : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ . يقولُ : لتكونوا شهداء على الأممِ الذين خلَّوا من قبلكم بما جاءتهم به ^(٣) رسلهم ، وبما كذبوهم ، / فقالوا يومَ القيامةِ وعجبوا : إن أمةً لم يكونوا في زماننا ، فأمنوا بما جاءت به رسلنا ، وكذبنا نحن بما جاءوا به ! فعجبوا كلَّ العجبِ ^(٤) .

وقوله : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ يعنى : بإيمانهم به ، وبما أنزل عليه .

(١) الحنة : العداوة ، وهي لغة قليلة في الإحنة . النهاية ٤٥٣/١ .

(٢) إسناده مرسل ضعيف ؛ رشدين وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ضعيفان . وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٩٨) ، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الأحوال (٢٣٧) .

(٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٩/١ (١٣٣٥) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، بأوله .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ : يَعْنِي أَنَّهُمْ شُهَدَاءُ ^(١) عَلَى الْقُرُونِ بِمَا سَمَّى اللَّهُ لَهُمْ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حِجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : مَا قَوْلُهُ : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ قَالَ : أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ شُهَدَاءُ ^(١) عَلَى مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ حِينَ جَاءَهُ ، ^(٢) وَالْإِيمَانَ ^(٣) وَالْهَدَى مِمَّنْ كَانَ قَبْلَنَا . ^(٤) وَقَالَهَا ^(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ . قَالَ : وَقَالَ عَطَاءٌ : هُمْ ^(٤) شُهَدَاءُ عَلَى مَنْ تَرَكَ الْحَقَّ ، مِنْ ^(٥) تَرَكَهُ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، جَاءَ ذَلِكَ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ فِي كِتَابِهِمْ ، ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا بِالْحَقِّ حِينَ جَاءَهُمْ ، وَصَدَّقُوا بِهِ ^(٦) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ قَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاهِدٌ عَلَى أُمَّتِهِ ، وَهُمْ شُهَدَاءُ عَلَى الْأُمَّمِ ، وَهُمْ أَحَدُ الْأَشْهَادِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ : ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] ^(٧) وَالْأَشْهَادُ أَرْبَعَةٌ ^(٨) : الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يُحْصُونَ أَعْمَالَنَا ، لَنَا وَعَلَيْنَا . وَقَرَأَ قَوْلَهُ : ﴿ وَحَآءَاتِ كُلِّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١] وَقَالَ : هَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ . قَالَ : وَالنَّبِيُّونَ شُهَدَاءُ عَلَى أُمَّهِمْ . قَالَ : وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٍ شُهَدَاءُ

(١) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « شَهَدُوا » .

(٢ - ٢) فِي م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « الْإِيمَانِ » .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ : ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ ، وَفِي م : « قَالَهَا » .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥) فِي م : « مِمَّنْ » .

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٥٠/١ (١٣٣٧) مِنْ طَرِيقِ حِجَّاجٍ بِهِ .

(٧ - ٧) فِي م : « الْأَرْبَعَةُ » .

على الأمم . قال : والأطوارُ الأجسادُ والجلودُ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ : ولم نجعلُ صرفك عن القبلة التي كنت على التوجه إليها يا محمدُ ، فصرفناك عنها ، إلا لنعلم من يتبعك^(٢) من ينقلبُ على [٦٧/٤ ظ] عقبه .

والقبلةُ التي كان ﷺ عليها ، التي عنها اللهُ بقوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ ، هي القبلةُ التي^(٣) كان يتوجهُ^(٤) إليها قبل أن يصرِفَه^(٥) إلى الكعبة .

كما حدَّثني موسى بنُ هارونَ قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، عن أسباط ، عن السدِّي : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ يعني بيت المقدس^(٦) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثني حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قلت لعطاءٍ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ﴾ ؟ قال : القبلةُ بيتُ المقدسِ^(٧) .

وإنما تركَ ذكرَ الصرفِ عنها اكتفاءً بدلالة ما قد ذُكر من الكلامِ على مغناه ،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٢/٥ إلى المصنف وابن أبي حاتم ، بلفظ : الأشهاد أربعة ...
وقوله : « الأطوار » . لعل الصواب : « الأطراف » . وفي التبيين ٧/٢ : قال ابن زيد : الأشهاد أربعة ...
والجوارح كما قال : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ .
(٢) بعده في م : « ممن لا يتبعك » .
(٣ - ٣) في م : « كنت تتوجه » .
(٤) في م : « يصرفك » .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٠/١ عقب الأثر (١٣٤٠) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٠/١ (١٣٤٠) من طريق حجاج به .

كسائر ما قد ذكرنا فيما مضى من نظائره^(١).

- وإنما قلنا ذلك مغناه ؛ لأن محنة الله أصحاب رسوله في القبلة إنما كانت - فيما

تظاهرت به الأخبار - عند / التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة ، حتى ارتد - فيما ١٢/٢
 ذكر - رجال ممن كان قد أسلم وأتبع رسول الله ﷺ ، وأظهر^(٢) كثير من المنافقين من
 أجل ذلك نفاقهم ، وقالوا : ما بال محمد يحولنا مرة إلى ههنا ، ومرة إلى ههنا .
 ومرة إلى ههنا . وقال المسلمون^(٣) في أنفسهم وفي من^(٤) مضى من إخوانهم
 المسلمين ، وهم يصلون نحو بيت المقدس : بطلت أعمالنا وأعمالهم وضاعت .
 وقال المشركون : تحير محمد في دينه . فكان ذلك فتنة للناس وتمحيصا للمؤمنين ،
 فلذلك قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ
 الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴾^(٤) . وما جعلنا صرفك عن القبلة التي كنت
 عليها . ونحويلك إلى غيرها . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الزُّوْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ
 إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] بمعنى : وما جعلنا خبرك عن الزُّوْيَا التي أريناك .
 وذلك أنه لو لم يكن أخبر القوم بما كان أرى ﷺ ، لم يكن فيه على أحد فتنة .
 وكذلك القبلة الأولى التي كانت نحو بيت المقدس لو لم يكن صرف عنها إلى
 الكعبة ، لم يكن فيها على أحد فتنة ولا محنة .

ذَكَرُ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَ فِي ذَلِكَ بِمَعْنَى مَا قُلْنَا

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ :

(١) ينظر ما تقدم في ١٣٩/١ - ١٤١ ، ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) في الأصل : « أصر » .

(٣ - ٣) في م : « فيما » .

(٤) في م : « أي » .

كانت القبلة فيها بلائاً وتمحيصاً ، صلّت الأنصارُ نحوَ بيتِ المقدسِ حولينِ قبلِ قدومِ نبيِّ اللهِ ﷺ المدينةَ^(١) ، وصلى نبيُّ اللهِ بعدَ قدومه المدينةَ مهاجراً نحوَ بيتِ المقدسِ ستةً^(٢) عشرَ شهراً ، ثم وَجَّهه اللهُ بعدَ ذلك إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ ، فقال في ذلك قائلون من الناسِ : ﴿ مَا وَلَدَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ ﴾ ؟ لقد اشتاق الرجلُ إلى مولده ! قال اللهُ : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ [٥/٦٨] مُسْتَقِيمٍ ﴾ . فقال أناسٌ لما صُرِفَت القبلةُ نحوَ البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالنا التي كنا نعملُ في قبلتنا الأولى ؟ فأنزل اللهُ جل ثناؤه : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ ، وقد يتتلى اللهُ العبادَ بما شاء من أمره ، الأمرُ بعدَ الأمرِ ؛ ليعلمَ من يُطيعه ممن يعصيه ، وكلُّ ذلك مقبولٌ إذا كان في إيمانٍ باللهِ ، وإخلاصٍ له ، وتسليمٍ لقضائه^(٣) .

حدَّثني موسى ، قال : حدَّثنا عمرو ، قال : حدَّثنا أسباط ، عن الشُّدِّيِّ ، قال : كان النبيُّ ﷺ يصلي قبلَ بيتِ المقدسِ ، فنسختها الكعبةُ ، فلما توجَّهَ قبلَ المسجدِ الحرامِ ، اختلفَ الناسُ فيها فكانوا أصنافاً ؛ فقال المنافقونُ : ما بالهم كانوا على قبلةٍ زماناً ، ثم تزكوها وتوجَّهوها^(٤) غيرها ؟ وقال المسلمون : ليت شِعْرنا عن إخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون قبلَ بيتِ المقدسِ ، هل تقبلُ اللهُ منّا ومنهم أم لا ؟ وقالت اليهودُ : إن محمداً اشتاقَ إلى بلدِ أبيه ومولده ، ولو ثبت على قبلتنا ، لكننا نرجو أن يكونَ هو صاحبنا الذي ننتظرُ . وقال المشركون من أهلِ مكةَ : تحيِّرُ^(٥) محمداً على دينه ،

(١) سقط من : م .

(٢) في م : « سبعة » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وتقدم أوله في ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

(٤) بعده في م : « إلى » .

(٥ - ٥) في م : « على محمد » .

فتوجّه بقلبه إليكم ، وعلم أنكم كنتم أهدى منه ، ويوشك أن يدخل في دينكم .
فأنزل الله في المنافقين : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدَهُمْ عَن قِبَلِنَا أَلَمْ يَكُونُوا
عَلَيْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ وأنزل في
الآخرين الآيات بعدها ^(١) .

حدّثنا القاسم ، قال : حدّثنا الحسينُ قال : حدّثني حجاج ، عن ابن جريج ،
قال : قلت لعطاء : ﴿ إِلَّا / لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ ؟ فقال ١٣/٢
عطاء : يتّليهم ليعلم من يُسَلِّمُ لأمره . قال ابنُ جريج : بلغني أن ناساً من أسلم رجعوا
فقالوا : مرّةً هلهنا ومرّةً هلهنا ^(٢) !

فإن قال لنا قائلٌ : أو ما كان الله عالماً بمن يتّبع الرسولَ من ينقلبُ على عقبيه ،
إلا بعد أتباع المتّبع ، وانقلاب المتّقلبِ على عقبيه ، حتى قال : ما فعلنا الذي فعلنا من
تحويل القبلة إلا لنعلم المتّبع رسولَ الله من المنقلبِ على عقبيه ؟

قيل : إن الله جل ثناؤه هو العالمُ بالأشياءِ كلّها قبل كونها ، وليس قوله :
﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ
عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ ^(٣) بخبرٍ عن ^(٤) أنه لم يعلم ذلك إلا بعد وجوده .

فإن قال : فما معنى ذلك ؟

قيل له : أمّا مغناه عندنا فإنه : وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا ليعلم رسولِي
وحزبي وأوليائي من يتّبع الرسولَ ممن ينقلبُ على عقبيه ، فقال جل ثناؤه : ﴿ إِلَّا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٢ إلى المصنف . وتقدم أوله في ص ٦٢٤ . وينظر ما سيأتي في ص ٦٨٧ .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥١ عقب الأثر (١٣٤٢) معلقاً . وعزاه السيوطي في الدر المنثور
١/١٤٦ إلى المصنف .

(٣ - ٣) في م : « يخبر » .

(تفسير الطبري ٢/٤١)

لِنَعْلَمَ ﴿١﴾ . ومعناه : ليعلم رسولى وأوليائى . إذ كان رسوله وأوليأؤه من حزبه ، وكان من شأن العرب إضافة ما فعلته أتباع الرئيس إلى الرئيس ، وما فعل بهم إليه ، نحو قولهم : فتح عمر بن الخطاب سواد العراق ، وجبى خراجها . وإنما فعل ذلك أصحابه عن سبب كان منه فى ذلك .

وكالذى روى فى نظيره عن النبى ﷺ أنه قال : « يقول الله : مَرَضْتُ فلم يُعِدنى عَبْدى ، واستقرضته فلم يُقرضنى ، وسئمتنى ولم يُنبغِ له أن يَشْتُمْنى » .

[٦٨/٤ظ] حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله ^(١) : استقرضت عبدى فلم يُقرضنى ، وسئمتنى ولم يُنبغِ له أن يَشْتُمْنى ، يقول : وادهره . ^(٢) وأنا الدهر ، أنا الدهر » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ بنحوه .
فأضاف تعالى ذكره الاستقراض والعيادة إلى نفسه ، وإن ^(٣) كان ذلك بغيره ، إذ كان ذلك عن سببه .

وقد حكي عن العرب سماعاً : أجوع فى غير بطنى ، وأعزى فى غير ظهري .
بمعنى جوع أهله وعياله ، وعزى ظهورهم . فكذلك قوله : ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنى :

(١) فى م : « قال » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « أنا » .

(٣) فى م : « قد » .

يَعْلَمُ أُولَئِئِي وَجِزِي . وَبَنَحُوا مَا^(١) قَلْنَا فِي ذَلِكَ^(٢) قَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْ^(٣) أَهْلِ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ : لتميِّزَ أهلَ اليقينِ من أهلِ الشكِّ^(٤) والرَّيبِ^(٥) .

وقد^(٦) قال بعضهم : إنما قيلَ ذلك من أجلِ أن العربَ تَضَعُ العِلْمَ مكانَ الرُّؤيةِ ، والرُّؤيةَ مكانَ العِلْمِ ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ [الفيل : ١] ، فزعمَ أن معنَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ : ألم تغلِّم ؟ وزعمَ / أن معنَى قوله : ١٤/٢ ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ بمعنَى : إلا لترى من يتَّبِعُ الرسولَ . وزعمَ أن قولَ القائلِ : رأيتُ وعلمتُ وشهدتُ . حروفٌ تتعاقبُ ، فيوضَعُ بعضها موضعَ بعضٍ ، كما قال جريرٌ ابنُ عطية^(٧) :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقِيظًا وَحَاجِبًا وَعَمَرُو بَنَ عَمِرُو إِذْ دَعَا^(٨) يَا لِدَارِمِ
بمعنى : كأنك لم تعلمَ لقيظًا ؛ لأنَّ بينَ هُلكِ لقيظٍ وحاجبٍ وزمانٍ جريرٍ ما لا يَخْفَى بَعْدَهُ مِنَ المَدَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ هَلَكُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ ، وَجَرِيرٌ كَانَ بَعْدَ

(١) في م : « الذي » .

(٢ - ٢) في م : « قال » .

(٣) في م : « الشرك » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٠/١ (١٣٤١) من طريق أبي صالح به .

(٥) سقط من : م .

(٦) ديوان جرير ١٠٠٤/٢ .

(٧) في الديوان : « دعوا » .

بُرْهَةٌ مُضْتَبَةٌ مِنْ مَجِيءِ الْإِسْلَامِ .

وهذا تأويلٌ بعيدٌ؛ من أجل أن الرؤية وإن استعملت في موضع العلم، من أجل أنه مستحيل أن يرى أحد شيئاً، فلا توجب له ^(١) رؤيته إياه علماً بأنه قد رآه، إذا كان صحيح الفطرة، فجاز من الوجه الذي أثبتته رؤية أن يُضاف إليه إثباته إياه علماً، وصح أن يدلّ بذكر الرؤية على معنى العلم من أجل ذلك، فليس ذلك وإن جاز ^(٢) في الرؤية - لما وصفنا - بجائز في العلم، فيدلّ بذكر الخبر عن العلم على الرؤية؛ لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها، ويستحيل أن يرى شيئاً إلا علمه، ^(٣) على ما ^(٤) قد قدمنا البيان، مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال: علمت كذا. بمعنى: رأيته. وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ من الكلام، إلى ما كان موجوداً مثله في كلام العرب، دون ما لم يكن موجوداً في كلامها، فموجود في كلامها: رأيته ^(٥). [٦٩/٤] بمعنى: علمت ^(٥). وغير موجود في كلامها: علمت ^(٥) بمعنى: رأيته ^(٤). فيجوز توجيه قوله ^(١): ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلى معنى: إلا لنرى.

وقال آخرون: وإنما قيل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ من أجل أن المنافقين واليهود وأهل الكفر بالله أنكروا أن يكون الله تعالى ذكره يعلم الشيء قبل كونه، وقالوا - إذ قيل لهم: إن قوماً من أهل القبلة سيؤتدنون على أعقابهم إذا حوّلوا قبلة محمد إلى الكعبة - : ذلك غير كائن. أو قالوا: ذلك باطل. فلما فعل الله ذلك، وحوّل القبلة، وكفر من أجل

(١) سقط من: م .

(٢) في م: «كان» .

(٣ - ٣) في م: «كما» .

(٤) في الأصل: «أرأيت» .

(٥) في الأصل: «أعلمت» .

ذلك من كفر، قال جل ثناؤه: ما فعلتُ إلا لِيُعَلِّمَ^(١) عندكم - أيها المنكِّرون علمي بما هو كائنٌ من الأشياءِ قبل كونه - أني عالمٌ بما هو كائنٌ مما لم يكن بعدُ .

فكأنَّ معنى قائلِي^(٢) هذا القولِ في تأويلِ قوله: ﴿إِلَّا لِيُعَلِّمَ﴾: ^(٣) إلا ليتبين^(٤) لكم أننا نعلمُ من يتَّبِعُ الرسولَ مَنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ . وهذا وإن كانَ وجهًا له مخرَجٌ، فبعيدٌ من المفهومِ .

وقال آخرون: إنما قيل: ﴿لِيُعَلِّمَ﴾ - وهو بذلك عالمٌ قبل كونه، وفي^(٥) حالِ كونه^(٥) - على وجهِ الترفُّقِ^(٦) بعبادِهِ واستمالتِهِم إلى طاعته، كما قال جلُّ ثناؤه: ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وقد عَلِمَ أنه على هدى وأنهم على ضلالٍ مبين، ولكنَّهُ رَفَقَ بِهِم في الخطابِ، فلم يَقُلْ: إنا على هدى وأنتم على ضلالٍ . فكذلك قوله: ﴿إِلَّا لِيُعَلِّمَ﴾ معناه عندهم: إلا لتعلموا أنتم إذ كنتمم جُهمًا لا به قبل أن يكونَ . فأضاف العلمَ إلى نفسه، رفقًا بخطابِهِم . وقد بينَّا القولَ الذي هو أولى^(٧) ذلك بالحقِّ .

فأما قوله: ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ . فإنه يعني: الذي يتَّبِعُ محمدًا ﷺ رسولَ الله، فيما يأمره اللهُ به، فيتَوَجَّه^(٨) نحوَ الوجهِ الذي يتَوَجَّهُ نحوهَ محمدٌ ﷺ .

(١) في م: « لنعلم ما » .

(٢) بعده في م: « المشركون » .

(٣) في م: « قائل » .

(٤) في م: « لنبين » .

(٥ - ٥) في م: « كل حال » .

(٦) في م: « الترفيق » .

(٧) بعده في م: « في » .

(٨) في م: « فيوجه » .

/ وأما قوله : ﴿ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ فإنه يعني به ^(١) : من الذى يرتد عن دينه ، فينأفئ ، أو يكفر ، أو يخالف محمداً ﷺ فى ذلك ، ممن يظهر أتباعه .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ قال : من إذا دخلته شبهة رجع عن الله ، وانقلب كافراً على عقبيه .

وأصل المرتد على عقبيه - ^(٢) وهو ^(٣) المنقلب على عقبيه - الراجع مستديراً فى الطريق الذى قد كان قطعه ، منصبراً عنه ، فقيل ذلك لكل راجع عن أمر كان فيه ، من دين أو خير ^(٤) ، ومن ذلك قوله : ﴿ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف : ٦٤] بمعنى : رجعا فى الطريق الذى كانا سلكاه .

وإنما قيل للمرتد : مُرْتَدٌّ . ^(٥) من ذلك ؛ لرجوعه عن دينه وملته التى كان عليها . وإنما قيل : رجع على عقبيه . لرجوعه دُبُرًا على عقبيه ^(٦) إلى الوجه الذى كان فيه بدء سيره قبل مرجعه عنه . فجعل ^(٧) ذلك مثلاً لكل تارك أمراً وأخذ آخر غيره ، إذا انصرف عما كان فيه إلى الذى كان [٦٩/٤ ظ] له تاركاً فأخذَه ، فقيل : ارتد فلان على عقبيه ^(٨) ، وانقلب على عقبيه .

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ .

(١) سقط من : م .

(٢ - ٣) فى م : « هو » .

(٣) فى م : « خير » .

(٤ - ٥) سقط من : م .

(٥) فى م : « عقبه » .

(٦) فى م : « فيجعل » .

اختلف أهل التأويل في التي وصفها الله جل ثناؤه بأنها كانت كبيرة إلا على الذين هدى الله .

فقال بعضهم : عني جل ثناؤه بالكبيرة التولية من بيت المقدس شطر المسجد الحرام والتحويلة^(١) ، وإنما أنث^(٢) الكبيرة لتأنيث التولية .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح^(٣) قال : حدثني معاوية بن صالح^(٤) ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قال الله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ يعني : تحويلها^(٥) .

حدثني محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا الضحاك بن مخلد ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ قال : ما أمروا به^(٦) من التحول^(٥) إلى الكعبة من بيت المقدس^(٦) .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

(١) في م : « التحويل » .

(٢) في م : « أنث » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١/١ (١٣٤٤) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥ - ٥) في الأصل : « في التحويل » .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم ٢٥١/١ (١٣٤٣) ، وعراه السيوطي في الدر المنثور

١٤٦/١ إلى عبد بن حميد .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ . قَالَ : كَبِيرَةٌ حِينَ حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، فَكَانَتْ كَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ^(١) .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلِ الْكَبِيرَةُ هِيَ الْقِبْلَةُ بَعِينِهَا الَّتِي كَانَ ﷺ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ التَّحْوِيلِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، ^(٢) «عَنْ الرَّبِيعِ» ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لِكَبِيرَةٍ ﴾ . أَيْ قِبْلَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ : ﴿ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ ^(٣) .

/ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلِ الْكَبِيرَةُ هِيَ الصَّلَاةُ الَّتِي كَانُوا صَلَّوْهَا ^(٤) إِلَى الْقِبْلَةِ الْأُولَى .

١٦/٢

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لِكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ . قَالَ : صَلَاتِكُمْ حَتَّى يَهْدِيَكُمْ اللَّهُ الْقِبْلَةَ ^(٥) .

وَقَدْ حَدَّثَنِي ^(٦) يُونُسُ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ :

(١) تفسير عبد الرزاق ٦١/١ ، ٦٢ .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، وهو من الأسانيد الدائرة .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١/١ عقب الأثر (١٣٤٣) من طريق أبي جعفر به .

(٤) في م : « يصلونها » .

(٥) سيأتي بتمامه في ص ٦٥٠ .

(٦) بعده في م : « به » .

﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ . قال : صلاتكم ^(١) هلهنا - يعنى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا - وانحرافكم ^(٢) هلهنا .

وقال بعض نحوئى البصرة : أنثت الكبيرة لتأنيث القبلة ، وإياها عنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً ﴾ .

وقال بعض نحوئى الكوفة : بل أنثت الكبيرة لتأنيث التولية والتحويلة .

فتأويل الكلام على معنى [٧٠/٤] ما تأوله قائلو هذه المقالة : وما جعلنا تحويلتنا إياك عن القبلة التى كنت عليها وتوليتناك عنها ، إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وإن كانت تحويلتنا إياك عنها وتوليتناك لكبيرة إلا على الذين هدى الله .

وهذا التأويل أولى التأويلات عندى بالصواب ؛ لأن القوم إنما كبر عليهم تحويل النبي ﷺ وجهه عن القبلة الأولى إلى الأخرى ، لا عين القبلة ، ولا الصلاة ؛ لأن القبلة الأولى والصلاة قد كانت وهى غير كبيرة عليهم . إلا أن يؤججه موجه تأنيث الكبيرة إلى القبلة ، ويقول : اجترئ بذكر القبلة من ذكر التولية والتحويلة ؛ لدلالة الكلام على معنى ذلك . كما قد وصفنا ذلك ^(٣) فى نظائره ^(٤) ، فىكون ذلك وجهها صحيحا ، ومذهبا مفهوما .

ومعنى قوله : ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ : عظيمة .

(١) فى م : « صلاتك » .

(٢) فى م : « انحرافك » .

(٣) فى م : « لك » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٣٩/١ - ١٤١ ، ١٧٨ ، ١٨٠ - ١٨٠ ، ٦٣٨/٢ ، ٦٣٩ .

كما حدثنا يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ قال : كبيرةٌ في صدورِ الناسِ ، فيما يدخلُ الشيطانُ به ابنَ آدمَ ، قال : ما لهم صلُّوا إلى ههنا ستةَ عشرَ شهرًا ثم انحرفوا ! فكبر^(١) في صدورِ من لا يعرفُ ولا يعقلُ والمنافقين ، قالوا : أى شىء هذا الدينُ ؟ وأما الذين آمنوا فثبتَ اللهُ ذلك في قلوبهم . وقرأ قولَ اللهِ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ . قال : صلاتُكم حتى يهديكم للقبلة .

وأما قوله : ﴿ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ فإنه يعنى به : وإن^(٢) كانت نفلتُناك^(٣) عن القبلة التي كنت عليها لعظيمة إلا على من وفقه اللهُ فهده لتصدقك ، والإيمان^(٣) بذلك ، واتباعك فيه ، وفيما أنزل اللهُ عليك .

كما حدثنى المثنى ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ . يقولُ : إلا على الخاشعين ، يعنى المصدِّقين بما أنزل اللهُ .

القولُ فى تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ قيل : عنى بالإيمانِ فى هذا الموضعِ الصلاة .

/ ذكُرُ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَ بِذَلِكَ وَذَكَرُ قَوْلٍ مِنْ قَالِهِ

١٧/٢

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيعٌ وعبيدُ اللهِ ، وحدثنا سفيانُ بنُ وكيع ، قال : حدثنا عبيدُ اللهِ بنُ موسى ، جميعًا عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن

(١) بعده فى م : « ذلك » .

(٢ - ٢) فى م : « كان تفلتيناك » .

(٣) بعده فى م : « بك و » .

ابن عباس، قال: لما وُجِّه رسولُ الله ﷺ إلى الكعبة قالوا: كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك وهم يصلُّون نحو بيت المقدس؟ فأُنزلَ [٧٠/٤] الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(١).

حدَّثني إسماعيلُ بنُ موسى الشَّدِّي، قال: أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراءِ في قولِ الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ قال: صلاتكم نحو بيت المقدس^(٢).

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاق الأهوَزي، قال: حدَّثنا أبو أحمد الزُّبيري، قال: حدَّثنا شريك، عن أبي إسحاق، عن البراءِ نحوه.

حدَّثني المثنى، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمد بنِ نُفَيْلٍ^(٣) الحرَّاني، قال: حدَّثنا زهير، قال: حدَّثنا أبو إسحاق، عن البراءِ، قال: مات على القبلة قبل أن تُحوَّلَ إلى البيتِ رجالٌ وقتلوا، فلم ندرِ ما نقولُ فيهم، فأُنزلَ الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^(٤).

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ، قال: حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ، قال: حدَّثنا سعيدٌ، عن قتادة،

(١) أخرجه أحمد ٢٩٨/٥ (٣٢٤٩) - ومن طريقه الخلال في السنة (١١٤٣) - والترمذي (٢٩٦٤)، وابن حبان (١٧١٧) من طريق وكيع به. وأخرجه الدارمي ٢٨١/١، والحاكم ٢٦٩/٢ من طريق عبيد الله بن موسى به. وأخرجه أحمد ٤٢٦/٤ (٤٩٥)، ١١٨/٥ (٢٦٩١)، ٢٧٧٤، (٢٩٦٤)، والطبراني في الكبير (١١٧٢٩) من طرق عن إسرائيل به. وأخرجه الطيالسي (٢٧٩٥ - طبعتنا)، وأبو داود (٤٦٨٠) من طريق سماك به.

(٢) أخرجه الطيالسي (٧٥٨ - طبعتنا)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٢٥ - تفسير)، والخلال في السنة (١١٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥١/١ (١٣٤٧)، وأبي عمر وعثمان بن محمد السمرقندي في الفوائد المتقاة ص (٨٥)، وابن منده في الإيمان (١٦٨) من طرق عن شريك به.

(٣) بعده في م: «عن».

(٤) تقدم أوله في ص ٦٢٠.

قال : قال أناسٌ من الناسِ لما صُرِفَتِ القبلةُ نحوَ البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالنا التي كنا نعملُ في قبلتنا الأولى^(١) ؟ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ .

حَدَّثَنِي موسى بنُ هارونَ ، قال : حَدَّثَنَا عمرو ، قال : حَدَّثَنَا أسباطُ ، عن الشُّدِّيِّ ، قال : لما توجَّهَ رسولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ المسجدِ الحرامِ ، قال المسلمون : ليت يشعُرنا عن إخواننا الذين ماتوا وهم يصلُّون قِبَلَ بيتِ المقدسِ ، هل تقبلُ اللهُ مِنَّا ومنهم أم لا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فيهم : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ قال : صلاتكم قِبَلَ بيتِ المقدسِ . يقولُ : إن تلك كانت^(١) طاعةً وهذه طاعةً .

حَدَّثتُ عن عمارٍ ، قال : حَدَّثَنَا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال ناسٌ لما صُرِفَتِ القبلةُ إلى البيتِ الحرامِ : كيف بأعمالنا التي كنا نعملُ في قبلتنا الأولى ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ الآية .

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : حَدَّثَنَا الحسينُ ، قال : حَدَّثَنِي حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريحٍ : أَخْبَرَنِي داودُ بنُ أبي عاصمٍ ، قال : لما صُرِفَ^(٢) رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الكعبةِ ، قال المسلمون : هلك أصحابنا الذين كانوا يصلُّون إلى بيتِ المقدسِ . فنزلت : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ .

حَدَّثَنِي محمدُ بنُ سعيدٍ ، قال : حَدَّثَنِي أبي ، قال : حَدَّثَنِي عمِّي ، قال : حَدَّثَنِي أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ يقولُ : صلاتكم التي صليتم^(٣) من قبلِ أن تكونَ القبلةُ . وكان المؤمنون قد أشفقوا على من

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) في م : « صليتموها » .

صَلَّى مِنْهُمْ أَنْ لَا تُقْبَلَ صَلَاتُهُمْ^(١) .

/حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ بِأَنَّ يَضِيعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ قال^(٢) : صَلَاتِكُمْ .

حدَّثنا محمد بن إسماعيل الضُّرَّارِيُّ^(٣) ، قال : أخبرنا مؤمِّلٌ ، قال : حدَّثنا سفيانٌ ، حدَّثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب في هذه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ بِأَنَّ يَضِيعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ قال : صَلَاتِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ .

قال أبو جعفر : قد دلَّلنا فيما مضى على أن معنى^(٤) الإِيْمَانِ التَّصَدِيقُ ، وأن التَّصَدِيقَ قد يكونُ بالقَوْلِ وحده ، وبالفعلِ وحده ، وبهما جميعاً^(٥) .

فمعنى قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ بِأَنَّ يَضِيعَ إِيْمَانَكُمْ ﴾ - على ما تظاهرت به الرواية من أنه الصلاة - : وما كان الله ليضيع تصديقكم^(٥) رسوله عليه الصلاة والسلام بصلاتكم التي صليتموها نحو بيت [٧١/٤] المقدس عن أمره ؛ لأن ذلك كان منكم تصديقاً لرسولي ، واتباعاً لأمرى ، وطاعة منكم لى^(٦) . وإضاعته إياه جل ثناؤه - لو أضاعه - ترك إثابة أصحابه وعامليه عليه ، فيذهب ضياعاً ، ويصير باطلاً ، كهيئة إضاعته الرجل ماله ، وذلك إهلاكه إياه فيما لا يعتاض منه عواضاً في عاجل ولا آجل . فأخبر الله جل ثناؤه أنه لم يكن بالذى^(٧) يُبْطِلُ عَمَلَ عَامِلٍ عَمِلَ لَهُ عَمَلًا وَهُوَ لَهُ طَاعَةٌ ، فلا يُثَبِّتُهُ عَلَيْهِ ، وإن نسيخ ذلك الفرض بعد عمل العامل إياه على ما كلفه من عمله .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤٦/١ إلى المصنف .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « الفزارى » . وينظر تهذيب الكمال ٤٨٢/٢٤ .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٥) فى م : « تصديق » .

(٦) بعده فى م : « قال » .

(٧) سقط من : م ، وفى ت ١ : « عمل » .

فإن قال لنا ^(١) قائلٌ : وكيف قال الله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ فأضاف الإيمان إلى الأحياء المخاطبين ، والقوم المخاطبون بذلك إنما كانوا أشفقوا على إخوانهم الذين كانوا ماتوا وهم يصلون نحو بيت المقدس ، وفي ذلك من أمرهم أنزلت هذه الآية ؟

قيل : إن القوم وإن كانوا قد ^(١) أشفقوا من ذلك ، فإنهم أيضًا قد كانوا مشفقين من حُبوبِ ثوابِ صلاتهم التي صلَّوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة ، وظنَّوا أن عملهم ذلك قد بطلَ وذهب ضياعًا ، فأنزل الله هذه الآية حينئذ ، فوجه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم ؛ لأن من شأن العرب إذا اجتمع في الخبر المخاطب والغائب ، أن يُعَلِّبوا المخاطب ، فيدخلوا ^(٢) الغائب في الخطاب ، فيقولوا الرجل خاطبوه على وجه الخبر عنه ، وعن آخر غائب غير حاضر : فعلنا بكما وصنغنا بكما . كهية خطابهم لهما وهما حاضران ، ولا يشتجيزون أن يقولوا : فعلنا بهما . وهم يُخاطبون أحدهما ، فردوا ^(٣) المخاطب إلى عداد الغائب ^(٤) .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رءِيمٌ ﴾ .

ومعنى قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رءِيمٌ ﴾ أن الله بجميع عبايه ذو رافة . والرافة على معاني الرحمة ، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة ، وأما الرحيم ، فإنه ذو الرحمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة على ما قد بينا فيما مضى قبل ^(٥) .

(١) سقط من : م .

(٢) في م : « فيدخل » .

(٣) في م : « فيردوا » .

(٤) في م : « الغيب » . وهما بمعنى . وينظر ص ١٨٨ .

(٥) ينظر ما تقدم في ١٢٤/١ - ١٣٤ .

ولإنما أراد جل ثناؤه بذلك أن الله أرحم بعبادِهِ من أن يُضَيِّعَ لهم طاعةَ أطاعوه بها فلا يُضَيِّعَهُمَ عليها، وأرأفُ بهم من أن يُؤاخِذَهُمَ بتركِ ما لم يفرضِ عليهم ، أى : فلا تأسؤا على موتاكم الذين ماتوا وهم يصلُّون إلى بيتِ المقدسِ ، فإنى لهم - على طاعتِهِم إياى [٧١/٤] بصلاتهم التى صلَّوها كذلك - مثيبٌ ؛ لأنى أرحمُ بهم من أن أُضَيِّعَ لهم عملاً عملوه لى ، ولا تحزُّنوا عليهم ، فإنى غيرُ مؤاخِذِهِم بتركِهِم الصلاةَ إلى الكعبةِ ؛ لأنى لم أكنُ فرضتُ ذلك عليهم ، وأنا أرأفُ بخلقى من أن أعاقِبَهُم على تركِهِم ما لم أمرَهُم بعملِهِ .

وفى الرءوفِ لغاتٌ : إحداهما ، « رَوْفٌ » على مثالِ (فَعْل) ، كما قال الوليدُ بنُ عقبة^(١) :

وشرُّ الطالبين^(٢) فلا تَكُنْهُ / بقاتِل^(٣) عَمَّه الرِّؤْفُ الرَّحِيمُ ١٩/٢
وهى قراءةٌ عامَّةٌ قرأه أهلُ الكوفةِ . والأخرى : رَعَوْفٌ على مثالِ (فَعول) .
وهى قراءةٌ عامَّةٌ قرأه أهلُ المدينةِ . ورِئْفٌ ، وهى لغةٌ غَطَفَانٌ ، على مثالِ (فِعِل) ،
مثل « حَذِر » . ورأفٌ ، على مثالِ (فَعْل) بجزمِ الهمزِ^(٥) ، وهى لغةٌ لبني أسدٍ .

(١) البيت فى تفسير القرطبي ١٥٨/٢ ، والبحر المحيط ٤٢٧/١ .

وللويدي بن عقبة أبيات يحض فيها معاوية على قتال علي رضي الله عنهما ، وهذا البيت يدور معناه فى فلك هذه الأبيات ، غير أنه ليس منها . ينظر هذه الأبيات فى تاريخ الطبرى ٥٦٤/٤ ، واللسان (ح ل م) .

(٢) فى البحر المحيط : « الظالمين » .

(٣) فى تفسير القرطبي : « يقاتل » ، وفى البحر المحيط : « يقابل » .

(٤) سقط من : م . وقراءة « لرؤف » هى قراءة أبي عمرو وعاصم فى رواية أبي بكر ، وحمزة والكسائى ، وقراءة « لرؤوف » هى قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم فى رواية حفص ، وروى الكسائى عن أبي بكر عن عاصم « لرؤف » .

(٥) فى م : « العين » ، والقراءتان الأخيرتان شاذتان .

والقراءةُ على أحدِ الوجهين الأولين .

القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : قد نرى يا محمدُ نحن تقلَّبَ وجهك في السماءِ .
ويعنى بالتقلَّبِ التحوُّلَ والتصرفَ . ويعنى بقوله : ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ نحوَ السماءِ وقبَلها .

وإنما قيل ذلك له ﷺ - فيما بلغنا - لأنه كان قبلَ تحويلِ قبلته من بيتِ المقدسِ إلى الكعبةِ يرفعُ بصره إلى السماءِ ، تنظُّراً^(١) من الله جل ثناؤه أمره بالتحوُّلِ^(٢) نحوَ الكعبةِ .

كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قوله : ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ قال : كان النبيُّ ﷺ يقلِّبُ وجهه إلى^(٣) السماءِ يحبُّ أن يصرفه الله إلى الكعبةِ حتى صرفه الله إليها^(٤) .

حدَّثنا بشرٌ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله : ﴿ قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ فكان نبيُّ الله ﷺ يصلِّي نحوَ بيتِ المقدسِ ، يهوى ويشتهي القبلةَ نحوَ البيتِ الحرامِ ، فوجهه الله لقبلةٍ كان يهواها ويشتهيها^(٥) .

حدَّثنا المثنيُّ ، قال : حدَّثني إسحاقُ ، قال : حدَّثني ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ،

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « ينتظر » .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بالتحويل » .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « في » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٦٢ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٦ إلى المصنف وعبد بن حميد ، نحوه .

عن الربيع في قوله: ﴿قَدْ رَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ يقول: نظرتك في السماء. وكان النبي ﷺ يقلب وجهه في الصلاة وهو يصلي نحو بيت المقدس، وكان يهوى قبلة البيت الحرام، فولاه الله قبلة كان يهواها^(١).

حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن الشددي، قال: كان الناس يصلون قبل بيت المقدس، [٧٢/٤] فلما قدم النبي ﷺ المدينة على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره، وكان إذا صلى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر، وكان يصلي قبل بيت المقدس، فنسختها/الكعبة. وكان النبي ﷺ يحب أن يصلي ٢٠/٢ قبل الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ رَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ الآية.

ثم اختلف في السبب الذي من أجله كان النبي ﷺ يهوى قبلة الكعبة. فقال بعضهم: كره قبلة بيت المقدس من أجل أن اليهود قالوا: يتبع قبلتنا ويخالفنا في ديننا!

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قال: قالت اليهود: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا. فكان يدعو الله^(١) ويستعرض القبلة^(٢)، فنزلت: ﴿قَدْ رَزَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - وانقطع قول يهود:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٣/١ (١٣٥٦، ١٣٥٨) من طريق أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية.

(٢) في م، ت ٢: «يستعرض للقبلة». قال الشيخ شاکر: ليست بشيء. وقال: أي يطلب فرضها عليه وعلى المؤمنين، وهذا ما لم تثبت كذب اللغة، ولكنه صحيح العربية.

(تفسير الطبري ٤٢/٢)

يخالفنا ويتبع قبلتنا! - فى صلاة الظهر، فجعل الرجال مكان النساء، والنساء مكان الرجال^(١).

حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعته - يعنى ابن زيد - يقول: قال الله لنبىه: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. قال: فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاء قوم يهود يستقبلون بيتنا من بيت المقدس - لو أنا استقبلناه». فاستقبله النبى ﷺ ستة عشر شهرا، فبلغه أن اليهود تقول: واللّه ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم. فكره ذلك النبى ﷺ، ورفع وجهه إلى السماء، فقال الله: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية^(٢).

وقال آخرون: بل كان يهوى ذلك من أجل أنه كان قبله أيه إبراهيم عليه السلام.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنى معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة^(٤) عشر شهرا، فكان رسول الله ﷺ يحب قبله إبراهيم، فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٤٧ إلى المصنف وعبد بن حميد. وأخرجه البغوى فى تفسيره ١/١٦١

من طريق مسلم بن خالد الزنجى، عن ابن أبى نجیح، عن مجاهد. والزنجى ضعيف.

(٢) تقدم فى ص ٤٥٢.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى م، ١، ت، ٢، ت، ٣: «سنة».

السَّمَاءِ ﴿ الآية (١) .

[٧٢/٤] وأما قوله: ﴿ فَلَنَوَيْسَنَّكَ قِبَلَةَ تَرْضَنَهَا ﴾ فإنه يعني: فلنصير فنك عن بيت المقدس إلى قبلة ترضاها. ^(٢) ويعنى بقوله: ﴿ تَرْضَنَهَا ﴾ ^(٣) تهواها وتُحِبُّهَا .
وأما قوله: ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ ﴾ فإنه ^(٣) يعنى به ^(٣): اصرف وجهك وحوِّله .
وقوله: ﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ يعنى بالشَّطْرِ: النحو والقصد والتلقاء، كما قال الهذلي ^(٤):

لإن العسير ^(٥) بها داءٌ مُخامرٌها ^(٦) فشطرها نَظْرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورٌ ^(٧)
يعنى بقوله: شَطْرُهَا: نحوها . وكما قال ابنُ أحمَر ^(٨):

تَعْدُو بِنَا شَطْرَ جَمْعٍ ^(٩) وَهِيَ عَاقِدَةٌ ^(١٠) قَدْ كَارَبَ ^(١١) الْعَقْدُ مِنْ إِفَادِهَا ^(١٢) الْحَقْبَا ^(١٣)

(١) تقدم تخريجه في ص ٤٥٠ .

(٢ - ٢) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

(٣) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣ .

(٤) هو قيس ابن العيزارة، والعيزارة أمه، واسمه قيس بن خويلد . والبيت في شرح أشعار الهذليين ٦٠٧/٢، واللسان (ح س ر، ش ط ر) .

(٥) العسير: الناقة التي ركبت قبل تذليلها . اللسان (ع س ر) .

(٦) خامره الداء: خالطه . اللسان (خ م ر) .

(٧) حسر بصره: كَلَّ وانقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك . اللسان (ح س ر) .

ورواية البيت في شرح أشعار الهذليين هكذا:

إن النعوس بها داء يخامرها فنحوها بصر العينين مخزور

(٨) مجاز القرآن ٦٠/١، وسيرة ابن هشام ٥٥١/١، وخزانة الأدب ٢٥٥/٦ .

(٩) جمع: المزدلفة، سميت بذلك لاجتماع الناس بها . اللسان (ج م ع) .

(١٠) ناقة عاقد: تعقد بذنبها عند اللقاح . اللسان (ع ق د) .

(١١) كارب الشيء: قاربه . اللسان (ك ر ب) .

(١٢) في ت ٣: «إفادها» . وهو لفظ رواية مجاز القرآن . والإفاد: الإسراع . اللسان (و ف د) . فهما بمعنى .

(١٣) الحقب: حبل يشد به الرحل في بطن البعير مما يلي ثيله، لئلا يؤذيه التصدير، أو يجتذبه التصدير، =

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : حدَّثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن داودَ بنِ أبي هندٍ ، عن ^(١) أبي العاليةِ : ﴿ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ قال ^(٢) : تلقاءه ^(٣) .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ نحوه ^(٤) .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجیحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ نحوه ^(٥) .

حدَّثني المثنى ، قال : حدَّثنا أبو حذيفةٍ ، قال : حدَّثنا شبيلٌ ، عن ابنِ أبي نجیحٍ ، عن مجاهدٍ مثله .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةٍ :

= فيقدمه . اللسان (ح ق ب) .

وقال في الخزانة : وروى أيضا :

تعدو بنا شطر جمع وهي موفدة قد قارب الغرض من إيفادها الحقا

(١) بعده في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ابن » .

(٢) في م : « يعنى » .

(٣) أخرجه وكيع - كما في الدر المنثور ١/١٤٧ - وعنه ابن أبي شيبة ١/٣٣٥ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٤ (١٣٦١، ١٣٦٢) من طريق داود به . وأخرجه ابن عيينة في تفسيره - كما في الدر المنثور - وعنه سعيد بن منصور سننه (٢٢٧- تفسير) عن عاصم الأحول عن أبي العالية ، وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور ١/١٤٧ إلى عبد بن حميد والدينوري .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في الإتيقان ٧/٢ -، والبيهقي ٣/٢ من طريق عبد الله بن صالح به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه البيهقي ٣/٢ .

﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ﴿١﴾ أى : تلقاء المسجد الحرام .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ^(٢) بَنُ يَحْيَى ، قال : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قال : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عن قتادة فى قوله : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ قال : نحو المسجد الحرام ^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : ثنا إِسْحَاقُ ، قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ أى : تلقاءه ^(٤) .

وَحَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قال : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قال : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، قال : قال ابن جريج : أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، عن ابن عباس أنه قال : ﴿ شَطْرُهُ ﴾ نحوه .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا الْحَمَّانِيُّ ، قال : حَدَّثَنَا شَرِيكٌ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء : ﴿ قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ قال : قِبَلَهُ ^(٥) .

/ حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، قال : قال ابن زبيد : ﴿ شَطْرُهُ ﴾ ٢٢/٢ ناحيته ، جانبه . قال : وجوانبه شَطْرُهُ .

ثم اختلفوا فى المكان الذى أمر الله نبيه ﷺ أن يولّى وجهه إليه من المسجد الحرام : فقال بعضهم : القبلة التى حوّل إليها النبي ﷺ ، وعناها الله جل ثناؤه بقوله : ﴿ فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ ﴿٦﴾ حِيَالِ مِيزَابِ ^(٦) الكعبة .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ عقب الأثر (١٣٦٤) معلقاً .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « الحسين » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ . زيادة : ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ - أى : تلقاءه .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ عقب الأثر (١٣٦١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ عقب الأثر (١٣٦٣) معلقاً .

(٦) الميزاب : هو ما يسيل منه الماء من موضع عال . تاج العروس (وزب) .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا [٧٣/٤] عِثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ قَمِيْطَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: ﴿ فَلَتَوَلَّيْتَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ قَالَ: حِيَالُ مِيزَابِ الْكَعْبَةِ^(١).

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ يَحْيَى - يَعْنِي^(٢) ابْنَ قَمِيْطَةَ - قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِإِزَاءِ الْمِيزَابِ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿ فَلَتَوَلَّيْتَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ قَالَ: هَذِهِ الْقِبْلَةُ^(٣)، هَذِهِ الْقِبْلَةُ^(٤).

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ بِإِسْنَادِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، نَحْوَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: اسْتَقْبَلَ الْمِيزَابَ فَقَالَ: هَذِهِ الْقِبْلَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ: ﴿ فَلَتَوَلَّيْتَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ ذَلِكَ الْبَيْتُ كُلُّهُ^(٥).

(١) أخرجه الحاكم ٢/٢٦٩ من طريق شعبة به. وعزه السيوطي أيضًا في الدر المنثور ١/١٤٧ إلى ابن المنذر وابن أبي شيبة والطبراني. وقال الهيثمي في المجمع ٦/٣١٦: رواه الطبراني من طريقين، ورجال إحداهما ثقات.

(٢) سقط من: م، ١، ت، ٢، ٣.

(٣) بعده في م، ١، ت، ٢، ٣: «هي».

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/٦٢، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٢٦- تفسير)، وأحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب العالية (٣٥٧) - وابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٣ (١٣٥٧) من طريق هشيم به.

(٥) بعده في م، ١، ت، ٢، ٣: «قِبْلَةٌ وَقِبْلَةُ الْبَيْتِ الْبَابُ».

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

^(١) حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى الْقَزَّازُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: الْبَيْتُ كُلُّهُ قَبْلَةٌ، وَقَبْلَةُ الْبَيْتِ الْبَابُ ^(٢).

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَشِيمٌ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ ^(١).

حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُثَيْبَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْبَيْتُ كُلُّهُ قَبْلَةٌ، وَهَذِهِ قَبْلَةُ الْبَيْتِ. يَعْنِي الَّتِي فِيهَا الْبَابُ.

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي مَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ^(٣) فِالمَوْلَى وَجْهَهُ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ هُوَ الْمَصِيبُ الْقَبْلَةَ، وَإِنَّمَا عَلَى مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ النِّيَّةُ بِقَلْبِهِ أَنَّهُ مَتَوَجِّهٌ إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّ عَلَى مَنْ ائْتَمَّ بِإِمَامٍ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ الْاِئْتِمَامُ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَازِيًا بَدَنُهُ بَدَنَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي طَرْفِ الصَّفِّ وَالْإِمَامُ فِي طَرْفِ آخَرَ، عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ يَسَارِهِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مَنْ خَلْفَهُ مَوْتَمًّا بِهِ مَصْلِيًّا إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْهِ الْإِمَامُ. فَكَذَلِكَ حَكْمُ الْقَبْلَةِ، وَإِنْ لَمْ يُحَازِهَا ^(٤) كُلُّ مَصَلٍّ وَمَتَوَجِّهٍ إِلَيْهَا بِيَدَنِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَوَجِّهٌ إِلَيْهَا. وَإِنْ كَانَ عَنْ يَمِينِهَا أَوْ ^(٥) عَنْ يَسَارِهَا مُقَابِلَهَا، فَهُوَ مُسْتَقْبَلُهَا، بَعْدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَوْ قُرْبَ، مِنْ عَنْ يَمِينِهَا أَوْ عَنْ يَسَارِهَا، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) ذكره ابن رجب في فتح الباري ٣/٨٠ عن المصنف من طريق عطاء به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٤٧/١ إلى المصنف.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «يكن يحاذيها».

(٥) في الأصل: «و».

غيرَ مستديرها ، ولا منحرفٍ عنها بيدنه ووجهه .

كما حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ الأهوازيُّ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ الزبيرُ ، قال : حدَّثنا إسرائيلُ ، عن أبي إسحاقَ ، عن عميرةَ بنِ زيادِ الكنديِّ ، عن عليٍّ : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ قال : شطره فينا قبله ^(١) .

وقبله البيتِ الحرامِ ^(٢) بآئه .

كما حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ والفضلُ بنُ الصَّبَّاحِ ، قالا : حدَّثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا عبدُ الملكِ ، / عن عطائٍ ، قال : قال أسامةُ بنُ زيدٍ : رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ حين خرج من البيتِ أقبَلَ بوجهه إلى [٧٣/٤] البابِ ، فقال : « هذه القبلةُ ، هذه القبلةُ » ^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ وسفيانُ ، قالا : حدَّثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبي سليمانَ ، عن عطائٍ ، قال : حدَّثني أسامةُ بنُ زيدٍ ، قال : خرج النبي ﷺ من البيتِ ، فصلَّى ركعتينِ مستقبلاً بوجهه الكعبةَ ، فقال : « هذه القبلةُ » . مرَّتينِ ^(٤) .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عبدُ الرحيمِ بنُ سليمانَ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطائٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ نحوه .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأمويُّ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : حدَّثنا ابنُ جُريجٍ ،

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قبلة » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٤/١ (١٣٦٣) من طريق إسرائيل به . وأخرجه الحاكم ٢٦٩/٢ - وعنه البيهقي ٣/٢ - من طريق أبي إسحاق به . وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور ١٤٧/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر والدينوري في المجالسة .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) أخرجه النسائي (٢٩١٥) ، وابن خزيمة (٣٠٠٥) عن يعقوب بن إبراهيم به . وأخرجه أحمد ٢٠٩/٥ (الميمية) عن هشيم به . وأخرجه ابن خزيمة - أيضًا - من طرق عن عبد الملك به .

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٣٠٠٦) من طريق جرير به .

قال: قلت لعطاء: أسمع ابن عباس يقول: إنما أمرتم بالطواف، ولم تؤمروا بدخوله؟ قال: لم يكن ينهى عن دخوله، ولكن سمعته يقول: أخبرني أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها، ولم يصل حتى خرج، فلما خرج ركع في قُبَلِ القبلة ركعتين، وقال: « هذه القبلة »^(١).

فأخبر ﷺ أن البيت هو القبلة، وأن قبلة البيت بابه.

القول في تأويل قوله عز وجل: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾.

يعنى بذلك جل ثناؤه: وأينما كنتم من الأرض أيها المؤمنون، فحوّلوا وجوهكم في صلاتكم نحو المسجد الحرام وتلقائه. والهاء التي في: ﴿ شَطْرَهُ ﴾ عائدة إلى المسجد الحرام. فأوجب جل ثناؤه بهذه الآية على المؤمنين فرض التوجه نحو المسجد الحرام في صلاتهم حيثما كانوا من أرض الله، وأدخلت الفاء في قوله: ﴿ فَوَلُّواْ ﴾ جواباً للجزء، وذلك أن قوله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ ﴾ جزاء، ومعناه: حيثما تكونوا فولّوا وجوهكم شطره.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ ﴾ أحوار اليهود وعلماء النصارى.

وقد قيل: إنما عني بذلك اليهود خاصة.

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدّثنا موسى، قال: حدّثنا عمرو، قال: حدّثنا أسباط، عن السدّي: ﴿ وَإِنَّ

(١) أخرجه عبد الرزاق (٩٠٥٦)، وأحمد ٥/٢٠١، ٢٠٨ (اليمينية)، ومسلم (١٣٣٠)، والنسائي (٢٩١٧)، والبيهقي ٣٢٨/٢ من طريق ابن جريج به. وينظر مسند الطيالسي (٢٧٧٥).

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴿١﴾ قال: ﴿٢﴾: أَنْزَلَ ذَلِكَ فِي الْيَهُودِ (٢).

وقوله: ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني به (١) هؤلاء الأخبار والعلماء من أهل الكتاب، يعلمون أن التوجه نحو المسجد الحرام (١) الحق الذي فرضه الله عز وجل على إبراهيم وذريته وسائر عبادِه بعده.

ويعنى بقوله: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أنه الفرض الواجب على عبادِ الله تعالى ذكره، وهو الحق من عند ربهم، فرضه عليهم.

[٧٤/٤] القول في تأويل قوله جل ثناؤه: (وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (٣).

يعنى بذلك جل ثناؤه: وليس الله بغافل عما تعملون أيها المؤمنون في أتباعكم أمره، وانتهائكم إلى طاعته، فيما ألزمكم من فرائضه، وإيمانكم به في صلاتكم نحو بيت المقدس، ثم صلاتكم من بعد ذلك شطر المسجد الحرام، ولا هو ساه عنه، ولكنه جل ثناؤه مُحْصِيهِ لَكُمْ، ومُدْخِرُهُ لَكُمْ عِنْدَهُ، حتى يُجَازِيَكُمْ بِهِ أَحْسَنَ جَزَاءٍ، وَيُثَبِّتَكُمْ عَلَيْهِ أَفْضَلَ ثَوَابٍ.

٢٤/٢

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.

يعنى بذلك جل ثناؤه: ولئن جمعت يا محمد اليهود والنصارى بكل برهان وحجة، وهى الآية، بأن الحق هو ما جمعتهم به من فرض التحول من قبلة بيت المقدس

(١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٤/١ (١٣٦٥) عن أبى زرعة، عن عمرو بن حماد به.

(٣) كذا فى الأصل، م، ت، ١ بالتاء، وهى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى، وفى ت، ٢، ت، ٣ بالياء وهى

قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم. ينظر حجة القراءات ص ١١٦، ١١٧.

فى الصلاة إلى قبلة المسجد الحرام، ما صدقوا به ولا تبعوا - مع قيام الحجة عليهم بذلك - قبلتك التى حولتك إليها، وهى التوجه شطر المسجد الحرام.

وأجيب ﴿وَلَيْن﴾ بالماضى من الفعل، وحكمها الجواب بالمستقبل، تشبيها لها بـ «لو»، فأجيب بما تجاب به «لو» لتقارب معنييهما. وقد مضى البيان عن نظير ذلك فيما مضى^(١). وأجيب ﴿وَلَيْن﴾^(٢) بجواب الأيمان، ولا تفعل العرب ذلك إلا فى الجزاء خاصة؛ لأن الجزاء مشابهة اليمين فى أن كل واحد منهما لا يتيّم أوله إلا بأخره، ولا يتيّم وحده، ولا يصح إلا بما يؤكد به بعده. فلما بدأ باليمين فأدخلت على الجزاء، صارت اللام الأولى بمنزلة يمين، والثانية بمنزلة جواب لها، كما قيل: لعمرك لتقومن. إذ كثرت اللام من «لعمرك» حتى صارت كحرف من حروفه، فأجيب بما تجاب به الأيمان، إذ كانت اللام تنوب فى الأيمان عن الأيمان دون سائر الحروف غيرها^(٣) التى هى أجوبة الأيمان، فتدل على الأيمان، وتعمل عمل الأجوبة، ولا تدل سائر أجوبة الأيمان^(٤) على الأيمان، فشبهت اللام التى^(٥) هى جواب للأيمان^(٥) بالأيمان، لما وصفنا، فأجيب بأجوبتها.

فكان معنى الكلام، إذ كان الأمر على ما وصفنا: «والله^(١) لو أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك».

وأما قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾ يقول: وما لك من سبيل يا محمد إلى

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٣٧٢، وينظر معانى القرآن ١/٨٤.

(٢) فى م: «لو».

(٣) فى م، ت، ٢، ت، ٣: «غير».

(٤) بعده فى م، ت، ٢، ت، ٣: «لنا».

(٥ - ٥) فى م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «فى جواب الأيمان».

(٦ - ٦) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

اتَّبَاعِ قِبَلَتِهِمْ ، وذلك أن [٧٤/٤] اليهودُ تستقبلُ بيْتِ المقدسِ بصَلَاتِهَا ، وأن النصارى تستقبلُ المَشْرِقَ ، فأنَّى يكونُ لك السبيلُ إلى اتِّباعِ قِبَلَتِهِمْ مع اختلافِ وُجُوهِهَا ؟ يقولُ : فالزَمَ قِبَلَتَكَ الَّتِي أُمِرْتَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا ، ودَعُ عَنْكَ ما تقولُهُ اليهودُ والنصارى ، وتدعوكُ إليه مِن قِبَلَتِهِمْ واستقبالِهَا .

وأما قولُهُ : ﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ ﴾ فإنه يَعْنِي : وما اليهودُ بتابعةِ قِبَلَةِ النصارى ، وما ^(١) النصارى بتابعةِ قِبَلَةِ اليهودِ ، فمتوجِّهَةٌ نحوَهَا .

كما حَدَّثَنِي موسى ، قال : حَدَّثَنَا عمرو ، قال : حَدَّثَنَا أسباطُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ ﴾ يقولُ : ما اليهودُ بتابعي قِبَلَةِ النصارى ، ولا النصارى بتابعي قِبَلَةِ اليهودِ ^(٢) . قال : وإنما أُنزِلتْ هذه الآيةُ من أجلِ أن النبيَّ ﷺ لما حُوِّلَ إلى الكعبةِ ، قالت / اليهودُ : إن محمداً اشتاق إلى بلدِ أبيه ومولده ، ولو ثبت على قِبَلَتِنَا لكانا نَرْجُو أن يكونَ هو صاحبِنَا الذي ننتظرُ . فأنزلَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ فيهِمْ : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ إلى قولِهِ : ﴿ لَيَكْفُرُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) .

٢٥/٢

وحدَّثَنِي يونسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِهِ : ﴿ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ ﴾ مثلُ ذلك .

وإنما قلنا ^(٤) : يعنى جَلَّ ثناؤُهُ بذلك أن اليهودَ والنصارى لا تجتمعُ على قِبَلَةٍ واحدةٍ ، مع إقامةِ كُلِّ حِزْبٍ مِنْهُم على مِلَّتِهِ . فقال تعالى ذِكْرَهُ لِنبيِّهِ محمدٍ ﷺ : يا محمدُ لا تُشعِرْ نَفْسَكَ رِضا هؤلاء اليهودِ والنصارى ، فإنه أمرٌ لا سبيلَ إليه ؛ لأنهم

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « لا » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٧ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٥ (١٣٦٥) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به . وتقدم أوله في ص ٦٢٤ .

(٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

مع اختلافِ مِلَلِهِمْ لا سبيلَ لك إلى إرضاءِ كلِّ حِزْبٍ منهم ، من أجلِ أنك إن اتبعت قبلةَ اليهودِ أسخَطتَ النصارى ، وإن اتبعتَ قبلةَ النصارى أسخَطتَ اليهودَ ، فدع ما لا سبيلَ إليه ، وادعهم إلى ما لهم السبيلُ إليه ، من الاجتماعِ على مِلَّتِكَ الحنيفيةِ المسلميةِ ، وقبلتِكَ قبلةَ إبراهيمَ صلواتُ الله عليه والأنبياءِ من بعده .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٥) .

يعنى بقوله جلَّ ذكره : ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ولكن التمسيت يا محمدُ رضا هؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لك ولأصحابك : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ [البقرة: ١٣٥] . فاتبعتَ قبلتهم ، يعنى : فرجعتَ إلى قبلتهم .

ويعنى بقوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ من بعد ما وصل إليك من العلم ، [٧٥/٤] بإعلامى إياك أنهم مقيمون على باطلٍ ، على ^(١) عنادٍ منهم للحقِّ ، ومعرفةٍ منهم بأنَّ ^(٢) القبلة التى وجهتُ إليها هى القبلة التى فرضتُ على أبيك إبراهيمَ ، صلواتُ الله عليه وسائرِ ولده ، ^(٣) ومن ^(٣) بعده من الرسلِ ، التوجهُ نحوها .

﴿ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ يعنى : إنك ، إذا فعلتَ ذلك ، من عبادى الظلمةِ أنفسهم ، المخالفين أمرى ، والتاركين طاعتى ، وأحدُهم ^(٤) وفى ^(٤) عدايتهم .

القولُ فى تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾ .

(١) فى م : « وعلى » .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أن » .

(٣ - ٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « من » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « فى » .

يَعْنَى جَلُّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أَحْبَارَ الْيَهُودِ وَعُلَمَاءَ النَّصَارَى . يَقُولُ: يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ ، وَالْعُلَمَاءُ مِنَ النَّصَارَى ، أَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قَبْلَتَهُمْ وَقَبْلَةُ إِبْرَاهِيمَ وَقَبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَكَ ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ .

كَمَا حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يَقُولُ: يَعْرِفُونَ أَنَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ هُوَ ^(١) الْقَبْلَةُ ^(٢) .

٢٦/٢ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يَعْنِي الْقَبْلَةَ ^(٣) .

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ : ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ عَرَفُوا أَنَّ قَبْلَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ هِيَ قَبْلَتُهُمْ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا ، كَمَا عَرَفُوا أَبْنَاءَهُمْ ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُمَى ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلَهُ: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ^(٥) .

(١) فِي الْأَصْلِ ، ت ، ١ ، ت ٣ : « هِيَ » .

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٥٥/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٣٦٨) مَعْلَقًا ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١٤٧/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٥٦/١ (١٣٧١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٥٥/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٣٦٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٥٥/١ (١٣٦٧) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ بِهِ .

حَدَّثَنِي موسى ، قال : حَدَّثَنَا عمرو ، قال : حَدَّثَنَا أسباط ، عن الشَّيْخِ : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾ يَعْرِفُونَ الكعبةَ (أنها هي) قبلَةُ الأنبياءِ ، كما يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ^(٢) .

حَدَّثَنِي يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾ قال : اليهودُ يَعْرِفُونَ أنها هي القبلةُ ، مكةُ .

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : حَدَّثَنَا الحسينُ ، قال : حَدَّثَنِي حجاجُ ، قال : قال ابنُ جريجٍ في قوله : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ ﴾ قال : القبلةُ والبيتُ .

[٧٥/٤] القولُ في تأويلِ قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنَّ قَرِيْقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

يقولُ جل ثناؤه : وَإِنَّ طائفةً من الذين أوتوا الكتابَ ، وهم اليهودُ والنصارى . وكان مجاهدٌ يقولُ : هم أهلُ الكتابِ .

حَدَّثَنِي محمدُ بنُ عمرو ، قال : حَدَّثَنَا أبو عاصمٍ ، قال : حَدَّثَنَا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ بذلك^(٣) .

حَدَّثَنَا القاسمُ ، قال : حَدَّثَنَا الحسينُ ، قال : حَدَّثَنِي حجاجُ ، عن ابنِ جريجٍ مثله . حَدَّثَنِي المثنيُّ ، قال : حَدَّثَنَا أبو حذيفةُ ، قال : حَدَّثَنَا شبَّلبُ ، عن ابنِ أبي

(١ - ١) في النسخ : « من » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٥/١ (١٣٦٨) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٦ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٠) .

نَجِيح، "عن مجاهد" مثله.

﴿ لَيَكْفُرُونَ الْحَقَّ ﴾ وذلك الحقُّ هو القبلة التي وَجَّهَ اللهُ عز وجل إليها نبيِّه محمداً ﷺ بقوله^(١): ﴿ قَوْلٍ وَجَّهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]. التي كانت الأنبياء من قبلِ محمدٍ ﷺ يتوجَّهون إليها، فكتمتها اليهود والنصارى، فوجَّه بعضهم شرقاً، وبعضهم بيت المقدس، ورفضوا ما أمرهم الله به، وكتموا مع ذلك أمر محمدٍ ﷺ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فأطلع الله عزَّ وجلَّ نبيِّه محمداً ﷺ وأمته على خيانتهم الله تبارك وتعالى و^(٢) عباده، بكتمانهم^(٣) ذلك، وأخبر أنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك على علمٍ منهم بأن الحقَّ غيرُه، وأن الواجبَ عليهم من الله جلَّ ثناؤه خلافة، فقال: ﴿ لَيَكْفُرُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه^(٤) ليس لهم كتمانُه، فيتعمدون معصية الله تبارك وتعالى^(٥).

٢٧/٢ / كما حدَّثنا بشرُّ بنُ معاذٍ، قال: حدَّثنا يزيدُ بنُ زريعٍ، قال: حدَّثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ فكتموا محمداً ﷺ. حدَّثني المثنيُّ، قال: حدَّثنا أبو حذيفة، قال: حدَّثنا شبُّلٌ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿ لَيَكْفُرُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ قال: يكتُمون محمداً ﷺ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(٦).

(١ - ١) سقط من: م، ١، ت، ٢، ٣.

(٢) في م، ١، ت، ٢، ٣: «يقول».

(٣) بعده في م، ١، ت، ٢، ٣: «خيانتهم».

(٤) في م: «وكتمانهم».

(٥) في م، ١، ت، ٢، ٣: «أن».

(٦) هنا نهاية الحرم في النسخة «ص»، والمشار إليه في ٧٢١/١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٢) من طريق أبي حذيفة به.

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ يَعْنِي الْقِبْلَةَ .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ ﴾ (١٤٧) .

يقول جل ثناؤه : اعلم يا محمد أن الحق ما أعلمك ربك وأتاك من عنده ، لا ما
يقول [٧٦/٤] لك اليهود والنصارى . وهذا من الله جل وعزّ خبرٌ لنبيه ﷺ ، عن أن
القبلة التي وجه نحوها هي القبلة الحق التي كان عليها إبراهيم خليل الرحمن ، ومن بعده
من أنبياء الله . (١) يقول تعالى ذكره (١) له : فاعمل بالحق الذي أتاك من ربك يا محمد ، ولا
تكونن من المكفرين . يعنى بقوله : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ ﴾ . أى : فلا تكونن من
الشاكين فى أن القبلة التي وجهتكم نحوها قبله إبراهيم خليلي وقبله الأنبياء غيره .

كما حدثني المثنى ، قال : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ
أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُكْفِرِينَ ﴾ يقول : لا تكن فى شك ، فإنها قبلكم وقبله الأنبياء قبلك (٢) .

حدثني يونس ، قال : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُكْفِرِينَ ﴾ قال : من الشاكين (٣) ، لا تشككن فى ذلك .

وإنما (٤) المُكْفِرِيُّ مُفْتَعِلٌ ، من المِرْيَةِ ، والمِرْيَةُ هي الشك ، ومنه قول الأعشى (٥) :

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٣) من طريق أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر
المشور ١/١٤٧ ، ١٤٨ إلى المصنف وأبى داود فى ناسخه عن أبى العالية .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قال » .

(٤) سقط من : م .

(٥) ديوان الأعشى ص ٢٣ .

تَدِيرُ^(١) عَلَى أَسْوَاقٍ^(٢) الْمُتَتَرِبِ نَ^(٣) رَكْضًا إِذَا مَا السَّرَابُ ارْجَحَنُ^(٤)
فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : أَوْ كَانَ النَّبِيُّ شَاكًّا فِي أَنْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ^(٥) فِي أَنْ الْقِبْلَةَ الَّتِي
وَجَّهَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا حَقٌّ مِنَ اللَّهِ ، حَتَّى نُهَى عَنِ الشُّكِّ فِي ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْمُتَتَرِبِينَ ﴾ .

قيل : ذلك من الكلام الذي تُخْرِجُهُ الْعَرَبُ مُخْرَجَ الْأَمْرِ^(٦) وَ النَّهْيِ لِلْمَخَاطَبِ
بِهِ ، وَالْمُرَادُ بِهِ غَيْرُهُ ، كَمَا قَالَ جَلُّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴾ [الْأَحْزَابُ : ١ ، ٢] . فَخَرَجَ الْكَلَامُ مَخْرَجَ الْأَمْرِ لِلنَّبِيِّ وَ النَّهْيِ لَهُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ
أَصْحَابُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَقَدْ بَيَّنَّا نَظِيرَ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى قَبْلُ بِمَا أَغْنَىٰ عَنْ إِعَادَتِهِ^(٧) .

/القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا ﴾ .

٢٨/٢

يعنى بقوله : ﴿ وَلِكُلِّ ﴾^(٨) وَلِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ . فَحَذَفَ أَهْلَ مِلَّةٍ ، وَاكْتَفَىٰ بِدَلَالَةِ
الْكَلَامِ عَلَيْهِ .

كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ،

(١) در الفرس بیدر دریا و دره : عدا عدوا شديدا . و مر على درته : أى لا يثنيه شيء . اللسان (د ر ر) .
(٢) أسواق : جمع ساق ، و يجمع أيضا على سوق و سيقان . تاج العروس (س و ق) .
(٣) مزية الفرس : ما استخرج من جريه فدر لذلك عرقه ، و مزيت الفرس : إذا استخرجت ما عنده من الجرى
بسوط أو غيره . اللسان (م ر ي) .
(٤) ار جحن السراب : ارتفع . اللسان (رجحن) .
(٥) فى ص : « و » .
(٦) فى ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ : « أو » .
(٧) ينظر ما تقدم فى ص ٤٠٤ - ٤٠٦ .
(٨ - ٨) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ﴾ قال: لكل صاحب مِلَّةٍ^(١).

وحدَّثنا المثني، قال: حدَّثنا إسحاق، قال: حدَّثنا ابنُ أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ فليلهودي^(٢) ووجهة هو موليها، وللنصراني^(٣) ووجهة هو موليها، وهداكم الله أنتم أيُّها الأمة للقبلة التي هي قبله^(٤).

حدَّثني القاسم، قال: حدَّثني الحسين، قال: حدَّثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: قوله: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ قال: كلُّ أهل دين؛ اليهود والنصارى. قال ابن جريج: قال مجاهد: لكل صاحب مِلَّةٍ^(٥).

[٧٦/٤] حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا﴾ قال: لليهود قبله. وللنصارى قبله. ولكم قبله. يُريدُ المسلمين.

حدَّثني محمد بن سعيد، قال: حدَّثني أبي، قال: حدَّثني عمي، قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا﴾. يعني بذلك أهل الأديان، يقول: لكل قبلة يرضونها، ووجهه الله حيث توجه المؤمنون، وذلك أن الله قال:

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٦. وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور ١/٤٨ إلى عبد بن حميد. وستأتي بقيته في ص ٦٧٦، ٦٧٧.

(٢) في م، ت، ١، ٢: «فليلهود».

(٣) في م، ت، ١، ٢، ٣: «لِلنصارى».

(٤) في م، ت، ٣: «قبلته».

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٦ عقب الأثر (١٣٧٥) من طريق ابن أبي جعفر به.

(٥) في ص، م، ت، ٢: «لكل».

(٦) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٥٦ عقب الأثر (١٣٧٥) معلقًا.

﴿ فَأَيِّنَّمَا ^(١) تَوَلَّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢) [البقرة: ١١٥].

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن الشدي :
﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبٌ ﴾ . يقول : لكل قوم قبله قد وُلِّبها ^(٣) .

فتأويل أهل هذه المقالة في هذه الآية : ولكل أهل ملة قبله هو مستقبلها ومؤلِّب وجهه إليها .

وقال آخرون بما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :
أخبرنا معمر ، عن قتادة : ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبٌ ﴾ . قال : هي صلاتهم إلى بيت
المقدس ، وصلاتهم إلى الكعبة ^(٤) .

وتأويل قائل ^(٥) هذه المقالة : ولكل ناحية وجهك إليها ربك يا محمد قبله ، الله
مؤلِّبها عباده .

وأما الوجهة ، فإنها مصدر مثل القعدة والمشية ، من التوجه . وتأويلها : متوجهة
يتوجه إليه ^(٦) بوجهه ^(٧) في صلاته .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ،

(١) في الأصل ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « حيث ما » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٦/١ (١٣٧٤) عن محمد بن سعد به ، ولم يذكر الآية آخره .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٦/١ عقب الأثر (١٣٧٥) عن أبي زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٢/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٧/١ (١٣٧٧) عن الحسن بن يحيى به .

وعزه السيوطي في الدر المنثور ١٤٨/١ إلى أبي داود في ناسخه .

(٥) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قائل » .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إليها » .

(٧) في ص : « توجهه » . وينظر معاني القرآن ٩٠/١ .

عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَجْهَةٌ﴾. قبله^(١).

حدّثني المثني، قال: حدّثنا أبو حذيفة، قال: حدّثنا شبلي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

/حدّثني المثني، قال: حدّثنا إسحاق، قال: حدّثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، ٢٩/٢، عن الربيع: ﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ﴾. قال: وجهه.

حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ﴿وَجْهَةٌ﴾. قبله.
حدّثنا ابن حمّيد، قال: حدّثنا جريز، قال: قلت لمنصور: ﴿وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبًا﴾. قال: نحن نقرؤها: (ولكل جعلنا قبله يوّضونها)^(٢).

وأما قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّبًا﴾. فإنه يعني: هو مولّ وجهه إليها،^(٣) ومستقبلها.
كما حدّثني محمد بن عمرو، قال: حدّثنا أبو عاصم، قال: حدّثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿هُوَ مُوَلِّبًا﴾. قال: هو مستقبلها^(١).
حدّثني المثني، قال: حدّثنا أبو حذيفة، قال: حدّثنا شبلي، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله.

ومعنى التولية ههنا: الإقبال، كما يقول القائل لغيره: انصرف إلى. بمعنى: أقبل إلى. والانصراف المستعمل إنما هو الانصراف عن الشيء، ثم يقال: انصرف إلى الشيء. بمعنى: أقبل إليه منصرفاً عن غيره. وكذلك يقال: وليت عنه. إذا

(١) تقدم أول هذا الأثر في ص ٦٧٤.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ٥٥ من طريق جريز به، والقراءة بها شاذة لمخالفتها رسم المصاحف العثمانية.

(٣) (٣ - ٣) في م: «مستقبلها».

أَذْبَرَتْ عَنْهُ . ثم يقال : وَلِيْتُ إِلَيْهِ . بمعنى : أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ مُؤَلِّيًا عَنْ غَيْرِهِ ^(١) .

والفعل - أَعْنَى التَّوَلَّى - فى قوله : ﴿ هُوَ مُؤَلِّيَاتُهَا ﴾ لـ « لِكُلِّ » و ^(٢) ﴿ هُوَ ﴾ التى مع ﴿ مُؤَلِّيَاتُهَا ﴾ هى ^(٣) « الكُلُّ » [٧٧/٤] وَوَحَّدت للفظِ الكُلِّ . فمعنى الكلامِ إِذَا : وَلِكُلِّ أَهْلِ مِلَّةٍ وَجْهَةٌ ، الكُلُّ ^(٤) مِنْهُمْ مَوْلُوهَا وَجُوهَهُمْ .

وقد روى عن ابن عباس وغيره أنهم قرءوها : (هو مؤلأها) ^(٥) . بمعنى أنه مؤجَّه نحوها . ويكونُ الكُلُّ ^(٦) حينئذٍ غيرَ مسمَّى فاعله ، ولو سُمِّي فاعله لكان الكلامُ : وَلِكُلِّ ذِي مِلَّةٍ وَجْهَةٌ ، اللَّهُ مَوْلِيهِ إِيَّاهَا . بمعنى : مُوجَّهَةٌ إِلَيْهَا .

وقد ذُكِرَ عن بعضهم أنه قرأ ذلك : (وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مَوْلِيهَا) بِتَوَكُّرِ التَّنْوِينِ والإِضَافَةِ ^(٧) .

وذلك لِحْنٍ لا ^(٨) تجوزُ القراءةُ به ؛ لأن ذلك إِذَا قُرِئَ كَذَلِكَ ، كان الخبرُ غيرَ تامٍّ ، وكان كلامًا لا معنى له ، وذلك غيرُ جائزٍ أن يكونَ مِنَ اللَّهِ تعالى ذِكْرُهُ ^(٩) .

(١) ينظر معانى القرآن ٨٥/١ .

(٢) سقط من : ص .

(٣) فى ص : « وهو » . وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « هو » .

(٤) فى م : « لكل » .

(٥) قراءة ابن عباس أخرجهما ابن الأثير فى المصاحف كما فى الدر المنثور ١٤٨/١ ، وذكرها القرطبى فى تفسيره ١٦٤/٢ ، وأبو حيان فى البحر المحیط ٤٣٧/١ ، وابن كثير فى تفسيره ٢٨١/١ ، عن ابن عباس وأبى جعفر الباقر . ومن السبعة قرأها ابنُ عامرٍ وحده ، والباقون بكسر اللام وبعدها ياء . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٧١ ، وحجة القراءات ص ١١٧ .

(٦) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « الكلام » .

(٧) أخرج هذه القراءة ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٧/١ (١٣٧٨) بإسناده إلى ابن عباس وذكر ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٥٠/١ أن أبا عمرو الدانى حكاهما عن ابن عباس ، وذكرها أبو حيان فى البحر المحیط ٤٣٧/١ غير معزوة إلى أحد ، ووصفها بالشذوذ .

(٨) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولا » .

(٩) وقال ابن عطية : وهى متجهة ، أى : فاستبقوا الخيرات لكلِّ وجهٍ ولاكموها ، ولا تعترضوا فيما =

والصواب عندنا من القراءة في ذلك: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيًا﴾^(١) بمعنى: ولكل وجهة وقبلة، ذلك الكل مؤل وجهه نحوها؛ لإجماع الحجة من القراءة على قراءة ذلك كذلك، وتصويبها إياها، وشذوذ من خالف ذلك إلى غيره، وما جاء به النقل مستفيضاً فحجة، وما انفرد به من كان جائزاً عليه السهو والغلط^(٢)، فغير جائز الاعتراض به على الحجة.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: فبادروا وسارعوا، من الاستباق، وهو المبادرة والإسراع.

كما حدثني المثنى قال: حدثني إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾. يقول^(٣): فسارعوا في الخيرات^(٤).

وإنما يعنى جل ثناؤه بقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أى: قد بينت لكم أيها المؤمنون الحق، وهديتكم للقبلة التي ضللت عنها اليهود والنصارى، وسائر أهل الملل غيركم، فبادروا بالأعمال الصالحة، /شكراً ربكم، وتزودوا في دنياكم لآخرتكم، ٣٠/٢ فإنني قد بينت لكم سبيل النجاة، فلا عُذَرَ لكم في التفريط، وحافظوا على قبليكم، فلا تُضيّعوها كما ضيعتها الأمم قبلكم، فتضلوا كما ضللت.

= أمركم بين هذه وهذه...، وقدم قوله: (لكل وجهة). على الأمر في قوله: (فاستبقوا). للاهتمام بالوجهة...

قال أبو حيان - بعد أن نقل عنه هذا التوجيه - في البحر المحيط ١/ ٤٣٨، ٤٣٩: وهو توجيه لا بأس به.

(١) ليست في الأصل، ت ٢.

(٢) في ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الخطأ».

(٣) في م: «بمعنى».

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٥٧ عقب الأثر (١٣٧٩) من طريق ابن أبي جعفر به.

كالذى حَدَّثَنَا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حَدَّثَنَا يزيدُ بنُ زُرَّيعٍ ، قال : حَدَّثَنَا سعيدُ ، عن قتادة : ﴿ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ يقول : لا تُغْلِبَنَّ على قَلْبِكُمْ ^(١) .

حَدَّثَنِي يونسُ ، قال : أَخْبَرَنَا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قوله : ﴿ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ قال : الأعمالُ الصالحةُ ^(٢) .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ آيِنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[٤/٧٧ظ] ومعنى قوله : ﴿ آيِنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً ﴾ فى أىِّ مكانٍ وبقعةٍ تهلكونَ فيه ، يأتِ بكم اللهُ جميعاً يومَ القيامةِ : ﴿ إِنَّ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

كما حَدَّثْتُ عن عمارٍ ، قال : حَدَّثَنَا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ آيِنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً ﴾ يقولُ : أينما تكونوا يأتِ بكم اللهُ جميعاً يومَ القيامةِ ^(٣) .

حَدَّثَنَا موسى ، قال : حَدَّثَنَا عمرو ، قال : حَدَّثَنَا أسباطُ ، عن السُدِّى : ﴿ آيِنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً ﴾ . يعنى يومَ القيامةِ ^(٤) .

وإنما حَضَّ اللهُ المؤمنينَ بهذه الآيةِ على طاعته ، والتزوُّدِ فى الدنيا للآخرة ، فقال جلُّ ثناؤه لهم : فاستَيْقُوا أيها المؤمنون إلى العملِ بطاعةِ ربِّكم ، ولزومِ ما هَدَاكم له من قبلةِ إبراهيمَ خليله ، وشرائعِ دينه ، فإن الله يأتى بكم وبمن خالفَ قَلْبَتَكُمْ ^(٥) ودينكم

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٨ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/١٤٨ إلى المصنف ، وسقط منه من المطبوع . وينظر فتح القدير ١/١٥٨ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥٨ عقب الأثر (١٣٨٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١/٢٥٨ عقب الأثر (١٣٨٢) عن أبى زرعة ، عن عمرو بن حماد به .

(٥) فى م : « قَلْبِكُمْ » .

وشريعتكم جميعاً يوم القيامة ، من حيث كنتم من بقاع الأرض ، حتى يوفى^(١) المحسن منكم جزاءه بإحسانه ، و المسيء عقابه بإساءته ، أو يتفضل فيصفح .

وأما قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فإنه تعالى ذكره يعنى : إن الله على جميعكم - بعد مماتكم - من قبوركم إليه^(٢) ، من حيث كنتم^(٣) وكانت قبوركم^(٤) ، وعلى غير ذلك مما يشاء قادر^(٥) ، فبادرُوا خُروج أنفسكم بالصالحات من الأعمال قبل مماتكم ، ليوم بعثكم وحشركم .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٦) .

يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾ ومن أى موضع خرجت إلى أى موضع وجهت ، فولِّ يا محمد وجهك . يقول : حول وجهك .

وقد دللنا على أن التولية فى هذا الموضع شطر المسجد الحرام ، إنما هى الإقبال بالوجه نحوه ، وقد بينا معنى الشطر فيما مضى^(٧) .

وأما قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ﴾ فإنه يعنى به جل ثناؤه : وإن التوجه شطره للحق الذى لا شك فيه من عند ربك ، فحافظوا عليه ، وأطيعوا الله بتوجهكم^(٨) قبله .

(١) فى ص : « يؤتى » .

(٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م ، ت ٢ : « قدير » .

(٥) فى ص : (يعملون) . وهى قراءة أبى عمرو ، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحزمة والكسائى بالخطاب . إتخاف فضلاء البشر ص ٩١ .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٦٥٩ .

(٧) فى ص : « فتوجهكم » ، وفى م ، ت ٢ : « فى توجهكم » .

وأما قوله: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٤٩﴾ فإنه يقول: فإن الله ليس بساومٍ عن أعمالكم، ولا بغافلٍ عنها، ولكنه مُحصِيها لكم حتى يُجازيكم بها يوم القيامة. القول في تأويل قوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ .

[٧٨/٤] يعنى بقوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ حَرَجْتَ قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ ومن أى مكانٍ وبقعةٍ شَخَصَتْ فخرَجْتَ يا محمد، فحوَّل^(١) وجهك تلقاء المسجد الحرام، وهو شطره.

ويعنى بقوله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ وأيما كنتم أيها المؤمنون من أرضِ الله، فولُّوا وُجُوهكم فى صلواتكم تُجاهه وقبله وقصدَه. القول فى تأويلِ قوله جَلَّ ثَنَاهُ: ﴿ لَيْتَآ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ .

فقال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ: عنى اللهُ بالناسِ فى قوله: ﴿ لَيْتَآ يَكُونُ لِلنَّاسِ ﴾ أهلَ الكتابِ .

ذَكَرُ مِنْ قَالِ ذَلِكَ

حدَّثنا بشرٌ، قال: حدَّثنا يزيدٌ، قال: حدَّثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قوله: ﴿ لَيْتَآ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يعنى بذلك أهلَ الكتابِ، قالوا حين صُرفَ نبيُّ الله إلى الكعبةِ البيتِ الحرامِ: اشتاقَ الرجلُ إلى بيتِ أبيه ودينِ قومه^(٢).

(١) فى م، ت ٢، ت ٣: « قول » .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٧) معلقا. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور

١٤٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد.

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ أَهْلَ الْكِتَابِ ، قَالُوا
حِينَ ضَرَفَ نَبِيُّ اللَّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ : اشْتَقَّ الرَّجُلُ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ وَدِينِ قَوْمِهِ ^(١) .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَأَيَّةُ حُجَّةٍ كَانَتْ لِأَهْلِ الْكِتَابِ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ
نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ ؟

قِيلَ : قَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا مَضَى مَا زُوِيَ فِي ذَلِكَ ، قِيلَ : إِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ : مَا
دَرَى مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَيْنَ قَبْلَتُهُمْ حَتَّى هَدَيْنَاهُمْ نَحْنُ ! وَقَوْلُهُمْ : يَخَالِفُنَا مُحَمَّدٌ فِي
دِينِنَا وَيَتَّبِعُ قَبْلَتَنَا ^(٢) ! فَهِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي كَانُوا يَحْتَجُّونَ بِهَا عَلَى النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ ،
عَلَى وَجْهِ الْخُصُومَةِ مِنْهُمْ لَهُمْ ، وَالتَّمْوِيهِ مِنْهُمْ بِهَا عَلَى الْجُهَالِ وَأَهْلِ الْغَبَاءِ ^(٣) مِنَ
الْمُشْرِكِينَ .

وَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا مَضَى أَنَّ مَعْنَى حِجَاكِ الْقَوْمِ إِتْيَاهِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ إِنَّمَا
هُوَ ^(٤) الْخُصُومَاتُ وَالْجِدَالُ ، فَقَطَعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ حُجَّتِهِمْ وَحَسَمَهُ ، بِتَحْوِيلِ قِبَلَةِ نَبِيِّهِ
ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، مِنْ قِبَلَةِ الْيَهُودِ إِلَى قِبَلَةِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

/فَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ يَعْنِي ٣٢/٢
بـ « النَّاسِ » ، الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَجُّونَ عَلَيْهِمْ بِمَا وَصَفْتُ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [٧٨/٤] مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ مِنَ
قُرَيْشٍ ، فِيمَا تَأَوَّلَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٨/١ عقب الأثر (١٣٨٧) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٦٥٧ .

(٣) في م : « العناد » .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « هي » .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ : قَوْمُ مُحَمَّدٍ ﷺ .
 حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ ، قَالَ : هُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ : يَعْنِي مُشْرِكِي قَرِيشٍ ^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ : قَالَ : هُمُ مُشْرِكُو الْعَرَبِ ^(٢) .

حَدَّثَنَا بَشْرٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ : وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مُشْرِكُو قَرِيشٍ .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قَالَ عَطَاءٌ : هُمُ مُشْرِكُو قَرِيشٍ . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُجَاهِدًا يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِ عَطَاءٍ ^(٣) .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٢٥٩/١ عَقِبَ الْأَثَرِ (١٣٨٩) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ بِهِ .

(٢) سَيَأْتِي مَطُولًا فِي ص ٦٨٦ .

(٣) ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١٦٥/١ . وَيَنْظُرُ مَا سَيَأْتِي فِي ص ٦٨٧ .

فإن قال قائلٌ: فأيُّ حُجَّةٍ كانت لمشركي قريش على رسولِ الله وأصحابه في توجُّههم في صلاتهم إلى الكعبة؟ وهل يجوزُ أن يكونَ للمشركين على المؤمنين - فيما أمرهم الله به أو نهاهم عنه - حُجَّةٌ؟

قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما توهمت وذهبت إليه، وإنما الحُجَّةُ في هذا الموضوعِ الخصومةُ والجدلُ ومعنى الكلام: لئلا يكونَ لأحدٍ من الناسِ عليكم حُصومةٌ ودعوى باطلٍ^(١)، غيرَ مشركي قريش، فإن لهم عليكم دعوى باطلٍ^(١) وخصومةٌ بغيرِ حقٍّ، بقيلهم لكم: رجع محمدٌ إلى قبَلتنا، وسيرجعُ إلى ديننا. فذلك من قولهم وأمانيتهم الباطلة، هي الحُجَّةُ التي كانت لقريش على رسولِ الله ﷺ وأصحابه، ومن أجل ذلك استثنى الله تعالى الذين ظلموا من قريش من سائرِ الناسِ غيرهم، إذ نفى أن يكونَ لأحدٍ منهم في قبَلتهم التي وجَّههم إليها حُجَّةٌ.

وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ من قال ذلك منهم

حدَّثني محمدُ بنُ عمرو، قال: حدَّثنا أبو عاصمٍ، قال: حدَّثنا عيسى، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِ الله: ﴿لئلا يكونَ للناسِ عليكم حُجَّةٌ إلا الذين ظلموا مِنهُم﴾ قومُ محمدٍ ﷺ. قال مجاهدٌ: يقولُ: حُجَّتْهم قولهم: قد راجعتُ^(٢) قبَلتنا^(٣).

(١) في م، ت ٢: «باطلة».

(٢) في م: «رجعت».

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٨ إلى المصنف وعبد بن حميد، بلفظ: حججتهم...، وفي تفسير مجاهد ص ٢١٦: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ يعني: أمة محمد ﷺ، وحجتهم قولهم: تركت قبَلتنا.

٣٣/٢ / حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَيْبٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مجاهدٍ مثله ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : قَوْلُهُمْ : قَدْ رَجَعْتَ إِلَى قِبَلَتِنَا ؟ .

حَدَّثَنَا [٧٩/٤] الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مجاهدٍ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ قَالَ : هُم مَشْرِكُو الْعَرَبِ ، قَالُوا حِينَ صُرِفَتْ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ : قَدْ رَجَعَ إِلَى قِبَلَتِكُمْ ، فَيُوشِكُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى دِينِكُمْ . قَالَ اللَّهُ : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾^(١) .

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مَعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يزيدُ قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مَشْرِكُو قُرَيْشٍ . يَقُولُ : إِنَّهُمْ سَيَحْتَجُّونَ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ . فَكَانَتْ حُجَّتَهُمْ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ بِانصِرَافِهِ^(٢) إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ أَنَّهُمْ قَالُوا : سِيرِجِعْ إِلَى دِينِنَا كَمَا رَجِعَ إِلَى قِبَلَتِنَا . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً^(٣) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيعِ مِثْلَهُ^(٤) .

حَدَّثَنِي مُوسَى ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنْ الشُّدِّيِّ فِيمَا

(١) فِي الْأَصْلِ ، وَتَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ : (وَاحْشُونَ) بِحَذْفِ الْيَاءِ ، وَالْقِرَاءَةُ مُتَّفَقَةٌ عَلَى إِثْبَاتِ الْيَاءِ . وَيَنْظُرُ إِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشْرِ ص ٩١ .

وَالْأَثَرُ فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٦٢/١ . وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ أَيْضًا فِي الدَّرِّ الْمَشُورِ ١٤٨/١ إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ وَأَبِي دَاوُدَ فِي نَاسِخِهِ . وَيَنْظُرُ تَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ ١٦٥/١ .

(٢) فِي ص : « انصِرَافِهِ » .

(٣) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشُورِ ١٤٨/١ إِلَى الْمُصَنِّفِ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ . وَزَادَ فِيهِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

(٤) تَقْدِيمٌ مُخْتَصَرًا فِي ص ٦٨٤ .

يَذْكُرُ عَنْ أَبِي مَالِكٍ ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ قَالُوا ^(١) : لَمَّا صُرِفَ نَبِيُّ اللَّهِ نَحْوَ الْكَعْبَةِ بَعْدَ صَلَاتِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ : نَحْيِرُ عَلَى مُحَمَّدٍ دِينَهُ ، فَتَوَجَّهَ بِقَبْلَتِهِ إِلَيْكُمْ ، وَعَلِمَ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ سَبِيلًا ، وَيُوشِكُ أَنْ يَدْخُلَ فِي دِينِكُمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ إِنْ لَّا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ ^(٢) .

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِعَطَاءٍ : قَوْلُهُ : ﴿ إِنْ لَّا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ قَالَ : قَالَتْ قَرِيشٌ لَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْكَعْبَةِ وَأَمْرُ بِهَا : مَا كَانَ يَسْتَعْنِي عَنَّا ، قَدْ اسْتَقْبَلَ قَبْلَتَنَا . فَهِيَ حُجَّتُهُمْ ، وَهُمْ الَّذِينَ ظَلَمُوا . قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ^(٣) كَثِيرٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُجَاهِدًا يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِ عَطَاءٍ ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ : حُجَّتُهُمْ : قَوْلُهُمْ : رَجَعْتَ إِلَى قَبْلَتِنَا ^(٤) .

فَقَدْ أَبَانَ تَأْوِيلُ مَنْ ذَكَرْنَا تَأْوِيلَهُ - مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ - قَوْلَهُ : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ عَنْ صَحِيحَةِ مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِهِ ، وَأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ عَلَى ^(٥) صَحِيحَةٍ ، بِمَعْنَى الْاسْتِثْنَاءِ الْمَعْرُوفِ ، الَّذِي يُثْبِتُ فِيهِ لَمَّا بَعْدَ حَرْفِ الْاسْتِثْنَاءِ مَا كَانَ مَنْفِيًّا عَمَّا قَبْلَهُ ، كَمَا ^(٦) قَوْلُ الْقَائِلِ : مَا سَارَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا أَخُوكَ . إِثْبَاتٌ لِلأَخِ مِنَ السَّيْرِ مَا هُوَ

(١) فِي الْأَصْلِ ، ص ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « قَالَ » .

(٢) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ١/٤٨٨ إِلَى الْمُصَنِّفِ ، وَيَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٦٤٠ ، ٦٤١ .

(٣) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « أَبِي » . وَيَنْظُرُ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ١٥/٤٦٨ .

(٤) يَنْظُرُ مَا تَقَدَّمَ فِي ص ٦٨٤ ، ٦٨٥ .

(٥ - ٥) فِي م : « مَعْنَى » .

(٦) بَعْدَهُ فِي م : « أَنْ » .

مَنْفَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ نَفَى عَنْ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ خُصُومَةٌ وَجَدَلٌ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَعْوَى بَاطِلٍ ^(١) عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ، /بِسَبَبِ تَوَجُّهِهِمْ فِي صَلَاتِهِمْ قَبْلَ الْكَعْبَةِ ، [٧٩/٤ظ] إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ قَرِيشٍ ، فَإِنْ لَهُمْ قَبْلَهُمْ خُصُومَةٌ وَدَعْوَى بَاطِلٍ ^(١) ، بَأَنْ يَقُولُوا : إِنَّمَا تَوَجَّهْتُمْ إِلَيْنَا وَإِلَى قَبْلَتِنَا لِأَنَّا كُنَّا مِنْكُمْ أَهْدَى سَبِيلًا ، وَأَنْكُمْ كُنْتُمْ بِتَوَجُّهِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى ضَلَالٍ وَبَاطِلٍ .

٣٤/٢

وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ مَعْنَى الْآيَةِ بِاجْتِمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّوَابِلِ ، فَبَيَّنَّ ^(٢) خَطَأَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وَلَا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ^(٣) . وَأَنَّ مَعْنَى ^(٤) ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى الْوَاوِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مَعْنَاهُ ، لَكَانَ النَّفْيُ الْأَوَّلُ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ - أَنْ يَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ فِي تَحْوِيلِهِمْ نَحْوَ الْكَعْبَةِ بِوُجُوهِهِمْ - مُبَيَّنًّا عَنِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذِكْرِ قَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ إِلَّا التَّلْبِيسُ الَّذِي يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهِ أَوْ يُوصَفَ بِهِ . هَذَا مَعَ خُرُوجِ مَعْنَى الْكَلَامِ إِذَا وُجِّهَتْ ^(٥) ﴿إِلَّا﴾ إِلَى مَعْنَى الْوَاوِ وَبِمَعْنَى ^(٦) الْعَطْفِ ، مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ غَيْرٌ مَوْجُودَةٌ «إِلَّا» فِي شَيْءٍ مِنْ كَلَامِهَا بِمَعْنَى الْوَاوِ ، إِلَّا مَعَ اسْتِثْنَاءٍ سَابِقٍ قَدْ تَقَدَّمَهَا ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : سَارَ الْقَوْمُ إِلَّا عَمْرًا إِلَّا أَخَاكَ . بِمَعْنَى : إِلَّا عَمْرًا وَأَخَاكَ . فَتَكُونُ «إِلَّا» حَيْثُذِ مُؤَدِّيَةٌ عَمَّا تُوَدَّى عَنْهُ الْوَاوُ لِتَعْلُقِ «إِلَّا»

(١) فِي م : «بَاطِلَةٌ» .

(٢) فِي ص : «فَتَيْنِ» .

(٣) كَأَنَّهُ يَعْنِي أَبَا عُبَيْدَةَ ، فَهَذَا الْقَوْلُ لَهُ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ٦٠/١ .

(٤) سَقَطَ مِنْ م : .

(٥) فِي ص : «وَجْهَهُ» .

(٦) فِي ص ، م : «مَعْنَى» .

الثانية^(١) بـ «إلا» الأولى . ويُجمع أيضًا فيها بين «إلا» والواو ، فيقال : سار القومُ إلا عمراً ، وإلا أخاك . فتُحذفُ إحداهما فتنبوُ الأخرى عنها ، فيقال : سار القومُ إلا عمراً وأخاك . أو : إلا عمراً إلا أخاك . لما وصّفنا قبل .

فإذ كان ذلك كذلك ، فغيرُ جائزٍ لمُدّع^(٢) من الناس أن يدعى أن ﴿إلا﴾ في هذا الموضع بمعنى الواو التي تأتي بمعنى العطف .

وواضحٌ فسادُ قولٍ من زعم أن معنى ذلك^(٣) : إلا الذين ظلموا منهم ، فإنهم لا حُجّةَ لهم ، فلا تخشَوْهم ، كقولِ القائلِ في الكلام^(٤) : الناسُ كلُّهم لك حامدون ، إلا الظالمَ^(٥) المعتدى عليك ، فإن ذلك لا يُعتدُّ بعُدوانه^(٦) ، ولا بتزكّيه الحمدَ لموضعِ العداوة . وكذلك الظالمُ لا حُجّةَ له ، وقد سُمّيَ ظالماً - لإجماعِ جميعِ أهلِ التأويلِ على تخطئته ما ادّعى من التأويلِ في ذلك . وكفى شاهداً على خطأ مقالة^(٧) إجماعهم على تخطئتها .

وظاهرٌ بطولُ قولٍ من زعم أن الذين ظلموا ههنا ناسٌ من العربِ كانوا يهوداً أو^(٨) نصارى ، فكانوا يحتجّون على النبي ، فأما سائرُ العربِ ، فلم تكنْ لهم حُجّةٌ ، وكانت حُجّةٌ من يحتجُّ منكسرةً ؛ لأنك تقول لمن تُريدُ أن تكسِرَ عليه حُجّته : إن لك

(١ - ١) في ص : « إلى » .

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المنثري . ينظر مجاز القرآن ٦٠/١ .

(٣) هو الفراء ، وما سيأتي هو نص كلامه في معاني القرآن ٨٩/١ .

(٤) في م ، ت ٢ : « كلامه » .

(٥) بعده في معاني القرآن : « لك » .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعداوته » .

(٧) في م ، ت ٢ : « مقالته » .

(٨) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « و » .

على حُجَّة ، ولكنها مُنكسِرةٌ ، إِنَّكَ لتحتجُّ بلا حُجَّةٍ ، وُحُجَّتُكَ ضعيفةٌ . وَوَجَّهَ^(١) معنى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ إلى معنى : إِلَّا الذين ظلموا منهم من أهل الكتاب ، فإن لهم عليكم حُجَّةٌ واهيةٌ ، أو حُجَّةٌ ضعيفةٌ . وَوَهَاءُ^(٢) قولٍ من قال : « إِلَّا » فى هذا الموضوع بمعنى « لكن » . وَضَعْفُ قولٍ من زعم أنه ابتداءً بمعنى : إِلَّا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم ؛ لأن تأويل أهل التأويل جاء فى [٨٠/٤] ذلك بأن ذلك من الله خبرٌ عن الذين ظلموا منهم أنهم يحتجُّون على النبىِّ وأصحابه بما قد ذكرنا ، ولم يقصد فى ذلك إلى الخبرِ عن صفةِ حُجَّتِهِم بالضعفِ ولا بالقوَّةِ - وإن كانت ضعيفةٌ لأنها باطلةٌ - وإنما قصد فيه الإثباتَ للذين ظلموا ما قد نفى عن الذين قبل حرفِ الاستثناءِ من الصفةِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا إسحاق ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفر ، عن أبيه ، قال : قال الربيعُ : إن يهوديًا خاصمَ أبا العالِيَةِ فقال : إن موسى كان يُصلِّى إلى صخرةِ بيتِ المقدسِ . فقال أبو العالِيَةِ : كان يُصلِّى عند الصخرةِ إلى البيتِ الحرامِ . قال : قال فيبنى وبينك مسجدٌ صالح ، فإنه نحتته من الجبلِ . قال / أبو العالِيَةِ : قد صليتُ فيه وقبلته إلى البيتِ الحرامِ . قال الربيعُ : وأخبرنى أبو العالِيَةِ أنه مرَّ على مسجدِ ذى القرنين وقبيلته إلى الكعبةِ .

٣٥/٢

وأما قوله : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ يعنى : فلا تخشوا هؤلاء الذين وصفتُ لكم أمرهم من الظلمةِ^(٣) ، فى حُجَّتِهِم وجدِ إلهم وقولهم ما يقولون من^(٤) أن محمدًا

(١) التقدير : وظاهر بطلان قول من وجه .

(٢) فى النسخ عدا الأصل : « وهى » وهما بمعنى . وتقدير الكلام : وظاهر وهاء .

(٣) فى م : « الظلم » .

(٤) فى ص : « فى » .

قد رجع إلى قبلتنا ، وسيَرْجِعُ إلى ديننا ، أو أن يقدِّروا لكم على ضُرِّ في دينكم ، أو صدُّكم عما هداكم الله له من الحقِّ ، ولكن احشَوْنِي ، فخافوا عقابي في خلافكم أمرِي إن خالفتموه .

وذلك من الله تقدُّمٌ إلى عباده المؤمنين ، بالحضُّ على لزومِ قبلتهم والصلاة إليها ، وبالنهي عن التوجُّه إلى غيرها . يقولُ جلُّ ثناؤه : **وَاحشَوْنِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، فِي تَرْكِ طَاعَتِي فِيمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .**

وقد حُكِيَ عن الشُدِّيِّ في ذلك ما حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن الشُدِّيِّ : **﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾** يقولُ : لا تخشوا أن أردَّكم في دينهم ^(١) .

القولُ في تأويلِ قوله جلُّ ثناؤه : **﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا بِنِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾** .

يعنى تعالى ذكره بقوله : **﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا بِنِعْمَتِي عَلَيْكُمْ ﴾** ومن حيث خرجت من البلاد والأرض إلى أي بقعة شخَّصت ، فولَّ وجهك شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وحيث كنت أنت يا محمدُ والمؤمنون ، فولُّوا وجوهكم في صلاتكم شَطْرَهُ ، واتخذوه قبلةً لكم ، كيلا يكون لأحدٍ من الناس عليكم ^(٢) سِوَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ حُجَّةً ، وكى أُمَّمٌ بذلك - من هدايتي لكم إلى قبلة خليلي إبراهيمَ ، الذي جعلته إماماً للناس - نعمتي ، فأكمل لكم به فضلي عليكم ، وأتمم به شرائع ملَّتكم الحنيفية [٨٠/٤ظ] المسلمة التي وصَّيتُ بها نوحاً وإبراهيمَ وموسى وعيسى وسائر الأنبياء غيرهم .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٩/١ (١٣٩٠) عن أبي زرعة ، عن عمرو به .

والى هنا انتهى المجلد الثاني من نسخة دار الكتب المصرية . وقد أشرنا في المقدمة إلى أن الجزء الثالث منها غير موجود وتستأنف عند قوله جل ثناؤه : **﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾** . من الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٢) سقط من : م ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

وذلك هو نعمته التي أحببَ جلَّ ثناؤه أنه مُثِمَّها على رسوله والمؤمنين به من أصحابه .

وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ يعني: وكى ﴿تَهْتَدُوا فَتَرْتَدُوا﴾ للصواب من القِبَلِ^(١) . و ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ ، ﴿وقوله^(٢)﴾
﴿وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ﴾ .

القولُ في تأويلِ قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(١٥١) .

يعنى بقوله تعالى ذكره: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ . ولَأْتِمَّ نِعْمَتِي عليكم بيانِ شرائعِ ملتِكُم الحنيفيةِ وأهديكُم لدينِ خليلي إبراهيمَ ، فأجعلَ لكم دَعْوَتَهُ التي دعاني بها ومسألته التي سألتها فقال: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] كما جعلتُ لكم دَعْوَتَهُ التي دعاني بها ، ومسألته التي سألتها فقال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ / إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [البقرة: ١٢٩] فابتعثتُ منكم رسولي الذي سألتني خليلي إبراهيمَ وابنه إسماعيلَ أن أبعثه من ذُرِّيَّتِهِمَا .

٣٦/٢

ف ﴿كَمَا﴾ إذن - إذ كان ذلك معنى الكلام - صلةٌ لقولِ اللهِ: ﴿وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾^(٤) وتأويله: ولَأْتِمَّ نِعْمَتِي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم .

(١ - ١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ترشدوا » .

(٢) في م ، ت ، ٢ : « القبلة » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤ - ٤) في م : « ولا يكون قوله: ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم ﴾ . متعلقاً بقوله: ﴿ فاذكروني ﴾ .

أذكركم ﴾ . وهو جيد أيضاً .

وقد قال قوم^(١): إن معنى ذلك: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا منكم اذكركم. وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، فأغرقوا التزعم^(٢)، وبعثوا من الإصابة، وحملوا الكلام على غير معناه المعروف، وسوى وجهه المفهوم. وذلك أن الجارى من الكلام على الشئ العرب، المفهوم فى خطابهم بينهم، إذا قال بعضهم لبعض: كما أحسنت إليك يا فلان فأحسنت. أن لا يشترطوا: لأحسن^(٣). لأن الكاف فى « كما » شرط، معناه: افعل كما فعلت. ففى مجيء جواب: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾. بعده، وهو قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ أوضح الدليل على أن قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ من صلة الفعل الذى قبله، وأن قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ خبر مبتدأ منقطع عن الأول، وأنه من سبب قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ بمعزول.

وقد زعم بعض النحويين^(٤) أن قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ إذا جعل قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ جوابا له مع قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ نظير الجزاء الذى يُجاب [٥٨١/٤] بجوابين، كقول القائل: إذا أتاك فلان فائمه ترضيه. فيصير قوله: فائمه^(٥) ترضيه جوابين لقوله: إذا أتاك. وكقوله: إن تأتى أحسن إليك أكرمك.

وهذا القول وإن كان مذهبا من المذاهب، فليس بالأشهر^(٦) الأوضح فى كلام العرب، والذى هو أولى بكتاب الله أن يوجه إليه من اللغات الأوضح الأعرف من كلام العرب، دون الأنكر الأجهل من منطقتها. هذا، مع بُعد وجهه من المفهوم فى التأويل.

(١) هو الفراء فى معانى القرآن ٩٢/١.

(٢) أغرق النازع فى القوس: أى استوفى مداها، يضرب مثلا للغلو والإفراط. اللسان (غ ر ق).

(٣) فى م: «للاخر».

(٤) هو من قول الفراء أيضا، ينظر معانى القرآن ٩٢/١.

(٥) بعده فى م: «و».

(٦) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «بالأسهل».

ذَكَرُ مِنْ قَالَ : إِنْ قَوْلُهُ : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ ﴾ جَوَابٌ لِقَوْلِهِ : ﴿ فَأَذْكُرُونِي ﴾ .
 حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْسَى ، قَالَ :
 سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي نَجِيحٍ يَقُولُ فِي قَوْلِ اللَّهِ : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا
 مِنْكُمْ ﴾ : كَمَا فَعَلْتُ فَأَذْكُرُونِي .

حَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو حذيفة ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَبْلٌ ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ،
 عَنْ مُجَاهِدٍ مِثْلَهُ ^(١) .

^(٢) وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ
 الْعَرَبَ ، قَالَ لَهُمْ : الزَّمُوا أَيُّهَا الْعَرَبُ طَاعَتِي ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي أَمَرْتُكُمْ
 بِالتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا ، لِتَنْقَطِعَ حُجَّةُ الْيَهُودِ عَنْكُمْ ، فَلَا تَكُونُ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حُجَّةً ، وَلَا تُنَمُّ
 نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَتَهْتَدُوا ، كَمَا ابْتَدَأْتُكُمْ بِنِعْمَتِي ، فَأَرْسَلْتُ فِيكُمْ رَسُولًا إِلَيْكُمْ مِنْكُمْ .
 وَذَلِكَ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ .

كَمَا حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ
 أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا
 ﷺ ^(٣) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا ﴾ فَإِنَّهُ يَعْنِي آيَاتِ الْقُرْآنِ . وَقَوْلُهُ :
 ﴿ وَيُرَكِّبُكُمْ ﴾ وَيَطَهِّرُكُمْ مِنْ / ذَنْسِ الذُّنُوبِ : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ ﴾ وَهُوَ ٣٧/٢

(١) تفسير مجاهد ص ٢١٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٩/١ (١٣٩١) ، وينظر تفسير البغوي ١/١٦٦ ،
 ١٦٧ . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٤٨ إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، وقد سقط أوله من المطبوع .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٥٩/١ عقب الأثر (١٣٩٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

القرآن^(١)، يعنى أنه يعلمهم أحكامه. ويعنى بالحكمة الشنن والفقة فى الدين، وقد بينا جميع ذلك فيما مضى قبل بشواهد^(٢).

وأما قوله: ﴿وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ فإنه يعنى: ويعلمكم من أخبار الأنبياء، وقصص الأمم الخالية، والخبر عما هو حادث وكائن من الأمور التى لم تكن العرب تعلمها. فعلمهموها^(٣) رسول الله ﷺ. فأخبرهم الله أن ذلك كله إنما يُدرِّكونه برسول الله ﷺ.

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

[٨١/٤] يعنى بذلك: فاذكرونى أيها المؤمنون بطاعتكم إيتى فيما أمركم به وفيما أنهاكم عنه، أذكركم برحمتى إيتاكم ومغفرتى لكم.

كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبيرة فى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال: اذكرونى بطاعتي، أذكركم بمغفرتى^(٤).

وقد كان بعضهم يتأول ذلك أنه من الذكر بالثناء والمدح.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: حدثنا إسحاق، قال: حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن

(١) فى م: «الفرقان».

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٥٧٥.

(٣) فى م: «فعلموها من».

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٠/١ (١٣٩٨) من طريق ابن لهيعة به. وأخرجه ٢٦١/١ (١٣٩٩) من طريق ابن لهيعة به، بلفظ: أذكركم برحمتى. وعزه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ١٤٨/١ إلى عبد بن حميد. وينظر تفسير البغوى ١/١٦٧.

الربيع في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ إن الله ذا كثر من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من كفره^(١).

حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن الشدي: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ قال: ليس من عبد يذكر الله إلا ذكره الله، لا يذكره مؤمن إلا ذكره برحمته، ولا يذكره كافر إلا ذكره بعذاب^(٢).

القول في تأويل قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾.

يعنى: اشكروا لي أيها المؤمنون فيما أنعمت عليكم به من الإسلام، والهداية للدين الذي شرعته لأنبيائي وأصفياي، ﴿وَلَا تَكْفُرُون﴾. يقول: ولا تجحدوا إحساني إليكم، فأشلبكم نعمتي التي أنعمت عليكم، ولكن اشكروا لي عليها، فأزيدكم، وأتمم نعمتي عليكم، وأهديكم لما هديت له من رضى عنه من عبادي، فأني وعدت خلقي أن من شكر لي زدته، ومن كفرني حرمته وسلبته ما أعطيته. والعرب تقول: ^(٣)شكرت لك صنيعتك. ولا تكاؤ تقول: شكرتك. وكذلك تقول: نصحت لك^(٤). ولا تكاؤ تقول: نصحتك. وربما قالت: شكرتك ونصحتك. من ذلك قول الشاعر^(٥):

هم جمعوا يؤسى ونعمى عليكم فهلا شكرت القوم إذ^(٥) لم تُقاتل

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٦٠، ٢٦١ عقب الأثر (١٣٩٦، ١٤٠٣) من طريق ابن أبي جعفر به، نحوه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٢٦٠ عقب الأثر (١٣٩٦، ١٣٩٧) عن أبي زرعة، عن عمرو بن حماد به، نحوه.

(٣ - ٣) في م: «نصحت لك وشكرت لك».

(٤) نسبة أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٤٤٧ إلى عمرو بن لجأ النمسي، وذكره الفراء في معاني القرآن ١/ ٩٢ ولم ينسبه.

(٥) نى م: «إن».

وقال النابغة في: نصحتك^(١):

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي^(٢) ولم تنجح لديهم وسائلي
/ وقد دللنا على أن معنى الشكر الثناء على الرجل بأفعاله المحمودة، وأن معنى
الكفر تغطية الشيء، فيما مضى قبل، فأغنى ذلك عن إعادته^(٣).

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا [٨٢/٤] اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

وهذه الآية حُضَّ من الله على طاعته، واحتمال مَكْرُوها على الأبدان
والأموال، فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على القيام بطاعتي، وأداء
فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عما أنسخه منها إلى الذي أخذته لكم من
فرائضي، وأنقلكم^(٤) إليه من أحكامي، والتسليم لأمرى فيما أمركم به في حين
إلزامكم حكمه، والتحوّل عنه بعد تحويلي إياكم عنه - وإن لحقكم في ذلك مكروه
من مقالة أعدائكم من الكفار^(٥) تحذّل منهم لكم بالباطل^(٦)، أو مشقة على أبدانكم
في قيامكم به، أو نقص في أموالكم - وعلى جهاد أعدائكم وحرّيمهم في سبيلي،
بالصبر منكم لي على مكروه ذلك، ومشقته عليكم، واحتمال عبّته^(٦)

(١) ديوان النابغة صفحة ٦٧.

(٢) في ديوان النابغة تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم صفحة ١٤٣: «وصاتي». والرسول: الرسالة،
يؤنث ويذكر. اللسان (ر س ل).

(٣) ينظر ما تقدم في معنى الشكر في ١٣٥/١ - ١٣٨، وفي معنى الكفر ما تقدم في ٢٦٢/١.

(٤) في حاشية الأصل: «في الأم وأنقله».

(٥ - ٥) في م: «بقذفهم لكم الباطل»، وفي ت ١: «يحد لهم منهم لهم الباطل»، وفي ت ٢: «لخذلهم
منهم لكم بالباطل»، وفي ت ٣: «بخذلهم منهم لكم بالباطل». وتحذّل أى: ظلم. ينظر التاج (ح د ل).

(٦) في م: «عنايه».

وَتَقْلِهِ، ^(١) وبالغزاءِ منكم عَمَّن قُتِلَ فِي سَبِيلِي، ثم بالفزَعِ منكم فيما ينوبكم من مُفْظِعَاتِ الْأُمُورِ إِلَى الصَّلَاةِ لِي، فَإِنَّكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ تُذَكَّرُونَ مَرْضَاتِي، وَبِالصَّلَاةِ لِي تَسْتَنْجِحُونَ طَلِبَاتِكُمْ قَبْلِي، وَتُذَكَّرُونَ حَاجَاتِكُمْ عِنْدِي، فَإِنِّي مَعَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِي وَتَرْكِ مَعَاصِيي، أَنْصُرُهُمْ وَأَرْعَاهُمْ وَأَكْلُوهُمْ حَتَّى يَظْفَرُوا بِمَا طَلَبُوا وَأَمَلُوا مِن قَبْلِي، وَقَدْ بَيَّنَّتُ مَعْنَى الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ فِيمَا مَضَى قَبْلُ فَكْرَهْنَا إِعَادَتَهُ ^(٢).

كما حَدَّثَنِي الْمُشَنَّى، قَالَ: ثَنَا آدَمُ، قَالَ: ثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾. يَقُولُ: اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهِنَّ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ^(٣).

حَدَّثْتُ عَنْ عِمَارِ بْنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ الرَّبِيعِ، قَوْلُهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ اعْلَمُوا أَنَّهِنَّ عَوْنٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فَإِنَّ تَأْوِيلَهُ أَنْ اللَّهَ نَاصِرُهُ وَظَهِيرُهُ، وَرَاضٍ بِفِعْلِهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِآخَرَ: «افْعَلْ يَا فُلَانُ كَذَا وَأَنَا مَعَكَ». يَعْنِي: إِنِّي نَاصِرُكَ عَلَى فِعْلِكَ ذَلِكَ وَمَعِينُكَ عَلَيْهِ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَّا تَشْعُرُونَ﴾ ^(١٥٤).

يعنى بذلك: يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر على طاعتي في جهاد

(١ - ١) سقط من: م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣.

(٢) ينظر ما تقدم في ٢٤٨/١، ٦١٧، ٦١٨.

(٣) تقدم في ٦٢٠/١، ٦٢١.

عدوكم ، وترك معاصي ، وأداء سائر فرائض عليكم ، ولا تقولوا لمن يقتل منكم في سبيلي : هو ميت . فإن آية من خلقى هو من سلبته حياته وأعدمته حواسه ، فلا يَلْتَذُّ لَذَّةً ولا يُدْرِكُ [٨٢/٤] نعيمًا ، وإنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ ومن سائر خلقى في سبيلى أحياءٌ عندي في حَبْرَةٍ^(١) ونعيم ، وعيش هنئ ، ورزق سنئ ، فرحين بما آتاهم من فضلي وحبوتهم به من كرامتي .

/ كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن ٣٩/٢
أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .
قال : يُرْزَقُونَ^(٢) من ثمر الجنة ، ويجدون ريحها وليسوا فيها^(٣) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ،^(٤) كنا نُحَدِّثُ^(٥) أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض^(٦) يأكلن من ثمار الجنة ، وأن مساكنهم السُدرة^(٧) ، وأن للمجاهد في سبيل الله ثلاث خصال^(٧) : مَنْ قُتِلَ فِي

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « حياة » .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢١٧ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨١٣/٢ (٤٤٩٥) . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/ ١٥٥ ، ٩٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) (٤ - ٤) في م : « كما يحدث » .

(٥) في الأصل : « خضر » .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « سدره المنتهى » .

(٧) في م : « خصال من خير » .

سَبِيلِ اللَّهِ مِنْهُمْ صَارَ حَيًّا مَرْزُوقًا ، وَمَنْ غَلَبَ آتَاهُ اللَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا ، وَمَنْ مَاتَ رِزْقَهُ
اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا^(١) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ
قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ . قَالَ :
أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ فِي صُورِ طَيْرٍ بَيْضٍ^(٢) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا إِسْحَاقُ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ
فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾ .^(٤) قَالَ : أَحْيَاءٌ^(٤)
فِي صُورِ طَيْرٍ خَضِرٍ يَطِيرُونَ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءُوا مِنْهَا ، يَأْكُلُونَ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا^(٥) .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ،^(٦) قَالَ : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ^(٦) ، قَالَ : ثنا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، قَالَ : ثنا
عِثْمَانُ بْنُ غِيَاثٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِكْرَمَةَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ . قَالَ : أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ
بَيْضٍ^(٧) فِي الْجَنَّةِ^(٨) .

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ : وَمَا فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٥٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) في الأصل : « صدور » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/٦٣ ، وأخرجه كذلك في مصنفه (٩٥٥٣ ، ٩٥٥٨) ، وينظر الدر المنثور ١/١٥٥ .

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) سيأتي نحوه عن الربيع في ٦/٢٣١ ، ٢٣٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٦٣ (١٤١٢) ،

والبيهقي في الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبي جعفر عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٦ - ٦) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٧) في م : « خضر » .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/٣٣٧ من طريق عثمان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٥٥ إلى

أَمَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ ﴿١﴾ مِنْ خِصْصِيَّةِ الْخَبْرِ عَنِ الْمَقْتُولِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يُعَمَّ بِهِ غَيْرُهُ ،
 وَقَدْ عَلِمَتْ تَظَاهِرُ الْأَخْبَارِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ وَصَفَ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بَعْدَ
 وَفَاتِهِمْ ، فَأَخْبَرَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ تُفْتَحُ لَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ أَبْوَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ يَتَنَسَّمُونَ ^(١)
 مِنْهَا رَوْحَهَا ، وَيَسْتَعْجِلُونَ اللَّهَ قِيَامَ السَّاعَةِ ؛ لِتَصِيرُوا إِلَى مَسَاكِنِهِمْ مِنْهَا ، وَيُجْمَعُ
 بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِيهَا ، وَعَنِ الْكَافِرِينَ أَنَّهُ ^(٢) تُفْتَحُ لَهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ أَبْوَابٌ
 إِلَى النَّارِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا وَيُصِيبُهُمْ مِنْ نَتْنِهَا وَمَكْرُوهِهَا ، وَيُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ فِيهَا إِلَى قِيَامِ
 السَّاعَةِ مَنْ يَقْمَعُهُمْ فِيهَا ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ فِيهَا تَأْخِيرَ قِيَامِ السَّاعَةِ ؛ حَذَارًا مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى
 مَا [٤/١٨٣] أُعِدَّ لَهُمْ فِيهَا ، مِنْ ^(٣) أَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْبَارِ ^(٤) . فَإِذَا كَانَتْ الْأَخْبَارُ
 بِذَلِكَ مُتَظَاهِرَةً عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَا الَّذِي خُصَّ بِهِ الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّا لَمْ يُعَمَّ
 بِهِ سَائِرُ الْبَشَرِ غَيْرُهُ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَسَائِرُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ غَيْرُهُ أَحْيَاءٌ فِي الْبَرْزَخِ ؛ أَمَا
 الْكَافِرُ فَمَعْدَّبُونَ فِيهِ بِالْمَعِيشَةِ الضَّنْكِ ، وَأَمَا الْمُؤْمِنُونَ فَمُنْعَمُونَ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ
 وَنَسِيمِ الْجِنَانِ ؟

قيل : إِنَّ الَّذِي خُصَّ اللَّهُ بِهِ الشَّهَادَةُ فِي ذَلِكَ وَأَفَادَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَبْرِهِ عَنْهُمْ جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ ، لِإِعْلَامِهِ إِلَيْهِمْ أَنَّ مَآكِلَ الْجَنَّةِ وَمَطَاعِمَهَا فِي بَرْزَخِهِمْ قَبْلَ
 بَعْثِهِمْ ، وَمُنْعَمُونَ بِالَّذِي يُنْعَمُ بِهِ دَاخِلُوهَا بَعْدَ الْبَعْثِ / مِنْ سَائِرِ الْبَشَرِ مِنْ لَدَيْهِ ٤٠/٢
 مَطَاعِمَهَا ، ^(٥) الَّتِي لَمْ يُعْطِهَا ^(٥) اللَّهُ أَحَدًا غَيْرَهُمْ فِي بَرْزَخِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ ^(٦) ، فَذَلِكَ هُوَ

= المصنف وابن أبي شيبة في المصنف . وعثمان بن غياث ، كان يحيى بن سعيد يضعف حديثه عن عكرمة في التفسير .

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ : « يشمون » .

(٢) في م : « أنهم » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مع » .

(٤) ينظر مسند الطيالسي (٧٨٩) .

(٥ - ٥) في م ، ت ٣ : « الذي لم يطعمها » ، وفي ت ١ ، ت ٢ : « التي لم يعطها » .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعته » .

الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم ، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم ، فقال جلَّ وعزَّ لنبيه محمدٍ ﷺ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿ [آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠] .

وبمثل ذلك جاء الخبر عن رسول الله ﷺ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبدُ الرحيم بنُ سليمانَ وعَبْدَةُ بنُ سليمانَ ، عن محمد بن إسحاق ، عن الحارث بن فضيل ، عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الشَّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ ^(١) ؛ نَهْرٍ بِيَابِ الْجَنَّةِ ، فِي قُبَّةِ خَضْرَاءَ - وَقَالَ عَبْدَةُ : فِي رَوْضَةِ خَضْرَاءَ - يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا » ^(٢) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بنُ نوح ، عن الإفريقي ، عن ابن يسار ^(٣) السُّلَمِيِّ ، أو أبي يسار ^(٣) - الطبريُّ يشكُّ - قال : أرواحُ الشهداءِ فِي قِيَابِ بَيْضٍ مِنْ قِيَابِ الْجَنَّةِ ، فِي كُلِّ قُبَّةٍ زَوْجَتَانِ ، رِزْقُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ ثَوْرًا وَحَوْتًا ؛ فَأَمَّا الثَّوْرُ فَفِيهِ طَعْمٌ كُلُّ ثَمْرَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الْحَوْتُ فَفِيهِ طَعْمٌ كُلُّ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ ^(٤) .

فإن قال قائلٌ : فإن الخبرَ عمَّا ذكرتَ أن الله أفاد المؤمنين بخبره عن الشهداء من التَّعْمَةِ التي خصَّهم بها في البرزخ ، غير موجودٍ في قوله : ﴿ وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ ﴾ وإنما فيه الخبرُ عن حالهم ؛ أمواتٌ هم أم أحياء .

(١) بعده في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « على » .

(٢) سيأتي تخريجه في ٦ / ٢٣٠ .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يشار » .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٩٦/٢ إلى المصنف .

قيل: إن المقصود بذكر الخير عن حياتهم إنما هو الخير عمّا هم فيه مِنَ النِّعْمَةِ ،
ولكنّه جلّ ذكره لما كان قد أنبأ عباده عمّا قد خصّ به الشهداء - في قوله: ﴿ وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .
وعلموا حالهم بخبره ذلك ، ثم كان المراد من الله في قوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ ﴾ نهى خلقه عن أن يقولوا للشهداء: إنهم مؤتّى - ترك
إعادة ذكر ما قد بين لهم من خبرهم .

وأما قوله: ﴿ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فإنه يعنى به: ولكنكم لا ترونهم ،
فتعلموا أنّهم أحياء ، وإنما [٨٣/٤] تعلمون ذلك بخبري إياكم به .

وإنما رفع قوله: ﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ بإضمار مكنى من ^(١) أسماء: « من يقتل في سبيل
الله » .

ومعنى ذلك: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله: هم أموات . ولا يجوز
النصب في « الأموات » ؛ لأنّ « القول » لا يعمل فيهم ، وكذلك قوله: ﴿ بَلْ
أحيَاءٌ ﴾ رفع بمعنى ^(٢) بل هم أحياء .

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿ وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِشْرَافًا مِنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقِصٍ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالسَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ .

وهذا إخبار من الله أتباع رسوله محمد ، أنه مُبْتَلِيهِمْ فممتحنهم بشدائد من ٤١/٢
الأمور ؛ ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، كما ابتلاهم فامتحنهم
بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، وكما امتحن أضيافه قبلهم ، ووعدهم

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عن » .

(٢ - ٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أنهم » .

ذلك في آية أخرى فقال لهم : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابنُ عباسٍ وغيره يقولُ .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا عبدُ الله ، قال : حدثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قوله : ﴿ وَلَنْبَلُوَكُمْ بَشِيءٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ ونحوِ هذا . قال : أخبر الله سبحانه المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاءٍ ، وأنه مُبتليهم فيها ، وأمرهم بالصبرِ وبشْرهم ، فقال : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ . ثم أخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصِفْوته ؛ لِطَيْبِ أنفسهم ، فقال : ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ ^(١) .

فمعنى قوله : ﴿ وَلَنْبَلُوَكُمْ ﴾ : وَلتختبرنكم ، وقد أتينا على البيانِ عن أن معنى الابتلاءِ الاختبارُ ، فيما مضى قبلُ ^(٢) .

وقوله : ﴿ بَشِيءٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ ، يعنى : من الخوفِ مِنَ العدوِّ ، وبالْجوعِ ، وهو القَحْطُ ، يقولُ : لَتختبرنكم بشيءٍ من خوفِ ينالكم من عدوِّكم ، وبسنةٍ تُصيبكم ، ينالكم فيها مجاعةٌ وشدةٌ وتَعْدُرُ المطالبِ عليكم ، فتتقُصُ لذلك أموالكم ، وحروبٍ تكونُ بينكم ، وبين أعدائكم من الكفارِ ، فينقُصُ لها عددُكم ، وموتِ ذراريكم وأولادكم ، ومجدوبٍ تحدثُ ، فتتقُصُ لها ثماركم ، كلُّ ذلك امتحانٌ مني لكم ، واختبارٌ مني لكم ؛ لِيَبَيِّنَ صادقوكم في إيمانهم من كاذبيكم فيه ، ويُعرفَ أهلُ البصائرِ في دينه ^(٣) منكم من أهلِ النفاقِ فيه ، والشكِّ والارتيابِ ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٦٣ ، ٢٦٤ (١٤١٦ ، ١٤١٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢) ينظر ما مضى في ١/٦٥٣ ، ٦٥٤ .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « دينهم » .

كُلُّ ذَلِكَ خَطَابٌ مِنْهُ لِاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ .

كما حدثني هارونُ بنُ إدريسَ الأصمِّ الكوفيِّ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ محمدِ المحاربيِّ ، عن عبدِ الملكِ ، عن عطاءٍ في قوله : ﴿ وَتَبْلُؤُنَّكُمْ بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ . قال : هم أصحابُ محمدٍ ﷺ ^(١) .

وإنما قال جلُّ ثناؤه : ﴿ بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ﴾ ، ولم يُقَلِّ : بأشياء ؛ لاختلافِ أنواعِ ما أعلمُ عباده [٨٤/٤] أنه مُمتحنُهُم به ، فلما كان ذلك مختلفًا - وكانت « من » تدلُّ على أن مع كلِّ نوعٍ منها مُضْمَرًا « شَيْءٌ » ، وأن معنى ذلك : وَتَبْلُؤُنَّكُمْ بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ، وبشْيءٍ مِنَ الْجُوعِ ، وبشْيءٍ مِنْ نَقْصِ الْأَمْوَالِ - اِكْتَفَى بِدَلَالَةِ ذِكْرِ « الشَّيْءِ » فِي أَوَّلِهِ مِنْ إِعَادَتِهِ مَعَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا . افْعَلْ جَلُّ ثَنَاؤُهُ كُلَّ ذَلِكَ بِهِمْ ، فَامْتَحَنَهُمْ بِضُرُوبِ الْجِحَنِ .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قوله : ﴿ وَتَبْلُؤُنَّكُمْ بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ ﴾ . قال : قد كان ذلك ، وسيكونُ ما هو أشدُّ مِنْ ذَلِكَ ، قال اللهُ عند ذلك : ﴿ وَيَسِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ^(٢) .

ثم قال جلُّ ثناؤه لنبيه محمدٍ : وَبَشِّرْ ، يا محمدُ ، الصابرين على امتحاني بما أمتحنُهُم ^(٣) به ، والحافظين أنفسهم عن التقدُّم على نهْيي عما أنهاهم عنه ، والآخذين

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٣/١ (١٤١٤، ١٤١٥) ، من طريق عبد الملك به .

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « امتحنتهم » .

أَنْفُسَهُمْ بِأَدَاءِ مَا أَكَلَفْتَهُمْ مِنْ فَرَائِضِي مَعَ ابْتِلَائِي إِيَّاهُمْ بِمَا أُبْتَلِيهِمْ^(١) بِهِ ، الْقَائِلِينَ إِذَا
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ : نَحْنُ^(٢) لِلَّهِ وَنَحْنُ^(٣) إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يَخْصَّ
بِالْبَشَارَةِ عَلَى مَا يُمْتَحِنُهُمْ بِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ ، أَهْلَ الصَّبْرِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ .

وَأَصْلُ « التَّبَشِيرِ » : إِخْبَارُ الرَّجُلِ الرَّجُلَ الْخَبِيرَ يَسُرُّهُ أَوْ يَسُوؤُهُ لَمْ يَسْبِقْهُ بِهِ إِلَيْهِ غَيْرُهُ .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ۞ .

يعنى بذلك : وَبَشِّرْ ، يَا مُحَمَّدُ ،^(٣) مِنَ الصَّابِرِينَ^(٣) ، الصَّابِرِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ
أَنْ جَمِيعَ مَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمَنِي ، فَيُقِرُّونَ بِعِبَادَتِي^(٤) ، وَيُوْحِدُونَنِي بِالرُّبُوبِيَّةِ ،
وَيَصَدِّقُونَ بِالْمَعَادِ وَالرَّجُوعِ إِلَيَّ ، فَيَسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِي ، وَيَرْجُونَ ثَوَابِي ، وَيَخَافُونَ
عِقَابِي ، وَيَقُولُونَ - عِنْدَ امْتِحَانِي إِيَّاهُمْ بَعْضِ مَحْنِي ، وَابْتِلَائِي إِيَّاهُمْ بِمَا وَعَدْتُهُمْ
أَنْ أُبْتَلِيَهُمْ بِهِ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْثَمَرَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَنَا مُتَمَتِّحُنُهُمْ بِهَا - : إِنَّا مَمْلُوكٌ رَبَّنَا وَمَعْبُودُنَا أَحْيَاءُ وَنَحْنُ عِبِيدُهُ ،
وَإِنَّا إِلَيْهِ بَعْدَ مَمَاتِنَا صَائِرُونَ . تَسْلِيمًا لِقَضَائِي وَرِضًا بِأَحْكَامِي .

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ .

[٤/٤٨٤ظ] يعنى بقوله : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ : هُوَ لِأَنَّ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ وَنَعْتَهُمْ .

﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ يعنى : لَهُمْ ﴿ صَلَوَاتٌ ﴾ يعنى : مَغْفِرَةٌ . وَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ :

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « ابتليتهم » .

(٢) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إنا » .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عبوديتي » .

غُفْرَانُهُ^(١) ، كالذى رُوِيَ عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أبى أَوْفَى »^(٢) .
يعنى : اغفرْ لهم .

وقد بيّنا الصلاةَ وما أصلها فى غيرِ هذا الموضعِ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ ، يعنى : ولهم مع المغفرة التى^(٤) صَفَحَ عن ذنوبهم وتغَمَّدَها ، رحمةٌ من الله لهم ورأفةٌ .

ثم أَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ - مع الذى ذَكَرَ أنه مُعْطِيهم على اصْطِبَارِهِم على مِخْنِهِ تسليماً منهم لقضائِهِ من المغفرةِ والرحمةِ - أنهم هم المهتدون المصيبون طريقَ الحقِّ ، والقائلون ما يُرْضَى عنهم ربُّهم^(٥) ، والفاعلون ما استوجبوا به من الله الجزيلَ مِنَ الثوابِ .

وقد بيّنا معنى الاهتداءِ فيما مضى ، وأنه بمعنى الرُّشْدِ للصوابِ^(٦) .

وبمعنى ما قلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التَّأْوِيلِ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالح ، قال : حدثنى معاويةُ بنُ صالح ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٥٦) أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْكَ هُمْ

(١) بعده فى م : « لعباده » ، وبعده فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عباده » .

(٢) أخرجه البخارى (١٤٩٧) ، ومسلم (١٠٧٨) . وينظر مسند الطيالسى (٨٥٧) .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٢٤٨ .

(٤) بعده فى م : « بها » .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) ينظر ما تقدم فى ١/٢٣٤ .

أَلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ . قال : أخبر الله أنّ المؤمن إذا سلم لأمر الله ، ورجع واسترجع عند المصيبة ، كتب الله^(١) له ثلاث خصال من الخير : الصلاة من الله ، والرحمة ، وتحقيق سبيل الهدى . وقال رسول الله ﷺ : « من استرجع عند المصيبة جبر الله مُصِيبَتَهُ ، وأحسن عُقْبَاهُ ، وجعل له خلفاً صالحاً يَوْضَاهُ »^(٢) .

حدثني الثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ . يقول : الصلوات والرحمة على الذين صبروا واسترجعوا^(٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان العُصْفَرِيِّ ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : ما أعطى أحد ما أعطيت هذه الأمة : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴿ ولو أُعْطِيَهَا أَحَدٌ لَأُعْطِيَهَا يَعْقُوبُ ، ألم تسمع إلى قوله : ﴿ يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾^(٤) [يوسف : ٨٤] .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوََةَ مِنْ سَعَابِرِ اللَّهِ ﴾ .

والصَّفا : جمع صفاة ، وهي الصخرة الملساء ، ومنه قول الطرماح بن حكيم^(٥) :

أبى لى ذو القوى والطول ألا يؤيس^(٦) حافر أبدا صفاتي

(١) ليس فى : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٤/١ (١٤٢١) ، والطبرانى فى الكبير (١٣٠٢٧) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٨٩) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٦/١ (١٤٢٨) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٨٦) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٥/١ (١٤٢٢) ، والبيهقى فى الشعب (٩٦٩١) من طريق سفيان العُصْفَرِيِّ به .

(٥) ديوانه ص ٢٤ . وفيه يؤيس بدلا من يؤيس ، وهما بمعنى . وينظر التاج (أ ب س ، أ ي س) .

(٦) ذو القوى والطول : هو الله تعالى ذكره ، ويؤيس : يذل ويكسر . ينظر التاج (أ ب س) .

وقد قيل: إن الصِّفَا واحدٌ، وأنه يُثْنَى صَفَوَان، ويُجمعُ أَصْفَاءً وَصَفِيًّا وَصِفِيًّا. واستشهدوا [٤/٨٥] على ذلك بقولِ الرَّاجِزِ^(١):

كَأَنَّ مَثْنِيَهُ مِنَ النَّفْيِ^(٢)

مَوَاقِعُ الطَّيْرِ عَلَى الصَّفِيِّ

وقالوا: هو نظيرُ عَصَا وَعُصْبِي وَرَحَا وَرُجِي وَأَرْحَاءُ^(٣).

وأما المَرْوَةُ فإنَّها الحِصَاةُ الصَّغِيرَةُ يُجْمَعُ قَلِيلُهَا؛ مَرَوَاتٌ، وكثيرُها؛ المَرْوُ مثلُ تَمْرَةٍ وَتَمْرَاتٍ وَتَمْرٍ. كما قال الأعشى ميمونُ بنُ قَيْسٍ^(٤):

«تَوَلَّى الْأَرْضَ^(٥) خُفًّا زَائِلًا^(٦) فَإِذَا مَا صَادَفَ الْمَرْوَ رَضَّحَ^(٧)

يعنى بالمَرْوِ: الحِصَى^(٨) الصَّغَارَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبٍ الْهُذَلِيِّ^(٩):

/حتى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بَصَفَا الْمَشْرِقِ^(١٠) كُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ ٤٤/٢

«يُقَالُ: الْمَشْقَرُ^(١١). وَإِنَّمَا عَنَى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الصَّفَا

(١) هو الأخييل الطائي. كما في اللسان (ن ف ي، ه ي ص، ه ي ض). وينظر أمالي القالي ٨/٢.

(٢) في الأصل، ت ١، ت ٣، وفي ت ٢: «التقى» والنفي: ما وقع عن الرشاء من الماء على ظهر المُسْتَقِي. وقيل: هو تطاير الماء عن الرشاء عند الاستقاء. اللسان (ن ف ي).

(٣) ينظر تفسير الطبري تحقيق الشيخ محمود شاكر ٢/٢٢٥.

(٤) ديوانه ص ٢٤١.

(٥ - ٥) في م: «وترى بالأرض». وفي ت ٢: «وترى الأرض».

(٦) في الأصل: «زابلا»، وفي الديوان: «مجمرا».

(٧) رَضَّحَ الحِصَى وَالتَّوَى يَوْضَحُه رَضَّحًا. كسره ودَقَّه. التاج (ر ض ح).

(٨) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الصخر». وينظر القاموس المحيط (م ر و).

(٩) ديوان الهذليين ٣/١ وشرح أشعار الهذليين ٩/١، واللسان: (ش ر ق).

(١٠) قال الضبي: المشوق المُصَلَّى. قال ابن الأنباري: وإنما خص المشرق؛ لكثرة مرور الناس به. ديوان الفضليات ص ٨٥٧.

(١١ - ١١) سقط من: الأصل. والمشرق: لفظ رواية أبي عبيدة، قال ابن الأنباري: يعني سوق الطائف. =

وَالْمَرْوَةَ ﴿١﴾ . فى هذا الموضع : الجبَلَيْنِ الْمَسْمُومَيْنِ بِهِذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ فى حَرَمِهِ
دُونَ سَائِرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ^(١) ، ولذلك أُدْخِلَ فِيهِمَا الْأَلْفَ وَاللَّامَ ؛ لِتُعْلَمَ عِبَادَةُ أَنَّهُ عَنَى
بِذَلِكَ الْجَبَلَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِهِذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ ، دُونَ سَائِرِ الْأَصْفَاءِ وَالْمَرْوِ .

وأما قوله : ﴿ مِنْ شِعَائِرِ اللَّهِ ﴾ . فإنه يَعْنَى به : مِنْ مَعَالِمِ اللَّهِ الَّتِي جَعَلَهَا جَلًّا
تَنَاوُهُ لِعِبَادِهِ مَعْلَمًا وَمَشْعَرًا يَعْْبُدُونَهُ عِنْدَهَا إِمَّا بِالذُّعَاءِ ، وَإِمَّا بِالذِّكْرِ ^(٢) ، وَإِمَّا بِأَدَائِهِ مَا
فُرِضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَمَلِ عِنْدَهَا ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْكُمَيْتِ ^(٣) بِنِ زَيْدٍ :

نُقْتَلُهُمْ جَيْلًا ^(٤) فَجَيْلًا نَرَاهُمْ ^(٥) شِعَائِرَ قُرْبَانٍ بِهِمْ نَتَقَرَّبُ ^(٦)

وكان مجاهدٌ يقولُ فى الشعائرِ ما حَدَّثَنِى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قال : ثنا أبو
عاصمٍ ، حَدَّثَنَا عَيْسَى ، وَحَدَّثَنِى الْمُثَنَّى ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ ، قال : حَدَّثَنَا
شَيْبَلٌ ، جَمِيعًا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شِعَائِرِ
اللَّهِ ﴾ . قال : مِنَ الْخَيْرِ الَّذِى أَخْبَرَكُمْ عَنْهُ ^(٧) .

فَكَأَنَّ مَجَاهِدًا كَانَ يَرَى أَنَّ الشُّعَائِرَ إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ شَعْبِيرَةٍ مِنْ إِشْعَارِ اللَّهِ عِبَادَةَ أَمْرٌ
الْصَّفَا وَالْمَرْوَةَ ، وَمَا عَلَيْهِمْ فى الطَّوَائِفِ بِهِمَا ، بِمَعْنَى ^(٨) إِعْلَامِهِمْ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ تَأْوِيلٌ
مِنَ الْمَفْهُومِ بَعِيدٌ .

= ينظر المصدر السابق .

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « المرو » .

(٢) فى الأصل : « الصلاة » . وفى ت ، ٣ : « بالفكرة » .

(٣) البيت فى اللسان ، والتاج (ش ع ر) .

(٤) فى م : « جبيلا » .

(٥) فى م ، واللسان ، والتاج : « تراهم » . وينظر تفسير الطبرى للشيخ محمود شاکر ٢٢٦/٢ حاشية (٣) .

(٦) فى م ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يتقرب » .

(٧) تفسير مجاهد ص ٢١٧ ، بزيادة ستأتى فى ص ٧١٦ ، ٧٢٣ ، ٧٢٨ .

(٨) فى م : « فمعناه » .

وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ .
 عبادة المؤمنين أن السعى بينهما من مشاعر الحج التي سنّها لهم ، وأمر بها خليله
 إبراهيم ﷺ ، إذ سأله أن يُريه مناسك الحج ، وذلك وإن كان مخرجه مخرج الخبر ،
 فإنه مراد به الأمر ؛ لأن الله تعالى ذكره قد أمر نبيه محمداً ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه
 السلام ، فقال له : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]
 وجعل تعالى ذكره إبراهيم إماماً لمن بعده ، فإذا كان صحيحاً أن الطواف والسعى بين
 الصفا والمروة من شعائر الله ومن مناسك الحج ، فمعلوم أن إبراهيم ﷺ ، قد عمل
 به ، وسنّه لمن بعده ، وقد أمر نبينا ﷺ وأُمَّتُه باتباعه ، فعليهم العمل بذلك على ما بيّنه
 رسول الله ﷺ [٨٥/٤] .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ .

يعنى تعالى ذكره: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ فمن أتاه عائداً إليه بعد بدءه ،
 وكذلك كل من أكثر الاختلاف إلى شىء فهو حاج إليه ، ومنه قول الشاعر^(١) :
 وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولًا كَثِيرَةً يَحْجُونَ بَيْتَ الزُّبَيْرِ قَانِ^(٢) الْمُرْغَفَرَا^(٣)
 /يعنى بقوله يَحْجُونَ : يُكثِرُونَ التردد إليه لسؤدده ورياسته ، وإنما قيل ٤٥/٢
 للحاج : حاج . لأنه يأتي البيت قبل التعريف^(٤) ، ثم يعود إليه للطواف^(٥) يوم النحر

(١) هو المخيل السعدى ، والبيت فى البيان والتبين ٩٧/٣ ، وفى التاج (س ب ب) . واللسان (س ب ب) ، ح ج ج ، ز ب ر ق .

(٢) كذا فى النسخ ، وفى مصادر التخرىج : «سب» والسب : هو العمامة كما ذهب إليه الجاحظ وواقفه الطبرى ، وذهب غيرهم إلى أن السب هنا هى الالست . ينظر تعليق الشيخ شاکر ٢٢٨/٣ .

(٣) الزبيرقان : هو حصين بن بدر الفزارى من سادات العرب . المصدر السابق (س ب ب) .

(٤) التعريف : الوقوف بعرفات . اللسان (ع ر ف) .

(٥) فى م ، ت ٣ : «لطواف» وفى ت ٢ : «مرة بعد أخرى لطواف» .

بعد التعريف ، ثم يَنْصَرِفُ عنه إلى مِنَى ، ثم يعودُ إليه لِطَوَافِ الصَّدْرِ^(١) ، فَلِتَكَرَّارِهِ العَوْدِ إليه مرَّةً بعدَ أُخرى قيل له : حاجٌّ . وأما المعتمرُ فإنما قيلَ له : مُعْتَمِرٌ . لأنه إذا طاف به انصَرَفَ عنه بعدَ زيارته إِيَّاه ، وأما قوله : ﴿ أَوْ اعْتَمَرَ ﴾ فإنه يعنى : أو اعتمرَ البيتَ ، ويعنى بالاعتمارِ الزيارةَ ، فكلُّ قاصِدٍ لشيءٍ فهو له مُعْتَمِرٌ ، ومنه قولُ العَجَّاجِ^(٢) :

لَقَدْ سَمَا ابْنُ مَعْمَرٍ حِينَ اعْتَمَرَ

مَعْرَى بَعِيدًا مِنْ بَعِيدٍ وَضَبْرٌ^(٣)

يعنى بقوله حين اعتمر : حين قصده وأمه .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

يعنى تعالى ذكَّره بقوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . يقولُ : فلا حرجَ عليه ولا مأثمَ فى طوافه بهما .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ هذا الكلامِ ، وقد قلتُ لنا : إنَّ قوله : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ وإن كان ظاهره ظاهر الخبرِ ، فإنه فى معنى الأمرِ بالطوافِ بهما^(٤) ؟ فكيف يكونُ أمرًا بالطوافِ ، ثم يقالُ : لا جناحَ على من حجَّ البيتَ أو اعتمرَ فى الطوافِ بهما . وإنما يُوضَعُ الجناحُ عمن أتى ما عليه بإتيانه الجناحَ والحرجَ ،

(١) طواف الصدر : هو طواف الوداع . وسمى بذلك ؛ لأن الناس يصدرون عن مكة بهذا الطواف إلى أماكنهم بعد قضاء نسكهم . ينظر تاج العروس (ص د ر) .

(٢) ديوانه ص ٥٠ .

(٣) قال الأصمعى : إذا وثب الفرس فوق مجموعة يدها ، فذلك الضَّبْرُ . التاج (ض ب ر) .

(٤) فى الأصل : « بينهما » .

فالأمرُ بالطوافِ بهما ، والترخيصُ في الطوافِ بهما غيرُ جائزٍ اجتماعهما في حالٍ واحدةٍ؟! قيلَ : إنَّ ذلكَ بخلافِ ما إليه ذهبَ^(١) ، وإنما معنَى ذلكَ عندَ أقوامٍ أنَ النبيَّ ﷺ لما اعتَمَرَ عُمرةَ القُضِيَّةِ تَحَوَّبَ^(٢) أقوامٌ كانوا يَطُوفونَ بهما في الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ لَصَنَمَيْنِ كانا عليهما ؛ تعظيمًا منهم لهما فقالوا : وكيف نطوفُ بهما ، وقد عَلِمْنَا أنَ تعظيمَ الأصنامِ وجميعِ ما كانَ من ذلكَ يُعبدُ من دونِ اللهِ باللهِ شِرْكَ ،^(٣) وطوافنا^(٤) بهذينِ الحَجْرَيْنِ أحدُ ذلكَ ؛ لأنَ الطوافَ بهما في الجاهليةِ إنما كانَ للصنمينِ اللذينِ كانا عليهما ، وقد جاءَ اللهُ اليومَ بالإسلامِ ولا سبيلَ إلى تعظيمِ شيءٍ معَ اللهِ بمعنى العبادةِ له؟! فَأنزَلَ اللهُ تعالى ذِكْرَهُ في ذلكَ مِنْ أمرِهِمْ : [٤/٨٦] ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﷻ ﴾ يعنى : إنَّ الطوافَ بهما . فتركَ ذِكْرَ الطوافِ بهما اكتفاءً بذِكْرِهِما منه ، إذْ كانَ معلومًا عندَ المخاطِبِينَ به أنَ معناهُ : من معالمِ اللهِ التي جعلها عَلَمًا لعبادِهِ يُعبدونَهُ عندهما بالطوافِ بينهما ويذكرونَهُ عليهما وعندهما ، بما هوَ له أهلٌ من الذِّكْرِ ، فَمَنْ حجَّ البيتَ أوَ اعتمرَ فلا^(٥) يَتَحَوَّبَنَّ مِنْ^(٦) الطوافِ بهما ، مِنْ أَجْلِ ما كانَ أهلُ الجاهليةِ يَطُوفُونَ بهما ، مِنْ أَجْلِ الصنَمَيْنِ اللّذينِ كانا عليهما ، فإنَّ أهلَ الشِرْكِ كانوا يَطُوفُونَ بهما كُفْرًا ، وأنتمَ تَطُوفُونَ بهما إيمانًا بى^(٥) وتصديقًا لرسولِى ، وطاعةً لأمرِى ، فلا جُنَاحَ عليكم في الطوافِ بهما .

والجُنَاحُ : الإثمُ . كما حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ذهب » .

(٢) فى م : « تحوَّب » ، والتَّحَوَّبُ : التَّحَوُّجُ والتَّأْتِمُ . وينظرُ اللسانَ (ح و ب) .

(٣ - ٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ٣ : « ففى طوافنا » . وفى ت ٢ : « بطوافين فى صلواتنا » .

(٤ - ٤) فى م : « يتخوفن » .

(٥) سقط من م ، ت ، ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

الشُدِّي: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ . يقول: ليس عليه إثم ولكن له أجرٌ .

وبمثل الذي قلنا في ذلك تظاهرت الرواية عن السلف من الصحابة والتابعين .

/ ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الَّتِي رُوِيَ بِذَلِكَ

٤٦/٢

حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا داود، عن الشعبي، أن وثنا كان في الجاهلية على الصفا يُسمى إساقا، ووثنا على المروة يُسمى نائلة، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنيين؛ فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان، قال المسلمون: إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنيين، وليس الطواف بهما من الشعائر. قال: فأنزل الله أنهما من الشعائر: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^(١).

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، نحوه، وزاد فيه، قال: فجعله الله تطوع خير.

حدثنا ابن المنني، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر، قال: كان صنم بالصفا يدعى إساقا، ووثن بالمروة يدعى نائلة. ثم ذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب، وزاد فيه، قال: فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه مذكرا، وأنت المروة من أجل الوثن الذي كان عليه مؤنثا.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، قال: أخبرني عاصم الأحول، قال:

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٣٤ - تفسير) من طريق داود بن أبي هند به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وعزاه الحافظ في الفتح ٣/٥٠٠ إلى الفاكهي وإسماعيل القاضي في الأحكام بإسناد صحيح عن الشعبي .

قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ : أكنتم تكرهون الطوافَ بينَ الصَّفَا والمروةِ حتى نزلتْ هذه الآيةُ ؟ فقال : نعم كُنَّا نكرهُ الطوافَ بينهما ؛ لأنهما مِن شعائرِ الجاهليةِ حتى نزلتْ هذه الآيةُ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾^(١) .

حدثني عليُّ بنُ سهلِ الرَّمْلِيُّ ، قال : ثنا مُؤَمَّلُ بنُ إِسْمَاعِيلَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عاصمٍ ، قال : سألتُ أنسًا عن الصَّفَا والمروةِ ، فقال : كانتا من مشاعرِ أهلِ الجاهليةِ ، فلما كان الإسلامُ أمسكوا عنهما ، فنزلتْ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾^(٢) .

حدثني عبدُ الوارثِ بنُ عبدِ الصمديِّ بنِ عبدِ الوارثِ^(٣) قال : حدثني أبي^(٣) ، قال : حدثني الحسينُ^(٤) المعلمُ ، قال : ثنا شيبانُ^(٥) أبو معاويةَ ، عن جابرِ الجعفيِّ ، عن عمرو بنِ حُبشِيٍّ ، قال : قلتُ لابنِ عمرَ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ [٨٦/٤] أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال : انطلقْ إلى ابنِ عباسٍ فاسأله ، فإنه أعلمُ من بقي بما أنزلَ على محمدٍ ﷺ ، فأتيته فسألته ، فقال : إنه كان عندهما أضنامٌ^(٦) ، فلما حُرِّمَ من أمسكوا عن الطوافِ بينهما حتى أنزلتْ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾^(٧) .

(١) أخرجه البخارى (١٦٤٨) ، ومسلم (١٢٧٨) ، والنسائى فى الكبرى (٣٩٥٩) ، وابن خزيمة (٢٧٦٨) من طرق عن عاصم به . وينظر ما سياتى فى ص ٧١٧ ، ٧٢٣ .

(٢) أخرجه عبد بن حميد (١٢٢٤ - منتخب) ، والبخارى (٤٤٩٦) ، والترمذى (٢٩٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٦٧/١ (١٤٣٢) من طريق سفيان به .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « أبو الحسين » . ينظر تهذيب الكمال ٤٧٢/٦ .

(٥) فى م : « سنان » وهو تحريف .

(٦) بعده فى الأصل : « وعند البيت أضنام » . وليس فى مصدر التخرىج .

(٧) ذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٣١ عن عمرو بن حبشى ، وعزه السيوطى فى الدر المنثور ١٥٩/١ إلى المصنف .

حدثني المثني ، قال : ثنا عبدُ اللهِ ، قال : حدثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قوله : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ . وذلك أن ناسًا تَحَرَّجُوا ^(١) أن يَطَّوَّفُوا بين الصفا والمروة ، فأخبر الله أنهما من شعائره ، والطواف بينهما أحب إليه ^(٢) ، فمضت السنة بالطواف بينهما ^(٣) .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . قال : زعم أبو مالك ، عن / ابنِ عباسٍ أنه كان في الجاهلية شياطين تعزف ^(٤) الليل أجمع بين الصفا والمروة ، وكانت بينهما آلهة ، فلما جاء الإسلام وظهر ، قال المسلمون : يا رسول الله لا تطوفن ^(٥) بين الصفا والمروة ، فإنه شرك كنا نضنعه ^(٦) في الجاهلية فأنزل الله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ^(٧) .

٤٧/٢

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابنُ عُليَّة ، عن ابنِ أبي نجيح ، عن مجاهدٍ في قوله : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ قال : قالت الأنصار : إن السعي بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية ، فأنزل الله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ^(٨) .

(١) في م : « كانوا يتحرجون » .

(٢) في الأصل : « إلى » . وينظر مصدر التخريج .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٥٩ إلى المصنف .

(٤) عزيف الجن : جرس أصواتها . اللسان (ع ز ف) .

(٥) في م : « نطوف » .

(٦) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ففعله » .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٦٧ (١٤٣٥) ، والحاكم ٢/٢٧١ من طريق عمرو عن أسباط به .

كلاهما بزيادة في آخره « يقول : ليس عليه إثم ولكن له أجر » . وأخرجه ابن أبي داود في المصاحف ص ١٠٠ من طريق عامر بن الفرات ، عن أسباط به .

(٨) أخرجه سعيد بن منصور سننه (٢٣٥- تفسير) عن ابن عليه به . وتقدم أوله في ص ٧١٠ .

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

^(١) حدثني المثني، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد نحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. قال: كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد منهما صنماً يُعَظَّمُونَهُمَا؛ فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفاء والمروة لمكان الصنمين، فقال الله: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ وقرأ: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وسن رسول الله ﷺ الطواف بهما.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عاصم، قال: قلت لأنس بن مالك: الصفا والمروة أكنتم تكرهون أن تطوفوا بهما مع الأصنام التي نهيتم عنها؟ قال: نعم حتى نزلت: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ ^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عاصم، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: إن الصفا والمروة كانا من مشاعر قريش في الجاهلية، فلما كان الإسلام تركناهما.

وقال آخرون: بل أنزل الله تعالى ذكره هذه الآية في سبب قوم كانوا في الجاهلية لا يسعون بينهما، فلما جاء الإسلام [٤/٨٧] تحوُّبوا ^(٣) السعى بينهما كما

(١ - ١) سقط من: م، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) تقدم تخريجه في ص ٧١٥.

(٣) في م: «تخوفوا».

كانوا يَتَخَوَّبُونَهُ^(١) في الجاهلية .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُعَاذٍ ، قَالَ : ثنا يَزِيدُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الآية ، فَكَانَ حِجٌّ مِنْ تِهَامَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَسْعَوْنَ بَيْنَهُمَا ، فَأَخْبَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَكَانَ مِنْ سُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ الطَّوَّافِ بَيْنَهُمَا^(٢) .

حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، قَالَ : كَانَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ لَا يَطُوفُونَ بَيْنَ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ .

حَدَّثَنِي الْمُثَنَّى ، قَالَ : ثنا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنِي اللَّيْثُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ ، قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ لَهَا : أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴾ وَقُلْتُ لِعَائِشَةَ : وَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحَ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ ؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : بِمَسِّ مَا قَلَّتْ يَا ابْنَ أَخْتِي ، إِنْ هَذِهِ الْآيَةُ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوْلَتْهَا كَانَتْ : لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا ، وَلَكِنِهَا إِنَّمَا أَنْزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ كَانُوا / قَبْلَ أَنْ يُسْلَمُوا يُهْلُونَ لِمَنَاةَ الطَّاعِيَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ بِالْمُشَلَّلِ^(٣) ،

وَكَانَ مَنْ أَهَلَ لَهَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ . فَلَمَّا

(١) فِي م : « يَتَخَوَّبُونَهُ » .

(٢) عَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّر الْمَشُورِ ١/١٦٠ إِلَى الْمُصَنِّفِ .

(٣) الْمَشَلَّلُ ، بِالضَّمِّ ثُمَّ الْفَتْحِ : جَبَلٌ يُهْبَطُ مِنْهُ إِلَى قُدَيْدٍ (مَوْضِعٌ قَرِبَ مَكَّةَ) مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرِ . يَنْظُرُ مَعْجَمُ

الْبَلَدَانِ ٤/٥٤٣ ، وَمَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَمَ ٣/١٠٥٥ ، ٤/١٢١٧ ، ٤/١٢٣٣ .

سألوا رسول الله عن ذلك ؛ أنزل الله تعالى ذكره : ﴿ إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . قالت عائشة : ثم قد سنَّ رسول الله ﷺ الطوافَ بينهما ، فليس لأحدٍ أن يترك الطوافَ بينهما ^(١) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : كان رجالٌ من الأنصارِ يَمُنُّ بِهَيْلُ لِمَنَاةَ فِي الجَاهِلِيَّةِ ، وَمَنَاةُ صَنَّمٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ، قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّا كُنَّا لَا نَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ تَعْظِيمًا لِمَنَاةَ ، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطُوفَ بِهِمَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال عروة : فقلت لعائشة : ما أبالي أن لا أطوفَ بَيْنَ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ ، قَالَ اللَّهُ : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ قَالَتْ : يَا ابْنَ أُخْتِي ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ . قَالَ الزهري : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ : هَذَا الْعِلْمُ ! قَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُونَ : لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ [٨٧/٤] الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ ، وَلَمْ يُنْزَلِ الطَّوْفَ بَيْنَ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ ، قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنَّا كُنَّا نَطُوفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَكَرَ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ الطَّوْفَ بَيْنَ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ ، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ لَا نَطُوفَ بِهِمَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهُ : ﴿ إِنَّ الصَّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَاسْمَعُ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا ؛ فَيَمْنُ طَافَ وَفِي مَن لَمْ يَطُفْ ^(٢) .

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢/١٢٧٧) ، والبيهقي ٩٦/٥ ، ٩٧ من طريق ليث به . وأخرجه أحمد ١٤٤/٦ ، ٢٢٧ (الميمية) ، والبخاري (١٦٤٣ ، ٤٨٦١) ، ومسلم (٢٦١/١٢٧٧) ، ٢٦٣ ، والترمذي (٢٩٦٥) ، والنسائي (٢٩٦٧ ، ٢٩٦٨) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٦/١ (١٤٣٠ ، ١٤٣١) من طريق الزهري به . وسيأتي من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه في ص ٧٢١ ، ٧٢٦ .

(٢) أخرجه أحمد ١٦٢/٦ (الميمية) ، وابن أبي داود في المصاحف ص ١٠٠ من طريق عبد الرزاق به .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، ^(١) قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ^(١) ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادة ، قال : كان ناسٌ من أهلِ تهامةٍ لا يطوفون بينَ الصفا والمروة ، فأنزلَ اللهُ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .

والصوابُ مِنَ القولِ في ذلك عندنا ، أن يُقالَ : إِنَّ اللهُ تعالى ذكَّره قد جعل الطوافَ بينَ الصفا والمروة من شعائرِ اللهِ ، كما جعل الطوافَ بالبيتِ من شعائره ، فأما قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ فجائزٌ أن يكونَ قيلَ لكلا الفريقين اللذينِ تحوَّب ^(٣) بعضهم الطوافَ بهما من أجلِ الصنمينِ اللذينِ ذكَّرهما الشعبيُّ ^(٤) ، وبعضُهم من أجلِ ما كان من كراهتهم الطوافَ بهما ^(٥) في الجاهليةِ على ما روى عن عائشةَ . وأى الأمرينِ كان من ذلك فليسَ في قولِ اللهِ تعالى ذكَّره : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ دلالةٌ ^(٦) في الآية ^(٦) على أنه عنى به وضعَ الحرجِ عمَّن طاف بهما ، من أجلِ أن الطوافَ بهما كان غيرَ جائزٍ بحظرِ اللهِ ذلك ، ثم جعلَ الطوافَ بهما رخصةً ؛ لإجماعِ الجميعِ على أن اللهُ تعالى ذكَّره لم يحظرْ ذلك في وقتٍ ، ثم رخصَ فيه بقوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ .

وإنما الاختلافُ في ذلك بينَ أهلِ العلمِ على أوجهٍ ؛ فرأى بعضهم أن تاركَ

الطوافِ بينهما تاركٌ من مناسكِ / حجِّهِ ما لا يُجزئُه منه غيرُ قضاةِ بعثته ، كما لا

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تقدم في ص ٧١٨ .

(٣) في م : « تخوف » .

(٤) ينظر ما تقدم في ص ٧١٣ .

(٥) في الأصل : « بينهما » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

يُجْزَى تَارَكَ الطَّوَافِ ، الذى هو طَوَافُ الْإِفَاضَةِ إِلَّا قِضَاؤُهُ بِعَيْنِهِ ، وقالوا : هما طَوَافَانِ أَمْرُ اللَّهِ بِهِمَا ؛ أَحَدُهُمَا بِالْبَيْتِ ، وَالْآخَرُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، ^(١) حُكْمُهُمَا وَاحِدٌ .

وَرَأَى بَعْضُهُمْ أَنَّ تَارَكَ الطَّوَافِ بِهِمَا يُجْزَى مِنْ تَرْكِهِ فِدْيَةٌ ، وَرَأَوْا أَنَّ حُكْمَ الطَّوَافِ بِهِمَا حُكْمُ رَمَى بَعْضِ الْجَمْرَاتِ ، وَالْوُقُوفِ بِالْمَشْعَرِ ، وَطَوَافِ الصَّدْرِ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يُجْزَى تَارَكَهُ مِنْ تَرْكِهِ فِدْيَةٌ ، وَلَا يَلْزَمُهُ الْعَوْدُ لِقِضَائِهِ بِعَيْنِهِ .

وَرَأَى آخَرُونَ أَنَّ الطَّوَافَ بِهِمَا تَطَوُّعٌ ؛ إِنْ فَعَلَهُ فَاعِلٌ ^(٢) كَانَ مُحْسِنًا ، وَإِنْ تَرَكَهُ تَارَكَ لَمْ يَلْزَمُهُ بِتَرْكِهِ شَيْءٌ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

ذِكْرٌ مَنِ قَالَ : إِنَّ الطَّوَافَ ^(٣) بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَاجِبٌ وَلَا يُجْزَى مِنْهُ فِدْيَةٌ ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَعَلِيهِ ^(٤) الْعَوْدُ لَهُ

حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قَالَ : ثنا وَكَيْعٌ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : لِعَمْرٍو [٤/٨٨٨] مَا حَجَّ مَنْ لَمْ يَسْعَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : مَنْ نَسِيَ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، حَتَّى يَسْتَبْعِدَ مِنْ مَكَّةَ فَلْيَرْجِعْ فَلْيَسْعَ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَصَابَ النِّسَاءَ فَعَلِيهِ الْعُمْرَةُ وَالْهَدْيُ ^(٦) .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « صاحبه » .

(٣) فى م : « السعى » .

(٤ - ٤) فى م : « العودة » .

(٥) أخرجه مسلم (١٢٧٧/٢٥٩ ، ٢٦٠) ، وابن ماجه (٢٩٨٦) من طريق هشام بن عروة به . وسيأتى من طريق مالك عن هشام فى ص ٧٢٦ . وسبق من طرق عن الزهري فى ص ٧١٨ ، ٧١٩ .

(٦) الموطأ ١/٣٧٤ (١٣٠) .

وكان الشافعي يقول: على من ترك الطواف^(١) بين الصفا والمروة حتى يرجع إلى بلده، العود إلى مكة حتى يطوف بينهما، لا يُجزئه غير ذلك، حدّثنا بذلك عنه الربيع^(٢).

ذِكْرُ مَنْ قَالَ : يُجْزَى مِنْهُ دَمٌ وَلَيْسَ عَلَيْهِ عَوْدٌ لِقَضَائِهِ

قال الثوري فيما حدّثني به علي بن سهل ، عن زيد بن أبي الزرقاء عنه^(٤) ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد : إن عاد تارك الطواف بينهما لقضائه فحسن ، وإن لم يعد فعلية دم^(٥) .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ : الطَّوْفُ بَيْنَهُمَا تَطَوُّعٌ وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ مَنْ تَرَكَهُ ،

وَمَنْ كَانَ يَقْرَأُ : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا)

حدّثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : قال : لو أن حاجًا أفاض بعد رمي الجمرّة ؛ جمرّة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع ، فأصابها ، يعني امرأته ، لم يكن عليه شيء ؛ لا حج ولا عمرة ، من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود : (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ ^(٦) أَوْ اعْتَمَرَ ^(٧) فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا) . فعاودته بعد ذلك ، فقلت له ^(٧) : إنه قد ترك سنة النبي ﷺ ! قال : ألا تسمعه يقول : ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ [البقرة : ١٨٤] ؟ فأبى أن يجعل عليه شيئًا ^(٨) .

(١) في ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ : « السعي » .

(٢) في ت ٢ : « حين » .

(٣) الأم ٢ / ٢١٠ .

(٤) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠٢ / ١٢ (١٧٣٥١) .

(٥) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠٢ / ١٢ (١٧٣٥٢) .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل . والقراءة في مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب ، وهي أيضًا قراءة أنس وابن

عباس وابن سيرين وشهر بن حوشب وهي قراءة شاذة . ينظر البحر المحيط ٤٥٦ / ١ .

(٧) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ٣ .

(٨) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ٢٠٦ / ١٢ (١٧٣٧٣) عن عطاء ، وروى ابن حزم القراءة في المحلى ١١١ / ٧ =

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، قال : أخبرنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنه كان يقرأُ : (إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوََةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطَّوَّفَ بِهِمَا)^(١) .

حدثني عليُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا مؤمِلٌ ، قال : ثنا سفيانٌ ، عن عاصمٍ ، قال : سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ : الطَّوَّافُ بِهِمَا^(٢) تَطَوُّعٌ^(٣) .

حدثني المثني ، قال : ثنا حجاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ ، قال : أخبرنا عاصمُ الأحولُ ، قال : قال أنسُ بنُ مالكٍ : هما تطوُّعٌ^(٣) .

/حدثني محمدُ بنُ عمرو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوه .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفةٌ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوََةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ [٤/٨٨٨ظ] فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ قال : فلم يُحْرَجْ من لَمْ يَطْفُفَ بِهِمَا^(٤) .

حدَّثنا المثني ، قال : ثنا حجاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ^(٥) ، عن قيسٍ^(٦) ، عن عطاءٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ الزبيرِ قال : هما تطوُّعٌ .

= من طريق عبد بن حميد عن الضحاك عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن مسعود .

(١) أخرجه أبو عبيد في الفضائل ص ١٦٣ ، وابن أبي داود في المصاحف ص ٧٣ من طريق هشيم به . وأخرجه أبو عبيد ص ١٦٣ ، والبيهقي في المعرفة (٢٩٨٤) من طريق عبد الملك به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن الأنباري .

(٢) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بينهما » .

(٣) تقدم طرف منه في ص ٧١٤ - ٧١٧ . وينظر تفسير الثوري ص ٥٣ .

(٤) تقدم أوله في ص ٧١٠ .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « أحمد » .

(٦) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « عيسى بن قيس » .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريزٌ ، عن عاصمٍ ، قال : قلتُ لأنسِ بنِ مالكٍ :
السعي بين الصفا والمروة تطوُّعٌ ؟ فقال : تطوُّعٌ^(١) .

والصوابُ مِنَ القولِ في ذلك عندنا أن الطوافَ بهما فرضٌ واجبٌ ، وأن على
مَنْ تركه العَوْدَ لقضائه ، ناسيًا كان تركه^(٢) أو عامدًا ، لا يُجزئُه غيرُ ذلك ، لتظاهرِ
الأخبارِ عن النبي ﷺ أنه حجَّ بالناسِ فكان مما علَّمهم من مناسكِ حجِّهم الطوافَ بهما .

ذِكْرُ الرِوَايَةِ عَنْهُ بِذَلِكَ

حدثني يوسفُ بنُ سلمانَ البصريُّ^(٣) ، قال : ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، قال : ثنا
جعفرُ بنُ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، قال : لما دنا رسولُ اللهِ ﷺ من الصفا في
حجَّته^(٤) ، قال : « ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ، ابدءوا بما بدأ اللهُ به^(٥) » .
فبدأ بالصفا فرقى عليه^(٦) .

حدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا محمودُ بنُ ميمونٍ أبو الحسنِ ، عن أبي بكرٍ بنِ
عياشٍ ، عن ابنِ عطاءٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، أن النبي ﷺ قال : « ﴿ إِنَّ الصَّفَا
وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ » . فأتى الصفا فبدأ بها ، فقام عليها ، ثم أتى المروة فقام
عليها وطاف سبْعًا^(٧) .

(١) تقدم طرف منه في ص ٧١٦ .

(٢) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) زيادة من الأصل .

(٤) في م : « حجة » .

(٥) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بذكره » .

(٦) أخرجه عبد بن حميد (١١٣٣) ، ومسلم (١٤٧/١٢١٨) ، وأبو داود (١٩٠٥) ، وابن ماجه (٣٠٧٤)

من طريق حاتم بن إسماعيل به . وهذا الحديث جزء من حديث جابر ، الطويل المشهور . وينظر مسند الطيالسي

(١٧٧٣) .

(٧) في م : « وسعى » .

فإذ كان صحيحًا بإجماع الجميع من الأمة أن الطواف بهما^(١) مما علم^(٢) النبي أمته في مناسكهم ، وعمله في حجّه وعمرته ، وكان بيانه لأمره جمل ما نصّ الله في كتابه ، وفرضه في تنزيله ، وأمر به مما لا^(٣) يُدركُ علمه إلا ببيانه عليه السلام ، لازماً العملُ به أمته ، لما قد بيّنا في كتابنا « كتاب البيان عن أصول الأحكام » إذا اختلفت الأمة في وجوبه ، ثم كان مختلفاً في الطواف بينهما : هل هو واجب أم غير واجب - كان بيّنا وجوب فرضه على من حج أو اعتمر لما وصفنا .

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة ، لما كان مختلفاً فيها^(٤) على من تركه ، مع إجماع جميعهم ، على أن ذلك مما فعله رسول الله ﷺ ، وعلمه أمته في حجّهم^(٥) ، إذ علمهم مناسك حجّهم ، كما طاف بالبيت ، وعلمه أمته في حجّهم وعمرتهم ، إذ علمهم مناسك حجّهم وعمرتهم . ثم أجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لا تجزئ منه فدية ولا بدل ، ولا تجزئ تاركه إلا العود لقضائه ، كان نظيراً له الطواف بالصفا والمروة ، لا تجزئ منه فدية ولا جزاء ، ولا تجزئ تاركه إلا العود لقضائه ؛ إذ كانا كلاهما طوافين ؛ أحدهما بالبيت ، والآخر بالصفا والمروة ، ومن فرق بين حكميهما^(٦) عكس عليه القول فيه ، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما .

فإن / اعتل بقراءة من قرأ : (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) . قيل : ذلك ٥١/٢ قراءة^(٧) خلاف ما في مصاحف المسلمين ، غير جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم

(١ - ١) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « على تعليم » . وفي ت ٣ : « على عمل » .

(٢) في م : « لم » .

(٣) في م : « فيما » .

(٤) بعده في م : « وعمرتهم » .

(٥) في م : « حكمهما » .

(٦) سقط من : م .

[٥٩/٤] ما ليس فيها ، وسواءً قرأ ذلك كذلك قارئاً ، أو قرأ قارئاً : ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْتُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] ، (فلا جناح عليهم ^(١) أن لا يطوفوا به) فإن جازت ^(٢) إحدى الزيادتين اللتين ليستا في المصاحف ^(٣) كانت الأخرى نظيرتها ، وإلا كان مُجيزاً إحداهما إذا منع الأخرى مُتَحَكِّماً ، والتَّحَكُّمُ فلا يَفْجِرُ عنه أحدٌ ، وقد رُوِيَ إنكارُ هذه القراءة وأن يكونَ التنزيلُ بها ، عن عائشة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مالك بن أنس ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قلت لعائشة زوج النبي ﷺ وأنا يومئذ حديث السنن : رأيت قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ . فما نزي على أحد شيئاً أن لا يطوفَ بهما ؟ فقالت عائشة : كلاً لو كانت كما تقولُ كانت : فلا جناح عليه أن لا يطوفَ بهما . إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار ؛ كانوا يَهْلُونَ لِمَنَاةَ وكانت مَنَاةُ حَدَوَ قُدَيْدٍ ، وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة ؛ فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ ^(٤) .

وقد يحتملُ قراءةٌ من قرأ : (فلا جناح عليه أن لا يطوف) ^(٥) أن يكونَ معناها : فلا جناح عليه أن يطوفَ ﴿ بهما ﴾ ^(٦) - أن تكونَ « لا » التي هي مع « أن » صلةً في الكلام ^(٧) ،

(١) في م : « عليه » .

(٢) في م : « جاءت » .

(٣) في م : « المصحف » .

(٤) الموطأ ٣٧٣/١ (١٢٩) ، ومن طريقه البخاري (١٧٩٠) ، وأبو داود (١٩٠١) ، والنسائي في الكبرى

(١١٠٠٩) . وأخرجه أبو داود (١٩٠١) من طريق ابن وهب به . وسبق من طريق وكيع عن هشام بن ص

٧٢١ ، ومن طرق عن الزهري عن عروة في ص ٧١٨ ، ٧١٩ .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٦) ينظر معاني القرآن للفراء ٩٥/١ .

إذ كان قد تقدّمها جحدًا في الكلام قبلها ، وهو قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ ﴾ ،
 فيكون نظير قول الله تعالى ذكره : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
 [الأعراف : ١٢] . بمعنى ما منعك أن تسجد ، كما قال الشاعر^(١) :

ما كان يَرْضَى رسولُ اللهِ فعلَهُمْ^(٢) والطَّيِّبان أبو بَكْرٍ ولا عُمَرُ
 فلو كان رسمُ المصحفِ كذلك لم يكن فيه لمحتجٌ به حجةٌ ، مع احتمالِ الكلامِ
 ما وصفنا ؛ لما بيّنا من أنّ ذلك مما علّم رسولُ اللهِ ﷺ أمته في مناسكهم على ما
 ذكرنا ، ولدلالةِ القياسِ على صحته ، فكيف وهو خلافُ رسومِ مصاحفِ
 المسلمين ، ومما لو قرأ به اليوم قارئٌ كان مُستَحَقًّا العقوبة ؛ لزيادته في كتابِ اللهِ عزّ
 وجلّ ما ليس منه !؟

القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِ ﴾ .

اختلف القراءة في قراءة ذلك ؛ فقرأته عامةُ قُرأةِ أهلِ المدينة والبصرة : ﴿ وَمَنْ
 تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾^(٣) . على لفظِ المُضِيِّ ؛ بالتاءِ وفتحِ العينِ . وقرأته عامةُ قُرأةِ الكوفيين :
 (وَمَنْ يَطَّوَّعُ خَيْرًا)^(٤) بالياءِ وجزمِ العينِ وتشديدِ الطاءِ ، بمعنى : وَمَنْ يَتَطَوَّعُ . وذكّر
 أنها في قراءةِ عبدِ اللهِ (وَمَنْ يَتَطَوَّعُ)^(٥) . فقرأت ذلك [٨٩/٤] قُرأةِ أهلِ الكوفةِ ،
 على ما وصفنا ، اعتبارًا بالذي ذكرنا من قراءةِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، سوى عاصمٍ فإنه
 وافقَ المدنيّين ، فشدّدوا الطاءَ طلبًا لإدغامِ التاءِ / في الطاءِ . وكلتا القراءتينِ معروفةٌ ٥٢/٢

(١) هو جرير بن عطية . والبيت تقدم في ١٩٣/١ .

(٢) في م : « فعلهما » .

(٣) هذه قراءة غير حمزة والكسائي . ينظر حجة القراءات ص ١١٨ .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائي . ينظر حجة القراءات ص ١١٨ .

(٥) حجة القراءات ص ١١٨ . وقراءته : (ومن يتطوع بخير) . وهي قراءة شاذة . ينظر المصاحف ص ٥٧ ، والبحر

صحيحةً متفقٌ معنيهما غيرُ مُخْتَلَفَيْنِ ؛ لأن الماضِي من الفعلِ مع حروفِ الجزاءِ بمعنى المستقبلِ ، فبأى هَاتَيْنِ القراءَتَيْنِ قرأ ذلك قارئٌ فمصيبتٌ .

ومعنى ذلك : فَمَنْ تَطَوَّعَ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ بَعْدَ قِضَائِ حُجَّتِهِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لَهُ عَلَى تَطَوُّعِهِ لَهُ بِمَا تَطَوَّعَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَهُ فَمَجَازِيهِ بِهِ ، عَلَيْهِمْ بِمَا قَصَدَ وَأَرَادَ بِتَطَوُّعِهِ بِمَا تَطَوَّعَ مِنْهُ ^(١) .

وإنما قلنا : إِنَّ الصَّوَابَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ هُوَ مَا وَصَفْنَا دُونَ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَعْنَى بِهِ : فَمَنْ تَطَوَّعَ بِالسَّعْيِ وَالطَّوَّافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ . لِأَنَّ السَّاعِيَ بَيْنَهُمَا لَا يَكُونُ مَتَطَوِّعًا بِالسَّعْيِ بَيْنَهُمَا إِلَّا فِي حُجِّ تَطَوُّعٍ أَوْ عُمْرَةٍ تَطَوُّعٍ ، لَمَّا وَصَفْنَا قَبْلُ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ كَانَ مَعْلُومًا أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَى بِالتَّطَوُّعِ بِذَلِكَ ، التَّطَوُّعَ بِمَا يُعْمَلُ ذَلِكَ فِيهِ مِنْ حُجِّ أَوْ عُمْرَةٍ .

وَأَمَّا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الطَّوَّافَ بِهِمَا تَطَوُّعٌ لَا وَاجِبٌ ، فَإِنَّ الصَّوَابَ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ عَلَى قَوْلِهِمْ : فَمَنْ تَطَوَّعَ بِالطَّوَّافِ بِهِمَا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ . لِأَنَّ لِلْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ عَلَى قَوْلِهِمُ الطَّوَّافَ بِهِمَا إِنْ شَاءَ ، وَتَرَكَ الطَّوَّافِ ، فَيَكُونُ مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ : فَمَنْ تَطَوَّعَ بِالطَّوَّافِ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ تَطَوُّعَهُ ذَلِكَ ، عَلَيْهِمْ بِمَا أَرَادَ وَنَوَى الطَّائِفُ بِهِمَا كَذَلِكَ .

كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثنا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثنا عَيْسَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي نُجَيْجٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ ﴾ . قَالَ : مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، تَطَوُّعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَانَتْ مِنَ الشُّنَنِ ^(٢) .

(١) فِي م : « به » .

(٢) تَقَدَّمَ أَوَّلُهُ فِي ص ٧١٠ .

وقال آخرون : معنى ذلك : وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَاعْتَمِرْ .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ : وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَاعْتَمِرْ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ؛ قال : فالحج فريضة ، والعمرة تطوع ، ليست العمرة واجبة على أحد من الناس .
القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ﴾ .

ولما يعنى بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾ : علماء اليهود وأخبارها وعلماء النصارى ؛ لكتماينهم الناس أمر محمد ﷺ ، وتركهم أتباعه ، وهم يجدونه [٩٠/٤] عندهم مكتوبًا فى التوراة والإنجيل .

و^(١) « البيئات » التى أنزلها الله عز وجل ؛ ما بين من أمر نبوة محمد ﷺ ، ومبعثه وصفته ، فى الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أن أهلها يجدون صفته فيهما .

ويعنى جل ثناؤه بـ ﴿ وَأَلْهَدَىٰ ﴾ : ما أوضح لهم من أمره فى الكتاب التى أنزلها على أنبيائهم ، فقال عز ذكره : إن الذين يكتمون الناس الذى أنزلنا فى كتبهم من البيان عن أمر محمد ونبوته / وصحة الملة التى أرسلته بها وحققتها^(٢) فلا ٥٣/٢ يُخْبِرُونَهُمْ بِهِ^(٣) وهم يعلمون تبينى^(٣) ذلك للناس ، وإيضاحى لهم فى الكتاب الذى

(١) فى م : « من » .

(٢) فى م : « وحققتها » .

(٣ - ٣) فى م : « ولا يعلمون من تبينى » .

أَنْزَلْتَهُ إِلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ - ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾
الآية .

كما حدّثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، وحدّثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قالاً جميعاً : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : حدثني سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : سألت معاذ بن جبل أخو بني سلمة ، وسعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل ، وخارجة ابن زيد أخو بني الحارث بن الخزرج - نفراً من أحبار يهود ، قال أبو كريب : عما في التوراة . وقال ابن حميد : عن بعض ما في التوراة . فكتموهم إياه ، وأبوا أن يُخبروهم عنه ، فأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ ذِكْرَهُ فِيهِمْ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(١) .

حدّثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : حدّثني عيسى ، وحدّثني المشي ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ . قال : هم أهل الكتاب^(٢) .

حدّثني المشي ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ . قال : كتموا محمداً ﷺ وهم يجدونه مكتوباً عندهم ، فكتموه حسداً وبغياً^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام ٥٥١/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٨/١ (١٤٣٩) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٦١/١ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢١٨ ، بزيادة : « كتموا نعت محمد ﷺ وصفته » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٨/١ عقب الأثر (١٤٤١) من طريق ابن أبي جعفر به .

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُم مِّنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنَّا بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ . أولئك أهل الكتاب، كتموا الإسلام وهو دين الله، وكتموا محمداً ﷺ، وهم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل^(١) .

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السدي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَيْنَاهُم مِّنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنَّا بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ . زعموا أن رجلاً من اليهود كان له صديق من الأنصار يقال له: ثعلبة بن عمة^(٢) . قال له: هل تجدون محمداً عندهم؟ قال: لا . قال: محمد: البيئات^(٣) .

^(٤) ويعنى بقوله: ﴿مِنَّا بَعْدَ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ . بعض الناس؛ لأن العلم بنبوّة محمد ﷺ وصفته [٤/٩٠ظ] ومبعثه لم يكن إلا عند أهل الكتاب، دون غيرهم، وإياهم عنى بذلك عز وجل . ويعنى جلّ ذكره بالكتاب التوراة والإنجيل، وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس، فإنها معنى بها كل كاتم علماً فرض الله تعالى عليه بيانه للناس، وذلك نظير الخبر الذي روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ سئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكْتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»^(٥) .

وكان أبو هريرة يقول بما حدثنا به نصر بن علي الجهضمي، قال: ثنا حاتم بن وزدان، قال: ثنا، /أيوب السختياني،^(٦) عن محمد^(٦)، عن أبي هريرة، قال: لولا ٥٤/٢

(١) أخرجه ابن سعد ١/٣٦٢، ٣٦٣ من طريق سعيد به نحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦١ إلى عبد بن حميد . وستأتي بقيته في ص ٧٣٦ .

(٢) في م: «غمة»، وفي ت ١: «عثة» . وينظر الإصابة ١/٤٠٦ .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦٢ إلى المصنف .

(٤ - ٤) في م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «القول في تأويل قوله تعالى» .

(٥) أخرجه أحمد ١٣/١٧ (٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦١)، ٢٦٤، ٢٦٦ من حديث أبي هريرة وغيره .

(٦ - ٦) سقط من: م .

آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثَكُمْ. وتلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(١).

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا أبو زُرعة وهب اللبدي بن راشد، عن يونس قال: قال ابن شهاب، قال ابن المسيب، قال أبو هريرة: لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾، إلى آخر الآية^(٢). والآية الأخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾^(٣) [آل عمران: ١٨٧] إلى آخر الآية.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(٤).

يعنى تعالى ذكره بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾: هؤلاء الذين يَكْتُمُونَ ما أنزل الله من أمر محمد ﷺ وصفته وأمر دينه، أنه الحق، من بعد ما بيّنه الله لهم في كتبهم، يلعنهم الله بكتمانهم ذلك وتزكيتهم تبينه للناس. واللعنة الفعلية. من: لعنه الله، بمعنى: أقصاه الله وأبعده وأسحقه. وأصل اللعين: الطرود، كما قال الشماخ بن ضرار، وذكر ماء ورد عليه^(٥):

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ^(٥) عَنْهُ مَقَامَ الذُّبِّ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ
يعنى به مقام الذب الطريد، و«اللعين» من نعت الذب، وإنما أراد: مقام

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٦٤/١، وابن سعد في الطبقات ٢/٣٦٢، ٣٦٣، وأحمد ٢٢١/١٢ (٧٢٧٦)، والبخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٢)، وغيرهم من طريق الأعرج عن أبي هريرة. وينظر الدر المنثور ١/١٦٣.

(٢) في الأصل، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الآيتين». وهو لفظ مسلم في الموضع الآتي.
(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٢) عقب حديث عائشة، من طريق يونس به، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٦٨ (١٤٤٠) من طريق ابن شهاب به. وعندهما بغير ذكر آية آل عمران.

(٤) ديوان الشماخ ص ٣٢١.

(٥) في الأصل: «ونيت».

الذئب^(١) اللعين كالرجل .

فمعنى الآية إذا : أولئك يُعِيدُهُمُ اللَّهُ مِنْهُ وَمِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَسْأَلُ رَبَّهُمُ اللّاعِنُونَ أَنْ يَلْعَنَهُمْ ؛ لأن لعنة بنى آدمٍ وسائر خلقِ اللَّهِ ما لعنوا أن يقولوا : « اللهم العنه » . وإن كان معنى اللعين هو ما وصفنا من الإقصاء والإبعاد^(٢) وأما من اللّهِ فالإبعاد من [٩١/٤] رحمته^(٣) .

وإنما قلنا : إن لعنة اللاعنين هي ما وصفنا من مسألتهم ربهم أن يلعنهم ، وقولهم : لعنة الله . أو : عليه لعنة الله . لأن محمد بن خالد بن خدّاش ويعقوب بن إبراهيم حدثاني ، قالا : ثنا إسماعيل ابن علقمة ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : ﴿ أَوْلَيْتِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللّٰعِنُونَ ﴾^(٤) قال : اللاعنون^(٥) : البهائم ، قال : إذا أسنتت^(٤) السنة ، قالت البهائم : هذا من أجل عصاة بنى آدم ، لعن الله عصاة بنى آدم^(٥) .

واختلف أهل التأويل فيمن عنى الله تعالى ذكره باللاعنين ؛ فقال بعضهم : عنى بذلك دواب الأرض وهوائها .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريز ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : تلّعنهم

(١) بعده في م : « الطريد و » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) في م : « أسنتت » . وأسنتت السنة : أجدبت ، من السنة وهو القحط : الجذب . ينظر اللسان (ج د ب) .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٣٦ - تفسير) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٩/١) (١٤٤٦) من طريق إسماعيل ابن عليه به .

دوابُّ الأرض وما شاء الله من الخنافسِ والعقاربِ ، تقولُ : مُنِعْتُ القَطْرَ بَدُنُوْبِهِمْ ^(١) .

حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أَوْلَيْكَ / يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ . قال : دوابُّ الأرضِ : العقاربُ والخنافسُ يقولون : مُنِعْنَا القَطْرَ بخطايا بني آدمَ ^(٢) .

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمروٍ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ . قال : تلعنهم الهوامُّ ودوابُّ الأرضِ ، تقولُ : أُمْسِكَ القَطْرُ عنا بخطايا بني آدمَ ^(٣) .

حدثنا مُشَرَّفُ بنُ أبانٍ الخَطَّابُ ^(٤) ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن خُصَيْفٍ ، عن عكرمةَ في قوله : ﴿ أَوْلَيْكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ . قال : يَلْعَنُهُمُ كلُّ شيءٍ حتى الخنافسُ والعقاربُ ، يقولون : مُنِعْنَا القَطْرَ بَدُنُوْبِ بني آدمَ ^(٥) .

حدثني محمدُ بنُ عمروٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : اللّاعنون : البهائمُ .

حدثني المثني ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ : البهائمُ تَلْعَنُ عُصاةَ بني آدمَ حينَ أَمْسَكَ اللهُ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢٨٦/٣ من طريق جرير به ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٣٧) - تفسير) ، وابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٧١) ، والطبراني في الدعاء (٩٥٥) ، من طريق منصور به .
(٢) تفسير سفيان ص ٥٣ . وأخرجه البيهقي في الشعب (٣٣١٧) من طريق عبد الرحمن به .
(٣) أخرجه ابن المقرئ في معجمه (٧٣٨) من طريق الأعمش عن مجاهد ، بلفظ : يلعنهم كل شيء حتى هوام الأرض .

(٤) في الأصل : « الخطاب » . وينظر الثقات ٢٠٣/٩ ، وتاريخ بغداد ٢٢٤/١٣ . وقد تقدم قبل ذلك .

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٦٩/١ عقب الأثر (١٤٤٧) معلقاً . وعزه السيوطي في الدر المنثور ١/

عنهم بذنوبِ بنى آدمَ القطرُ^(١) ، فنخرجُ البهائمَ فتلعنُهُم^(٢) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرني مسلمٌ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ : البهائمُ ؛ الإبلُ والبقرُ والغنمُ ، تلعنُ عصاةَ بنى آدمَ إذا أجدبتِ الأرضُ^(٣) .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ قولِ هؤلاء^(٤) الذين وجَّهوا تأويلَ قوله : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴾ إلى أنَّ اللّاعنين هم الخنافسُ والعقاربُ ، وغيرُ ذلك من هوامِّ الأرضِ ، وقد علمتُ^(٥) أنَّ العربَ إذا جمعتُ ما كانَ من نوعِ البهائمِ وغيرِ بنى آدمَ ، فإنما تجمعه بغيرِ الياءِ والنونِ وغيرِ الواوِ والنونِ ، وإنما تجمعه بالتاءِ ، وما خالف ما ذكرنا ، فتقولُ : « اللّاعناتُ » . ونحوُ ذلك ؟

قيل : إن الأمر وإن كان كذلك ، فإنَّ من شأنِ العربِ إذا وصفتُ شيئاً من البهائمِ أو غيرها مما حُكِّمَ جمعه أن يكونَ « بالتاءِ » ، أو^(٦) بغيرِ صورةِ جمعِ ذكرانِ بنى آدمَ بما هو من صفةِ آدميين - أن يجمعه بجمعِ ذكورهم ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٢١] . فأخرجَ خطابها^(٧) على مثالِ خطابِ ذكور^(٨) بنى آدمَ إذ كلَّمْتهم [٩١/٤] وكلَّموها ، وكما قال : ﴿ يَأْتِيهَا النَّعْلُ أَدْعَلُوا مَسْكِنَكُمْ ﴾ [النمل : ١٨] . وكما قال : ﴿ وَالشَّمْسُ

(١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « المطر » .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٢٣٦ - تفسير) من طريق ابنِ أبى نجيح به نحوه .

(٣) أخرجه ابنِ أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٠/١ (١٤٤٨) عن يونس بن عبد الأعلى به .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٥ - ٥) فى م : « أنها » .

(٦) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « و » .

(٧) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « خطابهم » .

(٨) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

وَأَلْقَمَرَ رَأْيَهُمْ لِي سَجْدِيكَ ﴿ [يوسف : ٤] .

وقال آخرون : عنى الله تعالى ذكره بقوله : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ : الملائكة والمؤمنين .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، ^(١) قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ . قال : يقول : اللاعنون من ملائكة الله ومن المؤمنين ^(٢) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ ^(٣) قال : اللاعنون ^(٤) .

٥٦٢ / حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ابن أنس ، قال : اللاعنون من ملائكة الله والمؤمنين ^(٥) .

وقال آخرون : يعنى بالأعنين : كل ما عدا بنى آدم والجن ^(٦) .

ذِكْرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنى موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن الشددي : ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ ﴾ قال : قال البراء بن عازب : إن الكافر إذا وُضِعَ فى قبره أتته دابة كأن عينيها قدران من نحاس معها عمود من حديد ، فتضربه ضربة بين كتيفيه فيصيخ ، فلا يسمع أحد صوته إلا لعنه ، ولا يبقى شىء إلا سميع صوته ، إلا الثقلين الجن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) تقدم أوله فى ص ٧٣١ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦٥/١ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٦٩/١ عقب الأثر (١٤٤٥) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٦) فى الأصل : « الجن » .

والإنس^(١) .

حدثنا المثني ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ . قال : الكافر إذا وُضِعَ في حفرته ضُربَ ضربةً بمطرقٍ فيصيحُ صيحةً فيسمعُ صوته كلُّ شيءٍ إلا الثقلين ؛ الجنُّ والإنس ، فلا يسمعُ صيحته شيءٌ إلا لعنه^(٢) .

وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال : اللاعنون : الملائكة والمؤمنون ؛ لأنَّ الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأنَّ اللعنة التي تحلُّ بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين ، فقال جلُّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ . فكذاك اللعنة التي أخبر الله جلُّ ذكره أنها نازلة^(٣) بالفريق الآخر : الذين يكفرون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيَّنه^(٤) للناس ، هي لعنة الله الذين^(٥) أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ ، وهم اللاعنون ؛ لأنَّ الفريقين جميعاً أهلُ كفرٍ .

وأما قول من قال : إنَّ اللاعنين هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من ديب الأرض وهوامها . فإنه قول لا تُدرِكُ حقيقته إلا بخبر عن الله أن ذلك من فعلها^(٦) وقيلها^(٦) ، تقوم به الحجَّة ، ولا خبر بذلك عن نبيِّ الله ﷺ ، فيجوز أن

(١) هذا الحديث جزء من حديث البراء الطويل المشهور ، وقد أخرجه الطيالسي (٧٨٩) فراجع تخريجه هناك . وسأيت في تفسير سورة إبراهيم آية (٢٧) .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٦٢ إلى المصنف .

(٣) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « حالة » .

(٤) في م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بيناه » .

(٥) في م : « التي » .

(٦ - ٦) سقط من : م . وفي ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « وفعلها » .

يقال: إن ذلك كذلك.

وإذ كان ذلك كذلك، فالصواب من القول فيما قالوه أن يقال: إن الدليل من ظاهر كتاب الله موجود بخلاف هذا^(١) التأويل، وهو ما وصفنا، وإن كان جائزاً أن تكون البهائم وسائر خلق الله تلعن الذين يكتُمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمد ﷺ [٩٢/٤] ونعته وتبوتيه، بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظلمة،^(٢) غير أنه غير^(٣) جائز قطع الشهادة بأن^(٣) الله عنى باللاعنين البهائم والهوام وذئب الأرض، إلا بخبر للعذر قاطع، ولا خبر بذلك، وكتاب الله الذي ذكرناه دال على خلافه.

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. يعني بذلك جل ثناؤه أن الله واللاعنين يلعنون الكاتمي الناس ما علموا من أمر نبوة محمد ﷺ ونعته وصفته في الكتاب الذي أنزله الله وبيئه للناس، إلا من تاب من كتمان ذلك منهم، وراجع/ التوبة ٥٧/٢ بالإيمان بمحمد ﷺ، والإقرار به وبتبوتيه، وتصديقه فيما جاء به من عند الله، وبيان ما أنزل الله في كتبه التي أنزلها إلى أنبيائه من الأمر باتباعه، وأصلح حال نفسه بالتقرب إلى الله من صالح الأعمال بما يؤضيه عنه، ويبيّن الذي علم من وحي الله الذي أنزله إلى أنبيائه وعهد إليهم في كتبه، فلم يكتمه، وأظهره فلم يخفه، ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: فهؤلاء الذين فعلوا هذا الذي وصفت منهم، هم الذين أتوب عليهم، فأجعلهم من أهل الإياب إلى طاعتي، والإنابة إلى مرزواتي.

(١) في م، ت، ١، ت، ٢، ت، ٣: «أهل».

(٢ - ٢) في م: «فغير».

(٣) في م: «في أن».

ثم قال جل ثناؤه: ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ﴾ . يقول: وأنا الذى أرجع بقلوب عبیدی المنصرفة عنى إلى ، والرائد لها بعد إدارها عن طاعتى ، إلى طلب محبتى ، والرحيم بالمقبلين بعد إقبالهم إلى ، أتعمدُهم متى بعفو ، وأصفح عنهم^(١) عظيم ما كانوا اجترموا فيما بينى وبينهم بفضل رحمتى لهم .

فإن قال قائل: وكيف يُتاب على من قد تاب؟ وما وجه قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾؟ وهل يكون تائب إلا وهو متوب عليه ، أو متوب عليه إلا وهو تائب؟ قيل: ذلك مما لا يكون أحدهما إلا والآخر معه ، فسواء قيل: إلا الذين تيب عليهم فتابوا . أو قيل: إلا الذين تابوا فإنى أتوب عليهم . وقد بينا وجه ذلك فيما جاء من الكلام هذا المجيء فى نظيره فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع^(٢) .
وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذَكَرَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ . يقول: أصلحوا فيما بينهم وبين الله ، وبيَّنُّوا الذى جاءهم من الله فلم يكتموه ، [٤/٩٢ظ] ولم يجحدوا به ، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ . قال : بيَّنُّوا ما فى كتاب الله للمؤمنين ، ولما

(١) فى م ، ت : ٢ : « عن » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ٤٧٢ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧٠/١ (١٤٥٠) من طريق شيبان النحوى عن قتادة ، وعزه السبوطى فى الدر المنثور ١٦٣/١ إلى عبد بن حميد .

سألوهم عنه من أمر النبي ﷺ ، وهذا كله في يهود .

وقد زعم بعضهم أن معنى قوله : ﴿ وَيَبِينُوا ﴾ . إنما هو : ويبينوا التوبة بإخلاص العمل .

ودليل ظاهر الكتاب والتنزيل بخلافه ؛ لأن القوم إنما عُوتِبُوا في ^(١) هذه الآية على كتمانهم ما أنزل الله تعالى ذكره وبيته في كتابه من ^(٢) أمر محمد ﷺ ودينه ، ثم استثنى منهم جل ثناؤه الذين يبينون أمر محمد ﷺ ودينه ، ويتوبون مما كانوا عليه من الجحود والكتمان ، فأخرجهم من عداد ^(٣) من يلعنه الله ويلعنه اللاعنون ، ولم يكن العتاب على تزكيتهم تبيين التوبة بإخلاص العمل .

والذين استثنى الله من الذين يكتمون ما أنزل الله من بينات والهدى من بعد ما بيته ^(٤) للناس في الكتاب ، عبد الله بن سلام وذووه من أهل الكتاب الذين أسلموا فحسب إسلامهم واتبعوا رسول الله ﷺ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ .

/يعنى جل ثناؤه بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ : إن الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ وكذبوا به ، من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل ، والمشركين من عبدة الأوثان ، ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا ﴾ . يعنى : وماتوا وهم على جحودهم ذلك وتكذيبهم

٥٨/٢

(١) بعده فى م : « مثل » .

(٢) فى م : « من » .

(٣) فى م : « عذاب » .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بيناه » .

محمدًا ﷺ ، ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ . يعنى ^(١) ب ﴿أُولَئِكَ﴾ :
الذين كفروا وماتوا وهم كفاة ، ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ . يقول : أبعدهم الله
وأشققهم من رحمته ، ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ . يعنى : ولعنّهم الملائكة والناس أجمعون .
ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم : عليهم لعنة الله . وقد بينّا معنى اللعنة فيما مضى
قبل ^(٢) ، بما أغنى عن إعادته .

فإن قال قائل : وكيف تكونُ على الذى يموتُ كافرًا بمحمدٍ ^(٣) لعنةُ جميع
الناس ، وقد علمتُ أنّ من يكفُرُ بمحمدٍ ^(٤) من أصنافِ الأممِ ، ^(٥) أكثرُ ممن يؤمنُ
به ويُصدِّقُه ؟ قيل : إنّ معنى ذلك على خلافٍ ما ذهبَ إليه .

وقد اختلفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضهم : عَنَى اللَّهُ بقوله :
﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ . أهلُ الإيمانِ به وبرسوله خاصةً ، دونَ سائرِ البشرِ .

[٩٣/٤] ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حدثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قوله :
﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ . يعنى بالناسِ أجمعين : المؤمنين ^(٥) .

وحدثنى المشنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن
الربيعِ : ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ . يعنى بالناسِ أجمعين : المؤمنين .

(١ - ١) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « فأولئك » .

(٢) تقدم فى ص ٢٣٠ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٤ - ٤) فى م : « وأكثرهم ممن لا يؤمن » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ عقب الأثر (١٤٥٦) معلقًا .

وقال آخرون : بل ذلك يوم القيامة ، يُوقَفُ على رءوسِ الأشهادِ الكافرِ ، فيلْعَنُهُ الناسُ كُلُّهم .

ذَكَرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثْتُ عَنْ عَمَارٍ ، قَالَ : ثنا ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرِّبِيعِ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، أَنَّ الْكَافِرَ يُوقَفُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَلْعَنُهُ اللَّهُ ، ثُمَّ يَلْعَنُهُ الْمَلَائِكَةُ ، ثُمَّ يَلْعَنُهُ النَّاسُ أَجْمَعُونَ ^(١) .

وقال آخرون : بل ذلك قولُ القائلِ كائناً مَنْ كان : لعنَ اللهُ الظالمَ . فيلْحَقُ ذلكَ كلُّ كافرٍ ؛ لأنه مِنَ الظَّالِمَةِ .

ذَكَرُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ هَارُونَ ، قَالَ : ثنا عمرو بنُ حمادٍ ، قَالَ : ثنا أسباطُ ، عَنْ الشَّدِيِّ قَوْلَهُ : ﴿ أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ : فإنه لا يتلَاغُنْ اثنانِ مؤمنانِ ولا كافرينِ ، فيقولُ أحدهما : لعنَ اللهُ الظالمَ . إلا وجبتَ تلكَ اللعنةُ على الكافرِ ؛ لأنه ظالمٌ ، فكلُّ أحدٍ مِنَ الخَلْقِ يَلْعَنُهُ ^(٢) .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ عندنا قولُ مَنْ قال : عَنَى اللهُ بذلكَ جميعَ الناسِ ، بمعنى لَعْنِهِمْ إِيَّاهُ ^(٣) بقولهم : لعنَ اللهُ الظالمَ أو الظالمينَ . فإنَّ كلَّ أحدٍ مِنَ بنى آدمَ لا يَمْتَنِعُ ^(٤) مِنْ قِيلِ ذَلِكَ كائناً مَنْ كانَ ، وَمِنْ أُمَّةٍ أُمَّةٍ مِلَّةٍ كانَ ، فيَدْخُلُ بذلكَ فى لعنتِهِ كلُّ كافرٍ كائناً مَنْ كانَ ، وذلكَ بمعنى ما قاله أبو العالِيَةِ ؛ لأنَّ اللهُ جَلَّ ثناؤه أخبرَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٦) من طريق أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٧) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « إياهم » . ويعنى بـ « إياه » : الظالم .

(٤) فى م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « يمنع » .

عَمَّنْ شَهِدَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ يَلْعَنُونَهِمْ ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا / أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود : ١٨] .

وأما ما قاله قتادة من أنه عني به بعض الناس ، فقول ظاهر التنزيل بخلافه ، ولا برهان على حقيقته من خبر ولا نظير ، فإن كان ظن أن المعنى به المؤمنون ، من أجل أن الكفار لا يلعنون أنفسهم ولا أولياءهم ، فإن الله جل ثناؤه قد أخبر أنهم يلعنونهم في الآخرة ، ومعلوم منهم أنهم يلعنون الظلمة ، وداخل في الظلمة كل كافر بظلمه نفسه ، وجحوده نعمة ربه ، ومخالفته أمره .

[٤/٩٣ظ] القول في تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ .

قال أبو جعفر : إن قال لنا قائل : ما الذي نصّب ﴿ خَالِدِينَ ﴾ ؟ قيل : نصّب على الحال ، من الهاء والميم اللتين في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ . وذلك أن معنى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ : أولئك يلعنهم الله ، فتأويل الكلام : أولئك يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعون ، خالدين فيها . ولذلك قرأ ذلك : (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعون)^(١) من قرأه كذلك ، توجيهها منه إلى المعنى الذي وصفت ، وذلك وإن كان جائزاً في العربية ، فغير جائز القراءه ؛ لأنه خلاف القراءه^(٢) لمصاحف المسلمين ، وما جاء به المسلمون من القراءه مستفيضاً^(٣) فيهم ، وغير^(٤) جائز الاعتراض بالشاذ من القول على ما قد ثبتت حجته بالنقل المستفيض .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٢) في م : « أجمعين » . وقراءة الرفع هذه هي قراءة الحسن . ينظر المحتسب ١١٦/١ .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤ - ٤) في م : « فيها فغير » .

وأما الهاء والألف اللتان في قوله: ﴿فِيهَا﴾ ، فإنهما عائدتان على اللعنة ، والمراد بالكلام ما صار إليه الكافر باللعنة من الله ومن ملائكته ومن الناس ، والذي صار إليه بها ، نار جهنم ، فأجرى الكلام على اللعنة ؛ والمراد بها ما صار إليه الكافر ، كما قد بينا من نظائر ذلك فيما مضى قبل .

كما حدثت عن عمار بن الحسين ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية : ﴿حَلِيدِينَ فِيهَا﴾ . يقول : خالد بن خالد في جهنم في اللعنة^(١) .

وأما قوله : ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ ، فإنه خبر من الله عن دوام العذاب لهم^(٢) أبداً من غير توفية^(٣) ولا تخفيف ، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر : ٣٦] . وكما قال : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء : ٥٦] .

وأما قوله : ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ، فإنه يعني : ولا هم ينتظرون^(٤) لمعذرة^(٥) يعتذرون .

كما حدثت عن عمار ، قال : ثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبي العالية ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ . يقول : لا ينتظرون فيعتذرون ، كقوله ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤَدَّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ^(٦) [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧١/١ (١٤٥٨) من طريق أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ص ، م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ .

(٣) في الأصل : « ترقيه » ، وفي م ، ت ، ٣ : « توقيت » .

(٤) في م : « ينظرون » .

(٥) في م ، ١ ، ت ، ٢ ، ت ، ٣ : « بمعذرة » .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧١/١ من طريق أبي جعفر به نحوه .

القولُ في تأويلِ قوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .

/قد بيّنا فيما مضى معنى الألوهية^(١)، وأنها اغتياذُ الخلقِ، فمعنى قوله: ٦٠/٢ ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [٩٤/٤] والذي يَسْتَحِقُّ عليكم أيها الناسُ الطاعةَ له، وَيَسْتَوْجِبُ منكم العبادَةَ، معبودٌ واحدٌ وربٌّ واحدٌ، فلا تَعْبُدُوا غيره ولا تُشْرِكُوا معه سواه، فإن مَنْ تُشْرِكُونه معه في عبادتكم إياه هو خلقٌ من خلقِ إلهكم مثلكم، وإلهكم واحدٌ، لا مثلَ له ولا نظيرَ .

واختلِفَ في معنى وحدانيته جلَّ ذكره؛ فقال بعضهم: معنى وحدانية الله معنى نفى الأشباهِ والأمثالِ عنه، كما يقالُ: فلانٌ واحدُ الناسِ، وهو واحدٌ قومه . يعنى بذلك أنه ليسَ له في الناسِ مثلٌ، ولا له في قومه شبيهٌ ولا نظيرٌ . قالوا^(٢): فكذلك معنى قولنا^(٣): اللهُ واحدٌ . نعنى^(٤) به: اللهُ جلَّ ثناؤه لا مثلَ له ولا نظيرَ . فزَعَمُوا أن الذى دلَّهم على صحّةِ تأويلهم ذلك، أن قولَ القائلِ: «واحدٌ» . اسمٌ^(٥) لمعانٍ أربعةٍ: أحدها، أن يكونَ واحدًا من جنسٍ، كالإنسانِ الواحدِ من الإنسِ . والآخرُ، أن يكونَ غيرَ مُتَنَصِّفٍ^(٦)، كالجزءِ الذى لا يَنَقْصِمُ . والثالثُ، أن يكونَ معنيًا به: المِثْلُ والاتِّفاقُ، كقولِ القائلِ: هذان الشيئانِ واحدٌ . يراؤُ بذلكَ أنهما متشابهانِ

(١) فى م: «الألوهية» . وينظر ما تقدم فى ١٢١/١ - ١٢٤ .

(٢) سقط من م .

(٣) فى م، ت ٢: «قول» .

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ت ٣: «يعنى» .

(٥) فى م، ت ١، ت ٢: «يفهم» .

(٦) فى م: «متصرف» . وقد أثبتتها الشيخ شاکر فى ٢٦٥/٢: «متفرق» .

حتى صارًا لاشتباههما في المعاني كالشيء الواحد . والرابع ، أن يكون مرادًا به نفي النظر عنه والشبيه^(١) . قالوا : فلما كانت المعاني الثلاثة من معاني الواحد مُتَّفِئَةً عنه ، صحَّ المعنى الرابع الذي وَّصَفناه .

وقال آخرون : معنى وحدانيته ، عزَّ ذكره ، معنى انفراده من الأشياء ، وانفراد الأشياء منه . وقالوا : إنما كان منفردًا وحده ؛ لأنه غيرٌ داخلٍ في شيء ، ولا داخلٍ فيه شيء . قالوا : ولا صِفة^(٢) لقول القائل : « واحدٌ » من جميع الأشياء ، إلا ذلك .

وأثَّركر قائلو هذه المقالة المعاني الأربعة التي قالها الآخرون .

وأما قوله جل ثناؤه : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، فإنه خبرٌ منه جلَّ جلاله أن لا ربَّ للعالمين غيره ، ولا مُسْتَوْجِب^(٣) على العبادِ العبادةِ سواه ، وأنَّ كلَّ ماسواه فهم خلقه ، والواجبُ على جميعهم طاعته ، والانقيادُ لأمره ، وتركُ عبادةِ ما سواه من الأندادِ والآلهة ، وهجرُ الأوثانِ والأصنام ؛ لأنَّ جميع ذلك خلقه ، وعلى جميعهم الدِّيُونَةُ له بالوحدانيةِ والألوهةِ ، ولا تنبغى الألوهةُ إلا له ، إذ كان ما بهم من نعمةٍ في الدنيا فمنه ، دونَ ما يعبدونه من الأوثانِ ويُشركون معه من الأشرِكِ^(٤) ، وما يصيرون إليه من نعمةٍ في الآخرةِ فمنه ، وأن ما أشركوا معه من الأشرِكِ لا يضرُّه ولا ينفعُ في عاجلٍ ولا آجلٍ ، ولا في دنيا ولا آخرةٍ . وهذا تنبيهٌ من الله جلَّ ثناؤه أهلَ الشُّركِ به على ضلالِهِم ، ودعاءٍ منه لهم إلى الأوبةِ من كفرِهِم ، والإنابةِ من شركِهِم ، ثم عرَّفَهُم جلَّ ذكره بالآيةِ التي [٩٤/٤] تتلوها موضعَ استدلالِ ذوى الألبابِ منهم ،

(١) في الأصل ، ت ١ : « التشبيه » .

(٢) في م ، ت ٢ : « صحبة » .

(٣) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يستوجب » .

(٤) الأشرِك جمع شريك وشريك . اللسان (ش ر ك) .

على حقيقة ما نبههم عليه من توحيدِهِ وحُججِهِ الواضحةِ القاطعةِ عُذْرَهُمْ ، فقال عزَّ
ذِكْرُهُ : أيها المشركون إن جهلتم ، أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخير ؛ من
أنَّ إلهكم إلهٌ واحدٌ ، دونَ ما تدعون أُلوهته^(١) من الأندادِ والأوثانِ ، فتدبروا
حُججِي ، وفكروا فيها ، فإن من حججِي خَلَقَ السماواتِ والأرضِ ، واختلافَ
الليلِ والنهارِ ، والقُلُوكَ التي تجري في البحرِ بما ينفعُ الناسَ ، وما أنزلتُ من السماءِ من
ماءٍ فأحييتُ به الأرضَ بعد موتها ، وما بَنَيْتُ فيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، والسحابِ الذي
سَخَّرْتُهُ بَيْنَ السماءِ والأرضِ ، فإن كَانَ ما تَعْبُدُونَ مِنَ الأوثانِ والآلهةِ والأندادِ / ٦١/٢
وسائرِ ما تُشْرِكُونَ به ، إذا اجْتَمَعَ جميعُهُ فتَظَاهَرَ ، أو انفردَ بعضُهُ دونَ بعضٍ ، يُقَدِّرُ
على أن يَخْلُقَ نظيرَ شيءٍ مِنْ خَلْقِي الذي سَمَّيْتُ لَكُمْ ، فلكم بعبادتِكُمْ ما تَعْبُدُونَ
من دوني حينئذٍ عُذْرٌ ، وإلا فلا عُذْرَ لَكُمْ في اتِّخَاذِ إلهٍ سِوَايَ ، ولا إلهَ لَكُمْ ولما
تَعْبُدُونَ غَيْرِي .

قال أبو جعفرٍ : فليَتَدَبَّرُوا أُولُو الألبابِ إيجازَ اللّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، واحتجاجه على
جميعِ أهلِ الكفرِ به ، والملحدِينِ في توحيدِهِ ، في هذه الآيةِ وفي التي بعدها ، بأوجزِ
كلامٍ وأبلغِ حُجَّةٍ وألطفِ معنَى ، يُشْرِفُ بِهِمْ على معرفةِ فضلِ حكمةِ اللّهِ وبيانه .

(١) في م ، ت ، ١ ، ت ٢ : « أُلوهيته » .

فهرس الجزء الثانى

الصفحة

الموضوع

تابع تفسير سورة البقرة

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذَا اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ... ﴾ مشربهم ﴿ ٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾ ٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مَفسِدِينَ ﴾ ١٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ ... وَبِصَلِّهَا ﴾ ١١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ اهْبِطُوا مِصرًا فَإِن لَّكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ ٢١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ ﴾ ٢٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ ٢٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ٢٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ .. ٣١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى ﴾ ٣٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَالصَّابِغِينَ ﴾ ٣٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... ﴾ يحزنون ﴿ ٣٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴾ ٤٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ٥٣
- القول فى تأويل قوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ ٥٤

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ورفعنا فوقكم الطور ﴾ ٤٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ ٥١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فلولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ .. ٥٦
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا ... قردة خاسئين ﴾ ٥٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فجعلناها ﴾ ٦٨
- القول فى تأويل قوله : ﴿ نكالا ﴾ ٦٩
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ لما بين يديها وما خلفها ﴾ ٧٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وموعظة للمتقين ﴾ ٧٣
- القول فى تأويل قوله : ﴿ وإذ قال موسى لقومه ... فافعلوا ما تؤمرون ﴾ ٧٥
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قالوا ادع لنا ربك ... صفراء ﴾ ٩١
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فاقع لونها ﴾ ٩٥
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ تسر الناظرين ﴾ ٩٦
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون ﴾ ٩٧
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تشير الأرض ولا تسقى الحرث ﴾ ١٠٥
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ مسلمة ﴾ ١٠٧
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ لا شية فيها ﴾ ١٠٩
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قالوا الآن جئت بالحق ﴾ ١١٢
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فذبوحها وما كادوا يفعلون ﴾ ١١٣
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها ﴾ ١١٧
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ والله مخرج ما كنتم تكتمون ﴾

- ١٢٤ ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها ﴾
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون . ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ﴾ ١٢٨
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ ١٣٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ﴾ ١٣٣
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ ١٣٤
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ١٣٨
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ أفنطمعون أن يؤمنوا لكم ﴾ ١٣٩
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ ١٤٠
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ﴾ ١٤٤
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ ١٤٦
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ ١٥١
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون ﴾ ١٥٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإن هم إلا يظنون ﴾ ١٦١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فويل ﴾ ١٦٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾ ١٦٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل

- ١٦٩ لهم مما يكسبون ﴿﴾
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴿﴾
- ١٧٠
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون ﴿﴾
- ١٧٦
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ بلى من كسب سيئة ﴿﴾
- ١٧٨
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وأحاطت به خطيئته ﴿﴾
- ١٨٢
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿﴾
- ١٨٥
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿﴾
- ١٨٦
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله ﴿﴾
- ١٨٧
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وبالوالدين إحساناً ﴿﴾
- ١٩٠
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وذى القربى واليتامى والمساكين ﴿﴾
- ١٩٢
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وقولوا للناس حسناً ﴿﴾
- ١٩٣
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴿﴾
- ١٩٨
 - القول فى تأويل قوله : ﴿﴾ ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون ﴿﴾
- ١٩٩
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ﴿﴾
- ٢٠٠
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ ثم أقرتكم ﴿﴾
- ٢٠٢
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ وأنتم تشهدون ﴿﴾
- ٢٠٣
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿﴾ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون

- ٢٠٥ ﴿ فريقيًا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ ٢١٠
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي فى الحياة الدنيا ﴾ ٢١٥
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ ٢١٦
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ٢١٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾ ٢١٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول ﴾ ٢١٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وآتينا عيسى ابن مريم ﴾ ٢٢٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ ٢٢١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ ٢٥٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وقالوا قلوبنا غلف ﴾ ٢٢٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بل لعنهم الله بكفرهم ﴾ ٢٣١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فقليلًا ما يؤمنون ﴾ ٢٣٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ﴾ ٢٣٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ ٢٣٦
- القول فى تأويل قوله : ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ ٢٤٢

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا ﴾ ٢٤٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب ﴾ ٢٥٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ﴾ ٢٥٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم ﴾ ٢٥٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين ﴾ ٢٥٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ ٢٦٠ ، ٢٦١
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا ﴾ ٢٦٢
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ ٢٦٦
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ﴾ ٢٦٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ ٢٧٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ .. ٢٧٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ومن الذين أشركوا ﴾ ٢٧٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ﴾ .. ٢٧٧

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ﴾ ٢٧٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ ٢٨٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ ٢٩٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ هدى وبشرى للمؤمنين ﴾ ٣٠٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ من كان عدوا لله وملائكته ... للكافرين ﴾ ٣٠١
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ولقد أنزلنا إليك آيات بينات ﴾ ٣٠٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما يكفر بها إلا الفاسقون أو كلما عاهدوا ... لا يؤمنون ﴾ ٣٠٦، ٣٠٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم ... لا يعلمون ﴾ ٣١١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ ٣١٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ﴾ ٣٢٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ﴾ ٣٣٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر ﴾ ٣٥٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ ٣٥٧

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ ٣٦١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ﴾ ٣٦٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾ ٣٦٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ﴾ ٣٧١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ﴾ ٣٧٣
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وقولوا انظرنا ﴾ ٣٨٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ واسمعوا وللكافرين عذاب أليم ﴾ ٣٨٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾ ٣٨٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ٣٨٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ٣٨٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أو ننسها ﴾ ٣٩٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ نأت بخير منها أو مثلها ﴾ ٣٩٩
- القول فى تأويل قوله : ﴿ ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير ألم تعلم أن الله ... ولا نصير ﴾ ٤٠٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ﴾ ٤٠٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ومن يتبدل الكفر بالإيمان ﴾ ٤١٤

- ٤١٥ القول فى تأويل قوله : ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾
- ٤١٨ القول فى تأويل قوله : ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ﴾
- ٤٢٠ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ حسدا من عند أنفسهم ﴾
- ٤٢٢ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾
- ٤٢٣ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ﴾
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ إن الله على كل شىء قدير . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾
- ٤٢٥ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إن الله بما تعملون بصير . وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى تلك أمانتهم ﴾
- ٤٢٧ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾
- ٤٢٩ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾
- ٤٣١ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾
- ٤٣٣ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وقالت اليهود ليس النصرى على شىء ... وهم يتلون الكتاب ﴾
- ٤٣٤ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ﴾
- ٤٣٨ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾
- ٤٤٠ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر

- ٤٤١ ﴿ فيها اسمه وسعى فى خرابها ﴾
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أولئك ما كان لهم أن يدخلوها
 إلا خائفين ﴾ ٤٤٦
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة
 عذاب عظيم ﴾ ٤٤٧
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما
 تولوا فثم وجه الله ﴾ ٤٤٨
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إن الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله
 ولدًا سبحانه بل له ما فى السماوات والأرض ﴾ ٤٦٠
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ كل كل قانتون ﴾ ٤٦١
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بديع السماوات والأرض ﴾ ٤٦٤
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له
 كن فيكون ﴾ ٤٦٦
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا
 يكلمنا الله أو تأتينا آية ﴾ ٤٧٣
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ كذلك قال الذين من قبلهم
 مثل قولهم تشابهت قلوبهم ﴾ ٤٧٦
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ ٤٧٩
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا
 ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ ٤٨٠
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
 حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ ٤٨٤
 - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك

- ٤٨٥ من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴿﴾
- ٤٨٦ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب ﴾
- ٤٨٧ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ يتلونه حق تلاوته ﴾
- ٤٩٥ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أولئك يؤمنون به ﴾
- - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون
- ٤٩٦ يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى ... على العالمين ﴿﴾
- - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس
- ٤٩٧ شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعاة ولا هم ينصرون ﴾
- ٤٩٨ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾
- ٥٠٨ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فأتمهن ﴾
- ٥٠٩ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قال إنى جاعلك للناس إماماً ﴾
- ٥١٠ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قال ومن ذريتى ﴾
- ٥١١ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾
- ٥١٦ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ﴾
- ٥٢١ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وأمنا ﴾
- ٥٢٢ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾
- - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن
- ٥٣٠ طهرا بيتى ﴿﴾
- ٥٣٣ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ للطائفين ﴾
- ٥٣٤ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ والعاكفين ﴾
- ٥٣٦ - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ والركع السجود ﴾
- - القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل بلدًا
- ٥٣٧ آمناً ﴿﴾

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وارزق أهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ ٥٤٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ﴾ ٥٤٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وبئس المصير ﴾ ٥٤٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ﴾ ٥٤٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ربنا تقبل منا ﴾ ٥٥٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾ ٥٦٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريرتنا أمة مسلمة لك ﴾ ٥٦٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وأرنا مناسكنا ﴾ ٥٦٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ .. ٥٧١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ﴾ ٥٧٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ٥٧٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ويزكيهم ﴾ ٥٧٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ ٥٧٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إلا من سفه نفسه ﴾ ٥٧٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه ... العالمين ﴾ ٥٨٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنه ويعقوب يا بنى ﴾ ٥٨٢

- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن
إلا وأنتم مسلمون ﴾ ٥٨٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر
يعقوب الموت ﴾ ٥٨٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إذ قال لبنيه ما تعبدون ...
ونحن له مسلمون ﴾ ٥٨٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ...
عما كانوا يعملون ﴾ ٥٨٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وقالوا كونوا هودًا أو نصارى
تهتدوا ﴾ ٥٨٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ بل ملة إبراهيم حنيفا
وما كان من المشركين ﴾ ٥٩١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قولوا آمنا بالله ...
ونحن له مسلمون ﴾ ٥٩٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به
فقد اهتدوا ﴾ ٥٩٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإن تولوا فإنما هم فى شقاق ﴾ ٦٠١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فسيكفيهم الله وهو السميع
العليم ﴾ ٦٠٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله
صبغة ﴾ ٦٠٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ونحن له عابدون ﴾ ٦٠٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قل أتحتاجوننا فى الله ...

- ٦٠٧ ونحن له مخلصون ﴿﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ...
 ٦٠٨ أنتم أعلم أم الله ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده
 ٦١٠ من الله ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ٦١٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ تلك أمة قد خلت ... عما
 ٦١٤ كانوا يعملون ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ ٦١٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التى
 ٦١٧ كانوا عليها ﴾
- ذكر المدة التى صلى رسول الله ﷺ وأصحابه نحو بيت المقدس
 وما سبب صلاته نحوه ؟ وما الذى دعا اليهود والمنافقين إلى قيل
 ما قالوا عند تحويل الله قبلة المؤمنين عن بيت المقدس إلى الكعبة ؟ ٦١٨
- ذكر السبب الذى كان من أجله ﷺ يصلى نحو بيت المقدس قبل
 أن يفرض عليه التوجه شطر الكعبة ٦٢٢
- ذكر السبب الذى من أجله قال من قال : ﴿ ما ولاهم عن قبلتهم التى
 ٦٢٤ كانوا عليها ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قل لله المشرق والمغرب يهدى
 ٦٢٥ من يشاء إلى صراط مستقيم
 ٦٢٦ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾
- ذكر من قال الوسط العدل ٦٢٧
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون

- ٦٢٩ الرسول عليكم شهيدًا ﴿﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبه ﴾ ٦٣٨
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ﴾ ٦٤٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ ٦٥٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ ... ٦٥٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء ... المسجد الحرام ﴾ ٦٥٦
- القول فى تأويل قوله عز وجل : ﴿ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ ٦٦٥
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب ... بتابع قبلة بعض ﴾ ٦٦٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ... كما يعرفون أبناءهم ﴾ ٦٦٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ ٦٧١
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ ٦٧٣
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولكل وجهة هو موليها ﴾ ٦٧٤
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ ٦٧٩
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعًا إن الله على كل شىء قدير ﴾ ٦٨٠

- القول فى تأويل قوله : ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك ...
 ٦٨٢ فلا تخشوهم واخشونى ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولأتم نعمتى عليكم
 ٦٩١ ولعلكم تهتدون ﴾
- القول فى تأويل قوله : ﴿ كما أرسلنا فىكم رسولا منكم ... ويعلمكم
 ٦٩٢ ما لم تكونوا تعلمون ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ ٦٩٥
- القول فى تأويل قوله : ﴿ واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ ٦٩٦
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله
 ٦٩٨ أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع
 ٧٠٣ ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة ...
 ٧٠٦ وأولئك هم المهتدون ﴾
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فمن حج البيت أو اعتمر ﴾ ٧١١
- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فلا جناح عليه أن يطوف بهما ﴾ ٧١٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ ومن تطوع خيرا فإن الله
 ٧٢٧ شاكر عليم ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات
 ٧٢٩ والهدى من بعدما بيناه للناس فى الكتاب ﴾
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ .. ٧٣٢
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا
 ٧٣٨ فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾

- القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ ٧٤٠
- القول فى تأويل قوله جل ثناؤه : ﴿ خالدین فیها لا یخفف عنهم العذاب ولا هم ینظرون ﴾ ٧٤٣
- القول فى تأویل قوله جل ثناؤه : ﴿ وإلهکم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن ﴾ ٧٤٥

تم الجزء الثانى بحمد الله ومنه ، ويليه الجزء الثالث

وأوله : القول فى المعنى الذى من أجله أنزل الله على نبيه ﷺ قوله : ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلک التى تجرى فى البحر بما ینفع الناس ... ﴾